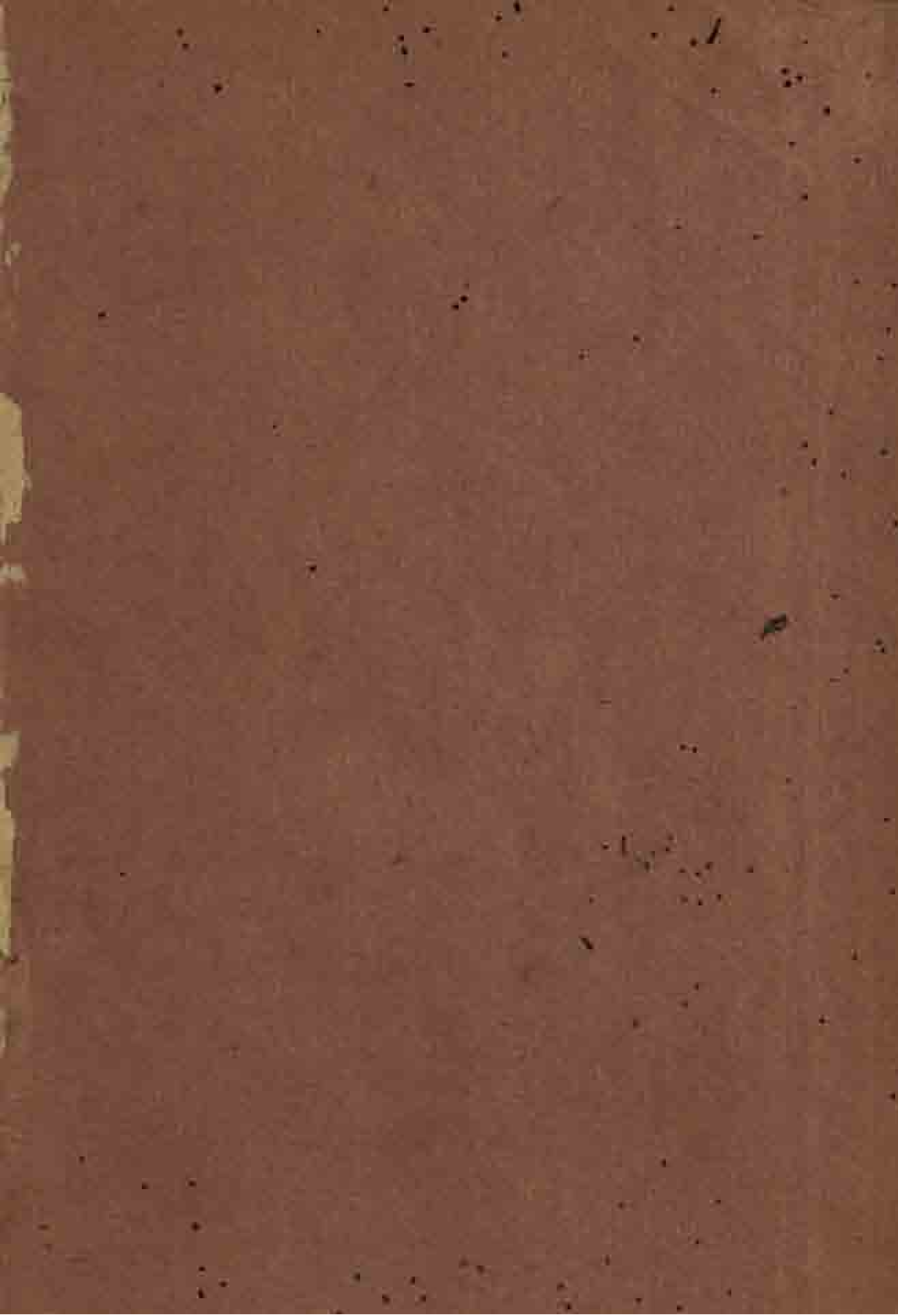


(فهرسة الجزء العاشر من تاريخ الكامل)



صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

(فهرست الجزء العاشر من تاريخ العلامة الجبرتى)

«ما شاء الله كان»

الجزء العاشر من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين رحمه الله تعالى

وبهامشه التاريخ المسمى بعجائب الآثار في التراجم والأخبار للوذعي العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الأولى بالمطبعة الأزهرية
المصرية سنة ١٣٠١ هجرية

صحيفة

صحيفة

(تمت)

باشا الى ثغر اسكندرية فارسل كتخدا البوابين سعيد اغا وصحبته الامر الشريف ٣ الواجب القبول والتشريف المصون

(ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب ارسلان)

في هذه السنة في رجب توفي جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق اخو السلطان طغرلبك وقيل كان موته في صفر سنة اثنتين وخمسين وعمره نحو سبعين سنة وكان صاحب خراسان وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم ومانعهم عن خراسان فلما توفي ملك بعده خراسان ابنه السلطان ألب ارسلان وخلف داود عدة أولاد ذكور منهم السلطان ألب ارسلان و ياقوتي وسليمان وقاروت بك قرا ارسلان و ام سليمان السلطان طغرلبك بعد اخيه داود ووصى له بالملك بعده وكان من أمره ما نذكره وكان خيرا عادلا حسن السيرة معترفا بنعمة الله تعالى عليه شاكرا عليها فمن ذلك انه أرسل الى أخيه طغرلبك مع عبد الصمد قاضي سرخس يقول له بلغني اخرابك البلاد التي فتحتها وملكتها وجلاء أهلها عنها وهذا ما لا خفاء به في مخالفة أمر الله تعالى في عباده وبلاده وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة وايحاش الرعية وقد علمت اننا لقينا أعداءنا ونحن في ثلاثين رجلا وهم في ثلاثمائة فغلبناهم وكنا في ثلاثمائة وهم في ثلاثة آلاف فغلبناهم وكنا في ثلاثة آلاف وهم في ثلاثين ألفا فدفعناهم وقاتلنا بالامس شاه ملك وهو في اعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته خوارزم وهرب من بين أيدينا الى خمسمائة فرسخ من موضعه فظفرنا به وأسرناه وقتلناه واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرنا ملوكا متبوعين بعد ان كنا أصاغر تابعين وما تقتضي نعم الله علينا ان نقابلها بهذه المقابلة فقال طغرلبك قل له في الجواب يا أخي أنت ملكت خراسان وهي بلاد عامرة نضرة وجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وانا وردت بلادا خربها من تقدمني واجتاحها من كان قبلي فما أتمكن من عمارتها والاعداء محيطة بها والضرورة تقود الى طرقها بالعساكر ولا يمكن دفع مضرتها عنها وله مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل

(ذكر حريق بغداد)

في هذه السنة احترقت بغداد الكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التي وقفها اردشير الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عميد الملك الكندري فاختار من الكتب خيرها وكان بها عشرة آلاف مجلد واربعمائة مجلد من اصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بني مقلة وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق فازالهم عميد الملك وقعد يختارها فنسب ذلك الى سوء سيرته وفساد اختياره وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذي عمر المدارس ودون العلم في بلاد الاسلام جميعها ووقف الكتب وغيرها

(ذكر انحدار السلطان الى واسط وما فعل العسكر واصلاح دبيس)

في هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك الى واسط بعد فراغه من امر بغداد فرآها قد نهبت وحضر عنده هزارسب بن بنكير واصلح معه حال دبيس بن مزيد واحضره معه الى

بالرسم المطوى العالى
دامت مسراته على ممر الدهور
والاعوام والايام والليالى
فاوضح مكنونه وافصح
مضمونه بانه قد تطاولت
العداوة بين الوزير محمد على
باشا وبين الامراء المصريين
فتعطلت مهمات الحرمين
الشريفين من غلال ومرتبات
وتشهيل امير الحاج على حكم
سوابق العادات والحال انه
ينبغي تقديم ايصال ذلك لسائر
المطلوبات وان هذا التاخير
سببه كثرة العساكر والملوفات
وترتب على ذلك تلف
الرعية بالاقاليم المصرية
العمار والاصلاح لا يوافق
الامر الا باجراء هذه الكيفية
بحضرة السدة السنية وانهم
يتعهدون بالتزام جميع
مرتبات الحرمين الشريفين
من غلال وعوائد ومهمات
واخراج امير الحاج على حكم
اسلوب المتقدمين مع الامتثال
الكامل لما يرد من الاوامر
الشريفة الى ولاة الامور بالديار
المصرية وانهم يقومون في كل
سنة بدفع الاموال الميرية
الى خزينة الدولة العلية ان
حصل لهم العفو عن جرائمهم
الماضية والرضا بدخولهم
مصر المحمية والتمسوا من
حضرة الدولة العلية قبول
ذلك منهم و بلوغهم مامولهم

فامرهم تم لهم الامر المطوى الشريف المتاع المنيف بعزل الوزير المشار اليه لتقرر العداوة معه ووجهتم له ولا يتسلسك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ثم دخلت سنة احدى وخمسين واربعمائة)

(ذكر وفاة فرخزاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم)

في هذه السنة في صفر توفي الملك فرخزاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان قد ثار به مماليكه سنة خمسين واتفقوا على قتله فقصدوه وهو في الحمام وكان معه سيف فأخذه وقاتلهم ومنعهم عن نفسه حتى أدركه أصحابه وخلصوه وقتلوا أولئك الغلمان وصار بعد أن نجا من هذه الحادثة يكثر ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدري بها وبقي كذلك الى هذه السنة فأصابه قولنج فمات منه وملك بعده أخوه ابراهيم ابن مسعود بن محمود فأحسن السيرة واستعد لجهاد الهند ففتح حصونا امتنعت على أبيه وجده وكان يصوم رجبا وشعبان ورمضان

(ذكر الصلح بين الملك ابراهيم وجغري بك داود)

في هذه السنة استقر الصلح بين الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان على أن يكون كل واحد منهما على ما بيده ويترك منازعة الآخر في ملكه وكان سبب ذلك أن العقلاء من الجانبين نظروا فرأوا ان كل واحد من الملكين لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر وليس يحصل غير اتلاف الاموال واتعاب العساكر ونهب البلاد وقتل النفوس فسعوا في الصلح فوقع الاتفاق واليمين وكتبت الفتح بذلك فاستبشر الناس وسرهم لما أشرفوا عليه من العافية

(وصورته بالحرف)

بسم الله الرحمن الرحيم الرؤف الحليم الحمد لله ذي الجلال على جميع الشؤون والاحوال نرفع اليك اكفنا من بحر جودك مغترفة ومتوجهة الى كعبة فضلك بقلوب مخلص الوحدانية معترفة ان تديم بهجة الزمان ورونق عنوان اليمن والامان بدوام وزير تخضع لها بتطاول الرقاب وتدنو لهمة سطوته المهمات الصعاب منتهى آمال المقاصد والوسائل ومحط رحال المطالب من كل سائل حضرة صدر الصدور ومدبر مهمات الامور الصدر الاعظم محمد علي باشا أدام الله دعائم العز بقيامه وفسح للانام في أيامه محفوفا بعناية الرب الكريم محفوظا بآيات القرآن العظيم آمين اما بعد فانا رافعي القصد والرجاء ومقدمو أعلام الخضوع والالتجاء فاننا ننهي لمسامعكم العلية وشيم اخلاقكم المرضية بانه قد قدم حضرة الدستور المكرم والمشير المفخم مدبر مهمات الاشكالات المصرية خادم الدولة العلية الوزير قبودان

قصد الرحبة وفتح قرقيسيا وعقد لعدة الدين على بنت منيع وانحدروا الى بغداد

(ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب)

في هذه السنة في جمادى الآخرة حصر محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس الكلابي مدينة حلب وضيق عليها واجتمع معه جمع كثير من العرب فاقام عليها فلم يتسهل له فتحها فرحل عنها ثم عاودها فحصرها فملك المدينة عنوة في جمادى الآخرة بعد ان حصرها وامتنعت القلعة عليه وارسل من بها الى المستنصر بالله صاحب مصر ودمشق يستنجدونه فامر ناصر الدولة ابا محمد الحسين بن الحسن بن حمدان الامير بدمشق ان يسير بمن عنده من العساكر الى حلب يمنعها من محمود فسار الى حلب فلما سمع محمود بقربه منه خرج من حلب ودخلها عسكر ناصر الدولة فنهبوها ثم ان الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب واشتد القتال بينهم فانهزم ناصر الدولة وعاد مقهورا الى مصر وملك محمود حلب وقتل عمه معز الدولة واستقام امره بها وهذه الوقعة تعرف بوقعة الفنيدق وهي مشهورة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الاخرم الخفاجي ورد اليه امارة بني خفاجة وولاية الكوفة وسقي الفرات وضمن خواص السلطان هناك باربعة آلاف دينار كل سنة وصرف عنها رجب بن منيع وفيها توفي ابو محمد النسوي صاحب الشرطة ببغداد وقد جاوز ثمانين سنة وفيها سد بنو ورام بثق النهروانات وشرع العميد ابو الفتح في عمارة سوق الكرخ وفيها في ذي القعدة توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزنجان فوجد عليها وجدا شديدا وحمل تابوتها الى الري فدفنت بها وفيها ثالث جمادى الآخرة انقض كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب الى ناحية المشرق فطال لبثه وفيها جمع عطية بن صالح بن مرداس جمعا وحصر الرحبة وضيق على اهلها فملكها في صفر من هذه السنة وفيها توفيت والدة الخليفة القائم بامر الله واسمها قطر الندى وقيل بدر الدجى وقيل علم وهي جارية ارمنية وفيها توفي محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن ابو علي المعروف بالجازري النهرواني وكان مكثرا من الرواية (الجازري بالجيم وبعد الالف زاي ثم راء) وفيها توفي بابي ابو منصور الفقيه الجيلي بالباء الموحدة وبعد الالف باء تحتها نقطتان ومحمد بن عبيد بن احمد بن محمد ابو عمرو بن ابي الفضل الفقيه المالكي

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين واربعمائة)

(ذكر وزارة ابن دارست للخليفة)

لما عاد الخليفة الى بغداد استقدم ابا تراب الاثيري في الانهاء وحضور المواكب ولقبه حاجب الحجاب وكان خدمه بالحديثة وقرب منه فخاطب الشيخ ابو منصور بن يوسف في وزارة ابي الفتح منصور بن احمد بن دارست وقال انه يخدم بغير اقطاع ويحمل مالا

في الامور التي لاقدرة لنا عليها الا انا لانقدر على دفع المفسدين والطغاة والمتمردين الذين اهلكوا الرعايا ودمروهم فانتم خلفاء الله على خليقته وامناؤه على بريته ونحن ممتثلون لولاة اموركم في جميع ما هو موافق الشريعة المحمدية على حكم الامر من رب البرية في قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فلا سيما المخالفة فيما رضي الله ورسوله فان حصل منهم خلاف ذلك نكل الامر فيهم الى مالك الممالك لان اهل مصر قوم ضعاف وقال عليه الصلاة والسلام اهل مصر الجند الضعيف فما كادهم احد الا كفاهم الله مؤنته وقال ايضا وكل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة ونفيد ايضا مضمون المسامع العلية من خصوص القرض والسلف التي حصل منها الثقلة للاهالي من حضرة مخدومكم الوزير محمد علي باشا فانه اضطر اليها لاجل اغراء العساكر وتقويتهم على دفع الاشقياء والمفسدين والطغاة المتمردين امتثالا لاوامر الدولة العلية في دفعهم والخروج من حقهم واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد رغبة في حلول انظار الدولة العلية فالامر مفوض اليكم والملك امانة الله تحت ايديكم نسال الله الكريم المنان ان يديم العز والامتنان لسدة السلطان مع رهبة تتزعزع بها النفوس هيبته وسطوة تسري بها في القلوب مهابته وان

خدمة السلطان واصعد في صحبته الى بغداد وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين وضمن واسطا ابو على بن فضلان بمائتي الف دينار وضمن البصرة الاغر ابو سعد سابور ابن المظفر وعبر السلطان الى الجانب الشرقى من دجلة وسار الى قرب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والاهواز واصعد السلطان الى بغداد في صفر سنة اثنتين وخمسين ومعه ابو الفتح بن ورام وهزارسب بن بنكير بن عياض ودبيس بن مزيد وابو على ابن الملك ابى كاليجار وصدقة بن منصور بن الحسين وغيرهم واجتمع السلطان بالخليفة وامر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان والامراء واصحابهم وعمل السلطان ايضا سماطا احضر فيه الجماعة وخلع عليهم وسار الى بلاد الجبل في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وجعل ببغداد شحنة الامير برسق وضمنها ابو الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين باربعمائة الف دينار .

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل ابو الحسين بن المهتدى من الخطابة بجامع المنصور لانه خطب للعلوى ببغداد في الفتنة واقيم مقامه الشريف ابو على الحسن بن عبد الودود بن المهتدى بالله وفيها توفي على بن محمود بن ابراهيم الزوزنى ابو الحسن صحب ابا الحسن الحصرى وروى عن ابى عبد الرحمن السلمى وهو الذى ينسب اليه رباط الزوزنى المقابل لجامع المنصور وفيها في جمادى الاولى توفي محمد بن على بن الفتح بن محمد بن على ابو طالب العشارى ومولده في المحرم سنة ست وستين وثلثمائة وسمع الدارقطنى وغيره

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين واربعمائة)

(ذكر عود ولى العهد الى بغداد مع ابى الغنائم بن المحلبان)

في جمادى الآخرة ورد عدة الدين ابو القاسم المقتدى بامر الله ولى العهد ومعه جدته ام الخليفة وخرج الناس لاستقباله وجلس في الزبزب وعلى راسه ابو الغنائم بن المحلبان وقدم له بباب الغربة فرس فحمله ابن المحلبان على كتفه واركبه وسلمه الى مجلس الخليفة فشكره وخرج ابن المحلبان فركب في الزبزب وانحدر الى دار افردت له بباب المراتب ودخل الى الخليفة واجتمع به وكان سبب مسير ولى العهد مع ابن المحلبان انه دخل داره فوجد زوجة رئيس الرؤساء واولاده بها وهم مطلوبون من البساسيرى فعرفوه ان رئيس الرؤساء امرهم بقصده فادخلهم الى اهله واقام لهم من حملهم الى ميافارقين فساروا مع قرواش لما اصعد من بغداد ولم يعلم بهم ثم لقيه ابو الفضل محمد بن عامر الوكيل وعرفه ما عليه ولى العهد ومن معه من ايثار الخروج من بغداد وما هم عليه من تناقض الحال فبعث ابن المحلبان زوجته فاتت بهم فتركهم عنده ثمانية اشهر وكان يحضر ابن البساسيرى واصحابه ويعمل لهم الدعوات وولى العهد ومن معه مستترون عنده يسمعون ما يقول اولئك فيهم ثم اكترى لهم وسار هو في صحبتهم الى قريب سنجار ثم حملوا الى حران وسار مع صاحبها ابى الزمام منيع بن وثاب النميرى حين

ووجبهم ولا يقتصر الى الوزير ودلى باشا وقبلهم توبتهم ولن العلماء والوجاقلية والرؤساء والوجهاء بالديار المصرية الداعين لحضرة مولانا الخنكار ببلوغ المأمولات المرضية ان تعهدوا بهم وكفلوهم وحصل لهم المساعدة الكلية حتى التمسوهم من اعتاب حضرة الدولة العلية فامركم مطاع وواجب القبول والاتباع غير اننا نلتمس من شيم الاخلاق المرضية والمراحم العلية العفو عن تعهدنا وكفالتنا لهم فان شرط التكفيل قدرته على المكفول ونحن لا قدرة لنا على ذلك لما تقدم من الاهوال الشهيرة والاحوال والتطورات الكثيرة التى منها خيانة المرحوم السيد على باشا والى مصر سابقا وبعد واقعة ميرميران طاهر باشا وقتل اغاة القادمين من البلاد الرومية وسلب الاموال بغير اوجه شرعية والصغير لا يسمع كلام الكبير والكبير لا يستطيع تنفيذ الامر على الصغير وغير ذلك مما هو معلوم مشاهد لنا خصوصا ما وقع في العام الماضى من اقدامهم على مصر المحمية وهجومهم عليها في وقت الظهيرة بالاكراه عنها حضرة المشار اليه وقتل منهم جملة كثيرة فكانت واقعة شهيرة فهذا شيء لا ينكر فحينئذ لا يمكننا التكفل والتعهد لاننا لا نطلع على ما في السرائر وما هو مستكن في الضمائر فنرجو عدم المؤاخذة قصد

عن أهلها

(ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وامارة ابنه شرف الدولة)

في هذه السنة توفي قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينيه وأذنيه فحمل ابنه شرف الدولة الى نصيبين حتى حفظ خزائنه بها وتوفي هناك ومعه فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير فسار من دارا الى نصيبين وجمع بني عقيل على ان يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش عليهم وكان القائم بأمره جابر بن ناشب فزوجه فخر الدولة بأخت مسلم وزوج مسلما بابنة نصر بن منصور

(ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان)

في هذه السنة توفي نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر ولقبه القادر بالله نصر الدولة وكان عمره نيفا وثمانين سنة وامارته اثنتين وخمسين سنة واستولى على الامور ببلاده لصلاحها وعمر الثغور وضبطها وتنعم تنعما لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه وملك من الجواري المغنيات ما اشترى بعضهن بخمسة آلاف دينار وأكثر من ذلك وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار وتزوج من بنات الملوك جملة وأرسل طباخين الى الديار المصرية وغرم على ارسالهم جملة وافرة حتى تعلموا الطبخ من هناك وأرسل الى السلطان طغرلبك هدايا عظيمة من جملتها الجبل الياقوت الذي كان لبني بويه اشتراه من الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك ووزر له أبو القاسم بن المغربي وفخر الدولة بن جهير ورخصت الاسعار في أيامه وتظاهر الناس بالاموال ووفد اليه الشعراء وأقام عنده العلماء والزهاد وبلغه أن الطيور في الشتاء تخرج من الجبال الى القرى فتصاد فأمر أن يطرح لها الحب من الاهراء التي له فكانت في ضيافته طول عمره ولما مات اتفق وزيره فخر الدولة بن جهير وابنه نصر فرتب نصرا في الملك بعد أبيه وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر في آخرها لنصر فاستقر في الامارة بميافارقين وغيرها وملك أخوه سعيد آمد

(ذكر عدة حوادث)

في رجب خلع على الكامل أبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي وقلد نقابة النقباء ولقب الكامل ذا الشرفين وفيها تولى شمس الدين أسامة بن أبي عبد الله بن علي نقابة العلويين ببغداد ولقب المرتضى وفيها في جمادى الاولى انكسفت الشمس جميعها فظهرت الكواكب وأظلمت الدنيا وسقطت الطيور الطائرة وفيها في شهر رمضان توفي شكر العلوي الحسني أمير مكة وله شعر حسن فمنه

قوض خيامك عن أرض تضام بها ● وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة ● فالمندل الرطب في أوطانه حطب

وفيها توفي أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى الشمشاطي بدمشق وكان عالما بالهندسة

قال وما رأيكم في ذلك فقال الشيخ الشرقاوي ليس رأينا الا الرأي ما تراه ونحن الجميع على رأيك فقال لهم غدا نبعث اليكم صورة تكتبونها في رد الجواب وأرسل اليهم من الغد صورة مضمونها ان الاوامر الشريفة وصلت الينا وتلقيناها بالطاعة والامتثال الا ان أهل مصر ورعيتها قوم ضعاف وربما عصت العساكر عن الخروج فيحصل لأهل البلدة الضرر وخراب الدور وهتك الحرمات وأنتم أهل الشفقة والرحمة والتلطف ونحو ذلك من التمويهات والتمويهات وأصدروها اليه وفي أثناء ذلك محمد علي باشا آخذ في الاهتمام والتشهيل واظهار الحركة والخروج لمحاربة الالفي وبرزت العساكر الى ناحية بولاق وخارج البلدة وعدوا بالخيام الى البر الغربي وتقدم الى مشايخ الحارات بالتعريف على كل من كان متصفا بالجندية ويكتبوا أسماءهم ومحل سكنهم ففعلوا ذلك ثم كتبت لهم أوراق بالأمر بالخروج وعليها ختم الباشا ومسطور في ورقة الأمر بان المأمور يصحب معه شخصين أو ثلاثة على ان أكثرهم لا يملك حمارا يركبه ولا ما يحمل عليه متاعه ولا ما يصرفه على نفسه فضلا عن غيره وكذلك أمر الوجاقلية جليلهم وحقيرهم بالخروج للمحاربة (وفيه) شرع الباشا في تقرير فرضة على البلاد البحرية وهي القليوبية والمنوفية والغربية والدقهلية والمزاحمتين الى

الاجيب الى ذلك فاحضر من الاهواز الى بغداد وخلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر وجلس في منصبه ومدحه الشعراء فممن مدحه وهنأه أبو الحسن الخباز بقصيدة منها

امن الملك بالامين أبي الفتـ ح وصدت عن صفوه الاقذاء
دولة أصبحت وأنت ولي الـ رأي فيها لدولة غراء

وهي طويلة وكان ابن دارست في أول أمره تاجر الملك أبي كاليجار

(ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم)

في هذه السنة توفي المعز بن باديس صاحب افريقية من مرض أصابه وهو ضعف الكبد وكانت مدة ملكه سبعا وأربعين سنة وكان عمره لما ملك احدى عشرة سنة وقيل ثماني سنين وستة أشهر وكان رقيق القلب خاشعا متجنبا لسفك الدماء الا في حد حليما يتجاوز عن الذنوب العظام حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه مكرما لاهل العلم كثير العطاء لهم كريما وهب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتي وكان عنده وقد جاء هذا المال فاستكثره فأمر به فأفرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أمرت باخراجه من أوعيته قال لئلا يقال لو رآه ما سمحت نفسه به وكان له شعر حسن ولما مات رثاه الشعراء فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال

لكل حي وان طال المدى هلك ● لا عز مملكة يبقى ولا ملك
ولى المعز على أعقابه فرمى ● أو كاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا وأبقى في خزائنه ● هام الملوك وما أدراك ما ملكوا
ما كان الا حساما سله قدر ● على الذين بغوا في الارض وانهمكوا
كأنه لم يخض للموت بحر وغى ● خضر البحار اذا قيست به برك
ولم يجد بقناطير مقنطرة ● قد ارهبت باسمه ابريزها السكك
روح المعز وروح الشمس قد قبضا ● فانظر بأي ضياء يصعد الفلك

ولما توفي ملك بعده ابنه تميم وكان مولد تميم بالمنصورية التي هي مقره منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وولاه المهدية في صفر سنة خمس وأربعين فأقام بها الى ان وافاه أبوه المعز لما انتزح عن القيروان من العرب وقام بخدمة أبيه وأظهر من طاعته وبره ما بان به كذب ما كان ينسب اليه ولما استبد بالملك بعد أبيه سلك طريقه في حسن السيرة ومحبة أهل العلم الا انه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب وزالت الهيبة والطاعة عنهم في أيام المعز فلما مات ازداد طمعهم وأظهر كثير منهم الخلاف فممن أظهر الخلاف القائد حمو بن مليل صاحب صفاقس واستعان بالعرب وقصد المهدية ليحاصرها فخرج اليه تميم وصافه فاقتتلوا فانهزم حمو وأصحابه وكثر القتل فيهم ومضى حمو ونجا بنفسه وتفرقت خيله ورجاله وكان ذلك سنة خمس وخمسين وسار تميم الى سوسة وكان أهلها قد خالفوا أباه المعز وعصوا عليه فملكها وعفا

يبقى دوام فضل الانعام وان يحسن البدء والختام بجاه سيدنا محمد خير البرية وآله وصحبه ذوي المناقب الوفية انتهى

وكتبوا مثل ذلك نسختين احداهما الى القبطان وأخرى الى السلطان وكتبوا عليهما الامضاء والختوم وأرسلوهما (وفي ليلة الاثنين ثالث عشره) وصل شاكر أغا سلحدار الوزير الى بولاق فتلقوه وأركبوه الى بيت الباشا فلما أصبح النهار أرسلوا أوراقا وصلت صحبة السلحدار المذكور واحدها خطابا للمشايخ وأخرى الى شيخ السادات وثالثة الى السيد عمر النقيب وكلها على نسق واحد وهي من قبودان باشا وعليها الختم الكبير وهي بالعربي وفرمان واحد باللغة التركية خطابا للجميع ومضمون الكل الاخبار بعزل محمد علي باشا عن ولاية مصر وولايته سلانيك وولاية السيد موسى باشا المنفصل عنها مصر وان يكون الجميع تحت الطاعة والامتثال للاوامر والاجتهاد في المعاونة وتشهيل محمد علي باشا فيما يحتاج اليه من السفن ولوازم السفر ليتوجه هو وحسن باشا والحجر جاه من طريق دمياط بالاعزاز والاكرام وصحبتهما جميع العساكر من غير تأخير حسب الاوامر السلطانية ثم انهم اجتمعوا في عصر ذلك اليوم بمنزل السيد عمر وكتبوا الى الباشا انهم استقروا بالحاضر ولعلها وصلت اليكم المراسلات الواردة صحبة السلحدار فالواجم

ابراهيم ينال السلطان ان هذا قتل اباه وقال ان تمكن من قتله واعطاهم عميد الملك فأذن لهم في قتله فساروا الى طريقه وقتلوه وجعل مكانه ساوتكين وبسط الكندري لسانه وطلب طغرلبك ابنة اخيه زوجة الخليفة لتعاد اليه وجرى ما كان يفضي الى الفساد الكلي فلما رأى الخليفة شدة الامر اذن في ذلك وكتب الوكالة باسم عميد الملك وسيرت الكتب مع ابي الغنائم بن المحلبان وكان العقد في شعبان سنة اربع وخمسين بظاهر تبريز وهذا ما لم يجر للخلفاء مثله فان بني بويه مع تحكمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا في مثل هذا ولا ساموهم فعله وحمل السلطان اموالا كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة ولولي العهد وللجهة المطلوبة ولوالدتها وغيرهم وجعل بعقوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التي توفيت للسيدة ابنة الخليفة

﴿ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير﴾

في هذه السنة عزل ابو الفتح محمد بن منصور بن دارست من وزارة الخليفة وسببه انه وصل معه انسان يهودي يقال له ابن علان فضمن اعمال الوكلاء التي لخاص الخليفة بستة آلاف كر غلة ومائة الف دينار فصح منها الفا كر وثلاثون الف دينار وانكسر الباقي فظهر عجز ابن دارست ووهنه فعزل وعاد الى الاهواز فتوفي بها سنة سبع وستين وكان فخر الدولة ابو نصر بن جهير وزير نصر الدولة بن مروان قد ارسل يخطب الوزارة وبذل فيها بذولا كثيرة فاجيب اليها وارسل كامل طراد الزينبي الى ميافارقين كانه رسول فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له فتمم السير معه وخرج ابن مروان في اثره فلم يدركه فلما وصل الى بغداد خرج الناس الى استقباله وخلع عليه خلع الوزارة يوم عرفة ولقب فخر الدولة واستقر في الوزارة ومدحه وهنأه ابن الفضل وغيره من الشعراء

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عم الرخص جميع الاصقاع فبيع بالبصرة الف رطل من التمر بثمانية قراريط وفيها توفي القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي بمصر وفيها سار السلطان طغرلبك الى قلعة الطرم من بلاد الديلم وقرر على مسافر ملكها مائة الف دينار والف ثوب وفيها مات ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدولة بحلب وقام اخوه عطية مقامه وتوفي الحسن بن علي بن محمد ابو محمد الجوهري ومولده سنة ثلاث وستين وثلثمائة وكان من الائمة المكثرين من سماع الحديث وروايته وهو آخر من حدث عن ابي بكر القطيعي والابهري وابن شاذان وغيرهم

﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسين واربعمائة﴾

﴿ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة﴾

في هذه السنة في المحرم توجه السلطان طغرلبك من ارمينية الى بغداد واراد الخليفة ان يستقبله فاستعفاه من ذلك وخرج الوزير ابن جهير فاستقبله وكان مع السلطان من الامراء ابو علي ابن الملك ابي كاليجار وسرخاب بن بدر وهزارسب وابو منصور فرامرز بن

قبودان باشا من طرف محمد علي باشا فرجع بجواب الرسالة وحصلها ان القبودان لم يقبل هذه الاعذار ولا المقصود من التمويهات التي لا اصل لها. ولابد من تنفيذ الاوامر وسفر الباشا ونزوله هو وحسن باشا وعساكرهما وخروجهم من مصر وذهابهم الى ناحية دمياط وسفرهم الى الجهة المامورين بالذهاب اليها ولا بد من ذلك ابدا (وفي ليلة الخميس ثامنه) حضر علي كاشف الشرقية وذلك انه تنطر من فوق جواده وكسرت رجله واحضروه محمولا (وفي يوم الخميس المذكور) وصل الكثير من طوائف عرب الحويطات ونصف حرام من ناحية شبرا الى بولاق وضربوا الخضور وهم مدافع (وفيه) ركب طوائف الدلاتية وتقدموا الى جهة مصر القديمة واشيع ركوب محمد علي باشا ذلك اليوم فلم يركب (وفي ثاني عشره) ورد الخبر بوصول موسى باشا الى ثغر سكندرية يوم الاحد حادي عشره والمذكور ارسل من طرفه قاصدا وعلى يده مرسوم خطابا لاحمد افندي الدفتردار بان يكون قائما مقامه وبامره بضبط الايراد والمصرف فلم يقبل الدفتردار ذلك وقال لم يكن بيدي قبض ولا صرف ولا علاقة لي بذلك (وفي يوم الاحد) طافت جماعة قواسة على بيوت الاعيان يشربونهم باب الضباكر الكائنين بناحية الرحمانية وكبوا على عرضي الاتي

والرياضيات من علوم الفلاسفة واليه ينسب الرباط الذي عند جامع دمشق

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة)

(ذكر نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة)

في هذه السنة عقد للسلطان طغرلبك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله وكانت الخطبة تقدمت سنة ثلاث وخمسين وتولى ذلك أبو سعد قاضي الري فانزعج الخليفة من ذلك وأرسل في الجواب أبا محمد التميمي وأمره أن يستعفي فإن أعفي والا تمم الامر على ان يحمل السلطان ثلثمائة ألف دينار ويسلم واسطا واعمالها فلما وصل الى السلطان ذكر لعميد الملك الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء فقال لا يحسن أن يرد السلطان وقد سأل وتضرع ولا يجوز مقابلته أيضا بطلب الاموال والبلاد فهو يفعل اضعاف ما طلب منه فقال التميمي الامر لك ومهما فعلته فهو الصواب فبنى الوزير الامر على الاجابة وطالع السلطان فسر به وجمع الناس وعرفهم ان همته سمت به الى الاتصال بهذه الجهة النبوية وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك وتقدم الى عميد الملك الوزير ان يسير ومعه ارسلان خاتون زوجة الخليفة وان يصحبها مائة ألف دينار برسم الحمل وما شاكلها من الجواهر وغيرها ووجه معه فرامرز بن كاكويه وغيره من وجوه الامراء واعيان الري فلما وصل الى الامام القائم بأمر الله وأوصل خاتون زوجة الخليفة الى دارها وأنهى حضوره وحضور من معه لأجل الوصلة فامتنع الخليفة من الاجابة اليها وقال ان اعفينا والا خرجنا من بغداد فقال عميد الملك كان الواجب الامتناع من غير اقتراح وعند الاجابة الى ما طلب فالامتناع سعي على دمي وأخرج خيامه الى النهروان فاستوقفه قاضي القضاة والشيخ أبو منصور بن يوسف وأنهيا الى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه وصنع له ابن دارست وزير الخليفة دعوة حضر عنده فرأى على مسند مكتوبا بماء ويحتال على قلم محكه وكتب من الديوان الى خمارتكين الطغرائي كتابا يتضمن الشكوى من عميد الملك فورد الجواب عليه بالرفق وكتب الخليفة الى عميد الملك نحن نرد الامر الى رأيك ونعول على امانتك ودينك فحضر يوما عند الخليفة ومعه جماعة من الامراء والحجاب والقضاة والشهود فأخذ المجلس لنفسه ولم يتكلم سواه وقال للخليفة اسأل مولانا أمير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة فغالطه وقال قد سطر في المعنى ما فيه كفاية فانصرف عميد الملك مغيظا ورحل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة وأخذ المال معه الى همذان وعرف السلطان ان السبب في اتفاق الحال من خمارتكين الطغرائي فتغير السلطان عليه فهرب في ستة غلمان وكتب السلطان الى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف يعتب ويقول هذا جزائي من الخليفة الذي قتلت أخي في خدمته وأنفقت أموالي في نصرته وأهلكت خواصي في محبته وأطال العتاب وعاد الجواب اليه بالاعتذار وأما الطغرائي فانه أدرك ببروجرد فقال أولاد

آخر مجرى النيل ورتبوها أعلى وإردب أرز وثلاثون رطلا من الجبن ومن السمن كذلك وغير ذلك من الاصناف كاللبن والبيض وغير ذلك والاوسط عشرون أردبا وما يتبعها كذلك والادنى اثنا عشر ومع ذلك القبض والطلب مستمر في فائظ الملتزمين بعضه من ذواتهم وبعضه من فلاحيهم مع ما يتبع ذلك من حق الطرق والخدم وتوالي الاستعجالات (وفي ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه) سافر شاكر أغا السلحدار بالاجوبة

(شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢١)

استهل بيوم الخميس في ثانيه احترق معمل البارود بناحية المدابغ فحصل منه رجة عظيمة وصوت هائل مثل المدفع العظيم سمعه القريب والبعيد ومات به عدة أشخاص ويقال انهم رموا قنبرة من القلعة بقصد التجربة على جهة بولاق فسقطت في المعمل المذكور وحصل ما ذكر (وفي ثالثه) يوم السبت وقت الزوال ركب الباشا من داره بزبد السرقاوية الالفي ونزل الى بولاق وعدى الى بر انبابة لتجهيز العرضي وأرسل أوراقا لجميع العربان وحسين لذلك حسن أغا صرم وعلي كاشف الشرقية (وفي ليلة الاثنين خامسه) حضر سليم أغا قابجي كتخدا الذي تقدم سفره صحبة سعيد أغا كتخدا البوابين مرسلا الى

دیوان الخليفة رسول ومعه خلعة له وكوتب بالرضا عنه وانحدر اليه نور الدولة دبيس فعمل له شرف الدولة سماطا كثيرا وكان في الجماعة الاشرف أبو الحسين بن فخر الملك أبي غالب بن خلف كان قصد شرف الدولة مستجيرا بأخضع اقامة فمات من ساعته وحكي عنه بعض من صحبه انه سمعه ذلك اليوم يقول اللهم اقبضني فقد ضجرت من الاضاقة فلما توفي ورفع من السماط خاف شرف الدولة ان يظن من حضر انه تناول طعاما مسموما قصد به غيره فقال يا معشر العرب لا يبرح منكم أحد ونهض وجلس مكان ابن فخر الملك المتوفى وجعل يأكل من الطعام الذي بين يديه فاستحسن الجماعة فعله وعادوا عنه وخلع على دبيس وولده منصور وعاد الى حلته ولما رأى الناس ببغداد انتشار الاعراب في البلاد ونهبها حملوا السلاح لقتالهم وكان ذلك سببا لكثرة العيارين وانتشار المفسدين

﴿ذكر شيء من سيرته﴾

كان عاقلا حليما من اشد الناس احتمالا واكثرهم كتمانا لسره ظفر بملطفات كتبها بعض خواصه الى الملك أبي كاليجار فلم يطلعه على ذلك ولا تغير عليه حتى أظهره بعد مدة طويلة لغيره وحكى عنه اقضى القضاة الماوردي قال لما أرسلني القائم بأمر الله اليه سنة ثلاث وثلاثين كتبت كتابا الى بغداد اذكر فيه سيرته وخراب بلاده واطعن عليه بكل وجه فوقع الكتاب من غلامي فحمل اليه فوقف عليه وكتمه ولم يحدثني فيه بشيء ولا تغير عما كان عليه من اكرامي وكان رحمه الله يحافظ على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البياض وكان ظلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس اموالهم وأيديهم مطلقة في ذلك نهارا وليلا وكان كريما فمن كرمه ان أخاه ابراهيم ينال اسر من الروم ملكا من ملوكهم فبذل في نفسه اربعمائة ألف دينار فلم يقبل ابراهيم منه وحمله الى طغرلبك فارسل ملك الروم الى نصر الدولة بن مروان حتى خاطب طغرلبك في فكاكه فلما سمع طغرلبك رسالته ارسل الرومي الى ابن مروان بغير فداء وسير معه رجلا علويا فانفذ ملك الروم الى طغرلبك ما لم يحمل في الزمان المتقدم وهو الف ثوب ديباج وخمسمائة ثوب أصناف وخمسمائة رأس من الكراع الى غير ذلك وانفذ مائتي ألف دينار ومائة لبنة فضة وثلثمائة شهري وثلثمائة حمار مصرية والف عنز بيض الشعور سود العيون والقرون وأنفذ الى ابن مروان عشرة أمنان مسكا وعمر ملك الروم الجامع الذي بناه مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وعمر منارته وعلق فيه القناديل وجعل في محرابه قوسا ونشابة وأشاع المهادنة

﴿ذكر ملك السلطان ألب ارسلان﴾

لما مات السلطان طغرلبك أجلس عميد الملك الكندري في السلطنة سليمان بن داود جغري بك أخي السلطان طغرلبك وكان طغرلبك قد عهد اليه بالملك وكانت والدة سليمان عند طغرلبك فلما خطب له بالسلطنة اختلف الامراء فمضى باغي سيان واردم

هناك وبعض الالفي تجاههم فركبوا الخيل وكانوا جماعة قليلة فركب الالفي ١١ بحيث هو وماديهم ووقع بينهم وبينهم وقعة عظيمة انجلت عن نصرته عليهم وانهزام العسكر وقتل من الدلاة وغيرهم مقتلة عظيمة ولجأ الواقف هزيمتهم الى البحر والقوا بانفسهم فيه وامتلأ البحر من طراطير الدلاة فهرب كتخدا بك وطاهر باشا الى بر المنوفية وعدوا الى المراكب واستولى الالفي وجيوشه على خيولهم وخيامهم وسلاحهم وجبخاناتهم وأرسل رؤس القتلى والأسرى الى القبودان وأشيع خبر هذه الواقعة في الناس وتحدثوا بها وانزعج الباشا والعسكر انزعاجا عظيما وعدى الى بر بولاق وطاف الوالي وأصحاب الدرك ينادون على العساكر بالخروج الى العرضي ويكتبون أسماءهم وحضر الباشا الى داره وأكثر من الركوب والذهاب والمجيء والطواف حول المدينة والشوارع ويذهب الى بولاق ومصر القديمة ويرجع ليلا ونهارا وهو راكب رهوانا تارة أو فرسا أو بغلة ويرتدي برنس أبيض مثل المغاربة والعسكر امامه وخلفه ووصل مجاريح كثيرة وأخبروا بالواقعة المذكورة ومات من جماعة الالفي أحمد بك الشعراوي فقط وانجرح أمين بك وغيره جرح سلامة (وفي يوم الاربعاء حادي عشر منه) وصلت العساكر المهزومة وكبراؤهم الى بولاق وفيهم مجاريح

كما كان يريد فنزل عسكره في الجانب الغربي فتأذى بهم الناس ووصل عميد الملك الى الخليفة وطالب بالجهة وبات بالدار فقيل له خطك موجود بالشرط وان المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع وانه ان كانت مشاهدة فتكون في دار الخلافة فقال السلطان نفعل هذا ولكن نفرد له من الدور والمساكن ما يكفيه ومعه خواصه وحجابه ومماليكه فانه لا يمكنه مفارقتهم فحينئذ نقلت الى دار المملكة في منتصف صفر فجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان اليها وقبل الارض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت هي له وحمل لها شيئا كثيرا من الجواهر وغيرها وبقي كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف وخلع على عميد الملك وعمل السماط عدة ايام وخلع على جميع الامراء وظهر عليه سرور عظيم وعقد ضمان بغداد على ابي سعد القايني بمائة وخمسين الف دينار واعاد ما كان اطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس وقبض على الاعز ابي سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على ابي جعفر بن صقالب بمائتي الف دينار

(ذكر وفاة السلطان طغرلبك)

في هذه السنة سار السلطان من بغداد في ربيع الاول الى بلد الجبل فوصل الى الري واستصحب معه ارسلان خاتون ابنة اخيه زوجة الخليفة لانها شكت اطراح الخليفة لها فاخذها معه فمرض وتوفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان وكان عمره سبعين سنة تقريبا وكان عقيما لم يلد ولدا وكان وزيره الكندري على سبعين فرسخا فأتاه الخبر فسار ووصل اليه في يومين وهو بعد لم يدفن فدفنه وجلس له الوزير فخر الدولة بن جهير ببغداد للعزاء حكي عن الكندري انه قال رأيت وانا بخراسان في المنام كأنني رفعت الى السماء وانا في ضباب لا ابصر معه شيئا غير اني اشم رائحة طيبة واني انادى انك قريب من الباري جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت في نفسي اسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يا رب ما يكفيني فقيل لك سبعون سنة فقلت يا رب لا يكفيني فقيل لك سبعون سنة فلما مات حسب عميد الملك عمره على التقريب فكان سبعين سنة وكانت مملكته بحضرة الخلافة سبع سنين واحد عشر شهرا واثني عشر يوما وأما الاحوال بالعراق بعد وفاته فانه كتب من ديوان الخلافة الى شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل الى نور الدولة دبيس بن مزيد والى هزارسب والى بني ورام والى بدر بن مهلهل بالاستدعاء الى بغداد وارسل لشرف الدولة تشريفا وهرب ابو سعد القايني ضامن بغداد سرا الى قصر عيسى وجمع الغلات فقصد ابراهيم بن شرف الدولة الى اوانا ونهب اصحابه الانبار وانتشرت البادية في البلاد وقطعوا الطرقات وقدم الى بغداد دبيس بن مزيد وخرج الوزير ابن جهير لاستقباله وقدم ايضا ورام وتوفي ببغداد ابو الفتح بن ورام مقدم الاكراد الجاوانية فحمل الى جرجرايا وقارب شرف الدولة مسلم بغداد ونهب النواحي فسار نور الدولة والاكراد وبنو خفاجة الى قتاله ثم ارسل اليه من

وقعت بينهم مقتلة كبيرة وقتلوا منهم جملة فيهم اربع صناجق ونهبوا منهم زيادة عن سبعمائة جمل باحمالها وجملة فيهن جملة بالاموال ورجعت العساكر ومعهم نحو الثمانين راسا ومائة اسير وشهر ذلك وان الالفي هرب بمفرده الى ناحية الجبل وقيل الى الاسكندرية فكانوا يطوفون على الاعيان بهذا الكلام ويأخذون منهم البقاشيش ثم ظهر ان هذا الكلام لا اصل له وتبين ان طائفة من العرب يقال لهم الجوابيص وهم طائفة مرابطون ليس يقع منهم اذية ولا ضرر لاحد مطلقا نزلوا بالجبل بتلك الناحية فدهمهم العسكر وخطفوا منهم ابلا واغناما وقتل فيما بينهم انفار من الفريقين مدافعة عن انفسهم (وفي ذلك اليوم) ايضا ركب حسن اغا الشماشرجي الى المنصورية قرية بالجيزة ومعه طائفة من العسكر وهي بالقرب من الاهرام فضربوا القرية ونهبوا امتعتها واغنامها ومواشي واحضروها الى العرضي بانبابة وحضر خلفهم اصحاب الاغنام وفيهم نساء يصرخن ويعيطن وصادف ذلك ان السيد عمر النقيب عدى الى العرضي فشاهدهم على هذه الحالة فكلم الباشا في شأنهم فامر برد الاغنام التي للنساء والفقراء الصارخين وذهبوا بالباقي للمطابخ (وفي ثاني عشره) وردت الاخبار بان العساكر الكائنين بالرحمانية ومرقص رجعوا الى النجيلة ونصبوا عرضيهم

ويكون فصيحا بالعربية فدخل عليه الموفق والد أبي سهل وأعطته السعادة وكان فصيحا فاضلا وانتشر من شعره ما قاله في غلام تركي صغير السن كان واقفا على رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه

أنا مشغول بحبه ● وهو مشغول بلعبه لو أراد الله خيرا ● وصلاحا لمحبه
نقلت رقة خديـ ● ـه إلى قسوة قلبه صانه الله فما أكـ ● ـثر إعجابي بعجبه

ومن شعره إن كان بالناس ضيق من مناقشتي ● فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المغبون يتبعني ● كل لكأس المنايا شارب حاسي

وقال أبو الحسن الباخرزي يخاطب ألب أرسلان عند قتل الكندري

وعمك أدناه وأعلى محله ● وبوأه من ملكه كنفا رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده ● فخوله الدنيا وخولته العقبى

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرلبك لأنه أرسله يخطب عليه امرأة ليتزوجها فتزوجها هو وعصى عليه فظفر به وخصاه وأقره على خدمته وقيل بل أعداؤه أشاعوا عنه أنه تزوجها فخصى نفسه ليخلص من سياسة السلطان فقال فيه علي بن الحسن الباخرزي

قالوا محا السلطان عنه بعدكم ● سمة الفحول وكان قرما صائلا
قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة ● لما اعتدى عن أنثييه عاطلا
فالفحل يأنف أن يسمى بعضه ● أنثى لذلك جذه مستأصلا

يعني بالأنثى واحدة الأنثيين وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي رضي الله تعالى عنه بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن في ذلك فأمر بلعنهم وأضاف إليهم الأشعرية فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم الإمام أبو القاسم القشيري والإمام أبو المعالي الجويني وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام إمام الحرمين بمكة أربع سنين إلى أن انقضت دولته يدرس ويفتي فلهذا لقب إمام الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن إليهم وقيل إنه تاب من الوقيعة في الشافعي فإن صح فقد أفلح وإلا فعلى نفسها براقش تجني ومن العجب أن ذكره دفن بخوارزم لما خصي ودمه مسفوح بمرو وجسده مدفون بكندرو ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنيسابور ونقل قحفه إلى كرمان لأن نظام الملك كان هناك فاعتبروا يا أولي الأبصار ولما قرب القتل قال للقاصد إليه قل لنظام الملك بئسما عودت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر قليبا وقع فيه ولم يخلف عميد الملك غير بنت

(ذكر ملك ألب أرسلان ختلان وهراة وصغانيا)

لما توفي طغرلبك وملك ألب أرسلان عصى عليه أمير ختلان بقلعته ومنع الخراج فقصده السلطان فرأى الحصن منيعا على شاهق فقام عليه وقاتله فلم يصل منه إلى

ونصب خيامه هناك وعدى هو في قلة إلى بولاق وذهب إلى داره بالأزبكية وكان من أمره أنه لما حصلت له الهزيمة فذهب إلى المنوفية وقد اغتاظ عليه الباشا وأرسل يقول له لأي شيء جهلت بعد الذي حصل وترددت بينهما الرسل ثم أرسل إليه يأمره بالذهاب إلى رشيد فذهب إلى فوة ثم حضر شاهين بك الألفي إلى الرحمانية فأرسل الباشا إلى طاهر باشا يأمره بالذهاب إلى شاهين بك ويطرده من الرحمانية فذهب إليه في المراكب فضرب عليه شاهين بك بالمدافع فكسر بعض مراكبه فرجع على أثره وركب من البر حتى عدى بحر الرحمانية ثم حضر إلى مصر ووصل بعده الكثير من العسكر فأمرهم الباشا بالعود فعاد الكثير منهم في المراكب وحضر أيضا إسمعيل أغا الطوبجي كاشف المنوفية وقد داخل الجميع الخوف من الألفي وأما الألفي فإنه بعد انفصال الحرب من الحماد رجع إلى حصار دمنهور وذلك بعد أن ذهب أعيانها إلى قبودان باشا وقابلوه وأمنهم ورجعوا على أمانه فافترقوا فرقتين فرقة منهم اطمأنت ورضيت بالأمان والأخرى لم تطمئن بذلك وأرسلوا إلى البندر والباشا فرجع إليهم الجواب يأمرونهم باستمرارهم على الممانعة وصار يقمن باقي كبيرهم فانشقوا لذلك وتبعتهم الفرقة الأخرى وأرسل إليهم القبودان يدعوهم إلى الطاعة ويضمن لهم عدم تعدي

الى قزوين وخطب لعضد الدولة الب ارسلان محمد بن داود جغري بك وهو حينئذ صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فلما رأى عميد الملك الكندري انعكاس الحال عليه امر بالخطابة بالري للسلطان الب ارسلان وبعده لاخيه سليمان

(ذكر خروج حمو عن طاعة تميم بن المعز بافريقية)

في هذه السنة خالف حمو بن مليل صاحب مدينة صفاقس بافريقية على الامير تميم بن المعز ابن باديس وجمع اصحابه واستعان بالعرب وسار الى المهدية فسمع تميم الخبر فسار اليه بعساكره ومعه ايضا طائفة من العرب من زغبة ورياح ووصل حمو الى سلقطة والتقى الفريقان بها وكان بينهما حرب شديدة فانهزم حمو ومن معه واخذتهم السيوف فقتل اكثر رجاله واصحابه ونجا بنفسه وتفرقت رجاله وعاد تميم مظفرا منصورا ثم قصد بعد هذه الحادثة مدينة سوسة وكان اهلها قد خالفوا عليه فملكها وعفا عنهم وحقن دماءهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم قبض بمصر على الوزير ابي الفرج بن المغربي وفيها دخل الصليحي صاحب اليمن الى مكة مالكا لها فاحسن السيرة فيها وجلب اليها الاقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه افعال جميلة وفيها في ربيع الآخر انقض كوكب عظيم وكان له ضوء كثير وفيها في شعبان كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد وانهدم سور طرابلس وفيها ملك امير الجيوش بدر دمشق للمستنصر صاحب مصر فوصل اليها في الثالث والعشرين من ربيع الآخر واقام بها واختلف هو والجند فثاروا به ووافقهم العامة فضعف عنهم ففارقها في رجب من سنة ست وخمسين وفيها توفي سعيد بن نصر الدولة ابن مروان صاحب آمد من ديار بكر وزهير بن الحسين بن علي ابو نصر الجذامي الفقيه الشافعي تفقه على ابي حامد الاسفرايني وسمع الحديث الكثير ورواه وكان موته بسرخس

(ثم دخلت سنة ست وخمسين واربعمائة)

(ذكر القبض على عميد الملك وقتله)

في هذه السنة قبض السلطان الب ارسلان على الوزير عميد الملك ابي نصر منصور بن محمد الكندري وزير طغرلبك وسبب ذلك ان عميد الملك قصد خدمة نظام الملك وزير الب ارسلان وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف من عنده فسار اكثر الناس معه فخوف السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وانفذه الى مرو الروذ فبقي في الاعتقال سنة ثم نفذ اليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم فقالا له تب مما انت عليه ففعل ودخل فودع اهله وخرج الى مسجد هناك فصلى ركعتين واراد الغلامان خنقه فقال لست بلص وخرق خرقة من طرف كمه وعصب عينيه فضربوه بالسيف وكان قتله في ذي الحجة ولف في قميص دبيقي من ملابس الخليفة وخرقة كانت البردة التي عند الخلفاء فيها وحملت جثته الى كندر فدفن عند ابيه وكان عمره يوم قتل نيفا واربعين سنة وكان سبب اتصاله بالسلطان طغرلبك ان السلطان لما ورد نيسابور طلب رجلا يكتب له

كثيرة وهدموا قراسواطال فمنعهم الباشا من ماموج البحر وردهم جبرا كبهم الى بر انبابة واستمروا هنالك الى آخر النهار وهلك منهم عدد كثير وقد انضاف اليهم من كان ببر المنوفية ولم يحضر المعركة لما داخلهم من الخوف ثم انهم طلعوا الى بولاق وانتشروا في النواحي وذهب منهم الكثير الى مصر القديمة وحضر كثير منهم ودخلوا المدينة ودخلوا البيوت وازعجوا كثيرا من الناس الساكنين بناحية قناطر السباع وسويقة اللالا والناصرية وغير ذلك من النواحي واخرجوهم من دورهم وقد كانت الناس استراحت منهم مدة غيابهم (وفي يوم الاربعاء ثامن عشرينه) الموافق لثامن مسرى القبطي اوفى النيل اذرعه وركب الباشا في صبحها يوم الخميس الى قنطرة السد وحضر القاضي والسيد عمر النقيب وكسر الجسر بحضرتهم وجرى الماء في الخليج جريا ضعيفا بسبب علو ارضه وعدم تنظيفه من الاتربة المتراكمة فيه ويقال انهم قصدوه قبل الوفاء لاشتغال بال الباشا وتطيره وتخوفه من حادثة تحدث في مثل يوم هذا الجمع خصوصا وقد وصل الى بر الجيزة الكثير من اجناد الالفي

(شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٢١)

استهل بيوم السبت في ثانيه حضر طاهر باشا الى بر انبابة

وركون

ويأمره بتركها فانه يرعى له القرابة والرحم فاجاب قتلمش جواب مغتر بمن معه من الجموع ونهب قرى الري واجرى الماء على وادي الملح وهي سبخة فتعذر سلوكها فقال نظام الملك قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون دونك بسهام لا تخطي وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من اعظم اعوانك وقرب السلطان من قتلمش فلبس نظام الملك السلاح وعبى الكتائب واصطف العسكران وكان قتلمش يعلم علم النجوم فوقف ونظر فرأى ان طالعه في ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفرا فقصد الحاجز وجعل السبخة بينه وبين الب ارسلان ليمتنع من اللقاء فسلك الب ارسلان طريقا في الماء وخاض غمرته وتبعه العسكر فطلع منه الماء هو وعسكره فصار وراء قتلمش واقتتلوا فلم يثبت عسكر قتلمش لعسكر السلطان وانهزموا لساعتهم ومضى منهزما الى قلعة كردكوه وهي من جملة حصونه ومعاقله واستولى القتل والاسر على عسكره فاراد السلطان قتل الاسرى فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم واطلقهم ولما سكن الغبار ونزل العسكر وجد قتلمش ميتا ملقى على الارض لا يدرى كيف كان موته قيل انه مات من الخوف والله اعلم فبكى السلطان لموته وقعد لعزائه وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك ودخل الب ارسلان الى مدينة الري آخر المحرم من السنة ومن العجب ان هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم قد اتقنه مع انه تركي ويعلم غيره من علوم القوم ثم ان اولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الاولية ويقربون اهلها فنالهم بهذا غضاضة في دينهم وسيرد من اخبارهم ما يعلم منه ذلك وغيره من احوالهم

(ذكر فتح الب ارسلان مدينة آني وغيرها من بلاد النصرانية)

ثم سار السلطان من الري اول ربيع الاول وسار الى اذربيجان فوصل الى مرند عازما على قتال الروم وغزوهم فلما كان بمرند اتاه امير من امراء التركمان كان يكثر غزو الروم اسمه طغدكين ومعه من عشيرته خلق كثير قد الفوا الجهاد وعرفوا تلك البلاد وحثه على قصد بلادهم وضمن له سلوك الطريق المستقيم اليها فسار معه فسلك بالعساكر في مضايق تلك الارض ومخارمها فوصل الى نقجوان فامر بعمل السفن لعبور نهر ارس فقيل له ان سكان خوي وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فاطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر ما لا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل مكانه في عسكره ولده ملكشاه ونظام الملك فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل اهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل امير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرماري وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها

فذهبوا الى عند استاذهم بناحية دمنهور ونزلوا بالقرب منه (وفي خامس عشر شهر ربيع) وصل آغات الجمرك من ناحية البحيرة راجعا من عند الامراء القبالي وصحبته عبد الله من طرفهم القبودان وموقعهم اخيرا وعبيد وطواشية وسكروا ولم يجيئوا الى الحضور لممانعة عثمان بك البرديسي وحقده الكامن للالفي ولكون هذه الحركة وهي مجيء القبودان وموسى باشا باجتهاده ومساعدته وتدبيره كما سيتلى عليك فيما بعد وفيه ظهرت فحوى النتيجة القياسية وانعكاس القضية وهو ان القبودان لما لم يجد في المصرلية الاسعاف وتحقق ماهم عليه من التنافر والخلاف وتكررت ما بينه وبين الفريقين المراسلات والمكاتبات فعند ذلك اشتاق مع محمد علي باشا المصادقة وعلم ان الاروج له معه الموافقة فارسل اليه المكتوبجي واستوثق منه والتزم له باضعاف ما وعد به من الكذابين معجلا ومؤجلا على عمر السنين والالتزام بجميع المأمورات والعدول عن المخالفات فوقع الاتفاق على قدر معلوم وارسل الى محمد علي باشا يامره بكتابة عرضحال خلاف الاولين ويرسله صحبة ولده على يد القبودان فعند ذلك لخصوا عرضحال وختم عليه الاشياخ والاختيارية والوجاقلية وارسله صحبة ابنه ابراهيم بك واصحب معه هدية تساوي خيولا واقمشة هندية وغير ذلك وتلفت طلبته

براده فى بعض الايام باشر الب ارسلان القتال بنفسه وترجل وصعد فى الجبل فتبعه الخلق وتقدموا عليه فى المواقف والحوا فى الزحف والقتال وكان صاحب القلعة على شرافة من سورها يحرض الناس على القتال فاتته نشابة من العسكر فقتلته وتسلم الب ارسلان القلعة وصارت فى جملة ممالكه وكان عمه فخر الملك بيغو بن ميكائيل فى هراة فعصى ايضا عليه وطمع فى الملك لنفسه فسار اليه الب ارسلان فى العساكر العظيمة فحصره وضيق عليه وادام القتال ليلا ونهارا فتسلم المدينة وخرج عمه اليه فابقى عليه واكرمه واحسن صحبته وسار من هناك الى صغانيان واميرها اسمه موسى وكان قد عصى عليه فلما قاربه الب ارسلان صعد موسى الى قلعة على راس جبل شاهق ومعه من الرجال المكاة جماعة كثيرة فوصل السلطان اليه وباشر الحرب لوقته فلم ينتصف النهار حتى صعد العسكر الجبل وملكوا القلعة قهرا واخذ موسى اسيرا فامر بقتله فبذل فى نفسه اموالا كثيرة فقال السلطان ليس هذا اوان تجارة واستولى على تلك الولاية باسرها وعاد الى مرو ثم منها الى نيسابور

(ذكر عود ابنة الخليفة الى بغداد والخطبة للسلطان الب ارسلان ببغداد)

فى هذه السنة امر السلطان الب ارسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود الى بغداد واعلمها انه لم يقبض على عميد الملك الا لما اعتمده من نقلها من بغداد الى الرى بغير رضا الخليفة وامر الامير ايتكين السليمانى بالمسير فى خدمتها الى بغداد والمقام بها شحنة وانفذ ابا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق للمسير فى الصحبة وامر بالمخاطبة فى اقامة الخطبة له فمات فى الطريق بمحدرا وهذا ابو سهل من رؤساء اصحاب الشافعى بنيسابور وكان يحضر طعامه فى رمضان كل ليلة اربعمائة متفقه ويصلهم ليلة العيد بكسوة ودنانير تعمهم فلما سمع بموته ارسل العميد ابا الفتح المظفر بن الحسين فمات ايضا فى الطريق فالزم السلطان رئيس العراقين بالمسير فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر وخرج عميد الدولة ابن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم واقترح السلطان ان يخاطب بالولد المؤيد فاجيب الى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوسا عاما سابع جمادى الاولى وشافه الرسل بتقليد الب ارسلان السلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق وارسل اليه من الديوان لاخذ البيعة النقيب طراد الزينبى فوصلوا اليه وهو بنخجوان من اذربيجان فلبس الخلع وبايع للخليفة

(ذكر الحرب بين الب ارسلان وقتلمش)

سمع الب ارسلان ان شهاب الدولة قتلمش وهو من السلجوقية ايضا وهو جد الملوك اصحاب قونية واقصرا وقيصرية وملطية يومنا هذا قد عصى عليه وجمع جموعا كثيرة وقصد الرى ليستولى عليها فجهز الب ارسلان جيشا عظيما وسيرهم على المفازة الى الرى فسبقوا قتلمش اليها وسار الب ارسلان من نيسابور اول المحرم من هذه السنة فلما وصل الى دامغان ارسل الى قتلمش ينكر عليه فعله وينهاه عن ارتكاب هذه الحال

الالفى عليه فلم يرض بذلك فوعد ذلك استفتى العلماء فى ... واوجر بهم حتى يذعنوا للطاعة فافتوه بذلك فعند ذلك ارسل الى الالفى يأمره بحربهم ومحاصرتهم وضاربهم ولينتشر ذلك (وفى يوم الجمعة سابعه) ورد الخبر بموت الكاشف الذى بدمنهور (وفى يوم الخميس ثالث عشره) وصلت قافلة من السويس وصحبتها المحمل فادخلوه وشقوا به من المدينة وخلفه طبل وزمر وامامه اكابر العسكر واولاد الباشا وصنجق جاويش المتسفر عليه ولقد اخبرنى مصطفى جاويش المذكور انه لما ذهب الى مكة وكان الوهابى حضر الى الحج واجتمع به فقال له الوهابى ما هذه العويدات التى تأتون بها وتعظمونها بينكم فقال جرت العادة من قديم الزمان بها يجعلونها علامة واشارة لاجتماع الحجاج فقال لا تفعلوا ذلك ولا تأتوا به بعد هذه المرة وان اتيتم به مرة اخرى فانى اكسره (وفى ليلة الاربعاء) حضر الافندى المكتوبجى من طرف القبودان الى بولاق فارسل اليه الباشا حصانا فركبه وحضر الى بيت الباشا بالازبكية فى صبح يوم الاربعاء المذكور فاحضر الباشا الدفتردار وسعيد اغا واختلوا مع بعضهم ولم يعلم ما دار بينهم (وفى يوم الخميس عشرينه) ارتحل من بالجيزة من الامراء المصريين وعدتهم ستة من المتأمرين الجدد الذين أمرهم الالفى

وبارزه

الامتناع لازام ثلاثة انهار باعها على نهر ارس والربيع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو
طرحت فيه الحجارة الكبار لدحاها وحملها واما الطريق اليها على خندق عليه سور من
الحجارة الصم وهي بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة فحصرها
وضيق عليها الا ان المسلمين قد ايسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان
برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الروم عن
السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فأتاهم من لطف الله ما لم يكن في حسابهم فانهدمت
قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من اهلها ما لا يحصى بحيث
ان كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى واسروا نحوا مما قتلوا وسارت
البشرى بهذه الفتوح في البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد في دار الخلافة
فبرز خط الخليفة بالثناء على ألب ارسلان والدعاء له ورتب فيها اميرا في عسكر جرار وعاد
عنها وقد راسله ملك الكرج في الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة فقبل ذلك ولما
رحل السلطان عاد فقصد اصبهان ثم سار منها الى كرمان فاستقبله اخوه قاورت بك بن
جغري بك داود ثم سار منها الى مرو فزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك ماوراء النهر
وزفت اليه في هذا الوقت وزوج ابنه ارسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان
البيت السلجوقي والبيت المحمودي واتفقت الكلمة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من
الاكراد خرجوا يتصيدون فرأوا في البرية خيما سودا وسمعوا منها لطما شديدا وعويلا
كثيرا وقائلا يقول قد مات سيدوك ملك الجن واي بلد لم يلطم اهله عليه ويعملوا له العزاء
قلع اصله واهلك اهله فخرج كثير من النساء في البلاد الى المقابر يلطمن ويبكين وينشرن
شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة ونحو هذا
جرى في ايامنا نحن في الموصل ونواحيها من البلاد الى العراق وغيرها وذلك ان
الناس سنة ستمائة اصابهم وجع كثير في حلوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر ان
امرأة من الجن يقال لها ام عنقود مات ابنها عنقود وكل من لا يعمل له مأتما اصابه هذا
المرض فكثر فعل ذلك وكانوا يقولون يا ام عنقود اعذرينا قد مات عنقود ما درينا
وكان النساء يلطمن وكذلك الاوباش وفيها ولي ابو الغنائم المعمر بن محمد بن
عبيد الله العلوي نقابة العلويين ببغداد وامارة الموسم ولقب بالطاهر ذي المناقب وكان
المرتضى ابو الفتح اسامة قد استعفى من النقابة وصاهر بني خفاجة وانتقل معهم الى
البرية وتوفي بها بمشهد امير المؤمنين علي عليه السلام في رجب سنة اثنتين وسبعين
وفيها في جمادى الآخرة توفي ابو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان الاسدي النحوي
المتكلم كان له اختيار في الفقه وكان عالما بالنسب ويمشي في الاسواق مكشوف الراس
ولم يقبل من احد شيئا وكان موته في جمادى الآخرة وقد جاوز ثمانين سنة وكان يميل

ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولما كثر ذلك لم يطلع عليه الا بعض الافراد المتصدرين ١٧ ويكتب كاتبه جميع الاسماء فيجمعه
أهم ولا يمكنون الموافق الذي
يضمنون امضاءهم واسماءهم
من قراءته بل يطلب منهم
الخاتم فيختمون به تحت
اسمه اذ لا يمكنه الشذوذ
والمخالفة لرضاه على دوام
ناموسه وقبوله عند سلطانه
ودائرة اهل دولته وان كان
متورعا وليس له كبير صورة
فيهم ولا صدارة مثلهم وابى
ان يسلم خاتمه ليفعل به كغيره
ختموه بختم موافق لاسمه
تحت امضائه وهذا هو السبب
في عدم نقل هذه الصورة بل
فهمت المضمون فقط والله
ولي التوفيق (وفي هذه الايام)
تخاصم عرب الحويطات
والعايدة وتجمع الفريقان
حول المدينة وتحاربوا مع
بعضهم مرارا وانقطعت السبل
بسبب ذلك وانتصر الباشا
للحويطات وخرج بسببهم
الى العادلية ثم رجع ثم انهم
اجتمعوا عند السيد عمر
النقيب واصلح بينهم
(شهر رجب سنة ١٢٢١)
استهل بيوم الاحد فيه وصل
القاضي الجديد ويسمى عارف
افندي وهو ابن الوزير خليل
باشا المقتول والمنفصل محمد
افندي سعيد حفيد علي باشا
المعروف بحكيم اوغلي وكان
انسانا لا بأس به مهذبا في نفسه
وسافر الى قضاء المدينة المنورة
٣ بج مل عا من القلزم بصحبة الشيخ الله (وفي يوم الجمعة) سادسه سافر ابراهيم بك ابن الباشا

وملكوها وانزلوا منها أهلها وكان بالقرب منها قلعة أخرى فطلب أهلها ملكشاه واراد تخريبها
فنهاه نظام الملك عن ذلك وقال هى ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والذخائر والاموال
والسلاح وسلم هذه القلاع الى امير نخجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم
نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى أهل
هذه البلدة وهى مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص
والحديد وعندها نهر كبير فاعد نظام الملك لقتالها ما يحتاج اليه من السفن وغيرها
وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار
وأخذهم الاعياء والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليه السلالم وصعدوا
الى اعلاه لان المعاول كانت لا تعمل فيه لقوة حجره فلما رأى أهلها المسلمين على السور فت
ذلك فى أعضادهم وسقط فى ايديهم ودخل ملكشاه البلد ونظام الملك واحرقوا البيع
وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها واسلم كثير فنجوا من القتل واستدعى الب ارسلان
اليه ابنه ونظام الملك وفرح بما يسره الله من الفتح على يد ولده وفتح ملكشاه فى طريقه
عدة من القلاع والحصون واسر من النصارى ما لا يحصون كثرة وساروا الى مدينة سبيدشهر
فجرى بين اهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ثم ان الله
تعالى يسر فتحها فملكها الب ارسلان وسار منها الى مدينة اعال لال وهى حصينة عالية
الاسوار شاهقة البنيان وهى من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة
من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض فلما رآها المسلمون علموا عجزهم
عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التى
ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج
من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما
طائفة من العسكر فسير جماعة صالحة فلما جازوا الفصيل احاط بهم الكرج من أهل المدينة
وقاتلوهم فاكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج
الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلى
فأتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار فقاتلهم وكبر
المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها
واعتصم جماعة من أهلها فى برج من ابراج المدينة فقاتلهم المسلمون فامر السلطان بالقاء
الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك واحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى
خيامه وغنم المسلمون من المدينة ما لا يحد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة
وكان قد بقى من تلك النار التى احرق بها البرج بقية كثيرة فاطارتها الريح فاحترقت
المدينة باسرها وذلك فى رجب سنة ست وخمسين وملك السلطان قلعة حصينة كانت
الى جانب تلك المدينة واخذها وسار منها الى ناحية قرس ومدينة آنى وبالقرب منهما
ناحيتان يقال لهما سيل ورده ونورة فخرج اهلهما مذعنين بالاسلام وخربوا البيع
وبنوا المساجد وسار منها الى مدينة آنى فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة

الاوق والتدابير ولم يسبقه المقادير (وصورة العرضحال ومضمونه) ان محمد على باشا كافل الاقليم وحافظ ثغوره
ومؤمن سبله وقامع المعتدين
وان الكافة من الخاصة
والعامة والرعية راضية
بولايته واحكامه وعدله
والشريعة قائمة فى ايامه ولا
يرتضون خلافه لما رأوا فيه
من عدم الظلم والرفق بالضعفاء
واهل القرى والارياف
وعمارها باهلها ورجوع
الشاردين منها فى ايام المماليك
المصرية المعتدين الذى كانوا
يعسفون عليهم ويسلبون
اموالهم وزرعهم ويكلفونهم
باخذ الفرض والمكلف
الخارجة عن الحدود واما الآن
فجميع أهل القطر المصرى
آمنون مطمئنون بولايته هذا
الوزير ويرجون من مراحم
الدولة العلية ان يبقيه
واليا عليهم ولا يعزله عنهم
لما تحققوه فيه من العدل
وانصاف المظلومين وايصال
الحقوق لاربابها وقمع
المفسدين من العرب الذين
كانوا يقطعون الطرقات على
المسافرين ويتعدون على
أهل القرى ويأخذون
مواشيهم وزرعهم ويقتلون
من يعصى عليهم منهم واما
الآن فلم يكن شئ من ذلك
وجميع أهل البلاد فى غاية
من الراحة والامن براً وبحراً
بحسن سياسته وعدله وامتثاله
للاحكام الشرعية ومحبته
للعلماء ذوى الفضائل والاذعان لقولهم ونصحهم ونحو ذلك من الكلمات التى جميعها يشتملون

العساكر على بنية مدينة فصار بالحرب على بني هلال وحمل المعز على زناتة فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس اخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة وباقي عشر بن العساكر وسلم الناصر في نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك فاقتسموها على ما استقر بينهم وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فانهم تقدموها في ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل الحامي عن البلاد وارسلوا الالوية والطبول وخيم الناصر بدوابها الى تميم فردها وقال يقبح بي ان آخذ سلب ابن عمي فارضى العرب بذلك

(ذكر بناء مدينة بجاية)

لما كانت هذه الوقعة بين بني حماد والعرب وقويت العرب فاهتم تميم بن المعز لذلك واصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه ابو بكر بن ابي الفتوح وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر الم اشر عليك ان لا تقصد ابن عمك وان تتفقوا على العرب فانكم لو اتفقتم لاخرجتم العرب فقال الناصر لقد صدقت ولكن لا مرد لما قدر فاصلح ذات بيننا فارسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب في الاصلاح فقبل تميم قوله واراد ان يرسل رسولا الى الناصر فاستشار اصحابه فاجتمع رأيهم على محمد بن البعبع وقالوا هذا رجل غريب وقد احسنت اليه ووصل له من الاموال والاملاك فاحضره واعطاه مالا ودواب وعبيدا وارسله فسار مع الرسول حتى وصل الى بجاية وكانت حينئذ منزلا فيه رعية من البربر فنظر اليها محمد بن البعبع وقال في نفسه ان هذا المكان يصلح ان يكون به مرسى ومدينة وسار حتى وصل الى الناصر فلما وصل الكتاب وادى الرسالة قال للناصر مع وصية اليك واحب ان تخلي المجلس فقال الناصر انا لا اخفي عن وزيري شيئا فقال بهذا امرني الامير تميم فقام الوزير ابو بكر وانصرف فلما خرج قال الرسول يا مولاي ان الوزير مختار عليك هواه مع الامير تميم لا يخفي عنه من امورك شيئا وتميم مشغول مع عبيده قد استبد بهم واطرح صنهاجة وغيرهم ولو وصلت بعسكرك ما ثبت الا قيل البعض الخدمة والرعية لتميم وانا اشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية واشار عليه ان يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد افريقية وقال له انا انتقل اليك باهلي واعيد دولتك فاجابه الناصر الى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية اراه موضع المينا والبلد والدار السلطانية وغير ذلك فامر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسر بذلك وشكر وعاهده على وزارته اذا عاد اليه ورجعا الى القلعة فقال الناصر للوزير ان هذا الرسول محب لنا وقد اشار ببناء بجاية ويريد الانتقال اليها كتب له جواب كتبه ففعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تحدث ببناء بجاية قبل مسيره اليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول قد طلب

يقال لها منية القران فانهزموا الى شهور وتحصنوا بها فاحاطوا بهم واستمروا على محاربتهم حتى افترق الفريقان فيما بعد (وفيه) ايضا وصلت الاخبار بان باسحق بك لم يزل محاربهم من مدينة الفيوم حتى ملكها وقتل من بها ولم ينج منهم الا القليل وكانوا ارسلوا يستنجدون بارسال العسكر فلم يلحقوهم (وفيه) وردت الاخبار من الجهة القبلية بان الامراء المصريين اخلوا منفلوط وملوى وترفعوا الى اسيوط وجزيرة منقباط وتحصنوا بهما وذلك لما اخذ النيل في الزيادة وخشوا من ورود العساكر عليهم بتلك النواحي فلا يمكنهم التحصن فيها فترفعوا الى اسيوط فلما فعلوا ذلك اشاعوا هروبهم وذكروا ان عابدين بك وحسن بك حاربا هم وطرداهم الى ان هربوا الى اسيوط ولما خلت تلك النواحي منهم رجع كاشف منفلوط وملوى وخلافهما الذين كانوا طردوهم في العام الماضي وفروا من مقاتلتهم (وفيه) شرع الباشا في تجهيز عساكر وتسفيرهم الى جهة بحري وقبلي وحجزوا المراكب للعسكر فانقطعت سبل المسافرين وذلك عندما اطمان خاطره من قضية القبودان والعزل (وفيه) شرع ايضا في تقرير فرضة عظيمة على البلاد والقرى والجبال روفعا زي الاروام والاجناد والشوام وسائر الناس ونساء الاعيان والملتزمين وغيرهم فقدرها ستة آلاف

الى مذهب مرجئة المعتزلة ويعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وفيها انقض كوكب عظيم وكثر نوره فصار أكثر من نور القمر وسمع له دوي عظيم ثم غاب

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة)

(ذكر الحرب بين بني حماد والعرب)

في هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناتة ومن العرب عدي والأثبج وبني رياح وزغبة وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيري الزناتي على مدينة سبتة وكان سببها أن حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلاف وموت باديس محاصر القلعة حماد ما هو مذكور ولولا تلك القلعة لاخذ حمادا وانما امتنع هو واولاده بعده بها وهي من امنع الحصون وكذلك ما جرى بين حماد والمعز بن باديس ودخول حماد في طاعته مما تقدم ذكره وكذلك أيضا ما كان بين القائد بن حماد وبين المعز وكان القائد يضمر الغدر وخلع طاعة المعز والمعز يمنعه من ذلك فلما رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكل منهم متحصن بالقلعة وقد جعلوها دار ملكهم فلما رحل المعز من القيروان وصبرة الى المهدية تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من اهلها الى بلاد بني حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم وفي نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من اولادهم يرثه صغير عن كبير وولي تميم بن المعز بعد ابيه فاستبد كل من هو ببلد وقلعة بمكانه وتميم صابر يداري ويجلد واتصل بتميم ان الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه وانه عزم على المسير اليه ليحاصره بالمهدية وانه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة وبني هلال ليعينوه على حصار المهدية فلما صح ذلك عنده ارسل الى امراء بني رياح فاحضرهم اليه وقال انتم تعلمون ان المهدية حصن منيع اكثره في البحر لا يقاتل منه في البر غير اربعة ابراج يحميها اربعون رجلا وانما جمع الناصر هذه العساكر اليكم فقالوا والله الذي تقول حق ونحن مثلك المعونة فاعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق فجمعوا قومهم وتحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر وارسل الى من مع الناصر من بني هلال يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه ان قوي وانه يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة وانهم انما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد اذا تم الخلف وضعف السلطان فاجابهم بنو هلال الى الموافقة وقالوا اجعلوا اول حملة تحملونها علينا فنحن ننهزم بالناس ونعود عليهم ويكون لنا ثلث الغنيمة فاجابهم الى ذلك واستقر الامر وارسل المعز بن زيري الزناتي الى من مع الناصر من زناتة بمثل ذلك فوعدوه ايضا ان ينهزموا فلما رحلت رياح وزناتة جميعها وصار اليهم الناصر بصنهاجة وزناتة وبني هلال فالتقت

بالمدينة وسافر بصحبته محمد أغا لاظ الذي كان سلحدار محمد باشا خسرو (وفي يوم السبت) أرسل الباشا الى الشيخ عبد الله الشرقاوي ترجمانه يأمره بلزوم داره وانه لا يخرج منها ولا الى صلاة الجمعة وسبب ذلك أمور وضغائن ومنافسات بينه وبين اخوانه كالسيد محمد الدواخلي والسيد سعيد الشامي وكذلك السيد عمر النقيب فأغروا به الباشا ففعل به ما ذكر فامتثل الامر ولم يجد ناصرا او أهمل أمره (وفيه) تواترت الاخبار بوقوع معركة عظيمة بين العسكر والانكليز وذلك أن الانكليز لما حاصروا دمنهور وهم مستمرون عليه الى الآن وسد خليج الاشرفية ومنع الماء عن البحيرة والاسكندرية لضرورة مرور الماء من ناحية دمنهور ليعطل عليهم المراد من الحصار فأرسل الباشا بونابارته الخازندار ومعه عثمان أغا ومعهم طائفة كبيرة من العساكر في المراكب فوصلوا الى خليج الاشرفية من ناحية الرحمانية وعليه جماعة من الانكليز فحاربوهم حتى اجلوهم عنها وفتحوا فم الخليج فجرى فيه الماء ودخلوا فيه بحرا كبيرهم فسد الانكليز الخليج من أعلى عليهم وحضر شاهين بك فقطع الانكليز فم الخليج باعدال القطن والمشاق ثم فتحوه من اسفل فسال الماء في السبخ ونضب الماء من الخليج ووقفت السفن على الارض ووصلهم الانكليز فأوقعوا معهم وقعة عظيمة وذلك عند قرية الصالح

البلاد التي يحكم عليها ففعل ذلك واقطع البلاد فاقطع ماشندران للامير ابن مانج بيغو وبلخ لاخيه سليمان بن داود جغري بك وخوارزم لاخيه ارسلان ارغو ومرو لابنه الاخر ارسلان شاه وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس وولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن ارتاش وهو من اقارب السلطان وولاية اسفزار لمودود بن ارتاش

ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس

في هذه السنة سير تميم صاحب افريقية عسكرا كثيفا الى مدينة تونس وبها احمد بن خراسان قد اظهر عليه الخلاف وسبب ذلك ان المعز بن باديس ابا تميم لما فارق القيروان والمنصورية ورحل الى المهدية على ما ذكرناه استخلف على القيروان وعلى قابس قائد بن ميمون الصنهاجي واقام بها ثلاث سنين ثم غلبته هوارة عليها فسلمها اليهم وخرج الى المهدية فلما ولي الملك تميم بن المعز بعد ابيه رده اليها واقام عليها الى الآن ثم اظهر الخلاف على تميم وانضاف الى طاعة الناصر بن علناس بن حماد فسير اليه تميم الآن عسكرا كثيرا فلما سمع بهم قائد بن ميمون علم انه لا طاقة له بهم فترك القيروان وسار الى الناصر فدخل عسكر تميم القيروان وخربوا دور القائد وسار العسكر الى قابس وبها ابن خراسان فحصروه بها اربعة اشهر ثم اطاع ابن خراسان تميما وصالحه واما قائد فانه اقام عند الناصر ثم ارسل الى امراء العرب فاشترى منهم امارة القيروان فاجابوه الى ذلك فعاد اليها فبقي مدة وخاف وحصنها

ذكر ملك شرف الدولة الانبار وهيت وغيرهما

في هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل الى السلطان البارسلان فاقطعه الانبار وهيت وحربي والسن والبوازيج ووصل الى بغداد فخرج الوزير فخر الدولة بن جهير في الموكب فلقيه ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهري وخلع عليه الخليفة

ذكر عدة حوادث

في العشر الاول من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهي ممتدة الى وسط السماء وبقي الى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر ايضا آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما اظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب وبقي عشرة ايام ثم اضمحل وفيها في جمادى الآخرة كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقيت تتردد اياما تصدعت منها الجبال واهلكت خلقا كثيرا وانخسف منها عدة قرى وخرج الناس الى الصحراء فاقاموا هنالك وفيها في جمادى الاولى وقع حريق في نهر معلى فاحترق من باب المحول الى آخر السوق الجديد من الجانبين وفيها ولدت صبية بباب الازج لها رأسان ووجهان ورقبتان واربع ايد على بدن واحد وفي جمادى الآخرة توفي الامام ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي ومولده سنة اربع وثمانين

ويطيعهم جهات يتعشقون بها وهذا من قبيل حكاية الضفادع والعقش الملبس وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والازبكية وبولاق ولشيع عمل زينة بالبلد وشرع الناس في اسبابها وبعضهم علق على داره تعاليق ثم بطل ذلك وطاف المبشرون من اتباعهم على بيوت الاعيان لاخذ البقاشيش واذن الباشا بدخول المراكب الى الخليج والازبكية ثم عملوا شنكا وحراقات وسواريخ ثلاثة ايام بلياليها بالازبكية

شهر شعبان سنة ١٢٢١

فيه تكلم القاضي مع الباشا في شان الشيخ عبد الله الشرقاوي والافراج عنه وبإذن له في الركوب والخروج من داره حيث يريد فقال انا لا ذنب لي في التحجير عليه وانما ذلك من تفاقمهم مع بعضهم فاستأذنه في مصالحتهم فاذن له في ذلك فعمل القاضي لهم وليمة ودعاهم وتغدوا عنده وصالحهم وقرؤا بينهم الفاتحة وذهبوا الى دورهم والذي في القلب مستقر فيه (وفيه) وردت الاخبار من الديار الرومية بقيام الرومنلي وتعصبهم على منع النظام الجديد والحوادث التي جهوا عليهم عسكر النظام فتلاقوا معهم وتحاربوا فكانت الهزيمة على النظام وهلك بينهم خلائق كثيرة ولم تزل الواقعة بينهم حتى قربوا من دار السلطنة فترددت بينهم الرسل وخلعوهم وصالحوهم على شروط منها عزل اشخاص من مناصبهم ونفي آخرين ومنهم الوزير وشيخ الاسلام والمكتفد

كبس وقلل برسم مصلحة القبودان ورد كروا انها ملتقة لمدة ستة أيام ثم ترد الى اربابها ولا صحة لذلك (وفي ليلة الاثنين) ٢٠

وصل كتخدا القبودان الى ساحل بولاق فضربوا لقدومه مدافع وعملوا له شنكا وارسل له في صبحها خيولا صحبة اشمطوسون ومعهما كابر الدولة والاغا والوالي والاغوات فركب في موكب عظيم ودخلوا به من باب النصر وشق من وسط المدينة وعمل الباشا الديوان واجتمع عنده السيد عمر والمشايخ المتصدرون ما عدا الشيخ عبد الله الشرقاوي ومن يلوذ به فقال عليه القاضي وعلى من تأخر فقيل له الآن يحضر واحل الفتى اخره ضعفه ومرضه ثم انهم انتظروا باقي الوجهاء وارسلوا لهم جملة مراسيل فلما حضروا قرؤا المرسوم الوارد صحبة الكتخدا المذكور (ومضمونه) ابقاء محمد على باشا واستمراره على ولاية مصر حيث ان الخاصة والعامة راضية باحكامه وعدله بشهادة العلماء واشراف الناس وقبلنا رجاءهم وشهادتهم مع انه يقوم بالشروط التي منها طلوع الحج ولوازم الحرمين وايصال العلائف والغلال لاربابها على النسق القديم وليس له تعلق بثغر رشيد ولا دمياط ولا الاسكندرية فانه يكون ايرادها من الجمارك يضبط الى الترسخانة السلطانية بالاسلامبول ومن الشروط ايضا ان يرضي خواطر الامراء المصريين ويمتنع من محاربتهم البلاد

من الناصر ان يرسل معه بعض ثقاته ليشاهد الاخبار ويعود بها فارسل معه رسولا يثق به فكتب معه انني لما اجتمعت بتميم سألني عن شيء يسأل مؤاده عن بناء مجانية وقد عظم امرها عليه واتهمني فانظر الى من تثق به من العرب ترسلهم الى موضع كذا في سائر اليوم مسرعا وقد اخذت عهودا وزوايا وقصيرها على طاعتك وسير الكتاب فلما قرأه الناصر سلمه الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره واثنى عليه وقال لقد نصح وبالغ في الخدمة فلا نؤخر عنها فنفذ العرب ليحضر معهم ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة الكتاب وارسل الكتاب الذي بخط الرسول الى تميم وكتابا منه يذكر له الحال من اوله الى آخره فلما وقف تميم على الكتاب تعجب من ذلك وبقي يتوقع له سببا يأخذه به الا انه جعل عليه من يحرسه في الليل والنهار من حيث لا يشعر فاتى بعض اولئك الحرس الى تميم واخبره ان الرسول صنع طعاما واحضر عنده الشريف القهري وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه فطلبه تميم فحضر فقال كنت واصلا اليك وحدثه ان ابن البعبع الرسول دعاني فلما حضرت عنده قال انا في ذمامك احب ان تعرفني مع من اخرج من المهدية فمنعته من ذلك وخرجت فاوقفه تميم على الكتاب الذي بخطه وامره باحضاره فاحضره الشريف فلما وصل الى باب السلطان اقيم رجل بكتاب العرب الذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر اليه يأمره بالحضور عنده فاخذ الكتاب وخرج الامير تميم فلما رآه ابن البعبع سقطت الكتب منه فاذا عنوان احدها من الناصر بن علناس الى فلان فقال له تميم من اين هذه الكتب فسكت فاخذها وقرأها فقال الرسول ابن البعبع العفو يا مولاي قال لا عفا الله عنك وامر به فقتل وغرقت جثته

●(ذكر ملك الب ارسلان جند وصبران)●

في هذه السنة عبر الب ارسلان جيحون وسار الى جند وصبران وهما عند بخارا وقبر جده سلجوق بجند فلما عبر النهر استقبله ملك جند واطاعه واهدى له هدايا جليلة فلم يغير الب ارسلان عليه شيئا واقره على ما بيده وعاد عنه بعد ان احسن اليه واكرمه ووصل الى كركانج خوارزم وسار منها الى مرو

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد وفيها انقض كوكب عظيم وصار له شعاع كثيرا كثر من شعاع القمر وسمع له صوت مفزع وفيها توفي محمد بن احمد ابو الحسين بن الآبنوسي روى عن الدارقطني وغيره

●(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين واربعمائة)●

●(ذكر عهد الب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه)●

في هذه السنة سار الب ارسلان من مرو الى راذكان فنزل بظاهرها ومعه جماعة امراء دولته فاخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بانه السلطان بعده واركبه ومشى بين يديه يحمل الغاشية وخلع السلطان على جميع الامراء وامرهم بالخطبة له في جميع

وفيها في جمادى الاولى وصلت ارسلان خاتون اخت السلطان الب ارسلان وهي زوجة الخليفة الى بغداد واستقبلها فخر الدولة بن جهير الوزير على فراسخ وفيها في ذي القعدة احترقت تربة معروف الكرخي رحمة الله عليه وسبب حريقها ان قيمها كان مريضا فطبخ لنفسه ماء الشعير فاتصلت النار بخشب وبواري كانت هناك فاحرقته واتصل الحريق فامر الخليفة ابا سعد الصوفي شيخ الشيوخ بعمارتها وفيها في ذي القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر التدريس بها للشيخ ابي اسحق الشيرازي فلما اجتمع الناس لحضور الدرس وانتظروا مجيئه تأخر فطلب فلم يوجد وكان سبب تأخره انه لقيه صبي فقال له كيف تدرس في مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها فلما ارتفع النهار وايس الناس من حضوره اشار الشيخ ابو منصور بن يوسف بابي نصر بن الصباغ صاحب كتاب الشامل وقال لا يجوز ان ينفصل هذا الجمع الا عن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس ابو نصر للدرس وظهر الشيخ ابو اسحق بعد ذلك ولما بلغ نظام الملك الخبر اقام القيامة على العميد ابي سعد ولم يزل يرفق بالشيخ ابي اسحق حتى درس بالمدرسة وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما وفيها في ذي القعدة قتل الصليحي امير اليمن بمدينة المهجم قتله احد امرائها واقيمت الدعوة العباسية هناك وكان قد ملك مكة على ما ذكرناه سنة خمس وخمسين وامن الحاج في ايامه فاثنوا عليه خيرا وكسا البيت بالحرير الابيض الصيني ورد حلى البيت اليه وكان بنو حسن قد اخذوه وحملوه الى اليمن فابتاعه الصليحي منهم وفيها توفي عمر بن اسمعيل بن محمد ابو علي الطوسي قاضيها وكان يلقب العراقي لطول مقامه ببغداد وتفقه على ابي حامد الاسفرايني الشافعي وابي محمد الشافعي وغيرهما

●(ثم دخلت سنة ستين واربعمائة)●

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بني كلاب بالرحبة وهم في طاعة العلوي المصري فكسرهم شرف الدولة واخذ اسلابهم وارسل اعلاما كانت معهم عليها اسماء المصري الى بغداد وكسرت وطيف بها في البلد وارسلت الخلع الى شرف الدولة وفيها في جمادى الاولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وطلع الماء من رؤس الآبار وهلك من اهلها خمسة وعشرون الف نسمة وانشقت الصخرة بالبيت المقدس وعادت باذن الله تعالى وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس الى ارضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فاهلك منهم خلقا كثيرا وفيها في رجب ورد ابو العباس الحواري بغداد عميدا من جهة السلطان وفيها عزل فخر الدولة ابن جهير من وزارة الخليفة فخرج من بغداد الى نور الدولة دبيس بن مزيد بالفلوجة وارسل الخليفة الى ابي يعلى والد الوزير ابي شجاع يستحضره ليوليه الوزارة وكان يكتب لهزارسب بن بنكير فسار فادركه اجله في الطريق فمات ثم شفع نور الدولة في فخر الدولة

قضاياه بحرس البيت العمى والحضور وقرئت المرسومات وهما فرمانان احدهما يتضمن تقرير الباشا على ولاية مصر بقبول شفاعة أهل البلدة والمشايخ والاشراف والثاني يتضمن الاوامر السابقة بمباشرة لوازم الحرمين وطلوع الحج وارسال غلال الحرمين والوصية بالرعية وتشهيل غلال وقدرها ستة آلاف أردب وتسفيرها على طريق الشام معونة للعساكر المتوجهين الى الحجاز (وفيه) الامر ايضا بعدم التعرض للامراء المصريين وراحتهم وعدم محاربتهم لانه تقدم العفو عنهم ونحو ذلك وانقضى المجلس وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والازبكية

●(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢١)●

وانقضى بخير ولم يقع فيه من الحوادث سوى توالي الطلب والقرض والسلف التي لا ترد وتجريد العسكر الى محاربة الالفي واستمرار الالفي بالجيزة ومحاصرة دمنهور واستمرار أهل دمنهور على الممانعة وصبرهم على المحاصرة وعدم الطاعة مع متاركة المحاربة (وفيه) ورد الخبر بموت عثمان بك البرديسي في أوائل رمضان بمنفلوط وكذلك سليم بك أبو دياب ببني عدي (وفي أواخره) تقدم محمد علي باشا الى السيد عمر النقيب بتوزيع جملة اكياس على أناس من مياسير الناس على سبيل السلفة

وثلثمائة وكان اماما في الحديث والفقه على مذهب الشافعي وله فيه مصنفات احداها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة كان عفيفا زاهدا ومات بنيسابور وفي شهر رمضان منها توفي ابو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي ومولده سنة ثمانين وثلثمائة وعنه انتشر مذهب احمد رضي الله عنه وكان اليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة وترتيب ابوابه يدل على التجسيم المحض تعالى الله عن ذلك وكان ابن تميمي الحنبلي يقول لقد خرى ابو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء

﴿ثم دخلت سنة اربع وخمسين واربعمائة﴾

﴿ذكر عصيان ملك كرمان على الب ارسلان وعوده الى طاعته﴾

في هذه السنة عصى ملك كرمان وهو قرا ارسلان على السلطان الب ارسلان وسبب ذلك انه كان له وزير جاهل سولت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان وأن صاحبه اذا عصى احتاج الى الفعل به فحسن لصاحبه الخلاف على السلطان فاجاب الى ذلك وخلع الطاعة وقطع الخطبة فجمع الب ارسلان وسار الى كرمان فلما قارب بها وقعت طليعته على طليعة قرا ارسلان فانهزمت طليعة قرا ارسلان بعد قتال فلما سمع قرا ارسلان وعسكره بانهزام طليعتهم خافوا وتحيروا فانهزموا لا يلوي احد على آخر فدخل قرا ارسلان الى جيرفت وامتنع بها وارسل الى السلطان الب ارسلان يظهر الطاعة ويسال العفو عن زلته فعفا عنه وحضر عند السلطان فاكرمه وبكى وابكى من عنده فاعاده الى مملكته ولم يغير عليه شيئا من حاله فقال للسلطان ان لي بنات تجهيزهن اليك وامورهن اليك فاجابه الى ذلك واعطى كل واحدة منهن مائة الف دينار سوى الثياب والاقطاعات ثم سار منها الى فارس فوصل الى اصطخر وفتح قلعتها واستنزل واليها فحمل اليه الوالي هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قدح فيروزج فيه منوان من المسك مكتوب عليه اسم جمشيد الملك واطاعه جميع حصون فارس وبقي قلعة يقال لها بهنزاد فسار نظام الملك اليها وحصرها تحت جبلها واعطى كل من رمى بسهم واصاب قبضة من الدنانير ومن رمى حجرا ثوبا نفيسا ففتح القلعة في اليوم السادس عشر من نزوله ووصل السلطان اليه بعد الفتح فعظم محل نظام الملك عنده فاعلى منزلته وزاد في تحكيمه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في المحرم منها توفي الاغر ابو سعد ضامن البصرة على باب السلطان بالري وعقدت البصرة وواسط على هزارسب بثلثمائة الف دينار وفي صفر منها وصل الى بغداد شرف الملك ابو سعد المستوفي وبنى على مشهد ابي حنيفة رضي الله عنه مدرسة لاصحابه وكتب الشريف ابو جعفر بن البياضي على القبة التي احدثها

الم تران العلم كان مشتتا • فجمعه هذا المغيب في اللحد

كذلك كانت هذه الارض ميتة • فانشرها فضل العميد ابي سعد

والدفتردار ومنع الشقاق والحوادث ورجوع الوجاقات على عادتهم وتقلد أغات البنكرية الصدارة واشياء لم تثبت حقيقتها (وفيه) حضر عابدين بك أخو حسن باشا من الجهة القبلية (وفي عاشره) تواترت الاخبار بوقوع وقائع بالناحية القبلية واختلاف العساكر ورجوع من كان بناحية منفلوط وعصيان المقيمين بالمنية بسبب تأخر علائفهم ورجوع حسن باشا الى ناحية المنية فضرب عليه من بها فانحدر الى بني سويف (وفيه) حضر اسمعيل الطارجي كاشف المنوفية باستدعاء فارسله الباشا عاجلا الى الجهة القبلية لصلح العساكر (وفيه) وردت الاخبار من ثغر الاسكندرية بسفر قبودان باشا وموسى باشا الى اسلامبول واخذ القبودان صحبته ابن محمد علي باشا وكان نزولهم وسفرهم في يوم السبت خامسه واستقر كتخدا القبودان بمصر متقلدا حتى يستلق مال المصالحة (وفيه) شرعوا في تقرير فرضة على البلاد ايضا (وفيه) حضر محمود بك من ناحية قبلي (وفي سادس عشره) سافر كتخدا القبودان بعدما استلق المطلوب (وفيه) وصل الى ثغر بولاق قابجي وعلى يده تقرير لمحمد علي باشا بالاستمرار على ولاية مصر وخلعة وسيف فاركبوه من بولاق الى الازبكية في موكب حافل وشقوا به من وسط المدينة وحضر المشايخ والاعيان والاختيارية ونصب للباشا

وفيها

اسم ولي العهد على الدينار وسمى الاميرى ومنع من التعامل بسواه وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم ومعه ولده الى السلطان ألب ارسلان يخبره باقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان بمكة واسقاط خطبة العلوى صاحب مصر وترك الاذان بحى على خير العمل فاعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة واجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال اذا فعل امير المدينة مهنا كذلك اعطيناه عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير بابنة نظام الملك بالرى وعاد الى بغداد وفيها في شهر رمضان توفي تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض باصبهان وهو عائد من عند السلطان الى خوزستان وكان قد علا امره وتزوج باخت السلطان وبغى على نور الدولة دبيس بن مزيد واغرى السلطان به ليأخذ بلاده فلما مات سار دبيس الى السلطان ومعه شرف الدولة مسلم صاحب الموصل فخرج نظام الملك فلقيهما وتزوج شرف الدولة باخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب وعادا الى بلادهما من همذان وفيها كان بمصر غلاء شديد ومجاعة عظيمة حتى أكل الناس بعضهم بعضا وفارقوا الديار المصرية فورد بغداد منهم خلق كثير هربا من الجوع وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلات نهبت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة احدى وثمانين وثلثمائة ومما نهب أيضا في فتنة البساسيرى وخرج من خزائنهم ثمانون ألف قطعة بلور كبار وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم واحد عشر ألف كزاغند وعشرون ألف سيف محلى وقال ابن الفضل يمدح القائم بامر الله ويذكر الحال بقصيدة فيها

قد علم المصرى ان جنوده ٭ سنو يوسف منها وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه ٭ وأوجس منه خيفة أى ايجاس

في ابيات وفيها توفي أبو الجوائز الحسن بن على بن محمد الواسطى كان اديبا شاعرا حسن القول فمن قوله

واحسرتى من قولها ٭ خان عهودى ولها
وحق من صيرنى ٭ وقفا عليها ولها
ماخطرت بخاطرى ٭ الا كستنى ولها

وتوفى محمد بن احمد ابو غالب بن بشران الواسطى الاديب وانتهت الرحلة اليه في الادب وله شعر حسن في الزهد

يا شائد القصور كهلا ٭ أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر ٭ الا قصاراهم الشتات
وانما العيش مثل ظل ٭ منتقل ماله ثبات

وفيها توفي القاضى أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن حزم قاضى دمشق وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي العجائز الخطيب بدمشق

هربوا من وجوههم فلم يذهبوا خلفهم بل رجعوا على اثرهم ونهبوا كفر حكيم وماجاوره من القرى حتى اخذوا النساء والبنات والصبيان والمواشى ودخلوا بهم الى بولاق والقاهرة و يبيعونهم فيما بينهم من غير تحاش كأنهم سبايا الكفار (واستهل شهر القعدة سنة ١٢٢١ بيوم السبت) ووصل الحجاج الطرابلسية وعدوا الى بر مصر (وفي يوم الاحد) ثانيه وصلت قوافل الصعيد من ناحية الجبل وبها احمال كثيرة وبضائع مع عرب المعازة وغيرهم فركب الباشا ليلا وكبسهم على حين غفلة ونهبهم واخذ جمالهم واحمالهم ومتاعهم حتى أولاد العربان والنساء والبنات ودخلوا بهم الى المدينة يقودونهم اسرى في ايديهم و يبيعونهم فيما بينهم كما فعلوا باهل كفر حكيم وماحوله (وفي ذلك اليوم) ضربوا مدافع كثيرة من القلعة لورود اشخاص من العسكر ببشارة الى الباشا وتقريره على السنة الجديدة (وفي يوم السبت) ثامنه اداروا كسوة الكعبة والمحمل وركب معها المتسفر عليها من القلزم وهو شخص يقال له محمود اغا الجزرى وركب امامه الاغا والوالى والمحتسب وطائفة الدلاة وكثير من العسكر (وفي يوم الاثنين) عاشره وصلت الاخبار بوصول الالفى الى ناحية القصاص واشار بجيوشهم باقليم الجيزة وكان الباشا معزوما ذلك

(واستهل شهر شوال بيوم الجمعة) ولم يقع في شهر رمضان هذا الرش الذي حصل له أولا وآخرا
كما حصل فيما تقدم وكذلك
حصل بسكون وطمأنينة
من عربدة العساكر ولا زالوا الى
الطلب والسلف والدعاوى
الباطلة في المدينة والارياف
وصف ارباب المناصب في
القرى وعملوا شنكا عديدة
بمدافع كثيرة في الاوقات
الخمسة ثلاثة أيام العيد
(وفيه) قبضوا طلب
الميري على السنة القابلة
وطلبوا في التحصيل ووجهوا
بالطلب العساكر والقواسة
والاتراك بالعصي المفضضة
وضيقوا على الملتزمين (وفي
عاشره) أخرج الباشا خياما
ونصب عرضي بناحية شبرا
ومنية السيرج والتمس من
السيد محروق تجهيز اربعمائة
كيس برأيه ومعرفته فضاق
صدره وشرع في توزيعها على
التجار ومساتير الناس حيث
لم يمكنه التخلف ولا التباعد
عن ذلك (وفي يوم الجمعة)
ثاني عشره وصل حسن
باشا طاهر من الجهة القبلية
ودخل داره وخرج محمد على
باشا الى جهة الحلي يريد
السفر الى الالفي ووصلت
عربان الالفي بعساكره الى بر
الجيزة وطلبوا الكلف من
البلاد (وفي يوم الاحد) رابع
عشره عدى محمد على باشا
الى بر انبابة (وفي يوم الاثنين)
خامس عشره عدى محمد على باشا وغالب العسكر الى بر بولاق واشاعوا ان الاخصام

ابن جهير فاعيد الى الوزارة سنة احدى وستين في صفر وفيها كان بمصر غلاء شديد
وانقضى سنة احدى وستين واربعمائة وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الاربس
بافريقية فتسلمها من أهلها وفيها في المحرم توفي الشيخ ابو منصور بن عبد الملك بن
يوسف ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء وعم مصابه المسلمين وكان من اعيان الزمان
ومن اعماله انه تسلم المارستان العضدي وكان قد دثر واستولى عليه الخراب فجدد
عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيبا وثلاثة من الخزان الى غير ذلك واشترى له
الاملاك النفيسة بعد ان كان ليس به طبيب ولا دواء وكان كثير المعروف والصلات
والخير ولم يكن يلقب في زمانه احد بالشيخ الاجل سواه وفي المحرم ايضا توفي ابو جعفر
الطوسي فقيه الامامية بمشهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

(ثم دخلت سنة احدى وستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر اعيد فخر الدولة بن جهير الى وزارة الخليفة على ما ذكرناه فلما عاد
مدحه ابن الفضل فقال

قد رجع الحق الى نصابه ... وانت من كل الورى اولى به
ما كنت الا السيف سلته يد ... ثم اعادته الى قرابه

وهي طويلة وفي شعبان احترق جامع دمشق وكان سبب احتراقه انه وقع بدمشق
حرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشارقة فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار
فاحترقت واتصلت بالجامع وكانت العامة تعين المغاربة فتركوا القتال واشتغلوا
باطفاء النار من الجامع فعظم الخطب واشتد الامر واتى الحريق على الجامع فدثرت
محاسنه وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف الى الشام ونزل على
مدينة منبج ونهبها وقتل اهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبني كلاب وابن حسان
الطائي ومن معهما من جموع العرب ثم ان ملك الروم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه
المقام لشدة الجوع وفيها سار امير الجيوش بدر من مصر في عساكر كثيرة الى مدينة
صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن ابي عقيل فلما حصره
أرسل القاضي الى الامير قرلو مقدم الاتراك المقيمين بالشام يستنجده فسار في اثني عشر
الف فارس فحصر مدينة صيدا وهي لامير الجيوش بدر فرحل حينئذ بدر وعاد الاتراك
فعاود بدر حصر صور براً وبحراً سنة وضيق على أهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف
دينار ولم يبلغ غرضه فرحل عنها وفيها صارت دار ضرب الدنانير ببغداد في يد وكلاء
الخليفة وسبب ذلك ان البهرج كثر في أيدي الناس على السكة السلطانية وضرب

الروم من كثرة الجموع ولم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير
الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همذان وسار هو ومن عنده من العساكر وهم
خمسة عشر الف فارس وجد فى السير وقال لهم اننى اقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة
من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابنى ملكشاه ولى عهدى فساروا فلما قارب
العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية فى نحو عشرة آلاف
من الروم فاقتتلوا فانهزمت الروسية واسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع انفه
وانفذ بالسلب الى نظام الملك وامره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل
السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال لا هدنة الا بالرى فانزعج السلطان
لذلك فقال له امامه وفقيهه ابو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى انك تقاتل عن
دين وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان وارجو ان يكون الله تعالى قد كتب
باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال فى الساعة التى تكون الخطباء على المنابر
فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كان تلك الساعة صلى
بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من اراد الانصراف
فلينصرف فما ههنا سلطان يامر وينهى والقى القوس والنشاب واخذ السيف
والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان
قتلت فهذا كفنى وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على
التراب وبكى واكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون فى
وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم
الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الارض بجثث القتلى واسر ملك الروم اسره
بعض غلمان كوهرائين فاراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك لا تقتله فانه الملك
وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك فرده استحقارا له فاثنى عليه
كوهرائين فقال نظام الملك عسى ان يأتينا بملك الروم اسيرا فكان كذلك فلما اسر
الغلام الملك احضره عند كوهرائين فقصد السلطان واخبره باسر الملك فامر باحضاره
فلما احضر ضربه السلطان الب ارسلان ثلاث مقارع بيده وقال له الم ارسل اليك
فى الهدنة فابيت فقال دعنى من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمت
ان تفعل بى ان اسرتنى فقال افعل القبيح قال له فما تظن اننى افعل بك قال اما ان
تقتلنى واما ان تشهرنى فى بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهى العفو وقبول الاموال
واصطناعى نائبا عنك قال ما عزمت على غير هذا ففدى نفسه بالف الف دينار وخمسمائة
الف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم اى وقت طلبها وان يطلق كل اسير فى بلاد
الروم واستقر الامر على ذلك وانزله فى خيمة وارسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها
فاطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم اين جهة الخليفة
فدل عليها فقام وكشف رأسه واومأ الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة
وسيره الى بلاده وسير معه عسكرا اوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرسخا واما الروم

ذلك الصقع وذلك ليلة الاربعاء ثامن عشره وقد نزل به خلط دموى خبط اياما ثم مات وقال بناحية الحرقة بالقرب من
دمنهور وان مماليكه اجتمعوا
وامروا عليهم شاهين بك
وذلك باشارة استاذهم
وان طائفة اولاد على انفصلوا
عنهم ورجعوا الى بلادهم
وآخرين يطلبون الامان
فاشتبه الحال وشاع الخبر
وصارت الناس ما بين مصدق
ومكذب واستمر الاشتباه
والاضطراب اياما حتى ان
الباشا خلع على ذلك المخبر
بعد ان تحقق خبره فروة سمور
وركب بها وشق من وسط
المدينة والناس ما بين مصدق
ومكذب ويظنون ان ذلك من
مكائده وتحيلاته لامور يدبرها
الى ان حضر بعض الخدم
الى دوره واخبروا بحقيقة
الحال كما ذكر فعند ذلك زال
الاشتباه وعد ذلك من تمام
سعد محمد على باشا الدنيوى
حتى انه قال فى مجلس خاصته
الآن ملكت مصر ولما
مات الالفى ارتحلت اجناده
ومماليكه وامراؤه وارتفعوا
الى ناحية قبلى فسبحان الحى
الذى لا يموت قال الشاعر
فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا
ثم ان الباشا ارسل الى امرائه
مكاتبة يستميلهم ويطلبهم
للصلح ويدعوهم للانضمام
اليه ويعدهم ان يعطيهم فوق
مأمولهم ونحو ذلك وارسل
تلك المكاتبة صحبة قادرى اغا الذى كان طرده الالفى وتقاعدوا اخذ محمد على باشا فى الاهتمام والركوب والحروق بهم وقت

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين واربعمائة)

﴿ذكر الخطبة للقائم بامر الله والسلطان بحلب﴾

في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لامير المؤمنين القائم بامر الله والسلطان ألب ارسلان وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لاجل مذاهبكم والرأى أن نقيم الخطبة قبل ان يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فاجاب المشايخ الى ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بامر الله والسلطان فاخذت العامة حصر الجامع وقالوا هذه حصر علي بن أبي طالب فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها الناس وأرسل الخليفة الى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجي وأبو الفتيان بن حيوس وقال أبو عبد الله بن عطية يمدح القائم بامر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة

كم طائع لك لم تجلب عليه ولم ❊ تعرف لطاعته غير التقى سببا
هذا البشير باذعان الحجاز وذا ❊ داعي دمشق وذا المبعوث من حلبا

﴿ذكر استيلاء السلطان ألب ارسلان على حلب﴾

في هذه السنة سار السلطان ألب ارسلان الى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار وحمل اليه اقامة فعرف السلطان أنه قسطها على البلاد فامر بردها ووصل الى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار الى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار الى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة القائمية والخلع فقال له محمود صاحب حلب اسألك الخروج الى السلطان واستعفاءه لي من الحضور عنده فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بانه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون حي على خير العمل ولا بد من الحضور ودوس بساطي فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الاسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوما وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق في فرسه فلما عظم الامر على محمود خرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري فدخلا على السلطان وقالت له هذا ولدي فافعل به ما تحب فتلقاهما بالجميل وخلع على محمود واعاده الى بلده فانفذ الى السلطان مالا جزيلا

﴿ذكر خروج ملك الروم الى خلاط واسره﴾

في هذه السنة خرج ارمانوس ملك الروم في مائتي الف من الروم والفرنج والعرب والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاؤا في تجمل كثير وزي عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملازكرد من اعمال خلاط فبلغ السلطان ألب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوى من اذربيجان قد عاد من حلب وسمع ما فيه ملك

اليوم عند جامع الحناوي بسوق الزلط وحارة المقس وركب قبيل العصر وذهب الى بولاق وأمر العساكر بالخروج ولا يتخلف أحد لخامس ساعة من الليل وعدى بمن معه الى بر انبابة (وفي ليلة الاربعاء) وقع بين الالفي والعسكر معركة وانحاز العسكر وتترسوا بداخل الكفور والبلاد ووصل منهم جرحى الى البلد واستمر الامر على ذلك وهم يهابون البروز الى الميدان وأخصامهم لا يحاربون المتاريس والحيطان (وفي يوم الثلاثاء) ثاني عشره ركب الالفي بجيوشه وتوجه الى ناحية قناطر شبرامنت فلما علم بذلك الباشا ومن معه عادوا وركب بعسكره من ناحية كفر حكيم وما حوله وساروا الى جهة الجيزة ونصب وطاقه بها وباتوا تلك الليلة وعملوا شنكا في صبحها وهم يشيعون هروب الالفي والحال انه مر في جيش كثيف وصورة هائلة وقدامه جنوده وعساكره طوابير وبين يديه النظام الذي رتبه على هيئة عسكر الفرنسيس ومعهم طبول بكيفية خرجت عن طبعهم والباشا واقف بجيوشه ينظر اليه تارة بعينه وتارة بالنظارة ويقول هذا طهماز الزمان ويتعجب وقال لطائفة الدلاة تقدموا لمحاربته وأنا أعطيكم كذا وكذا من المال فلم يجسروا على التقدم لما سبق لهم معه (وفي يوم الخميس) حضر المقاصد من العرب الى الباشا واخبر وبات الالفي قد فات يوم وصوله الى الروم

الكبير وعثمان بك حسن و باقي امرائهما كما امتثلوه وان كان يريد حطنا دونهم فيعطينا اما كان يطلبه اسنادنا من الاقاليم ونحو ذلك

فكوتب والبهاء من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها فلما رأى نظام الملك والسلطان اصرار الخليفة على الامتناع من ولايته شحنكية بغداد سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة وعزل السليماني عنها اتباعا لما امر به الخليفة القائم بامر الله ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وحياه الخليفة

(ذكر تزوج ولي العهد بابنة السلطان)

في هذه السنة ارسل الامام القائم بامر الله عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه وكان السلطان قد ارسل يطلب من الخليفة ان ياذن في ان يجعل ولده ملكشاه ولي عهده فاذن وسيرت له الخلع مع عميد الدولة وامر عميد الدولة ان يخطب ابنة السلطان الب ارسلان من سفري خاتون لولي العهد المقتدي بامر الله فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فاجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل في قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان في العقد وكان النثار جواهر وعاد عميد الدولة من عند السلطان الى ملكشاه وكان ببلاد فارس فلقيه باصبهان فافاض عليه الخلع فلبسها وسار الى نحو العدو وعاد عميد الدولة الى بغداد فدخلها في ذي الحجة

(ذكر ولاية ابي الحسن بن عمار طرابلس)

في هذه السنة في رجب توفي القاضي ابو طالب بن عمار قاضي طرابلس وكان قد استولى عليها واستبد بالامر فيها فلما توفي قام مكانه ابن اخيه جلال الملك ابو الحسن بن عمار وضبط البلد احسن ضبط ولم يظهر لفقده اثر لكفايته

(ذكر ملك السلطان الب ارسلان قلعة فضلون بفارس)

في هذه السنة سير السلطان الب ارسلان وزيره نظام الملك في عسكر الى بلاد فارس وكان بها حصن من امنع الحصون والمعاقل وفيه صاحبه فضلون وهو لا يعطي الطاعة فنازله وحصره ودعاه الى طاعة السلطان فامتنع فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضا لعلو الحصن وارتفاعه فلم يطل مقامه عليه حتى نادى اهل القلعة بطلب الامان ليسلموا الحصن اليه فعجب الناس من ذلك وكان السبب فيه ان جميع الابار التي بالقلعة غارت مياهها في ليلة واحدة فقادتهم ضرورة العطش الى التسليم فلما طلبوا الامان امنهم نظام الملك وتسلم الحصن ورالحا فضلون الى قلة القلعة وهي اعلى موضع فيها وفيه بناء مرتفع فاحتمى فيها فسير نظام الملك طائفة من العسكر الى الموضع الذي فيه اهل فضلون واقاربه ليحصروهم ويسبوا اهاليهم فسمع فضلون الخبر ففارق موضعه مستخفيا في نفر من الجند وسار ليمنع عن اهله فاستقبله طلائع نظام الملك فتفرق من معه واختفى في نبات الارض فوقع فيه بعض العسكر فاخذه اسيرا وحمله الى نظام الملك فاخذه وسار به الى السلطان فامنه واطلقه

(ذكر عدة حوادث)

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم الاثنين سنة ١٢٢١)

فيه ارتحل الباشا بالعرضي الى ساقية مكي بالجيزة فتوجهوا الى قبلي (وفيه) طلبوا الدراهم من كل ناحية وعز وجودها وامتنعت الزاودون وتراكب المعاملات والتجارات مع استمرار الطلب للغرام والسلف ونحو ذلك وفي منتصفه وردت مكاتبات من وزير الدولة العثمانية يعرفونها الخبر بوقوع الغزو بين العثماني والموسكوب والامر بالتيقظ والتحفظ وتحصين الثغور فربما اغاروا على بعضها على حين غفلة وكذلك وردت اخبار بمعنى ذلك من حاكم ازمير وحاكم رودس وان الانكليز يعاونون الطائفة الموسكوب لاستمرار عداوتهم مع الفرنساوية لكون الفرنساوية متصادقين مع العثماني والخبر عن تحول القضية ان بونابارته امير جيوش الفرنساوية وعساكرهم خرجوا في العام الماضي واغاروا على القرانات والممالك الافرنجية واستولوا على النمسة التي هي اعظم القرانات وبينهم وبين الموسكوب مصادقة ونسب فارسل الموسكوب جندا كثيفا مساعدة لهم ومساويهم مع كبيرهم قرابة عز ابزم فلا توانع بونابارته بعد استيلائه على تخت النمسة فهزمهم ايضا واسر

فلما بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد ووصل ارمانوس الملك
الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد وارسل الى ميخائيل يعرفه
ما تقرر مع السلطان وقال ان شئت ان تفعل ما استقر وان شئت امسكت فاجابه
ميخائيل بايثار ما استقر وطلب وسأل ان يعوض سؤال السلطان في ذلك وجمع ارمانوس
ما عنده من المال فكان مائتي الف دينار فارسله الى السلطان وطبقا ذهبا عليه
جواهر بتسعين الف دينار وحلف له انه لا يقدر على غير ذلك ثم ان ارمانوس استولى
على اعمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان وذكروا هذا الفتح فاكثروا

(ذكر ملك اتسز الرملة وبيت المقدس)

في هذه السنة قصد اتسز بن اوق الخوارزمي وهو من امراء السلطان ملكشاه بلد الشام
فجمع الاتراك وسار الى فلسطين ففتح مدينة الرملة وسار منها الى البيت المقدس
وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحه وملك ما يجاورهما من البلاد ما عدا عسقلان
وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لاعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الامر
بالناس فصبروا ولم يملكه وعاد عنه وادام قصد اعماله وتخريبها حتى قلت
الاقوات عندهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن فوران الفوراني الفقيه
الشافعي مصنف كتاب الابانة وغيرها وفي هذه السنة في ذي الحجة توفي الخطيب ابو بكر
احمد بن علي بن ثابت البغدادي صاحب التاريخ والمصنفات الكثيرة ببغداد وكان امام
الدنيا في زمانه وممن حمل جنازته الشيخ ابو اسحق الشيرازي وتوفي ايضا فيها في شهر
رمضان ابو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفري فقيه الامامية وحسان بن سعيد بن
حسان بن محمد بن عبد الله المنيعي المخزومي من اهل مرو الروذ كان كثير الصدقة
والمعروف والعبادة والقنوع بالقليل من القوت والاعراض عن زينة الدنيا وبهجتها
وكان السلاطين يزورونه ويتبركون به واكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر
وغير ذلك من مصالح المسلمين وتوفيت ايضا كريمة بنت احمد بن محمد المروزية وهي التي
تروي صحيح البخاري توفيت بمكة واليها انتهى علو الاسناد للصحيح الى ان جاء ابو الوقت

(ثم دخلت سنة اربع وستين واربعمائة)

(ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد)

في ربيع الاول من هذه السنة ورد ايتكين السليماني شحنة بغداد من عند السلطان الى
بغداد فقصد دار الخلافة وسأل العفو عنه واقام اياما ينتظر الجواب الى ذلك وكان سبب
غضب الخليفة عليه انه كان قد استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة
ببغداد فقتل احد المماليك الدارية فانفذ قميصه من الديوان الى السلطان ووقع
الخطاب في عزله وكان نظام الملك يعني بالسليماني فاضافه الى اقطاعه تكريت

كل يوم ينادي على العسكر بالمدينة بالخروج وقوي تشاؤمهم واقوالهم وعواقب قضاء اشغالهم
وخطفوا الجمال والحمير
وحضر الباشا الى بيته بالازبكية
وبات به ليلة الاحد وصرح
بسفره يوم الخميس وخرج
الى العرضي ثانيا وطلب
السلف والمال ومضى
الخميس والجمعة ولم يسافر
(وفي ليلة السبت تاسع
عشرينه) نزل به حادث وتحرك
عنده خلط وحصل له اسهال
وقيء واشاع الناس موته يوم
السبت وتشاءلوا وكاد العسكر
ينهبون العرضي ثم حصلت
له افاقة وخرج السيد عمر
والمشايخ للسلام عليه يوم
الاحد وليهنئوه بالعافية
وكذلك خرجوا ترددا عقب
ذلك مرارا (وفيه) حضر قادري
بجوابات الرسالة من امراء
الالفي احدها للباشا وعليه
ختم شاهين بك وباقي
خشداشينه الكبار وآخر
خطابا لمصطفى كاشف اغا
الوكيل وعلى كاشف
الصابونجي وممن كان
كاتبهم بالمعنى السابق يذكرون
في جوابهم ان كان بيدهم
قدمات وهو شخص واحد
فقد خلف رجالا وامراء وهم
على طريقته واستاذهم في
الشجاعة والرأي والتدبير
ونحو ذلك وليس كل مدع
تسلم له دعواه ومن امثال
الفار بقعا كل جمل مجمعة
ولا كل بيضاء شحمة وذكروا في الجواب ايضا انه ان اصطلح مع كبرائهم الكائنين بقبلي وهم ابراهيم بك فمكتوب

اية القرمشاوية باسلامبول لاجل انهم ياخذون من هناك كامل الذي يلزمهم السادس جميع الرعايا والحمايات التي

مصادرة وقد قنع من الرعايا بالخراج الاصلي يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم وكتب
اليه بعض السعاة سعاية في نظام الملك وذكر ما له في ممالكه من الرسوم والاموال
وترك على مصلاه فأخذها فقرأها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب
فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب اخلاقك واصلح احوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم
واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس وهذه حالة لا يذكر عن احد من الملوك
احسن منها وكان كثيرا ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم واحكام الشريعة ولما
اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحافظته على عهوده اذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد
الامتناع وحضروا عنده من اقاصي ما وراء النهر الى اقصى الشام وكان شديد العناية
بكف الجند عن اموال الرعية بلغه ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية
ازارا فاخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض الى مال غيرهم ومناقبه كثيرة
لا يليق بهذا الكتاب اكثر من هذا القدر منها وخلف الب ارسلان من الاولاد ملكشاه
وهو الذي صار السلطان بعده واياز وتكش وبوري برش وتتش وارسلان ارغو وسارة
وعائشة وبنتا اخرى

ذكر ملك السلطان ملكشاه

لما جرح السلطان الب ارسلان اوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه وامر ان
يحلف له العسكر فحلفوا جميعهم وكان المتولي للامر في ذلك نظام الملك وارسل ملكشاه
الى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها واوصى الب ارسلان ابنه ملكشاه
ايضا ان يعطي اخاه قاورت بك ابن داود اعمال فارس وكرمان وشيئا عينه من المال وان
يزوج بزوجته وكان قاورت بك بكرمان واوصى ان يعطى ابنه اياز بن الب ارسلان
ما كان لابيه داود وهو خمسمائة الف دينار وقال كل من لم يرض بما اوصيت له فقاتلوه
واستعينوا بما جعلته له على حربه وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر فعبر العسكر الذي
قطع النهر في نيف وعشرين يوما في ثلاثة ايام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وزاد
الاجناد في معايشهم سبعمائة الف دينار وعادوا الى خراسان وقصدوا نيسابور وراسل
ملكشاه جماعة الملوك اصحاب الاطراف يدعوهم الى الخطبة له والانقياد اليه واقام
اياز ارسلان ببلخ وسار السلطان ملكشاه في عساكره من نيسابور الى الري

ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك التكين صاحب سمرقند مدينة ترمذ وسبب ذلك
انه لما بلغه وفاة الب ارسلان وعود ابنه ملكشاه عن خراسان طمع في البلاد المجاورة له
فقصد ترمذ اول ربيع الآخر وحصرها ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها الى سمرقند وكان اياز
ابن الب ارسلان قد سار عن بلخ الى الجوزجان فخاف اهل بلخ فارسلوا الى التكين
يطلبون منه الامان فامنهم وخطبوا له فيها وورد اليها فنهب عسكره شيئا من اموال الناس
وعاد الى ترمذ فثار اوباش بلخ بجماعة من اصحابه فقتلوهم فعاد اليهم وامر باحراق المدينة

للموسكوب من جميع ودائعهم
لهم الاقامة والتجارة وشراء
الاملاك في كامل بلاد العثماني
السابع كامل مراكب
الموسكوب التجارية التي
كانوا من بعض الاسباب تركوا
بيارقها يقدرون ان يتوجهوا
بها الى قنصولية الموسكوب
باسلامبول وهي لا تعطي لهم
بطاقات جديدة الثامن
كامل الاروام الموجودين في
بلاد العثماني ويريدون ان
يدخلوا في حماية الموسكوب
يمكنهم بكل حرية التاسع
البراتلية والقرماتلية يحصلون
على قوتهم التي كانوا لها سابقا
العاشر الحجي القرنساوية
ملزوم يسافر من اسلامبول
بعد واحد وثلاثين يوما
الحادي عشر مراكب الاروام
والعثماني لا يسافرون بهما
لبلاد فرانسا ما دام الحرب
بين الموسكوب والفرنساوية
فلما تقررت هذه الشروط
واطلع عليها الفرنساوي فكأنه
لم يرض بها وقال للعثماني لم
يبق بيدك مملكة واشار عليه
بنقضها وتكفل بمساعدته
ومقاومتهم فركن اليه ونقض
تلك الشروط وبعد ذلك
نبذوا صداقة العثماني
واظهروا مخاصمته ووافقهم
على ذلك الانكليز لكونه
صادق الفرنساوية واغاروا
على بعض النواحي واخذوا الخيل وغيرها وشرع اهل الاسكندرية في تحصين قلاعها وابراجها وكذلك ابو

في هذه السنة توفي القاضي أبو الخير محمد بن احمد بن عبد الصمد بن المهتدي بالله الخطيب بجامع المنصور وكان قد اضر ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وكان اليه قضاء واسط وخليفته عليها ابو محمد بن السمال

(ثم دخلت سنة خمس وستين واربعمائة)

■(ذكر قتل السلطان الب ارسلان)■

في اول هذه السنة قصد السلطان الب ارسلان واسمه محمد وانما غلب عليه الب ارسلان ما وراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين فعقد على جيحون جسرا وعبر عليه في نيف وعشرين يوما وعسكره يزيد على مائتي ألف فارس فاتاه اصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي في سادس شهر ربيع الاول وحمل الى قرب سريره مع غلامين فتقدم ان تضرب له أربعة اوتاد وتشد اطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان الب ارسلان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فاخطاه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما راى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته وكان سعد الدولة واقفا فجرحه يوسف ايضا جراحات ونهض السلطان فدخل الى خيمة أخرى وضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الاتراك وكان اهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر وما فعل عسكره بتلك البلاد لاسيما بخارا اجتمعوا وختموا ختمات وسألوا الله ان يكفيهم امره فاستجاب لهم ولما جرح السلطان قال ما من وجه قصدته وعدو اردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي انا ملك الدنيا وما يقدر احد على فعجزني الله تعالى باضعف خلقه وانا استغفر الله تعالى واستقيله من ذلك الخاطر فتوفي عاشر ربيع الاول من السنة فحمل الى مرو ودفن عند ابيه ومولده سنة اربع وعشرين واربعمائة وبلغ من العمر اربعين سنة وشهورا وقيل كان مولده سنة عشرين واربعمائة وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة الى ان قتل تسع سنين وستة اشهر واياما ولما وصل خبر موته الى بغداد جلس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء به في صحن السلام

■(ذكر نسب الب ارسلان وبعض سيرته)■

هو الب ارسلان محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريما عادلا عاقلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جدا ودان له العالم بحق قيل له سلطان العالم وكان رحيم القلب رفيقا بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما انعم الله به عليه اجتاز يوما بمرو على فقراء الخرازين فبكى وسأل الله تعالى ان يغنيه من فضله وكان يكثر الصدقة فيتصدق في رمضان بخمسة عشر الف دينار وكان في ديوانه اسماء خلق كثير من الفقراء في جميع ممالكه عليهم الادارات والصلات ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا

دفعا لهم وسار بجيوشه الى الروصية ٣٠ والمستولي على عدة أماكن وكان الشرط على جهة تقرر بها حكامها وشرط عليهم شروطا التي منها مساعدة الانكليز ومناظفتهم وراسله العثماني وراسله هو أيضا ورأى العثماني قوة باسه فصادقه وأرسل اليه من طرفه ايلجي الى اسلامبول فدخلها في أبهة عظيمة وأنزلوه منزلا حسنا وأرسل صحبته هدايا وخيول باعظمها وكذلك ارسل الى الخصوص بونابارته تحفا وهدايا وتاجا من الجوهر فعند ذلك انتبذ الموسكوب ونقض الهدنة بينه وبين العثماني وطلب المحاربة فخافه العثماني لما يعلمه منه من القوة والكثرة وسعى الانكليز بينهما بالصلح واجتهد في ذلك حتى امضاه بشروط قبيحة وصلت الينا صورتها وشهر انا منها اثنا عشر شرطا ونصها الاول ان امراء القلاع والبغازات يحتاج ان يقيموا باذن الانكليز والموسكوب الثاني مشيخة السبع جزائر من الآن فصاعدا لا تكون تابعة لغير الموسكوب الثالث تمر بقية الديوان في بلاد العثماني هي التي كانوا يسمونها النظام الجديد الرابع الدولة العلية تجمع للموسكوب في طريق ثلثمائة ألف مقاتل يدخلون الى أي محل أرادوه من بلاد العثماني وذلك مدة اتفاق الانكليز والموسكوب وهو تسعة سنين الخامس يكون جميع مراكب الموسكوب انها تدخل

مضرة

بتراه مصلحة فقال له نظام الملك ما يمكنني ان افعل الا بامرك فقال السلطان قد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك فانت الوالد وحلف له واقطعه اقطاعا زائدا على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه القابا من جملتها اتابك ومعناه الامير الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور فمن ذلك ان امرأة ضعيفة استغاثت اليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فانكر ذلك عليه وقال انما استخدمتك لامثال هذه فان الامراء والاعيان لا حاجة بهم اليك ثم صرفه من حجبته

(ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان)

في هذه السنة قتل ناصر الدولة ابو علي الحسن بن حمدان وهو من اولاد ناصر الدولة بن حمدان بمصر وكان قد تقدم فيها تقدما عظيما وقد ذكرنا الاسباب الموجبة لقتله فانها يتبع بعضها بعضا في حروب وتجارب وكان أول ذلك اختلال امر الخلافة وفساد احوال المستنصر بالله العلوي صاحبها وسببه ان والدته كانت غالبة على امره وفاصطنعت ابا سعيد ابراهيم التستري اليهودي وصار وزيرا فاشار عليها بوزارة ابي نصر الفلاحي فولته الوزارة واتفقا مدة ثم صار الفلاحي ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة فخاف الفلاحي ان يفسد امره مع ام المستنصر فاصطنع الغلمان الاتراك واستمالهم وزاد في ارزاقهم فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودي فقتلوه فعظم الامر على ام المستنصر واغرت به ولدها فقبض عليه وأوصلت من قتله تلك الليلة وكان بينهما في القتل ثمة اشهر ووزر بعده ابو البركات حسن بن محمد فوضعه على الغلمان الاتراك فافسد احوالهم وشرع يشتري العبيد للمستنصر واستكثر منهم فوضعته ام المستنصر ليغري العبيد المنفردين بالاتراك فخاف عاقبة ذلك وعلم انه يورث شرا وفسادا فلم يفعل فتنكرت له وعزلته عن الوزارة وولي بعده الوزارة ابو محمد اليازوري من قرية من قرى الرملة اسمها يازور فامرته ايضا بذلك فلم يفعل واصلح الامور الى ان قتل ووزر بعده ابو عبد الله الحسين بن البابلي فامرته بما امرت به غيره من الوزراء من اغراء العبيد بالاتراك ففعل فتغيرت نياتهم ثم ان المستنصر ركب لتشييع الحجاج فابرى بعض الاتراك فرسه فوصل به الى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون بالمستنصر فضربه أحدهم فجرحه فضجت لذلك الاتراك ونشبت بينهم الحرب ثم اصطلحوا على تسليم الجارح اليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد خذوا احذركم فاجتمعوا في محلتهم وعرف الاتراك ذلك فاجتمعوا الى مقدميهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر وشكوا اليه واتصلوا بالمصامدة وكتامة وتعاهدوا وتعاقدوا فقوي الاتراك وضعف العبيد المحدثون فخرجوا من القاهرة الى الصعيد اجتمعوا هناك فانضاف اليهم خلق كثير يزيدون على خمسين الف فارس وراجل فخاف الاتراك وشكوا الى المستنصر فاعاد الجواب انه لا علم له بما فعل العبيد وانه لا حقيقة له فقتلوا

مع غيرهم بعضهم مع المقدرة وانقضت السنة بحوادثها (واما من مات فيها من العلماء والامراء ممن له ذكر) مات العمدة الفاضل صدر المدرسين وعمدة المحققين الفقيه الورع الشيخ محمد الحفني الشافعي تخرج على الشيخ عطية الاجهوري وغيره من اشياخ العصر المتقدمين كالحفني والعدوي ومسكنه بخطة السيدة نفيسة ويأتي الى الازهر في كل يوم فيقرأ دروسه ثم يعود الى داره منقطعا في معيشته منعزلا عن مخالطة غالب الناس وهو آخر الطبقة ومرض شهورا بمنزله الذي بالمشهد النفيسي وكان دائما يسأل عن الشيخ سليمان البجيرمي وكان يقول لا أموت حتى يموت البجيرمي لانه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له انت آخر اقرانك موتا ولم يكن من اقرانه سوى البجيرمي فلذلك كان يسأل عنه ثم مات البجيرمي بقرية تسمى مصطيه ومات هو بعده بنحو ثلاثة أشهر وكانت وفاته في يوم الاثنين خامس عشرين ذي الحجة ولم يحضروا بجنازته الى الازهر بل صلي عليه بالمشهد النفيسي ودفن هناك رحمه الله تعالى عليه ومات الشيخ الفقيه المحدث خاتمة المحققين وعمدة المدققين بقية السلف وعمدة الخلف الشيخ سليمان ابن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي الأزهري المنتهى نسبه الى الشيخ جمعة الزبيدى المدفون ببجيرم نسبة الجابرية

فخرج اليه اعيان اهلها وسالوا الصفح واعتذروا فعفا عنهم لكنه اخذ اموال التجار فغنم شيئا عظيما فلما وصل الخبر الى اياز عاد من الجوزجان الى بلخ فوصل غرة جمادى الاولى فاطاعه اهلها وسار عنها الى ترمذ فى عشرة آلاف فارس فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة فلقيهم عسكر التكين فانهزم اياز فغرق من عسكره فى جيحون اكثرهم وقتل كثير منهم ولم ينج الا القليل

ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند

وفى هذه السنة ايضا فى جمادى الاولى وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة الى سكلكند وبها عثمان عم السلطان ملكشاه و يلقب بامير الامراء فاخذوه اسيرا وعادوا به الى غزنة مع خزائنه وحشمه فجمع الامير كمشتكين بلكابك وهو من اكابر الامراء فتبعهم آثارهم وكان معه انوشتكين جد ملوك خوارزم فى زماننا فلم يدركهم فعاد فملك سكلكند

ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك

لما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة اخيه الب ارسلان سار طالبا للرى يريد الاستيلاء على الممالك فسبقه اليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسار منها اليه فالتقوا بالقرب من همذان فى شعبان وكان العسكر يميلون الى قاورت بك فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه فهزموها وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن دبيس بن مزيد ومن معهما من العرب والاكراد على ميمنة قاورت بك فهزموها وتمت الهزيمة على اصحاب قاورت بك ومضى المنهزمون من اصحاب السلطان ملكشاه الى حلل شرف الدولة وبهاء الدولة فنهبوها غيظا منهم حيث هزموا عسكر قاورت بك ونهبوا ايضا ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى رسول الخليفة وجاء رجل سوادى الى السلطان ملكشاه فاخبره ان عمه قاورت بك فى بعض القرى فارسل من اخذه واحضره فامر سعد الدولة كوهرائين فخنقه واقر كرمان بيد اولاده وسير اليهم الخلع واقطع العرب والاكراد اقطاعات كثيرة لما فعلوه فى الوقعة وكان السبب فى حضور شرف الدولة وبهاء الدولة عند ملكشاه ان السلطان الب ارسلان كان ساخطا على شرف الدولة فارسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى الى شرف الدولة بالموصل فاخذه وسار به الى الب ارسلان ليشفع فيه عند الخليفة فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره ابو جابر بن صقلاب فاخذها شرف الدولة فغرقها وسار مع طراد فبلغهما الخبر بوفاة الب ارسلان ومسير ابنه ملكشاه فتبعاه اليه واما بهاء الدولة فانه كان قد سار مع العسكر الذى ارسله ابوه الى السلطان فحضر الحرب بهذا السبب

ذكر تفويض الامور الى نظام الملك

ثم ان عسكر ملكشاه بسطوا ومدوا ايديهم فى اموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان ان يعطينا الاموال الا نظام الملك فنال الرعية اذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له ما فى هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له افعل فى هذا

فيزوا وصل كتخدا بك من يتعهد بيناه قلعة يا ابرلس وحصل لمصر قلق وانقطعت وغلت الاسعار فى البضائع المجلوبة وعملوا جمعيات ببيت كتخدا بك وبيت السيد عمر النقيب واتفقوا على ارسال ثلاث المراسلات الى محمد على باشا بالجهة القبلية صحبة ديوان افندى (وفى عشرينه) اجتمعوا بالازهر لقراءة صحيح البخارى فى اجزاء صغار (وفيه) حضر ديوان افندى بمكاتبات وفيها طلب جماعة من الفقهاء ليسعوا فى ابرام الصلح بين الامراء المصريين وبين الباشا فوقع الاتفاق على تعيين ثلاثة اشخاص وهم ابن الشيخ الامير وابن الشيخ العروسى والسيد محمد الدواخلى فسافروا فى يوم الاحد سادس عشرينه ووصلت الاخبار بان الانكليز حضروا فى اثنى عشر مركبا وعبروا بغاز اسلامبول وكانوا محترسين فضربوا عليهم بالمدافع من الجهتين فلم يكترثوا ولم يفزعوا ولم يتأخروا ولم يصب الضرب الا مركبا واحدة من الاثنى عشر وعبروا الى منتهى الحال ولم يزالوا سائرين حتى رسوا ببر اسلامبول فهاج كل اهلها وصرخوا وانزعجوا انزعاجا عظيما وايقنوا باخذ الانكليز البلدة ولو ارادوا حرقها لاحرقوها عن آخرها وعند ذلك نزل اليهم السيد على باشا القبطان وهو اخو على باشا الذى كان اخذ بيرامه البرديسى من برج مغزل برشيد فكلموهم وصالحوهم وخرجوا من البغاز سالمين ماعدا

فارقتهم ولم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة واخراجه من مصر فاجتمعوا
وشكوا الى المستنصر وسألوه ان يخرج عنهم ناصر الدولة فأرسل اليه يأمره بالخروج
ويتهدده ان لم يفعل فخرج من القاهرة الى الجيزة ونهبت داره ودور حواشيه وأصحابه
فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفيا الى القائد المعروف بتاج الملوك شادي
فقبل رجله وقال اصطنعني فقال أفعل فاتفقا على قتل مقدم من الاتراك اسمه الدكز
والوزير الخطير وقال ناصر الدولة لشادي تركب في أصحابك وتسير بين القصرين فاذا
أمكنتك الفرصة فيهما فاقتلهما وعاد ناصر الدولة الى موضعه الى الجيزة وفعل شادي
ما أمره فركب الدكز الى القصر فرأى شادي في جمعه فأنكره وأسرع فدخل القصر
ففاته ثم أقبل الوزير في موكبه فقتله شادي وأرسل الى ناصر الدولة يأمره بالركوب
فركب الى باب القاهرة فقال الدكز للمستنصر ان لم تركب والا هلكت انت ونحن
فركب ولبس سلاحه وتبعه خلق عظيم من العامة والجند واصطفوا للقتال فحمل
الاتراك على ناصر الدولة فانهزم وقتل من أصحابه خلق كثير ومضى منهزما على وجهه
لا يلوي على شيء وتبعه فل أصحابه فوصل الى بني سنبس فأقام عندهم وصاهرهم فقوي
بهم وتجهزت العساكر اليه ليبعدوه فساروا حتى قربوا منه وكانوا ثلاث طوائف فأراد
أحد المقدمين ان يفوز بالظفر وحده دون أصحابه فسبق فيمن معه الى ناصر الدولة وحمل
عليه فقاتله فظفر به ناصر الدولة فأخذه أسيرا وأكثر القتل في أصحابه وسير العسكر
الثاني ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤوس القتلى على
الرماح فوقع الرعب في قلوبهم فانهزموا وقتل أكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وسير
العسكر الثالث فانهزموا وكثر القتل فيهم وأسر مقدمهم وعظم أمره ونهب الريف
فأقطعه وقطع الميرة عن مصر برا وبحرا فغلت الاسعار بها وكثر الموت بالجوع وامتدت
أيدي الجند بالقاهرة الى النهب والقتل وعظم الوباء حتى ان أهل البيت الواحد كانوا
يموتون كلهم في ليلة واحدة واشتد الغلاء حتى حكي ان امرأة أكلت رغيفا بألف دينار
فاستبعد ذلك فقيل انها باعت عروضا قيمتها ألف دينار بثلثمائة دينار واشترت بها
حنطة وحملها الحمال على ظهره فنهبت الحنطة في الطريق فنهبت هي مع الناس
فكان الذي حصل لها مما عملته رغيفا واحدا وقطع ناصر الدولة الطريق برا وبحرا
فهلك العالم ومات أكثر أصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الاتراك من
القاهرة ناصر الدولة في الصلح فاصطلحوا على ان يكون تاج الملوك شادي نائبا عن ناصر
الدولة بالقاهرة يحمل المال اليه ولا يبقى معه لاحد حكم فلما دخل تاج الملوك الى
القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالاموال دون ناصر الدولة ولم يرسل اليه منها شيئا فسار
ناصر الدولة الى الجيزة واستدعى اليه شاديا وغيره من مقدمي الاتراك فخرجوا اليه فلما
أتاهم قبض عليهم كلهم ونهب ناحيتي مصر وأحرق كثيرا منها فسير اليه المستنصر
عسكرا فكبسوه فانهزم منهم ومضى هاربا فجمع جمعا وعاد اليهم فقاتلهم فهزمهم
وقطع خطبة المستنصر بالاسكندرية ودمياط وكانا معه وكذلك جميع الريف وأرسل

فتوفي بها ليلة الاثنين وقت العصر ثالث عشر رمضان من السنة المذكورة ٢٠٥ ودفن رحمة الله تعالى عليه ومات
الاجل العلامة والفاضل
الفهامة فريد عصره علما
وعملا ووحيد دهره تفصيلا
وجملا الشيخ مصطفى
العقباوي المالكي نسبة لمنية
عقبة بالجيزة حضر الى الازهر
صغيرا ولازم السيد حسنا البقلي
ثم الشيخ محمدا العقاد المالكي
ثم الشيخ محمدا عبادة العدوي
ملازمة كلية حتى تمهر
في مذهبه في المنقولات وفي
المعقولات وحضر دروس
أشياخ العصر كالشيخ
الدردير والشيخ محمد البيلي
والشيخ الامير وغيرهم
وتصدر لالقاء الدروس وانتفع
به الطلبة واشتهر فضله وكان
انسانا حسن الاخلاق مقبلا
على الافادة والاستفادة
لا يتداخل فيما لا يعنيه
ويأتيه من بلده ما يكفيه
قانعا متورعا متواضعا ومن
مناقبه انه كان يحب افادة
العوام حتى انه كان اذا ركب
مع المكاري يعلمه عقائد
التوحيد وفرائض الصلاة
الى ان توفي يوم الخميس تاسع
عشر جمادى الآخرة ولم
يخلف بعده مثله رحمه الله
تعالى وعفا عنا وعنه ومات
الاجل المعظم المبجل
المدقق المحقق المفضل العالم
العامل الفاضل الكامل
الشيخ علي النجاري المعروف
بالقباني الشافعي مذهبا المكي مولدا المدني اصلا ابن العالم الفاضل الشيخ احمد تقي الدين ابن السيد تقي الدين المنتهي

فوقع حيلة عليهم ثم قوى الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم فاجتمع الاتراك وكتامة
والمصامدة وكانت عدتهم ستة آلاف فالتقوا ووقع بموضع يعرف بكوم الريش واقتتلوا
فانهزم الاتراك ومن معهم الى القاهرة وكان بعضهم قد كمن في خمسمائة فارس فلما
انهزم الاتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة
وضربت البوقات فارتاع العبيد وظنوها مكيدة من المستنصر وانه قد ركب في باقي
العسكر فانهزموا وعاد عليهم الاتراك وحكموا فيهم السيوف فقتل منهم وغرق نحو
من اربعين الفا وكان يوما مشهودا وقويت نفوس الاتراك وعرفوا حسن رأي المستنصر
فيهم وتجمعوا وحشدوا وتضاعفت عدتهم وزادت واجباتهم للانفاق فيهم فخلت
الخزائن واضطربت الامور وتجمع باقي العسكر من الشام وغيره الى الصعيد فاجتمعوا
مع العبيد فصاروا خمسة عشر ألف فارس وراجل وساروا الى الجيزة فخرج عليهم
الاتراك ومن معهم واقتتلوا في المصافقة ايام ثم عبر الاتراك النيل اليهم مع ناصر الدولة
ابن حمدان فاقتتلوا فانهزم العبيد الى الصعيد وعاد ناصر الدولة والاتراك منصورين ثم
ان العبيد اجتمعوا بالصعيد في خمسة عشر الف فارس وراجل فقلق الاتراك لذلك فحضر
مقدموهم دار المستنصر فشكوا حالهم فامرت ام المستنصر من عندها من العبيد
بالهجوم على المقدمين والفتك بهم ففعلوا ذلك وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب الى ظاهر
البلد واجتمع الاتراك اليه ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ومن معهم من مصر
والقاهرة وحلف الامير ناصر الدولة بن حمدان انه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاما حتى
ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة ايام ثم ظفر بهم ناصر الدولة واكثر القتل فيهم
ومن سلم هرب وزالت دولتهم من القاهرة وكان بالاسكندرية جماعة كثيرة من العبيد فلما
كانت هذه الحادثة طلبوا الامان فامنوا واخذت منهم الاسكندرية وبقي العبيد الذين
بالصعيد فلما خلت الدولة للاتراك طمعوا في المستنصر وقل ناموسه عندهم وطلبوا
الاموال فخلت الخزائن فلم يبق فيها شئ البتة واختل ارتفاع الاعمال وهم يطالبون
واعتذر المستنصر بعدم الاموال عنده فطلب ناصر الدولة العروض فاخرجت اليهم
وقومت بالثمن البخس وصرفت الى الجند قيل ان واجب الاتراك كان في الشهر عشرين
الف دينار فصار الآن في الشهر اربعمائة الف دينار واما العبيد بالصعيد فانهم افسدوا
وقطعوا الطريق واخافوا السبيل فسار اليهم ناصر الدولة في عسكر كثير فمضى العبيد
من بين يديه الى الصعيد الاعلى فادركهم فقاتلهم وقاتلوه فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد
الى الجيزة بمصر واجتمع اليه من سلم من اصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية
العبيد والميل اليهم ثم جهزوا جيشا وسيروه الى طائفة من العبيد بالصعيد فقاتلوهم
فقتل تلك الطائفة من العبيد فهزم الباقون وزالت دولتهم وعظم امر ناصر الدولة
وقويت شوكته وتفرد بالامر دون الاتراك فامتنعوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت
نياتهم له فشكوا ذلك الى الوزير وقالوا كلما خرج من الخليفة مال أخذ اكثره له
ولحاشيته ولا يصل الينا منه الا القليل فقال الوزير انما وصل الى هذا وغيره بكم فلو

بالقرب من منية ابن خصيب وينتهي نسب الشيخ جمعة المذكور الى سيدي محمد بن الحنفية ولد ببجيرم قرية من الغربية سنة احدى وثلاثين [3] ومائة والف وحضر الى مصر صغيرا دون البلوغ ورباه قريبه الشيخ موسى البجيرمي وحفظ القرآن ولازم الشيخ المذكور حتى تأهل لطلب العلوم وحضر على الشيخ العشماوي في الصحيحين وابي داود والترمذي والشفاء والمواهب وشرح المنهج لشيخ الاسلام وشرحي المنهاج لكل من الرملي وابن حجر وحضر دروس الشيخ الحفني واجازه الملوي والجوهري والمدابغي واخذ عن الديربي وغيره وحضر ايضا دروس الشيخ علي الصعيدي والسيد البليدي وشارك كثيرا من الاشياخ كالشيخ عطية الاجهوري وغيره وكان انسانا حسنا حميد الاخلاق منجمعا عن مخالطة الناس مقبلا على شانه وقد انتفع به اناس كثيرون وكف بصره بعدنا وعمر وتجاوز المائة سنة ومن تآليفه بايدي الطلبة حاشية على المنهج واخرى على الخطيب وغير ذلك وقبل وفاته اقرا في مصطبة بالقرب من بجيرم

[3] قوله سنة احدى وثلاثين الخ هكذا في النسخ لكن لا يناسبه قوله الآتي فيه وتجاوز المائة اذ لا يتأتى مجاوزته المائة الا ان يكون ولد قبل هذا التاريخ بنحو عشر سنوات اه مصحح

فارقتموه

بن عبد الصمد بن المهتدي بالله المعروف بابن الغريق وكان يسمى راهب بني العباس وهو آخر من حدث عن الدارقطني وابن شاهين وغيرهما وكان موته ببغداد وفيها قتل ناصر الدولة أبو علي الحسن بن حمدان بمصر قتله الدكز التركي وقد تقدم شرحه وفي وفيها توفي الامام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري مصنف الرسالة وغيرها وكان اماما فقيها اصوليا مفسرا كاتبا ذا فضائل جمة وكان له فرس قد اهدى اليه فركبه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئا فمات اسبوعا ومات وفيها ايضا توفي علي بن الحسن بن علي بن الفضل ابو منصور الكاتب المعروف بابن صربعر وكان نظام الملك قال له انت ابن صردر لا صربعر فبقي ذلك عليه وهو من الشعراء المجيدين وهجاه ابن البياضي فقال

لئن نبز الناس قدما اباك ... فسموه من شح صربعرا
فانك تنثر ما صره ... عقوقا له وتسميه شعرا

وهذا ظلم من ابن البياضي فانه كان شاعرا محسنا ومن شعر ابن صردر قوله

تراودني عن اذرعات يمينا ... نواشز ليس يطعن البرينا
كلفن بنجد كأن الرياض ... اخذن لنجد عليها يمينا
واقسمن يحملن الا نحيلا ... اليه ويبلغن الا حزينا
فلما استمعن زفير المشوق ... ونوح الحمام تركن الحنينا
اذا جئتما بانة الواديين ... فارخوا النسوع وحلوا الوضينا
فثم علائق من اجلهن ... ملأت الدجى والضحى قد طوينا
وقد انبأتهم مياه الجفون ... بان بقلبك داء دفينا

(ثم دخلت سنة ست وستين واربعمائة)

(ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه)

في هذه السنة في صفر ورد كوهرائين الى بغداد من عند السلطان وجلس له الخليفة القائم بامر الله ووقف على رأسه ولي العهد المقتدي بامر الله وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير اوله وسلم اليه اللواء عقده الخليفة بيده ولم يمنع يومئذ احد من الدخول الى دار الخلافة فامتلأ صحن السلام بالعامة حتى كان الانسان تهمه نفسه ليتخلص وهنأ الناس بعضهم بعضا بالسلامة

(ذكر غرق بغداد)

في هذه السنة غرق الجانب الشرقي وبعض الغربي من بغداد وسببه ان دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء في الليل سيل عظيم وطفح الماء من البر مع ريح شديدة وجاء الماء الى المنازل من فوق ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقي وهلك خلق كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق وقام الخليفة يتضرع ويصلي وعليه البردة وبيده القضيب واني ايتكين

وعلى الشيخ عبد الله الادكاوي وغيرهم وله مؤلفات منها نظم الاجرومية على منظومته في علم الكلام ومنها تقريره على الزملي وهو جداول ضخم ومنها شرح بديعيته التي سماها مراقي الفرج في مدح عالي الدرج وله ديوان شعر صغير غالبه جيد وكان في مدة انقطاعه لا يشتغل بغير المطالعة وتحصيل الكتب الغريبة وقيدوالده السيد سلامة باشغال تجارتهم ووالده السيد احمد لا يستغني امامه فيما يريد منها لشيء وكانت داره في غالب الاوقات لا تخلو من المترددين الى ان توفي ليلة السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة وعمره سبع وثمانون سنة وصلى عليه بالازهر ودفن بمقبرة اخيه بباب الوزير وخلف ولديه المذكورين وكان وجيها لطيفا محبوبا للنفوس وبعاز رحمه الله تعالى عليه ● ومات صاحبنا الاجل المعظم والوجيه المكرم الاميرذو الفقار البكري نسبة ونسابة وهو مملوك السيد محمد ابن علي افندي البكري الصديقي اشتراه سيده المذكور عام احدى وسبعين ومائة والمغبور باه واحبه واعتقه وزوجه ابنته وتشاق عزوزاهية وسيادة وعفة وطيب خيم وعلوهمة ولما توفي سيده اتحد بولده السيد محمد افندي وهو اخو زوجته اتحادا كليا بحيث صارا كالاخوين لا يصبر احدهما عن الآخر ساعة واحدة وسكنهما

نسبة الى ابى سعيد الخدرى وهو سعد بن ٣٦ مالك بن دينار بن تيم الله بن ثعلبة الخارى احد بطون الخزرج وينتهى

الى الخليفة ببغداد يطلب خلعا ليخطب له بمصر واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره
وتفرق الناس من القاهرة وارسل ناصر الدولة اليه ايضا يطلب المال فرآه الرسول
جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيأ من آثار المملكة فلما
أدى الرسالة قال أما يكفى ناصر الدولة ان اجلس فى مثل هذا البيت على مثل هذا
الحصير فبكى الرسول وعاد الى ناصر الدولة فاخبره الخبر فاجرى له كل يوم مائة دينار وعاد
الى القاهرة وحكم فيها واذل السلطان واصحابه وكان الذى حمله على ذلك أنه كان يظهر
التسنن من بين أهله ويعيب المستنصر وكان المغاربة كذلك فاعانوه على ما أراد
وقبض على ام المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار وتفرق عن المستنصر أولاده
وكثير من أهله الى الغرب وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعا وانقضت
سنة اربع وستين وما قبلها بالفتن وانحط السعر سنة خمس وستين ورخصت الاسعار
وبالغ ناصر الدولة فى اهانة المستنصر وفرق عنه عامة اصحابه وكان يقول لاحدهم انى
أريد ان أوليك عمل كذا فيسير اليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود وكان غرضه
بذلك ان يخطب للخليفة القائم بامر الله ولا يمكنه مع وجودهم فتفطن لفعله قائد كبير من
الاتراك اسمه الدكز وعلم انه متى تم ما اراده تمكن منه ومن اصحابه فاطلع على ذلك غيره
من قواد الاتراك فاتفقوا على قتل ناصر الدولة وكان قد امن لقوته وعدم عدوه فتواعدوا
ليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التى تواعدوا فيها على قتله جاؤا الى بابه بدار وهى
التى تعرف بمنازل العز وهى على النيل فدخلوا من غير استئذان الى صحن دار فخرج
اليهم ناصر الدولة فى رداء لانه كان آمنا منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب
منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه واخذوا رأسه ومضى رجل منهم يعرف
بكوكب الدولة الى فخر العرب أخى ناصر الدولة وكان فخر العرب كثير الاحسان اليه
فقال للحاجب استأذن لى على فخر العرب وقل صنيعتك فلان على الباب فاستأذن له
فاذن له وقال اهله قد دهمه أمر فلما دخل عليه اسرع نحوه كانه يريد السلام عليه وضربه
بالسيف على كتفه فسقط الى الارض فقطع رأسه واخذ سيفه وكان ذا نعمة وافرة واخذ
جارية له اردفها خلفه وتوجها الى القاهرة وقتل اخوهما تاج المعالى وانقطع ذكر
الحمدانية بمصر بالكلية فلما كان سنة ست وستين واربعمائة فوض الامر بمصر لبدر
الجمالى امير الجيوش وقتل الدكز والوزير ابن كدينة وجماعة من المصلحية وتمكن من
الدولة الى ان مات وولى بعده ابنه الافضل وسيرد ذكرهما ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة اقيمت الدعوة العباسية بالبيت المقدس وفيها توفى الامير ليث بن منصور
صدقة بن الحسين بالدامغان والشريف ابو الغنائم عبد الصمد بن على بن محمد بن
المأمون ببغداد وكان موته فى شوال ومولده سنة اربع وسبعين وثلثمائة وكان عالى
الاسناد فى الحديث وفيها فى ذى الحجة توفى الشريف ابو الحسين محمد بن على بن عبد الله

تنسب أخواله الى السيد
احمد الناصح بن عبد الله بن
ادريس بن عبد الله بن
الحسن الانور ابن سيدنا
الحسن السبط رضى الله تعالى
عنه ولد المترجم بمكة سنة
اربع وثلاثين ومائة وقدم
الى مصر مع ابيه واخيه السيد
حسن سنة احدى وسبعين
ومائة فلقلة وصولهم مرض
أخوه المذكور وتوفى صبح
ثالث يوم فجزع والده لذلك
جزعا شديدا وتشاءم به
وعزم على السفر الى مكة ثانيا
ولم يتيسر له ذلك الا اواخر
شوال من السنة المذكورة
وبقى المترجم واشتغل
بتحصيل العلوم وشراء
الكتب النافعة واستكتابها
وشارك اشياخ العصر فى
الافادة والاستفادة مع
مباشرة شغل تجارتهم من
بيع الارساليات التى ترد
اليه من اولاد أخيه من جدة
ومكة وشراء ما يشترى
وارساله لهم الى ان عرض
وانقطع ببيته الذى بخطة عابدين
تخرج بشيخنا الاستاذ الحفنى
سنة تسع ومائتين وكان عالما
ماهرا واديبا شاعرا تخرج على
والده وعلى غيره بمكة وعلى كثير
من اشياخ العصر المتقدمين
كالشيخ الغنيماوى ٣
والشيخ الحفنى والشيخ العدوى

٣ قوله الغنيماوى فى بعض النسخ العماوى اه

ابو محمد الكتاني الدمشقي الحافظ وكان مكثرا في الحديث ثقة وممن سمع منه الخطيب ابو بكر البغدادي

(ثم دخلت سنة سبع وستين واربعمائة)

(ذكر وفاة القائم بامر الله وذكر بعض سيرته)

في هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم بامر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه واسمه عبد الله ابو جعفر بن القادر بالله أبي العباس احمد ابن الامير اسحق بن المقتدر بالله ابي الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابي العباس احمد وكان سبب موته انه كان قد اصابه ماشرا فافتصد ونام منفردا فانفجر فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته فايقن بالموت فاحضر ولي العهد ووصاه بوصايا واحضر النقيبين وقاضي القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير واشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه ابا القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله ولي عهده ولما توفي غسله الشريف ابو جعفر ابن ابي موسى الهاشمي وصلى عليه المقتدي بامر الله وكان عمره ستا وسبعين سنة وثلاثة اشهر وخمسة ايام وخلافته اربعا واربعين سنة وثمانية اشهر وايام وقيل كان مولده ثامن عشر ذي الحجة سنة احدى وتسعين وثلثمائة وعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة اشهر وخمسة وعشرين يوما وامه ام ولد تسمى قطر الندى ارمنية وقيل رومية ادركت خلافته وقيل اسمها علم وماتت في رجب سنة اثنتين وخمسين واربعمائة وكان القائم جميلا مليح الوجه ابيض مشربا بحمرة حسن الجسم ورعا دينا زاهدا عالما قوي اليقين بالله تعالى كثير الصبر وكان للقائم عناية بالادب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضي اكثر ما يكتب من الديوان فكان يصلح فيه اشياء وكان مؤثرا للعدل والانصاف يريد قضاء حوائج الناس لا يرى المنع من شيء يطلب منه قال محمد بن علي بن عامر الوكيل دخلت يوما الى المخزن فلم يبق احد الا اعطاني قصة فامتلأت اكمامي منها فقلت في نفسي لو كان الخليفة ابي لاعرض عن هذه كلها فالقيتها في بركة والقائم ينظر ولا اشعر فلما دخلت اليه امر الخدم باخراج الرقاع من البركة فاخرجت ووقف عليها ووقع فيها باغراض اصحابها ثم قال لي يا عامي ما حملك على هذا فقلت خوف الضجر منها فقال لا تعد الى مثلها فانا ما اعطيناهم من اموالنا شيئا انما نحن وكلاء ووزر للقائم ابو طالب محمد بن ايوب وابو الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وابو نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وابو عبد الله الدامغاني

(ذكر خلافة المقتدي بامر الله)

لما توفي القائم بامر الله بويع المقتدي بامر الله عبد الله بن محمد بن القائم بالخلافة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ ابو اسحق وابو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضي القضاة ابو عبد الله الدامغاني وغيرهم من الاعيان والاماثل فبايعوه وقيل كان

وممات الأمير الكبير والضرغام الشهير محمد بك الالفي المرادي جلبه بمصر ٢٩ التجار الى مصر في سنة تسع وتسعين ومائة وألف فاشتراه احمد جاويش المعروف بالمجنون فاقام بيته اياما فلم تعجبه اوضاعه لكونه كان ماجنا سفيها عازما فطلب منه بيع نفسه فباعه لسليم اغا الغزاوي المعروف بتمرلنك فاقام عنده شهورا ثم اهداه الى مراد بك فاعطاه في نظيره ألف اردب من الغلال فلذلك سمي بالالفي وكان جميل الصورة فاحبه مراد بك وجعله جوخداره ثم اعتقه وجعله كاشفا بالشرقية وعمر دارا بناحية الخطة المعروفة بالشيخ ظلام وانشأ هنالك حماما بتلك الخطة عرفت به وكان صعب المراس قوي الشكيمة وكان مجاورا على اغا المعروف بالتوكلي فدخل عليه وتشفع عنده في أمر فقبل رجاه ثم نكث فحنق منه واحتد ودخل عليه في داره يفاوده و يعاتبه فرد عليه بغلظة فامر الخدم بضربه فبطحوه وضربوه بالعصي المعروفة بالنبابيت فنالهم ذلك ومات بعد يومين فشكوه الى استاذه مراد بك فنفاه الى بحري فعسف بالبلاد مثل غزة ومعاوبص وباد نبال ورشيد واخذ منهم اموالا فشكوا منه الى استاذه وكان بعد ذلك وفي اثناء ذلك وقع خلاف بين الامراء وهو اسليمان بك الاغا واخاه ابراهيم بك ومصطفى بك كذا كرذلك في محله واوصل اليه مراد بك وأمره ان يتعين

السلطاني من عسكره فقال الوزير ان الملاحين يؤذون الناس في المعابر فاحضرهم وتهددهم بالقتل وامر باخذ ما جرت به العادة وجمع الناس واقيمت الخطبة للجمعة في الطيار مرتين وغرق من الجانب الغربي مقبرة احمد ومشهد باب التبن وتهدم سوره فاطلق شرف الدولة الف دينار تصرف في عمارته ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدي ومن عجيب ما يحكى في هذا الغرق ان الناس في العام الماضي كانوا قد انكروا كثرة المغنيات والخمور وقطع بعضهم اوتار عود مغنية كانت عند جندي وثار بها الجندي الذي كانت عنده فضربه فاجتمعت العامة ومعهم كثير من الائمة منهم ابو اسحق الشيرازي واستغاثوا الى الخليفة وطلبوا هدم المواخير والخانات وتعطيلها فوعدهم ان يكاتب السلطان في ذلك فسكنوا وتفرقوا ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه فاتفق ان غرقت بغداد ونال الخليفة والجند من ذلك امر عظيم وعمت مصيبته كافة الناس فرأى الشريف ابو جعفر بن موسى بعض الحجاب الذين يقولون نحن نكاتب السلطان ونسعى في تفريق الناس ويقول اسكتوا الى ان يرد الجواب فقال له ابو جعفر قد كتبنا وكتبتم فاجوابنا قبل جوابكم يعني انهم شكوا امرهم الى الله تعالى وقد اجابهم بالغرق قبل ورود جواب السلطان

﴿ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند﴾

قد ذكرنا ان خاقان التكين صاحب سمرقند ملك ترمذ بعد قتل السلطان الب ارسلان فلما استقامت الامور للسلطان ملكشاه سار الى ترمذ وحصرها وطم العسكر خندقها ورماها بالمنجنيق فخاف من بها فطلبوا الامان فامنهم وخرجوا منها وسلموها وكان بها اخ لخاقان التكين فاكرمه السلطان وخلع عليه واحسن اليه واطلقه وسلم قلعة ترمذ الى الامير ساوتكين وامره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم وحفر خندقها وتعميقه ففعل ذلك وسار السلطان ملكشاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وانفذ يطلب المصالحة ويتضرع الى نظام الملك في اجابته الى ذلك ويعتذر من تعرضه الى ترمذ فاجيب الى ذلك واصطلحوا وعاد ملكشاه عنه الى خراسان ثم منها الى الري واقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين تكش

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها توفي زعيم الدولة ابو الحسن بن عبد الرحيم بالنيل وله سبعون سنة وقد تقدم من اخباره ما فيه كفاية وفيها توفي اياز اخو السلطان ملكشاه وكفي شره كما كفي شر عمه قاورت بك وفيها في ربيع الاول توفي القاضي ابو الحسين بن ابي جعفر السمناني صهر قاضي القضاة ابي عبد الله الدامغاني وولي ابنه ابو الحسن ما كان اليه من القضاء بالعراق والموصل وكان مولده سنة اربع وثمانين وثلثمائة بسمنان وكان هو وابوه من الغالين في مذهب الاشعري وله فيه تصانيف كثيرة وهذا مما يستطرف ان يكون حنفي اشعريا وفيها في جمادى الآخرة توفي عبد العزيز احمد بن محمد بن علي

ابو

واحدق بيتهم الكبير بالازبكية ولما توفي السيد محمد افندي اشتغل المترجم بالسكنى في الدار الى ان حضر الفرنساوية فخرج مع من خرج من مصر الى ناحية الشام ونهبت كتبه وداره ثم رجع بامان في ايام الفرنساوية فوجد الدار قد سكنها الفرنساوية فاشترى دار القيرجي بحارة عابدين وجددها لنظامه ولما حصلت حادثة تعصب الاروام العثمانية مع الامراء المصريين التي خرج فيها ابراهيم بك والبرديسي وامراؤهم نهبت داره المذكورة ايضا فيما نهب فانتقل الى ناحية الازهر ثم سكن بحارة السبع قاعات بالاجرة واقتنى كتبا شراء واستكتابا وجمع عدة اجزاء متفرقة من تاريخ مرآة الزمان لابن الجوزي وخطط المقريزي وغيرها الى ان اخترمته المنية ومات فجاة يوم الثلاثاء في ثاني عشرين رجب من السنة قبيل الغروب وصلي عليه في صبحها بالازهر في مشهد حافل ودفن بتربة البكرية بظاهر قبة الامام الشافعي وكان انسانا حسنا محبوبا لجميع الناس وجيه الذات مليح الصفات حسن المفاكهة والمعاشرة متوقد الفطنة صادق الفراسة ساكن الجاش وقورا ادوبا محتشما وخلف من بعده السيد محمد المعروف بالغزاوي المرزوق له من ابنة سيده المذكور لتكونه ولد بغزة حين كانوا بالشام انشاه الله انشاء صالحا وبارك فيه

عمر بن ابراهيم الخيامي وأبو المظفر الاسفزاري وميمون بن النجيب الواسطي وغيرهم وخرج عليه من الاموال شئ عظيم وبقي الرصد دائرا الى ان مات السلطان سنة خمس وثمانين واربعمائة فبطل بعد موته

(ثم دخلت سنة ثمان وستين واربعمائة)

٥(ذكر ملك الاقسيس دمشق)٥

قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ملك اقسيس الرملة والبيت المقدس وحصره مدينة دمشق فلما عاد عنها جعل يقصدها كل سنة عند ادراك الغلات فيأخذها فيقوى هو وعسكره ويضعف اهل دمشق وجندها فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار الى دمشق فحصرها واميرها المعلى بن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها في شوال فهرب اميرها المعلى في ذي الحجة وكان سبب هربه انه اساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثر الدعاء عليه وثار به العسكر واعانهم العامة فهرب منها الى بانياس ثم منها الى صور ثم اخذ الى مصر فحبس بها فمات محبوسا فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودي المعروف برزين الدولة وغلت الاسعار بها حتى اكل الناس بعضهم بعضا ووقع الخلف بين المصامدة واحداث البلد وعرف اقسيس ذلك فعاد الى دمشق فنزل عليها في شعبان من هذه السنة فحصرها فعدمت الاقوات فبيعت الغرارة اذا وجدت باكثر من عشرين دينارا فسلموها اليه بامان وعوض انتصار عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها هو وعسكره في ذي القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذي القعدة للمقتدي بامر الله الخليفة العباسي وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين وتغلب على اكثر الشام ومنع الاذان بحي على خير العمل ففرح اهلها فرحا عظيما وظلم اهلها واساء السيرة فيهم

٥(ذكر عدة حوادث)٥

في هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج واخذها من الروم وفيها قدم سعد الدولة كوهرائين شحنة الى بغداد من عسكر السلطان ومعه العميد ابو نصر ناظرا في اعمال بغداد وفيها وثب الجند بالبطيحة على اميرها ابي نصر بن الهيثم وخالفوا عليه فهرب منهم وخرج من ملكه والذخائر والاموال التي جمعها في المدة الطويلة ولم يصح من ذلك جميعه شئ وصار نزيلا على كوهرائين شحنة العراق وفيها انفجر البثوق بالفلوجة وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الاعمال من بلاد دبيس بن مزيد فجلا اهل البلاد ووقع الوباء فيهم ولم يزل كذلك الى ان سده عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين وسبعين وفي هذه السنة توفي ابو علي الحسن بن القاسم بن محمد المقري المعروف بغلام الهراس الواسطي بها وكان محدثا علامة في كثير من العلوم وفي شعبان توفي القاضي ابو الحسين محمد بن محمد البيضاوي الفقيه الشافعي وكان يدرس الفقه بدرب السلولي

اقام بها الصعيد زمانا نحو من اربع سنوات في تلك المدة يترددون نقله ٤١ واشتهرت نفسه وتعلق قلبه بمطالعة الكتب والنظر في جزئيات العلوم والفلكيات والهندسيات واشكال الرمل والزايرجات والاحكام النجومية والتقاويم ومنازل القمر وانوائها ويسال عن ليلة المنام فلذلك فيطالبه لينتفع منه واقتنى كتبا في انواع العلوم والتواريخ واعتكف بداره القديمة ورغب في الانفراد وترك الحالة التي كان عليها قبل ذلك واقتصر على علايكه والاقطاعات التي بيده واستمر على ذلك مدة من الزمان فثقل هذا الامر على اهل دائرته وبدا يتفرق اعين خشداشينه ويضعف جانبه وحققوا ايما كتموه وتحاسروا عليه وطمعوا اذاهم وتطلع ادونهم للترفع اليه فلم يسهل به ذلك واستعمل الامر الاوسط وسكن بدار احمد جاويش القزدوغلي بدرب سعادة وعمر القصر الكبير بمصر القديمة بشاطئ النيل تجاه المقياس وانشأ ايضا قصرا فيما بين باب النصر والدمرداش وجعل غالب اقامته فيهما واكثر من شراء المماليك وصار يدفع فيهم الاموال الكثيرة لجلابين ويدفع لهم اموالا مقدمات ثمنهم وكذلك الجواري حتى اجتمع عنده نحو الالف غلام خلاف الذي عنده كتابه ... والاوسعين كمفتا الواحد منهم دائرته قدر دائرة صنجق من

أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي فإنه لما فرغ من غسل القائم بايعه وأنشده

إذا سيد منا مضى قام سيد

ثم ارتج عليه فقال المقتدي ... قؤول بما قال الكرام فعول

فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سواه فإن الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفي أيام أبيه ولم يكن له غيره فأيقن الناس بانقراض نسله وانتقال الخلافة من البيت القادري الى غيره ولم يشكوا في اختلال الاحوال بعد القائم لان من عدا البيت القادري كانوا يخالطون العامة في البلد ويجرون مجرى السوقة فلو اضطر الناس الى خلافة احدهم لم يكن له ذلك القبول ولا تلك الهيبة فقدر الله تعالى ان الذخيرة أبا العباس كان له جارية اسمها ارجوان وكان يلم بها فلما توفي ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عقبه ذكرت انها حامل فتعلقت النفوس بذلك فولدت بعد موت سيدها بستة أشهر المقتدي فاشتد فرح القائم وعظم سروره وبالغ في الاشفاق عليه والمحبة له فلما كانت حادثة البساسيري كان للمقتدي قريب اربع سنين فأخفاه اهله وحمله أبو الغنائم بن المحلبان الى حران كما ذكرنا ولما عاد القائم الى بغداد أعيد المقتدي اليه فلما بلغ الحلم جعله ولي عهده ولما ولي الخلافة أقر فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية من القائم بذلك وسير عميد الدولة بن فخر الدولة ابن جهير الى السلطان ملكشاه لاخذ البيعة وكان مسيره في شهر رمضان وارسل معه من انواع الهدايا ما يجل عن الوصف

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شوال وقعت نار ببغداد في دكان خباز بنهر المعلى فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكانا سوى الدور ثم وقعت نار في المأمونية ثم في الظفرية ثم في درب المطبخ ثم في دار الخليفة ثم في حمام السمرقندي ثم في باب الازج ودرب خراسان ثم في الجانب الغربي في نهر طابق ونهر القلائين والقطيعة وباب البصرة فاحترق ما لا يحصى وفيها ارسل المستنصر بالله العلوي صاحب مصر الى صاحب مكة ابن ابي هاشم رسالة وهدية جليلة وطلب منه ان يعيد له الخطبة بمكة حرسها الله تعالى وقال ان ايمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان الب ارسلان وقد ماتا فخطب له بمكة وقطع خطبة المقتدي وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة اربع سنين وخمسة اشهر ثم اعيدت في ذي الحجة سنة ثمان وستين وفيها كانت حرب شديدة بين بني رياح وزغبة ببلاد افريقية فقويت بنو رياح على زغبة فهزموهم واخرجوهم من البلاد وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم وفيها ايضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين في عمله منهم

على مصطفى بك ويذهب بها الى اسكندرية منها ثم يعود هو الى مصر فقتل ورجع المترجم الى مصر فعند ذلك قلدوه الصنجقية وذلك في سنة اثنتين وتسعين ومائة والف واشتهر بالفجور وخافته الناس وتحاموا شقته وسكن ايضا بدار بناحية قيسون وذلك عندما احترقت داره وهدم داره القديمة ايضا ووسعها وانشأها انشاء جديدا واشترى المماليك الكثيرة وامر منهم امراء وكشافا فمشوا على طريقته في التعدي والعسف والفجور ويخافون من تجبره عليهم والتزم باقطاع قرشوط وغيرها من البلاد القبلية ومن البلاد البحرية محلة دمنة وملبج وزوبر وغيرها وتقلد كشوفية شرقية بلبيس ونزل اليها وكان يغير على ما بتلك الناحية من اقطاعات وغيرها واخاف جميع عربان تلك الجهة وجميع قبائل الناحية ومنعهم من التعدي والجور على الفلاحين بتلك النواحي حتى خافه الكثير من العربان والقبائل وكانوا يخشونه وصادوهم بالمشاركة منهم وقبض على الكثير من كبرائهم وحبسهم في الجنازير وصادرهم في اموالهم ومواشيهم وفرض عليهم المغارم والجمال ولم يزل على حالته وسطوته الى ان حضر حسن باشا الجزايرلي الى مصر فخرج المترجم مع من خرج برفقته الى الناحية القبلية ثم رجع معه في اواخر سنة خمس ومائتين بعد الالف بعد الطاعون الذي مات فيه اسمعيل بك وذلك بعد

بهم فاعاد الجواب بانه عاجز عن دفع هذا العدو فقالوا انحن نرسل اليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ومن ابصر له سلاح نعطيه من عندك سلاحا وعسكر هذا العدو قد امنوا وتفرقوا في البلاد فنثور بهم في ليلة واحدة وتقتلهم وتخرج انت اليه فمن اجتمع عنده من الرجال فلا يكون له بك قوة فاجابهم الى ذلك وارسلوا اليه الرجال وثاروا كلهم في ليلة واحدة بمن عندهم فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم الا من كان عنده في عسكره وخرج اليه العسكر الذي عند المستنصر بالقاهرة فلم يقدر على الثبات لهم فولى منهزما وعاد الى الشام وكفى اهل مصر شره وظلمه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ورد بغداد ابو نصر ابن الاستاذ ابي القاسم القشيري حاجا وجلس في المدرسة النظامية يعظ الناس وفي رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لانه تكلم على مذهب الاشعري ونصره وكثر اتباعهم والمتعصبون له وقصد خصومهم من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للقشيري الشيخ ابو اسحق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الاعيان وجرت بين الطائفتين امور عظيمة وفيها تزوج الامير علي بن ابي منصور بن فرامرز بن علاء الدولة ابي جعفر بن كاكويه ارسلان خاتون بنت داود عمة السلطان ملكشاه التي كانت زوجة القائم بامر الله وفيها كان بالجزيرة والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقي من كثير الغلات ليس لها من يحملها لكثرة الموت في الناس وفيها مات محمود بن نصر بن صالح صاحب حلب وملك بعده ابنه نصر فمدحه ابن حيوس بقصيدة يقول فيها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها ٭ فلا افترقت ما ذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى ٭ ولفظك والمعنى وعزمك والنصر
وكان لمحمود ابو نصر حبيبة ٭ وطالب ظني ان سيخلفها نصر

فقال والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها واعطاه ما كان يعطيه ابوه وهو الف دينار في طبق فضة وكان على بابه جماعة من الشعراء فقال بعضهم

على بابك المعمور منا عصابة ٭ مفاليس فانظر في امور المفاليس
وقد قنعت منك العصابة كلها ٭ بعشر الذي اعطيته لابن حيوس
وما بيننا هذا التفاوت كله ٭ ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فقال لو قال بمثل الذي اعطيته لاعطيتهم ذلك وامر لهم بمثل نصفه وفيها توفي اسبهدوست ابن محمد بن الحسن ابو منصور الديلمي الشاعر وكان قد لقي ابن الحجاج وابن نباتة وغيرهما وكان يتشيع وترك وقال في ذلك

واذا سئلت عن اعتقادي قلت ما ٭ كانت عليه مذاهب الابرار
واقول خير الناس بعد محمد ٭ صديقه وانيسه في الغار

وفيها توفي رئيس العراقين ابو احمد النهاوندي الذي كان عميد بغداد والشريف ابو جعفر

[سعودي الذي بمحلة الساكن فيما بينه وبين قنطرة الدكة من احمد آغا شويكار وهدموا وقف في شباك على العمارة كتخدا هذا الفقار ارسله قبل مجيئه من ناحية الشام فتسلموا منه صورة وضعه في كاغد كبير فاقام جدرانه وحيطانه وحضرهو في اثناء ذلك ووجد قد اخطا الرسم فاغتاظ وهدم غالب ذلك وهندسه على مقتضى عقله واجتهد في بنائه واوقف ارباب العمل من كبار امرائه على تلك العمارة كل امير في جهة من جهاته الاربع يحثون الصناع ومعهم اكثر اتباعهم وعمالهم وعملوا عدة قناطر لحرق الاحجار وعمل النورة وكذلك ركبوا طواحين الجبس لخدمته وكل ذلك بجانب العمارة وقطعوا الاحجار الكبار ونقلوها في المراكب من طرا الى جانب العمارة بالازبكية ثم نشروها بالمناشير الواحا كبارا لتبليط الارض وعمل الدرج والفسحات واحضروا لها الاخشاب المتنوعة من بولاق واسكندرية ورشيد ودمياط واشترى بيت حسن كتخدا الشعراوي المطل على بركة الرطلي من عتقائه وهدمه ونقل اخشابه وانقاضه الى العمارة وكذا نقلوا اليه انواع الرخام والاعمدة ولم يزل الاجتهاد في العمل حتى تم على المنوال الذي اراده ولم يجعل له خرجات ولا حرمدانات بارزة عن اصل البناء ولا رواشن بل جعله ساذجا مرصوص المتانة وطول البقاع ثم ركبوا على فرجاته

بالكرخ وهو زوج ابنة القاضي ابي الطيب الطبري وعبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود ابو الحسن بن ابي طلحة الداودي راوي صحيح البخاري ولد سنة اربع وسبعين وثلثمائة وسمع الحديث وتفقه للشافعي على ابي بكر القفال وابي حامد الاسفرايني وصحب ابا علي الدقاق وابا عبد الرحمن السلمي وكان عابدا خيرا قصده نظام الملك فجلس بين يديه فوعظه وكان في قوله ان الله تعالى سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه اذا سالك عنهم فبكي وكان موته ببوشنج وفيها توفي ابو الحسن علي بن احمد بن محمد ابن متويه الواحدي المفسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز في التفسير وهو نيسابوري امام مشهور وابو الفتح منصور بن أحمد بن دارست وزير القائم توفي بالاهواز ومحمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابوري الفقيه الشافعي تفقه على ابي محمد الجويني وسمع من الحاكم أبي عبد الله وابي عبد الرحمن السلمي وغيرهما وفيها توفي مسعود بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضي الشاعر له شعر مطبوع فمنه قوله

يامن لبست لبعده ثوب الضنا ۝ حتى خفيت به عن العواد
وانست بالسهر الطويل فانست ۝ اجفان عيني كيف كان رقادي
ان كان يوسف بالجمال مقطع الايدي فانت مفتت الاكباد

(ثم دخلت سنة تسع وستين واربعمائة)

۝(ذكر حصر اقسيس مصر وعوده عنها)۝

في هذه السنة سار الاقسيس من دمشق الى مصر وحصرها وضيق على اهلها ولم يبق الا ان يملكها فاجتمع اهلها مع ابن الجوهري الواعظ في الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا فقبل الله دعاءهم فانهزم الاقسيس من غير قتال وعاد على اقبح صورة بغير سبب فوصل الى دمشق وقد تفرق اصحابه فراى اهلها قد صانوا مخلفيه وامواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة واتى البيت المقدس فراى اهله قد هجوا اهل اصحابه ومخلفيه وحصروهم في محراب داود عليه السلام فلما قارب البلد تحصن اهله منه وسبوه وقاتلهم ففتح البلد عنوة ونهبه وقتل من اهله فاكثر حتى قتل من التجا الى المسجد الاقصى وكف عمن كان عند الصخرة وحدها كذا يذكر الشاميون هذا الاسم اقسيس والصحيح انه اتسز وهو اسم تركي وقد ذكر بعض مؤرخي الشام ان اتسز لما وصل الى مصر جمع امير الجيوش بدر الجمالي العساكر واستنفد العرب وغيرهم من اهل البلاد فاجتمع معه خلق كثير واقتتلوا فانهزم اتسز وقتل اكثر اصحابه وقتل اخ له وقطعت يد اخ آخر وعاد منهزما الى الشام في نفر قليل من عسكره فوصل الى الرملة ثم سار منها الى دمشق وحكى لي من اثق به من جماعة من فضلاء مصر ان اتسز لما وصل الى مصر ونزل بظاهر القاهرة اساء اصحابه السيرة في الناس وظلموهم واخذوا اموالهم وفعلوا الافاعيل القبيحة فارسل رؤساء القرى وقدموها الى الخليفة المستنصر بالله العلوي يشكون اليه ما نزل

الامراء السابقين وكل مدة قليلة يتزوج من مختار من مماليكه لمن تصلح له من الجواري ويجهزهم بالجهاز القانونية ويسكنهم الدور الواسعة ويعطيهم الاقطاعات والمناصب وقلد كشوفية الشرقية لبعض مماليكه ترفعا بنفسه عن ذلك ويترك هواليهم ايضا ميله لميل التروح وبنى له قصرا خارج بلبيس وآخر بالدمامين واخذ شوكة عربان الشرق وجبى منهم الاموال والجمال واخذ منهم الذي كان يغشى ابدان الفلاحين واذاقهم واضعف شوكتهم واخفى صولتهم وكان يقيم بناحية الشرق شهورا ثلاثة او اربعة ثم يعود الى مصر واصطنع قصرا من خشب مفصلا قطعا وتركب بشناكل واغر بمقشة تدبيره يحمل على عدة جمال فاذا اراد النزول في محطة تقدم الفراشون وركبوه خارج الصيوان فيصير مجلسا لطيفا يصعد اليه بثلاث درج مفروش بالطنافس والوسائد يسع ثمانية اشخاص وهو مسقوف وله شبابيك من الاربع جهات تفتح وتغلق بحسب الاختيار وحوله الاسرة من كل جانب وكل ذلك من داخل دهليز الصيوان وكان له داران بالازبكية احداهما كانت لرضوان بك بلفيا والاخرى للسيد احمد بن عبد السلام فبدا له في سنة اثنتي عشرة ومائتين والف انه ينشئ دارا عظيمة خلاف ذلك بالازبكية فانشئ قصر ابن السيد

الواسطي الفقيه الشافعي الى نظام الملك

يا نظام الملك قد حل ببغداد النظام ✱ وابنك القاطن فيها مستهان مستضام

وبها اودى له قتلى غلام وغلام ✱ والذي منهم تبقى سالما فيه سهام

يا قوام الدين لم يبق ببغداد مقام ✱ عظم الخطب وللحرب اتصال ودوام

فمتى لم تحسم الداء اياديك الحسام ✱ ويكف القوم في بغداد قتل وانتقام

فعلى مدرسة فيها ومن فيها السلام ✱ واعتصام بحريم لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ما جرى من الفتن وقصد مدرسته وما اتفق بجوارها مع ان ابنه مؤيد الملك فيها اعظم عليه فاعاد كوهرائين الى شحنكية العراق وحمله رسالة الى الخليفة المقتدي بامر الله تتضمن الشكوى من بني جهير وسال عزل فخر الدولة من الوزارة وامر كوهرائين باخذ اصحاب بني جهير وايصال المكروه اليهم والى حواشيهم فسمع بنو جهير الخبر فسار عميد الدولة الى المعسكر يريد نظام الملك ليستعطفه وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفا ان يلقاه كوهرائين وينا له منه اذى فلما وصل كوهرائين الى بغداد اجتمع بالخليفة وابلغه رسالة نظام الملك فامر فخر الدولة بلزوم منزله ووصل عميد الدولة الى المعسكر السلطاني ولم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد الى ما الفه منه وزوجه بابنة بنت له وعادا الى بغداد في العشرين من جمادى الاولى فلم يرد الخليفة اياه الى وزارته وامرهما بلزوم منازلهما واستوزر ابا شجاع محمد بن الحسين ثم ان نظام الملك راسل الخليفة في اعادة بني جهير الى الوزارة وشفع في ذلك فاعيد عميد الدولة الى الوزارة واذن لابيه فخر الدولة في فتح بابه وكان ذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين

✱(ذكر استيلاء تتش على دمشق)✱

في هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن الب ارسلان دمشق وسبب ذلك ان اخاه السلطان ملكشاه اقطعه الشام وما يفتحه في تلك النواحي سنة سبعين واربعمائة فاتى حلب وحصرها ولحق اهلها مجاعة شديدة وكان معه جمع كثير من التركمان فانفذ اليه الاقسيس صاحب دمشق يستنجده ويعرفه ان عساكر مصر قد حصرته بدمشق وكان امير الجيوش بدر قد سير عسكرا من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة فحصر دمشق فارسل اقسيس الى تاج الدولة تتش يستنصره فسار الى نصرة الاقسيس فلما سمع المصريون بقربه اجفلوا من بين يديه منهزمين وخرج الاقسيس اليه يلقيه عند سور البلد فاغتاظ منه تتش حيث لم يبعد في تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بامور لم يقبلها تتش فقبض عليه في الحال وقتله من ساعته وملك البلد واحسن السيرة في اهله وعدل فيهم وقد ذكر ابن الهمذاني وغيره من العراقيين ان ملك تتش دمشق كان هذه السنة وذكر الحافظ ابو القاسم بن عساكر الدمشقي في كتاب تاريخ دمشق ان ملكه اياها كان سنة اثنتين وسبعين

✱(ذكر عدة حوادث)✱

حسن العطار بتاريخ القاعة الجلوس في بيتين نقشوهما بالازميل على اسكفة باب القاعة وموهوهما بالذهب وهما

شموس التهاني قد اضاءت بقاعة ✱ محاسنها للعين تزداد بالالف

على بابها اقبال السرور مؤرخا ✱ سما اسعدا في تجدد بالالف

وازدحمت خيول الامراء ببابه فاقام على ذلك الى منتصف شهر رمضان وبدا له السفر الى الشرقية فابطلوا الوقدة واطفؤا السرج والشموع فكان ذلك فالا فكانت مدة سكناه به ستة عشر يوما بلياليها وانما اطنبت في ذكر ذلك ليعتبر اولو الالباب ولا يجتهد العاقل في تعمير الخراب وفي اثناء غيبته بالشرقية وصلت الفرنساوية الى الاسكندرية ثم الى مصر وجرى ما جرى مما سبق ذكره وذهب مع عشيرته الى قبلي وعند وصول الفرنساوية الى برانبابة بالبر الغربي وتحاربوا مع المصريين ابلى المترجم وجنده في تلك الواقعة بلاء حسنا وقتل من كشافه ومماليكه طائفة وافرة ولم يزل مدة اقامة الفرنساوية بمصر يتنقل في الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية ويعمل معهم مكايد ويصطاد منهم بالمصايد ولما وصل عرضي الوزير الى ناحية الشام ذهب اليه وقابله وانعم عليه وكان معه رؤساء من الفرنساوية وعدة اسرى واسد عظيم اصطاده في سرحه فشكره الوزير وخلع عليه الخلع السنية واقام به رضيه

ابن أبي موسى الهاشمي الحنبلي ورزق الله بن محمد بن احمد بن علي ابو سعد الأنباري الخطيب الفقيه الحنفي سمع الحديث الكثير وكان ثقة حافظا وطاهر بن احمد بن بابشاذ النحوي المصري توفي في رجب سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن احمد المعروف بابن هزارمرد الصريفيني راوي أحاديث علي بن الجعد وهو آخر من رواها وكان تنقضي الحاوين طريقه سمعناها

(ثم دخلت سنة سبعين واربعمائة)

ه(ذكر عدة حوادث)ه

في هذه السنة ورد مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من العسكر وفيها اصطلح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مع الناصر بن علناس وهو من بني حماد عمهم جدهم وزوجه تميم ابنته بلارة وسيرها اليه من المهدية في عسكر وحمل معها من الحلي والجهاز ما لا يحد وحمل الناصر ثلاثين الف دينار فاخذ منها تميم دينارا واحدا ورد الباقي وفيها استعمل تميم ابنه مقلدا على مدينة طرابلس الغرب وكان ببغداد في هذه السنة فتنة بين اهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد وضرب بعضهم بعضا وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التي عند المدرسة فارسل الى العميد والشحنة فحضروا ومعهم الجند فضربوا الناس فقتل بينهم جماعة وافترقوا وانفصلوا وفي هذه السنة في ربيع الاول توفي القاضي ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البيضاوي الفقيه الشافعي وكان القاضي ابو الطيب الطبري جده لامه وفيها توفي احمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن النقور ابو الحسين البزاز في رجب وكان مكثرا من الحديث ثقة في الرواية واحمد بن عبد الملك بن علي ابو صالح المؤذن النيسابوري كان يعظ ويؤذن وكان كثير الرواية حافظا ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وعبد الرحمن بن محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده الاصبهاني ابو القاسم بن ابي عبد الله الحافظ له تصانيف كثيرة منها تاريخ اصبهان وله طائفة يقتدون به في الاعتقاد من اهل اصبهان يقال لهم العبدرحمانية وفي شوال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جهير نفاسا بولد مات من يومه ودفنا بدار الخلافة ولم تجر بذلك عادة لاحد فعل ذلك اكراما لابيها وجلس الوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة زوجها للعزاء في دار بباب العامة ثلاثة ايام

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين واربعمائة)

ه(ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة)ه

في هذه السنة عزل فخر الدولة ابو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدي بامر الله ووزر بعده ابو شجاع محمد بن الحسين وكان السبب في ذلك ان ابا نصر بن القشيري ورد الى بغداد على ما تقدم ذكره وجرى له الفتن مع الحنابلة لما ذكر مذهب الاشعرية ونصره وعاب من سواهم وقعدت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه فنسب اصحاب نظام الملك ما جرى الى الوزير فخر الدولة والى الخدم وكتب ابو الحسن محمد بن علي بن ابي الصقر

المطلة على البركة والبستان والرحبة الشبابيك الحديد المصنعة وركبوا عليها شرائح الزجاج ووضع به التحف والاشياء والتحف العظيمة التي أهداها اليه الافرنج وعملوا بقاعة الجلوس السفلى فسقية عظيمة بسلسبيل من الرخام قطعة واحدة ونوفرة كبيرة حولها نوفرات من الصفر يخرج الماء من أفواهها وجعل بها حماما بعلو يا وسفليا وبنوا بدائر حوشه عدة كبيرة من الطباق السكنى المماليك وجعله دورا واحدا ولما تم البناء والبياض والدهان فرشه بانواع الفرش والوسائد والمساند والستائر المقصبات وجعل خلالة بستانا ما قبلها والشبابيك جعلوها مستطيلا متعابعد كثيرا واحدة وهو من الجهة البحرية ينتهي آخره الى السور المتصلة بقنطرة الدكة واهدى اليه ايضا الافرنج فسقية رخام في غاية العظم وفيها صورة اسماك مصورة يخرج من افواهها الماء جعلها بالبستان وتجز البناء والعمل وسكن بها هو وعياله وتم عمل آخر شهر شعبان من سنة اثنتي عشرة واستهل شهر رمضان فاوقدوا فيها الوقدات والاحمال المثلثة بالقناديل بدائر الحوش والرحبة الخارجة وكذلك بقاعة الجلوس احمال التحف والشموع والصحبوا القنيارات الزجاج وحته الشعراء ونظم مولانا الاستاذ الفاضل الشيخ ... الواسطي

فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلموها اليه فلما قاربها امتنعوا من ذلك وكان مقدمهم يعرف بابن الحتيتي العباسي فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضيعة له فاسره احد التركمان وهو صاحب حصن بنواحي حلب وارسله الى شرف الدولة فقرر معه أن يسلم البلد اليه اذا اطلقه فاجاب الى ذلك فاطلقه فعاد الى حلب واجتمع بابيه وعرفه ما استقر فاذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخلها سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابني محمود بن مرداس فلما ملك البلد ارسل ولده وهو ابن عمة السلطان الى السلطان يخبره بملك البلد وانفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمانها وسال ان يقرر عليه الضمان فاجابه السلطان الى ما طلب واقطع ابن عمته مدينة بالس

❁(ذكر مسير ملكشاه الى كرمان)❁

في اول هذه السنة سار السلطان ملكشاه الى بلاد كرمان فلما سمع صاحبها سلطانشاه بن قاورت بك وهو ابن عم السلطان بوصوله اليها خرج الى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة وخدمه وبالغ في الخدمة فاقره السلطان على البلاد واحسن اليه وعاد عنه في المحرم سنة ثلاث وسبعين الى اصبهان

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة ولد للخليفة المقتدي بامر الله امير المؤمنين ولد سماه موسى وكناه ابا جعفر وزينت بغداد سبعة ايام وفيها وصل السلطان ملكشاه الى خوزستان متصيدا فوصل معه خمارتكين وكوهرائين في قتل ابن علان اليهودي ضامن البصرة وكان ملتجئا الى نظام الملك وكان بين نظام الملك وبين خمارتكين الشرابي وكوهرائين عداوة فسعيا باليهودي لذلك فامر السلطان بتغريقه فغرق وانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة ايام واغلق بابه ثم اشير عليه بان يركب فركب وعمل السلطان دعوة عظيمة تقدم له فيها اشياء كثيرة وعاتبه على فعله فاعتذر اليه وكان امر اليهودي قد عظم الى حد أن زوجته توفيت فمشى خلف جنازتها كل من في البصرة الا القاضي وكان له نعمة عظيمة واموال كثيرة فاخذ السلطان منه مائة الف دينار وضمن خمارتكين البصرة كل سنة بمائة الف دينار ومائة فرس وفيها زاد الفرات تسعة اذرع فغرقت بعض دواليب هيت وخرب قوهة نهر عيسى وزاد تامرا اثنين و ثلاثين ذراعا وعلا على قنطرتي طراستان وقناتين الكبير وبيتين فقطعهما وفيها في ذي الحجة توفي نصر بن مروان صاحب ديار بكر وملك بعده ابنه منصور ودبر دولته ابن الانباري وفيها توفي ابو منصور محمد بن عبد العزيز العكبري ومولده سنة اربع وثمانين وثلثمائة وهو من المحدثين المعروفين وكان صدوقا ومحمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور ابو بكر بن ابي القاسم الطبري اللالكائي ومولده سنة تسع واربعمائة وحدث عن هلال الحفار وغيره وتوفي في جمادى الاولى وفيها توفي ابو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور وحدث عن

فاذا اجمعوا جيشهم وساروا الى جهة لم يجدوه ويمر من خلف الجبل ويمر بالخانكه الى الصعيد الاعلى اين ذهب ثم يظهر بالبر الغربي ثم يسير مشرقا ويعود الى الشام وهكذا كان دابه بطول المدة التي تخللت بين الصلحين الى ان تمم العثمانية امرهم وتمنا وتوابالانكليز ورجع الوزير على طريق البر وقبطان باشا بصحبة الانكليز من البحر وحضر المترجم باقي الامراء واستقر الجميع بداخل مصر والانكليز ببر الجيزة وارتحلت الفرنساوية وخلت منهم مصر فعند ذلك قلق المترجم وداخله وسواس وفكر لانه كان صحيح النظر في عواقب الامور فكان لا يستقر له قرار ولم يدخل الى الحريم ولم يبت بداره الا ليلتين على سجادة وتخدة في القاعة السفلى ولم يكن بها حريم (يقول الفقير) ذهبت اليه مرة في طرف اليومين فوجدته جالسا على السجادة فجلست معه ساعة فدخل عليه بعض امرائه يستاذنه في زواج احدى زوجات من مات من خشداشينه فنهره وشتمه وطرده وقال لي انظر الى عقول هؤلاء المغفلين يظنون انهم استقروا بمصر ويتزوجوا ويتاهلوا مع ان جميع ما تقدم من حوادث الفرنسيس وغيرها اهون من الورطة التي نحن فيها الآن ولما اطلق الوزير لابراهيم بك الكبير التصرف والبسه خلعة وجعله شيخ البلد كما كان وان اوراق التصرفات في الاقطاعات والاطيان وغيرها تكون

في هذه السنة ولد الملك بركيارق ابن السلطان ملكشاه وفيها في المحرم وصل سعد الدولة كوهرائين الى بغداد وضرب الطبل على باب داره اوقات الصلاة وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب اليه لانه لم تجر به عادة وفيها توفي سيف الدولة ابو الغنائم بدر بن ورام الكردي الجاواني في شهر ربيع الاول ودفن بمشهد علي وفي رجب توفي ابو علي بن البناء المقرى الحنبلي وله مصنفات كثيرة وسليم الجوزي بناحية نهر دجيل وكان زاهدا يعمل ويأكل من كسبه ولم يكلف احدا حاجة واقام بمقبرة من دبار بكر وهي كثيرة الفواكه فلم يأكل منها فاكهة البتة

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين واربعمائة)

(ذكر فتوح ابراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند)

في هذه السنة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند فحصر قلعة اجود وهي على مائة وعشرين فرسخا من لهاوور وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدته بعد ما ملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه في الحادي والعشرين من صفر هذه السنة وكان في نواحي الهند قلعة يقال لها قلعة روبال على رأس جبل شاهق وتحتها غياض اشبة وخلفها البحر وليس عليها قتال الا من مكان ضيق وهو مملوء بالفيلة المقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع وألح عليهم بالقتال بجميع انواع الحرب وملك القلعة واسترلهم منها وفي موضع يقال له دره نوره اقوام من اولاد الخراسانيين الذين جعل اجدادهم فيها افراسياب التركي من قديم الزمان ولم يتعرض اليهم احد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام اولا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم واكثر القتل فيهم وتفرق من سلم في البلاد وسبى واسترق من النسوان والصبيان مائة الف وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يدرك قعره يشرب منه اهل القلعة وجميع ما عندهم من دابة ولا يظهر فيه نقص وفي بلاد الهند موضع يقال له وره وهو بين خليجين فقصده الملك ابراهيم فوصل اليه في جمادى الاولى وفي طريقه عقبات كثيرة وفيها اشجار ملتفة فاقام هناك ثلاثة اشهر ولقي الناس من الشتاء شدة ولم يفارق الغزوة حتى انزل الله نصره على اوليائه وذله على اعدائه وعاد الى غزنة سالما منتصرا وهذه الغزوات لم اعرف تاريخها واما الاولى فكانت هذه السنة فلهذا اوردتها متتابعة في هذه السنة

(ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب)

في هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل مدينة حلب وسبب ذلك ان تاج الدولة تتش بن الب ارسلان حصرها مرة بعد اخرى فاشتد الحصار باهلها وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ثم ان تتش حصرها هذه السنة واقام عليها اياما ورحل عنها وملك بزاعة والبيرة واحرق ربض عزاز وعاد الى دمشق

ايلما ثم رجع الى ناحية مصر وذهب الى الصعيد ثم رجع الى الشام والفرنساوية ياخذون خبره ويرصدونه في الطرق فيروغ منهم ويكبسهم في غفلاتهم وينال منهم ولما وصل الوزير وحصل انتقاض الصلح وانحصر الفرنساوية بداخل المدينة وقع له مع الفرنساوية الوقائع المتقدمة فكان يكر ويفر هو وحسن بك الجداوي ويعمل الحيل والمكايد وقتل من كشافه في تلك الحروب رجال معدودة منهم اسمعيل كاشف المعروف بابي قطية احترق هو وجنده ببيت احمد اغا شويكار الذي كان انشاه بوصيف الخشاب وكانت الفرنساوية قد عمروا تحته لغم بارود في اسفل جدرانه ولم يعلم به احد فلما تترس فيه اسمعيل كاشف ومن معه ارسلوا من الغيبة النار فالتهبت على من فيه واحترقوا باجمعهم وتطايروا في الهواء ولما اصطلح مراد بك مع الفرنساوية لم يوافقه على ذلك واعتزله ولما اشتد الامر بين الفريقين وشاطت طبقة العثمانيين ومن تبعهم اتفق يسعى بين الفريقين في الصلح ومشى مع وصل الفرنساوية في دخولهم بين العسكر وخروجهم ليمنع من يتعدى عليهم من اوباش العسكر خوفا من ازدياد الشر الى ان تم الصلح وخرج المترجم مع العثمانية الى نواحي الشام ثم رجع الى جهة الشرقية فحارب بها من صادفه من الفرنسيس وقتل منهم

فلما

وملوك الخانية ما وراء النهر طالبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا اربعمائة الف دينار فان حمل الخليفة هذا المال فهو احق منهم فعرفتهم ارسلان خاتون التى كانت زوجة القائم بامر الله ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه المال فاجابت الى ذلك وشرطت ان يكون الحمل المعجل خمسين الف دينار وانه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فاجيبت الى ذلك فاعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة الى بغداد

(ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وامارة ولده منصور)

في هذه السنة في شوال توفى نور الدولة ابو الاعز دبيس بن على بن مزيد الاسدى بمطيراباذ وكان عمره ثمانين سنة وامارته سبعا وخمسين سنة ومازال ممدحا في كل زمان مذكورا بالتفضل والاحسان ورثاه الشعراء فاكثروا وولى بعده ما كان اليه ابنه ابو كامل منصور ولقبه بهاء الدولة فاحسن السيرة واعتمد الجميل وسار الى السلطان ملكشاه في ذى القعدة واستقر له الامر وعاد في صفر سنة ثلاث وسبعين وخلع الخليفة ايضا عليه

(ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس)

في هذه السنة حصر الامير تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينة قابس حصارا شديدا وضيق على اهلها وعاث عساكره في بساتينها المعروفة بالغابة فافسدوها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سار تتش بعد شرف الدولة عن دمشق وقصد الساحل الشامى فافتتح انطرطوس وبعضا من الحصون وعاد الى دمشق وفيها ملك شرف الدولة صاحب الموصل مدينة حران واخذها من بنى وثاب النميريين وصالحه صاحب الرها ونقش السكة باسمه وفيها سد ظفر الخادم بثق نهر عيسى وكان خرابا منذ ثلاث وعشرين سنة وسد مرارا وتخرب الى ان سده ظفر وفيها ارسل السلطان الى بغداد ليخرج الوزير ابو شجاع الذى وزر للخليفة بعد بنى جهير فارسل الخليفة الى نظام الملك وسير معه رسولا وكتب معه الى نظام الملك كتابا بخطه يأمره بالرضا عن ابى شجاع فرضى عنه واعاده الى بغداد وفيها مات ابن السلطان ملكشاه واسمه داود فجزع عليه جزعا شديدا وحزن حزنا عظيما ومنع من اخذه وغسله حتى تغيرت رائحته واراد قتل نفسه مرات فمنعه خواصه ولما دفن لم يطق المقام فخرج يتصيد وامر بالنياحة عليه في البلد ففعل ذلك عدة ايام وجلس له وزير الخليفة في العزاء ببغداد وفيها توفى عبد الله بن احمد بن رضوان ابو القاسم وهو من اعيان اهل بغداد وكان مرضه شقيقة وبقى ثلاث سنين في بيت مظلم لا يقدر ان يسمع صوتا ولا يبصر ضوأ وفيها في ذى الحجة توفى ابو محمد بن ابى عثمان المحدث وكان صالحا يقرئ القرآن بمسجده بنهر القلائين وتوفى على بن احمد بن على ابو القاسم البسرى البندار ومولده سنة ست وثمانين وثلثمائة سمع المخلص وغيره وكان ثقة صالحا وفيها توفى ابو اسحق ابراهيم بن عقيل بن حبش القرشى الصورى

لهم عنا وقال آخر غير ذلك ثم قالوا لهم وما الرأى الذى تراه فقال الرأى عندى ان قبلتموه ان نعدى باجمعنا الى البر الجيزة وننصب خيامنا هنالك ونجعل الانكليز واسطة بيننا وبين الوزير والقبطان ونتمم الشروط التى نرتاح نحن وهم عليها بكفالة الانكليز ولا نرجع الى البر الشرقى ولا ندخل مصر حتى يخرجوا منها ويرجعوا الى بلادهم ويبقى منهم من يبقى مثل من يقلدونه الولاية والدفتردار ونحو ذلك وكان ذلك هو الرأى ووافق عليه البعض ولم يوافق البعض الآخر وقال كيف ننابذهم ولم يظهر لنا منهم خيانة ونذهب الى الانكليز وهم اعداء الدين فيحكم العلماء بردتنا وخيانتنا لدولة الاسلام على انهم ان قصدوا بنا شيئا قمنا باجمعنا عليهم وفينا والله الجهد الكفاية وعند ذلك يتوسط بيننا وبينهم الانكليز فتكون لنا المندوحة والعذر فقال المترجم اما الاستنكاف من الالتجاء للانكليز فان القوم لم يستنكفوا من ذلك واستعانوا بهم ولولا مساعدتهم لما ادركوا هذا الحصول ولا قدروا على اخراج الفرنساوية من البلاد وقد شاهدنا ما حصل في العام الماضى لما حضروا بدون الانكليز على ان هذا قياس مع الفارق فان تلك مساعدة حرب واما هذه فهى مماطلة مصلحة لا غير واما انتظار حصول المنابذة فقد لا يمكن التدارك بعد الوقوع لامور والرأى لكم فتكلموا وتفرقوا على كتمان ما دار

جده لامه القاضي ابي نصر محمد بن هرون بن الجندي

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان واخذها منه)

في هذه السنة في شعبان سار السلطان ملكشاه الى الري وعرض العسكر فاسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم فمضوا الى اخيه تكش وهو ببوشنج فقوي بهم واظهر العصيان على اخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو والشاهجان وترمذ وغيرها وسار الى نيسابور طامعا في ملك خراسان وقيل بان نظام الملك قال للسلطان لما امر باسقاطهم ان هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندية فاذا اسقطوا لا نأمن ان يقيموا منهم رجلا ويقولوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن ايدينا اضعاف ما لهم من الجاري الى ان نقدر عليهم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى اخيه واظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا الى خراسان فوصل الى نيسابور قبل ان يستولي تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ وقصده السلطان فحصره بها وكان تكش قد اسر جماعة من اصحاب السلطان فاطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش الى اخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة تسلم مؤيد الملك بن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط وفيها توفي ابو علي بن شبل الشاعر المشهور ومن شعره في الزهد

اهم بترك الذنب ثم يردني • طموح شباب بالغرام موكل
فمن لي اذا اخرت ذا اليوم توبة • بان المنايا الى الشيب تعجل
أأعجز ضعفا عن اداء حق خالقي • واحمل وزرا فوق ما يحمل

وفيها ايضا توفي العميد ابو منصور بالبصرة وفيها توفي عبد السلام بن احمد بن محمد بن جعفر ابو الفتح الصوفي من اهل فارس سافر الكثير وسمع الحديث بالعراق والشام ومصر واصبهان وغيرها وكانت وفاته بفارس ويوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن ابو الهيثم التفكري الزنجاني ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وسمع من ابي نعيم الحافظ وغيره وتفقه على ابي اسحق الشيرازي وادرك ابا الطيب الطبري وكان من العلماء العاملين المشتغلين بالعبادة

(ثم دخلت سنة اربع وسبعين واربعمائة)

(ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه)

في هذه السنة ارسل الخليفة الوزير فخر الدولة ابا نصر بن جهير الى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة الى اصبهان الى السلطان يخطب ابنته وامره نظام الملك ان يمضي معه الى خاتون زوجة السلطان في المعنى فمضيا اليها وخاطباها فقالت ان ملك غزنة

وملوك

بعضهم وعلامة اغتفره وباقي الامرا المماليك ٤٨ وازدحم الديوان ببيت ابراهيم بك المرادى وعثمان بك حسن والبرديسي وتناقلوا في الحديث فذكروا ملاطفة الوزير وخبثه بهم واقامته لنا موعدهم فقال المترجم لا تغتروا بذلك فانما هي حيل ومكايد وكأنها تروج عليكم فانظروا في امركم وتفطنوا لما عساه يحصل فان سوء الظن من الحزم فقالوا له وما الذي يكون قال ان هؤلاء العثمانيين لهم السنين العديدة والازمان المديدة يتمنون نفوذ احكامهم وتملكهم لهذا الاقليم ومضت الاحقاب وامراء مصر قاهرون لهم وظاهرون عليهم ليس لهم معهم الا مجرد الطاعة الظاهرة وخصوصا دولتنا الاخيرة وما كنا نفعله معهم من الاهانة ومنع الخزينة وعدم الامتثال لاوامرهم وكل ذلك مكمون في نفوسهم زيادة على ما جبلوا عليه من الطمع والخباثة والشره وقد ملكوا البلاد الآن وملكوها على هذه الصورة وتآمروا علينا فلا يرون بهم ان يتركوها لنا كما كانت بايدينا ويرجعوا الى بلادهم بعدما ذاقوا حلاوتها فدبروا رأيكم وتيقظوا من غفلتكم فلما سمعوا منه ذلك صادق عليه بعضهم وقال بعضهم هذا من وسواسك وقال آخر هذا لا يكون بعد ما كنا نقاتل معهم ثلاث سنوات واشهرا باموالنا وانفسنا وهم لا يعرفون طرائق البلاد ولا سياستها الا عنا

حضرته وحمله رسالة الى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد أبي الفتح بن أبي الليث عميد العراق وأمره أن ينهي ما يجري على البلاد من النظار فسار فكان لما وصل الى مدينة من بلاد العجم يخرج أهلها اليه بنسائهم وأولادهم يتمسحون بركابه ويأخذون تراب بغلته للبركة وكان في صحبته جماعة من أعيان بغداد منهم الامام أبو بكر الشاشي وغيره ولما وصل الى ساوة خرج جميع أهلها وسأله فقهاؤها كل منهم ان يدخل بيته فلم يفعل ولقيه أصحاب الصناعات ومعهم ما ينثرونه على محفته فخرج الخبازون ينثرون الخبز وهو ينهاهم فلم ينتهوا وكذلك أصحاب الفاكهة والحلواء وغيرهم وخرج اليه الاساكفة وقد عملوا مداسات لطافا تصلح لارجل الاطفال ونثروها فكانت تسقط على رؤس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لاصحابه بعد رجوعه ويقول ما كان حظكم من ذلك النثار فقال له بعضهم ما كان حظ سيدنا منه فقال اما انا فغطيت بالمحفة وهو يضحك فاكرمه السلطان ونظام الملك وجرى بينه وبين امام الحرمين أبي المعالي الجويني مناظرة بحضرة نظام الملك وأجيب الى جميع ما التمسه ولما عاد أهين العميد وكسر عما كان يعتمده ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة ولما وصل الشيخ الى بسطام خرج اليه السهلكي شيخ الصوفية بها وهو شيخ كبير فلما سمع الشيخ أبو اسحق بوصوله خرج اليه ماشيا فلما رآه السهلكي ألقى نفسه من دابته كان عليها وقبل يد الشيخ أبي اسحق وقبل أبو اسحق رجله وأقعده موضعه وجلس أبو اسحق بين يديه وأظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيرا وأعطاه شيئا من حنطة ذكر انها من عهد أبي يزيد البسطامي ففرح بها أبو اسحق

ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها

في هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعا كثيرا وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم انطاكية وما جاورها فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فخافه فجمع أيضا العرب من عقيل والاكراد وغيرهم فاجتمع معه جمع كثير فراسل الخليفة بمصر يطلب منه ارسال نجدة اليه ليحصر دمشق فوعده ذلك فسار اليها فلما سمع تتش الخبر عاد الى دمشق فوصلها أول المحرم سنة ست وسبعين ووصل شرف الدولة أواخر المحرم وحصر المدينة وقاتل أهلها وفي بعض الايام خرج اليه عسكر دمشق وقاتلوه وحملوا على عسكره حملة صادقة فانكشفوا وتضعضعوا وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة وأشرف على الاسر وتراجع اليه أصحابه فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى أيضا ان مصر لم يصل اليه منها عسكر وأتاه عن بلاده الخبر ان أهل حران عصوا عليه فرحل من دمشق الى بلاده وأظهر انه يريد البلاد بفلسطين فرحل أولا الى مرج الصفر فارتاع أهل دمشق وتتش واضطربوا ثم انه رحل من مرج الصفر مشرقا في البرية وجد في مسيره فهلك من المواشي التي كانت مع عسكره ومن الدواب شيء كثير وانقطع خلق كثير

ذكر عدة حوادث

الشيخ ذلك حضر الى الوزير من اعترض عليه في هذه الفعلة واشار عليه بنقض ذلك فارسل يستدعيه لامر تذكره على من تأخره فلم يدركوه الا وقد قطع مسافة بعيدة ورجعوا على غير طائل وذهب هو الى اسيوط وشرع في جبي الاموال وارسل للوزير دفعة من المال واغناما وعبيدا طواشية وغلالا ثم لم يمض على ذلك الا نحو ثلاثة شهور وسافر طائفة من الانكليز الى اسكندرية وكذلك حسين باشا القبطان ونصبوا المصير بين القشاخ وارسل القبطان يطلب طائفتهم فاوقع بهم ما وقع وقبض الوزير على من بمصر من الامراء وحبسهم وجرى ما هو مسطور في محله وعينوا على المترجم طاهر باشا بعساكر وحصلت المفاقمة وقتل من قتل والتجأ من بقي الى الانكليز ولم يندمل الجرح بعد تفريجه وذهب الجميع الى الناحية القبلية وارسلوا لهم التجاريد وتصدى المترجم لحروبهم ثم حضر الى ناحية بحري ونزل بناحية الجيزة وسار الى ناحية البحيرة بعد حروب ووقائع فاجتهد محمد باشا خسرو في اخراج تجريدة عظيمة وسار عسكرها كتخداه وهو يوسف كتخدا بك وهي التجريدة التي سماها العوام تجريدة الحمير لانهم جمعوا من اجل ذلك جميع الحمارة والتراسين وحمير الدكاكين والطواحين وجمعوا من اهل بولاق الف حمار وكذلك مصر ومصر القديمة

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين واربعمائة)

ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك

فى هذه السنة فى رجب توفى جمال الملك منصور بن نظام الملك وورد الخبر بوفاته الى بغداد فى شعبان فجلس اخوه مؤيد الملك للعزاء وحضر فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الملك معز بين وارسل الخليفة اليه فى اليوم الثالث فاقامه من العزاء وكان سبب موته ان مسخرة كان للسلطان ملكشاه يعرف بجعفرك يحاكى نظام الملك ويذكره فى خلواته مع السلطان فبلغ ذلك جمال الملك وكان يتولى مدينة بلخ واعمالها فسار من وقته يطوى المراحل الى والده والسلطان وهما باصبهان فاستقبله اخواه فخر الملك ومؤيد الملك فاغلظ لهما القول فى اغضائهما على ما بلغه عن جعفرك فلما وصل الى حضرة السلطان رأى جعفرك يساره فانتهره وقال مثلك يقف هذا الموقف ويتبسط بحضرة السلطان فى هذا الجمع فلما خرج من عند السلطان امر بالقبض على جعفرك وامر باخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات ثم سار مع السلطان ووالده الى خراسان واقاموا بنيسابور مدة ثم ارادوا العود الى اصبهان وتقدمهم نظام الملك فاحضر السلطان عميد خراسان وقال له ايما احب اليك راسك ام راس جمال الملك فقال بل راسى فقال ان لم تعمل فى قتله لاقتلنك فاجتمع بخادم يختص بخدمة جمال الملك وقال له سرا الاولى ان تحفظوا نعمتكم ومناصبكم وقد رأوا قتل جمال الملك فان السلطان يريد ان ياخذه ويقتله ولان تقتلوه انتم سرا اصلح لكم من ان يقتله السلطان فظاهرا فظن الخادم ان ذلك صحيح فجعل له سما فى كوز فقاع فطلب جمال الملك فقاعا فاعطاه الخادم ذلك الكوز فشربه فمات فعلم السلطان بموته فسار مجدا حتى لحق نظام الملك فاعلمه بموت ابنه وعزاه وقال انا ابنك وانت اولى من صبر واحتسب

ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة

ورد الى بغداد هذه السنة الشريف ابو القاسم البكرى المغربى الواعظ وكان اشعرى المذهب وكان قد قصد نظام الملك فاحبه ومال اليه وسيره الى بغداد واجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا والله ما كفر احمد ولكن اصحابه كفروا ثم انه قصد يوما دار قاضى القضاة ابى عبد الله الدامغانى بنهر القلائين فجرى بين بعض اصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة ادت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بنى الفراء واخذ كتبهم واخذ منها كتاب الصفات لابى يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسى للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكرى من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر ابى الحسن الاشعرى

ذكر مسير الشيخ ابى اسحق الى السلطان فى رسالة

فى هذه السنة فى ذى الحجة ارسل الخليفة المقتدى بامر الله الشيخ ابا اسحق الشيرازى الى

بينهم ولما لم يوافقوا المترجم على ما اشار به عليهم اخذ يدبر فى خلاص نفسه فانضم الى محمود افندى رئيس الكتاب لقربه من الوزير وقبوله عنده واوهمه النصيحة للوزير بتحصيل مقادير عظيمة من الاموال من جهة الصعيد ان قلده الوزير امارة الصعيد فانه يجمع له اموالا جمة من تركات الاغنياء الذين ماتوا بالطاعون فى العام الماضى وخلافه ولم يكن لهم ورثة وغير ذلك من الجهات التى لا يحيط بها خلافه والمال والغلال الميرية فلما عرف الرئيس الوزير بذلك لم يكن باسرع من اجابته لوجهين الاول طمعا فى تحصيل المال والثانى لتفريق جمعهم فانهم كانوا يحسبون حسابه دون باقى الجماعة لكثرة جيشه وشدة احترازه فانه كان اذا ذهب عند الوزير لا يذهب فى الغالب الا وحوله جميع جنوده ومماليكه وعندما اجاب الوزير الى ذلك كتب له فرمانا بامارة الجهة القبلية واطلق له الاذن ورخص له فى جميع ما يؤدى اليه اجتهاده من غير معارض وتم للرئيس القصد وفى الوقت حضر المترجم فاخذ المرسوم ولبس الخلعة بنفسه وودع الوزير والرئيس وركب فى الوقت والساعة وخرج مسافرا وجعل رئيس افندى وكيلا عنه وسفيرا بينه وبين الوزير بعد ما اسكنه فى داره ولم يشعر بذلك احد ولم ير الوزير وجها بعد ذلك وعندما

حضرته

فتهل امراب الدموع كانها • منجرة بابعها الظهر الدين

•(ذكر قتل ابى المحاسن بن ابى الرضا)•

فى هذه السنة فى شوال قتل سيد الرؤساء ابو المحاسن بن كمال الملك ابى الرضا وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قربا عظيما وكان ابوه يكتب الطغراء فقال ابو المحاسن للسلطان سلم الى نظام الملك واصحابه وانا اسلم اليك منهم الف الف دينار فانهم يأكلون الاموال ويقتطعون الاعمال وعظم عنده ذخائرهم فبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطا عظيما واقام عليه مماليكه وهم الوف من الاتراك واقام خيلهم وسلاحهم على خيالهم فلما حضر السلطان قال له انى قد خدمتك وخدمت اباك وجدك ولى حق خدمة وقد بلغك اخذى لعشر اموالك وصدق هذا انا آخذه واصرفه الى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك واصرفها ايضا الى الصدقات والصلات والوقوف التى اعظم ذكرها وشكرها واجرها لك واموالى وجميع ما املكه بين يديك وانا اقنع بمرقعة وزاوية فامر السلطان بالقبض على ابى المحاسن وان تسمل عيناه وانفذه الى قلعة ساوة وسمع ابوه كمال الملك الخبر فاستجار بدار نظام الملك فسلم وبذل مائتى الف دينار وعزل عن الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك

•(ذكر استيلاء مالك بن علوى على القيروان واخذها منه)•

فى هذه السنة جمع مالك بن علوى الصخرى العرب وقصد افريقية فسار الى المهدية فحصرها فقام الامير تميم بن المعز قياما تاما وحاربه عليها ولم يظفر منها بشئ فسار مالك منها الى القيروان فحصرها وملكها فخرج اليه تميم العساكر فحصره وبها فلما رأى مالك انه لا طاقة له بتميم خرج عنها وتركها فاستولى عليها عسكر تميم وعادت الى ملكه كما كانت

•(ذكر عدة حوادث)•

فى هذه السنة عم الرخص جميع البلاد فبلغ الكر الحنطة الجيدة ببغداد عشرة دنانير وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشيخ ابو اسحق الشيرازى وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة واكثر الشعراء مراثيه فمنهم ابو الحسن الخبازى والبندنيجى وغيرهما وكان رحمه الله عليه واحد عصره علما وزهدا وعبادة وصلى عليه فى جامع القصر وجلس اصحابه للعزاء فى المدرسة النظامية ثلاثة ايام ولم يتخلف احد عن العزاء وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد فرتب فى التدريس ابا سعد عبد الرحمن بن المأمون المتولى فلما بلغ ذلك نظام الملك انكره وقال كان يجب ان تغلق المدرسة بعد الشيخ ابى اسحق سنة وصلى عليه بباب الفردوس وهذا لم يفعل على غيره وصلى عليه الخليفة المقتدى بامر الله وتقدم فى الصلاة عليه ابو الفتح بن رئيس الرؤساء وهو ينوب فى الوزارة ثم صلى عليه بجامع القصر ودفن بباب ابرز

•(ثم دخلت سنة سبع وسبعين واربعمائة)•

•(ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة)•

منتصف شهر شوال سنة سبع عشرة وحضر فى اول شهر القعدة سنة ثمان عشرة وجرى فى مدة غيابه من الحوادث التى تقدم من ذكرها ما بقى من اعادتها من خروج محمد باشا خسرو وتولية طاهر باشا ثم قتله ودخول الامراء المصريين وتحكمهم بمصر سنة ثمان عشرة وتأمير صناجق من اتباع المترجم وما جرى بها من الوقائع بتقدير الله تعالى البارز بتدبير محمد على وتناقضه وحيله فانه سعى اولا فى نقض دولة مخدومه محمد باشا خسرو بتواطئه مع طاهر باشا وخازندار محمد باشا الحافظ للقلعة ثم الامراء على طاهر باشا حتى قتل ثم معاونته للامراء المصريين ودخولهم وتمكنهم واظهار المساعدة الكلية لهم ومصادقتهم وخدمتهم وملاطفتهم والرمح فى شغلهم وخصوصا عثمان بك البرديسى فانه كان مغترا غشيما يحب الرؤس فاظهر له الصداقة والمؤاخاة والمصافاة حتى قضى منهم اغراضه من قتل الدفتردار والكتخدا وعلى باشا الطرابلسى وعمارته بمحمد باشا واخذه اسيرا من دمياط واخيه السيد على القبطان برشيد وقبة جميع هذه الاعمال والقبائح اليهم فلما انقضى ذلك كله لم يبق الا الالفى وجماعته والبرديسى الذى

في هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من اصبهان فخرج عميد الدولة ابن جهير الى لقائه ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول اوقات الصلوات الثلاث فاعطى مالا جليلا حتى قطعه واوصل الطبول الى تكريت وفيها توفي ابو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن اسحق بن منده الاصبهاني في جمادى الآخرة باصبهان وكان حافظا فاضلا والامير ابو نصر علي ابن الوزير ابي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن ماكولا مصنف كتاب الاكمال ومولده سنة عشرين واربعمائة وكان فاضلا حافظا قتله مماليكه الاتراك بكرمان واخذوا ماله

٭(ثم دخلت سنة ست وسبعين واربعمائة)

٭(ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة وسير والده فخر الدولة الى ديار بكر)٭

في هذه السنة في صفر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة وسبب عزله وصول رسول من السلطان ونظام الملك الى الخليفة يطلبان ان يرسل اليهما بني جهير فاذن لهم في ذلك وساروا بجميع اهلهم ونسائهم الى السلطان فصادفوا منه ومن نظام الملك الاكرام والاحترام وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه واعطاه الكوسات وسير معه العساكر وامره ان يقصدها ويأخذها من بني مروان وان يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة فسار اليها ولما فارق بنو جهير بغداد رتب في الديوان ابو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء وكان قبل ذلك على ابنية الدار وغيرها

٭(ذكر عصيان اهل حران على شرف الدولة وفتحها)٭

في هذه السنة عصى اهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش واطاعوا قاضيهم ابن حلبة وارادوا هم وابن عطير النميري تسليم البلد الى جبق امير التركمان وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تتش فلما بلغه الخبر عاد الى حران وصالح ابن ملاعب صاحب حمص واعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير الى حران فحصرها ورماها بالمنجنيق فخرب من سورها بدنة وفتح البلد في جمادى الاولى واخذ القاضي ومعه ابنين له فصلبهم على السور

٭(ذكر وزارة ابي شجاع محمد بن الحسين للخليفة)٭

في هذه السنة عزل الخليفة ابا الفتح بن رئيس الرؤساء من النيابة في الديوان واستوزر ابا شجاع محمد بن الحسين وخلع عليه خلع الوزارة في شعبان ولقبه ظهير الدين ومدحه الشعراء فاكثروا فممن مدحه وهناه ابو المظفر محمد بن العباس الابيوردي بالقصيدة المشهورة التي اولها

ها انها مقل الظباء العين ٭ فتكت بسر فؤادي المكنون

ومنها

وطفقوا يخطفون خبز الناس ويكبسون البيوت ويأخذون ما يجدونه وكان يأتي بعض مماليك العسكر عند الفرن ويضع الطاسة عند الباب ويقول ذر ذر فيدق الخباز فيأخذونه فلما تم مرادهم من جمع الخيرات اللازمة لهم سافروا الى ناحية البحيرة فكانت بينهم واقعة عظيمة عراى من الانكليز وكانت الغلبة لهم على العسكر واخذ منهم جملة اسرى وانهزم الباقون شر هزيمة وحضروا الى مصر في اسوا حال وهذه الكسرة كانت سببا لحصول الوحشة بين الباشا والعسكر فانه غضب عليهم وامرهم بالخروج من مصر فطلبوا علائفهم فقال باي شئ تستحقون العلائف ولم يخرج من ايديكم شئ فامتنعوا من الخروج وكان المشار اليه فيهم محمد علي سرششمه فاراد الباشا اضطهاده فلم يتمكن منه لشدة احترامه مختار به فوقع له ما نذكره في محله وخرج الباشا هاربا الى دمياط ومن ذلك الوقت ظهر اسم محمد علي ولم يزل يشمو ذكره بعد ذلك واما المترجم فانه بعد كسرته للعسكر ذهب ناحية دمنهور وذهبت كشافه وامراؤه الى المنوفية والغربية والدقهلية وطلبوا منهم المال والكلف ثم رجعوا الى البحيرة ثم بعد هذه الوقائع سافر المترجم مع الانكليز الى بلادهم واختار من مماليكه خمسة عشر نفرا اخذهم صحبته واقام عوضه احد مماليكه المسمى بشتك بك وسمي الالفي الصغير فانه ل

من الطريق فسار عميد الدولة حتى وصل الى الموصل فارسل الى اهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه اليه وسار السلطان بنفسه وعساكره الى بلاد شرف الدولة ليملكها فأتاه الخبر بخروج أخيه تكش بخراسان على ما نذكره ورأى شرف الدولة قد تخلص من الحصر فارسل مؤيد الملك بن نظام الملك الى شرف الدولة وهو مقابل الرحبة فأعطاه العهود والمواثيق واحضره عند السلطان وهو بالبوازيج فخلع عليه آخر رجب وكانت امواله قد ذهبت فاقترض ما خدم به وحمل السلطان خيلا والتقدمة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور والذي نجا عليه من المعركة من آمد ايضا وكان سابقا الاجارى فأمر السلطان بان يسابق به الخيل فجاء سابقا فقام السلطان قائما لما تداخله من العجب ووصل رسول الخليفة النقيب طراد الزينبي الى شرف الدولة فلقيه بالموصل فزاد أمر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان وأقره على بلاده وعاد الى خراسان لحرب أخيه

﴿ذكر عصيان تكش على اخيه السلطان ملكشاه﴾

قد تقدم ذكره وذكر مصالحته للسلطان فلما كان الآن ورأى بعد السلطان عنه عاود العصيان وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط فحسنوا له مفارقة طاعة أخيه فأجابهم وسار معهم فملك مرو الروذ وغيرها الى قلعة تقارب سرخس وهي لمسعود بن الامير ياخز وقد حصنها جهده فحصروه بها ولم يبق غير أخذها منه فاتفق أبو الفتوح الطوسي صاحب نظام الملك وهو بنيسابور وعميد خراسان وهو أبو علي على أن يكتب أبو الفتوح ملطفا الى مسعود بن ياخز وكان خط أبي الفتوح أشبه شيء بخط نظام الملك يقول فيه كتبت هذه الرقعة من الري يوم كذا ونحن سائرون من الغد نحوك فاحفظ القلعة ونحن نكبس العدو ليلة كذا واستدعيا فيجا يثقون به واعطياه دنانير صالحة وقالا سر نحو مسعود فاذا وصلت الى المكان الفلاني فأقم به ونم وأخف هذا الملطف في بعض حيطانه فستأخذك طلائع تكش فلا تعترف لهم حتى يضربوك فاذا فعلوا ذلك وبالغوا فأخرجه لهم وقل انك فارقت السلطان بالري ولك منا الحباء والكرامة ففعل ذلك وجرى الامر على ما وصفاه واحضر بين يدي تكش وضرب وعرض على القتل فأظهر الملطف وسلمه اليهم واخبرهم انه فارق السلطان ونظام الملك بالري في العساكر وهو سائر فلما وقفوا على الملطف وسمعوا كلام الرجل ساروا من وقتهم وتركوا خيامهم ودوابهم والقدور على النار فلم يصبروا على ما فيها وعادوا الى قلعة وبنج وكان هذا من الفرج العجيب فنزل مسعود واخذ ما في العسكر وورد السلطان الى خراسان بعد ثلاثة اشهر ولولا هذا الفعل لنهب تكش الى باب الري ولما وصل السلطان قصد تكش واخذه وكان قد حلف له بالايمان انه لا يؤذيه ولا يناله منه مكروه فافتاه بعض من حضر بان يجعل الامر الى ولده احمد ففعل ذلك فامر احمد بكحله فكحل وسجن

﴿ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية﴾

المصريون بناحية التبين والمترجم منعزل عنهم بناحية الطرا فقوا السيد عمر راسلهم وعقد ويذكر له بأن هذا القيام من أجلك وإخراج هذه الاوباش ويعود الامر اليكم كما كان وانت المعنى بذلك لتتناول الخير والصلاح والعدل فيصدق هذا القول ويساعد بارسال المال ليصرفه في مصالح المقاتلين والعازبين ومحمد علي يداهن السيد عمر سرا ويتملق اليه ويأتيه ويراسله ويأتي اليه في اواخر الليل وفي اوساطه مترددا عليه في غالب أوقاته حتى تم له الامر بعد المعاهدة والمعاقدة والايمان الكاذبة على سيره بالعدل واقامة الاحكام والشرائع والاقلاع عن المظالم ولا يفعل امرا الا بمشورته ومشورة العلماء وانه متى خالف الشروط عزلوه واخرجوه وهم قادرون على ذلك كما يفعلون الآن فيتورط المخاطب بذلك القول ويظن صحته وان كل الوقائع زلابية وكل ذلك سر المترجم بخلافهم الى ان عقد السيد عمر مجلسا عند محمد علي واحضر المشايخ والاعيان وذكر لهم ان هذا الامر وهذه الحروب ما دامت على هذه الحالة لا تزداد الا اشتعالا ولا بد من تعيين شخص من جنس القوم للولاية فانظروا من تجدونه وتختارونه لهذا الامر ليكون قائم مقام حتى يتعين من طرف الدولة من يتعين فقال الجميع الرأي ما تراه فأشار الى محمد علي فأظهر التمنع وقال انا لا أصلح لذلك

قد تقدم ذكر مسير فخر الدولة بن جهير في العساكر السلطانية الى ديار بكر فلما كانت هذه السنة سير السلطان اليه ايضا جيشا فيهم الامير ارتق بن اكسب وامرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى الى شرف الدولة وسأله نصرته على ان يسلم اليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى ان صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة واجتمعا على حرب فخر الدولة وسارا الى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال الى الصلح وقال لا اوثر ان يحصل بالعرب بلاء على يدي فعرف التركمان ما عزم عليه فركبوا ليلا واتوا الى العرب واحاطوا بهم في ربيع الاول والتحم القتال واشتد فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة ولا ارتق وغنم التركمان حلل العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة ونجا بنفسه ووصل الى فصيل آمد وحصره فخر الدولة ومن معه فلما رأى شرف الدولة انه محصور خاف على نفسه فراسل الامير ارتق وبذل له مالا وسأله ان يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو على حفظ الطرق والحصار فلما سمع ارتق ما بذل له شرف الدولة اذن له في الخروج فخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الاول وقصد الرقة وارسل الى ارتق بما كان وعده به وسار ابن جهير الى ميافارقين ومعه من الامراء الامير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه وعادوا الى العراق وسار فخر الدولة الى خلاط ولما استولى العسكر السلطاني على حلل العرب وغنموا اموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الاموال وافتك اسرى بني عقيل ونساءهم واولادهم وجهزهم جميعهم وردهم الى بلادهم ففعل امرا عظيما واسدى مكرمة شريفة ومدحه الشعراء في ذلك فاكثروا فمنهم محمد بن محمد بن خليفة السنبسي يذكر ذلك في قصيدة

كما احرزت شكر بني عقيل ... بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الاتراك طرا ... بشهب في حوافلها ازورار
فاجبنوا ولكن فاض بحر ... عظيم لا تقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا ... وفيهن الرزية والدمار
مننت عليهم وفككت عنهم ... وفي اثنا حبالهم انتشار
ولولا انت لم ينفك منهم ... اسير حين اعلقه الاسار

في ابيات كثيرة وذكر ايضا البندنيجي ابياتا فاحسن ولولا خوف التطويل لذكرت ابياته

(ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل)

لما بلغ السلطان ان شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك في اسره فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره في جيش كثيف الى الموصل وكاتب امراء التركمان بطاعته وسير معه من الامراء آقسنقر قسيم الدولة جد ملوكنا اصحاب الموصل وهو الذي اقطعه السلطان بعد ذلك حلب وكان الامير ارتق قد قصد السلطان فعاد صحبة عميد الدولة

هو خشداشه محمد علي ويقاومه ويعلم انه اذا حضر لا يبقى له معه ذكر وقصده ابقاءه فيتناجيا ويتسارا في امر المترجم ويتذاكرا افعاله وكيله وخشداشينه وتقصدهم عليه ما يرونه منه مع غياب استاذهم فكيف بهم اذا حضر ويوهمه المساعدة والمعاضدة ويكون خادما له وعساكره وجنده الى ان حضر المترجم فاوقعا به ما تقدم ذكره وقتل بنفسه واختنق عند عشيرة البدوي بالوادي فلما خلا الجو من الالفي وجماعته فاوقع محمد علي بعد ذلك بالبرديسي وعشيرته ما اوقع وظهر بعد ذلك المترجم من اختفائه وذهب الى ناحية قبلي هو ومملوكه صالح بك واجتمعت عليه امراؤه واجناده واستقل امره واصطلح مع عشيرته والبرديسي على ما في نفوسهما ومازال منفردا عن مخالطتهم وجرى ما جرى من مجيئهم حوالي مصر وحروبهم مع العساكر في ايام خورشيد احمد باشا وانقضائهم عنها بدون طائل لفشلهم واختلاف آرائهم وفساد تدبيرهم ورجعوا الى ناحية قبلي ثم عادوا الى ناحية بحري بعد حروب ووقائع مع حسين باشا ومحمد علي وعساكرهم ثم لما حصلت المفاقمة بينهما وبين خورشيد احمد باشا وائتمر محمد علي باشا بمعونة السيد عمر مكرم النقيب والمشايخ والقاضي واهل البلد وثوار الرعايا وهاجت الحرب بين الباشا واهل البلدة كما هو مذكور وكانت الامراء

فقتل بعد ان صبر وقتل بين يديه اربعمائة غلام من احداث حلب وكان قتله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وذكرته ههنا لتتبع الحادثة بعضها بعضا وكان احول وكان قد ملك من السندية التى على نهر عيسى الى منبج من الشام وما والاها من البلاد وكان فى يده ديار ربيعة ومضر من ارض الجزيرة والموصل وحلب وما كان لابيه وعمه قرواش وكان عاقلا حسن السيرة والامن فى بلاده عام والرخص شامل وكان يسوس بلاده سياسة حسنة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيئا وكان له فى كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى احد على احد ولما قتل قصد بنو عقيل اخاه ابراهيم بن قريش وهو محبوس فاخرجوه وملكوه امرهم وكان قد مكث فى الحبس سنين كثيرة بحيث انه لم يمكنه المشى والحركة لما اخرج ولما قتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلمش الى حلب فحصرها مستهل ربيع الاول سنة ثمان وسبعين فاقام عليها الى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى صفر انقض كوكب من المشرق الى المغرب كان حجمه كالقمر وضوءه كضوئه وسار مدى بعيدا على مهل وتؤدة فى نحو ساعة ولم يكن له شبيه من الكواكب وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه فى الخامس والعشرين من رجب بمدينة سنجار من ارض الجزيرة بمقاربة الموصل بينهما يومان عند نزول السلطان بها واوصاه احمد وانما قيل له سنجر باسم المدينة التى ولد فيها وامه ام ولد وفى هذه السنة فى جمادى الاولى توفى الشيخ ابو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعى صاحب الشامل والكامل وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف بعد ان اضر مدة سنين وكان مولده سنة اربعمائة والقاضى ابو عبد الله محمد بن على الدامغانى... المعروف بابن البقال وهو من شيوخ اصحاب الشافعى وكان اليه القضاء بباب الازج ولما انقطع الحج على سبيل الفجر بدوا اسمعيل بن مسعدة بن اسمعيل بن احمد بن ابراهيم ابو القاسم الاسماعيلى الجرجانى ومولده سنة سبع واربعمائة وكان اماما فقيها شافعيا محدثا اديبا وداره مجمع العلماء

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة)

فى هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة طليطلة من بلاد الاندلس واخذوها من المسلمين وهى من اكبر البلاد واحصنها وسبب ذلك ان الاذفونش ملك الفرنج بالاندلس كان قد قوى شانه وعظم ملكه وكثرت عساكره مذ تفرقت بلاد الاندلس وصار كل بلد بيد ملك فصاروا مثل ملوك الطوائف فطمع الفرنج فيهم واخذوا كثيرا من ثغورهم وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المامون بن يحيى

عليه بنى قبضوا عليه واخذوا امتعته وعاقبوه فاشتهر الباعة والمتسببون وغيرهم من الاصحاب الجهبذى مطلقا فضاق خناق المترجم فاحتال بان ارسل محمد كتخداه يطلب الصلح مع الباشا فاشير لذلك وفرح واعتقد صحة ذلك وانعم على الكتخدا وعلى من معه جائزة غدوءه من ملابس وفراوى واسلحة وخيام ونقود وغير ذلك وعند ما قضى الكتخدا اشغاله من مطلوبات مخدومه واحتياجاته له ولاتباعه وامرائه ووسق مراكب وذهب بها جهارا من غير ان يتعرض له احد وذهب بصحبته السلحدار وموسى البارودى ثم عاد الكتخدا ثانيا وصحبته السلحدار وموسى البارودى وذكروا انه يطلب كشوفية الفيوم وبنى سويف والجيزة والبحيرة ومائتى بلد من الغربية والمنوفية والدقهلية يستقل فانتها ويجعل اقامته بالجيزة ويكون تحت الطاعة فلم يرض الباشا بذلك وقال انا صالحنا باقى الامراء واعطيناهم من حدود جرجا بالشروط التى شرطناها عليهم وهو داخل فى ضمنهم فرجع محمد كتخداه بالجواب بعد ان قضى اشغاله واحتياجاته ولوازمه من امتعة وخيام وسروج وغير ذلك وعمت حيلته وقضى اغراضه وذهب الى الفيوم وتحارب جنده مع جند ياسين بك وانفصل فيها ياسين بك ثم عاد شاهين بك الالفى بعد كثير مشهور الى بر الجيزة وخرج محمد على باشا

في هذه السنة سار سليمان بن قتلمش صاحب قونية واقصرا واعمالها من بلاد الروم الى الشام فملك مدينة انطاكية من ارض الشام وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وسبب ملك سليمان المدينة ان صاحبها الفردوس الرومي كان قد سار عنها الى بلاد الروم ورتب بها شحنة وكان الفردوس مسيئا الى اهلها والى جنده ايضا حتى انه حبس ابنه فاتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد الى سليمان بن قتلمش وكاتبوه يستدعونه فركب البحر في ثلثمائة فارس وكثير من الرجالة وخرج منه وسار في جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل اليها للموعد فنصب السلاليم باتفاق من الشحنة ومن معه وصعد السور واجتمع بالشحنة واخذ البلد في شعبان فقاتله اهل البلد فهزمهم مرة بعد اخرى وقتل كثيرا من اهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان واخذ من الاموال ما يجاوز الاحصاء واحسن الى الرعية وعدل فيهم وامرهم بعمارة ما خرب ومنع اصحابه من النزول في دورهم ومخالطتهم ولما ملك سليمان انطاكية ارسل الى السلطان ملكشاه يبشره بذلك وينسب هذا الفتح اليه لانه من اهله وممن يتولى طاعته فاظهر ملكشاه البشارة به وهنأه الناس فممن قال فيه الابيوردي من قصيدة مطلعها

لمعت كناصية الحصان الاشقر • نار بمعتلج الكثيب الاعفر
وفتحت انطاكية الروم التي • نشزت معاقلها على الاسكندر
وطئت مناكبها جيادك فانثنت • تلقي اجنتها بنات الاصفر

وهي طويلة

(ذكر قتل شرف الدولة وملك اخيه ابراهيم)

قد تقدم ذكر ملك سليمان بن قتلمش مدينة انطاكية فلما ملكها ارسل اليه شرف الدولة مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمله اليه الفردوس من المال ويخوفه معصية السلطان فاجابه اما طاعة السلطان فهي شعاري ودثاري والخطبة له والسكة في بلادي وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد واعمال الكفار واما المال الذي كان يحمله صاحب انطاكية قبلي فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه واصحابه وانا بحمد الله مؤمن ولا احمل شيئا فنهب شرف الدولة بلد انطاكية فنهب سليمان ايضا بلد حلب فلقيه اهل السواد يشكون اليه نهب عسكره فقال انا كنت اشد كراهية لما يجري ولكن صاحبكم احوجني الى ما فعلت ولم تجر عادتي بنهب مال مسلم ولا اخذ ما حرمته الشريعة وامر اصحابه باعادة ما اخذوه منهم فاعاده ثم ان شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان وكان ممن معه جبق امير التركمان في اصحابه وسار الى انطاكية ليحصرها فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار اليه فالتقيا في الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين واربعمائة في طرف من اعمال انطاكية واقتتلوا فمال التركمان الذين مع جبق الى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة منهزما

ولست من الوزراء ولا من الامراء ولا من اكابر الدولة فقالوا جميعا قد اخترناك لذلك برأي الجميع والكافة والعبرة برضا اهل البلاد والذي في الحال احضروا الفروة والبسوها له وباركوا له وهتفوا وجهروا بخلع خورشيد احمد باشا من الولاية والاقامة المذكور في النيابة حتى يأتي المتولي او يأتي له تقرير بالولاية ونودي في المدينة بعزل الباشا واقامة محمد علي في النيابة الى ان كان ما هو مسطور قبل ذلك في محله فلما بلغ المترجم ذلك وكان ببركة الحج وراسل السيد عمر مكرم والمشايخ فانقبض خاطره ورجع الى الجيزة وازداد نفوره وامتنع عليه اهلها وحاربوه وحاربهم ولم ينل منهم غرضا والسيد عمر يقوي همهم ويمدهم ويرسل اليهم البارود وغيره من الاحتياجات وظهر للمترجم تلاعب السيد عمر مكرم معه وكونه كان يقويه على نقيضه فقبض على السفير الذي كان بينهما وحبسه وغمز به واراد قتله ثم اطلاقه ثم عاد الى بر الجيزة وسكنت الفتنة واستقر الامر لمحمد علي باشا وحضر قبطان باشا الى ساحل ابي قير ووصل سلحداره الى مصر وانزل احمد باشا المخلوع من الولاية من القلعة الى بولاق ليسافر ومنع محمد علي من الذهاب والمجيء الى المصريين واوقف اشخاصا برا وبحرا يرصدون من يأتي من قبلهم او يذهب اليهم بشيء من متاع وملبوس وسلاح وذخيرة الذين عدوا

صغيرا يقال له باب البربية لا يسلكه الا الرجالة لانه يصعد اليه من ظاهر البلد بدرج فكبسوه وادخلوا العسكر فملكه وانقرضت دولة بنى مروان فسبحان من لا يزول ملكه وهؤلاء بنو وهبان الى يومنا هذا كلما جاء الى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ولم يبق منهم من له شوكة ولا منزلة يفعل بها شيئا وانما بتلك الحركة يؤخذون الى الآن

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الاول وصل أمير الجيوش بعساكر مصر الى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشئ فرحل عنها عائدا الى مصر وفيها كانت الفتنة بين اهل الكرخ وسائر المحال من بغداد واحرقوا من نهر الدجاج درب الآجر وما قاربه وارسل الوزير ابو شجاع جماعة من الجند ونهاهم عن سفك الدماء فحجزوا من الاثم فلم يمكنهم تلافي الخطب فعظم وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها بأرجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير وفيها في ربيع الاول هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء وكثر الرعد والبرق وسقط على الارض رمل احمر وتراب كثير وكانت النيران تضطرم في اطراف السماء وكان اكثرها بالعراق وبلاد الموصل فالقت النخيل والاشجار وسقط معها صواعق في كثير من البلاد حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت ثم انجلى ذلك نصف الليل وفيها في ربيع الآخر توفي امام الحرمين ابو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ومولده سنة سبع عشرة واربعمائة وهو الامام المشهور في الفقه والاصولين وغيرهما من العلوم وسمع الحديث من ابي محمد الجوهري وغيره وفيها في ذي الحجة توفي محمد بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الوليد أبو علي المتكلم كان احد رؤساء المعتزلة واعيانهم ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على ان يخرج منه من عامة بغداد وأخذ الكلام عن أبي الحسين البصري وعبد الجبار الهمذاني القاضي ومن جملة تلامذته ابن برهان وهو اكبر شيخه وفي هذه السنة توفي القاضي أبو الحسن هبة الله بن محمد بن السني قاضي الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان يذاكر الامام المقتدي بامر الله وولي ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدي قاضي القضاة ابن الدامغاني وفيها في جمادى الاولى توفي أبو العز بن صدقة وزير شرف الدولة ببغداد وكان قد قبض عليه شرف الدولة وحبسه بالرحبة فهرب منها الى بغداد فمات بعد وصوله الى مأمنه باربعة أشهر وكان كريما متواضعا لم تغيره الولاية عن اخوانه وفيها في رجب توفي قاضي القضاة أبو عبد الله بن الدامغاني ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة وأربعمائة وكان قد صحب القاضي أبا العلاء بن صاعد وحضر ببغداد مجلس أبي الحسين القدوري وولي قضاء القضاة بعده القاضي أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامي وهو من اكبر اصحاب القاضي أبي الطيب الطبري وفيها توفي عبد الرحمن بن مأمون بن علي

الانكليز في مواقع الدولة بمساعدته وحضروا اليه يطلبون فعمل لهم بحوش ابن عيسى شكا وارسلهم مع امين بك الى الامراء القبليين فلما بلغ محمد علي باشا ذلك راسل الامراء القبليين وداهنهم وارسل لهم الهدايا فراجت اموره عليهم مع ملء صدورهم من الغل المترجم (وفي) اثر ذلك حضر قبطان باشا الى الاسكندرية ووردت السعاة بخبر وروده وان بعده واصل موسى باشا واليا على مصر وبالقبض على المصريين وكان من خبر هذه القضية والسبب في حركة القبطان ارساليات الالفي للانكليز ومخاطبة الانكليز الدولة ووزيرها المسمى محمد باشا السلحدار واصله مملوك السلطان مصطفى ولا يخفى الميل الى الجنسية فاتفق انه اجتمع بسليمان اغا تابع صالح بك الوكيل الذي كان يوسف باشا الوزير قلده سلحدارا وارسله الى اسلامبول وسأله عن المصريين هل بقي منهم غير الالفي فقال له جميع الرؤساء موجودون وعددهم له وهم ومماليكهم يبلغون الفين وزيادة فقال اني ارى عزلكم ورجوعهم على شروط نشترطها عليهم اولى من تمادي العداوة بينهم وبين هذا الذي ظهر من العسكر وهو رجل جاهل مختل وهم لا يسهل بهم جلاؤهم عن اوطانهم واولادهم وبلادهم التي ورثوها عن اسلافهم وتمادي الحال والحروب بينهم وبينه واحتياج الفريقين الى جمع العساكر وكثرة

ابن ذي النون وعرف من ابن يوفى البلد وكيف الطريق الى ملكه فلما كان الآن
جمع الاذفونش عساكره وسار الى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين واخذها من
القادر فازداد قوة الى قوته وكان المعتمد على الله ابو عبد الله محمد بن عباد اعظم ملوك
الاندلس من المسلمين وكان يملك اكثر البلاد مثل قرطبة واشبيلية وكان يؤدي الى
الاذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الاذفونش طليطلة ارسل اليه المعتمد الضريبة
على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه فارسل اليه يتهدده ويتوعده انه يسير الى مدينة
قرطبة ويتملكها الا ان يسلم اليه جميع الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين
وكان الرسول في جمع كثير كانوا خمسمائة فارس فانزله محمد بن عباد وفرق اصحابه على
قواد عسكره ثم امر كل من عنده منهم رجل ان يقتله واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت
عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش فاخبروه الخبر وكان متوجها
الى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ورحل
المعتمد الى اشبيلية

(ذكر استيلاء ابن جهير على آمد)

في المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد وسبب ذلك ان فخر الدولة بن جهير
كان قد انفذ اليها ولده زعيم الرؤساء ابا القاسم ومعه جناح الدولة المعروف بالمقدم
السالار وارادوا قلع كرومها وبساتينها ولم يطمع مع ذلك في فتحها لحصانتها فعم اهلها
الجوع وتعذرت الاقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون على الحصار غير مكترثين به
فاتفق ان بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم وتركوا مكانهم فصعد الى ذلك
المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد يعرف بابي الحسن فلبس السلاح
ووقف على ذلك المكان ونادى بشعار السلطان وفعل من معه كفعله وظهر زعيم
الرؤساء فاتاه هو وطائفة البلد واتفق اهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا
يلقون من نواب بني مروان من الجور والحكم وكان اكثرهم نصارى فانتقموا منهم

(ذكر ملكه ايضا ميافارقين)

وفي هذه السنة ايضا في سادس جمادى الآخرة ملك فخر الدولة ميافارقين وكان مقيما
على حصارها فوصل اليه سعد الدولة كوهرائين في عسكر نجدة له فجد في القتال فسقط
من سورها قطعة فلما رأى اهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه وسلموا البلد الى فخر الدولة
واخذ جميع ما استولى عليه من اموال بني مروان وانفذه الى السلطان مع ابنه زعيم
الرؤساء فانحدر هو وكوهرائين الى بغداد وسار زعيم الرؤساء منها الى اصبهان فوصلها
في شوال واوصل ما معه الى السلطان

(ذكر ملك جزيرة ابن عمر)

وفي هذه السنة ارسل فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر وهي لبني مروان ايضا فحصروها
فثار اهل بيت من اهلها يقال لهم بنو وهبان وهم من اعيان اهلها وقصدوا بابا للبلد

فخارجته بنفسه فكانت لهم الغلبة وقتل في هذه الواقعة علي كاشف الذي كان تزوج بزوجة حسن بك الجداوي
وهي بنت حسن بك شنن رآه
الاخصام متجبلا فقتلوه الباشا
فلما طلوا به واخذوه اسيرا ثم
قتلوه ورجع الباشا الى برمصر
واجتهد في تشهيل تجريدة
اخرى وكل ذلك مع طول
المدى (وفي اثناء ذلك)
مات بشتك بك المعروف
بالالفي الصغير مبطونا بناحية
قبلي ثم ان الالفي جمع خرج من
الفيوم في اوائل المحرم من
السنة المذكورة وكان حسن
باشا طاهر بناحية جزيرة الهواء
بمن معه من العساكر فكانت
بينهما واقعة عظيمة انهزم فيها
حسن باشا الى الرقق وادركه
اخوه عابدين بك فاقام معه
بالرقق كما تقدم وحضر الالفي
الى بر الجيزة وانبابة وخرج
اليهم العساكر فكانت بينهم
واقعة بسوق الغنم ظهر عليهم
فيها ايضا ثم سار بحرا وعدى
من عسكره وجنده جملة الى
السكية فاخذوا منها ما اخذوه
وعادوا الى استاذهم بالطرانة
ثم انه انتقل راحلا الى البحيرة
وحرب دمنهور وحاصرها
وكانوا اتقنوا تحصينها غاية
التحصين فلم يقدر عليها فعاد
الى ناحية وردان ثم رجع الى
حوش ابن عيسى لانه بلغه
وصول مراكب وبها امين
بك تابعه وعدة عساكر من
النظام الجديد واشخاص من
الانكليز لانه كان مع ما هو فيه من التنقلات والحروب يراسل الدولة والانكليز وارسل بالخصوص امين بك الى [illegible] سفيرا

وسار الى الرها وهي بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار الى قلعة جعبر فحصرها وملكها وقتل من بها من بني قشير واخذ جعبر من صاحبها وهو شيخ أعمى وولدين له وكانت الاذية بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجؤن اليها ثم عبر الفرات الى مدينة حلب فملك في طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها أخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها الى البرية ومعه الامير أرتق فاشار بكبس عسكر السلطان وقال انهم قد وصلوا وبهم وبدوابهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه اخي الذي انا مستظل بظله فانه يعود بالوهن على أولا وسار الى دمشق ولما وصل السلطان الى حلب تسلم المدينة وسلم اليه سالم بن مالك القلعة على ان يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها أولا فامر السلطان ان يرمى اليه رشقا واحدا بالسهام فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلمها وسلم السلطان اليه قلعة جعبر فبقيت بيده وبيد أولاده الى ان أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأرسل اليه الامير نصر بن علي ابن منقذ الكناني صاحب شيزر فدخل في طاعته وسلم اليه لاذقية وكفرطاب وفامية فاجابه الى المسالمة وترك قصده واقر عليه شيزر ولما ملك السلطان حلب سلمها الى قسيم الدولة آقسنقر فعمرها واحسن السيرة فيها وأما ابن الحتيتي فانه كان واثقا باحسان السلطان ونظام الملك اليه فانه استدعاهما فلما ملك السلطان البلد طلب أهله ان يعفيهم من ابن الحتيتي فاجابهم الى ذلك واخذه معه وأرسله الى ديار بكر فافتقر وتوفي بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بانطاكية قتله الفرنج لما ملكوها

(ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة)

في هذه السنة في ربيع الاول توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي صاحب الحلة والنيل وغيرهما مما يجاورهما ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة وكان فاضلا قرأ على علي بن برهان فبرع عليه كانه في الذي استفاده منه وله شعر حسن فمنه

فان أنا لم أحمل عظيما ولم أقد ٭ لهاما ولم أصبر على فعل معظم
ولم أجر الجاني وأمنع حوزه ٭ علام أنادي للفخار وانتمي

وله في صاحب له يكنى ابا مالك يرثيه

فان كان أودى خدننا ونديمنا ٭ ابو مالك فالنائبات تنوب
فكل ابن انثى لا محالة ميت ٭ وفي كل حي للمنون نصيب
ولولا حذار او بكاه لمالك ٭ بكيناه ما هبت صبا وجنوب

ولما توفي ارسل الخليفة الى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم يعزيه وسار سيف الدولة الى السلطان ملكشاه فخلع عليه وولاه ما كان لابيه واكثر الشعراء

فرق كبيرنا ابراهيم بك وجماعته والمرادية وكبيرهم عثمان بك البرديسي وأنا واتباعي فيكون ما يخص كل طائفة خمسمائة كيس فاذا استلفت منهم الالف كيس ورجعت الى سلستة الخمسمائة كيس فركب المذكور وذهب العجم واجتمع بهم واخبرهم بصورة الواقع وطلب منهم ذلك القدر فقال البرديسي حيث ان الالفي بلغ من قدره انه يخاطب الدول والقرانات ويراسلهم ويتمم أغراضه منهم ويولي الوزراء ويعزلهم بمراده ويتعين قبودان باشا في حاجته فهو يقوم بدفع المبلغ بتمامه لانه صار الآن هو الكبير ونحن الجميع اتباع له وطوائف خلفه بما فيه والدنا وكبيرنا ابراهيم بك وعثمان بك حسن وخلافه وقال سليمان اغا هو على كل حال واحد منكم واخوكم ثم انه اختلى مع ابراهيم بك الكبير وتكلم معه فقال ابراهيم بك انا ارضى بدخولي اي بيت كان واعيش ما بقي من عمري مع عيالي واولادي تحت امارة اي من كان من عشيرتنا اولى من هذا الشتات الذي نحن فيه ولكن كيف اعمل في الرفيق المخالف وهذا الذي حصل لنا كله بسوء تدبيره وتحسبه وعشت انا ومراد بك المدة الطويلة بعد موت أستاذنا وانا اتغاضى من افعاله وافعال اتباعه واصاغرهم في زلاتهم كل ذلك حذرا وخوفا من وقوع الشر والقتل والعداوة الى ان مات

ابو سعد المتولى مدرس النظامية وهو من اصحاب القاضى حسين المروزى وتمم كتاب الابانة

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين واربعمائة)

(ذكر قتل سليمان بن قتلمش)

لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه ارسل الى ابن الحتيتى العباسى مقدم اهل حلب يطلب منه تسليمها اليه فانفذ اليه واستمهله الى ان يكاتب السلطان ملكشاه وارسل ابن الحتيتى الى تتش صاحب دمشق يعده ان يسلم اليه حلب فسار تتش طالبا لحلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجدا فوصل الى تتش وقت العصر على غير تعبية فلم يعلم به حتى قرب منه فعبى اصحابه وكان الامير ارتق ابن اكسب مع تتش وكان منصور الجانب مظفرا لا يكاد ينهزم وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد واطلاقه شرف الدولة من آمد فلما فعل ذلك خاف ان ينهى ابن جهير ذلك الى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش فاقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فابلى فيها بلاء حسنا وحرض العرب على القتال فانهزم اصحاب سليمان وثبت هو فى القلب فلما رأى انهزام عسكره اخرج سكينا معه فقتل نفسه وقيل بل قتل فى المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلمش فى السنة الماضية فى صفر قد انفذ جثة شرف الدولة الى حلب على بغل ملفوفة فى ازار وطلب من اهلها ان يسلموها اليه وفى هذه السنة فى صفر ارسل تتش جثة سليمان فى ازار ليسلموها اليه فاجابه ابن الحتيتى انه يكاتب السلطان ومهما امره فعل فحصر تتش البلد واقام عليه وضيق على اهله وكان ابن الحتيتى قد سلم كل برج من ابراجها الى رجل من اعيان البلد ليحفظه فسلم برجا فيها الى انسان يعرف بابن الرعوى ثم ان ابن الحتيتى اوحشه بكلام اغلظ له فيه وكان هذا الرجل شديد القوة ورأى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك الى ان ارسل الى تتش يستدعيه وواعده ليلة يرفع الرجال الى السور فى الحبال فاتى تتش للميعاد الذى ذكره فاصعد الرجال فى الحبال والسلاليم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحتيتى بالامير ارتق فشفع فيه واما القلعة فكان بها سالم بن مالك بن بدران وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فاقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوما فبلغه الخبر بوصول مقدمة اخيه السلطان ملكشاه فرحل عنها

(ذكر ملك السلطان حلب وغيرها)

كان ابن الحتيتى قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم اليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار السلطان من اصبهان فى جمادى الآخرة وجعل على مقدمته الامير برسق وبوزان وغيرهما من الامراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها فى رجب وسار منها فلما وصل الى حران سلمها اليه ابن الشاطر فاقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة

النفقات والدلائف والمصاريف فيجمعونها من اى وجه كان ويؤدى ذلك الى خراب الاقليم فالاولى والمناسب صرف
هذا المنقلب واخراجه وتوابعه
خلاف ما صار الآن فى ذلك
فقال له سليمان لا رأى عندى
فى ذلك وخاف ان يكون
كلامه باطنا خلاف
الظاهر وادرك منه ذلك
فحلف له عند ذلك الوزير ان
كلامه وخطابه على ظاهره
وحقيقته لكن لا بد من مصلحة
للخزينة العامرة فقال له
سليمان اغا اذا كان كذلك
ابعثوا الى الالفى باحضار
كتخداه محمد اغا لانه رجل
يصلح للمخاطبة لمثل ذلك
ففعل وحضر المذكور فى
اقرب وقت وعملوا الاجرة على
مصلحة الضرب خمسمائة كيس
كفلها محمد كتخدا المذكور
يدفعها للقبطان باشا عند
وصوله بعد سليمان اغا
المذكور كفالته ايضا بعد
كتخدا بعد اتمام الشروط
التى قررها له مخدومه ومن
جملتها الاطلاق فى بيع المماليك
وشرائهم وجلب الجلابين لهم
الى مصر كعادتهم فانهم كانوا
منعوا من ذلك من نحو ثلاث
سنوات وغير ذلك وسافر
كل من سليمان اغا الوكيل
ومحمد كتخدا بصحبة قبودان
باشا حتى لاقاه واصل ثغر
اسكندرية فركب صحبته الى دار
القبودان فتلاقوا مع المترجم
بالبشر واعلموه بما حصل
فامتلأ فرحا وسر وقال لسليمان اغا اذهب الى اخواننا بقبول واعرض عليهم الامر ولا يخفى انها الآن ثلاثة وسار

وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات الحديث وفيه واعجاب المرء بنفسه وسار امير المسلمين والمعتمد بن عباد حتى أتوا ارضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس وأتى الاذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا فقيل لامير المسلمين ان ابن عباد ربما لم ينصح ولا يبذل نفسه دونك فارسل اليه امير المسلمين بامره ان يكون فى المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه فى لحف جبل والمعتمد فى سفح جبل يتراءون ونزل امير المسلمين وراء الجبل الذى عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذى يراه وكان الفرنج فى خمسين الفا فتيقنوا الغلب وارسل الاذفونش الى المعتمد فى ميقات القتال وقصد المكر فقال غدا الجمعة وبعده الاحد فيكون اللقاء يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا وركب ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه ان ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون فاشرفوا على الهزيمة وكان المعتمد قد ارسل الى امير المسلمين يعلمه بمجىء الفرنج للحرب فقال احملونى الى خيام الفرنج فساروا اليها فبينما هم فى القتال وصل امير المسلمين الى خيام الفرنج فنهبها وقتل من فيها فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا ان انهزموا واخذهم السيف وتبعهم المعتمد من خلفهم ولقيهم امير المسلمين من بين يديهم ووضع فيهم السيف فلم يفلت منهم احد ونجا الاذفونش فى نفر يسير وجعل المسلمون من رؤس القتلى اكواما كثيرة فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها وكانت الوقعة يوم الجمعة فى العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين واصاب المعتمد جراحات فى وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته ولم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلثمائة فارس وغنم المسلمون كل ما لهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء وعبر الى سبتة وسار الى مراكش فاقام بها الى العام المقبل وعاد الى الاندلس وحضر معه المعتمد بن عباد فى عسكره وعبد الله ابن بلكين الصنهاجى صاحب غرناطة فى عسكره وساروا حتى نزلوا على لبط وهو حصن منيع بيد الفرنج فحصروه حصرا شديدا فلم يقدروا على فتحه فرحلوا عنه بعد مدة ولم يخرج اليهم احد من الفرنج لما اصابهم فى العام الماضى فعاد ابن عباد الى اشبيلية وعاد امير المسلمين على غرناطة وهى طريقه ومعه عبد الله بن بلكين فغدر به امير المسلمين واخذ غرناطة منه واخرجه منها فرأى فى قصوره من الاموال والذخائر ما لم يحوه ملك قبله بالاندلس ومن جملة ما وجد سبحة فيها اربعمائة جوهرة قومت كل جوهرة بمائة دينار وه‍‍ من الجواهر ما له قيمة جليلة الى غير ذلك من الثياب والعدد وغيرها واخذ معه عبد الله واخاه تميما ابنى بلكين الى مراكش فكانت غرناطة اول ما ملكه من بلاد الاندلس وقد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة الى الاندلس وعود من عاد منهم الى المعز بافريقية وكان آخر من بقى منهم بالاندلس هذا عبد الله واخذت مدينته ورحل الى العدوة ولما رجع امير المسلمين الى مراكش اطاعه من

من قتلهم حسين بك تابعى وتحصينهم وحرضوهم على قتل واحد اخى انا واتباعى فبعض ما نحن فيه الآن أنسانى ذلك كما ان حسين بك الذى كور علو كى وليس هو لى ولا ابنى من صلبى وانما هو علو كى اشتريته بالدراهم واشترى غيره وعلو كى علو كهم وقد قتل لى عدة امراء وعاليك فى الحروب فاقرضته من جلتهم ولا يصيبنى وصيبهم الا ما قدره الله علينا وعلى ان الذى فعلوه لم يكن لسابق ذنب ولا جرم حصل منى فى حقهم بل كنا جميعا اخوانا وتذكروا اشارتى عليهم السابقة فى الالتجاء الى الانكليز وندموا على غفلتهم بعد الذى وقع لهم ورجعوا الى ثم اجمع رأيهم على سفرى الى بلاد الانكليز فامتثلت ذلك وتجشمت المشاق وخاطرت بنفسى وسافرت الى بلاد الانكلترة وقاسيت أهوال البحار ستة واشهر اكل ذلك لاجل راحتى وراحتهم وحصل ما حصل فى غيابى ودخلوا مصر من غير قياس وبنوا قصورهم على غير اساس واطمأنوا الى صدوقهم وتعاونوا على هلاك صديقهم وبعد أن قضى غرضه منهم غدرهم واحاط بهم واخرجهم من البلدة واخافهم وشردهم واحتال عليهم ثانيا يوم فطع الخليج فراجت حيلته عليهم ايضا وارسلت اليهم فنصحتهم فاستغدرونى وخالفونى ودخل الكثير منهم البلد وانحصر والى ارضها وجرى عليهم ما جرى من القتل الشنيع والامر

مراقى بهاء الدولة

(ذكر وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج)

قد تقدم ذكر ملك الفرنج طليطلة وما فعله المعتمد بن عباد برسول الاذفونش ملك الفرنج وعود المعتمد الى اشبيلية فلما عاد اليها وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها الا القليل وان استمرت الاحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت وساروا الى القاضى عبد الله بن محمد بن ادهم فقالوا له الا تنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد ان كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ما هو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا قاسمناهم اموالنا ونخرج معهم مجاهدين فى سبيل الله قال نخاف اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركون الفرنج ويبدؤن بكم والمرابطون اصلح منهم واقرب الينا قالوا له فكاتب امير المسلمين وارغب اليه ليعبر الينا ويرسل بعض قواده وقدم عليهم المعتمد بن عباد وهم فى ذلك فعرض عليه القاضى ابن ادهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد انت رسولى اليه فى ذلك فامتنع وانما اراد ان يبرئ نفسه من تهمة فألح عليه المعتمد فسار الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فابلغه الرسالة واعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش وكان امير المسلمين بمدينة سبتة ففى الحال امر بعبور العساكر الى الاندلس وارسل الى مراكش فى طلب من بقى من عساكره فاقبلت اليه تتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان قد جمع عساكره ايضا وخرج من اهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب الى امير المسلمين كتابا كتبه له بعض ادباء المسلمين يغلظ له القول ويصف ما معه من القوة والعدد والعدد وبالغ الكاتب فى الكتاب فامر امير المسلمين ابا بكر بن القصيرة ان يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب فاجاد فلما قرأه على امير المسلمين قال هذا كتاب طويل احضر كتاب الاذفونش واكتب فى ظهره الذى يكون ستراه فلما عاد الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلى برجل له عزم وحزم فازداد استعداده فرأى فى منامه كأنه راكب فيلا وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويلها فاحضر رجلا مسلما عالما بتعبير الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة وقوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ويقتضى هلاك هذا الجيش الذى تجمعه فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فاعجبته فاحضر ذلك المعبر وقال له بهذا الجيش التقى اله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه

وخالف هؤلاء الجماعة الحسانيين وترس البرديسى عليهم مع غياب اخيه الالفى وواخذه القروض وركن الى ابناء جنسه وصادقهم واتقرب بهم وقطع وجهه وفعل بالالفى الذى هو خشداشه واخوه ما فعل ولا يستمع النصيح فاصبح اولا وآخرا وما زال سليمان اغا يتقاوض معهم فى ذلك اياما الى ان اتفق مع ابراهيم بك على دفع نصف المصلحة ويقوم المترجم بالنصف الثانى فقال سليمان افندى اذهب به واخبر بما حصل فقالوا حتى نرجع اليه ونعلمه ونطيب خاطره على ذلك لئلا يقبضه ثم يطالبنا بغيره فلما رجع اليه واخبره بما دار بينهم قال اما قولهم انى اكون اميرا عليهم فهذا لا اتصوره ولا يصح انى اتآمر على مثل والدى ابراهيم بك وعثمان بك حسن ولا على من هو فى طبقتى من خشداشينى على ان هذا الا يعيبهم ولا ينقص مقدارهم بان يكون المتآمر عليهم واحدا منهم ومن جنسهم وذلك امر لم يخطر لى ببال وارضى بادنى من ذلك وياخذوا على عهدا بما اشترطه على نفسى اننا اذا صدنا الى اوطاننا انى لا اداخلهم فى شئ ولا اعارضهم فى امر وان يكون كبيرنا والدنا ابراهيم بك على عادته ويسمح لى بالاقامة بالجيزة ولا اعارضهم فى شئ واقنع بارادى الذى كان يبدى مسابقاته بكاتى وان اعتقدوا تقدرى لهم فى المستقبل بسبب ما فعلوه معى

وبلغ الناس الى درب الحوّاز وكان اهل الكرخ فيها ساكتون فخرج ابو الحسن بن برغوث العلوي الى مقدم الاحداث من السنة فقال له انه قد خمدت نيرانهم ورد الناس وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران وجاء المطر يومين ببغداد وفيها في ربيع الاول ارسل العميد كمال الملك الى الانبار فتسلمها من بني عقيل وخرجت من ايديهم وفيها في ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر واذن فيها وفيها في جمادى الاولى ورد الشريف ابو القاسم علي بن ابي يعلى الحسني الدبوسي الى بغداد في تجمل عظيم لم ير مثله لفقيه ورتب مدرسا بالنظامية بعد ابي سعد المتولي وفيها امر السلطان ان يزاد في اقطاع وكلاء الخليفة تمام شهر بزورى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد وفيها اقطع السلطان ملكشاه محمد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرحبة واعمالها وحران وسروج والرقة والخابور وزوجه باخته زليخا خاتون فتسلم البلاد جميعها ما عدا حران فان محمد بن الشاطر امتنع من تسليمها فلما وصل السلطان الى الشام نزل عنها ابن الشاطر فسلمها السلطان الى محمد وفيها وقع ببغداد صاعقتان فكسرت احداهما اسطوانتين واحرقت قطنا في صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلا وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخربت كثيرا من البلاد وفارق الناس مساكنهم الى الصحراء فلما سكنت عادوا وفيها عزل فخر الدولة ابن جهير من ديار بكر وسلمها السلطان الى العميد ابي علي البلخي وجعله عاملا عليها وفيها اسقط اسم الخليفة المصري من الحرمين الشريفين وذكر اسم الخليفة المقتدي بامر الله وفيها اسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق وفيها احصر تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينتي قابس وصفاقس في وقت واحد وفرق عليها العساكر وفيها في ربيع الاول توفي ابو الحسن بن فضال المجاشعي النحوي المقرى وفي ربيع الآخر توفي شيخ الشيوخ ابو سعد الصوفي النيسابوري وهو الذي تولى بناء الرباط بنهر المعلى وبنى وقوفه وهو والد شيخ الشيوخ الآن وبنى وقوف المدرسة النظامية وكان عالي الهمة كثير التعصب لمن يلتجئ اليه وبه سد تربة معروف الكرخي بعد ان احترقت وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان وكان يقال الحمد لله الذي اخرج راس ابي سعد من رقعة ولو اخرجه من قباء ملكشاه وفيها توفي ابو علي محمد بن احمد التستري البصري وكان خيرا حافظا للقرآن ذا مال كثير وهو آخر من روى سنن ابي داود السجستاني عن ابي عمر الهاشمي وفيها توفي الشريف ابو نصر الزينبي العباسي نقيب الهاشميين وهو محدث مشهور عالي الاسناد

(ثم دخلت سنة ثمانين واربعمائة)

(ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة)

في المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومي وكان اكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى اربعة وسبعين

شاع ذكره في الآفاق ولا تخاطب الدولة غيره وقد كنا في خيفته لا نطيق عفريتا من عفاريته فكيف يكون هو وعفاريته الجميع ومن يتبعه خلافهم وداخلهم الحقد وزاد في وساوسهم الشيطان فقال لهم سليمان اغا اصبروا اشغلكم في هذا الحين حتى تنجلي عنكم الاعداء الاغراب ثم اقتلوه بعد ذلك وتستريحوا منه فقالوا هيهات بعد ان يظهر علينا فانه يقتلنا واحدا بعد واحد ويخرجنا الى البلاد ثم يرسل يقتلنا وهو بعيد المكر فلا نامن اليه مطلقا وغرضهم الخصم بشمويهاته وارسل اليهم هدايا وخيولا وسروجا واقمشة هذا ورسل القبودان تذهب وتاتي بالمخاطبات والمراسلات حتى عموا الامر تقدم (وفي اثناء ذلك) ينتظر القبودان جوابا كافيا وهو ايضا مقيم عند المترجم والمترجم شاغل القبودان بالهدايا والاغنام والذخيرة من الارز والغلال والسمن والعسل وغير ذلك الى ان رجع اليه سليمان اغا يخفي حنين عن عزونامهم وما مخبرا فيما وقع فيه من الورطة مكسوف البال مع القبودان ووزير الدولة وكيف يكون جوابه لان كوروا القبودان جعل في الامر تخطين ليتبع الاروج فلما وصل اليه سليمان اغا واخبره ان الجماعة القبليين لا راحة عندهم وامتنعوا من الدفع ومن الحضور وان المترجم يقرم

كان لم يطعه من بلاد السوس وورغه وقلعة مهدى وقال له علماء الاندلس انه ليست طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة وياتيه تقليده بالبلاد فارسل الى الخليفة المقتدى بامر الله ببغداد فاتاه الخلع والاعلام والتقليد ولقب بامير المسلمين وناصر الدين

ذكر دخول السلطان الى بغداد

فى هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداد فى ذى الحجة بعد ان فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة وهى اول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وركب من الغد الى الحلبة ولعب بالجوكان والكرة وارسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها الخليفة ومن الغد ارسل نظام الملك الى الخليفة خدمة كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف واحمد بن حنبل وابى حنيفة وغيرها من القبور المعروفة فقال ابن زركويه الواسطى يهنى نظام الملك بقصيدة منها

زرت المشاهد زورة مشهودة ۝ ارضت مضاجع من بها مدفون

فكانك الغيث استهل بتربها ۝ وكانها بك روضة ومعين

فازت قداحك بالثواب وانجحت ۝ ولك الاله على النجاح ضمين

وهى مشهورة وطلب نظام الملك الى دار الخلافة ليلا فمضى فى الزبزب وعاد من ليلته ومضى السلطان ونظام الملك الى الصيد فى البرية فزارا المشهدين مشهد امير المؤمنين على ومشهد الحسين عليهما السلام ودخل السلطان البرية فاصطاد شيئا كثيرا من الغزلان وغيرها وامر ببناء منارة القرون بالسبيعى وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائما يقدم اميرا اميرا الى الخليفة وكلما قدم اميرا يقول هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا الى ان اتى على آخر الامراء وفوض الخليفة الى السلطان امر البلاد والعباد وامره بالعدل فيهم وطلب السلطان ان يقبل يد الخليفة فلم يجبه فسال ان يقبل خاتمه فاعطاه اياه فقبله ووضعه على عينه وامره الخليفة بالعود فعاد وخلع الخليفة ايضا على نظام الملك ودخل نظام الملك الى المدرسة النظامية وجلس فى خزانة الكتب وطالع فيها كتبا وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث واملى جزءا آخر واقام السلطان ببغداد الى صفر سنة ثمانين وسار منها الى اصبهان

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة فى المحرم جرى بين اهل الكرخ واهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة من جملتهم القاضى ابو الحسن ابن القاضى ابى الحسين بن الغريق الهاشمى الخطيب اصابه سهم فمات منه ولما قتل تولى ابنه الشريف ابو تمام ما كان اليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك الدهستانى ببغداد فسار بخيله ورجاله الى القنطرة العتيقة واعان اهل الكرخ ثم جرت بينهم فتنة ثانية فى شوال منها فاعان الحجاج على اهل الكرخ فانهزموا

القطيع ولم يبق الامن تخلف منهم او ذهب من غير الطريق ثم انه الآن ايضا بر اسلمو بيد اخيهم وبلادهم وبضائعهم ويبتطهم صاقبه الحجاج لهم وما اظن ان الغفلة استحكمت فيهم الى هذا الحد فارجع اليهم وتذكرهم بما سبق لهم من الوقائع فلعلهم يتنبهون من سكراتهم ويرسلون مثل الثلثين او النصف الذى سمع به والدنا ابراهيم بك وهذا القدر ليس فيه كبير مشقة فانهم اذا وزعوا على كل امير عشرة اكياس وعلى كل كاشف خمسة اكياس وكل جندى او مملوك كيسا واحدا اجتمع المبلغ وزيادة وانا افعل مثل ذلك مع قومى والحمد لله اسوا نحن و لا نحن مفاليس وعمرة المال فداء مصالح الدنيا وما نحن فيه الآن من اهم المصالح وقل لهم البدار قبل فوات الفرصة والخصم ليس بغافل ولا مهمل والعثمانيون عبيد الدرهم والدينار فلما فرغ من كلامه ودعه سليمان اغا ورجع الى قبلى فوجد الجماعة اصروا على عدم دفع شئ ورجع ابراهيم بك ايضا الى قومه وداخلهم ولما اتى لهم سليمان اغا بالعبارات التى قالها صاحبهم وانه يكون تحت امرهم ويرضى بادنى المعاش معهم ويسكن الجيزة الى آخر ما قال قالوا هذا والله كله كلام لا اصل له ولا يغنى ثار وما فعلناه فى حقه وحق اتباعه ولو اعتزل عنا وسكن قلعة الجبل فهو الآلى الذى

وبلغ

صلحا ومضى اليها وعاد عنها في ذي القعدة وفيها وقعت فتنة بين اهل الكرخ وغيرها
من المحال قتل فيها كثير من الناس وفيها كسفت الشمس كسوفا كليا وفيها توفي
الامير ابو منصور قتلغ امير الحاج وحج اميرا اثنتي عشرة سنة وكان له في العرب عدة
وقعات وكانوا يخافونه ولما مات قال نظام الملك مات اليوم الف رجل وولي امارة
الحاج خمارتكين وفيها في جمادى الاولى توفي اسمعيل بن عبد الله بن
موسى بن سعد ابو القاسم الساوي سمع الحديث الكثير من ابي سعيد الصيرفي وغيره
وروى عنه الناس وكان ثقة وطاهر بن الحسين ابو الوفاء البندنيجي الهمذاني كان
شاعرا اديبا وكان يمدح لا لعرض الدنيا ومدح نظام الملك بقصيدتين كل واحدة منهما
تزيد على اربعين بيتا احداهما ليس فيها نقطة والاخرى جميع حروفها منقوطة وفيها
توفيت فاطمة بنت علي المؤدب المعروفة ببنت الاقرع الكاتبة كانت من احسن
الناس خطا على طريقة ابن البواب وسمعت الحديث واسمعته وفيها في ذي القعدة
توفي غرس النعمة ابو الحسن محمد بن الصابي صاحب التاريخ وظهر له مال كثير وكان
له معروف وصدقة

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين واربعمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد)

في هذه السنة في صفر شرع اهل باب البصرة في بناء القنطرة الجديدة ونقلوا الآجر في
اطباق الذهب والفضة وبين ايديهم الدبادب واجتمع اليهم اهل المحال وكثر عددهم
اهل باب الازج في خلق لا يحصى واتفق ان كوهرائين سار في سميرية واصحابه يسيرون
على شاطئ دجلة بسيره فوقف اهل باب الازج على امرأة كانت تسقي الناس من مزملة
لما اصل دجلة فحملوا عليها على عادتهم وجعلوا يكسرون الجرار ويقولون الماء للسبيل
فلما رأت سعد الدولة كوهرائين استغاثت به فأمر بابعادهم عنها فضربهم الاتراك
بالمقارع فنال العامة سبوه فهموا وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان وهو اخص اصحابه
فسقط عن الفرس فحمل كوهرائين الحنق على ان خرج من السميرية اليهم راجلا
فحمل احدهم عليه فطعنه باسفل رمحه فالقاه في الماء والطين فحمل اصحابه على
العامة فقاتلوهم وقصدوا اهل النفر بالذي طعنه فلم يصلوا اليه واخذ ثمانية نفر فقتل
احدهم وقطع اعصاب ثلاثة نفر وارسل قباءه الى الديوان وفيه اثر الطعنة والطين
يستغير على اهل باب الازج ثم ان اهل الكرخ عقدوا لانفسهم طاقا آخر على باب طاق
الحراني وفعلوا كفعل اهل باب البصرة

(ذكر اخراج الاتراك من حريم الخلافة)

في هذه السنة تقدم امر الخليفة باخراج الاتراك الذين مع الخاتون زوجته
ابنة السلطان من حريم دار الخلافة وسبب ذلك ان تركيا منهم اشترى من طواف
فاكهة فغبنه فشتم الطواف التركي فاخذ التركي صنجة من الميزان وضرب بها رأس

وطاهر باشا ومن معهم من عساكر الارنؤد والاتراك وعسكر المغاربة فطاردهم وكسرهم وهزمهم شر هزيمة
حتى القوا بانفسهم في البحر
ورجعوا الى اسوارها فلم
يحاصرهم الترك وتبعهم الهرب
الباقون من البلدة وخرجوا
جميعا على وجوههم من شدة
ما داخلهم من الرعب ولكن
لم يرد الله ذلك ولم يجسروا
للخروج عليه بعد ذلك ولما
تحقق عنده هزيمته ولم يلبثوا
دونه واتلفوا الطبجية وسافر
القبودان وموسى باشا من
ثغر سكندرية على الصورة
المذكورة استانف المترجم
امرا آخر وراسل الانكليز
يلتمس منهم المساعدة وان
يرسلوا له طائفة من جنودهم
ليقوى بهم على محاربة الخصم
كما التمس منهم في العام
الماضي فاعتذروا اليه بانهم
صلح مع العثمانلي وليس في
قانون الممالك اذا كانوا اصطلحوا
ان يتعدوا اهل المتصادقين
معهم ولا يوجهون نحوها
عساكر الا باذن منهم او
بالتماس المساعدة في امرهم
فغاية ما يكون المكالمة والترجي
ففعلوا وحصل ما تقدم ذكره
ولم يتم الامر فلما نابهم بعد
الذي جرى صادف ذلك وقوع
النفرة بينهم وبين العثمانلي
فارسلوا الى المترجم يعدون
بانفاذ ستة آلاف لمساعدته
فاقام بالجيزة ينتظر حضورهم
نحو ثلاثة شهور وكان ذلك
أوان القيظ واليبس ثم [illegible] ولا نبات فضاقت على جيوشهم الناحية وقد طال انتظاره للانكليز فشكى العربان

بغلا محلاة بانواع الديباج الملكى واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى وبين يدى البغال ثلاثة وثلاثون فرسا من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدى الجهاز سعد الدولة كوهرائين والامير برسق وغيرهما ونثر اهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيدا ثم ارسل الخليفة الوزير ابا شجاع الى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق فى الحريم دكان الا وقد اشعل فيه الشمعة والاثنتان واكثر من ذلك وارسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا امير المؤمنين يقول ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقد اذن فى نقل الوديعة الى داره فاجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من اعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وخيلها وبين ايديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر اكثر شئ وقد احاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما كان الغد احضر الخليفة امراء السلطان لسماط امر بعمله حكى ان فيه اربعين الف منا من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر وارسل الخلع الى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك

● (ذكر عدة حوادث) ●

فى هذه السنة ولد للسلطان ابن من تركان خاتون وسماه محمودا وهو الذى خطب له بالملك بعده وفيها سلم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة الى مملوكه آقسنقر نوابها واظهر فيها العدل وحسن السيرة وكان زوج داية السلطان ملكشاه وهى التى حضنته وتربيه ومات بحلب سنة اربع وثمانين وفيها استبق ساعيان احدهما للسلطان فضلى والآخر للامير خمارتكين فسبق ساعى السلطان وقد تقدم ذكر الفضلى والمرعوش ايام معز الدولة بن بويه وفيها جعل السلطان ولى عهده ولده ابا شجاع احمد ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة امير المؤمنين وارسل الى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد بذلك فخطب له فى شعبان ونثر الذهب على الخطباء وفيها فى شعبان انحدر سعد الدولة كوهرائين الى واسط فظفر بمهذب الدولة بن ابى الجبر صاحب البطائح ولما فارق بغداد كثرت فيها الفتن وفيها فى ذى القعدة ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرا وكناه ابا الفضل وزين البلد لاجل ذلك وفيها استولى العميد كمال الملك ابو الفتح الدهستانى عميد العراق على مدينة هيت اخذها

تدفع القدر الذى يقدر عليه والذى يبقى ويتجمع عليه يقوم بدفعه فاغتاظ القبودان وقال انت تضحك على ذقنى وذقن وزير الدولة وقد صار كذا هذه الحركة على ظن ان الجماعة على قلب رجل واحد واذا حصل من المماليك لبلادة عصيان ومخالفة لم يكن فيهم مكافاة لمقاومته ساعدناهم بجيش من النظام الجديد وغيره وحيث انهم منا متفرقون ومتحاسدون ومتباغضون فلا خير فيهم وصاحبك هذا لا يكفى فى المقاومة وحده وهو يحتاج الى كثير المعاونة وهى لا تمكن الا بكثرة المصاريف ● ولما ظهر لسليمان اغا الغيظ والتغير من القبودان خاف على نفسه ان يبطش به وعرف منه ان المانع له من ذلك غياب السلحدار عند المترجم لانه قال له واين سلحدارى قال هو عند الالفى بالبحيرة فقال اذهب فائتنى به واحضر صحبته وكان موسى باشا المتولى قد حضر ايضا فصادق سليمان اغا بقوله ذلك وخلاصه من بين يديه فركب فى الوقت وخرج من الاسكندرية يقصد الالفى بعد عنها مقدار غلوة الا والسلحدار قادم الى اسكندرية فساله الى اين تذهب فقال ان عدوك ارسلنى فى شغل وها انا راجع اليكم وذهب عند المترجم ولم يرجع (وفى اثناء هذه الايام) كان المترجم يحارب دمنهور وبعث اليه محمد على باشا التجريدة العظيمة التى بذل فيها جهده وفيها جميع عساكر الدلاة

يقول لو كنت موضع أبي مسعود بعد وفاة جدي محمود لما انفصمت عرى مملكتنا ولكني الآن عاجز عن أن أسترد ما أخذوه وأنا متولي عليه ملوك قد اتسعت ممالكهم وعظمت عساكرهم ولما توفي ملك بعده ابنه مسعود ولقبه جلال الدين وكان قد زوجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه وأخرج نظام الملك في هذه الأملاك والزفاف مائة ألف دينار

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة حج الوزير أبو شجاع وزير الخليفة واستناب الأجل عميد الدولة أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجاج من الخفارة وفيها جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار إلى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد إلى حلب وفيها توفي أبو بكر أحمد بن أبي حاتم عبد الصمد بن أبي الفضل الغورجي الهروي والقاضي محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الأزدي المهلبي راوي جامع الترمذي عن أبي محمد الجراحي رواه عنهما أبو الفتح الكروخي وتوفي عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو إسمعيل الأنصاري الهروي شيخ الإسلام به ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان شديد التعصب في المذاهب ومحمد بن إسحق بن إبراهيم بن مخلد الباقرحي ومولده في شعبان وهو من أهل الحديث والرواية وفي المحرم توفيت ابنة القائم بأمر الله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع إلى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد في فعل الخير ما بلغت وفي شعبان توفي عبد العزيز الصحراوي الزاهد وفيها توفي الملك أحمد ابن السلطان ملكشاه وكان ولي عهد أبيه في السلطنة وكان عمره إحدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام في دار الخلافة ولم يركب أحد فرسا وخرج النساء ينحن في الأسواق واجتمع الخلق الكثير في الكرخ للتفرج والمناحات وسود أهل الكرخ أبواب دورهم لإظهار الحزن به

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد بين العامة)

في هذه السنة في صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فأغلق أهل الكرخ الأسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين وهي بالدم ومضوا إلى دار العميد كمال الملك أبي الفتح الدهستاني مستغيثين فأرسل إلى النقيب طراد بن محمد وطلب منه إحضار القاتلين فقصد طراد دار الأمير بوزان يقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووكل به فأرسل الخليفة إلى بوزان يعرفه حال النقيب طراد ومحله ومنزلته فخلى سبيله واعتذر إليه فسكن العميد كمال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ثم سار إلى السلطان فعاد الناس إلى ما كانوا فيه من الفتنة ولم ينقض يوم إلا عن قتلى وجرحى

(ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر)

وهم مرتبون على أوابير ومعهم طبول وصحبتهم قبائل العرب من أولاد علي والهنادي وعربان الشرق في كبكبة زائدة والباشا والعسكر وقوف ينظرون إليهم من بعيد وهو يتعجب ويقول هذا طهماز الزمان والا إيش يكون ثم يقول للدلاة والخيالة تقدموا وحاربوا وأنا أعطيكم كذا وكذا من المال ويذكر لهم مقادير عطية ويرغبهم فلم يتجاسروا على الإقدام وصاروا باهتين ومتعجبين ويتناجون فيما بينهم ويتشاورون في تقدمهم وتأخرهم وقد أصابوه بأعينهم ولم يزل سائرا حتى وصل إلى قريب قناطر شبرامنت فنزل على علوة هناك وجلس عليها وزادته الهواجس والقهر ونظر إلى جهة مصر وقال يا مصر انظري إلى أولادك وهم حولك مشتتين متباعدين متشردين واستوطنك أجلاف الأتراك واليهود وأراذل الأرنؤد وصاروا يقبضون خراجك ويحاربون أولادك ويقاتلون أبطالك ويقاومون فرسانك ويهدمون دورك ويسكنون قصورك ويفسقون بولدانك وحورك ويطمسون بهجتك ونورك ولم يزل يردد هذا الكلام وأمثاله وقد تحرك به خلط دموي وفي الحال تقايأ دما وقال قد قضي الأمر وخلصت مصر لمحمد علي وما ثم من ينازعه ويغالبه وجرى حكمه على المماليك المصرية يقينا أن لن تقوم لهم راية بعد اليوم ثم إنه أحضر أمراءه وأمر عليهم شاهين بك وأوصاهم [illegible]

الطواف فنحوه فاجتمعت العامة وكادت تكون بينهم وبين الاتراك الشر واستغاثوا وشنعوا فامر الخليفة باخراج الاتراك فاخرجوا من آخرهم في ساعة واحدة على اقبح صورة وقت العشاء الآخرة

(ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها)

في هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من افريقية وهي بقرب المهدية وسبب ذلك ان الامير تميم بن المعز بن باديس صاحبها اكثر غزو بلادهم في البحر فخربها وقتل اهلها فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على انشاء الشواني لغزو المهدية ودخل معهم البيسانيون والجنويون وهما من الفرنج فاقاموا يعمرون الاسطول اربع سنين واجتمعوا بالجزيرة قوصرة في اربعمائة قطعة فكتب اهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة فاراد تميم ان يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الاسطول الذي له ليمنعهم من النزول فمنعه من ذلك بعض قواده اسمه عبد الله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر فجاءت الروم وارسوا وطلعوا الى البر ونهبوا وخربوا واحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته ثم صالح تميم الروم على ثلاثين الف دينار ورد جميع ما حووه من السبي وكان تميم يبذل المال الكثير في الغرض الحقير فكيف في الغرض الكبير حتى قيل انه بذل للعرب لما نازلوه على حصن له يعني قناطة البر بالعظيم اثني عشر الف دينار حتى عده فقيل له هذا سرف في المال فقال هو شرف في الحال

(ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور)

في هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حماد وولي بعده ابنه المنصور وقام في آثار ابيه في الحزم والعزم والرياسة ووصله كتب الملوك ورسلهم بالتعزية بابيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتميم بن المعز وغيرهما

(ذكر وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود)

في هذه السنة توفي الملك المؤيد ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا كريما مجاهدا وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل الينا وكان عاقلا ذا رأي متين فمن آرائه ان السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي جمع عساكره وسار يريد غزنة ونزل باسفرار فكتب ابراهيم بن مسعود كتابا الى جماعة من اعيان امراء ملكشاه يشكرهم ويعتد لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وقد ضمنهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وامر القاصد بالكتب ان يتعرض لملكشاه في الصيد ففعل ذلك فاخذ واحضر عند السلطان فسأله عن حاله فانكره فامر السلطان بعقوبته حتى دفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها فرحل من امرائه وعاد ولم يقل لاحد من امرائه في هذا الامر شيئا خوفا ان يستوحشوا منه وكان يكتب بخطه كل سنة مصحفا ويبعثه مع الصدقات الى مكة وكان

المجمعون عليه وغيرهم لشدة ما هم فيه من الجهد وفي كل حين يعدهم بالفرج ويقول لهم اصبروا ولم يبق الا القليل فلما اشتد بهم الجهد اجتمعوا اليه وقالوا له اما ان تنتقل معنا الى ناحية قبلي فان ارض الله واسعة واما ان تأذن لنا في الرحيل في طلب القوت فما وسعه الا الرحيل مكظوما مقهورا من معاندة الدهر في بلوغ المآرب الاول مجيء القبودان وموسى باشا على هذه الهيئة والصورة ورجوعهما على غير طائل الثاني عدم ملكه دمنهور وكان قصده ان يجعلها معقلا ويقيم بها حتى تأتيه النجدة الثالث تأخر مجيء النجدة حتى قحطوا واضطروا الى الرحيل الرابع وهو اعظمها مجانبة اخوانه وعشيرته وخذلانهم له وامتناعهم عن الانضمام اليه فارتحل من الجيزة بجيوشه ومن يصحبه من العربان حتى وصل الى الاخصاص فنادى محمد علي باشا على العساكر بالخروج ولا يتأخر منهم واحد فخرجوا افواجا افواجا حتى وصلوا الى ساحل بولاق وعدوا الى بر انبابة وجيشوا بظاهرها وقد وصل المترجم الى كفر حكيم يوم الثلاثاء ثامن عشر القعدة وانتشرت جيوشه بالبر القبلي في ناحية انبابة والجيزة وركب الباشا واصناف العساكر ووقفوا على ظهر خيولهم واصطفت الرجالة ببنادقهم واستمر هو مرام المترجم في هيئة عظيمة هائلة وجيوش تسد الفضاء

واستقصر مخصر هنده (؟) بسمرقند ... لان امره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان اساء اليهم حتى ادعوا عليه دما لقوم كان قتلهم واخذ الفتاوى عليه وقتله واتصلت الاخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد الى سمرقند

(ذكر فتح سمرقند الفتح الثانى)

لما اتصلت الاخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الخكلية عاد الى سمرقند فلما وصل الى بخارا هرب يعقوب المستولى على سمرقند ومضى الى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره الى السلطان مستأمنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ولما وصل السلطان الى سمرقند ملكها ورتب بها الامير ابر وسار فى اثر يعقوب حتى نزل بيوزكند وارسل العساكر الى سائر الاكناف فى طلبه وارسل السلطان الى ملك كاشغر وهو اخو يعقوب ليجد فى امره ويرسله اليه فاتفق ان عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه الى ان هرب على فرسه ودخل الى اخيه بكاشغر مستجيرا به فسمع السلطان بذلك فارسل الى ملك كاشغر يتوعده ان لم يرسله اليه ان يقصد بلاده ويصير هو العدو فخاف ان يمنع السلطان وانف ان يسلم اخاه بعد ان استجار به وان كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة فى الملك عظيمة لما يلزمه من العار فاداه اجتهاده الى ان قبض على اخيه يعقوب واظهر انه كان فى طلبه فقبض عليه وسيره مع ولده وجماعة من اصحابه ووكلهم بيعقوب وارسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وامر ولده انه اذا وصل الى قلعة بقرب السلطان ان يسمل يعقوب ويتركه فان رضى السلطان بذلك والا سلمه اليه فلما وصلوا الى القلعة عزم ابن ملك كاشغر ان يسمل عمه وينفذ فيه ما امره به ابوه فتقدم فكتفه والقاه على الارض ليفعلوا به ذلك فبينماهم على تلك الحال وقد احموا الميل ليسملوه اذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم ارادوا بعد ذلك سمله ومنع منه بعض فقال لهم يعقوب اخبرونى عن حالكم وما يفوتكم الذى تريدونه منى واذا فعلتم بى شيئا عاند تم عليه فقيل له ان طغرل بن ينال امير من ... فى عشرات الوف من العساكر وكبس اخاك بكاشغر فاخذه اسيرا ونهب عسكره وعاد الى بلاده فقال لهم هذا الذى تريدون تفعلونه بى ليس مما تتقربون به الى الله تعالى وانما تفعلونه اتباعا لامر اخى وقد زال امره وعدم الاحسان فاطلقوه فلما رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل ابن ينال ومسيره الى كاشغر وقبض صاحبها وملكه لها فاقام قريبا منه خاف ان يحل بعض امره وتزول هيبته وعلم انه متى قصد طغرل سار من بين يديه فان عاد عنه رجع الى بلاده وكذلك يعقوب اخو صاحب كاشغر وانه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وبعدها وخوف الموت بها فوضع تاج الملك على ان يسعى فى اصلاح امر يعقوب معه ففعل ما امره به السلطان فاتفق هو ويعقوب وعاد الى خراسان وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوة وملك البلاد وكل منهما يقوم فى وجه الآخر

شهرين حتى قويت عندهم القرائن بما حصل وعند ذلك فانه لما مات تفرقت قبائل الجرمان التى كانت تجمعت حوله وبعضهم ارسل يطلب امانا من الباشا وغير ذلك مما تقدم ذكره وخبره فى ضمن ما تقدم وكان محمد على باشا يقول مادام هذا الالفى موجودا لا يهنا لى عيش ومثالى انا وهو مثال رجلين يلعبان على الحبل لكن هو فى رجليه قبقاب فلما اتاه المبشر بموته قال بعد ان تحقق ذلك الآن طابت لى مصر وما عدت احسب لغيرها حسابا (وكان المترجم) اميرا جليلا مهيبا محتشما مدبرا بعيد الفكر فى عواقب الامور صحيح الفراسة اذا نظر فى صورة انسان عرف حاله واخلاقه بمجرد النظر اليه قوى الشكيمة صعب المراس عظيم الباس ذا هيبة حتى على من لا ينتمى اليه او ينتسب الى طرفه يحب علو الهمة فى كل شئ حتى ان التجار الذين يعاملهم فى المشتروات لا يساومهم ولا يقاصصهم فى اثمانها بل يكتبون الاثمان بانفسهم كما يحبون ويريدون فى قوائمهم ويأخذها الكاتب ليعرضها عليه فيمضى عليها ولا ينظر فيها ويرى ان النظر فى مثل ذلك اوالمفاقصة فيه عيب ونقص يخل بالامرية ولا تمضى السنة الا والجميع قد استوفوا حقوقهم ويستانفوا احتياجات العام الجديد وبذلك راج حال المعاملين له وراجاهته بالكثرة وبحمهم عليه ومكاسبهم

في هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وسبب ذلك ان سمرقند كان قد ملكها أحمد خان بن خضر خان أخو شمس الملك الذى كان قبله وهو ابن أخى تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا لما ملك قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا الى السلطان سرا يستدعونه ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعى عند السلطان شاكيا وكان يخاف من احمد خان لكثرة ماله فأظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا اليه واطمعه في البلاد فتحركت دواعى السلطان الى ملكها فسار من أصبهان وكان قد وصل اليه وهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرر عليه فاخذه نظام الملك معهم الى ما وراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل الى كاشغر اذن له نظام الملك فى العود الى بلاده وقال أحب ان يذكر عنا فى التواريخ ان ملك الروم حمل الجزية واوصلها الى باب كاشغر لينهى الى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق ولما سار السلطان من أصبهان الى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها وعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الاحصاء فلما قطع النهر قصد بخارا واخذ ما على طريقه ثم سار اليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت الملطفات قد تقدمها الى أهل البلد يعدهم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم وحصر البلد وضيق عليه وأعانه أهل البلد بالاقامات وفرق أحمد خان صاحب سمرقند ابراج السور على الامراء ومن يثق اليه من اهل البلد وسلم برجا يقال له برج العيار الى رجل علوى كان مختصا به فنصح فى القتال فاتفق ان ولد هذا العلوى أخذ أسيرا ببخارا فهدد الاب بقتله فتراخى عن القتال فسهل الامر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ثلم بالمجنيقات وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان الى السور هرب أحمد خان واختفى فى بيوت بعض العامة فغمز عليه وأخذ وحمل الى السلطان وفى رقبته حبل فاكرمه السلطان واطلقه وارسله الى اصبهان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الامير العميد أبا طاهر عميد خوارزم وسار السلطان قاصدا الى كاشغر فبلغ الى يوزكند وهو بلد يجرى على بابه نهر وأرسل منها رسلا الى ملك كاشغر يأمره باقامة الخطبة وضرب السكة باسمه وتوعده ان خالف بالمسير اليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فاكرمه وعظمه وتابع الانعام عليه واعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان فلما ابعد عن سمرقند لم يتفق اهلها وعسكرها المعروفون بالجكلية مع العميد ابى طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يثبون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى الى خوارزم

(ذكر عصيان سمرقند)

كان مقدم العسكر المعروف بالجكلية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذه الحادثة فكاتب يعقوب تكين اخا ملك كاشغر وهو بمكان يعرف بآب نباشى وبيده قلعتها

واوصاهم به وان يحرصوا على دوام الالفة ويتم ... وترك التنازع الموجب للتفرق والتفاشل وان يحذروا من مخادعة عدوهم واوصاهم انه اذا مات يحملونه الى وادى البهنسا ويدفنونه بجوار قبور الشهداء فمات فى تلك الليلة وهى ليلة الاربعاء تاسع عشر ذى القعدة فلما مات غسلوه وكفنوه وصلوا عليه وحملوه على بعير وارسلوه الى البهنسا ودفنوه هناك بجوار الشهداء وانقضى نحبه فسبحان من له سرمدية البقاء وفى الحال حضر المبشر الى محمد على باشا وبشره بموت المترجم فلم يصدقه واستغرب ذلك وحبس البدوى الذى اتاه بالبشارة اربعة أيام وذلك لان اتباعه كانوا كتموا امر موته ولم يذيعوه فى عرضيه والذى اشاع الخبر واتى بالبشارة رفيق البدوى الذى حمله على بعيره ولما ثبت موته عند الباشا امتلأ فرحا وسرورا وكذلك خاصته ورفعوا رؤسهم واحضر ذلك المبشر والبسه فروة سمور واعطاه مالا وامره ان يركب بتلك الخلعة ويشق بها من وسط المدينة ليراه اهل البلدة وشاع ذلك الخبر فى الناس من وقت حضور المبشر وهم يكذبون ذلك الخبر ويقولون هذا من جملة تحيلاته فانه لما سافر الى بلاد الانكليز لم يعلم بسفره احد ولم يظهر سفره الا بعد مضى اشهر فلذلك امر الباشا ذلك المبشر ان يركب بالخلعة ويمر بها من وسط المدينة ومع ذلك استمروا فى شكهم نحو ... واحضر

وقتل ذلك اليوم رجل هاشمي من اهل باب الازج بسهم اصابه فثار العامة هناك بعلوي كان مقيما بينهم فقتلوه وسرقوه وجرى من النهب والقتل والفساد امور عظيمة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل عسكرا الى بغداد فطلبوا المفسدين والعيارين فهربوا منهم فهدمت دورهم وقتل منهم ونفي وسكنت الفتنة وامن الناس

(ذكر حيلة لامير المسلمين ظهرت لعدوه واغرب بها)

كان بالمغرب انسان اسمه محمد بن ابراهيم الكزولي سيد قبيلة كزولة ومالك جبلها وهو جبل شامخ وهي قبيلة كبيرة وبينه وبين امير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع فلما كان هذه السنة ارسل يوسف الى محمد بن ابراهيم يطلب الاجتماع به فركب اليه محمد فلما قاربه خافه على نفسه فعاد الى جبله واحتاط لنفسه فكتب اليه يوسف وحلف له انه ما اراد به الا الخير ولم يحدث نفسه بغدر فلم يركن محمد اليه فخدع يوسف حجاما واعطاه مائة دينار وضمن له مائة دينار اخرى ان هو سار الى محمد بن ابراهيم واحتال على قتله فسار الحجام ومعه مشاريط مسمومة فصعد الجبل فلما كان الغد خرج ينادي على صناعته بالقرب من منازل محمد فسمع محمد الصوت فقال هذا الحجام من بلدنا فقيل انه غريب فقال اراه يكثر الصياح وقد ازعجت بذلك ائتوني به فاحضر عنده فاستدعى حجاما آخر وامره ان يحجمه بمشاريطه التي معه فامتنع الحجام الغريب فامسك وحجم فمات وتعجب الناس من فطنته فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه وجد في السعي في اذى يوصله اليه فاستمال قوما من اصحاب محمد فمالوا اليه فارسل اليهم جرارا من عسل مسموم فحضروا عند محمد وقالوا قد وصل الينا قوم معهم جرار من عسل احسن ما يكون واردنا تحفتك به واحضروها بين يديه فلما رآها امر باحضار خبز وامر اولئك الذين اهدوا اليه العسل ان يأكلوا منه فامتنعوا واستعفوا منه فلم يقبل منهم وقال من لم يأكل قتل بالسيف فأكلوا فماتوا عن آخرهم فكتب الى يوسف بن تاشفين انك قد اردت قتلي بكل وجه فلم يتفق لك القضاء بذلك فكف عن شرك فقد اعطاك الله المغرب باسره ولم يعطني غير هذا الجبل وهو في بلادك كالشامة البيضاء في الثور الاسود فلم تقنع بما اعطاك الله عز وجل فلما رأى يوسف ان سره قد انكشف وانه لا يمكنه في امره حيلة اعرض عنه وتركه

(ذكر ملك العرب مدينة سوسة واخذها منهم)

في هذه السنة نقض ابن علوي ما بينه وبين تميم بن المعز بن باديس امير افريقية من العهود وسار في جمع من عشيرته العرب فوصل الى مدينة سوسة من بلاد افريقية واهلها غارون لم يعلموا به فدخلوها عنوة وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامة قتال قتل من الفريقين جماعة وكثر القتل في اصحابه والاسر وعلم انه لا يتم له مع تميم حال ففارقها وخرج منها الى حلته من الصحراء وكان بافريقية هذه السنة غلاء شديد وبق

فرقة بليس وعسكر فيه ... وهموه العذاب بالقبض عليهم ووضعهم في الزناجير ويتعاون على البعض منهم البعض الآخر ويأخذ منهم الاموال والخيول والاباعر والاغنام ويفرض عليهم القهر حتى الزائدة ويمنعهم من التسلط على فلاحي البلاد ثم انه لما رجع من بلاد الانكليز وتعصب عليه البرديسي والعسكر واحاطوا به من كل جانب فاختفى منهم وهرب الى الوادي عند عشيرة البدوي فآووه واخفوه وكتم امره والبرديسي ومن معه يبالغون في الفحص والتفتيش وبذل الاموال والرغائب لمن يدل عليه او يأتي به فلم يطلعوا على شيء من ذلك ولم يفشوا سره وقيدوا بالطرق الموصلة انفارا منهم تحرس الطريق من طارق يأتي على حين غفلة وهذا من العجائب حتى كان كثير من الناس يقولون انه يصير خيالا ويحضر ويحضرهم به فلما مات تفرق الجميع ولم يجتمعوا على احد بعده وذهبوا الى اماكنهم وبعضهم طلب من الباشا الامان واما عثمان بيك واتباعه فلم يقلعوا بعده وذهبوا الى الامراء القبليين فوجدوا طباعهم متنافرة عنهم ولم يحصل بينهم التئام ولا صفا كدر الفريقين من الآخر فاعتزلوا عنهم الى ان جرى ما جرى من صلحهم مع الباشا واوقع بهم ... بعد ان شاء الله تعالى وبعضهم

ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة الى ابيها

في هذه السنة أرسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلبا لابد منه وسبب ذلك انها ارسلت تشكو من الخليفة وتذكر انه كثير الاطراح لها والاعراض عنها فأذن لها في المسير فسارت في ربيع الاول وسار معها ابنها من الخليفة ابو الفضل جعفر بن المقتدي بامر الله ومعهما امراء باب الدولة ومشى مع محفتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة الاكابر وخرج الوزير يشيعهم الى النهروان وعاد وسارت الخاتون الى اصبهان فأقامت بها الى ذي القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة ايام وأكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان

ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام

في هذه السنة خرج جيش عساكر مصر الى الشام في جماعة من المقدمين فحصروا مدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل وامتنع عليهم ثم توفي ووليها أولاده فحصرهم العسكر المصري فلم يكن لهم من القوة ما يمتنعون بها فسلموها اليهم ثم سار العسكر منها الى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك ثم ساروا الى مدينة عكا فحصروها وضيقوا على اهلها فافتتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها ايضا واصلحوا احوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا منها الى مصر عائدين واستعمل امير الجيوش على هذه البلاد الامراء والعمال

ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية

في هذه السنة في جمادى الاولى كثرت الفتن ببغداد بين اهل الكرخ وغيرها من المحال وقتل بينهم عدد كثير واستولى اهل المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج فنهبوها واحرقوها فنزل شحنة بغداد وهو خمارتكين النائب عن كوهرائين على دجلة في خيله ورجله ليكف الناس عن الفتنة فلم ينتهوا وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى اصحابه الجرايات والاقامات وفي بعض الايام وصل اهل باب البصرة الى سويقة غالب فخرج من اهل الكرخ من لم تجر عادته بالقتال فقاتلوهم حتى كشفوهم فركب خدم الخليفة والحجاب والنقباء وغيرهم من اعيان الحنابلة كابن عقيل والكلوذاني وغيرهما الى الشحنة وساروا معه الى اهل الكرخ فقرأ عليهم مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون وحضور الجماعة والجمعة والتدين بمذهب اهل السنة فأجابوا الى الطاعة فبينما هم كذلك اتاهم الصارخ من نهر الدجاج بان اهل السنة قد قصدوهم والقتال عندهم فمضوا مع الشحنة ومنعوا من الفتنة وسكن الناس وكتب اهل الكرخ على ابواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن عند هذا اليوم ثار اهل الكرخ وقصدوا شارع ابن ابي عوف ونهبوه وفي جملة ما نهبوا دار ابي الفضل بن خيرون المعدل فقصد الديوان مستنفرا ومعه الناس ورفع العامة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته واكثروا من الكلام الشنيع

ومع ذلك يواسيهم في جملة أحبابه والمنتسبين اليه بارسال الغلال لمؤنتهم وعيالهم ويساوي الضعيف بنصره لاتباعه ولمن انتمى اليه ويحب لهم رفعة القدر عن غيرهم مع انه اذا حصل من احد منهم هفوة تخل بالمروءة نفاه وزجره فترى أكنافه وعبارته مع شدة مراسهم وقوة نفوسهم وصعوبتهم يخافونه خوفا شديدا ويهابون خطابه ومن عجيب امره ومناقبه التي انفرد بها عن غيره امتثال جميع قبائل العربان الكائنين بالقطر المصري لامره وتسخيرهم وطاعتهم له لا يخالفونه في شيء وكان له معهم سياسة غريبة ومعرفة باحوالهم وطباعهم فكل من ظهر في قبيلة او من خلفائهم او صاحب رسالتهم يقومون ويقعدون لامره مع انه يصادرهم في اموالهم وجمالهم ومواشيهم ويحبسهم ويطلقهم ويقتل منهم ومع ذلك لا ينفرون منه وقد تزوج كثيرا من بناتهم فالتي تعجبه يبقيها حتى تقضي وطره منها والتي لا توافق مزاجه يسرحها الى اهلها ولم يبق في عصمته غير واحدة وهي التي اعجبته وماتت عنها فلما بلغ العرب موته اجتمعت بنات العرب وصرن يندبنه بكلام عجيب تناقلته ارباب المغاني يغنون به على آلات اللهو المطربة وركبوا عليه ادوارا وتوالى وغير ذلك والعجب منه رحمه الله انه لما كان في دولتهم السابقة وينزل في كل سنة الى وقل

بقزوان اراد القبض عليه فاختار ابن الشداد وكانت بغيـة تحجبه على امرائها وسار الى
حلب ووزر لمعز الدولة ابى ثمال بن صالح ثم مضى الى ملطية ومنها الى ابن مروان فقال
له كيف امنتنى وقد فعلت بـ وبى ما فعلت عنـد ملك الروم فقال حملنى على ذلك نصح
صاحبى فاستوزره فعمر بلاده ووزر بعـده لنصر الدولة ولولده ثم سار الى بغداد وولى وزارة
الخليفـة على ما ذكرناه وتولى اخذ ديار بكر من بنى مروان عـلى ما ذكرناه ايضا ثم اخذها
منه السلطان فسار الى الموصل فتوفى بها

(ذكر نهب العرب البصرة)

وفى هذه السـنة فى جمادى الاولى نهب العرب البصرة نهبا قبيحا وسبب ذلك انه ورد الى
بغداد فى بعض السـنين رجـل اسمه تليا من سواد النيل يدعى الادب والنجوم ويستجدى
الناس فلقبه اهل بغـداد تليا وكان نازلا فى بعض الخانات فسرق ثيابا من الديباج وغيره
واتخذها فى حالته وسار بها فرآها الذين يحفظون الطريق فاخذوه من السـفر اليها بها
وحملوه الى المقدم عليهم فاطلقه لحرمة العلم فسار الى امير من امراء العرب من بنى عامر
وبلاده متاخمة الاحساء وقال له انت تملك الارض وقـد وقفت على احجار تدل على انك
كذا وكذا وانه عالم مشهور ونحو تكررت فى التواريخ وحسن له نهب البصرة واخذها فجمع من
العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصـد البصرة وبها العميد عصمة وليس معه من
الجند الا النفر اليسير لكون الدنيا آمنة من داعر ولان الناس فى جنة من هيبة السلطان فخرج
اليهم فى اصحابه وحاربهم ولم يمكنهم من دخول البلد فاتاه من اخبره ان اهل البلد يريدون
ان يسلموه الى العرب فخاف فغارقهم وقصد الجزيرة التى هى مكان القلعة بنهر معقل
فلما علم اهل البلـد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا فدخل العرب حينئذ البصرة وقد
خربت نفوسهم وملكوها ونهبوا ما فيها نهبا شنيعا وكانوا ينهبون نهارا واصحاب
العميد عصمة ينهبون ليلا واحرقوا مواضع عدة وفى جملة ما احرقوا داران للكتب
احداهما وقفت قبل ايام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هـذه مكرمة سبقنا
اليها وهى اول دار وقفت فى الاسلام والاخرى وقفها الوزير ابو منصور بن شاه مردان
وكان بها نفائس الكتب واعيانها واحرقوا ايضا النحاسين وغيرها من الاماكن وخربت
وقوف البصرة التى لم يكن لها نظير من جامع وقوف على الجمال الدائرة على شاطئ
دجلة وعلى الدواليب التى تحمل الماء وترقيه الى قنى الرصاص الجارية الى المصانع
وهى على فراسخ من البلـد وهى من عمل محمد بن سليمان الهاشمى وغيره وكان فعل
العرب بالبصرة اول خرق جرى فى ايام السلطان ملكشاه فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر الى
بغداد انحدر سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة صدقة بن مزيد الى البصرة لاصلاح
امورها فوجـدوا العرب قد فارقوها ثم ان تليا اخـذ بالبحرين وارسـل الى السلطان
فشهر ببغداد سـنة اربع وثمانين على جمل وعلى راسـه طرطور وهو يصفع بالدرة
والناس يشتمونه ويسبونه ثم امر به فصلب

بلا دالاتسكان رسم شكله وتامل فيه وقلب وجهه ثم قال انى ارى حاذقا الى ٧٠ ناظر بعنا ور ...با انى اقرب منكم والغيب عنكم
بجوار بعض يوما فلقى صاحب
ن يحيى امره وياتى على حين غفلة
وكان البرديسى قد اقام
بالثغر رقيبا يوصل خبر
وروده فلما وصل ارسل ذلك
الرقيب ساعيا فى الحال وكان
ما ذكرناه فى سياق التاريخ
من غدرهم وقتلهم حسين
بك ابو شنب بالبر الغربى
وهروب عثمان بك من القصر
وارسال العسكر لملاقاة
المترجم على حين غفلة ليقتلوه
وهروبه واختفاؤه ثم ظهوره
واجتماعهم عليه بعد انقضاء
تلك المدة اوقريب منها
وكان رحمه الله اذا سمع بانسان
فيه معرفة بمثل هذه الاشياء
احضره ومارسه فيها ان راى
فيه فائدة اوقربه اكرمه وواساه
وصاحبه وقربه اليه وادناه
وكان له مع جلالته مداعبة
مع الحشمة والترفع عن
الهذيان والمجون وكانت
غالب اقامته بقصوره التى
عمرها خارج مصر وهو القصر
الكبير بمصر القديمة تجاه
المقياس بشاطئ النيل
والقصر الآخر المكائن
بالقرب من زاوية الدمرداش
والقصر الذى بجانب قنطرة
المغربى على الخليج الناصرى
وكان اذا خرج من داره لبعض
تلك القصور لا يمر من وسط
المدينة واذا رجع كذلك فسئل عن سبب ذلك فقال ايخفى ان امر من وسط الاسواق واهل الحوانيت والمارة

كذلك الى سنة اربع وثمانين وصلحت احوال اهلها واخصبت البلاد ورخصت الاسعار واكثر اهلها الزرع

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب فركب آقسنقر جماعة من عسكره وتبعهم ولم يزل حتى اخذهم وقتلهم فامنت الطرق بولايته وفيها ورد العميد الاغر ابو المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني الى بغداد عميدا وعزل اخوه كمال الملك على ما ذكرناه وفيها درس الامام ابو بكر الشاشي في المدرسة التي بناها تاج الملك مستوفي السلطان بباب ابرز من بغداد وهي المدرسة التاجية المشهورة وفيها عمرت منارة جامع حلب وفيها توفي الخطيب ابو عبد الله الحسين بن احمد بن عبد الواحد بن ابي الحديد السلمي خطيب دمشق في ذي الحجة وفيها توفي احمد بن محمد بن صاعد بن محمد ابو نصر النيسابوري بها ومولده سنة عشر واربعمائة وكان من العلماء وعاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم العاصمي البغدادي من اهل الكرخ كان ظريفا كيسا له شعر حسن فمنه

ماذا على متلون الاخلاق ✽ لو زارني فابثه اشواقي
وابوح بالشكوى اليه تذللا ✽ وافض ختم الدمع من آماقي
فعساه يسمح بالوصال لمدنف ✽ ذي لوعة وصبابة مشتاق
اسر الغرام فؤاده لم يرق لموثق ✽ ما ضره لو جاد بالاطلاق
ان كان قد لسبت عقارب صدغه ✽ قلبي فان رضابه درياق

وقال ايضا

قد ذبت من شوق من محبته ✽ وصرت من هجره فوق الفراش لقا
محبته يقتضي وهو مصطبح ✽ القلب مصطبحا منه ومغتبقا
واخلفت ابنة البكري ما وعدت ✽ واصبح الحبل منها واهيا خلقا

والصحيح انه توفي سنة ثلاث وثمانين وفيها في جمادى الآخرة توفي الشريف ابو القاسم العلوي الدبوسي المدرس بالنظامية ببغداد وكان فاضلا فصيحا

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين واربعمائة)

(ذكر وفاة فخر الدولة ابي نصر بن جهير)

في هذه السنة في المحرم توفي فخر الدولة ابو نصر محمد بن محمد بن جهير الذي كان وزير الخليفة بمدينة الموصل ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ونشأ بها وتزوج الى ابي المغارب بن جرو والترقي املاك جارية قرواش المعز وخدم برهان ثم خدم بركة بن المقلد حتى قبض على اخيه قرواش وخدمه ومضى بهدايا الى ملك الروم فاجتمع هو ورسول نصر الدولة ابن مروان فتقدم فخر الدولة عليه فنازعه رسول ابن مروان فقال فخر الدولة لملك الروم انا المستحق التقدم عليه لان صاحبه يؤدي الخراج الى صاحبي فلما عاد الى قريش بن

المترجم بنحو الاربعين يوما وصلت النجدة الانكليز الى ثغر الاسكندرية وطلعوا اليه فعاجلهم عند ذلك موت المذكور فلم يحصل بهم الرجوع فارسلوا رسلهم الى الجماعة المصريين بزعمهم ان فيهم اثر الهمة والنخوة يطلبونهم الحضور ويساعدهم الانكليز على ردهم لممالكهم واوطانهم وكان محمد علي باشا حين ذلك بناحية قبلي يحاربهم فطلبهم للصلح معه وارسل اليهم بعض فقهاء الازهر وخادعهم وثبطهم فقعدوا عن الحركة وجرى ما جرى على طائفة الانكليز كما تقدم ذلك ثم هو تم عليهم بعد ذلك وكان امر الله مفعولا (وكان المترجم) ولوع ورغبة في مطالعة الكتب خصوصا العلوم الغريبة مثل الجفريات والجغرافيا والاسطرنوميا والاحكام النجومية والمناظرات الفلكية وما تدل عليه من الحوادث الكونية ويعرف ايضا مواضع المنازل واسمائها وطبائعها والخمسة المتحيرة وحركات الثوابت ومواضعها كل ذلك بالنظر والمشاهدة والتلقي على طريقة العرب من غير مطالعة في كتاب ولا حضور درس واذا طالع احد بحضرته في كتاب او اسمعه ناقضه مناقضة متضلع وناقشه مناقشة متطلع وله ايضا معرفة بالاشكال الرملية واستخراجات الضمائر بالقواعد الحرفية وكان له في ذلك اصابات وغرائب اخبرني ببعض اتباعه انه لما وصل الى مصر تندبه راجعا من

بدران

هرون الرشيد قال أبو بكر عيسى بن اللبانة الداني من مدينة دانية كنت يوما عند الرشيد
ابن المعتمد بمجلس أنسه سنة ثلاث وثمانين واربعمائة هجرية ذكر غرناطة وملك امير
المسلمين لها وقد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاقة فلما ذكرناها تفجع وتأسف واسترجع
وذكر قصرها فدعونا للقصر بالدوام وللملك بتراخي الايام فامر عند ذلك أبا بكر الاشبيلي
بالغناء فغنى

يا دارمية بالعلياء فالسند ° أقوت وطال عليها سالف الابد

فاستحالت مسرته وتجهمت أسرته ثم امر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت ان لا ترى صبرا لمصطبر ° فانظر الى أي حال اصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد اربداد وجهه من تغيره وامر مغنية اخرى بالغناء فغنت

بالملك نغني على حال افرقه ° على المقابر من اهل الاروآت
ان اعتذاري الى من جاء يسألني ° ما ليس عندي من احدى المصيبات

قال ابن اللبانة فتلافيت الحال بأن قمت فقلت

محل مكرمة لا هد مبناه ° وشمل مأثرة لا شتت الله
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا ° ان الرشيد مع المعتد ركناه
ثاو على انجم الجوزاء مقعده ° وراحل في سبيل السعد مثواه
حتم على الملك ان يقوى وقد وصلت ° بالشرق والغرب يمناه ويسراه
بأس توقد فاحمرت لواحظه ° ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمري قد بسطت من نفسه واعدت عليه بعض انسه على اني وقعت فيما وقع فيه
الكل بقولي البيت كالبيت وامر اثر ذلك بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة ° ولم يبق الا أن تزم الركائب

فايقنا ان هذه الطيرة تعقب الشر فلما اراد امير المسلمين ملك الاندلس سار من مراكش
الى سبتة واقام بها وصير العساكر مع سير بن أبي بكر وغيره الى الاندلس فعبروا الخليج واتوا
مدينة مرسية فملكوها واجلوا عنها صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا
الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوهما وكانت بلنسية قد ملكها الفرنج قديما بعد
ان حصروها سبع سنين فلما سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها فملكها المسلمون أيضا
وعمروها وسكنوها فصارت الآن للمرابطين وكانوا قد ملكوا غرناطة قبل الزلاقة
فقصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحصروه بها وضيقوا عليه فقاتل
أهلها قتالا شديدا وظهر من شجاعة المعتمد وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد
من غيره ما يقاربه فكان يلقي نفسه في المواقف التي لا يرجى خلاصه منها فيسلم بشجاعته
وشدة نفسه ولكن اذا انقضت المدة لم تغن العدة وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر
المرابطين بلاد الاندلس فخافوا ان يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا واكثروا
وساروا ليساعدوا المعتمد و يعينوه على المرابطين فسمع سير بن أبي بكر مقدم المرابطين
بمسيرهم ففارق اشبيلية وتوجه الى لقاء الفرنج فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وعاد الى

من خروج الأمة هذه من شرف العلياء لما طمح اليها وقابله سليمان بك ٧٧ البواب أخلى الحمام في تلك الليلة وكان قد
بلغه كافة أهاليه بالمنوفية من
العسف والتكاليف وكذا باقي
اخوانه واتباعهم بالاقاليم
فكان مسامرتهم معه تلك
الليلة في ذكر العدالة الموجبة
لعمار البلاد ويقول سليمان
بك في التمثيل الانسان
الذي يكون له ماشية يقتات
هو وعياله من لبنها ونفعها
وجبنها يلزمه أن يرفق بها في
العلف حتى تدر وتسمن وتنتج
له النتاج بخلاف ما اذا اجاعها
واجهدها واتعبها واشقاها
واضعفها حتى اذا اتعبها
لا يجد بها لحما ولا دهنا فقال
هذا ما عندنا ودينا عليه
فقال ان اعطاني الله سيادة
مصر والامارة في هذا القطر
لامحون هذه الوقائع واجري
فيه العدل ليكثر خيره وتعمر
بلاده وترتاح اهله ويكون
احسن بلاد الله ولكن
الاقليم المصري ليس له بخت ولا
سعد واهله تراهم مختلفين في
الاجناس متنافري القلوب
مصر في الطباع فلم يمض على
هذا الكلام الا جنة الليل
وساعات من النهار حتى
احاطوا به وفر هاربا
ونجا بنفسه وجرى ما تقدم
ذكره من اختفائه وظهوره
وانتقاله الى الجهة القبلية
واجتماع الجيوش عليه
وحكمت عليه الصورة التي
ظهر فيها وحصل له ما حصل (واخبرني) من اجتمع عليه في الغيبة وسامره قال بالامس والله يخيل لي ان اقتل نفسي

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قدم الامام ابو عبد الله الطبري بغداد في المحرم بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ثم ورد بعده في شهر ربيع الآخر من السنة ابو محمد عبد الوهاب الشيرازي وهو ايضا معه منشور بالتدريس فاستقر أن يدرس يوما والطبري يوما

(ثم دخلت سنة اربع وثمانين واربعمائة)

(ذكر عزل الوزير ابي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير)

في هذه السنة في ربيع الاول عزل الوزير ابو شجاع من وزارة الخليفة وكان سبب عزله ان انسانا يهوديا ببغداد يقال له ابو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان ونظام الملك فلقيه انسان يبيع الحصر فصفعه صفعة ازالت عمامته عن رأسه فاخذ الرجل وحمل الى الديوان وسئل عن السبب في فعله فقال هو وضعني على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودي الى العسكر يشكوان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير ابي شجاع لما سار اخرج توقيع الخليفة بالزام اهل الذمة بالغيار ولبس ما شرط عليهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهربوا كل مهرب واسلم بعضهم فممن اسلم ابو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وابن اخيه ابو نصر هبة الله ابن الحسن بن علي صاحب الخبر اسلما على يدي الخليفة ونقل ايضا عنه الى السلطان ونظام الملك انه يكسر اغراضهم ويقبح افعالهم حتى انه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال وما هذا مما يبشر به كأنه قد فتح بلاد الروم هل أتى الا الى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين فلما وصل كوهرائين وابن سمحا الى العسكر وشكيا من الوزير الى السلطان ونظام الملك واخبراهما بجميع ما يقول عنهما ويكسر من اغراضهما ارسلا الى الخليفة في عزله فعزله وامره بلزوم بيته وكان عزله يوم الخميس فلما اعرف بذلك انشد

تولاها وليس له عدو ۞ وفارقها وليس له صديق

فلما كان الغد يوم الجمعة خرج من داره الى الجامع راجلا واجتمع الخلق العظيم عليه فامر ان لا يخرج من بيته ولما عزل استنيب في الوزارة ابو سعد بن موصلايا كاتب الانشاء وارسل الخليفة الى السلطان ونظام الملك يستدعي عميد الدولة بن جهير ليستوزره فسير اليه فاستوزره في ذي الحجة من هذه السنة وركب اليه نظام الملك فهنأه بالوزارة في داره واكثر الشكر والمنة بالعود الى الوزارة

(ذكر ملك امير المسلمين بلاد الاندلس التي للمسلمين)

في هذه السنة في رجب ملك امير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الاندلس ما هو بيد المسلمين قرطبة واشبيلية وقبض على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الاندلس ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الامين محمد بن

ينظرون الى وافر جهدهم على نفسي والمترجم اخبار وسير ووقائع لو نظرت اليها كانت سيرة مستقلة خصوصا وقائعه وسياحته ثلاث سنوات وثلاثة اشهر ايام اقامة الفرنساوية بالقطر المصري ورحلته بعد ذلك الى بلاد الانكليز وغيابه بها سنة وشهورا وقد تهذبت اخلاقه بما اطلع عليه من عمارة بلادهم وحسن سياسة احكامهم وكثرة امرائهم ورفاهيتهم وصنائعهم وعدلهم في رعيتهم مع كفرهم بحيث لا يوجد فيهم فقير ولا مستجد ولا ذو فاقة ولا محتاج وكذا اهدوا له هدايا وجواهر وآلات فلكية واشكال هندسية واصطرلابات وكرات ونظارات وغيرها مما اذا نظر الانسان فيها في الظلمة يرى اعيان الاشكال كما يراها في النور ومنها المخصوص النظر في الكواكب فيرى بها الانسان الكوكب الصغير عظيم الجرم وحوله عدة كواكب لا تدرك بالبصر الحديد ومن انواع الاسلحة الحربية اشياء كثيرة واهدوا له آلة موسيقى تشبه الصندوق بداخلها اشكال تدور بحركات فيظهر منها اصوات مطربة على ايقاع الانغام وضروب الالحان ونغمات وعلامات تتبدل الانغام بحسب ما يشتهي السامع الى غير ذلك نهب ذلك جميعا العسكر الذين ارسلهم اليه البرديسي ليقتلوه وظفروا يبيعونه في اسواق البلد وقلبه تكسر وتلف وتبدد (واخبرني) بعض

مرون

لقد اصبحت بيض الظبا في غمودها * اناثا لترك الضرب وهي ذكور
ولما رحلتم بالندى في اكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رايت لساني بالقيامة قد اتت * الا فانظروا كيف الجبال تسير

وقال شاعرهم ابن اللبانة في حادثتهم ايضا

تبكي السماء بدمع رائح غادي * على البهاليل من ابناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود لهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تعمرها * فاليوم لا عاكف فيها ولا بادي

ولما استقصى عسكر امير المسلمين ملوك الاندلس واخذ بلادهم جمع ملوكهم وسيرهم الى بلاد الغرب وفرقهم فيها ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ولما فرغ سير من اشبيلية سار الى المرية فنازلها وكان صاحبها محمد بن معن بن صمادح قد لزم داره مذ ملك المعتمد باشبيلية فلا يبالي بالمرابطين فلما سمع بما لكهم لها وما جرى للمعتمد في تلك الايام غما وكمدا فلما مات ولده الحاجب واولاده في مراكب ومعهم كل مالهم وقصدوا بلاد بني حماد فاحسنوا اليهم وكان عمر بن الافطس صاحب بطليوس ممن اعان سيرا على المعتمد فلما اخذت اشبيلية رجع ابن الافطس الى بلده فسار اليه سير وحاصره فملكه واخذ بلاده منه واخذه اسيرا هو وولداه الفضل فقتلهما فقال عمر حين ارادوا قتله قدموا ولدي قبلي للقتل ليكونا في صحيفتي فقتل ولداه قبله وقتل هو بعده واحتوى سير على ذخائرهم واموالهم ولم يترك من ملوك الاندلس سوى بني هود فانه لم يقصد بلادهم وهي شرق الاندلس وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم وكان قد اعد كل ما يحتاج اليه في الحصار وترك عنده ما يكفيه عشر سنين بمدينة روطة وكانت عالية حصينة وكانت رعيته تحاربه ولم يزل يهادي امير المسلمين قبل ان يقصد بلاد الاندلس ويعاملكه ويواصله ويكثر مراسلته فرعى له ذلك حتى انه اوصى ابنه علي بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بني هود وقال اتركهم بينك وبين العدو فانهم شجعان

(ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية)

في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على جميع جزيرة صقلية اعادها الله تعالى الى الاسلام والمسلمين وسبب ذلك ان صقلية كان الامير عليها سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ابا الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن ابي الحسين ولاه عليها العزيز العلوي صاحب مصر وافريقية فاصابه في هذه السنة فالج فتعطل جانبه الايسر وضعف الجانب الايمن فاستناب ابنه جعفرا فبقي كذلك ضابطا للبلاد حسن السيرة في اهلها الى سنة خمس واربعمائة فخالف عليه اخوه علي واعانه جمع من البربر والعبيد فخرج اليه اخوه جعفر جندا من المدينة فاقتتلوا سابع شعبان وقتل من البربر والعبيد خلق كثير

(وبالجملة) فكان آخر من ادركناه من الامراء المصريين شهامة وصرامة ونظرا ٩٢ في عواقب الامور وكان وحيدا في نفسه فريدا في ابناء جنسه وبموته اضمحلت دولتهم وتفرقت جمعيتهم وانكسرت شوكتهم وزادت غربتهم وطاش الباقي نقص وادبار وذلة وهوان وصغار ولم تقم لهم بعده راية وانقرضوا وطردوا الى اقصى البلاد في النهاية * واما مماليكه وصناجقه فانهم تركوا نصيحته ونسوا وصيته وانضموا الى عدوهم وصادقوه ولم يزل بهم حتى قتلهم واباد هم عن آخرهم كما سيتلى عليك خبر ذلك فيما بعد (وكانت) صفة المترجم معتدل القامة ابيض اللون مشربا بحمرة جميل الصورة مدور اللحية اشقر الشعر تندوخطه الشيب مليح العينين مقرون الحاجبين مهيبا بنفسه مترفها في زيه وملبسه كثيرا التفكر كتوما لا يبيح بسر ولا لاعز احبابه الا انه لم يسعفه الدهر وجنى عليه بالقهر وخاب امله وانقضى اجله وخانه الزمان وذهب في خبر كان ومات وله من العمر نحو الخمسة والخمسين سنة غفر الله له * ومات الامير عثمان بك البرديسي المرادي وسمي البرديسي لانه تولى كشوفية برديس بقبلي فعرف بذلك واشتهر به تقلد الامرية والصنجقية في سنة عشر وما تين والف وتزوج بنت احمد كتخدا علي وهي اخت علي كاشف الشرقية وعمل لها مهما ونزل تل ابي

اشبيلية فحصرها ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا الى العشرين من رجب من
هذه السنة فعظم الحرب ذلك اليوم واشتد الامر على اهل البلد ودخله المرابطون من
واديه ونهب جميع ما فيه ولم يبقوا على سبد ولا لبد وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا
من مساكنهم يسترون عوراتهم بايديهم وسبي المخدرات وانتهكت الحرمات فاخذ
المعتمد اسيرا ومعه اولاده الذكور والاناث بعدان استأصلوا جميع مالهم فلم يصحبهم من
مالهم بلغة زاد وقيل ان المعتمد سلم البلد بامان وكتب نسخة الامان والعهد واستحلفهم
به لنفسه واهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق باسبابه فلما سلم اليهم اشبيلية لم يفوا له
واخذوهم اسرى وما لهم غنيمة وسير المعتمد واهله الى مدينة اغمات فحبسوا فيها وفعل
امير المسلمين بهم افعالا لم يسلكها احد من قبله ولا يفعلها احد ممن ياتي بعده الا من
رضي لنفسه بهذه الرذيلة وذلك انه سجنهم فلم يجر عليهم ما يقوم بهم حتى كان بنات
المعتمد يغزلن للناس باجرة ينفقونها على انفسهم وذكر ذلك المعتمد في ابيات ترد عند
ذكره فابان امير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة وهذه اغمات
مدينة في سفح جبل بالقرب من مراكش وسيرد من ذكر المعتمد عند موته سنة ثمان
وثمانين ما يعرف بمحله قال ابو بكر بن اللبانة زرت المعتمد بعد اسره باغمات وقلت
ابيات عند دخولي اليه منها

لم اقل في الثقاف كان ثقافا • كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر في الكمام ولكن • بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب بغيم • لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما انت درة للمعالي • ركب الدهر فوقها اصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما • مثل ما يحجب الدنان السلافا
انت للفضل كعبة ولو اني • كنت استطيع لالتزمت الطوافا

قال ومن بديع ما ينسب مخاطبات القدم من غفلات الرقيب واشهى من رشفات الحبيب
وادل على السماح من فجر على صباح ولما اخذ المعتمد واهله قتل ولداه الفتح
ويزيد بين يديه فصبر فقال في ذلك

يقولون صبرا لا سبيل الى الصبر • سابكي وابكي ما تطاول من عمري
افتح لقد فتحت لي باب رحمة • كما بيزيد الله قد زاد في اجري
هوى بكما المقدار عني ولم امت • وادعى وفيا قد نكصت الى الغدر
ولو عدتما لاخترتما العود في الثرى • اذا انتما ابصرتماني في الاسر
ابا خالد اورثتني البث خالدا • ابا نصر مذ ودعت ودعني نصري

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد وهو محبوس بالنثر والنظم يتوجعون له ويذمون
الزمان واهله حيث صنع به مثل ذلك فمن ذلك ما قاله عبد الجبار بن ابي بكر بن حمديس
وكتبه اليه يذكر مسيرهم عن اشبيلية الى اغمات

جرى لك جد بالكرام عثور • وجار زمان كنت منه مجير

ولكن لا تؤمن علي وقد صرت الآن واحدا بين الرفق من الاعداء وهؤلاء قومي وعشيرتي فعلوا بي ما فعلوا وتجنبوني
وعادوني من غير جرم ولا ذنب
سبق مني في حقهم واستغرقني
واستعبدوا انفسهم وملكوا
البلاد لاعداي واعدائهم
وسعيت واجتهدت في مراضاتهم
ومصالحتهم والنصح لهم
فلم يزدهم ذلك الا نفورا
وتباعدا عني ثم هذه الجنود
ورؤساؤهم الذين ملكوا البلاد
وذاقوا حلاوتها وشبعوا بعد
جوعهم ورتعوا بعد ذلهم
يعيشون علي ويعادوني
ويكيدوني ويقاتلوني ثم ان
هؤلاء العربان المجتمعين
على اصنافهم واسمائهم
واقاضيهم واراضيهم وكذلك
جندي وعساكري وكل منهم
طالب مني رياسة وامارة
ويظنون بعقلهم ان البلاد
تحت حكمي ويظنون اني
مقصر في حقهم فتارة اعاملهم
باللطف وتارة ازجرهم بالعنف
فالعاقل منهم مثل القرينة
والجميع حولي مثل الكلاب
الجياع يريدون ان ياكلوا كلي
وليس بيدي كنوز قارون
فاتفق مثل هؤلاء الجموع
متوافقين في الحال الى
التعدي على عباد الله واخذ
اموالهم واكل زرعهم
ومواشيهم فان قدر الله لي
بالنصر حوصرت عليهم فلك
ورفضت مصالحهم وان كانت
الاخرى فالله يلطف بنا وبهم
ولا بد ان يرجعوا علينا ويتبرضوا عن تلفنا ويجوروا بالغيبة لاهل بلادهم بعدنا

منه ان تزوج اختها فاذن لها وسير معها التحف والهدايا فلما وصلت ذكرت لاخيها ما فعل
بها وحلف انه لا يعيدها اليه فارسل ابن الثمنة يطلبها فلم يردها اليه فجمع ابن الثمنة
عسكره وكان قد استولى على اكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة وسار وحصر ابن الحواس
بقصريانة فخرج اليه فقاتله فانهزم ابن الثمنة وتبعه الى قرب مدينة قطانية وعاد عنه
بعد ان قتل من اصحابه فاكثر فلما رأى ابن الثمنة ان عسكره قد عزم فسولت له نفسه
الانتصار بالكفار ولما يريده الله تعالى فسار الى مدينة مالطة وهي بيد الفرنج قد ملكوها
لما خرج بردويل الفرنجي الذي تقدم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة واستوطنها
الفرنج الى الآن وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجي في جمع الفرنج فوصل اليهم ابن
الثمنة وقال انا املككم الجزيرة فقالوا ان فيها جندا كثيرا ولا طاقة لنا بهم فقال انهم
مختلفون واكثرهم يسمع قولي ولا يخالفون امري فساروا معه في رجب سنة اربع
واربعين واربعمائة فلم يلقوا من يدافعهم فاستولوا على ما مروا به في طريقهم وقصد
بهم الى قصريانة فخرج اليهم ابن الحواس فقاتلهم فهزمه الفرنج فرجع
الى الحصن فرحلوا عنه وساروا في الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة وفارقها كثير
من اهلها من العلماء والصالحين وسار جماعة من اهل صقلية الى المعز بن باديس
وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها فعمر اسطولا
كبيرا وشحنه بالرجال والعدد وكان الزمان شتاء فساروا الى قوصرة فهاج عليهم البحر
فغرق اكثرهم ولم ينج الا القليل وكان ذهاب هذا الاسطول مما اضعف المعز وقوى عليه
العرب حتى اخذوا البلاد منه فملك حينئذ الفرنج اكثر البلاد على مهل وتؤدة لا يمنعهم
احد واشتغل صاحب افريقية بما دهمه من العرب ومات المعز سنة ثلاث وخمسين
واربعمائة وولي ابنه تميم فبعث ايضا اسطولا وعسكرا الى الجزيرة وقدم عليه ولديه
ايوب وعليا فوصلوا الى صقلية فنزل ايوب والعسكر المدينة ونزل علي بجرجنت ثم انتقل
ايوب الى جرجنت فامر علي بن الحواس ان ينزل في قصره وارسل هدية كثيرة فلما اقام
ايوب فيها احبه اهلها فحسده ابن الحواس فكتب اليهم ليخرجوه فلم يفعلوا فسار اليه في
عسكره وقاتله فخرج اهل جرجنت مع ايوب وقاتلوا معه فبينما ابن الحواس يقاتل اتاه
سهم غرب فقتله فملك العسكر عليهم ايوب ثم وقع بعد ذلك بين اهل المدينة وبين عبيد
تميم فتنة ادت الى القتال ثم زاد الشر بينهم فاجتمع ايوب وعلي اخوه ورجعا في
الاسطول الى افريقية سنة احدى وستين وصحبهم جماعة من اعيان صقلية والاسطولية
ولم يبق للفرنج ممانع فاستولوا على الجزيرة ولم يثبت بين ايديهم غير قصريانة وجرجنت
فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فضاق الامر على اهلهما حتى اكلوا الميتة
ولم يبق عندهم ما ياكلونه فاما اهل جرجنت فسلموها الى الفرنج وبقيت قصريانة بعدها
ثلاث سنين فلما اشتد الامر عليهم اذعنوا الى التسليم فتسلمها الفرنج لعنهم الله سنة اربع
وثمانين واربعمائة وملك رجار جميع الجزيرة واسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ولم
يترك لاحد من اهلها حماما ولا دكانا ولا طاحونا ومات رجار بعد ذلك قبل التسعين

عنه والضم الى المترجم ولصقه واحتوى على عقله وصاحبه وصادقه وصار يختلى معه ويتعاقر معه الشراب ويسامره
ويسايره حتى باح له بما في
ضميره من الحقد لاخوانه
وتطلب الانفراد بالرياسة
فصار يقوي عزمه ويزيد في
اغرائه ويعده بالمعاونة
والمساعدة على اتمام قصده
ولم يزل به حتى رسخ في ذهن
المترجم نصحه وصدقه كل
ذلك توصلا لما هو كامن
في نفسه من اهلاك الجميع ثم
اشار عليه ببناء ابراج حول
داره التي يسكن بها بالناصرية
فلما انهاها اسكن بها طائفة
من عساكره كانهم يحافظون
لما عساه ان يكون ثم سار
معه الى حرب محمد باشا خسرو
بدمياط فحاربوه واتوا به اسيرا
وحبسوه ثم فعلوا بالسيد علي
القبطان مثل ذلك ثم كانت الفتنة
على باشا الطرابلسي وقتله
وقد تقدم خبر ذلك كله
وجميعه بتسبب تعلله للمصريين
ولم يبق الا الايقاع بينهم
لامكان وصول الالفي عقب
ذلك فاوقعوا به وبجنده
ما تقدم ذكره وتفاشلوا
وتفرقوا بعد جمعهم وقلوا بعد
الكثرة ثم اشار على المترجم
الصادق الناصح بتفريق
اكثر الجمع الباقي في النواحي
والجهات البعض منهم لرصد
الالفي والبعض عليه وعلى
جنده والبعض الآخر لظلم
الفلاحين في البلاد ولم يبق
بالمدينة غير المترجم وابراهيم بك الكبير وبعض امرائه فعند ذلك سلط محمد على

وهرب من بقي منهم واحتيط على علي فقتله اخوه جعفر وعظم قتله على ابيه فكان بين
خروجه وقتله ثمانية ايام وامر جعفر حينئذ ان ينفى كل بربري بالجزيرة فنفوا الى افريقية
وامر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلهم من اهل صقلية فقل العسكر
بالجزيرة وطمع اهل الجزيرة في الامراء فلم يمض الا يسير حتى ثار به اهل صقلية واخرجوه
وخلعوه وارادوا قتله وسبب ذلك انه ولي عليهم انسانا صادرهم واخذ الاعشار من
غلاتهم واستخف بقوادهم وشيوخ البلد وقهر جعفر اخوته واستطال عليهم في شهر
الاول وقد زحف اليه اهل البلد كبيرهم وصغيرهم فحصروه في قصره في المحرم سنة عشر
واربعمائة واشرفوا على اخذه فخرج اليهم ابوه يوسف في محفة وكانوا له محبين فلاطف
بهم ورفق فبكوا رحمة له من مرضه وذكروا له ما احدث ابنه عليهم وطلبوا ان يستعمل
ابنه احمد المعروف بالاكحل ففعل ذلك وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم فسيره في مركب
الى مصر وسار ابوه يوسف بعده ومعهما من الاموال ستمائة الف دينار وسبعون الفا
وكان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر الف حجر سوى البغال وغيرها ومات بمصر وليس
له الا دابة واحدة ولما ولي الاكحل اخذ امره بالحزم والاجتهاد وجمع المقاتلة وبث
سراياه في بلاد الكفرة فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ويخربون البلاد واطاعه
جميع قلاع صقلية التي للمسلمين وكان للاكحل ابن اسمه جعفر كان يستنيبه اذا سافر
على قاعدة ابيه ثم ان الاكحل جمع اهل صقلية وقال احب ان اخليكم على الافريقيين
الذين قد شاركوكم في بلادكم والراي اخراجهم فقالوا قد صاهرناهم وصرنا شيئا واحدا
فصرفهم ثم ارسل الى الافريقيين فقال لهم مثل ذلك فاجابوه الى ما اراد فجمعهم حوله
فكان يحمي املاكهم وياخذ الخراج من املاك اهل صقلية فسار من اهل صقلية
جماعة الى المعز بن باديس وشكوا اليه ما حل بهم وقالوا نحب ان نكون في طاعتك
والا سلمنا البلاد الى الروم وذلك سنة سبع وعشرين واربعمائة فسير معهم ولده عبد الله
في عسكر فدخل المدينة وحصر الاكحل في الخالصة ثم اختلف اهل صقلية واراد
بعضهم نصرة الاكحل فقتل الذين احضروا عبد الله بن المعز ثم ان الصقليين رجع
بعضهم على بعض وقالوا ادخلتم غيركم عليكم والله لا كانت عاقبة امركم فيه الى خير فعزموا
على حرب عسكر المعز فاجتمعوا وزحفوا اليهم فاقتتلوا فانهزم عسكر المعز وقتل منهم
ثمانمائة رجل ورجعوا في المراكب الى افريقية وولي اهل الجزيرة عليهم حسنا
الصمصام اخا الاكحل فاضطربت احوالهم واستولى الاراذل وانفرد كل انسان
ببلد واخرجوا الصمصام فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابنش وغيرهما
وانفرد القائد علي بن نعمة المعروف بابن الحواس بقصريانة وجرجنت وغيرهما
وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسة وقطانية وتزوج باخت ابن الحواس ثم انه جرى بينها
وبين زوجها كلام اغلظ كل منهما لصاحبه وهو سكران فامر ابن الثمنة بفصدها في
عضديها وتركها لتموت فسمع ولده ابراهيم فحضر واحضر الاطباء وعالجها الى ان عادت
قوتها ولما اصبح ابوه ندم واعتذر اليها بالسكر فاظهرت قبول عذره ثم انها طلبت منه بعد

بتقلد الصنجقية وسكن بدار علي كتخدا الطويل بالازبكية واشتهر ذكره وصار معدودا من جملة الامراء ولما قتل
عثمان بك البرديسي المرادي
بساحل ابوقير ومن جمع من
رجع الى قبلي كان الالفي
هو المتعين بالرياسة على
المرادية فلما سافر الالفي
الى بلاد الانكليز تعين المترجم
بالرياسة على خشداشينه مع
مشاركة عثمان بك الذي
عرف بالالفي الصغير فلما
حضروا الى مصر في سنة ثمان
عشرة بعد خروج محمد باشا
خسرو وقتل طاهر باشا
انضم الى محمد علي باشا وكان
اذ ذاك من شيعة العساكر
وتواخى معه وصادقه ومع
في ميدان غفلته وتحالفا
وتعاهدا وتعاقدا على المحبة
والمصافاة وعدم خيانة احدهما
للآخر وان يكون محمد علي
باشا وعساكره الارنؤد اتباعا
له وهو الامير المتبوع ولقب
باشه لانه كان طائش العقل
مختبل التصور فاغتر بظاهر
محمد علي باشا لانه جبن عمل
شغله في عقد رسمه محمد باشا
ومعه طاهر باشا مع الامراء
المصريين وادخلهم الى
مصر وانتسب الى ابراهيم
بك الكبير لكونه رئيس
القوم وكبيرهم وصهر لابراهيم
بك خرجا وعلوقه مثل اتباعه
وميره واختبره فلم ترج سلعته
عليه ووجد مرضاه على دوام
التراحم والالفة والمحبة وعدم
التفاشل في عشيرته وابناء جنسه مدة من الزمن وخرج عما يوجب التقاطع والتنافر في قبيلته فلما ايس منه حال مدة

تحتها عالم كثير وخرب من سورها ثم عمروه بحكم السلطان ملكشاه بعمارتها وفيها في
شوال توفي أبو طاهر عبد الرحمن بن محمد بن علك الفقيه الشافعي وهو من رؤساء الفقهاء
الشافعية وهو الذي تقدم ذكره في فتح سمرقند ومشى أرباب الدولة السلطانية كلهم في
جنازته إلا نظام الملك فإنه اعتذر بعلو السن وأكثر البكاء عليه ودفن عند الشيخ أبي
إسحق بباب أبرز وزار السلطان قبره وتوفي محمد بن عبد الله بن الحسين أبو بكر الناصح
الحنفي قاضي الري وكان من أعيان الفقهاء الحنفية يميل إلى الاعتزال وكان موته في
رجب وفيها في شعبان توفي أبو الحسين علي بن الحسين بن طاوس المقري بمدينة صور

٭(ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة)٭

٭(ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان)٭

في هذه السنة جمع الأذفونش جموعه وغزا بلاد جيان من الأندلس فلقيه
المسلمون وقاتلوه واشتد الحرب فكانت الهزيمة أولا على المسلمين ثم إن الله تعالى
يسر لهم الكرة على الفرنج فهزموهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج إلا الأذفونش في
نفر يسير وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع بعد الزلاقة وأكثر الشعراء ذكرها في
أشعارهم

٭(ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام)٭

لما كان السلطان ببغداد قدم إليه أخوه تاج الدولة تتش من دمشق وقسيم الدولة
آقسنقر من حلب وبوزان من الرها فلما أذن لهم السلطان في العود إلى بلادهم أمر
قسيم الدولة وبوزان أن يسيرا مع عساكرهما في خدمة أخيه تاج الدولة حتى يستولي
على ما للخليفة المستنصر العلوي بساحل الشام من البلاد ويسيروا معه إلى مصر
ليملكها فساروا أجمعون إلى الشام ونزل على حمص وبها ابن ملاعب صاحبها وكان
الضرر به وبأولاده عظيما على المسلمين فحصروا البلد وضيقوا على من به فملكه تاج
الدولة وأخذ ابن ملاعب وولديه وسار إلى قلعة عرقة فملكها عنوة وسار إلى قلعة
أفامية فملكها أيضا وكان بها خادم للمصري فنزل بالأمان فأمنه ثم سار إلى طرابلس
فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك بن عمار جيشا لا يدفع إلا بحيلة فأرسل إلى الأمراء
الذين مع تاج الدولة وأطمعهم ليصلحوا حاله فلم ير فيهم مطمعا وكان مع قسيم الدولة
آقسنقر وزير له اسمه زرين كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده لينا فأتحفه وأعطاه فسعى
مع صاحبه قسيم الدولة في إصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين ألف دينار وتحفا بمثلها
وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد والتقدم إلى النواب بتلك البلاد
بمساعدته والشد معه والتحذير من محاربته فقال آقسنقر لتاج الدولة تتش لا أقاتل من
هذه المناشير بيده فأغلظ له تاج الدولة وقال هل أنت إلا تابع لي فقال آقسنقر أنا
أتابعك إلا في معصية السلطان ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة إلى
الرحيل فرحل غضبان وعاد بوزان أيضا إلى بلاده فانتقض هذا الأمر

فبر ذلك وكان مما اتفق من ساطات الشامي التدبير وتداوبيده الله جل جلاله وجعله سببا لزوال عزهم ودولتهم
واختلال أمرهم وخراب دورهم
وهتك أعراضهم وبنائهم
وتشتيت جمعهم ولم يزل على
خبثه حتى مرض ومات بغزة
ودفن هنالك ٭ ومات الأمير
بشتك بك وهو الملقب بالألفي
الصغير وهو مملوك محمد بك الألفي
الكبير أمره وجعله وكيلا عنه
مدة غيابه في بلاد الانكليز
وكان قبل ذلك سلحداره
وأمر كشافه ومماليكه وجنده
بطاعته وامتثال أمره فلما
حضر الأمراء المصريون في
سنة ثمان عشرة أقام هو
بقصر مراد بك بالجيزة فلم
يحسن السياسة وداخله
الغرور والعجب بنفسه وشمخ
على نظرائه وعلى إخوانه الذين
هم خشداشون لأستاذه بل
وعلى إبراهيم بك الكبير
الذي هو بمنزلة جده وكان
مراد بك الذي هو أستاذ أستاذه
يراعي حقه ويتأدب معه
ويقبل يده في مثل الأعياد
ويقول هو أميرنا وكبيرنا
وكذلك أستاذ المترجم كان
إذا دخل على إبراهيم بك قبل
يده ولا يجلس بحضرته إلا بعد
أن يأذن له فلم يقتف المترجم
في ذلك أسلافه بل سلك
مسلك التعاظم والتكبر على
الجميع واستعمل العسف
في أموره مع الترفع على الجميع
وإذا عقدوا أمرا بدونه حله
أو حلوا شيئا بدونه عقده فضاق لذلك الجناب في الجميع منه وكرهوه وكرهوا أستاذه وكان هو من جملة أسباب

والار بعه القوم ملك بعده ولده رجار فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنائب والحجاب والسلاحية والجاندارية وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فانهم لا يعرفون شيئا منه وجعل له ديوان المظالم ترفع اليه شكوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فأحبوه وعمر اسطولا كبيرا وملك الجزائر التي بين المهدية وصقلية مثل مالطة وقوصرة وجربة وقرقنة وتطاول الى سواحل افريقية فكان منه ما نذكره ان شاء الله

(ذكر وصول السلطان الى بغداد)

في هذه السنة في شهر رمضان وصل السلطان الى بغداد وهي المرة الثانية ونزل بدار المملكة ونزل أصحابه متفرقين ووصل اليه أخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب وغيرهما من زعماء الاطراف وعمل الميلاد ببغداد وتأنقوا في عمله فذكر الناس انهم لم يروا ببغداد مثله أبدا وأكثر الشعراء وصف تلك الليلة فمن قال المطرز

وكل نار على العشاق مضرمة • من نار قلبي أو من ليلة السذق
نار تجلت بها الظلماء واشتبهت • بسدفة الليل فيه غرة الفلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا • على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الأرض بسطا من جواهرها • ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح الا انها نزلت • من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار ورضوان يسعرها • ومالك قائم منها على فرق
في مجلس ضحكت روض الجنان له • لما جلى ثغره عن واضح يقق
والشموع عيون كلما ذرفت • تنقلت من يديها أنجم الغسق
من كل مرهفة الاعطاف كالغصن الميّاد لكنه عار من الورق
اني لأعجب منها وهي وادعة • تبكي وعيشتها من ضربة العنق

وفي هذه المرة أمر بعمارة جامع السلطان فابتدئ في عمارته في المحرم سنة خمس وثمانين وارجعاته وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من أصحاب الرصد وابتدأ بعده نظام الملك وتاج الملك والامراء الكبار بعمل دور لهم يسكنونها اذا قدموا بغداد فلم تطل مدتهم بعدها وتفرق شملهم بالموت والقتل وغير ذلك في باقي سنتهم ولم تغن عنهم ما كسبوا وما جمعوا شيئا فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وصل ابن أبي هاشم من مكة مستغيثا من التركمان وفي آخرها مرض نظام الملك ببغداد فعالج نفسه بالصدقة فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يحصى وتصدق عنه الاعيان والامراء من عسكر السلطان فعوفي وأرسل له الخليفة خلعا نفيسة وفيها في تاسع شعبان كانت بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة وكان أكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم بأنطاكية كثير من المساكن وهلك

العساكر بطلب علائفهم المنكسرة فعجزوا عنها فأرادوا المترجم أن يفرض على فقراء البلد فرضة بعد أن استشار الاغا النصوح ومالفت الكتاب في الحارات والازقة يكتبون اسماء الناس ودورهم ففزعوا وصرخوا في وجوه العسكر فقالوا نحن ليس لنا عندكم شئ ولا نرضى بذلك ولا بقاء استدامتكم ونحن مساعدون لكم فعند ذلك قاموا على ساق ونزحت نساء الحارات وبأيديهم الدفوف يضربون ويقولون ايش تأخذ من تفليسي يا برديسي وصاروا يتخطرون على المصر بنو يترضون عن العسكر وفي الحال أحاطت العسكر ببيوت الامراء ولم يشعر البرديسي الا والعسكر الذين أقامهما لابراج التي بناها حوله ليسكنوها الدعزا ومتعة يضربون عليه ويحاربونه ويريدون قتله وتسلقوا عليه فلم يسع الجميع الا الهروب والفرار وخرجوا خروج الضب من الوجار وذهب المترجم الى الصعيد مذموما مدحورا مذموما مطرودا وجوزي مجازاة من ينقض عهده و يعول عليه ويغض اجفنته برجليه وكان باحث على حتفه بظلفه والجادع بشفره مارن انفه ولم يزل في هياج ومرج وبكا سطر في السياق ولم ينتصر في مصر كهولم يزل مصرا مستلي معادا لجبه الالفى وحاقدا عليه وحل ابتاعه مصرا على زلاته واعظمها قضية القيروان ومرمى بانشا الى فتحها

بهذه الدولة وان انفاذها تمهار بساط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ومتى أطبقت هذه ذات
تابوت فان عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث امام
طروقه واطال فيما هذا سبيله ثم قال لهم قولوا للسلطان عنى مهما أردتم فقد امضى
ما لحقنى من توبيخه فى عضدى فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى
عن السلطان وان يقولوا له ما اظهره من العبودية والتنصل ومضوا الى منازلهم وكان
الليل قد انتصف ومضى يلبرد الى السلطان فاعلمه ما جرى وبكر الجماعة الى السلطان
وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان
انه لم يقل هذا وانما قال كيت وكيت فاشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام
الملك وسابقته فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ما تم ومات السلطان بعده
بخمسة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة
له واكثر الشعراء مراثيه فمن جيدها قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله فى المنام فسأله عن حاله فقال كان يعرض على جميع
عملى لولا الحديدة التى اصبت بها يعنى القتل

(ذكر ابتداء حاله وشىء من اخباره)

اما ابتداء حاله فكان من ابناء الدهاقين بطوس فزال ما كان لابيه من مال وملك
وتوفيت امه وهو رضيع فكان ابوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى
شب وتعلم العربية وصير الله فيه همة تدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار
فاضلا وسمع الحديث الكثير ثم اشتغل بالاعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به ويخفضه
حضرا وسفرا وكان يطوف بلاد خراسان ووصل الى غزنة فى صحبة بعض المتصرفين ثم
لزم ابا على بن شاذان متولى الامور ببلخ لداود والد السلطان الب ارسلان فحسنت حاله
معه وظهرت كفايته وامانته وصار معروفا عندهم بذلك فلما حضرت ابا على بن
شاذان الوفاة اوصى الملك الب ارسلان به وعرفه حاله فولاه شغله ثم صار وزيرا له الى ان
ولى السلطنة بعد عمه طغرلبك واستمر على الوزارة لانه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء
سديدة قادت السلطنة الى الب ارسلان فلما توفى الب ارسلان قام بامر ابنه ملكشاه
وقد تقدم ذكر هذه الجمل مستوفى مشروحا وقيل ان ابتداء امره انه كان يكتب للامير
تاجر صاحب بلخ وكان الامير يصادره فى راس كل سنة ويأخذ ما معه ويقول له قد سمنت
يا حسن ويدفع اليه فرسا ومقرعة ويقول هذا يكفيك فلما طال ذلك عليه اخذ
اولاده فخر الملك ومؤيد الملك وهرب الى جغرى بك داود والد الب ارسلان فوقف
فرسه فى الطريق فقال اللهم انى اسألك فرسا اتخلص عليه فسار غير بعيد فلقيه
تركمانى وتحته فرس جواد فقال لنظام الملك انزل عن فرسك فنزل عنه فاخذه التركمانى

ووصوله فحصل لذلك شنك
وضربت لذلك مدافع كثيرة
من القلعة فى كل وقت من
الاوقات الخمسة ثلاثة ايام
آخرها الجمعة ثم انه مضى
عدة ايام ولم تحضر الرؤس
التى اخبروا عنها واختلفت
الروايات فى ذلك (وفى يوم
الثلاثاء رابعه) عملوا جمعية
ببيت القاضى حضرها المشايخ
والاعيان وذكروا انها
وردت الاوامر بتحصين الثغور
فارسل الباشا سليمان آغا وصحبته
طائفة من العسكر وارسل الى
اهالى الثغور والمحافظين
عليها مكاتبات بانهم ان
كانوا محتاجين الى عساكر
فيرسل لهم الباشا عساكر
زيادة على الذين ارسلهم
فاجابوا بانهم فى الكفاية ولا
يحتاجون الى عساكر زيادة
تأتيهم من مصر فانهم اذا
كثروا فى البلد تأتى منهم الفساد
والافساد فعملوا هذه الجمعية
لاثبات هذا القول وخلاص
عهدة الباشا لئلا يتوجه عليه
اللوم من السلطنة وينسب
اليه التفريط (وفى تاسعه)
وردت مكاتبات مع السعاة
من ثغر سكندرية وذلك يوم
الخميس وقت العصر وفيها
الاخبار بورود مراكب
الانكليز وعدتها اثنان
واربعون مركبا فيها عشرون
قطعة كبارا والباقى صغار فطلبوا الحاكم قنصلهم وتكلموا معهم وطلبوا الطلوع الى الثغر فقالوا لهم

نفورهم من أستاذهم الهرات فلو جهم عنه فلما رجع أستاذه وظهر من اختفائهم بلغه فعاله معهم وابطله

(ذكر موت السلطان الجين)

وكان ممن حضر أيضا عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان وهو صاحب قرميسين وغيرها فأمره السلطان أن يسير هو وجماعة من أمراء السلطان كانوا معه الى الحجاز واليمن ويكون أمرهم الى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد فسار وا فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك فساروا حتى وردوا اليمن فاستولوا عليها وأساؤا السيرة في أهلها ولم يتركوا فاحشة ولا سيئة الا ارتكبوها وملكوا عدن وظهر على ترشك الجدري فتوفي في سابع يوم من وصوله اليها وكان عمره سبعين سنة فعاد أصحابه الى بغداد وحملوه ودفنوه عند قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه

(ذكر مقتل نظام الملك)

في هذه السنة عاشر رمضان قتل نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان في اصبهان وقد عاد الى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد ان فرغ من افطاره وخرج في محفته الى خيمة حرمه أتاه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميح أو مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب فعثر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه وركب السلطان الى خيمته فسكن عسكره وأصحابه وبقي وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان الب ارسلان صاحب خراسان أيام عمه طغرلبك قبل أن يتولى السلطنة وكان قد عاش ست وسبعين سنة فانه كان مولده سنة ثمان واربعمائة وكان سبب قتله ان عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسل السلطان اليها شحنة يقال له قودن وهو من أكبر مماليكه ومن أعظم الامراء في دولته فجرى بينه وبين عثمان منازعة في شيء فحملت عثمان حداثة سنه وتمكنه وطمعه بجده على ان قبض عليه واهانه ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثا شاكيا فأرسل السلطان الى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاساني وغيرهما من أرباب دولته يقول له ان كنت شريكي في الملك ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم وان كنت نائبي وبحكمي فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولي ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا وأطال القول وأرسل معهم الامير يلبرد وكان من خواصه وثقاته وقال له تعرفني ما يقول فربما كتم هؤلاء شيئا فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان ان كنت ما علمت اني شريكك في الملك فاعلم فانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيري ورأيي أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم منهم فلان وفلان وذكر جماعة ممن خرج عليه وهو ذلك الوقت يتمسك بي ويلزمني ولا يخالفني فلما قدت الامور اليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الامصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصي والداني أقبل يتجنى لي الذنوب ويسمع في السعايات قولوا له عني ان ثبات تلك القلنسوة معذوق

ولم يزل مختفيا عنده حتى مات مبطونا في حياة استاذه بناحية قبلي في ثالث السنة ومات بغير هؤلاء ممن لم نذكر مثل سليمان بك المعروف بابوذياب بناحية قبلي أيضا ومات أيضا احمد بك المعروف بالوشاش وهو من الالفي في واقعة الفيلة ومات أيضا صالح بك الالفي وهو أيضا ممن تأمر في غياب استاذه وعند حضور استاذه من بلاد الانكليز كان هو متوليا كشوفية الشرقية وغائبا هناك فارسلوا له تجريدة ليقتلوه وكان بناحية شلشلمون فوصله الخبر فترك خيامه وأحماله وأثقاله وهرب وانخنق فلما وقعت حادثة الامراء مع العسكر وخرجوا من مصر هاربين وظهر الالفي من الوادي ذهب اليه وامده بما معه من الاموال وذهب مع استاذه الى قبلي ولم يزل حتى مات أيضا في هذه السنة وغير أولئك كثير لم تحضرني أسماؤهم ولا وفاتهم

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف)

وكان ابتداء المحرم يوم الاربعاء فيه وصل القابجي الذي على يده التقرير لمحمد علي باشا على ولاية مصر وطلع الى بولاق (وفيه) وردت مكاتبات من الجهة القبلية فيها انهم كبسوا على عرضي الالفية وهجم عليهم سليمان بك البواب وطاردوهم وهزموهم

شهر رمضان ولقبه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير وظهر له من تاج الملك كفاية عظيمة وكان السلطان قد أمر ان تفصل خلع الوزارة لتاج الملك وكان هو الذي سعى بنظام الملك فلما فرغ من الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس في الدست اتفق ان السلطان خرج الى الصيد وعاد ثالث شوال مريضا وانتشب الموت اظفاره فيه ولم يغن عنه سعة ممالكه وكثرة عساكره وكان سبب مرضه انه اكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة فتوفي ليلة الجمعة النصف من شوال ولما ثقل نقل ارباب دولته أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفي سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمته وأعادت جعفر ابن الخليفة من ابنة السلطان الى أبيه المقتدي بامر الله وسارت من بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الاموال للامراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وارسلت قوام الدولة كربوقا الذي صار صاحب الموصل الى اصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها واظهر ان السلطان امر بذلك ولم يجمع لسلطان مثله لم يصل عليه احد ولم يلطم عليه وجه وكان مولده سنة سبع واربعين واربعمائة وكان من احسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن أقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت ايامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد ومن افعاله انه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد علي بن موسى الرضا بطوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك باي شيء دعوت قال دعوت الله ان ينصرك فقال اما أنا فلم ادع بهذا بل قلت اللهم انصر اصلحنا للمسلمين وانفعنا للرعية وحكي عنه ان سواديا لقيه وهو يبكي فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدريهمات لا املك سواها فغلبني عليه ثلاثة نفر من الاتراك فاخذوه مني فقال السلطان له اقصد ثم أحضر فراشا وقال قد اشتهيت بطيخا وكان ذلك عند أول استوائه وامره بطلبه من العسكر فذهب ثم عاد ومعه البطيخ فامره باحضار من وجده عنده فاحضر فساله السلطان من أين لك ذلك البطيخ فقال غلماني جاؤني به فامر ان يجيء بهم اليه فمضى وأمرهم بالهرب وعاد فقال لم اجدهم فقال للسوادي خذ هذا مملوكي قد وهبته لك عوضا عن بطيخك او يحضر الذين أخذوه والله لئن اطلقته لاضربن عنقك فاخذه السوادي فاشترى الغلام نفسه منه بثلثمائة دينار فعاد السوادي الى السلطان وقال قد بعته نفسه بثلثمائة دينار فقال ارضيت بذلك قال نعم قال امض مصاحبا للسلامة وقال عبد السميع بن داود العباسي شاهدت ملكشاه وقد اتاه رجلان من أرض العراق السفلى من قرية الحدادية يعرفان بابني غزال فتشبثا به ووقف لهما فقالا ان مقطعنا الامير خمارتكين قد صادرنا بالف وستمائة دينار وقد كسر ثنيتي احدنا واراهما السلطان وقد قصدناك لتقتص لنا منه فان أخذت بحقنا كما اوجب الله عليك والا فالله يحكم بيننا قال فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني الى خواجه حسن يعني نظام الملك فامتنعا من ذلك

من البرج الكبير وكذلك الابراج الصغار والسور فعند ذلك طلبوا الامان فرفعوا اليهم القرب ودخلوا البلدة وذلك يوم الجمعة ثاني (وفي ليلة الاثنين ثالث عشره) وردت مكاتبة من رشيد بذلك الخبر على سبيل الاجمال من غير معرفة حقيقة الحال بل بالعلم بانهم طلعوا الى الثغر ودخلوا البلدة وعدم علمهم بالكيفية وتغيب الحال واشتبه الامر (وفيه حضر) قنصل الفرنساوية الى مصر وكان بالاسكندرية فلما وردت مراكب الانكليز انتقل الى رشيد فلما بلغه طلوعهم الى البر حضر الى مصر وذكر انه يريد السفر الى الشام هو وباقي الفرنساوية القاطنين بمصر (وفي ليلة الخميس سادس عشره) وردت مكاتبة من الباشا يذكر فيها انه تحارب مع المصريين وظهر عليهم واخذ منهم اسيوط وقبض على انفار منهم وقتل في المعركة كثير من كشافهم وعساكرهم فعملوا في ذلك اليوم شنكا وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والازبكية ثلاثة ايام في الاوقات الخمسة آخرها السبت واشاعوا ايضا ان الاسكندرية ممتنعة على الانكليز وانهم طلعوا الى راس التين والعجمي فخرج عليهم أهل البلاد والعساكر وحاربوهم وأجلوهم عن البر ونزلوا الى المراكب مهزومين واسروا منهم مركبين وانه وصل اليوم جماعة من العثمانيين والفرنساوية

وادرشاه فرسه فركبه وقال له لا تمشي يا حسن قال نظام الملك فقويت نفسي بذلك وعلمت انه ابتدا سعادة ثم سار نظام الملك الى مرو ودخل على داود فلما رآه اخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له هذا حسن الطوسي فتسلمه واتخذه والدا لا تخالفه وكان الامير تابعا لما سمع بهذا نظام الملك سار في اثره الى مرو فقال لداود هذا كاتبي ونائبي قد اخذ اموالي فقال له داود حدثني مع محمد يعني الب ارسلان وكان اسمه محمدا فلم تجاسر تابعر على خطابه فتركه وعاد واما اخباره فانه كان عالما دينا جوادا عادلا حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء وائمة المسلمين واهل الخير والصلاح امر ببناء المدارس في سائر الامصار والبلاد واجرى لها الجرايات العظيمة واملى الحديث بالبلاد ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول اني لست من اهل هذا الشان لما تولاه ولكني احب ان اجعل نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا سمع المؤذن امسك عن كل ما هو فيه وتجنبه فاذا فرغ لا يبدأ بشئ قبل الصلاة وكان اذا غفل المؤذن ودخل الوقت يامره بالاذان وهذا غاية حال المنقطعين الى العبادة في حفظ الاوقات ولزوم الصلوات واسقط المكوس والضرائب وازال لعن الاشعرية من المنابر وكان الوزير عميد الملك الكندري قد حسن للسلطان طغرلبك التقدم بلعن الرافضة فامر بذلك فاضاف اليهم الاشعرية ولعن الجميع فلهذا فارق كثير من الائمة بلادهم مثل امام الحرمين وابي القاسم القشيري وغيرهما فلما ولي الب ارسلان السلطنة اسقط نظام الملك ذلك جميعه واعاد العلماء الى اوطانهم وكان نظام الملك اذا دخل عليه الامام ابو القاسم القشيري والامام ابو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس في مسنده كما هو واذا دخل ابو علي الفارمذي يقوم اليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه فقيل له في ذلك فقال ان هذين وامثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي انت كذا وكذا يثنون علي بما ليس في فيزيدني كلامهم عجبا وتيها وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما انا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك وارجع عن كثير مما انا فيه وقال نظام الملك كنت اتمنى ان يكون لي قرية خاصة ومسجد اتفرد فيه لعبادة ربي ثم بعد ذلك تمنيت ان يكون لي قطعة ارض اتقوت بريعها ومسجد اعبد الله فيه واما الآن فانا اتمنى ان يكون لي رغيف كل يوم ومسجد اعبد الله فيه وقيل كان ليلة ياكل الطعام وبجانبه اخوه ابو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فامره بالانتقال الى الجانب الآخر وقرب المقطوع اليه فاكل معه وكانت عادته ان يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه ويدنيهم واخباره مشهورة كثيرة قد جمعت لها التواريخ السائرة في البلاد

❊(ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته)❊

سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر

لا تمكنكم من الطلوع الا برضيم سلطاني فقالوا لم يكن معنا امر السيم واما مجيئنا لمقاتلة الثغر من الفرنسيس فانهم وعاطرقوا البلاد على حين غفلة وقد احضرنا معهم بتنا خمسة آلاف من العسكر نأتيهم بالابراج لحفظ البلدة والقلعة والثغر فقالوا لهم لم يكن معنا اذن وقد اتتنا مراسيم بمنع كل من وصل عن الطلوع من اي جنس كان ولا بد من ذلك فاما ان تسمحوا لنا في الطلوع بالرضا والتسليم واما بالقهر والحرب والمهلة في رد الجواب باحد الامرين اربعة وعشرون ساعة ثم تنصرفون على الممانعة فكتبوا بذلك الى مصر فلما وصلت تلك المكاتبات اجتمع كتخدا بك وحسن باشا وبونابارته الخازندار وطاهر باشا والدفتردار والروزنامجي وباقي اعيانهم وذلك بعد الغروب وتشاوروا في ذلك ثم اجمع رأيهم على ارسال الخبر بذلك الى محمد علي باشا ويطلبونه للحضور هو ومن بصحبته من العساكر ليستعدوا لما هو اولى واحق بالاهتمام ففعلوا ذلك وانصرفوا الى منازلهم بعد حصة من الليل وارسلوا تلك المكاتبة اليه في صبح يوم الجمعة صحبة هجانين وشاع الخبر وكثر لغط الناس في ذلك ولما انقضت الاربعة والعشرون ساعة التي جعلها الانكليز اجلا بينهم وبين اهل الاسكندرية وهم في الممانعة ضربوا عليهم بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر فهدموا جانبا

ولما مات السلطان ملكشاه ارسلت تركان خاتون الى اصبهان في القبض على بركيارق ابن السلطان وهو اكبر اولاده خافته ان ينازع ولدها في السلطنة فقبض عليه فلما اشتهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك باصبهان فاخذوه وثاروا في البلد واخرجوا بركيارق من الحبس وخطبوا له باصبهان وملكوه وكانت والدة بركيارق زبيدة ابنة ياقوتي بن داود وهي ابنة عم ملكشاه خائفة على ولدها من خاتون ام محمود فاتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد الى اصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالاموال فوعدهم فلما وصلوا الى قلعة برجين صعد اليها لينزل الاموال منها فلما استقر فيها عصى على خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا الى قلعة ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيئا فانه كان قد علم ما يجري فاستظهر واخفاه ولما وصلت تركان خاتون الى اصبهان لحقها تاج الملك واعتذر بان مستحفظ القلعة حبسه وانه هرب منه اليها فقبلت عذره واما بركيارق فانه لما قاربت خاتون وابنها محمود اصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الري فلقيهم ارغش النظامي في عساكره ومعه جماعة من الامراء وصاروا يدا واحدة وانما حمل النظامية على الميل الى بركيارق كراهتهم لتاج الملك لانه كان عدو نظام الملك والمتهم بقتله فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك واخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر الى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الامراء الذين في عسكر خاتون الى بركيارق منهم الامير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوي بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذي الحجة واشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا الى اصبهان وسار بركيارق في اثرهم فحصرهم باصبهان

(ذكر قتل تاج الملك)

كان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الوقعة فهرب الى نواحي بروجرد فاخذ وحمل الى عسكر بركيارق وهو يحاصر اصبهان وكان يعرف كفايته فاراد ان يستوزره فشرع تاج الملك في اصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتي الف دينار سوى العروض فزال ما في قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الاصاغر على الاستغاثة وان لا يقنعوا الا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه اجزاء وكان قتله في المحرم سنة ست وثمانين وحمل الى بغداد احدى اصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى جميع محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك وهو الذي بنى تربة الشيخ ابي اسحق الشيرازي وعمل المدرسة التي الى جانبها ورتب بها الشيخ ابا بكر الشاشي وكان عمره حين قتل سبعا واربعين سنة

(ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة)

سار الحجاج هذه السنة من بغداد فقدموا الكوفة ورحلوا منها فخرجت عليهم خفاجة

متاع الناس وبهائم الفلاحين واهل بولاق وفي كل يوم يشيعون بانه مسافر الى جهة البحيرة لمحاربة الانكليز فلما ورد خبر مجيء ياسين بك تاخر عن السفر وعملوا مشورة فاقتضى رأيهم ان حسن باشا يعدي الى البر الغربي ويقيم بالجيزة لئلا يأتي ياسين بك ويملكها فعدى حسن باشا في يوم الاثنين عشرينه واقام بها واعرض عن السفر الى جهة البحيرة (وفيه) وردت الاخبار الصحيحة باخذ الاسكندرية واستيلاء الانكليز عليها يوم الخميس المتقدم تاسع الشهر ودخلوها وملكوا الابراج يوم الاحد صبيحة النهار ونزل ساري عسكرهم بوكالة القنصل وشرطوا مع اهالي البلد شروطا منها انهم لا يسكنون البيوت قهرا عن اصحابها بل بالمؤاجرة والتراضي ولا يسكنون المساجد ولا يبطلون منها الشعائر الاسلامية واعطوا امين اغا الحاكم امانا على نفسه وعلى من معه من العسكر واذنوا لهم بالذهاب الى اي محل ارادوه ومن كان له دين على الديوان يأخذ نصفه حالا والنصف الثاني مؤجلا ومن اراد السفر في البحر من التجار وغيرهم فليسافر في خفارتهم الى اي جهة اراد قاصدا اسلامبول واما الغرب والشام وتونس وطرابلس ونحوها فعلى السراح لا حرج ذهابا وايابا ومن شروطهم التي شرطوها مع اهل البلد انهم ان احتاجوا الى قومانية او مال لا يكلفون اهل

واعتذرا فانعم عليهما الا انه لا فاخذ كل واحد منهما يبكي من كميه ومشى معهما الى مقام الملك فبلغه الخبر فخرج حسيرا فلقيه وقبل الارض وقال يا سلطان العالم ما حملك على هذا فقال كيف يكون حالي غدا عند الله اذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الامر لتكفيني مثل هذا الموقف فان نال الرعية اذى فانت المطالب فانظر لي ولنفسك فقبل الارض ومشى في خدمته وعاد من وقته وكتب بعزل الامير خمارتكين عن اقطاعه ورد المال عليهما واعطاهما مائة دينار من عنده وامرهما باثبات البينة انه قلع ثنيتيه ليقلع ثنيتيه عوضهما فرضيا وانصرفا وقيل انه ورد بغداد ثلاث دفعات فخافه الناس من غلاء الاسعار وتعدي الجند فكانت الاسعار ارخص منها قبل قدومه وكان الناس يحترفون عساكره ليلا ونهارا فلا يخافون احدا ولم يتعد عليهم احد واسقط المكوس والمؤن من جميع البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التي في المفاوز وحفر الانهار الخراب وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبنى البلد باصبهان وبنى منارة القرون بالسبيعي بطريق مكة وبنى مثلها بما وراء النهر واصطاد مرة صيدا كثيرا فامر بعده فكان عشرة آلاف فامر فامر بصدقة عشرة آلاف دينار وقال انني خائف من الله تعالى كيف ازهقت ارواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة وفرق من الثياب والاموال بين اصحابه ما لا يحصى وصار بعد ذلك كلما اصطاد شيئا تصدق بعدده دنانير وهذا فعل من يحاسب نفسه على جميع كلامه وسكناته وقد اكثر الشعراء مراثيه ايضا وقيل ان بعض امراء السلطان كان نازلا بجوار انسان بعض العلماء اسمه عبد الرحمن في داره فقال يوما ذلك الامير للسلطان وهو سكران ان عبد الرحمن يشرب الخمر ويعبد الاصنام من دون الله تعالى ويحلل الحرام فلم يجبه ملكشاه فلما كان الغد صحا ذلك الامير فاخذ السلطان السيف وقال له اصدقني عن فلان والا قتلتك فطلب منه الامان فامنه فقال ان عبد الرحمن له دار حسناء وزوجة جميلة فاردت ان تقتله فآخذ داره وزوجته فابعده السلطان وشكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعايته وتصدق باموال جليلة المقدار

(ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الاكبر بركيارق الى ان ملك)

لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون موته وكتمه اركانها وارسلت الى الامراء سرا واستحلفتهم واستمالتهم لولدها محمود وعمره اربع سنين وشهور وارسلت الى الخليفة المقتدي في الخطبة لولدها ايضا فاجابها وشرط ان يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون المدبر لعامة الجيوش ورعاية البلاد الامير انر ويصدر عن راي تاج الملك ويكون ترتيب العمال وجباية الاموال الى تاج الملك ايضا وكان تاج الملك هو الذي يدبر الامر بين يدي خاتون فلما جاءت رسالة الخليفة الى خاتون بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها ان ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان المخاطب لها في ذلك الغزالي فاذعنت له واجابت اليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين وكانت الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال من السنة وخطب له بالحرمين الشريفين

وحاربوهم في البحر ولم يقووا عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ولم يبق منهم الا القليل واستمر الامر في هذا الخلل القبلي والبحري عدة ايام ولم ياتهم من الاسكندرية شيء ولا خبر صحيح (وفيه) وصل الكثير من اهالي الفيوم ودخلوا الى مصر وهم في اسوا حال من الشتات والعري مما فعل بهم ياسين بك فخرجوا على وجوههم وجفلوا عن اوطانهم ولم يمكنهم الخروج من بلادهم حتى ارتحل عنهم المذكور يريد الحضور الى ناحية مصر عندما بلغه خبر حضور الانكليز الى ثغر سكندرية (وفي سابع عشره) وصل ياسين بك المذكور الى ناحية دهشور وارسل مكاتبة خطابا للسيد عمر والقاضي وسعيد آغا يذكر فيها انه لما بلغه وصول الانكليز اخذته الحمية الاسلامية وحضر وصحبته ستة آلاف من العسكر ليرابطهم بالجيزة او بقليوب ويجاهد في سبيل الله فكتبوا له اجوبة مضمونها ان كان حضوره بقصد الجهاد فينبغي ان يتقدم بمن معه الى الاسكندرية واذا حصل له النصر تكون له اليد البيضاء والمنقبة والذكر والشهرة الباقية فانه لا فائدة باقامته بالجيزة او قليوب وخصوصا قليوب بالبر الشرقي وكان حسن باشا خرج بعرضيه في موكب الى ناحية الشمال قبل ذلك بايام ورجع الى داره آخر النهار فيبيت بها ثم يخرج في الصباح وهكذا وباشه ينتشرون بتلك النواحي يعبثون ويخطفون

ولما

صاحبه ملكشاه وصغرهم فعلم انه لا يطيق دفع تتش فصالحه وصار معه وارسل الى
باغي سيان صاحب انطاكية والى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعة
تاج الدولة تتش حتى يروا ما يكون من اولاد ملكشاه ففعلوا وصاروا معه وخطبوا له في
بلادهم وقصدوا الرحبة فحصروها وملكوها في المحرم من هذه السنة وخطب لنفسه
بالسلطنة ثم ساروا الى نصيبين فحصروها فسب اهلها تاج الدولة فملكها عنوة وقهرا
وقتل من اهلها خلقا كثيرا ونهبت الاموال وفعل فيها الافعال القبيحة ثم سلمها الى
الامير محمد بن شرف الدولة العقيلي وسار يريد الموصل واتاه الكافي بن فخر الدولة بن
جهير وكان في جزيرة ابن عمر فاكرمه واستوزره

(ذكر وقعة المضيع واخذ الموصل من العرب)

كان ابراهيم بن قريش بن بدران امير بني عقيل قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة
اثنتين وثمانين واربعمائة ليحاسبه فلما حضر عنده اعتقله وانفذ فخر الدولة بن جهير
الى البلاد فملك الموصل وغيرها وبقي ابراهيم مع ملكشاه وسار معه الى سمرقند وعاد الى
بغداد فلما مات ملكشاه اطلقته تركان خاتون من الاعتقال فسار الى الموصل وكان
ملكشاه قد اقطع عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجة شرف الدولة ولها منه ابنها علي
وكانت قد تزوجت بعد شرف الدولة باخيه ابراهيم فلما مات ملكشاه قصدت الموصل
ومعها ابنها علي فقصدها محمد بن شرف الدولة واراد اخذ الموصل فافترقت العرب
فرقتين فرقة معه واخرى مع صفية وابنها علي واقتتلوا بالموصل عند الكناسة فظفر علي
وانهزم محمد وملك علي الموصل فلما وصل ابراهيم الى جهينة وبينها وبين الموصل اربعة
فراسخ سمع ان الامير علي ابن اخيه شرف الدولة قد ملكها ومعه امه صفية عمة ملكشاه
فاقام مكانه وراسل صفية خاتون وترددت الرسل فسلمت البلد اليه فاقام به فلما ملك
تتش نصيبين ارسل اليه يامره ان يخطب له بالسلطنة ويعطيه طريقا الى بغداد لينحدر
ويطلب الخطبة بالسلطنة فامتنع ابراهيم من ذلك فسار تتش اليه وتقدم ابراهيم ايضا
نحوه فالتقوا بالمضيع من اعمال الموصل في ربيع الاول وكان ابراهيم في ثلاثين الفا
وكان تتش في عشرة آلاف وكان آقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته فحمل
العرب على بوزان فانهزم وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم وتمت الهزيمة على ابراهيم
والعرب واخذ ابراهيم اسيرا وجماعة من امراء العرب فقتلوا صبرا ونهبت اموال العرب
وما معهم من الابل والغنم والخيل وغير ذلك وقتل كثير من نساء العرب انفسهن خوفا
من السبي والفضيحة وملك تتش بلادهم الموصل وغيرها واستناب بها علي بن شرف
الدولة مسلم وامه صفية عمة تتش وارسل الى بغداد بطلب الخطبة وساعده كوهرائين
على ذلك فقيل لرسوله انا ننتظر وصول الرسل من العسكر فعاد الى تتش بالجواب

(ذكر ملك تتش ديار بكر واذربيجان وعوده الى الشام)

فلما فرغ تاج الدولة تتش من امر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم سار الى

الالفي لمساعدته ومساعدتكم فوجدنا الالفي قد مات وهو شخص واحد منكم وانتم جمع فلا يكون عندكم تأخير في
الحضور لقضاء شغلكم فانكم
لا تجدون فرصة بعد هذه
وتندمون بعد ذلك ان
تاخرتم فلما وصلتهم مراسلة
الانكليز تفرق رأيهم وكان
عثمان بك حسن متعزلا
عنهم وهو يدعي الورع وعنده
جيش كبير فارسلوا اليه
يستدعونه فقال انا مسلم
هاجرت وجاهدت وقاتلت
في الفرنساوية والآن اختم
عملي والتجئ الى الافرنج وانتصر
بهم على المسلمين انا لا افعل
ذلك وعثمان بك يوسف كان
بناحية المنو وكان الباشا يحارب
الذين بناحية اسيوط وهم
المرادية والابراهيمية والالفي
والذين معهم وانكسروا امامه
وقتل منهم اشخاصا فلما ورد
عليه خبر الانكليز ارسل الملك
وداخلهم وهم كبير وارسل
اليهم المشايخ وخلافهم يطلبهم
للصلح وكان ما سنتلو عليك
قريبا وما كان الا ما اراده المولى
جل جلاله من نقمة الانكليز
والقطر واهله الآن بشاءالله
(وفيه) وصل مكتوب من
محمد علي باشا بطلب مصطفى اغا
الوكيل وعلي كاشف الصابونجي
ليرسلهم الى الامراء القبالي
فتراخوا في الذهاب لكونهم
وجدوا تاريخ المكتوب حادي
عشر الشهر فعلموا ان ذلك قبل
تحقق خبر الانكليز (ثم ورد)
منه مكتوب آخر يذكر فيه عزمه على الرجوع الى مصر قريبا فان العساكر ربطا لبرمه بالملاقف ويامرهم فيه بتحصيل غلال

وقد طمعوا بموت السلطان وبعد العسكر فوقعوا بهم وقتلوا أكثر الجند الذين معهم وانهزم باقيهم ونهبوا الحاج وقصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها وقتلوا في أهلها فرماهم الناس بالنشاب فخرجوا بعد ان نهبوا واخذوا ثيابا من القوم من الرجال والنساء فوصل الخبر الى بغداد فسيرت العساكر منها فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا فادركهم العسكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت اموالهم وضعفت خفاجة بعد هذه الوقعة

(ذكر عدة حوادث)

فيها في ربيع الاول عاد السلطان من بغداد الى اصبهان واخذ معه الامير ابا الفضل جعفر ابن الخليفة المقتدي بامر الله من ابنة السلطان وتفرق الامراء الى بلادهم ثم عاد الى بغداد في رمضان كما ذكرناه وفيها في جمادى الاولى احترق نهر المعلى فاحترق عقد الحديد الى خربة الهراس الى باب دار الضرب واحترق سوق الصاغة والصيارف والخلقانيين والريحانيين وكان الحريق من الظهر الى العصر فاحترق منها الامر العظيم في الزمان القليل واحترق من الناس خلق كثير ثم ركب عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وجمع السقائين ولم يزل راكبا حتى طفئت النار وفي هذه السنة توفي عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن ناقيا الشاعر البغدادي سمع الحديث وكان يتهم بانه يطعن على الشرائع فلما مات كانت يده مقبوضة فلم يطق الغاسل فتحها فبعد جهد فتحت فاذا فيها مكتوب

نزلت بجار لا يخيب ضيفه ◦ ارجي نجاتي من عذاب جهنم
واني على خوفي من الله واثق ◦ بانعامه والله اكرم منعم

وفيها توفي هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن احمد ابو القاسم الشيرازي الحافظ احد الرحالين في طلب الحديث شرقا وغربا وقدم الموصل من العراق وهو الذي اظهر سماع الجعديات لابي محمد الصريفيني ولم يكن يعرف ذلك

(ثم دخلت سنة ست وثمانين واربعمائة)

(ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق)

كان عز الملك ابو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقيما بخوارزم حاكما فيها وفي كل ما يتعلق بها اليه المرجع في كل امورها السلطانية فلما كان قبل ان يقتل ابوه حضر عنده خدمة له وللسلطان فقتل ابوه ومات السلطان فاقام باصبهان الى الآن فلما حصرها بركيارق وكان اكثر عسكره النظامية خرج من اصبهان هو وغيره من اخوته فلما اتصل ببركيارق احترمه واكرمه وفوض امور دولته اليه وجعله وزيرا له

(ذكر حال تتش بن الب ارسلان)

كان تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام فلما كان قبل موت اخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق اليه ببغداد فلما كان بهيت بلغه موته فاخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق يتجهز لطلب السلطنة فجمع العساكر واخرج الاموال وسار نحو حلب وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف اولاد

الاسكندرية بشيء من ذلك وان محكمة الاسلام تكون مفتوحة لحكم شرائعها ولا يكلفون اهل الاسلام بقيام دعوى عند الانكليز بغير رضاهم والحمايات من اي نظيرة تكون مقبولة عند الانكليز الموجودين في الاسكندرية ويصيرون مأمونين رعاية لخاطر اهل الاسكندرية ولا يصل لهم شيء من المكروه من كامل الوجوه حتى الفرنساوية والجمارك من كل الجهات على كل ما فاتنان وتصف وعلى ذلك انتهت الشروط وليعلم ان هذه الطائفة من الانكليز ومن انضم اليهم وعدتهم على ما قيل ستة آلاف لم تأت الى الثغر طمعا في اخذ مصر بل كان ورودهم وبعثهم مساعدة ومعاونة للالفي على اخصامه باستدعائه لهم واستنجاده بهم من قبل تاريخه وسبب تأخرهم في المجيء لما بينهم وبين العثمانية من الصلح فلا يتعدون على ممالكهم من غير اذنهم فتنقضهم على القوانين فلما وقعت الفرقة بينهم وبينه بما تقدم فعند ذلك انتهزوا الفرصة وارسلوا هذه الطائفة وكان الالفي ينتظر حضورهم بالبحيرة فلما طال عليه الانتظار وضاقت عليه البحيرة ارتحل بجيوشه مقبلا ونزل القمونة باقليم الجيزة وحضر الانكليز بعد ذلك الى الاسكندرية فوجدوه قد مات فلم يسعهم الرجوع فارسلوا الى الامراء القبليين يستدعونهم ليكونوا مساعدين لهم على عدوهم ويقولون لهم انما جئنا الى بلادكم باستدعاء صاحبه

اسمعيل منهم وخافوه وخاف هو ايضا منهم ففارقهم وراسل اخته زبيدة والدة بركيارق في اللحاق بهم فاذنت له في ذلك فوصل اليهم واقام عندهم اياما يسيرة فخلا به كمشتكين الجاندار وآقسنقر وبوزان وبسطوه في القول فاطلعهم على سره وانه يريد السلطنة وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه واعلموا اخته خبره فسكتت عنه

﴿ذكر اخذ الحاج﴾

في هذه السنة انقطع الحج من العراق لاسباب اوجبت ذلك وسار الحاج من دمشق مع امير اقامه تاج الدولة تتش صاحبها فلما قضوا حجهم وعادوا سار ثم امير مكة وهو محمد بن ابي هاشم عسكرا فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من اموالهم وجمالهم فعادوا اليه ولقوه وسألوه ان يعيد عليهم ما اخذ منهم وشكوا اليه بعد ديارهم فاعاد بعض ما اخذ منهم فلما ايسوا منه ساروا من مكة عائدين على اقبح صورة فلما ابعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدة جهات فصانعوهم على مال اخذوه من الحجاج بعد ان قتل منهم جماعة وافرة وهلك فيه بالضعف والانقطاع وعاد السالم على اقبح صورة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى قدم الى بغداد اردشير بن منصور ابو الحسين بن الواعظ العبادي واكثر الوعظ بالمدرسة النظامية وهو مروزي وقدم بغداد قاصدا الحج وكان له قبول عظيم بحيث ان الغزالي وغيره من الائمة ومشايخ الصوفية كانوا يحضرون مجلسه وذرع في بعض المجالس الارض التي فيها الرجال فكان طولها مائة وخمسة وسبعين ذراعا وعرضها مائة وعشرين ذراعا وكانوا يزدحمون ازدحاما كثيرا وكان النساء اكثر من ذلك وكان له كرامات ظاهرة وعبادات كثيرة وكان سبب منعه من الوعظ انه نهى ان يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح وقال هو ربا فخرج من الوعظ واخرج من البلد وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة وقصد كل فريق الفريق الآخر وقطعوا الطرقات بالجانب الغربي وقتل اهل النصرية مصلحيا الفارس كوهرائين احرقوها واتصلت الفتنة بين اهل الكرخ وباب البصرة وكان للعميد الاغر ابي المحاسن الدهستاني في اطفاء هذه الفتنة اثر حسن وفيها في شعبان سار سيف الدولة صدقة بن مزيد الى السلطان بركيارق فلقيه بنصيبين وسار معه الى بغداد من الموصل فوصلها في ذي القعدة ومعهم عز الملك بن نظام الملك وخرج عميد الدولة والناس الى لقائه من عقرقوف وفيها ولد للمستظهر بالله ولد سمي الفضل وكني ابا منصور ولقب جمال الدين وهو المسترشد بالله وفيها في رمضان قتل الامير يلبرد قتله بركيارق وكان من الامراء الكبار مع ابيه فرأى منه بركيارق انقطاعا الى كوهرائين وتعصبا كبيرة ببغداد فشا ووصل اليه وقوفا عنده منها انه تكلم فيما يتعلق بوالدة السلطان بركيارق بكلام شنيع فلما وصل اليه اصبح مقتولا وفيها في المحرم توفي علي بن احمد بن يوسف ابو الحسن القرشي الهكاري المعروف بشيخ الاسلام وكان فاضلا عابدا كثير السماع الا ان الغرائب في

وكلفهم يطلبون اجمالهم مضاعفة بما يضاف الى ذلك من حق طرق المعينين وامثال ذلك (وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيعه) وردت اخبار من ثغر رشيد تذكرون بان طائفة من الانكليز وصلت الى رشيد في صبح يوم الثلاثاء حادي عشر ربيعه ودخلوا الى البلد وكان اهل البلد ومن معهم من العساكر متنبهين ومستعدين بالازقة والعطف وطيقان البيوت فلما حصلوا بداخل البلد ضربوا عليهم من كل ناحية فالقوا ما بايديهم من الاسلحة وطلبوا الامان فلم يلتفتوا لذلك وضربوا عليهم وذبحوا منهم جملة كثيرة واسروا الباقين وفرت طائفة الى ناحية دمنهور وكان كاشفها عندما بلغه ما حصل برشيد اطمان خاطره ورجع الى ناحية ديبي ومحلة الامير وطلع بمن معه الى البر فصادف تلك الشرذمة فقتل بعضهم واخذ ما بقي منهم اسرى وارسلوا السعاة الى مصر بالبشارة فضربوا المدافع وعملوا شنكا وخلع كتخدا بك على السعاة الواصلين وانتشرت المبشرون من اتباع العثمانيين وهم القواسة الاتراك بالسعي الى بيوت الاعيان يبشرونهم ويأخذون منهم البقاشيش والخلع وصار الناس ما بين مصدق ومكذب فلما كان يوم الاحد سادس عشر ربيعه اشيع وصول رؤس القتلى ومن معهم من الاسرى الى بولاق فهرع الناس بالذهاب للفرجة ووصل الكثير منهم الى ساحل بولاق وركب

ديار بكر في ربيع الآخر فلما فارقه بزان وسار نحو ديار بكر من ابن مروان وسار منها الى
اذربيجان فانتهى خبره الى ابن اخيه ركن الدين بركيارق وكان قد استولى على كثير
من البلاد منها الري وهمذان وما بينهما فلما تحقق الحال سار في عساكره ليمنعه عن
البلاد فلما تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقر لبوزان انما اطعنا هذا الرجل
لننظر ما يكون من اولاد صاحبنا والآن فقد ظهر ابنه ونريد أن نكون معه
فاتفقا على ذلك وفارقا تتش وصارا مع بركيارق فلما رأى تاج الدولة تتش ذلك علم انه
لا قوة له بهم فعاد الى الشام واستقامت البلاد لبركيارق فلما قوي امره سار كوهرائين
الى العسكر يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تتش واعانه برسق وتعصب عليه
كمشتكين الجاندار فاخذ اقطاعه واعطوا الامير يلبرد زيادة وولي شحنكية بغداد عوض
كوهرائين وتفرق عن كوهرائين اصحابه فكان ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها)

في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك عسكر المستنصر بالله العلوي صاحب مصر
مدينة صور وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين واربعمائة ان امير الجيوش
بدرا وزير المستنصر سير العساكر الى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام وكان من بها
قد امتنع من طاعتهم فملكها وقرر امورها وجعل فيها الامراء وكان قد ولي مدينة صور
امير يعرف بمنير الدولة الجيوشي فعصى على المستنصر وامير الجيوش وامتنع بصور
فسيرت العساكر من مصر اليه وكان اهل صور قد انكروا على منير الدولة عصيانه على
سلطانه فلما وصل العسكر المصري الى صور وحصروها وقاتلوها ثار اهلها ونادوا
بشعار المستنصر وامير الجيوش وسلموا البلد وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع
ونهب من البلد شيء كثير واسر منير الدولة ومن معه من اصحابه وحملوا الى مصر وقطع
على اهل البلد ستون الف دينار فاجحفت بهم ولما وصل منير الدولة الى مصر ومعه
الاسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم

(ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتي خال بركيارق)

في هذه السنة في شعبان قتل اسمعيل بن ياقوتي بن داود وهو خال بركيارق وابن عم
ملكشاه وسبب قتله انه كان باذربيجان اميرا عليها فراسلته تركان خاتون زوجة
ملكشاه تطمعه ان تتزوج به وتدعوه الى محاربة بركيارق فاجابها الى ذلك وجمع خلقا
كثيرا من التركمان وغيرهم وصار اصحاب سرهنك ساوتكين في جملته وارسلت اليه
تركان خاتون كربوقا وغيره من الامراء في عسكر كثير مددا له فخرج بركيارق عساكره
وسار الى حرب خاله اسمعيل فالتقوا عند الكرج فانحاز الامير يلبرد الى بركيارق وصار
معه فانهزم اسمعيل وعسكره وتوجه الى اصبهان فاكرمته تركان خاتون وخطب له
وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الامر في الوصلة يتم بينهما
فامتنع الامراء من ذلك لاسيما الامير انر وهو مدبر الامر وصاحب الجيش وآثروا خروج

وتنظيمه ليستلموها عند حضورهم بمصر ٩٢ وبشهرزو القاربة الانكليز (وفي ثالث عشرينه) ورد مكتوب من أهالي دمنهور
خطابا الى السيد عمر النقيب
مضمونه انه لما دخلت المراكب
الانكليزية الى سكندرية هرب
من كان بها من العساكر وحضروا
الى دمنهور فعند ما شاهدهم
الكاشف الكائن بدمنهور
ومن معه من العسكر انزعجوا
انزعاجا شديدا وعزموا على
الخروج من دمنهور فخاطبهم
أكابر الناحية قائلين لهم
كيف تتركونا وتذهبوا ولم
تروا منا خللا فاولا كما انها
تقدم من حروب الالفي من
اعظم المساعدين لكم فكيف
لا نساعد الآن بعضنا بعضا
في حروب الانكليز فلم يستمعوا
لقولهم لشدة ما داخلهم من
الخوف وعبوا امتاعهم واخرج
الكاشف اثقاله وجبخانته
ومدافعه وتركها وعدى
وذهب الى فوة من ليلته ثم
ارسل في ثاني يوم من اخذ
الاثقال فهذا ما حصل اخبرناكم
به واما بونابارته الخازندار
الذي سافر لحرب الانكليز
فانه نزل على القليوبية وفعل
ما امكنه وقدر عليه بالبلاد
من السلب والنهب والجور
والكلف والقاويق حتى
وصل الى المنوفية وكذلك
طاهر باشا الذي سافر في اثره
واسمعيل كاشف المعروف
بالشرنجي فرض على البلاد
جمالا وخيولا وابقارا وغير ذلك ومن جملة افاعيلهم انهم يوزعون الاغنام المنهوبة على البلاد ويلزمونهم بعلفها

اسمعيل

وسقط الى الارض فظننا انها غشية فحللت ازرار ثوبه فوجدته قد ظهرت عليه امارات الموت ومات لوقته قالت فتماسكت وقلت لجارية عندي ليس هذا وقت اظهار الجزع والبكاء فان صحت قتلتك واحضرت الوزير فاعلمته الحال فشرعوا في البيعة لولي العهد وجهزوا المقتدي وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودفنوه وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وثمانية اشهر وسبعة ايام وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية اشهر غير يومين وامه ام ولد ارمنية تسمى ارجوان وتدعى قرة العين ادركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله ووزر له فخر الدولة ابو نصر بن جهير ثم ابو شجاع ثم عميد الدولة ابو منصور بن جهير وقضاته ابو عبد الله الدامغاني ثم ابو بكر الشامي وكانت ايامه كثيرة الخير واسعة الرزق وعظمت الخلافة اكثر مما كان من قبله وانعمرت ببغداد عدة محال في خلافته منها البصلية والقطيعة والحلبة والمقتدية والاجمة ودرب القيار وخرابة ابن جردة وخرابة الهراس والخاتونيتين وامر بنفي المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع دورهن فنفين ومنع الناس ان يدخل احد الحمام الا بمئزر وقلع الهرادي والابراج التي للطيور ومنع من اللعب بها لاجل الاطلاع على حرم الناس ومنع من اجراء ماء الحمامات الى دجلة والزم اربابها بحفر آبار للمياه وامر ان من يغسل السمك المالح يعبر الى النجمي فيغسله هناك ومنع الملاحين ان يحملوا الرجال والنساء مجتمعين وكان قوي النفس عظيم الهمة من رجال بني العباس

ذكر خلافة المستظهر بالله

لما توفي المقتدي بامر الله احضر ولده ابو العباس احمد المستظهر بالله واعلم بموته وحضر الوزير فبايعه وركب الى السلطان بركيارق فاعلمه الحال واخذ بيعته للمستظهر بالله فلما كان اليوم الثالث من موت المقتدي اظهروا ذلك وحضر عز الملك بن نظام الملك وزير بركيارق واخوه بهاء الملك وامراء السلطان وجميع ارباب المناصب النقيبان طراد العباسي والمعمر العلوي في اصحابهما وقاضي القضاة والغزالي والشاشي وغيرهما من العلماء فجلسوا في العزاء وبايعوا وكان للمستظهر بالله لما بويع ست عشرة سنة وشهران

ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر واذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد

في هذه السنة في جمادى الاولى قتل قسيم الدولة آقسنقر جد ملوكنا بالموصل الآن اولاد الشهيد زنكي بن آقسنقر وسبب قتله ان تاج الدولة تتش لما عاد من اذربيجان منهزما لم يزل يجمع العساكر فكثرت جموعه وعظم حشده فسار في هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب السلطنة فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر وبوزان وامدهما ركن الدين بركيارق بالامير كربوقا الذي صار بعد صاحب الموصل فلما اجتمعوا ساروا الى طريقه فلقوه عند نهر سبعين قريبا من تل السلطان بينه وبين حلب ستة

وعثمان بك والدفتردار وكتخدا بك والسيد عمر النقيب والشيخ الشرقاوي والشيخ الامير وباقي المشايخ فتكلموا في شأن حادثة الانكليز والاستعداد لحربهم ومقاتلتهم وطردهم وانهم اعداء الدين والملة وقد صاروا ايضا اخصاما للسلطان فيجب على المسلمين دفعهم ويجب ايضا ان يكون الناس والعسكر على حال الالفة والشفقة والاتحاد وان تمتنع العساكر عن التعرض للناس بالايذاء كعادتهم وان يساعدوا بعضهم بعضا على دفع العدو ثم تشاوروا في تحصين المدينة وحفر خنادق فقال بعضهم ان الانكليز لا يأتون الا من البر الغربي والنيل حاجز بين الفريقين وان الفرنساوية كانوا اعلم بامر الحروب وانهم لم يحفروا الا الخندق المتصل من الباب الحديد الى البر فينبغي الاعتناء باصلاحه ولو لم يكن كوضعهم واتقانهم اذ لا يمكن فعل ذلك واتفقوا على ذلك (وفيه) حضر مكتوب من ثغر رشيد وعليه امضاء علي بك حاكم رشيد واحمد بك المعروف ببونابارته مؤرخ بيوم الجمعة رابع عشره يذكرون فيه ان الانكليز لما حضروا الى رشيد وحصل لهم ما حصل من القتل والاسر ورجع من رجع من الباقين حصل لباقيهم غيظ عظيم وهم شارعون في الاستعداد للعود والمحاربة والقصد ان تسعفونا وتمدونا بارسال الرجال والذخائر والاسلحة والجبخانة بسرعة وعجل والا فلا لوم علينا

حديثه كثيرة لا يدرى ما سببها والامير ابو نصر على بن هبة الله بن على بن جعفر العجلى المعروف بابن ماكولا مصنف كتاب الاكمال قتله غلمانه الاتراك بكرمان ومولده سنة ثنتين واربعمائة وكان حافظا وفيها في صفر توفى أبو محمد عامر القصير وكان فقيها شافعيا مقرئا نحويا وكان يصلى في رمضان بالامام المقتدى بامر الله وفي جمادى الاولى توفى الامير أبو الفضل جعفر بن المقتدى وأمه ابنة السلطان ملكشاه ومولده في ذى القعدة سنة ثمانين والبعقبيب الجعفريات وفي رجب توفى الشيخ أبو سعد عبد الواحد ابن احمد بن الحسن الوكيل بالمخرم وكان فقيها شافعيا كثير الاحسان الى أهل العلم وكان محمودا في ولايته وفيها توفى كمال الملك الدهستاني الذى كان عميد بغداد وفي رمضان توفى المشطب بن محمد الحنفى بالسكيل من ارض الموصل وكان الخليفة قد ارسله الى بركيارق وكان بالموصل ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا وكان شيخا كبيرا عالما مكرما عند الملوك وحمل الى العراق ودفن عند أبى حنيفة وفيه توفى القاضي أبو على يعقوب بن ابراهيم المرزبانى قاضى باب الازج وولى مكانه القاضي ابو المعالى عزيزى وكان ابو المعالى شافعيا اشعريا ما بقيا لاهل باب الازج اقاصيص وحكايات عجيبة وفيها توفى نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل ابو الليث وابو الفتح الشاشى له كتبان سافر البلاد شرقا وغربا روى صحيح مسلم وغيره وكان ثقة ومولده سنة ست واربعمائة وفي ذى الحجة منها توفى ابو الفرج عبد الواحد بن محمد بن على الحنبلى الفقيه وكان وافر العلم غزير الدين حسن الوعظ والسمت

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين واربعمائة)

ذكر الخطبة للسلطان بركيارق

في هذه السنة يوم الجمعة رابع عشر المحرم خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قدمها اواخر سنة ست وثمانين وارسل الى الخليفة المقتدى بامر الله يطلب الخطبة فاجيب الى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع الى بركيارق فلبسها وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه وتوفى فجاءة على ما نذكره ان شاء الله تعالى وولى ابنه الامام المستظهر بالله الخلافة فارسل الخلع والتقليد الى السلطان بركيارق فاقام ببغداد الى ربيع الاول من السنة وسار عنها الى الموصل

ذكر وفاة المقتدى بامر الله

في هذه السنة يوم السبت خامس عشر المحرم توفى الامام المقتدى بامر الله ابو القاسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بامر الله امير المؤمنين فجاءة وكان قد احضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه ثم قدم اليه طعام فاكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار فقال لها ما هذه الاشخاص التى دخلت على بغير اذن قالت فالتفت فلم ار شيئا ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قوته

ايضا كبار العسكر ومعهم طوائفهم بالاقايم فطلعوا بهم الى البر وصحبتهم جماعة العسكر المسافرين معهم فاتوا بهم من خارج مصر ودخلوا بهم من باب النصر وشقوا بهم من وسط المدينة وفيهم شبان كبير وآخر كبير في السن وهما راكبان على حمارين والبقية مشاة في وسط العسكر ورؤس القتلى معهم على نبابيت وقد تغيرت وانتنت رائحتها وعدتها اربعة عشر راسا والاحياء خمسة وعشرون ولم يزالوا سائرين بهم الى بركة الازبكية وضربوا عند وصولهم شنكا ومدافع وطلعوا بالاحياء مع بعضهم الى القلعة (وفيه) نبه السيد عمر النقيب على الناس وامرهم بحمل السلاح والتأهب للجهاد في الانكليز حتى مجاورى الازهر وامرهم بترك حضور الدروس وكذلك امر المشايخ المدرسين بترك القاء الدروس (وفيه) وصل عابدين بك وعمر بك واحمد اغا لاظ اوغلى من ناحية قبلى واشيع وصول الباشا بعد يومين (وفي يوم الاثنين) وصل ايضا جملة من الرؤس والاسرى الى بولاق فطلعوا بها على الرسم المذكور وعدتها مائة راس وواحد وعشرون راسا وثلاثة عشر اسيرا وفيهم سرجى ومات احدهم ببولاق فقطعوا رأسه ووضعوها مع الرؤس وشقوا بها من وسط المدينة آخر النهار (وفي يوم الثلاثاء) حصلت جمعية ببيت القاضي وحضر حسن باشا

الغيب ان الملك محمودا قد جدر وما كانه يسلم منه واراد ... ثم تكرهون ان يليكم ويملك
بلاد تاج الدولة فلا تعدلوا عن بركيارق فان مات محمود اقعدوه ملكا وان سلم محمود فهم
يقدرون على كحله فمات محمود سلخ شوال فكان هذا من الفرج بعد الشدة وجلس بركيارق
للعزاء باخيه وكان مولد محمود في صفر سنة ثمانين واربعمائة وفيها توفي مؤيد الملك بن
نظام الملك فاستوزره في ذي الحجة وكان اخوه عز الملك بن نظام الملك قد مات لما كان
مع بركيارق بالموصل وحمل الى بغداد فدفن بالنظامية وكان اصبح الناس وجها
واحسنهم خلقا وسيرة وكان قد اجرى الناس على ما بايديهم من توقيعات ابيه في
الاطلاقات من خاصته منها بعقد انها كرشة وثمانية عشر الف دينار اميري ثم ان
بركيارق جدر بعد اخيه وعوفي وسلم فلما عوفي كاتب مؤيد الملك وزيره الامراء
العراقيين والخراسانيين واستمالهم فعادوا كلهم الى بركيارق فعظم شانه وكثر عسكره

﴿ذكر وفاة امير الجيوش بمصر﴾

في هذه السنة في ذي القعدة توفي امير الجيوش بدر الجمالي صاحب الجيش بمصر وقد
جاوز ثمانين سنة وكان هو الحاكم في دولة المستنصر والمرجوع اليه وكان قد استعمله
على الشام سنة خمس وخمسين واربعمائة وجرى بينه وبين الرعية والجند بدمشق
ما خاف على نفسه فخرج منها هاربا وجمع وحشد وتقدم الى الشام فاستولى عليه بامره
سنة ست وخمسين ثم خالفه اهل دمشق مرة اخرى فهرب منهم سنة ستين وخرب العامة
والجند قصر الامارة ثم مضى امير الجيوش الى مصر وتقدم بها وهو اليوم صاحب الامر قال
علقمة بن عبد الرزاق العليمي قصدت بدر الجمالي بمصر فرايت اشراف الناس
وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا اليه قال فبينا انا كذلك اذ خرج
بدر يريد الصيد فخرج علقمة في اثره واقام الى ان رجع من صيده فلما قاربه
وقف على نشز من الارض واوما برقعة في يده وانشا يقول

نحن التجار وهذه اعلاقنا ٭ در وجود يمينك المبتاع
قلب وفتشها بسمعك انما ٭ هي جوهر تختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما ٭ قل النفاق تعطل الصناع
فاتاك يحملها اليك تجارها ٭ ومطيها الآمال والاطماع
حتى اناخوها ببابك والرجا ٭ من دونك السمسار والبياع
فوهبت ما لم يعطه في دهره ٭ هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس في طلب العلا ٭ فالناس بعدك كلهم اتباع
يا بدر اقسم لو بك اعتصم الورى ٭ ولجوا اليك جميعهم ما ضاعوا

وكان على يد بدر بازي فالقاه وانفرد عن الجيش وجعل يستعيد الابيات وهو ينشدها الى
ان استقر في مجلسه ثم قال لجماعة خاصته من احبني فليخلع على هذا الشاعر
فخرج من عنده ومعه سبعون بغلا تحمل الخلع والتحف وامر له بعشرة آلاف درهم

معهم فيما اتوا بسببه من امر الصلح مع الباشا وكف الحروب فقالوا كم من مرة نراسلنا في الصلح ثم يغدر بنا ويخادعنا فاحضروا عليهم ما فعله لهم من مخالفته لاكثر الشروط التي كان اشترطها عليهم من ارسال الاموال الميرية والغلال وتعديهم على الحدود التي حددها معهم في الشروط ثم انهم اختلوا مع بعضهم وتشاوروا فيما بينهم وكان عثمان بك حسن منعزلا عنهم بالبر الشرقي ولم يكن معهم في الحرب ولا في حضوره وبعد انقضاء الحرب استعلى الى جهة قبلي وعثمان بك يوسف كان ايضا بناحية الصور الملازم الاحمر (وفي اثناء ذلك) ورد على الباشا خبر الانكليز واخذهم الاسكندرية وارسلوا ارسالهم الى الامراء القبالي فارتبك في امره وارسل الى المشايخ يستعجلهم في اجراء الصلح وقبوله لهم كل ما اشترطوه على الباشا ولا يخالفهم في شيء يطلبونه ابدا ولما وصلتهم رسل الانكليز اختلفت آراؤهم وارسلوا الى عثمان بك حسن يخبرونه ويستدعونه للحضور فامتنع وتورع وقال انا لا انتصر بالكفار ووافقه على رايه ذلك عثمان بك يوسف واختلفت آراء باقي الجماعة وهم ابراهيم بك الكبير وشاهين بك المرادي وشاهين بك الالفي وباقي امرائهم فاجتمعوا ثانيا بالمشايخ وقالوا لهم ما المراد بهذا الصلح فقالوا المراد منه راحة الطرفين ورفع الحروب

ثم اصطفوا واقتتلوا واشتد القتال فخامر بعض العسكر الذين مع آقسنقر فانهزموا وتبعهم الباقون فتمت الهزيمة وثبت آقسنقر فاخذ اسيرا واحضر عند تتش فقال له لو ظفرت بي ما كنت صنعت قال كنت اقتلك فقال له انا احكم عليك بما كنت تحكم علي فقتله صبرا وسار نحو حلب وكان قد دخل اليها كربوقا وبوزان فحفظاها منه وحصرها تتش ولج في قتالها حتى ملكها اسلمها اليه المقيم بقلعة الشريف ومنها دخل البلد واخذهما اسيرين وارسل الى حران والرها ليسلموهما من بهما وكانتا لبوزان فامتنعوا من التسليم اليه فقتل بوزان وارسل رأسه اليهم وتسلم البلدين واما كربوقا فانه ارسله الى حمص فسجنه بها الى ان اخرجه الملك رضوان بعد قتل ابيه تتش وكان قسيم الدولة احسن الامراء سياسة لرعيته وحفظا لهم وكانت بلاده بين رخص عام وعدل شامل وامن واسع وكان قد شرط على اهل كل قرية من بلاده متى اخذ عندهم قفل او احد من الناس غرم اهلها جميع ما يؤخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده القوا رحالهم وناموا وحرسهم اهل القرية الى ان يرحلوا فامنت الطرق واما وفاؤه وحسن عهده فيكفيه فخرا انه قتل في حفظ بيت صاحبه وولي نعمته فلما ملك تتش حران والرها سار الى الديار الجزرية فملكها جميعها ثم ملك ديار بكر وخلاط وسار الى اذربيجان فملك بلادها كلها ثم سار منها الى همذان فملكها ورأى بها فخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها الى السلطان بركيارق ليخدمه فوقع عليه الامير قماج وهو من عسكر محمود ابن السلطان ملكشاه باصبهان فنهب فخر الملك فهرب منه ونجا بنفسه فجاء الى همذان فصادفه تتش بها فاراد قتله فشفع فيه باغي سيان واشار عليه ان يستوزره لميل الناس الى بيته فاستوزره وارسل الى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله وكان شحنته ببغداد ايتكين جب فلازم الخدمة بالديوان والح في طلبها فاجيب الى ذلك بعد ان سمعوا ان بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تتش على ما نذكره

(ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه اصبهان بعد ذلك)

في هذه السنة في شوال انهزم بركيارق من عسكر عمه تتش وكان بركيارق بنصيبين فلما سمع بمسير عمه الى اذربيجان سار هو من نصيبين وعبر دجلة من بلد من فوق الموصل وسار الى اربل ومنها الى بلد سرخاب بن بدر الى ان بقي بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير الف رجل وكان عمه في خمسين الف رجل فسار الامير يعقوب بن ابق من عسكر عمه فكبسه وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسق وكمشتكين الجاندار واليارق وهم من الامراء الاكابر فسار الى اصبهان وكانت خاتون ام اخيه محمود قد ماتت على ما نذكره فمنعه من بها من الدخول اليهم ثم اذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه فلما قاربها خرج اخوه الملك محمود فلقيه ودخل البلد واحتاطوا عليه فاتفق ان اخاه محمودا حم وجدر فاراد الامراء ان يكحلوا بركيارق فقال لهم امين الدولة ابن التلميذ

الطبيب

بعد ذلك وقد اخبرنا كم وعرفنا كم بذلك فارسلوا في ذلك اليوم عدة من القاتلين وكتبوا مكاتبات الى البلاد والعربان الكائنين ببلاد الصبرة بحضورهم لمحاربة الجماعة وكذلك ارسلوا في ثاني يوم عدة من العسكر (وفي يوم الاربعاء تاسع عشرينه) ركب السيد عمر النقيب والقاضي والاعيان المتقدم ذكرهم ونزلوا الى ناحية بولاق لترتيب امر الخندق المذكور وصحبتهم فصل الفرنساوية وهو الذي اشار عليهم بذلك وصحبتهم الجمع الكثير من الناس والاتباع والكل بالاسلحة (وفيه) وصل المشايخ الثلاثة الذين ذكروا ذهبوا لاجراء الصلح بين الباشا والامراء القبالي وذهبوا الى دورهم وكان من خبرهم انهم لما وصلوا الى الباشا بناحية ملوي استأذنوه في الذهاب فيما أتوا بسببه من السعي في الصلح فاستمهلهم وتركوه بناحية ملوي ولم يستعد وذهب الى اسيوط واودع الجماعة بمنفلوط وتلاقى مع الامراء وحاربهم وظهر عليهم وقتل من الامراء في تلك المعركة سليمان بك المرادي المعروف بريحة بتشديد الياء وسليمان بك الاغا ورجع الامراء القبالي الى ناحية بحري فعند ذلك حضر المشايخ وكتب مكاتبات الى الامراء وارسلها صحبة المشايخ المذكورين الى الامراء وكانوا بالجانب الغربي بناحية ملوي فتفاوضوا

عنه فتشوش وفرقه وقتل ولده معه وكان ملكشاه قد اخذه لما خرج عليه وكحله
وحبسه بقلعة تكريت فلما مات سير بركيارق احضره اليه ببغداد وسار بمسيره فتنفر
عنه فانفذ اليه من اخذه تتش يحثه على اللحاق به وقيل انه اراد المسير الى بلخ لان
اهلها كانوا يريدونه فقتله فلما غرق بقي بسر من رأى فحمل الى بغداد ودفن عند
قبر ابي حنيفة وفيها في جمادى الآخرة كانت وقعة بين الامير انر وتوران شاه بن قاورت
بك وكانت تركان خاتون الجلالية والدة محمود بن ملكشاه قد ارسلته في عسكر
ليأخذ بلاد فارس من توران شاه ولم يحسن الامير انر تدبير بلاد فارس فاستوحش منه
الاجناد واجتمعوا مع توران شاه وهزموا انر ومات توران شاه بعد الكسرة بشهر من سهم
اصابه فيها وفيها استولى اصبهبذ بن ساوتكين على مكة حرسها الله عنوة وهرب
منها الامير قاسم بن ابي هاشم العلوي صاحبها واقام بها الى شوال وجمع الامير قاسم
وكبسه بعسفان وجرى بينهما حرب في شوال من هذه السنة فانهزم اصبهبذ ودخل
قاسم الى مكة ومضى اصبهبذ الى الشام وقدم الى بغداد وفيها في رجب احرق
شحنة بغداد وهو ايتكين جب باب البصرة وسبب ذلك ان النقيب طراد الزينبي كان
له كاتب يعرف بابن سنان فقتل فانفذ النقيب الى الشحنة يستدعي منه من يقيم
السياسة فانفذ حاجبه محمدا فرجمه اهل باب البصرة وادموه فرجع الى صاحبه فشكا
اليه شتمهم اياه فامر اتباعه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم فسار اليهم في جماعة كثيرة وتبعهم
اهل الكرخ فاحرقوا ونهبوا فارسل الخليفة الى الشحنة يأمره بالكف عنهم فكف
وفيها في رمضان توفيت تركان خاتون الجلالية باصبهان وهي ابنة طفغاج خان وهو
من نسل افراسياب التركي وكانت قد برزت من اصبهان لتسير الى تاج الدولة تتش
لتتصل به فمرضت وعادت وماتت واوصت الى الامير انر والى الامير سرمز شحنة اصبهان
بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة اصبهان ومعها عشرة
آلاف فارس اتراك وفيها في ذي القعدة توفي ابو الحسين بن الموصلايا كاتب ديوان
الزمام ببغداد

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين واربعمائة)

(ذكر دخول جمع من الترك افريقية وما كان منهم)

في هذه السنة قصد شاهملك التركي يحيى بن تميم بن المعز بن باديس وقبض عليه وكان
هذا شاهملك من اولاد بعض الامراء الاتراك ببلاد المشرق فنالته في بلده امور اقتضى
خروجه منه فسار الى مصر في مائة فارس فاكرمه الافضل امير الجيوش واعطاه اقطاعا
ومالا ثم بلغه عنه اسباب اوجبت اخراجه من مصر فخرج هو واصحابه هاربين فضلوا
حتى اخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا الى المغرب فوصلوا الى طرابلس الغرب واهل
البلد كارهون لواليها فادخلوهم البلد واخرجوا الوالي وصار شاهملك امير البلد فجمع
تميم الخبر فارسل العساكر اليها فحصروها وضايقوها واخذ الاتراك فحضروا ووصل شاهملك

تعلمون لتحققنا الامن والصدق من رسلكم ما حصل منا خلاف ولحاربنا وقاتلنا بين يديه ولكنه مقدار لا يبقى بعهد
ولا بوعد ولا يرقى بيمين ولا
يصدق في قول وقد تقدم انه
اصطلح معنا وفي اثر ذلك باقي
نحو بناو وقتلنا وجمع عنا من
باقي الينا باحتياجاتنا من
مصر وبما قب على ذلك حتى
من باقي من الباعة والمتسببين
الى الناحية التي نحن فيها
ولا يخفاكم انه لما اتى
السودان ومعه الاوامر بالرضا
والعفو الكامل عنا والامراء
بالخروج لحرب فلو قتل وارسل
الينا وخدعنا وتحيل علينا
بارسال الهدايا وصدقناه
واصطلحنا معه فلما تم له الامر
غدر بنا وما مراده بصلحنا
الا تاخرنا عن ذهابنا الى
الانكليز فلا نذهب اليهم ولا
نشتغل بهم وان كان مراده
يعطينا الادا بصلحنا عليها
فهاهي البلاد بايدينا وقد
عم الخراب باستمرار الحروب
من الفريقين وقد تفرق
شملنا وانهدمت دورنا ولم يبق
لنا ما نأسف عليه او نتحمل
المذلة من اجله وقد ماتت
اخواتنا وما بقينا فنحن
نستمر على ما نحن مصطلحين
حتى نموت عن آخرنا ويرتاح
قلبه من جهتنا فقال لهم
الجماعة هذه المرة هي الاخرى
وليس بعدها شر ولا حرب بل
بعدها المصادقة والمصافاة
ويعطيكم كل ما طلبتموه من
بالادوية ومرتبات الموظفين من الاسكندرية الى ... ولا يمنع ذلك بشرط ان تتحدوا وتواسعنا بالمساعدة في حرب الانكليز

غزير جمع عنده وفرق كثيرا من ذلك على الشعراء ولما مات بدر قام بما كان اليه ابنه الافضل

(ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي)

في هذه السنة ثامن عشر ذي الحجة توفي المستنصر بالله ابو تميم معد بن ابي الحسن علي الظاهر لاعزاز دين الله العلوي صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة واربعة اشهر وكان عمره سبعا وستين سنة وهو الذي خطب له البساسيري ببغداد وقد ذكرنا ذلك وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الاسماعيلية قد قصده في زي تاجر واجتمع به وخاطبه في اقامة الدعوة له ببلاد العجم فعاد ودعا الناس اليه سرا ثم اظهرها وملك القلاع كما ذكرناه وقال للمستنصر من امامي بعدك فقال ابني نزار وهو اكبر اولاده والاسماعيلية الى يومنا هذا يقولون بامامة نزار ولقي المستنصر شدائد واهوالا وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر اخرج فيها امواله وذخائره الى ان بقي لا يملك غير سجادته التي يجلس عليها وهو مع هذا صابر غير خاشع وقد اتينا على ذكر هذا سنة سبع وستين واربعمائة وغيرها ولما مات ولي بعده ابنه ابو القاسم احمد المستعلي بالله ومولده في المحرم سنة سبع وستين واربعمائة وكان قد عهد في حياته بالخلافة لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع المستعلي بالله وسبب خلعه ان الافضل ركب مرة ايام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا ونزار خارج والمجاز مظلم فلم يره الافضل فصاح به نزار انزل يا ارمني كلب عن الفرس ما اقل ادبك فحقدها عليه فلما مات المستنصر خلعه خوفا منه على نفسه وبايع المستعلي فهرب نزار الى الاسكندرية وبها ناصر الدولة افتكين فبايعه اهل الاسكندرية وسموه المصطفى لدين الله فخطب الناس ولعن الافضل واعانه ايضا القاضي جلال الدولة بن عمار قاضي الاسكندرية فسار اليه الافضل وحاصره بالاسكندرية فعاد عنه مقهورا ثم ازداد عسكرا وسار اليه فحصره واخذه واخذ افتكين فقتله وتسلم المستعلي نزارا فبنى عليه حائطا فمات وقتل القاضي جلال الدولة بن عمار ومن اعانه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الآخر رأى بعض اليهود بالغرب رؤيا انهم سيطيرون فاخبر اليهود بذلك فوهبوا اموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا وصاروا ضحكة بين الامم وفي هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها الا انها لم يكن الهدم كثيرا وفيها كانت الفتنة بين اهل نهر طابق واهل باب الارحاء فاحترقت نهر طابق وصارت تلولا فلما احترقت عبر يمن صاحب الشرطة فقتل رجلا مستورا فنفر الناس منه وعزل في اليوم الثالث وفيها توفي محمد بن ابي هاشم الحسيني امير مكة وقد جاوز سبعين سنة ولم يكن له ما يمدح به وكان قد نهب بعض الحجاج سنة ست وثمانين وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها في ربيع الاول قتل السلطان بركيارق

واجتماع الكلمة ولاسيما كان الانكليز تصالحت مع سلطان الاسلام واغارت على عساكرهم وطاردت ثغر سكندرية وتخلصها وقصدهم اخذ الاقليم المصري كاهل الفرنساوية فقالوا انهم اتوا باستدعاء الالفي لنصرتنا ومساعدتنا فقالوا لا تصدقوا اقوالهم في ذلك واذا ملكوا البلاد لا يبقون على احد من المسلمين وحالهم ليس كحال الفرنساوية فان الفرنساوية لا يتدينون بدين ويقولون بالحرية والتسوية واما هؤلاء الانكليز فانهم نصارى على دينهم ولا تخفى عداوة الاديان ولا يصح ولا ينبغي منكم الانتصار بالكفار على المسلمين ولا الالتجاء اليهم ووعظوهم وذكروا لهم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وان الله هداهم في طفوليتهم واخرجهم من الظلمات الى النور وقد نشؤا في كفالة اسيادهم وتربوا في حجور الفقهاء وبين اظهر العلماء وقرؤا القرآن وتعلموا الشرائع وقطعوا ما مضى من اعمارهم في دين الاسلام واقامة الصلوات والحج والجهاد ثم يفسدون اعمالهم آخر الامر ويرتدون عن دين الله ورسوله ويستعينون بهم على اخوانهم المسلمين ويملكونهم بلاد الاسلام يتحكمون في اهلها فالعياذ بالله من ذلك وكان بصحبة المشايخ مصطفى افندى كتخدا القاضي العسكري يكلمهم باللغة التركية ويترجم لهم ذلك وهو فصيح في الكلام فقالوا كل ما قلتموه وابديتموه

الى سمرقند واحضروا القضاة والفقهاء واقاموا خصوما ادعوا عليه الزندقة فجحد فشهد عليه جماعة بذلك فافتى الفقهاء بقتله فخنقوه واجلسوا ابن عمه مسعودا مكانه واطاعوه

❁(ذكر ما فعله يوسف بن ابق ببغداد)❁

في هذه السنة في صفر سير الملك تتش يوسف بن ابق التركماني في شحنكية بغداد ومعه جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وورد اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة وكان يكره تتش ولم يخطب له في بلاده فلما سمع ابن ابق بوصوله عاد الى طريق خراسان ونهب باجسرا وقاتله العسكر ببعقوبا فهزمهم ونهب البلد واكثر معه من التركمان وعاد الى بغداد وكان صدقة قد رجع الى الحلة فدخل يوسف بن ابق الى بغداد واراد نهبها والايقاع باهلها فمنعه امير كان معه من ذلك ثم وصل اليه الخبر بقتل تتش فرحل عن بغداد الى الموصل وسار منها الى حلب

❁(ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش)❁

في هذه السنة في صفر قتل تتش بن الب ارسلان وكان سبب ذلك انه لما انهزم السلطان بركيارق كما ذكرناه سار من موضع الوقعة الى همذان وقد تحصن بها امير آخر فرحل تتش عنها فتبعه امير آخر لاجل اثقاله فعاد عليه تتش فكسره فعاد الى همذان واستامن اليه وصار معه وبلغ تتش مرض بركيارق فسار الى اصبهان فاستاذنه امير آخر في قصد جرباذقان لاقامة الضيافة وما يحتاج اليه فاذن له فسار اليها ومنها الى اصبهان وعرفهم خبر تتش وعلم تتش خبره فنهب جرباذقان وسار الى الري وارسل الى الامراء الذين باصبهان يدعوهم الى طاعته ويبذل لهم البذول الكثيرة وكان بركيارق مريضا بالجدري فاجابوه يعدونه بالانحياز اليه وهم ينتظرون ما يكون من بركيارق فلما عوفي ارسلوا الى تتش ليس بيننا غير السيف وساروا مع بركيارق من اصبهان وهم في عسكر يسير فلما بلغوا جرباذقان اقبلت اليهم العساكر من كل مكان حتى صاروا في ثلاثين الفا فالتقوا بموضع قريب من الري فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل قيل قتله بعض اصحاب آقسنقر صاحب حلب اخذا بثار صاحبه وكان قد قبض على فخر الملك بن نظام الملك وهو معه فاطلق واستقام الامر والسلطنة لبركيارق واذا اراد الله امرا هيا اسبابه بالامس ينهزم من عمه تتش ويصل الى اصبهان في نفر يسير فلا يتبعه احد ولو تبعه عشرون فارسا لاخذوه لانه بقي على باب اصبهان عدة ايام ثم لما دخلها اراد الامراء كحله فاتفق ان اخاه محمودا ثاني يوم وصوله وجد ركابا فقام في الملك مقامه ثم جدر هو واصابه معه سرسام فعوفي وبقي مدة كبيرة الى ان عوفي وسار عن اصبهان اربعة اشهر لم يتحرك عمه ولا عمل شيئا ولو قصده وهو مريض او وقت مرض اخيه لملك البلاد

فلله سر في علاك وانما ❁ كلام العدا ضرب من الهذيان

❁(ذكر حال الملك رضوان واخيه دقاق بعد قتل ابيهما)❁

المدافع الهائلة والعدد ونصبوا متاريسهم من ساحل البحر الى الجبل عرضا وفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر ينقلوا ماحصل أخبرنا كم به وترجو الاسعاف والامداد بالرجال والجبخانه والعدة والعدد وعدم التاني والاهمال فلما وصل ذلك الجواب قراه السيد عمر النقيب على الناس وحثهم على التاهب والخروج للجهاد فامتثلوا ولبسوا الاسلحة وجمع اليه طائفة المغاربة واتراك خان الخليلي وكثير من العدوية والاسيوطية واولاد البلد وركب في صحبتها الى كتخدا بك واستاذنه في الذهاب فاعرض وقال حتى ياتي افندينا الباشا ويرى رأيه في ذلك فانفر من سائر ونفى من بقي وانقضى الشهر وحوادثه (وفيه) ورد الخبر بان ركب الحاج الشامي رجع من منزلة هدية ولم يحج في هذا العام وذلك انه لما وصل الى المنزلة المذكورة ارسل الوهابي الى عبد الله باشا امير الحاج يقول له لا تأت الا على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي وهو ان ياتي بدون المحمل وما يصحبه من الطبل والزمر والاسلحة وكل ما كان مخالفا للشرع فلما سمعوا ذلك رجعوا من غير حج ولم يتركوا امتثالا لامرهم

❁(واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٢٣)❁

فيه كتبوا مراسلة الى الامراء القبالي وختم عليها كثير من مشايخ الازهر وغيرهم وارسلوها اليهم (وفي يوم السبت ثانيه) وردت مكاتبة

ودفعهم عن البلاد واضافتهم بأجمعكم من البر الغربي والباشا وعساكره من البر الشرقي وعند انقضاء أمر الانكليز ورجوعهم الى بر الجيزة ينعقد مجلس الصلح بحضرة المشايخ الكبار والنقيب والوجاقلية وأكابر العسكر وان شئتم عقدنا مجلس الصلح بالجيزة قبل التوجه لمحاربة الانكليز ولا شر بعد ذلك أبدا فتحدثوا لذلك وكتبوا أجوبة ورجع بها مصطفى افندي كتخدا القاضي وصحبته يحيى كاشف ثم رجع اليهم ثانيا وسار الفرنساوية الى جهة مصر وحضر المشايخ وأخبروا بما حصل (وفيه) شرعوا في حفر الخندق المذكور ووزعوا حفره على مياسير الناس وأهل الوكائل والخانات والتجار وأرباب الحرف والروزنامجي وجعلوا على البعض أجرة مائة رجل من الفعلة وعلى البعض أجرة خمسين وعشرين وكذلك أهل بولاق ونصارى ديوان المكس والنصارى الأروام والشوام والأقباط واشتروا المقاطف والغلقان والفؤوس والقزم وآلات الحفر وشرعوا في بناء حائط مستدير أسفل تل قلعة السبتية (وفي يوم الخميس ثامنه) ورد مكتوب من السيد حسن كريت نقيب الاشراف برشيد والمشار اليه بها يذكر فيه ان الانكليز لما وقع لهم ما وقع برشيد ورجعوا في هزيمتهم الى الاسكندرية استعدوا وحضروا الى ناحية الحماد قبلي رشيد ومعهم

معهم الى المهدية فسر بهم تميم وبر معهم وقال لولدي مائة ولد لا انتفع بهم وكانوا لا يخطئ لهم سهم فلم تطل الأيام حتى جرى منهم أمر غيره عليهم فعلم شاه ملك ذلك وكان داهيا خبيثا فخرج يحيى بن تميم الى الصيد في جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس ومعه شاه ملك وكان أبو تميم قد تقدم اليه ان لا يقرب شاه ملك فلم يقبل فلما ابعدوا في طلب الصيد غدر به شاه ملك فقبض عليه وسار هو ومن أخذ معه من أصحابه الى مدينة سفاقس وبلغ الخبر تميما فأركب وسير العساكر في أثرهم فلم يدركوهم ووصل شاه ملك بيحيى بن تميم الى سفاقس فركب صاحبها واسمه حمو وكان قد خالف على تميم ولقي يحيى ومشى في ركابه راجلا وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية فأقام عنده أياما ولم يذكر أبوه بكلمة وكان قد جعله ولي عهده فلما أخذ أقام أبوه مقامه ابنا له آخر اسمه مثنى ثم ان صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه ان يثور معه الجند وأهل البلد ويملكوه عليهم فأرسل الى تميم كتابا يسأله في انفاذ الأتراك وأولادهم اليه ليرسل ابنه يحيى ففعل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحجبه أبوه عنه مدة ثم أعاده الى حاله ورضي عنه ثم جهز تميم عسكرا الى سفاقس ويحيى معهم فساروا اليها وحصروها برا وبحرا وضيقوا على الأتراك بها وأقاموا عليها شهرين واستولوا عليها وفارقها الأتراك الى قابس وكان تميم قد رضي عن ابنه يحيى فعظم ذلك على ابنه الآخر المثنى وداخله الحسد فلم يملك نفسه فنقل عنه الى أبيه ما غير قلبه عليه فأمر باخراجه من المهدية بأهله وأصحابه فركب في البحر ومضى الى سفاقس فلم يمكنه عاملها من الدخول اليها فقصد مدينة قابس وبها أمير يقال له مكين بن كامل الدهماني فأنزله وأكرمه فحسن له المثنى الخروج معه الى سفاقس والمهدية وأطمعه فيهما وضمن الانفاق على الجند من ماله فجمع مكين من أمكنه جمعه وسار الى سفاقس ومعهما شاه ملك التركي وأصحابه فنزلوا على سفاقس وقاتلوها وسمع تميم فجرد اليها جندا فلما علم المثنى ومن معه انهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها الى المهدية فنزلوا عليها وقاتلوها وكان الذي يتولى القتال من المهدية يحيى بن تميم وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير فلم يبلغ أولئك منها غرضا فعادوا خائبين وقد تلف ما كان مع المثنى من مال وغيره وعظم أمر يحيى وصار هو المشار اليه

(ذكر قتل احمد خان صاحب سمرقند)

في هذه السنة في المحرم قتل احمد خان صاحب سمرقند وكان قد كرهه عسكره واتهموه بفساد الاعتقاد وقالوا هو زنديق وكان سبب ذلك ان السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند واسر هذا احمد خان وكل به جماعة من الديلم فحسنوا له معتقدهم واخرجوه الى الاباحة فلما عاد الى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدل على انحلاله من الدين فلما كرهه أصحابه وعزموا على قتله قالوا للمستحفظ قلعة كاسان وهو طغرل ينال بك ليظهر العصيان ليسير احمد خان معهم من سمرقند الى قتاله فيتمكنوا من قتله ففعل طغرل ينال بك ذلك فسار احمد خان والعسكر الى قتاله فلما نازل القلعة تمكن العسكر منه وقبضوا عليه وعادوا

الى

الخادم واظهر الاستبشار ولقيه فلما دخلوا الرحل اليه باغيسيان يشير عليه بالتفرد بملك دمشق عن اخيه رضوان واتفق وصول معتمد الدولة طغدكين الى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره وقد ذكرنا انه كان قد شهد الحرب مع صاحبه واسر فبقى الى الآن وخلص من الاسر فلما وصل الى دمشق لقيه الملك دقاق وارباب دولته وبالغوا في اكرامه وكان زوج والدة دقاق فمال اليه الملك وحكمه في بلاده وعملوا على قتل الخادم ساوتكين فقتلوه وسار اليهم باغيسيان من انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمي فجعله وزير الدقاق وحكمه في دولته

(ذكر وفاة المعتمد بن عباد)

في هذه السنة توفي المعتمد بن عباد الذي كان صاحب الاندلس مسجونا باغمات من بلد المغرب وقد ذكرنا كيف اخذت بلاده منه سنة اربع وثمانين واربعمائة فبقي مسجونا الى الآن وتوفي وكان من محاسن الدنيا كرما وعلما وشجاعة ورياسة تامة واخباره مشهورة وآثاره مدونة وله اشعار حسنة فمنها ما قاله لما اخذ ملكه وحبس

سلت على يد الخطوب سيوفها • فجذذن من جسدي الخصيف الامتنا
ضربت بها ايدي الخطوب وانما • ضربت رقاب الآملين بها المنى
يا آملي العادات من نفحاتنا • كفوا فان الدهر كف اكفنا

وله من قصيدة يصف القيد في رجله

تعطف في ساقي تعطف ارقم • يساورها عضا بانياب ضيغم
واني من كان الرجال بسيبه • ومن سيفه في جنة وجهنم

وقال في يوم عيد

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا • فصرت كالعيد في اغمات ماسورا
قد كان دهرك ان تامره ممتثلا • فردك الدهر منهيا ومامورا
من بات بعدك في ملك يسر به • فانما بات بالاحلام مسرورا

وكان شاعره ابو بكر بن اللبانة ياتيه وهو مسجون فيمدحه لا لجدوى ينالها منه بل رعاية لحقه واحسانه القديم اليه فلما توفي اتاه فوقف على قبره يوم عيد والناس عند قبور اهليهم وانشد بصوت عال

ملك الملوك اسامع فانادي • ام قد عداك عن الجواب عوادي
لما خلت منك القصور ولم تكن • فيها كما قد كنت في الاعياد
ذللت في هذا الثرى لك خاضعا • وتخذت قبرك موضع الانشاد

واخذ في اتمام القصيدة فاجتمع الناس كلهم عليه يبكون ولو اخذنا في تفصيل مناقبه ومصائبه لطال الامر فلنقف عند هذا

(ذكر وفاة الوزير ابي شجاع)

في هذه السنة توفي الوزير ابو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله وزير الخليفة في جمادى

مناسككم وان مسعود الوهابي وصل الى مكة بجيش كثيف وحج مع الناس بالامن وعدم الضرر ورخاء الاسعار واحضر مصطفى جاويش امير الركب المصري وقال له ما هذه العويدات والطبول التي معكم يعني بالعويدات المحمل فقال هو اشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عادتهم فقال لا تات بذلك بعد هذا العام وان اتيت به احرقته وانه هدم القباب وقبة آدم وقباب ينبع والمدينة وابطل شرب التنباك والنارجيلة من الاسواق وبين الصفا والمروة وكذلك البدع (وفي ليلة الاثنين) ارسل الباشا وطلب السيد عمر في وقت العشاء الاخيرة والزمه بتحصيل الف كيس لنفقة العسكر وان يوزعها بمعرفته (وفي يوم الاثنين رابعه) دخلت طوائف العسكر الواصلين من الجهة القبلية الى المدينة وطلبوا سكنى البيوت كعادتهم ولم يرجعوا الى الدور التي كانوا ساكنين بها واخربوها (وفي يوم الثلاثاء) وردت مكاتبة من رشيد وعليها امضاء السيد حسن كريت يخبر فيها بان الانكليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله ويضربون على البلد بالمدافع والقنابر وقد تهدم الكثير من الدور والابنية ومات كثير من الناس وقد ارسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الاغاثة والنجدة فلم تسعفونا بارسال شيء وما عرفنا لاي شيء هذا الاهمال وما هذا الاهمال فالله الله في

كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذى قتل فيه يأمره أن يسير الى العراق ويقيم بدار المملكة فسار فى عدد كثير منهم ايلغازى بن ارتق وكان قد سار الى تتش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الامير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما فلما قارب هيت بلغه قتل ابيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها ابو القاسم الحسن بن على الخوارزمى قد سلمها اليه تتش وحكمه فى البلد والقلعة ولحق برضوان زوج امه جناح الدولة الحسين بن ايتكين وكان مع تتش فسلم من المعركة وكان مع رضوان أيضا أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام وكانوا كلهم مع ابى القاسم كالاضياف لتحكمه فى البلد واستمال جناح الدولة المغاربة وكانوا اكثر جند القلعة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبى القاسم وارسل اليه رضوان يطيب قلبه فاعتذر فقبل عذره وخطب لرضوان على منابر حلب واعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لابيه بعد قتله خمسة عشر يوما وسار جناح الدولة فى تدبير المملكة سيرة حسنة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن الب التركمانى صاحب انطاكية ثم صالحهم واشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من وال يحفظها فساروا جميعا وتقدم عليهم امراء الاطراف الذين كان تتش رتبهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم اليها الامير سقمان بن ارتق جد اصحاب الحصن اليوم واخذها ومنعهم عنها وامر اهل البلد فخرجوا الى رضوان وشكوا اليه من عساكره وما يفسدون من غلاتهم وسألوه الرحيل فرحل عنهم الى الرها وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط وكان يضمن البلد من بوزان فقاتل المسلمين بن معه واحتمى بالقلعة وشاهدوا من شجاعته ما كانوا لا يظنونه ثم ملكها رضوان وطلب باغيسيان القلعة من رضوان فوهبها له فتسلمها وحصنها ورتب رجالها وارسل اليهم اهل حران يطلبونهم ليسلموا اليهم حران فسمع ذلك قراجة اميرها فاتهم ابن المفتى وكان هذا ابن المفتى قد اعتمد عليه تتش فى حفظ البلد فاخذه واخذ معه بنى اخيه فصلبهم ووصل الخبر الى رضوان وقد اختلف جناح الدولة وباغيسيان واضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة الى حلب فدخلها واجتمع بزوجته ام الملك رضوان وسار رضوان وباغيسيان فعبرا الفرات الى حلب فسمعوا بدخول جناح الدولة اليها ففارق باغيسيان الملك رضوان وسار الى انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمى وسار رضوان الى حلب واما دقاق بن تتش فانه كان قد سيره ابوه الى عمه السلطان ملكشاه ببغداد وخطب له ابنة السلطان وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلالية وابنها محمود الى أصبهان وخرج الى السلطان بركيارق سرا وسار معه ثم لحق بابيه وحضر معه الوقعة التى قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لابيه اسمه ايتكين الحلبى وسار به الى حلب وأقام عند اخيه الملك رضوان فراسله الامير ساوتكين الخادم الوالى بقلعة دمشق سرا يدعوه ليملكه دمشق فهرب من حلب سرا وجد فى السير فارسل أخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل الى دمشق فرح به الخادم

أيضا من ثغر رشيد وعليه أيضا على بك السنانكلى حاكم الثغر وطاهر باشا واحمد أغا المعروف ببونابارته بعلى مكتوب السيد حسن السابق ويذكرون فيه ان الانكليز ملكوا أيضا كوم الافراح وابو منضور ويستعجلون النجدة (وفى ثالث الليلة) التى ليلة الاحد وصل محمد على باشا ودخل الى داره بالازبكية فى سادس ساعة من الليل وكان اشيع وصوله قبل ذلك اليوم وخرج السيد عمر النقيب والمشايخ والمحروقى الاقدم يوم الجمعة فبعضهم ذهب الى الآثار وبات هناك وبعضهم بات بالقرافة بضريح الامام الشافعى ورجعوا فى ثانى يوم ولم يحصل لهم ملاقاة فلما طلع نهار ذلك اليوم واشيع حضوره الى داره ركب الجميع وذهبوا للسلام عليه ودار بينهم الكلام فى أمر الانكليز فاظهر الاهتمام وامر كتخدا بك وحسن باشا بالخروج فى ذلك اليوم فاخرجوا مطلوباتهم وخازنتهم الى بولاق وعطفا على أهل الاسكندرية والشيخ المسيرى وامين أغا حيث مكنوا الانكليز من الثغر وملكوهم البلدة ولم يقبل لهم عذرا فى ذلك ثم قال لابد انى اخرج جميعا للجهاد مع الرعية والعسكر فقال له السيد عمر رعية البلد خروج وانما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر وانقضى المجلس وركبوا الى دورهم (وفيه) وصل حجاج المغاربة الى مصر من طريق البر واخبروا أنهم حجوا وقضوا

وصلت اليه وحملت الجمال العسكرية على مؤيد الملك وكان مجد الملك أبو الفضل البلاساني قد هرب الى طريق يشهد أو علم أنه لا يتم له أمر مع مؤيد الملك وكان بينه وبين مؤيد الملك وأخيه فخر الملك تباعد بسبب جواهر خلفها أبوهما نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر السلطان على أخيه مؤيد الملك أرسل وبذل أموالا جزيلة في الوزارة فأجيب الى ذلك وعزل أخوه وولي هو وفي هذه السنة في جمادى الأولى توفي أبو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب التميمي الفقيه الحنبلي وكان عارفا بعدة علوم وكان قريبا من السلاطين وفيها في رجب توفي أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون المعروف بابن الباقلاني وهو مشهور ومولده سنة ست وأربعمائة وفيها في شعبان توفي قاضي القضاة أبو بكر محمد بن المظفر الشامي وكان من أصحاب أبي الطيب الطبري ولم يأخذ على القضاء أجرا وأقر الحق مقره ولم يحاب أحدا من خلق الله ادعى عنده بعض الأتراك على رجل شيأ فقال الك بينة قال نعم فلان والمشطب الفقيه الفرغاني فقال لا أقبل شهادة المشطب لأنه يلبس الحرير فقال التركي فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير فقال لو شهدا عندي على باقة بقل لم أقبل شهادتهما وولي القضاء بعده أبو الحسن علي بن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد الدامغاني وفيها مات القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني ومولده سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان مغاليا في الاعتزال وقيل كان زيدي المذهب وفيها توفي القاضي أبو بكر بن الرطبي قاضي دجيل وكان شافعي المذهب وولي بعده أخوه أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحداد الأصفهاني صاحب أبي نعيم الحافظ روى عنه حلية الأولياء وهو أكبر من أخيه أبي المعالي وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي الأندلسي ولد قبل العشرين وأربعمائة وسمع الحديث ببلده ومصر والحجاز والعراق وهو مصنف الجمع بين الصحيحين وكان ثقة فاضلا وتوفي في ذي الحجة ووقف كتبه فانتفع بها الناس

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة)

٭(ذكر قتل يوسف بن آبق والمجن الحلبي)٭

في هذه السنة في المحرم قتل يوسف بن آبق الذي ذكرنا أنه سيره تاج الدولة تتش الى بغداد ونهب سوادها وكان سبب قتله أنه كان بحلب بعد قتل تاج الدولة وكان بحلب انسان يقال له المجن وهو رئيس الأحداث بها وله أتباع كثير فحضر عند جناح الدولة حسين وقال له ان يوسف بن آبق يكاتب باغي سيان وهو على عزم الفساد واستأذنه في قتله فأذن له وطلب ان يعينه بجماعة من الأجناد ففعل ذلك فقصد المجن الدار التي بها يوسف فكبسها من الباب والسطح وأخذ يوسف فقتله ونهب كل ما في داره وبقي بحلب حاكما فحدثته نفسه بالتفرد بالحكم عن الملك رضوان فقال لجناح الدولة ان الملك رضوان أمرني بقتلك فاحفظ نفسك فهرب جناح الدولة الى حمص وكانت له فلما انفرد المجن بالحكم تغير عليه رضوان وأراد منه ان يفارق البلد فلم يفعل وركب في أصحابه

ورعى المزارع وخطف النساء والبنات والصبيان وغير ذلك (وفيه) ما قرر أيضا حسن بالشاطر وفيه نزل الدالاتية الى بولاق وكذلك الكثير من العسكر ووصل منهم الازعاج في أخذ الحمير والجمال قهرا من أصحابها ونزلوا البحر لهم على زريبة البرسيم والغلال الطائبة التي بناحية بولاق وجزيرة بدران وخلافها فرعوها كأنها بهائمهم في يوم واحد ثم انتقلوا الى ناحية منية السيرج وشبرا والزاوية الحمراء والمطرية والأميرية فأكلوا زروعات الجميع وخطفوا مواشيهم وفجروا بالنساء وافتضوا الأبكار ولاطوا بالغلمان وأخذوهم وباعوهم فيما بينهم حتى باعوا البعض بسوق مسكة وغيره وهكذا تفعل المجاهدون ولشدة تجبر الخلائق منهم وقبح أفعالهم تمنوا مجيء الافرنج من أي جنس كان وزوال هؤلاء الطوائف الخاسرة الذين ليس لهم ملة ولا شريعة ولا طريقة يمشون عليها فكانوا يصرخون بذلك بجمع منهم قد زاد حقدهم وعداوتهم ويقولون أهل هذه البلاد ليسوا مسلمين لأنهم يكرهوننا ويحبون النصارى ويتوعدونهم اذا خلصت لهم البلاد ولا ينظرون لقبح أفعالهم (وفي يوم الاثنين حادي عشره) حضر جماعة من الططر الذين من عادتهم يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصب وهم وصلوا من طريق الشام يبشرون بولاية

الآخر وأصله من روذراور وولد بالأهواز وقرأ الفقه على الشيخ أبي إسحق الشيرازي وكان عالما بالعربية وله تصانيف منها ذيل تجارب الامم وكان عفيفا عادلا حسن السيرة كثير الخير والمعروف وكان موته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجاورا فيها ولما حضره الموت أمر فحمل الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فوقف بالحضرة وبكى وقال يا رسول الله قال الله عز وجل ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئت معترفا بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك وبكى فأكثر وتوفي من يومه ودفن عند قبر ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم

(ذكر الفتنة بنيسابور)

في هذه السنة في ذي الحجة جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعا كثيرا وسار بهم الى نيسابور وحصرها فاجتمع أهلها وقاتلوه أشد قتال ولازم حصارهم نحو أربعين يوما فلما لم يجد له مطمعا فيها سار عنها في المحرم سنة تسع وثمانين فلما فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدم الشافعية أبا القاسم بن امام الحرمين أبي المعالي الجويني ومقدم الحنفية القاضي محمد بن أحمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية محمشاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الآخر شرع الخليفة في عمل سور على الحريم وأذن الوزير عميد الدولة بن جهير للعامة في التفرج والعمل فزينوا البلد وعملوا القباب وجدوا في عمارته وفيها في شهر رمضان جرح السلطان بركيارق جرحه انسان سيره من أهل سجستان في عضده ثم أخذ الرجل وأعانه رجلان أيضا من أهل سجستان فلما ضرب الرجل الجارح اعترف ان هذين الرجلين وضعاه واعترفا بذلك فضربا بالضرب الشديد ليقرا على من أمرهما بذلك فلم يقرا فقربا الى الفيل ليجعلا تحت قوائمه وقدم أحدهما فقال اتركوني وأنا أعرفكم فترك وقال لصاحبه يا أخي لا بد من هذه القتلة فلا تفضح أهل سجستان بافشاء الاسرار فقتلا وفيها توجه الامام أبو حامد الغزالي الى الشام وزار القدس وترك التدريس في النظامية واستناب أخاه وتزهد ولبس الخشن وأكل الدون وفي هذه السفرة صنف احياء علوم الدين وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق وعاد الى بغداد بعد ما حج في السنة التالية وسار الى خراسان وفيها في ربيع الاول خطب لولي العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله وفيها عزل بركيارق وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك واستوزر أخاه فخر الملك وسبب ذلك ان بركيارق لما انهزم عمه تتش وقتله ارسل خادما ليحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الامراء واشاروا عليه بتركها فقال لا اريد الملك الا بها او بوجودها عندي فلما

لإسحاق فقد ضاق الخناق و بلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه وملازمة المرابطة والسهر على المتاريس ونحو ذلك من الكلام وهى خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ ومؤرخة فى ثانى شهر صفر (وفى ذلك اليوم) اهتم الباشا وعزم على السفر بنفسه وركب الى بولاق وصحبته حسن باشا وعابدين بك وعمر بك فسافروا فى تلك الليلة (وفى يوم الاربعاء) سافر ايضا حجو بك وخرج معه بعض المتطوعة من الاتراك وغيرهم تهيؤا واتفقوا مع المسافرين معهم وامدهم الكثير من اخوانهم بالاحتياجات والذخيرة والمؤنة واصبوا لهم بيرقا وخرجوا معهم طبل وزمر (وفى يوم الجمعة) ركب ايضا احمد اغا لاظ وشق بعساكره الذين كان بهم بالمدينة وتداخل فيهم الكثير من اجناسهم وغيرهم من مغاربة واتراك بالمدينة ومر الجميع من وسط المدينة فى عدة وافرة وذهب الجميع الى بولاق يوهمون انهم مسافرون على قدم الاستعجال بهمة ونشاط واجتهاد فاذا وصلوا الى بولاق تفرقوا ورجع الكثير منهم وراهم الناس فى اليوم الثانى والثالث بالمدينة ومن تقدم منهم وسافر بالفعل ذهب فريق منهم الى المنوفية وفريق الى الغربية ليجمعوا فى طريقهم من اهل البلاد والقرى ما تصل اليه قدرتهم ويغتصبونه من المال والمغارم والكلف وخطف البهائم وصلت

وملك ابنه الملك رضوان حلب فارسل السلطان بركيارق رسولا يأمره باطلاقهما واطلاق
اخيه التونتاش فلما أطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطالين فاتيا حران
فتسلماها وكاتبهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه ثروان بن
وهيب وابو الهيجاء الكردي يستنصرون بهما على الامير علي بن شرف الدولة وكان
بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تتش بعد وقعة المضيع فسار كربوقا اليهم فلقيه محمد بن
شرف الدولة على مرحلتين من نصيبين واستحلفهما لنفسه فقبض عليه كربوقا بعد ايام
وحمله معه واتى نصيبين فامتنعت عليه فحصرها اربعين يوما وتسلمها وسار الى الموصل
فحصرها فلم يظفر منها بشيء فسار عنها الى بلد وقتل بها محمد بن شرف الدولة وغرقه وعاد
الى حصار الموصل ونزل على فرسخ منها بقرية باحلافا ونزل التونتاش شرقي الموصل
فاستنجد علي بن مسلم صاحبها بالامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار اليه نجدة له
فلما علم التونتاش بذلك سار الى طريقه فقاتله فانهزم جكرمش وعاد الى الجزيرة
منهزما وصار في طاعة كربوقا واعانه على حصر الموصل وعدمت الاقوات بها وكل شيء
حتى ما يوقدونه فاوقدوا القير وحب القطن فلما ضاق بصاحبها على الامر فارقها وسار
الى الامير صدقة بن مزيد بالحلة وتسلم كربوقا البلد بعد ان حصره تسعة اشهر وخاف
اهله لانه بلغهم ان التونتاش يريد نهبهم وان كربوقا يمنعه من ذلك فاشتغل التونتاش
بالقبض على اعيان البلد ومطالبتهم بودائع البلد واستطال على كربوقا فامر بقتله فقتل
في اليوم الثالث وأمن الناس شره وأحسن كربوقا السيرة فيهم وسار نحو الرحبة فمنع
عنها فملكها ونهبها واستناب بها وعاد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اجتمع ستة كواكب في برج الحوت وهي الشمس والقمر والمشتري
والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفان يكون في الناس يقارب طوفان نوح
فاحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عيسون المنجم فسأله فقال ان طوفان نوح اجتمعت
الكواكب السبعة في برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس منها زحل
فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول ان مدينة او بقعة من الارض
يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع
فيها من البلاد فاحكمت المسنيات والمواضع التي يخشى منها الانفجار والغرق
فاتفق ان الحجاج نزلوا بوادي المناقب بعد نخلة فاتاهم سيل عظيم فاغرق اكثرهم
ونجا من تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والازواد وغير ذلك فخلع الخليفة على
المنجم وفيها في صفر درس الشيخ أبو عبد الله الطبري الفقيه الشافعي بالمدرسة النظامية
ببغداد رتبه فيها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وفيها اغارت خفاجة على بلد
سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل في اثرهم عسكرا مقدمه ابن عمه قريش بن بدران
ابن دبيس بن مزيد فاسرته خفاجة وأطلقوه وقصدوا مشهد الحسين بن علي عليهما

قبودان منفيا الى بعض الجهات (وفي ذلك اليوم) طلع الباشا الى القلعة وصحبته قنصل الفرنساوية ومهندس
معه الاماكن ومواطن
الحصار والقنصل المذكور
مظهر الاهتمام والاجتهاد
ويسهل الامر ويبذل النصح
ويكثر من الركوب والذهاب
والاياب وامامه الخدم وبايديهم
الحراب المفضضة وخلفه
تراجمه واتباعه (وفيه) ارسل
الامراء القبليون جوابا عن
جواب ارسل اليهم قبل ذلك
وعليه ختوم كثيرة باسماء منهم
والمشايخ المعهود فارسلوا
هذا الجواب يعتذرون فيه
بان السبب في تأخرهم انهم
لم يتكاملوا وانما كانوا
متفرقين بالنواحي مثل
عثمان بك حسن وغيره
وانهم الى الآن لم يثبت عندهم
حقيقة الامر لانه من الثابت
عندهم صداقة الانكليز مع
العثمانى من قديم الزمان
وان المراسيم التي وردت
بالتحذير والتخويف من الموسكوب
ولم يذكر الانكليز فاتفق
الحال بان يرسلوا لهم جوابا
بالحقيقة صحبة مصطفى افندي
كتخدا القاضي ويصحب معه
المراسيم التي وردت في شأن
ذلك وفيها ذكر الانكليز
ومنابذتهم للدولة فسافر
الكتخدا المذكور في صحبتها
اليهم وكانوا حضروا الى
ناحية المنية واما ياسين بك
فانه اذعن للصلح على ان يعطيه
الباشا اربعمائة كيس بعد ترداد المراسلات بينه وبين الباشا ثم انه عدى الى ناحية شرق اطفيح وفرض

فلوهم بالخاوية فقتل ثم أمر أصحابه ان ينهبوا ماله وأثاثه ودوابه ففعلوا ذلك واختفى فطلب فوجد بعد ثلاثة أيام فأحرقوه وعوقب وعذب ثم قتل هو وأولاده وكان من السواد يشق الخشب ثم بلغ هذه الحال

(ذكر وفاة منصور بن مروان)

في هذه السنة في المحرم توفي منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر وهو الذي انقرض أمر بني مروان على يده حين حاربه فخر الدولة بن جهير وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة وتركه عند رجل يهودي فمات في داره وحملته زوجته الى تربة آبائه فدفنته ثم حجت وعادت الى بلد الدانشمند فاشترت دارا من بلد فنك بقرب جزيرة ابن عمر وأقامت به تعبد الله وكان منصور شجاعا شديد البخل له في البخل حكايات عجيبة فتعسا لطالب الدنيا المعرض عن الآخرة الا ينظر الى فعلها بابنائها انها بينما هذا منصور وملك من بيت ملك آل أمره الى ان مات في بيت يهودي نسأل الله تعالى ان يحسن أعمالنا ويصلح عاقبة أمرنا في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

(ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا)

في هذه السنة ملك تميم بن المعز مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمرا وسبب ذلك انها كان بها انسان يقال له قاضي بن ابراهيم بن بلمونه فمات فولى اهلها عليهم عمرو بن المعز فأساء السيرة وكان قاضي بن ابراهيم عاصيا على تميم وتميم يعرض عنه فلما ملك عمرو طمع فيه فأخرج تميم العساكر الى أخيه عمرو ليأخذ المدينة منه فقال له بعض أصحابه يا مولانا لما كان فيها القاضي توانيت عنه وتركته فلما وليها أخوك جردت اليه العساكر فقال لما كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلا علينا واما اليوم وابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس هذا مما لا يمكن السكوت عليه وفي فتحها يقول ابن خطيب سوسة القصيدة المشهورة التي أولها

ضحك الزمان وكان يلقى عابسا • لما فتحت بحد سيفك قابسا
الله يعلم ما حويت ثمارها • الا وكان أبوك قبل الغارسا
من كان في زرق الاسنة خاطبا • كانت له قلل البلاد عرائسا
فابشر تميم بن المعز بفتكة • تركتك من أكناف قابس قابسا
ولوا فكم تركوا هناك مصانعا • ومقاصرا ومخالدا ومجالسا
فكأنها قلب وهن وساوس • جاء اليقين فذاد عنه وساوسا

(ذكر ملك كربوقا الموصل)

في هذه السنة في ذي القعدة ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل وقد ذكرنا ان تاج الدولة تتش أسره لما قتل آقسنقر وبوزان فلما أسره أبقى عليه طمعا في استصلاح جهة الأمير أنر ولم يكن له بلد يملكه اذا قتله كما فعل بالأمير بوزان فانه قتله واستولى على بلاده الرها وحران ولم يزل قوام الدولة محبوسا بحلب الى ان قتل تتش

السيف على باشة القبودان باشا وعزل صالح قبودان عن رياسة الدونانمه وذكروا انه خرج بالدونانمه التى تحمى بالعمارة وصحبته عدة مراكب فرنساوية قاصدين جهة مالطة ليقطعوا على الانكليز الطرق وان هؤلاء الطائفة الواصلين لم يعلموا بورود الانكليز الى الاسكندرية الا بعد وصولهم صبيحا وذكروا ان سبب عزل صالح القبودان ان الانكليز وردوا بوغاز اسلامبول باثنى عشر مركبا وقيل أربعة عشر وطلعوا الخليج والمدافع تضرب عليهم من القلاع المتقابلة فلم يبالوا بذلك حتى حصلوا بداخل المينة تجاه البلدة فانزعج أهالي البلدة انزعاجا شديدا وصرخت النساء وهاجت المدينة وماجت بالناس ولو ضرب عليها الانكليز لاحترقت عن آخرها ولكنهم لم يفعلوا بل استمروا يومهم ورموا مراسيهم ثم أخذوا وولوا راجعين ولسان حالهم يقول ها نحن وصلنا بغازكم الذي تزعمون انه لا أحد يقدر على عبوره وقدرنا عليكم وعفونا عنكم ولو شئنا أخذ دار سلطنتكم لأخذناها أو أحرقناها ونحو ذلك فلما فعلوا ذلك طلب السلطان قبودان باشا فوجدوه يتعاطى الشراب في بعض الاماكن فعند ذلك احضروا السيد علي وقلدوه رياسة الدونانمه ونزل الى الانكليز وتكلم معهم الى ان خرجوا من البغاز واخرجوا صالح وملك

بوزبرس سنة ثمان وثمانين وسبب هزيمته أنه كان معه من جملة العساكر الدين مبرمعه بركيارق أميرا آخر من ملكشاه وهو من أكابر الأمراء والأمير مسعود بن تاجر وكان أبوه مقدم عسكر داود جد ملكشاه ولمسعود منزلة كبيرة ومحل عظيم عند كافة الناس وكان بين أمير آخر وبين أرسلان مودة قديمة فأرسل إليه أرسلان أرغون يستميله ويدعوه إلى طاعته فأجابه إلى ذلك ثم إن مسعود بن تاجر قصد أمير آخر زائراً له ومعه ولده فأخذهما وقتلهما فضعف أمر بوزبرس وانهزم من أرسلان أرغون وتفرق عسكره وأسر وحمل إلى أرسلان أرغون وهو أخوه فحبسه بترمذ ثم أمر به فخنق بعد سنة من حبسه وقتل أكابر عسكر خراسان ممن كان يخافه ويخشى تحكمه عليه وصادر وزيره عماد الملك بثلاثمائة ألف دينار وقتله وخرب أسوار مدن خراسان منها سور سبزوار وسور مرو الشاهجان وقلعة سرخس وقهندز نيسابور وسور شهرستان وغير ذلك وخرب جميعه سنة تسع وثمانين ثم إنه قتل هذه السنة كما ذكرنا

(ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور)

في هذه السنة في ربيع الأول وصل عسكر كثير من مصر إلى ثغر صور بساحل الشام فحصروها وملكوها وسبب ذلك أن الوالي بها ويعرف بكتيلة أظهر العصيان على المستعلي صاحب مصر والخروج عن طاعته فسير إليه جيشاً فحصروه بها وضيقوا عليه وعلى من معه من جندي وعامي ثم افتتحوها عنوة بالسيف وقتلوا بها خلقاً كثيراً ونهبوا منها المال الجزيل وأخذوا الوالي أسيراً بغير أمان وحمل إلى مصر فقتل بها

(ذكر ملك بركيارق خراسان وتسليمها إلى أخيه سنجر)

كان بركيارق قد جهز العساكر مع أخيه الملك سنجر وسيرها إلى خراسان لقتال عمه أرسلان أرغون وجعل الأمير قماج أتابك سنجر ورتب في وزارته أبا الفتح علي بن الحسين الطغرائي فلما وصلوا إلى الدامغان بلغهم خبر قتله فأقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا إلى نيسابور فوصل إليها خامس جمادى الأولى من السنة وملكها بغير قتال وكذلك سائر البلاد الخراسانية وساروا إلى بلخ وكان عسكر أرسلان أرغون قد ملكوا بعد قتله ابناً له صغير العمر عمره سبع سنين فلما سمعوا بوصول السلطان ابتعدوا إلى جبال طخارستان وأرسلوا يطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك فعادوا ومعهم ابن أرسلان أرغون فأحسن السلطان لقاءه وأعطاه ما كان لأبيه من الإقطاع أيام ملكشاه وكان وصوله إلى السلطان في خمسة عشر ألف فارس فما انقضى يومهم حتى فارقوه والتحقت كل طائفة منهم بأمير فخدموه وبقي وحده مع خادم لأبيه فأخذته والدة السلطان بركيارق إليها وأقامت له من يتولى خدمته وتربيته وسار بركيارق إلى ترمذ فسلمت إليه وأقام عند بلخ سبعة أشهر وأرسل إلى ما وراء النهر فأقيمت له الخطبة بسمرقند وغيرها ودانت له البلاد

(ذكر خروج أمير أميران بخراسان مخالفاً)

الأخبار وأن الانكليز انجلوا عن مدينة رشيد وأتى منهم ... والمجاهد ولم تزل المقاتلون من أهل القرى خلفهم إلى أن توسطوا البرية وغنموا بعض أثقالهم وأسلحتهم ومدافعهم ومهر اسين عشرين ذكرا أنه واصل خلفهم أسرى ورؤس قتلى كثيرة في صحبة مراكب وأنه وصل معهما من جملة المتطوعين رجلان من أهل مكة التجار المقيمين بمصر كانا في الواقعة بنحو مائة من البدو والمغاربة وغيرهم ينفقان عليهم ويحرضانهم على القتال ويعينان المقاتلين من الأهالي بما في أيديهما ويقاتلان بأنفسهما وبذلا جهدهما في ذلك وأنهما بعد هزم الانكليز وطلبهم فرقا ما أنفقاه وما بقي معهما من الأشياء على من خرج خلف الانكليز وحضر أمعهما وهما السيد أحمد النجاري وأخوه السيد سلامة فطلبهما الباشا وسألهما عن الخبر فأخبراه بحضرة التركيين فأظهر الباشا لذلك سرورا عظيما وشكر فعلهما وأنعم عليهما وخلع عليهما ورتب لهما مرتبا ووعدهما بالاستخدام في مصالحه وخلع على ذينك التركيين فروتين سمور وحضرا بصحبة الساعيين إلى منزل السيد عمر النقيب بعد الغروب وتعشوا عنده وطلبوا البقشيش وبعد أن أخذوه توسل التركيان به بأن يدعي

لما شاهد الباشا في اليوم ... عليهما ... فلما أصبح توجه هو ... جي الباشا لما أضاف مرتبهما وضم براقي

السلام فتقلده ورماه بالفساد والمنكر فوجه اليهم صدقة بن يشا فكبسهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا في المشهد حتى عند الضريح والتجأ رجل منهم فقتله وهو عند قبر سعد على السور فسلم نودوا الفرس وفي هذه السنة في صفر توفي القاضي ابو مسلم وادع بن سليمان قاضي معرة النعمان والمستولي على أمورها وكان رجل زمانه همة وعقلا وفيها في ربيع الاول توفي أبو بكر محمد بن عبد الباقي المعروف بابن الخاضبة المحدث وكان عالما وفيها في رمضان توفي أبو بكر عمر بن المعمر تلذي ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وفيها في رمضان توفي أبو الفضل عبد الملك بن ابراهيم المقدسي المعروف بالهمذاني وكان عالما في عدة علوم وقد قارب ثمانين سنة

(ثم دخلت سنة تسعين واربعمائة)

﴿ذكر قتل ارسلان ارغون﴾

في هذه السنة في المحرم قتل ارسلان ارغون بن الب ارسلان أخو السلطان ملكشاه بمرو وكان قد ملك خراسان وسبب قتله انه كان شديدا على غلمانه كثير الاهانة لهم والعقوبة وكانوا يخافونه خوفا شديدا فاتفق انه الآن طلب غلاما له فدخل عليه وليس معه أحد فانكر عليه تأخره عن الخدمة فاعتذر فلم يقبل عذره وضربه فاخرج الغلام سكينا معه وقتله وأخذ الغلام فقيل له لم فعلت هذا فقال لاريح الناس من ظلمه وكان سبب ملكه خراسان انه كان له أيام أخيه ملكشاه من الاقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار وكان معه ببغداد لما مات فسار الى همذان في سبعة غلمان واتصل به جماعة فسار الى نيسابور فلم يجد فيها مطمعا فسار الى مرو وكان شحنتها مروأنه براسمه قودن من مماليك ملكشاه وهو الذي كان سبب تنكر السلطان ملكشاه على نظام الملك وقد تقدم ذلك في قتل نظام الملك فمال الى ارسلان ارغون وسلم البلد اليه فاقبلت العساكر اليه وقصد بلخ وبها فخر الملك بن نظام الملك فسار عنها ووزر لتاج الدولة تتش على جاد كرشاه وملك ارسلان ارغون بلخ وترمذ ونيسابور وعامة خراسان وارسل الى السلطان بركيارق والى وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك يطلب ان يقر عليه خراسان كما كانت لجده داود ما عدا نيسابور ويبذل الاموال ولا ينازع في السلطنة فسكت عنه بركيارق لاشتغاله باخيه محمود وعمه تتش فلما عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك عن وزارته ووليها أخوه فخر الملك واستولى على الامور مجد الملك البلاساني قطع ارسلان ارغون مراسلة بركيارق وقال لا أرضى ان يكون بيني وبين ابن اخي واسطة واشار مجد الملك البلاساني فندب بركيارق حينئذ عمه بوربرس بن الب ارسلان وسيره في العساكر لقتاله وكان قد اتصل بارسلان عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك ووزر له فلما وصلت العساكر الى خراسان لقيهم ارسلان ارغون وقاتلهم فانهزم منهم وصار منهزما الى بلخ واقام بوربرس والعساكر التي معه بهراة ثم جمع ارغون عساكر جمعها وسار الى مرو فحصرها اياما وفتحها عنوة وقتل فيها واكثر وقلع ابواب سورها وهدمه فسار اليه بوربرس من هراة فالتقيا واقتتلوا فانهزم

عليهم الاموال الجسيمة وكان اهل تلك البلاد احضروا ايصول والرئيل عندهم واموالهم ومواشيهم فخلا عليهم وطلب منهم الاموال فعصوا عليه فاوقد فيهم النيران وحرق بيوتهم ونهبهم (وفي عصر يوم الثلاثاء) حضر جماعة من العرب وصحبتهم ثلاثة انفار من الانكليز قبضوا عليهم من البرية واحضروهم الى مصر فمثلوا بين يدي الباشا وكلمهم ثم امر بطلوعهم الى القلعة وفيهم شخص كبير يقال انه من قباطينهم (وفي يوم الخميس رابع عشره) عملوا ديوانا ببيت القاضي اجتمع فيه الدفتردار والمشايخ والوجاقلية وتفرقوا عنه وما تقدم حضوره قبل وصول الانكليز الى الاسكندرية مضمونه ضبط تعلقات الانكليز وما لهم من المال والودائع والشركات مع التجار بمصر والثغور (وفي ذلك اليوم) حضر شخصان من السعاة واخبرا بالنصر على الانكليز وهزيمتهم وذلك انه اجتمع الجم الكثير من اهالي بلاد البحيرة وغيرها واهالي رشيد ومن معهم من المتطوعة والعساكر واهل دمنهور وصادف وصول كتخدا بك واسمعيل كاشف الطوبجي الى تلك الناحية فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة واسروا من الانكليز طائفة وقطعوا منهم عدة رؤس فخلع الباشا على الساعيين جوختين وفي اثره قلشو صل ايضا شخصان من الاتراك بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر وبالقاي

على محمد بن انوشتكين فولاه خوارزم ولقبه خوارزمشاه فقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها وقرب أهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومحله علوا ولما ملك السلطان سنجر خراسان أقر محمدا خوارزمشاه على خوارزم وأعمالها فظهرت كفايته وشهامته فعظم سنجر محله وقدره ثم ان بعض ملوك الاتراك جمع جموعا وقصد خوارزم ومحمد غائب عنها وكان معه طغرلتكين بن اكنجي الذى كان أبوه خوارزمشاه قبل عند السلطان سنجر فهرب منه والتحق بالاتراك على خوارزم فلما سمع خوارزمشاه محمد الخبر بادر الى خوارزم وأرسل الى سنجر يستمده وكان بنيسابور ففارق العساكر اليه فلم ينتظر محمد فلما قارب خوارزم هرب الاتراك الى منقشلاغ وطغرلتكين ايضا رحل الى جند خان وكفى خوارزمشاه شرهم ولما توفي خوارزمشاه ولى بعده ابنه أتسز فمد ظلال الامن وأفاض العدل وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وقصد بلاد الاعداء وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما ولى بعد أبيه قربه السلطان سنجر وعظمه واعتضد به واستصحبه معه في أسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدما وعلوا وهو ابتداء امر الملك بيت خوارزمشاه تكش وابنه محمد الذي ظهرت التتر عليه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق

في هذه السنة سار الملك رضوان الى دمشق وبها أخوه دقاق عازما على أخذها منه فلما قاربها ورأى حصانتها وامتناعها علم عجزه عنها فرحل الى نابلس وسار الى القدس ليأخذه فلم يمكنه وانقطعت العساكر عنه فعاد ومعه باغيسيان صاحب انطاكية وجناح الدولة ثم ان باغيسيان فارق رضوان وقصد دقاق وحسن له محاصرة أخيه بحلب جزاء لما فعله فجمع عساكر كثيرة وسار ومعه باغيسيان فأرسل رضوان رسولا الى سقمان بن ارتق وهو بسروج يستمده فأتاه في خلق كثير من التركمان فسار نحو أخيه فالتقيا بقنسرين فاقتتلا فانهزم دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وجميع ما لهم وعاد رضوان الى حلب ثم اتفقا على ان يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق وبانطاكية وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين

ذكر الخطبة للعلوي المصري بولاية رضوان

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بأمر الله العلوي صاحب مصر وسبب ذلك انه كان عنده الامير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فسار الى حمص وهي له فلما رأى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم اليه بحلب ونزل بظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم اسعد وكان يميل اليه فقدمه بعد مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين وأتته رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم ويبذلون له المال وانفاذ العساكر اليه ليملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الاعمال سوى انطاكية وحلب والمعرة اربع جمع ثم حضر عنده

بالجميع الى القلعة (وفي يوم الاربعاء) وصل الى ساحل بولاق مراكب وفيها الاسرى وقتلى وجرحى فطلعوا بهم الى الازبكية ومروا بهم على طريق باب النصر وشقوا بهم من وسط المدينة الى الازبكية فرشقوا الرؤس بالازبكية مع الرؤس الاول وهي نحو المائة واثنين واربعين والاحياء والجرحى نحو المائتين وعشرين فطلعوا بهم الى القلعة عند اخوانهم فكان مجموع الاسرى اربعمائة اسير وستة وستين اسيرا والرؤس نحو ثلثمائة واربعون وفي الاسرى نحو العشرين من قباطينهم وهذه الواقعة حصلت على غير قياس وصادف بناؤها على غير اساس وقد اخذ الله رأي كل من طائفة الانكليز والامراء المصرية واهل الاقليم المصري ليبرز ما كتبه وقدره في مكنون غيبه على اهل الاقليم من الدمار الحاصل وما سيكون بعد كما ستقف به ويبتلى بعضهم ببعضه اما فساد رأي الانكليز فلتعديهم الاسكندرية مع قلتهم وسماعهم وثوق الالفي وتغريرهم بانفسهم واما الامراء المصريون فلاختلاف فساد رأيهم محال واما اهالي الاقليم فلانتصارهم ان يضرهم ويسلب نعمهم وما اصاب من مصيبة فبما كسبت أيدي الناس وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولم يخطر في الظن حصول هذا الواقع ولا ان الرعايا والعسكر لهم قدرة على حروب الانكليز

في هذه السنة لما كان السلطان بركيارق بخراسان خالف عليه أمير اسمه محمد بن سليمان ويعرف بأمير أميران وهو ابن عم ملكشاه وتوجه الى بلخ واستمد من صاحب غزنة فأمده بجيش كثير وقبله وشرط عليه أن يخطب له في جميع ما يفتحه من خراسان فقويت شوكته ومد يده في البلاد فسير اليه الملك سنجر بن ملكشاه جريدة ولا يعلم به أمير أميران فكبسه فجرى بينهم قتال ساعة ثم أسر وحمل الى بين يدي سنجر فأمر به فكحل

(ذكر عصيان الأمير قودن ويارقطاش على السلطان واستعمال حبشي على خراسان)

في هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارق وسبب ذلك ان الأمير قودن كان قد صار في جملة الأمير قماج فتوفي والسلطان بمرو فاستوحش قودن وأظهر المرض وتأخر بمرو بعد مسير السلطان الى العراق وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه أكنجي وقد ولاه السلطان خوارزم ولقبه خوارزمشاه فجمع عساكره وسار في عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان فسبق العسكر الى مرو في ثلثمائة فارس وتشاغل بالشرب فاتفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه وساروا الى خوارزم وأظهروا ان السلطان قد استعملهما عليها فتسلماها وبلغ الخبر الى السلطان فتمم المسير الى العراق لما بلغه من خروج الأمير أنر ومؤيد الملك عن طاعته وأعاد أميرداذ حبشي بن التونتاق في جيش الى خراسان لقتالهما فسار الى هراة وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه فعاجلاه في خمسة عشر ألفا فعلم أميرداذ انه لا طاقة له بهما فعبر جيحون فسارا اليه وتقدم يارقطاش ليلحقه قودن فعاجله يارقطاش وحده وقاتله فانهزم يارقطاش وأخذ أسيرا وبلغ الخبر الى قودن فثار به عسكره ونهبوا خزائنه وما معه فبقي في سبعة نفر فهرب الى بخارا فقبض عليه صاحبها ثم أحسن اليه وبقي عنده وسار من هناك الى الملك سنجر ببلخ فقبله أحسن قبول وبذل له قودن أن يكفيه أموره ويقوم بجمع العساكر على طاعته فقدر الله انه مات عن قريب وأما يارقطاش فبقي أسيرا الى ان قتل أميرداذ وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه)

في هذه السنة أمر بركيارق الأمير حبشي بن التونتاق على خراسان كما ذكرناه فلما صفت له وقتل قودن كما ذكرناه قبل ولي خوارزم الأمير محمد بن أنوشتكين وكان أبوه أنوشتكين مملوكا لأمير من السلجوقية اسمه بلكباك قد اشتراه من رجل من غرشستان فقيل له أنوشتكين غرشجه فكبر وعلا أمره وكان حسن الطريقة كامل الأوصاف وكان مقدما مرجوا اليه وولد له ولد سماه محمدا وهو هذا وعلمه وخرجه وأحسن تأديبه وتقدم بنفسه وبالعناية الأزلية فلما ولي أميرداذ حبشي خراسان كان خوارزمشاه أكنجي قد قتل وقد تقدم ذكره فنظر الأمير حبشي فيمن يوليه خوارزم فوقع اختياره

ضحى ذلك اليوم مدافع كثيرة من القلعة والازبكية وبولاق والجيزة وكذلك بين الظهر والعصر (وفي يوم الجمعة خامس عشره) حضروا بأسرى وعدتهم تسعة عشر شخصا وعدة رؤس فمروا بهم من وسط الشارع الأعظم وأما الرؤس فمروا بها من طريق باب الشعرية وعدتها نيف وثلاثون رأسا موضوعة على نبابيت وشقوا بها وسط بركة الازبكية مع الرؤس الأولى صفوها على عين السالك من باب الهواء الى وسط البركة وشماله (وفيه) وصل ثلاث داوات من جدة الى ساحل السويس فيها أتراك وشوام وأجناس آخرون وذكروا ان الوهابي نادى بعد انقضاء الحج ان لا يأتي الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا في المناداة قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وأخرجوا هؤلاء الواصلين الى مصر (وفي يوم السبت) وصل أيضا تسعة أشخاص أسرى من الانكليز وفيهم خيال (وفي يوم الأحد) وصل أيضا نيف وستون وفيهم رأس واحدة مقطوعة فمروا بهم على طريق باب النصر من وسط المدينة وخرج الناس للتفرج عليهم وبعد الظهر أيضا مروا بثلاثة وعشرين أسيرا وثمانية رؤس ومنهم العظم بثلاثة وعشرين وساروا بهم ومروا بعين أسيرا من ناحية باب الشعرية وطلعوا

على

ما يحمل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان لم يفلحوا رجعوا الى بلادي وتأذيت بهم
ويقول تميم غدرت بي ونقضت عهدي وتنقطع الوصلة والاسفار بيننا وبلاد افريقية
باقية لنا متى وجدنا قوة اخذناها واحضر رسولهم وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين
فافضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من ايديهم ويكون لكم الفخر واما افريقية
فبيني وبين اهلها ايمان وعهود فتجهزوا وخرجوا الى الشام وقيل ان اصحاب مصر من
العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزة ولم
يبق بينهم وبين مصر ولاية اخرى تمنعهم ودخول الاقسيس الى مصر وحصرها فخافوا
وارسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين
والله اعلم فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا الى القسطنطينية ليعبروا المجاز الى بلاد
المسلمين ويسيروا في البر فيكون اسهل عليهم فلما وصلوا اليها منعهم ملك الروم من
الاجتياز ببلاده وقال لا امكنكم من العبور الى بلاد الاسلام حتى تحلفوا لي انكم
تسلمون الي انطاكية وكان قصده يحثهم على الخروج الى بلاد الاسلام ظنا منه ان
الاتراك لا يبقون منهم احدا لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد فاجابوه الى ذلك
وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين ووصلوا الى بلاد قلج ارسلان بن سليمان
ابن قتلمش وهي قونية وغيرها فلما وصلوا اليها لقيهم قلج ارسلان في جموعه ومنعهم
فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين واجتازوا في بلاده الى بلاد ابن الارمني فسلكوها
وخرجوا الى انطاكية فحصروها ولما سمع صاحبها باغيسيان بتوجههم اليها خاف من
النصارى الذين بها فاخرج المسلمين من اهلها ليس معهم غيرهم وامرهم بحفر الخندق ثم
اخرج من الغد النصارى لعمل الخندق ايضا ليس معهم مسلم فعملوا فيه الى العصر
فلما ارادوا دخول البلد منعهم وقال لهم انطاكية لكم تهبونها لي حتى انظر ما يكون
منا ومن الفرنج فقالوا له من يحفظ ابناءنا ونساءنا فقال انا اخلفكم فيهم فامسكوا
واقاموا في عسكر الفرنج فحصروها تسعة اشهر وظهر من شجاعة باغيسيان وجودة
رأيه وحزمه واحتياطه ما لم يشاهد من غيره فهلك اكثر الفرنج موتا ولو بقوا على
كثرتهم التي خرجوا فيها لطبقوا بلاد الاسلام وحفظ باغيسيان اهل نصارى انطاكية
الذين اخرجهم وكف الايدي المتطرقة اليهم فلما طال مقام الفرنج على انطاكية راسلوا
احد المستحفظين للابراج وهو زراد يعرف بروزبه وبذلوا له مالا واقطاعا وكان يتولى
حفظ برج يلي الوادي وهو مبني على شباك في الوادي فلما تقرر الامر بينهم وبين هذا
الملعون الزراد جاؤوا الى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما
زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة
السهر والحراسة فاستيقظ باغيسيان فسأل عن الحال فقيل ان هذا البوق من القلعة
ولا شك انها قد ملكت ولم يكن من القلعة وانما كان من ذلك البرج فدخله الرعب
وفتح باب البلد وخرج هاربا في ثلاثين غلاما على وجهه فجاء نائبه في حفظ البلد فسأل
عنه فقيل انه هرب فخرج من باب آخر هاربا وكان ذلك معونة للفرنج ولو ثبت ساعة

الاولى من الانكليز الى رشيد ودخلوها من غير مانع وحبسوا انفسهم فيها فقتلوا واسروا وهرب من هرب ووصلت
الرؤس والاسرى واسرعت
المبشرون الى الباشا بالخبر فعند
ذلك تراجعت اليه نفسه
وامر ع في الحضور وتراجعت
نفوس العسكر وطمعوا عند
ذلك في الانكليز وتجاسروا
عليهم وكذلك اهل البلاد
قويت همتهم وتأهبوا
للبروز والمحاربة واشتروا
الاسلحة ونادوا على بعضهم
بالجهاد وكثر المتطوعون
ونصبوا لهم بيارق واعلاما
وجمعوا من بعضهم دراهم
وصرفوا على من انضم اليهم
من الفقراء وخرجوا في مواكب
وطبول وزمور فلما وصلوا
الى متاريس الانكليز
دهموهم من كل ناحية على
غير قوانين حروبهم وترتيبهم
وصدقوا في الحملة عليهم والقوا
انفسهم في النيران ولم يبالوا
برميهم وهجموا عليهم
واختلطوا بهم وادهشوهم
بالتكبير والصياح حتى
ابطلوا رميهم ونيرانهم فالقوا
سلاحهم وطلبوا الامان فلم
يلتفتوا لذلك وقبضوا عليهم
وذبحوا الكثير منهم وحضروا
بالاسرى والرؤس على الصورة
المذكورة وفر الباقون الى
من بقي بالاسكندرية وليت
العامة شكروا على ذلك او
نسب اليهم فضل بل نسب
كل ذلك للباشا وعساكره
وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد الخوف اصعدوا الاسرى الى القلعة طلع اليهم قنصل

سقمان بن ارتق وباغيسيان صاحب انطاكية مقابح ذلك واستعظماه فاعاد الخطبة العباسية في هذه السنة وارسل الى بغداد يعتذر عما كان منه وسار باغيسيان الى انطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة ايام حتى وصل الفرنج اليها وحصروها وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخراسان بين اهل سبزوار واهل خسروجرد وقتال عظيم قتل بينهم جماعة كثيرة وانهزم اهل خسروجرد وفيها قتل عثمان وكيل دار نظام الملك وكان سبب قتله انه كان كاتب صاحب غزنة بالاخبار من قبل السلطان فاخذ وحبس بتكريت مدة ثم اطلع عليه وهو في الحبس انه كان يكاتبه ايضا فقتل وفي صفر منها قتل عبد الرحمن السميرمي وزير والدة السلطان بركيارق قتله باطني غيلة وقتل الباطني بعده وفيها في شعبان ظهر كوكب كبير له ذؤابة واقام يطلع عشرين يوما ثم غاب ولم يظهر وفيها توفي النقيب الطاهر ابو الغنائم محمد بن عبد الله وكان دينا كريما متعصبا لمذهب وولي النقابة بعده ولده ابو الفتوح حيدرة وفيها توفي ابو القاسم يحيى بن احمد السيبي وهو ابن مائة سنة وسنتين وهو صحيح الحواس وكان مقرئا محدثا حاضر القلب وفيها قتل ارغش النظامي مملوك نظام الملك بالري وكان قد بلغ مبلغا عظيما بحيث انه تزوج ابنة ياقوتي عم السلطان بركيارق قتله باطني وقتل قاتله وقتل برسق في شهر رمضان وهو من اكابر الامراء قتله باطني وكان برسق من اصحاب السلطان طغرلبك وهو اول شحنة كان ببغداد

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين واربعمائة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة انطاكية)

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد امرهم وخروجهم الى بلاد الاسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين واربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الاندلس وقد تقدم ذكر ذلك ثم قصدوا سنة اربع وثمانين واربعمائة جزيرة صقلية وملكوها وقد ذكرته ايضا وتطرقوا الى اطراف افريقية فملكوا منها شيئا واخذ منهم ثم ملكوا غيره على ما تراه فلما كان سنة تسعين واربعمائة خرجوا الى بلاد الشام وكان سبب خروجهم ان ملكهم بردويل جمع جمعا كثيرا من الفرنج وكان نسيب رجار الفرنجي الذي ملك صقلية فارسل الى رجار يقول له قد جمعت جمعا كثيرا وانا واصل اليك وسائر من عندك الى افريقية افتحها واكون مجاورا لك فجمع رجار اصحابه واستشارهم في ذلك فقالوا وحق الانجيل هذا جيد لنا ولهم وتصير البلاد بلاد النصرانية فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال وحق ديني هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الي احتاج الى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم الى افريقية وعساكر من عندي ايضا فان فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عني

وخصوصا شهرتهم باتقان الحروب وقد تقدم لك انهم هم الذين حاربوا الفرنساوية واخرجوهم من مصر (ولما شاع) الخبر بالاسكندرية داخل العسكر والناس وهم عظيم وعزم اكثر العسكر على الفرار الى جهة الشام وشرعوا في قضاء اشغالهم والخلاص امورهم التي اضطرتهم المتضايقين والمستقرضين بالربا وابدال ما بايديهم من الدراهم والقروش والفرانسه التي يثقل حملها بالذهب البندقي والمحبوب الزرمحبوب لخفة حملها حتى انها زادت في المصارفة بسبب كثرة الطالب لها وبلغ صرف البندقي المنقص الناقص في الوزن اربعمائة وعشرين نصفا والزرمحبوب مائتين وعشرين والفرانسه مائتين واستمرت تلك الزيادة بعد ذلك وصيرورة الامر خفيا وسعوا في مشترى ادوات الارتحال والامور اللازمة لسفر البر وفارق الكثير منهم النساء وباعوا ما عندهم من الفرش والامتعة حتى ان محمد على باشا لما بلغه حصولهم بالاسكندرية وكان محاربا المصريين ويشدد عليهم فعند ذلك انحلت عزائمه وارسل يصالحهم على ما يريدونه ويطلبونه وثبت في يقينه استيلاء الانكليز على الديار المصرية وعزم على العود متملكا في البر يظن سرعة ورودهم الى المدينة فيخبره ثم ... على طريق الشام ويكون له عذر بغيبته في الجولة فلما وصلت التذكرة ما يعدل

من المسلمين جماعة من الخارجين جاءهم حتى يتقدموه منهم وبهاجم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بالمدينة احد منهم ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا اولا من الاستهانة بهم والاعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب احد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وآخر من انهزم سقمان بن ارتق وجناح الدولة لانهما كانا في الكمين وانهزم كربوقا معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم من مثله وخافوا ان يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج منهم الوفا وغنموا ما في العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم

(ذكر ملك الفرنج معرة النعمان)

لما فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا الى معرة النعمان فنازلوها وحصروها وقاتلهم اهلها قتالا شديدا ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد في حربهم والاجتهاد في قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والهلع وظنوا انهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور واخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه فرآهم طائفة اخرى ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم ايضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلاليم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة ايام فقتلوا ما يزيد على مائة الف وسبوا السبي الكثير وملكوه واقاموا اربعين يوما وساروا الى عرقة فحصروها اربعة اشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر وصالحهم عليها وساروا الى حمص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق النواقير الى عكا فلم يقدروا عليها

(ذكر الحرب بين الملك سنجر ودولتشاه)

كان دولتشاه من ابناء الملوك السلجوقية فاجتمع عليه جمع من عساكر بيغو اخي ملكشاه وكان بطخارستان فاخذوا اولوالج وكنج فسار اليهم السلطان سنجر وعساكره فوصل الى بلخ فدخلها في رجب من هذه السنة وخرج منها لقتال دولتشاه فلم يكن له من الجموع ما يثبت مقابل عسكر سنجر فقاتلوا شيئا من قتال وانهزموا واخذ دولتشاه اسيرا واحضر عند سنجر فعفا عنه من القتل وحبسه ثم بعد ذلك كحله وسير سنجر جيشا الى مدينة ترمذ فملكوها وسلموها الى طغرل تكين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة فتح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ومدينة تونس وكان بافريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس وفيها وصل

ضنا ورجعوا الى الاسكندرية نزل الاتراك على الجهاد وما جاورها واستباحوا اهلها ونهبوا اموالها ومواشيها زاعمين انها صارت دار حرب بنزول الانكليز عليها وتملكهم لها حتى ان بعض القاهرين كلمهم في ذلك فرد عليه بذلك الجواب فارسلوا الى مصر بذلك وكتبوا في خصوص ذلك سؤالا وكتب عليه المفتون بالمنع وعدم الجواز وحتى يأتي الترياق من العراق يموت الملسوع ومن يقرأ ومن يسمع وعلى انه لم يرجع طالب الفتوى بل اهملت عند المفتي وتركها المستفتي ثم احاطت العساكر برشيد وهم برشيد وضربوا على اهلها الضرائب وطلبوا منهم الاموال والكلف الشاقة واخذوا ما وجدوه بها من الارز المعلق فخرج كبيرها السيد حسن كريت الى حسن باشا والكتخدا بك وتكلم معهما وشنع عليهما وقال اما كفانا ما وقع لنا من الحروب وهدم الدور وكلف العسكر ومساعدتهم ومحاربتنا معهم ومعكم وما قاسيناه من التعب والسهر وانفاق المال ونجازى منكم بعد هذا بهذه الافاعيل فدعونا نخرج باولادنا وعيالنا ولا نأخذ معنا شيئا ونترك لكم البلدة افعلوا بها ما شئتم فلاطفوه في الجواب واظهروا له الاهتمام بالمناداة والمنع وكتب المذكوران ايضا مكاتبات بمعنى ذلك وارسلاها الى الباشا والسيد عمر مكرم فكتبوا اوامر ناموا وحلوها اليهم بالكف والمنع وهيهات ولما وصل من وصل بالقتلى والاسرى

لملكوا ثم ان الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك في جمادى الاولى واما باغي سيان فانه لما طلع عليه النهار رجع اليه عقله وكان كالولهان فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ فقال لمن معه اين انا فقيل على اربعة فراسخ من انطاكية فندم كيف خلص سالما ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد او يقتل وجعل يتلهف ويسترجع على ترك اهله واولاده والمسلمين فلشدة ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه فلما سقط الى الارض اراد اصحابه ان يركبوه فلم يكن فيه مسكة فقد قارب الموت فتركوه وساروا عنه واجتاز به انسان ارمني كان يقطع الحطب وهو باخر رمق فقتله واخذ راسه وحمله الى الفرنج بانطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق بانا لا نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم لا نطلب سواها مكرا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب انطاكية

(ذكر مسير المسلمين الى الفرنج وما كان منهم)

لما سمع قوام الدولة كربوقا بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام واقام بمرج دابق واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسليمان بن ارتق وغيرهم من الامراء ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا لما هم فيه من الوهن وقلة الاقوات عندهم وسار المسلمون فنازلوهم على انطاكية واساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين واغضب الامراء وتكبر عليهم ظنا منه انهم يقيمون معه على هذه الحال فاغضبهم ذلك واضمروا له في انفسهم الغدر اذا كان قتال وعزموا على اسلامه عند المصدوقة واقام الفرنج بانطاكية بعد ان ملكوها اثني عشر يوما ليس لهم ما ياكلونه وتقوت الاقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر فلما راوا ذلك ارسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ما طلبوا وقال لا تخرجوا الا بالسيف وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفري والقمص صاحب الرها وبيمنت صاحب انطاكية وهو المقدم عليهم وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذي بانطاكية وهو بناء عظيم فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وعفا اثرها وامرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ادخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغي ان تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فان امرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا امهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يمكن من معاجلتهم فقتل قوم

القرصاوية ومعها الاطباء لمعالجة الجرحى وجعل لهم اماكن ومن الكبار منهم والقيالات في مكان يليق بهم وفرش لهم فرشات ورتب لهم رواتب وصرف عليهم نفقات ولوازم واستمر يتعاهدهم في غالب الايام والجراحية يترددون اليهم في كل يوم لمداواتهم كما هي عادة الافرنج مع بعضهم اذا وقع في ايديهم جرحى من العار بين فهم فعلوا بهم ذلك واكرموا الاسرى واما من وقع منهم في ايدى العسكر من المردان فانهم اختصوا بهم والبسوهم من ملابسهم وباعوهم فيما بينهم ومنهم من احتال على الخلاص من يد الفاسق بحيلة لطيفة من ذلك ان غلاما منهم قال للذي هو عنده ان لي بواصة عند قنصل الفرنساوية وهي مبلغ عشرون كيسا فرنج وقال له ارنيها فاخرج له ورقة بخطهم وهو لا يعرف ما فيها فاخذها منه وطمع في لوازها لنفسه وذهب مسرعا الى القنصل واعطاها له فلما قراها قال له لا اعطيك هذا المبلغ الا بيد الباشا ويعطيني بذلك رجعة بخطه لتخلص ذمتي فلما صاروا بين يدى الباشا اخبره القنصل فامر باحضار الغلام فلما حضر سأله الباشا فقال اريد الخلاص منه واحتلت عليه بهذه الحيلة لا توصل اليك فطلب الباشا حاكم العسكري بدراهمه وارسل الغلام الى اصحابه بالقلعة ولما انقضى امر الحرب من ناحية رشيد وانجلت الانكليز من

ثلاثة الف درهم في كل يوم فاجابه الى ذلك وحضر صحبته ياسين بك وقابلا الباشا وخلع عليهما خلعتين سمور وتولا وركبا واعيد اجنادهما بوسط البركة بالرماح وظهر من حسن رماحة سليمان اغا العجب الباشا ومن حوله من الاتراك بل اصابوه باعينهم لانه بعد انقضاء ذلك سار مع ياسين بك الى ناحية بولاق يتراكضون ويتلاعبون فاخرج طبنجته بيده اليمنى والرمح في يده اليسرى وكان زنادها مرفوعا فانطلقت رصاصتها وخرقت كفه اليسار القابض به على سرج الجواد ونفذت من الجهة الاخرى فرجع الى داره بجراحة اخشوا فيه برد حالته وذهب ياسين بك الى بولاق فبات بها في دار حسن الطويل بساحل النيل (وفيه) سافر المتسفر بالآذان قتلى الانكليز وقد وضعوها في صندوق وسافر بها على طريق الشام وصحبته ايضا شخصان من اسرى قتلى الانكليز وكتبوا عرضا بصورة الحال من انشاء السيد اسمعيل الخشاب وبالتركيه (وفيه) حضر اسمعيل كاشف الطوبجي من ناحية بحري ليقضي بعض الاغراض ثم يعود (وفي يوم الخميس ثامن عشرينه) سافر عمر بك تابع عثمان بك الاشقر وعلى كاشف بن احمد كتخدا الى ناحية القليوبية لاجل القبض على ايوب فوده بسبب دخل يدعى رذائل ينسب اليه بانه يقطع الطريق على المسافرين في البحر وكلما رست سفينة قربه حاربها

ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس

كان البيت المقدس لتاج الدولة تتش واقطعه للامير سقمان بن ارتق التركماني فلما ظفر الفرنج بالاتراك على انطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا فلما رأى المصريون ضعف الاتراك ساروا اليه ومقدمهم الافضل بن بدر الجمالي وحصروه وبه الامير سقمان وايلغازي ابنا ارتق وابن عمهما سونج وابن اخيهما ياقوتي ونصب عليه نيفا واربعين منجنيقا فهدموا مواضع من سوره وقاتلهم اهل البلد فدام القتال والحصار نيفا واربعين يوما وملكوه بالامان في شعبان سنة تسع وثمانين واربعمائة واحسن الافضل الى سقمان وايلغازي ومن معهما واجزل لهم العطاء وسيرهم فساروا الى دمشق ثم عبروا الفرات فاقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغازي الى العراق واستناب المصريون فيه رجلا يعرف بافتخار الدولة وبقي فيه الى الآن فقصده الفرنج بعد ان حصروا عكا فلم يقدروا عليها فلما وصلوا اليه حصروه نيفا واربعين يوما ونصبوا عليه برجين احدهما من ناحية صهيون واحرقه المسلمون وقتلوا كل من به فلما فرغوا من احراقه اتاهم المستغيث بان المدينة قد ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان وركب الناس السيف ولبث الفرنج في البلدة اسبوعا يقتلون فيه المسلمين واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة ايام فبذل لهم الفرنج الامان فسلموه اليهم ووفى لهم الفرنج وخرجوا ليلا الى عسقلان فاقاموا بها وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين الفا منهم جماعة كثيرة من ائمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف واخذوا من عند الصخرة نيفا واربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم واخذوا تنورا من فضة وزنه اربعون رطلا بالشامي واخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه ما لا يقع عليه الاحصاء وورد المستنفرون من الشام في رمضان الى بغداد صحبة القاضي ابي سعد الهروي فاوردوا في الديوان كلاما ابكى العيون واوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وابكوا وذكروا ما دهم المسلمين بذلك البلد الشريف المعظم من قتل الرجال وسبي الحريم والاولاد ونهب الاموال فلشدة ما اصابهم افطروا فامر الخليفة ان يسير القاضي ابو محمد الدامغاني وابو بكر الشاشي وابو القاسم الزنجاني وابو الوفا بن عقيل وابو سعد الحلواني وابو الحسين بن سماك فساروا الى حلوان فبلغهم قتل مجد الملك البلاساني على ما نذكره فعادوا من غير بلوغ ارب ولا قضاء حاجة واختلف السلاطين على ما نذكره فتمكن الفرنج من البلاد فقال ابو المظفر الابيوردي في هذا المعنى ابياتا منها

مزجنا دماء بالدموع السواجم ٭ فلم يبق منا عرضة للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه ٭ اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بني الاسلام ان وراءكم ٭ وقائع يلحقن الذرى بالمناسم

الخليفة رسولا الى السلطان بركيارق مستنفرا على الفرنج ومبالغا في تعظيم الامر وتداركه قبل ان يزداد قوة وفي هذه السنة في شعبان توفي ابو الحسن احمد بن عبد القادر ابن محمد بن يوسف ومولده سنة اثنتي عشرة واربعمائة وكان فاضلا في الحديث وفيها توفي ابو الفضل عبد الوهاب بن ابي محمد التميمي الحنبلي وكان فاضلا نصيحا وفيها في شوال توفي طراد بن محمد الزينبي وهو عالي الاسناد في الحديث وولي نقابة العباسيين من بعده ابنه شرف الدين علي بن طراد وفيها في ذي القعدة توفي ابو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء ابي القاسم بن المسلمة وكان بيته مجمع الفضلاء واهل الدين ومن جملة من كان عنده الى ان توفي الشيخ ابو اسحق الشيرازي وفيها توفي ابو الفرج سهل بن بشر ابن احمد الاسفرايني وهو من اعيان المحدثين

٥(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة)٥

٥(ذكر عصيان الامير أنز وقتله)٥

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولى الامير أنز بلاد فارس جميعها وكانت قد تغلب عليها الشوانكارة على اختلاف بطونهم وقبائلهم واستنجدوا بصاحب كرمان ايران شاه بن قاورت فاجتمعوا وصافوا الامير أنز وكسروه وعاد مفلولا الى اصبهان وأرسل الى السلطان يستأذنه في اللحاق به الى خراسان فأمره بالمقام ببلد الجبل وولاه امارة العراق وكاتب العساكر لقتاله ووقعه بقتاله فأقام باصبهان وسار منها الى أذربيجان وعاد وقد انتشر امر الباطنية باصبهان فندب نفسه لقتالهم وحصر قلعة على جبل اصبهان واتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك وكان ببغداد فسار منها الى الحلة فاكرمه صدقة وسار من عنده الى الامير أنز فلما اجتمع بالامير أنز خوفه هو وغيره من السلطان بركيارق وعظموا عليه الاجتماع به وحسنوا له البعد عنه وأشاروا عليه بمكاتبة غياث الدين محمد بن ملكشاه وهو اذ ذاك بكنجة فعزم على المخالفة للسلطان وتحدث فيه فظهر ذلك فزاد خوفه من السلطان فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس وسار من اصبهان الى الري وأرسل الى السلطان يقول انه مملوكه ومطيع ان سلم اليه مجد الملك البلاساني وان لم يسلمه فهو عاص خارج عن الطاعة فبينما هو يفطر وكانت عادته يصوم اياما من الاسبوع فلما قارب الفراغ من الافطار هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم وهم من جملة خيله فصدم احدهم المشعل فالقاه وصدم الآخر الشمعة فاطفأها وضربه الثالث بالسكين فقتله وقتل معه حاجب داره واختلط الناس في الظلمة ونهبوا خزائنه وتفرق عسكره وبقي ملقى فلم يوجد ما يحمل عليه ثم حمل الى داره باصبهان ودفن بها ووصل خبر قتله السلطان بركيارق وهو بخوار الري فقد خرج من خراسان عازما على قتاله وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة امره وفرح مجد الملك البلاساني بقتله وكان له مقتل بعده عن قريب وكان عمر أنز سبعا وثلاثين سنة وكان كثير الصوم والصلاة والخير والمحبة للصالحين

انعم الباشا على الواصلين منهم بالخلع والبقاشيش والدراهم شلنجات فضة على رؤسهم فازداد تجبرهم وتعاظمهم ولما رجع الانكليز الى ناحية الاسكندرية قطعوا السد فسالت المياه وغرقت الاراضي حول الاسكندرية (وفي يوم الاحد سابع عشره) وصل ياسين بك الى ناحية طرا وحضر ابوه الى مصر ودخل كثير من اتباعه الى المدينة وهم لابسون زي المماليك المصرية (وفيه) دخلوا برؤس القتلى من الانكليز وكانوا قطعوا آذانهم ودبغوها وملحوها ليرسلوها الى اسلامبول (وفيه) ارسل الباشا قبيالا كبيرا من الانكليز الى الاسكندرية بدلا من ابن أخي عمر بك وقد كان المذكور سافر الى الاسكندرية قبل الحادثة ليذهب الى بلاده بما معه من الاموال فعوقه الانكليز فارسلوا هذا القبيال ليرسلوا بدله ابن أخي عمر بك (وفي يوم الاثنين ثامن عشره) وصلت خيام ياسين بك وحملاته ونصبوا وطاقه جهة شبرا ومنية السيرج (وفي سادس عشرينه) وصل ياسين بك المذكور وصحبته سليمان اغا صالح وكيل دار السعادة سابقا وهو الذي كان باسلامبول وحضر بصحبته القبودان في الحادثة السابقة وتأخر عنه واستمر الى الآن ثم مع أمرائه بعد موته وكان الباشا قد أرسل له يستدعيه بامان فأجاب الى الحضور بشرط أن يجري عليه الباشا رتبة بالقرب عادته وقدره

(ذكر

دينار ثم عادوا الى القدس

(ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه)

كان السلطان محمد وسنجر أخوين لام واب أمهما أم ولد ولما مات أبوه ملكشاه كان محمد معه ببغداد فسار مع أخيه محمود وتركان خاتون زوجة والده الى أصبهان ولما حصر بركيارق أصبهان خرج محمد متنكرا ومضى الى والدته وهي في عسكر أخيه بركيارق وقصد أخاه السلطان بركيارق وسار معه الى بغداد سنة ست وثمانين وأربعمائة وأقطعه بركيارق كنجة وأعمالها وجعل معه أتابكا الامير قتلغ تكين فلما قوى محمد قتله واستولى على جميع أعمال اران التي من جملتها كنجة فعرف ذلك الوقت شهامة محمد وكان السلطان ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من فضلون بن أبي الاسوار الروادي وسلمها الى سرهنك ساوتكين الخادم واقطع فضلون استراباذ وعاد فضلون ضمن بلاده ثم عصى فيها فلما قوى فارسل السلطان اليه الامير بوزان بخار بعساكره واقطع بلاده جماعة منهم باغيسيان صاحب انطاكية ولما مات باغيسيان عاد ولده الى ولاية أبيه في هذه البلاد وتوفي فضلون ببغداد سنة أربع وثمانين وهو على غاية من الاضاقة في مسجد على دجلة وقد ذكرنا فيما تقدم تنقل الاحوال بمؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك وانه كان عند الامير انر يحسن له عصيان السلطان بركيارق فلما قتل أنر سار الى الملك محمد فاشار عليه بمخالفة أخيه والسعي في طلب السلطنة ففعل ذلك وقطع خطبة بركيارق من بلاده وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيد الملك واتفق قتل مجد الملك البلاساني واستيحاش العسكر من السلطان بركيارق وفارقوه وساروا نحو السلطان محمد فلقوه بخرقان فصاروا معه وساروا نحو الري وكان السلطان بركيارق لما فارقه عسكره سار محمد الى الري فأتاه بها الامير ينال بن أنوشتكين الحسامي وهو من أكابر الامراء ووصل اليه أيضا عز الملك منصور بن نظام الملك وأمراء نعمت الملك الابخاز ومعهما كرجة قبلهم سير أخيه محمد اليه في العساكر فسار من الري الى اصبهان فلم يفتح أهلها له الابواب فسار الى خوزستان على ما نذكره ووصل السلطان محمد الى الري ثاني ذي القعدة فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركيارق قد تخلفت بعد ابنها فأخذها مؤيد الملك وحبسها في القلعة وأخذ خطها بخمسة آلاف دينار وأراد قتلها وأشار عليه ثقاته ان لا يفعل ذلك فلم يقبل منهم وقالوا له العسكر يحبون ولدها وانما استوحشوا منه لاجلها ومتى قتلت عدلوا اليه فلا تغتر بهؤلاء الجند فانهم غدروا بابن احسن اليهم أوثق ما كان يوم فلم يصغ الى قولهم ورفعها الى القلعة وخنقت وكان عمرها اثنتين وأربعين سنة فلما أسر السلطان بركيارق مؤيد الملك رأى خطه في تذكرة بخمسة آلاف دينار فكان أعظم الاسباب في قتله

(ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد)

لما قوى أمر السلطان محمد سار اليه سعد الدولة كوهرائين من بغداد وكان قد استوحش

يغفر ذنبه ولا تقال عثرته ويتبرأ منه كل من يعرفه وكذلك فعلوا على القلقات الذين يعرفونهم الضوابط المتقيدين بأبواب المدينة مثل باب النصر وباب الفتوح والبرقية والباب الحديد فمنع النساء من الخروج خوفا من خروج النساء القبالي وذهابهن الى أزواجهن واتفق انهم قبضوا على شخص في هذه الايام يريد السفر الى ناحية قبلي ومعه تلبيس ففتشوه فوجدوا بداخله اوراقا كتب ونعالا انه عربية ومغربية التي تسمى بالبلغ فقبضوا عليه واتهموه انه يريد الذهاب بذلك الى الامراء واتباعهم فتبرأ منه ذلك وغيره وقبضوا عليه وحبسوه واستمر محبوسا وكذلك اتفق ان الوالي ذهب الى جهة القرافة وقبض على اشخاص من التربية الذين يدفنون الموتى واتهمهم بأن بعض اتباع الامراء القبالي يخرجون اليهم بالامتعة لاسيادهم ويخفونها عندهم بداخل القبور حتى يرسلوها الى اسيادهم في الغفلات وضربهم وهجم على دورهم فلم يجد بها شيئا واجتمع عليه خدام الاضرحة واهل القرافة وشنعوا عليه وكادوا يقتلونه فهرب منهم وحضر واقف صحبها عند السيد عمر والمشايخ يشكون من الوالي وما فعله مع الحفارين ونحو ذلك فاعجب لهذا التناقض (وفيه) وصل مكتوب من كبير الانكليز الذي بالاسكندرية مضمونه طلب الاسرى من الانكليز والوصية بهم

أتهويمة فى ظل أمن وغبطة ٭ وعيش كنوار الخميلة ناعم

وكيف تنام العين ملء جفونها ٭ على هفوات أيقظت كل نائم

واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم ٭ ظهور المذاكى أو بطون القشاعم

تسومهم الروم الهوان وانتم ٭ تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

وكم من دماء قد ابيحت ومن دمى ٭ توارى حياء حسنها بالمعاصم

بحيث السيوف البيض محمرة الظبا ٭ وسمر العوالى داميات اللهاذم

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة ٭ تظل لها الولدان شيب القوادم

وتلك حروب من يغب عن غمارها ٭ ليسلم يقرع بعدها سن نادم

سللن بأيدى المشركين قواضبا ٭ ستغمد منهم فى الطلى والجماجم

يكاد لهن المستجن بطيبة ٭ ينادى بأعلى الصوت يا آل هاشم

أرى أمتى لا يشرعون الى العدا ٭ رماحهم والدين واهى الدعائم

ويجتنبون النار خوفا من الردى ٭ ولا يحسبون العار ضربة لازم

أترضى صناديد الاعاريب بالأذى ٭ ويغضى على ذل كماة الأعاجم

ومنها

فليتهم اذ لم يذودوا حمية ٭ عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

وان زهدوا فى الأجر اذ حمس الوغى ٭ فهلا أتوه رغبة فى الغنائم

لئن اذعنت تلك الخياشيم للبرى ٭ فلا عطسوا الا باجدع راغم

دعوناكم والحرب ترنو ملحة ٭ الينا بالحاظ النسور القشاعم

تراقب فينا غارة عربية ٭ تطيل عليها الروم عض الاباهم

فان انتم لم تغضبوا بعد هذه ٭ رمينا الى أعدائنا بالجرائم

٭(ذكر الحرب بين المصريين والفرنج)٭

فى هذه السنة فى رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج وسببها ان المصريين لما بلغهم ما تم على أهل القدس جمع الافضل أمير الجيوش العساكر وحشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهددهم فاعاد والرسول بالجواب ورحلوا على أثره وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ولم يكن عند المصريين خبر من وصولهم ولا من حركتهم ولم يكونوا على أهبة القتال فنادوا الى ركوب خيولهم ولبسوا أسلحتهم وأعجلهم الفرنج فهزموهم وقتلوا منهم من قتل وغنموا ما فى العسكر من مال وسلاح وغير ذلك وانهزم الافضل فدخل عسقلان ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز وكان هناك كثيرا فاحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه وعاد الافضل فى خواصه الى مصر ونازل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة اثنى عشر ألف دينار وقيل عشرين ألف

ونهبت أمتعتها من بضائع التجار وأموالهم أو اتهموهم يفتدون أنفسهم منه بما يرضيه من المال فكثر تشكى الناس منه فيرسلون الى ايوب فوده كبير الناحية فيتبرأ منه فلما زاد الحال عينوا من ذكر للقبض عليه وقتله فبلغه الخبر فهرب من بلده ابناس فلما وصلوا الى محله فلم يجدوه فاحاطوا بموجوداته وغلاله وبهائمه وماله من المواشى والودائع بالبلاد فلما جرى ذلك حضر الى السيد عمر وصالح على نفسه بثلثمائة كيس ورجع الحال الى حاله وذلك خلاف ما أخذه المعينون من الكلف والمغارم من البلاد التى مروا اليها واقاموا فيها واستحوا عليها (وفيه) حضر الكثير من اهل رشيد بحريمهم واولادهم ورحلوا عنها الى مصر (وفيه) حضر كتخدا القاضى من عند الامراء القبالى واخبرانهم محتاجون الى مراكب لحمل الغلال الميرية والذخيرة فهيأ الباشا عدة مراكب وارسلها اليهم ومع هذا الله ودقوا انطهار المصالحة والمسالمة يمنعون ويحجزون من يذهب اليهم من دورهم بثياب ومتاع وكذلك يمنعون المتسببين والباعة الذين يذهبون بالمتاجر والامتعة التى يبيعونها عليهم واذا وقعوا بشخص او غمزوا عليه عند الحاكم او صادفه بعض العيون المترقبة عليه قبضوا عليه ونهبوا امتعته وعاقبوه وحبسوه ونهبوا داره وضربوه ولا

الخليفة وهو من أصحاب إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ومولده سنة خمسين وأربعمائة
واعتنى بأمره مجد الملك البلاساني وقام له الوزير عميد الدولة بن جهير لما دخل عليه وفيها
قتل أبو القاسم بن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور وكان خطيبها واتهم
العامة أبا البركات الثعلبي بأنه هو الذي سعى في قتله فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه وفيها
كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الأقوات ودام سنتين وكان سببه أن البرد أهلك
الزروع جميعها ولحق الناس بعده وباء جارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم
لكثرتهم وفيها في شعبان توفي أبو الغنائم الفارقي الفقيه الشافعي بجزيرة ابن عمر وكان
إماما فاضلا زاهدا وفيها في صفر توفي أبو عبد الله الحسن بن طلحة النعالي وعمره نحو
تسعين سنة وكان عالي الإسناد في الحديث وقيل توفي سنة ثلاث وتسعين وفيها في شعبان
توفي أبو غالب محمد بن علي بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي تفقه على ابن عمه أبي
نصر وكان حسن الخلق متواضعا

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة)

(ذكر إعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد)

في هذه السنة أعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداد وسبب ذلك أن بركيارق سار في
العام الماضي من الري إلى خوزستان فدخلها هو وجميع من معه على حال سيئة وكان أمير
عسكره حينئذ ينال بن أنوشتكين الحسامي وأتاه غيره من الأمراء وسار إلى واسط فظلم
عسكره الناس ونهبوا البلاد واتصل به الأمير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ووثب على
السلطان قوم ليقتلوه فأخذوا وأحضروا بين يديه فاعترفوا أن الأمير سرمز شحنة أصبهان
وضعهم على قتله فقتل أحدهم وحبس الباقون وسار إلى بغداد فدخلها سابع عشر
صفر وخطب له ببغداد يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومين وكان سعد الدولة
كوهرائين بالشفيعي وهو في طاعة السلطان محمد فسار إلى داي مرج ومعه إيلغازي بن
أرتق وغيره من الأمراء فأرسل إلى مؤيد الملك والسلطان محمد يستحثهما على الوصول
إليه فأرسلا إليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فأما جكرمش
فاستأذن كوهرائين في العود إلى بلده وقال إنه قد اختلت الأحوال فأذن له وبقي
مع كوهرائين جماعة من الأمراء فاتفقوا على أن يصدروا عن رأي واحد ولا يختلفوا
ثم اتفقت آراؤهم على أن كتبوا إلى السلطان بركيارق يقولون له اخرج إلينا فإننا من
إقبالك وكان الذي أشار بذا كربوقا وقال لكوهرائين إننا لم نظفر من محمد ومؤيد الملك
بطائل وكان منحرفا عن مؤيد الملك فسار بركيارق إليهم فترجلوا وقبلوا الأرض وعادوا
معه إلى بغداد وأعاد إلى كوهرائين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودواب وغير ذلك
واستوزر بركيارق ببغداد الأعز أبا المحاسن عبد الجليل بن علي بن محمد الدهستاني
وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بما حصل من ديار بكر والموصل
لما تولاها هو وأبوه أيام ملكشاه فاستقر الأمر على مائة ألف دينار وستين ألف دينار

بعد أن وضعوا منزلته ورتبته عندهم فلما رجع إلى مصر خلى سبيله الباشا ولم يجتمع مع الانكليز بل أطلق له
الاذن أيضا في الرجوع إلى
الاسكندرية أو إلى بلاد حيث
أحب واختار (وفي منتصفه)
اشتد وحش الباشا من ياسين
بك وضاق خناقه منه وذلك
أنه لما حضر إلى مصر وخلع
عليه الباشا ودفع له ما
كان وعده به من الاكياس
وقدم له تقادم وانعامات
على أنه يسافر إلى الاسكندرية
لمحاربة الانكليز وطلب
مطالب كثيرة له ولاتباعه
وأخذ لهم الكساوي
والسراويلات وأخذ جميع
ما كان عند حجي باشا من
الاقمشة والخيام والجمال
والاحتياجات من القرب
وروايا الماء ولوازم العسكر
في سفر البر والاقامة والمحاصرة
إلى غير ذلك وقلد أتباعه كشوفية
الشرقية وخرج هو بعرضيه
وخيامه إلى ناحية الحلي
ببولاق فانضم إليه الكثير من
العسكر والدلاتية وغيرهم
وصار كل من ذهب إليه يكتبه
في جملة عسكره فاجتمع عليه
كل عاص وأزعر ومخالف
وعاق وصرح بالخلاف وتطلعت
نفسه للرياسة وكلما أرسل
إليه الباشا يرده وينهاه عن
فعله يعرض عن ذلك ويداخله
الغرور وانتشرت أوباشه
يعبثون في النواحي وبث
الكاشف عنده في القرى والبلدان
وعينهم كجمع الأموال والمغارم الخارجة عن المعقول ومن خالفهم نهبوا قريته وأحرقوها وأخذوا أهلها

واكرامهم كانهم يفعلون بالاسر نحو العسكر ٢٠ ، فانهم لما دخلوا الى الاسكندرية اكرموا من كان بها منهم واذنوا لهم بالسفر

من السلطان بركيارق فاجتمع هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة وسرخاب بن بدر صاحب كنكور وغيرهم فاشاروا الى السلطان محمد فلقوه بقم فرد سعد الدولة الى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش في خدمته الى اصبهان ولما وصل كوهرائين الى بغداد خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمد فاجاب الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة ولقب غياث الدنيا والدين

(ذكر قتل مجد الملك البلاساني)

قد ذكرنا تحكم مجد الملك ابى الفضل سعد بن محمد في دولة السلطان بركيارق وتمكنه منها فلما بلغ الغاية التى لا مزيد عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لا يحتسب واما سبب قتله فان الباطنية لما توالى منهم قتل الامراء الاكابر من الدولة السلطانية نسبوا ذلك اليه وانه هو الذى وضعهم على قتل من قتلوه وعظم ذلك قتل الامير برسق فاتهم اولاده زنكى واقبورى وغيرهما مجد الملك بقتله وفارقوا السلطان وسار السلطان الى زنجان لانه بلغه خروج السلطان محمد عليه على ما ذكرناه فجمع حينئذ الامراء فارسل اميرآخر و بلكابك وطغايرك بن اليزن وغيرهم الى الامراء بنى برسق يحضرونهم اليهم ليتفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك اليهم ليقتلوه فحضروا عندهم فارسلوا الى السلطان بركيارق وهم بسجاس مدينة قريبة من همذان يلتمسون تسليمه اليهم ووافقهم على ذلك العسكر جميعه وقالوا ان سلم الينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة وان منعنا فارقنا واخذناه قهرا فامتنع السلطان منه فارسل مجد الملك الى السلطان يقول له المصلحة ان تحفظ امراء دولتك وتقتلني انت لئلا يقتلني القوم فيكون فيه وهن على دولتك فلم تطب نفس السلطان بقتله وارسل اليهم يستحلفهم على حقن دمه وحبسه في بعض القلاع فلما حلفوا اسلمه اليهم فقتله الغلمان قبل ان يصل اليهم فسكنت الفتنة ومن العجب انه كان لا يفارقه كفنه سفرا وحضرا ففي بعض الايام فتح خازنه صندوقا فرأى الكفن فقال وما اصنع بهذا ان امرى لا يؤول الى كفن والله ما بقي الاطريحا على الارض فكان كذلك وربما كان يقول انا الشهيد ولما قتل حمل رأسه الى مؤيد الملك بن نظام الملك وكان مجد الملك خيرا كثير الصلاة بالليل كثير الصدقة لا سيما على العلويين وارباب البيوتات وكان يكره سفك الدماء وكان يتشيع الا انه كان يذكر الصحابة ذكرا حسنا ويلعن من يسبهم ولما قتل ارسل الامراء يقولون للسلطان المصلحة ان تعود الى الرى ونحن نمضى الى اخيك فنقاتله ونقضى هذا المهم فسار بعد امتناع ومعه مائة فارس لا غير ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع اصحابه وعاد الى الرى وسار العسكر الى السلطان محمد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شعبان وصل الكيا ابو الحسن على بن محمد الطبرى المعروف بالهراس الفقيه الشافعى ولقبه عماد الدين شمس الاسلام برسالة من السلطان بركيارق الى

بمتاعهم واحوالهم الى حيث شاؤا وكذلك من اخذوه اسيرا في حرابه رشيد

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم السبت سنة ١٢٢٢) فيه كتبوا الكبير الانكليز جوابا عن رسالته (وفي يوم السبت خامس عشره) حضر غلى كشف النكبير الالفى بكلام من طرف شاهين بك الالفى يعتذر عن التاخير الى هذا الوقت واتم على صلحهم واتفاقهم الاول وحضورهم الى ناحية الجيزة وبات تلك الليلة في بيته بمصر ثم اقام ثلاثة ايام ورجع الى مرسله وصحبته سليمان اغا الوكيل (وفيه) حضر عابدين بك اخو حسن باشا من ناحية بحرى وحضر ايضا في اثره احمد اغا لاظ وغيره من ناحية بحرى وقالوا انهم ذهبوا خلف الانكليز الى قرب مدينة النصر فخرج عليهم طائفة الانكليز من البر والبحر وضربوا عليهم مدافع ونيرانا كثيرة فولوا راجعين وحضروا الى مصر (وفيه) حضر ايضا القبطان الانكليزى الذى كان ارسل بدلا عن ابن اخى عمر بك وقيل انه ابن اخى صالح قوش فلما وصل اليهم اجابوا بان المذكور سافر مع من سافر الى الروم

بمتاعهم وامروا لهم قبل الواقعة وحيث لم يكن المطلوب موجودا فلا وجه لابقاء الانكليزى المذكور فردوه

لما انهزم السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد سار قليلا وهو في خمسين فارسا ونزل
ليلة واستراح وقصد الري وارسل الى من كان يعلم انه يريده ويؤثر دولته فاستدعاه
فاجتمع معه جمع صالح فسار الى اسفراين وكاتب أميرداذ حبشي بن التونتاق وهو
بدامغان يستدعيه فاجابه يشير عليه بالمقام بنيسابور حتى ياتيه وكان بيده حينئذ أكثر
خراسان وطبرستان وجرجان فلما وصل بركيارق الى نيسابور قبض على رؤسائها ثم
اطلقهم بعد ذلك وعمل بعميد خراسان أبي محمد وأبي القاسم بن أبي المعالي
الجويني فاما أبو القاسم فمات مسموما في قبضه وقد قدمنا انه قتل سنة اثنتين وتسعين
وعاد بركيارق فاستدعى أميرداذ فاعتذر بقصد السلطان سنجر بلاده في عساكر بلخ
وسأل السلطان بركيارق ان يصل اليه ليعينه على الملك سنجر فسار اليه في ألف فارس
فلم يعلم بقدومه الا الامراء الكبار من أصحاب سنجر ولم يعلم الاصاغر لئلا ينهزموا وكان مع
الاميرداذ عشرون ألف فارس فيهم من رجالة الباطنية خمسة آلاف ووقع المصاف بين
بركيارق وأخيه سنجر خارج النوشجان وكان الامير برغش في ميمنة سنجر والامير
كندكز في ميسرته والامير رستم في القلب فحمل بركيارق على رستم فطعنه فقتله وانهزم
اصحابه وأصحاب سنجر واشتغل العسكر بالنهب فحمل عليهم برغش وكندكز فقتلا
المنهزمين وانهزم الرجالة الى مضيق بين جبلين فارسل عليهم الماء فاهلكهم ووقعت
الهزيمة على أصحاب بركيارق وكان قد اخذ والدة أخيه سنجر لما انهزم أصحابه أولا
فخافت ان يقتلها بامه فاحضرها وطيب قلبها وقال انما اخذتك حتى يطلق اخي سنجر
من عنده من الاسرى ولست كفؤا لوالدتي حتى اقتلك فلما اطلق سنجر الاسرى اطلقها
بركيارق وهرب اميرداذ الى بعض القرى واخذه بعض التركمان فاعطاهم في نفسه مائة
ألف دينار فلم يطلقوه وحملوه الى برغش فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى دامغان
وسار في البرية وروي في بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارسا وجازة واحدة ثم كثر جمعه
وصار معه ثلاثة آلاف فارس منهم جاولي سقاوو وغيره وسار الى اصبهان بمكاتبة من
اهلها فسمع السلطان محمد فسبقه اليها فعاد الى همذان

(ذكر فتح تميم بن المعز مدينة صفاقس)

في هذه السنة فتح تميم بن المعز مدينة صفاقس وكان صاحبها حمو قد عاد تغلب عليها
واستبد بها وسبب ذلك ان حمو هذا كان عنده قد قصده وهو من كتاب المعز كان حسن الرأي والتدبير
فاستقامت به دولته وعظم شأنه فارسل اليه تميم يطلبه ليستخدمه ووعده وبالغ في
استمالته فلم يقبل فسير تميم جيشا الى حصار صفاقس وامر الامير الذي جعله مقدم
الجيش ان يهدم ما حول المدينة ويحرقه ويقطع الاشجار سوى ما يتعلق بذلك الوزير فانه
لا يتعرض اليه ويبالغ في صيانته ففعل ذلك فلما رأى حمو ما فعل بأملاك الناس
اتهم الوزير فقتله فاختل نظام دولته وتسلم تميم المدينة وخرج حمو منها وقصد
مكن بن كامل الدهماني فاقام عنده فاحسن اليه ولم يزل عنده حتى مات

واستقر بها واما ابوه فانه التجأ الى شيخ قلي وبه الشوارق فاختفى امانوا احضر في ثاني يوم الى الباشا فالبسه
فروة وامره ان يلحق بابنه
فنزل الى بولاق ونزل في مركب
مسافرا (وفي يوم الاثنين رابع
عشريه) عين الباشا عسكرا
ورؤساء عساكر وخيالة
واصحبهم مدافع وجملة
من عربان الحويطات لحروب
ياسين بك ومحاربته ولما
نزل ياسين بك بناحية التبين
نهب قرى الناحية باسرها
مثل التبين وحلوان وطرا
والمعصرة والبساتين وفعلوا
بها افاعيلهم الشنيعة من
السلب والنهب واخذ النساء
ونهب الاجران والغلال
والاتبان والمواشي واخذ
الكلف الشاقة ومن عجز عن
شئ من مطلوباتهم احرقوه بالنار
(وفي يوم الخميس) رجع العسكر
والعربان الذين كانوا ذهبوا
لمحاربة ياسين بك وذلك انهم
لما قربوا منه وطاقهم ارتحل
الى صول والبرنبل فولوا
راجعين وحمولا في ذهابهم
وايابهم تدمير القرى (وفيه)
ورد قاصد قابجي من اسلامبول
وعلى يده مرسوم بالبشارة
بولاية السيد على باشا
قبودان القبو تمصوثار بجهة
خوالاتة اشهر فضربوا لقدومه
المدافع من القلعة (وفي
يوم السبت تاسع عشريه)
رجع سليمان اغا من فيتلي (?)
الى مصر واخبر بخبر قدوم
الامراء المصريين وان شاهين بك وصل الى زاوية المصلوب وابراهيم بك جهة قبلي العروس وانهم يستدعون

بحماها اليه وخلع الخليفة على السلطان بركيارق

(ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارق ومحمد واعادة خطبة محمد ببغداد)

في هذه السنة سار بركيارق من بغداد الى شهرزور فاقام بها ثلاثة ايام والتحق به عالم كثير من التركمان وغيرهم وسار نحو اخيه السلطان محمد ليحاربه فكاتبه رئيس همذان ليسير اليها وياخذ اقطاع الامراء الذين مع اخيه فلم يفعل وسار نحو اخيه فوقع الحرب بينهم رابع رجب وهو المصاف الاول بين بركيارق واخيه السلطان محمد باسبيذروذ ومعناه النهر الابيض وهو على عدة فراسخ من همذان وكان مع محمد نحو عشرين الف مقاتل وكان محمد في القلب ومعه الامير سرمز وعلى ميمنته امير آخر وابنه اياز وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية وكان السلطان بركيارق في القلب ووزيره الاعز ابو المحاسن وعلى ميمنته كوهرائين وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وعلى ميسرته كربوقا وغيره فحمل كوهرائين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد وبها مؤيد الملك والنظامية فانهزموا ودخل عسكر بركيارق في خيامهم فنهبوهم وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت الميسرة وانضافت ميمنة محمد اليه في القلب على بركيارق ومن معه فانهزم بركيارق ووقف محمد مكانه وعاد كوهرائين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديه فكبا به فرسه فاتاه خراساني فقتله واخذ رأسه وتفرقت عساكر بركيارق وبقي في خمسين فارسا واما وزيره الاعز ابو المحاسن فانه اخذ اسيرا فاكرمه مؤيد الملك بن نظام الملك ونصب له خيما وخركاه وحمل اليه الفرش والكسوة وضمنه عمادة بغداد واعاده اليها وامره بالمخاطبة في اعادة الخطبة للسلطان محمد ببغداد فلما وصل اليها خاطب في ذلك فاجيب اليه وخطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب

(ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين)

في هذه السنة في رجب قتل سعد الدولة كوهرائين في الحرب المذكورة قبل وكان ابتداء امره انه كان خادما للملك ابي كاليجار بن سلطان الدولة بن بويه انتقل اليه من امرأة من قرقوب بخوزستان وكان اذا توجه الى الاهواز حضر عندها واستعرض حوائجها واصاب اهلها منه خيرا كثيرا فارسله ابو كاليجار مع ابنه ابي نصر الى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه الى قلعة طبرك فلما مات ابو نصر انتقل الى خدمة السلطان الب ارسلان ووقاه بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمي وكان الب ارسلان قد اقطعه واسط وجعله شحنة ببغداد فلما قتل الب ارسلان ارسله ابنه ملكشاه الى بغداد فاحضر له الخلع والتقليد ورأى ما لم ير خادم قبله من نفوذ الامر وعموم القدرة وطاعة اعيان الامراء وخدمتهم اياه وكان حليما كريما حسن السيرة لم يصادر احدا من اهل ولايته ومناقبه كثيرة

(ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من اخيه سنجر ايضا وقتل امير داذ حبشي)

اسرى فعند ذلك اخذ الباشا في التدبير ١٣٢ عليه واستمال العسكر المتحزبين اليه وحل عرى رباطاته فلما كان في ليلة

الاربعاء تاسع عشره امر عساكر الارنؤود بالاجتماع والخروج الى ناحية بولاق فخرجوا باجمعهم الى نواحي السبتية والخندق واطلال ابنيته وبين بولاق ومصر (وفي ليلة السبت) ركب الباشا بجنوده وخرج الى تلك الناحية وحصن ابواب المدينة بالعساكر وايقن الناس بوقوع الحرب بين الفريقين وارسل الباشا الى ياسين بك يقول له ان تستمر على الطاعة وتطرد عنك هذه الهموم وتكون من جملة كبار العسكر والا تذهب الى بلادك والا فانا واصل اليك ومحاربك فعند ذلك داخله الخوف وانحلت عزائم جيوشه وتفرق الكثير منهم فلما كان بعد الغروب طلب الركوب ولم يعلم عسكره اين يريد فركب الجميع وهم ثلاثة طوابير واشتبهت عليهم الطرق في ظلام الليل فسار هو بفريق منهم الى ناحية الجبل على طريق حلق الجرة وفرقة سارت الى ناحية بركة الحاج والثالثة ذهبت على طريق القليوبية وفيهم ابو فلما علم الباشا بركوبهم ركب خلفهم وذهب خلف الطائفة التي توجهت الى ناحية البركة حصة فلما علموا انفرادهم من اميرهم بعدوا متفرقين في النواحي ورجع الباشا الى داره ولم يزل ياسين بك في سيره حتى نزل بمن معه في التبين

وفيها أيضا انحاست الاسعار بالعراق وكان السكر الحنطة قد بلغ سبعين دينارا وربما زاد كثيرا في بعض الاوقات وانقطعت الامطار ويبست الانهار وكثر الموت حتى عجزوا عن دفن الموتى فحمل في بعض الاوقات ستة اموات على نعش واحد وعدمت الادوية والعقاقير وفيها اتى دير جيسار بنند الفرنجي صاحب انطاكية الى قلعة فامية فحصرها وقاتل أهلها اياما وافسد زروعها ثم رحل عنها وفيها في آخر رمضان قتل الامير بلكابك سرمز باصبهان بدار السلطان محمد وكان كثير الاحتياط من الباطنية لا يفارقه لبس الدرع ومن يمنع عنه فلم يلبس ذلك اليوم درعا ودخل دار السلطان في قلة فقتله الباطنية فقتل واحد ونجا آخر وفيها توفي أبو الحسن البسطامي الصوفي ورباطه مشهور على دجلة غربي بغداد بناه أبو الغنائم بن المحلبان وفيها مات أبو نصر بن ابي عبد الله بن جردة واصله من عكبرا واليه ينسب مسجد ابن جردة وخرابة ابن جردة ببغداد وفيها توفي أبو علي يحيى بن جزلة الطبيب وكان نصرانيا فأسلم وهو مصنف كتاب المنهاج وفيها في شوال توفي عبد الرزاق الصوفي الغزنوي المقيم برباط عتاب وعمره عدة حجات على التجريد ولم يخلف ما يكفن فيه فقالت زوجته اذا مت افتضحنا قال لم نفتضح قالت لانك ليس لنا ما نكفن فيه فقال انما الفضيحة اذا خلفت ما اكفن فيه وفيها في رمضان توفي عز الدولة أبو المكارم محمد بن سيف الدولة صدقة بن مزيد

(ثم دخلت سنة اربع وتسعين واربعمائة)

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك)

في هذه السنة ثالث جمادى الآخرة كان المصاف الثاني بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وقد ذكرنا سنة ثلاث وتسعين انهزام السلطان بركيارق من اخيه السلطان محمد وتنقله في البلاد الى اصبهان وانه لم يدخلها وسار منها الى خوزستان واتى عسكر مكرم فاتاه الاميران زنكي والبكي ابنا برسق وصارا معه واقام بها شهرين وسار منها الى همذان فاتصل به الامير اياز وكان سبب ذلك ان امير آخر قد مات مؤيد الملك بن نظام الملك بن فخر الملك ووزيره وقوي ذلك عنده انه لما قتل الوزير ابو المحاسن ابن مظفر بن قتلان اياز باتهامه بقتله وكان ايازده قد اتخذه امير آخر ولدا واتصل به العسكر ووصى له بجميع ماله فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان بركيارق واتصل به ومعه خمسة آلاف فارس وصار من جملة عسكره وسار السلطان محمد الى لقاء أخيه فلما تقارب العسكران استأمن الامير سرخاب بن كيخسرو صاحب آوة الى السلطان بركيارق فاكرمه ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة وكان مع السلطان بركيارق خمسون الفا ومع اخيه السلطان محمد خمسة عشر الفا فالتقوا فاقتتلوا يومهم اجمع وكان النفر بعد النفر يستأمنون من عسكر محمد الى بركيارق فحسن اليهم ومن العجب الدال على اقبال بركيارق ان جماعة خرجوا الى تراس فوصل اليه يوم المصاف بكرة ثمانية عشر حملا سلاحا من همذان منها ثمانية احمال تراس ففرقت فيهم

زائدو ومنزلة أهدوا اليه ما لا يليق به ويتلقوه بالفرش والادوات اللازمة وخصوصا اذا كان حضر في ارجمم او لتقرير المتولي على السنة الجديدة او بصحبته خلع رضا وهدايا فانه يقابل بالاعزاز الكبير وشاع خبره قبل وروده الى الاسكندرية وتلقى المبشرون بوروده من الخاطر قبل خروجه من دار السلطنة بنحو شهر او شهرين ويأخذون خدمتهم ويناديهم بالاكياس واذا وصل خرجوا فتلقوه في موكب جليل وحملوا له ديوانا ومدائح وشكروا ونزل في المنزل المعد له واقبلت عليه التقادم والهدايا من المتولي واعيان دولته ورتب له الرواتب والمصاريف قبلا كله هو واتباعه لمخلفه وشراب حانته ايام مكثه شهرا او شهورا ثم يعطى من الاكياس قدرا عظيما وذلك خلاف هدايا الترحيلة من قدور الشربات المتنوعة والسكر المكرر وانواع الطيب كالعود والعنبر والاقمشة الهندية والمقصبات لنفسه ورجال دولته وان كان دون ذلك انزلوه بمنزل بعض الاعيان باتباعه وخدمه ومتاعه في اعز مجلس ويقوم رب المنزل بمصروفهم ولوازمهم وكلفهم وما تستدعيه شهوات انفسهم ويرون ان لهم المنة عليه بنزولهم عنده ولا يرون له فضلا بل ذلك واجب عليه وفرض يلزمه القيام بجميع الناس عليه وعلى اتباعهم وعلاوة على ذلك ورثاء اخذ خدمته وبقبض اكياسهم وبعد ذلك كله يلزم

اليوم مصطفى أغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي (واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الاثنين سنة ١٢٢٢)

فيه سافر مصطفى أغا والصابونجي الى جهة قبلي وصحبتهما كتخدا القاضي (وفي سادسه) وصل مخصص ططري وعلى يده مرسوم فعمل الباشا ديوانا وقرأ المرسوم بحضرة الجمع مضمونه ان العرضي الهمايوني الموجه لحرب الموسكوب خرج من اسلامبول وذهب الى ناحية أدرنه وان العساكر سارت لمحاربة الاعداء ويذكرون فيه أن بشائر النصر حاصلة وقد وصل رؤس قتلى واسرى كثيرة بقوانه بلغ الدولة ورود نحو الاربع عشرة قطعة من المراكب الى ثغر الاسكندرية وان الكلاشين بالثغر تراخوا في حربهم حتى طلعوا الى الثغر فمن اللازم الاهتمام وخروج العساكر لحربهم ودفعهم وطردهم عن الثغر وقد ارسلنا البيورلديات الى سليمان باشا والى صيدا والى يوسف باشا والى الشام بتوجيه العساكر الى مصر للمساعدة وان لزم الحال لحضور المذكورين انفسهم للمساعدة على دفع العدو الى آخر ما نمقوه وسطروه ومحل القصد من وروده هذه البيورلديات والفرمانات والاغوات والقبجيات انما هو المنفعة لهم عينا يأخذونه من مخاديمهم بحق طريقهم من الفراهم والتقادم والهدايا فان القادم منهم اذا ورد استعد والقدوم فان كان

(ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته)

لما أطلق مؤيد الملك وزير السلطان محمد الأعز أبا المحاسن وزير بركيارق وضمنه عمادة بغداد أمره ان يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جهير فسار من العسكر وسمع عميد الدولة الخبر فأمر الاصبهبذ صباوة بن خمارتكين بالخروج الى طريق الاعز وقتله وكان الاصبهبذ قد حضر الحرب مع بركيارق ولما انهزم العسكر قصد بغداد فخرج الى طريق الاعز الى الطاسق فلقيه قريبا من يعقوبا فأوقع بمن معه ووصل الاعز الى القرية واحتمى فلما رأى الاصبهبذ صباوة ذلك ارسل اليه يقول له انت وزير السلطان بركيارق وانا مملوكه فان كنت على خدمته فاخرج الينا حتى نسير الى بغداد ونقيم الخطبة للسلطان وانت الصاحب الذي لا نخالف وان لم تجب الى هذا فما بيننا غير السيف فأجابه الاعز الى ذلك واجتمعا فعرف صباوة الذي أمره به عميد الدولة من قتله وباتا تلك الليلة ورحل الاعز الى الامير ايلغازي بن ارتق وكان قد ورد في صحبته وفارقه بنحو الراذان فغرق في السيل فانقطع حينئذ امل صباوة منه وفارقه وسار الاعز الى بغداد وخاطب في عزل عميد الدولة فعزل في رمضان واخذ من ماله خمسة وعشرون الف دينار وقبض عليه وعلى اخوته وبقي معزولا الى سادس عشر شوال فتوفي محبوسا في دار الخلافة ومولده في المحرم سنة خمس وثلاثين واربعمائة وكان عاقلا كريما حليما الا انه كان عظيم الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان اذا كلم انسانا كلمات يسيرة هنأ ذلك الرجل بكلامه

(ذكر ظفر المسلمين بالفرنج)

في ذي القعدة من هذه السنة لقي كمشتكين بن الدانشمند طايلو وانما قيل له ابن الدانشمند لان اباه كان معلما للتركمان وتقلبت به الاحوال حتى ملك وهو صاحب ملطية وسيواس وغيرهما بيمند الفرنجي وهو من مقدمي الفرنج قريب ملطية وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه اليه فورد عليه في خمسة آلاف فلقيهم ابن الدانشمند فانهزم بيمند واسر ثم وصل من البحر سبعة قمامصة من الفرنج وارادوا تخليص بيمند فأتوا الى قلعة تدعى انكورية فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين وساروا الى قلعة أخرى فيها اسمعيل بن الدانشمند وحصروها فجمع ابن الدانشمند جمعا كثيرا ولقي الفرنج وجعل له كمينا وقاتلهم وخرج الكمين عليهم فلم يفلت احد من الفرنج وكانوا ثلثمائة الف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلا وافلتوا مجروحين وسار ابن الدانشمند الى ملطية فملكها وأسر صاحبها ثم خرج اليه عسكر الفرنج من انطاكية فلقيهم وكسرهم وكانت هذه الوقائع في شهور قريبة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة زاد أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد في شعبان وعظم ضررهم فأمر الخليفة كمال الدولة يمن بتهذيب البلد فأخذ جماعة من اعيانهم وطلب الباقين فهربوا

لما بلغهما قرب من محمد جد في المسير اليه وطوى المنازل ليعاجله قبل ان يجمع جموعه وعساكره فلما قارب اصطخر سار من مكانه وقد طمع فيه من كان يهابه وايس منه من كان يرجوه فقصد نحو همذان ليجتمع هو واياز فبلغه ان اياز قد راسل السلطان محمدا ليكون معه ومن جملة أعوانه خوفا على ولايته وهي همذان وغيرها فلما سمع ذلك عاد عنها وقصد خوزستان فلما قرب من تستر كاتب الامراء بني برسق يستدعيهم اليه فلم يحضروا لما علموا ان اياز لم يحضر وللخوف من السلطان محمد فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان أتاه رسول الامير اياز يسأل التوقف ليصل اليه وسبب ذلك أن اياز راسل السلطان محمدا في الانضمام اليه والمصير في جملة عسكره فلم يقبله وسير العساكر الى همذان ففارقها منهزما ولحق بالسلطان بركيارق فاقام السلطان بركيارق بحلوان ووصل اليه اياز وساروا جميعهم الى بغداد واخذ عسكر محمد ما تخلف للامير اياز بهمذان من مال ودواب وبرك وغير ذلك فانه اعجل عنه وكان من جملته خمسمائة حصان عربية قيل كان يساوي كل حصان منها ما بين ثلثمائة دينار الى خمسمائة دينار ونهبوا داره وصادروا جماعة من اصحابه وصودر رئيس همذان بمائة الف دينار ولما وصل اياز الى بركيارق تكاملت عدتهم خمسة آلاف فارس وقد ذهبت خيامهم وثقلهم ووصل بركيارق الى بغداد سابع عشر ذي القعدة وأرسل الخليفة الى طريقه امين الدولة بن موصلايا يلتقيه في الموكب ولما كان عيد الاضحى أنفذ الخليفة منبرا الى دار السلطان وخطب عليه الشريف أبو الكرم وصلى صلاة العيد ولم يحضر بركيارق لانه كان مريضا وضاقت الاموال على بركيارق فلم يكن عنده ما يخرجه على نفسه وعلى عساكره فارسل الى الخليفة يشكو الضائقة وقلة المال ويطلب ان يعان بما يخرجه فتقرر الامر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار حملها الخليفة اليه ومد بركيارق واصحابه أيديهم الى أموال الناس فعم ضررهم وشمل أهل البلاد زوالهم عنهم ودعتهم الضرورة الى ان ارتكبوا خطة شنعاء وذلك انه قدم عليهم أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة قاضي جبلة من بلاد الشام وصاحبها منهزما من الفرنج على ما نذكره ومعه أموال جليلة المقدار فاخذوها منه

(ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق)

في هذه السنة خرج الامير صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب الحلة عن طاعة السلطان بركيارق وقطع خطبته من بلاده وخطب فيها للسلطان محمد وسبب ذلك ان الوزير الاعز أبا المحاسن الدهستاني وزير السلطان بركيارق أرسل الى صدقة يقول له قد تخلف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار وكذا وكذا دينارا للسنين كثيرة فان أرسلتها والا سيرنا العساكر الى بلادك وأخذناها منك فلما سمع هذه الرسالة قطع الخطبة وخطب لمحمد فلما وصل السلطان بركيارق الى بغداد على هذا الحال ارسل اليه مرة بعد مرة يدعوه الى الحضور عنده فلم يجب الى ذلك فارسل اليه الامير اياز يشير

على القراريط واقطاعات الاراضي وكذلك اخذ نصف فائظ الملتزمين ١٢٧ وعينوا المعينين لتحصيله من المزارعين وذلك خلاف ما فرضوه على البنادر من الاكياس الكثيرة المقادير (وفي ذلك اليوم) أرسل الاغا ووالي الشرطة اتباعهما لارباب الصنائع والحرف والبوابين بالوكائل والخانات يأمرونهم بالحضور من الغد الى بيت القاضي فانزعجوا من ذلك ولم يعلموا لاي شيء هذا الطلب وهذه الجمعية وباتوا متفكرين ومتوهمين فلما اصبح يوم الاثنين واجتمع الناس ابرزوا لهم مرسوما قرئ عليهم بسبب زيادة صرف المعاملة وذلك ان الريال الفرانسه وصلت مصارفته الى مائتين وعشرة من الانصاف العددية والمحبوب الى مائتين وعشرين واكثروا المنقص البندقي وصل الى اربعمائة واربعين فضة ونحو ذلك فلما قرؤا عليهم المرسوم وامروهم بعدم الزيادة وان يكون صرف الفرانسه بمائتين فقط والمحبوب بمائتين وعشرين فضة والبندقي باربعمائة وعشرين فلما سمعوا ذلك قالوا نحن ليس لنا علاقة بذلك هذا الامر منوط بالصيارف وانفض المجلس (وفيه) وصلت مكاتبة من ابراهيم بك ومن الرسل مضمونها الاخبار بقدومهم وأرسل ابراهيم بك يستدعي اليه ابنه الصغير مرزوق وابنه المسمى نور الدين ويطلب بعض لوازم وامتعة (وفي يوم السبت

فلما وصلت نزل السلطان بركيارق وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ولم يزل القتال بينهم الى آخر النهار فانهزم السلطان محمد وعسكره وأسر مؤيد الملك أسره غلام لمجد الملك البلاساني وأحضر عند السلطان بركيارق فسبه ووقفه على ما اعتمده معه من سب والدته ورميه لها بمذهب الباطنية تارة واخرى ومن حمل اخيه محمد على عصيانه والخروج عن طاعته الى غير ذلك ومؤيد الملك ساكت لا يجيب بكلمة فقتله بركيارق بيده والقي على الارض عدة ايام حتى سأل الامير اياز في دفنه فأذن فيه فحمل الى تربة ابيه باصبهان فدفن معه وكان بخيلا مسيء السيرة مع الامراء الا انه كان كثير المكر والحيل في اصلاح امر الملك وكان عمره لما قتل نحو خمسين سنة وكان السلطان بركيارق قد استوزر في صفر الاعز ابا المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني فلما قتل مؤيد الملك أرسل الوزير ابو المحاسن رسولا الى بغداد وهو وابو ابراهيم الاستراباذي لاخذ اموال مؤيد الملك فنزل ببغداد بدار مؤيد الملك وسلم اليه محمد الشرابي وهو وابن خالة مؤيد الملك فاخذ منه الاموال والجواهر بعد مكروه اصابه وعذاب ناله واخذ ذخائر من مواضع اخر ببلاد العجم منها قطعة بلخش وزنها احد واربعون مثقالا ولما فرغ السلطان بركيارق من هذه الوقعة سار الى الري فوصل اليه هناك قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد

❁(ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه باخيه الملك سنجر)❁

لما انهزم السلطان محمد سار طالبا خراسان الى اخيه سنجر وهما لام واحدة فاقام بجرجان وراسل اخاه يطلب منه مالا وكسوة وغير ذلك فسير اليه ما طلب وترددت الرسل بينهما حتى تعاقدا واتفقا ولم يكن بقي مع السلطان محمد غير امير بن في نحو ثلثمائة فارس فلما استقرت القواعد بينهما سار الملك سنجر من خراسان في عساكره نحو اخيه السلطان محمد فاجتمعا بجرجان وسارا منها الى دامغان فخربها العسكر الخراساني ومضى اهلها هاربين الى قلعة كردكوه وخرب العسكر ما قدروا عليه من البلاد وعم الغلاء تلك الاصقاع حتى اكل الناس الميتة والكلاب واكل الناس بعضهم بعضا وساروا الى الري فلما وصلوا اليها انضم اليهم النظامية وغيرهم فكثر جمعهم وعظمت شوكتهم وتمكنت من القلوب هيبتهم

❁(ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد)❁

لما كان السلطان بركيارق بالري بعد انهزام اخيه محمد اجتمعت عليه العساكر الكثيرة فصار معه نحو مائة الف فارس ثم انهم ضاقت عليهم الميرة فتفرقت العساكر فعاد دبيس بن صدقة الى ابيه وخرج الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتي باذربيجان فسير اليه قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف فارس واستأذن الامير اياز في ان يقصد داره بهمذان يصوم بها شهر رمضان ويعود بعد الفطر فاذن له وتفرقت العساكر لمثل ذلك وبقي في العدد القليل فلما بلغه ان اخويه قد جمعا الجموع وحشدا الجنود واتهما

صاحب المنزل ان يقدم له هدية لغفر من عنده شاكرا او مثنيا عليه عند خروجه وادخل دوابه اقضية بجمار العقل والنقل في تصورها (وفي يوم الاحد سابعه) وصلت القافلة والحجاج من ناحية القلزم على مرسى السويس وحضر فيها اغوات الحرم والقاضي الذي توجه لقضاء المدينة وهو المعروف بسعديك وكذلك خدام الحرم المكي وقد طردهم الوهابي جميعا واما القاضي المنفصل فنزل في مركب ولم يظهر خبره وقاضي مكة توجه بصحبة الشاميين واخبر الواصلون انهم منعوا من زيارة المدينة وان الوهابي اخذ كل ما كان في الحجرة النبوية من الذخائر والجواهر وحضر ايضا الذي كان اميرا على ركب الحجاج وصحبته مكاتبة من مسعود الوهابي ومكتوب من شريف مكة واخبروا انهم حرق المحمل واضطربت اخبار الاخبار بين عن الوهابي بحسب الاغراض ومكاتبة الوهابي بمعنى الكلام السابق في نحو الكراسة وذكر فيها ما ينسبه الناس اليه من الاقوال المخالفة لقواعد الشرع ويتبرأ منها (وفيه ورود الخبر) بان ابراهيم بك وصل الى بني سويف وان شاهين بك ذهب الى الفيوم لاختلاف وقع بينهم وان أمين بك واحمد بك الالفيين ذهبا الى ناحية الاسكندرية بالانكليز (وفيه) كمل تحرير دفاتر الفرضة والمظالم التي ابتدعوها في العام الماضي لما

فقدم مع النصارى الذين بها ان يراسلوا الفرنج ويواعدوهم البرج من أبراج البلد
ليسلموا اليهم ويملكوا البلد فلما اتتهم الرسالة جهزوا نحو ثلثمائة رجل من أعيانهم
وشجعانهم فتقدموا الى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون فى الحبال واحدا بعد واحد وكلما
صار عند ابن صليحة وهو على السور رجل منهم قتله الى ان قتلهم أجمعين فلما أصبحوا
رمى الرؤس اليهم فرحلوا عنه وحصروه مرة أخرى ونصبوا على البلد برج خشب وهدموا
برجا من ابراجه وأصبح وقد بناه ابو محمد ثم نقب فى السور نقوبا وخرج من الباب وقاتلهم
فانهزم منهم وتبعوه فخرج أصحابه من تلك النقوب فأتوا الفرنج من ظهورهم فولوا
منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكنداصطبل فافتدى نفسه بمال جزيل ثم علم انهم
لا يقعدون عن طلبه وليس له من يمنعهم عنه فارسل الى طغتكين أتابك يلتمس منه
انفاذ من يثق به ليسلم اليه ثغر جبلة ويحميه ليصل هو الى دمشق بماله وأهله فاجابه
الى ما التمس وسير اليه ولده تاج الملوك بورى فسلم اليه البلد ورحل الى دمشق وسأله ان
يسيره الى بغداد ففعل وسيره ومعه من يحميه الى ان وصل الى الانبار ولما صار بدمشق
أرسل ابن عمار صاحب طرابلس الى الملك دقاق وقال سلم الى ابن صليحة عريانا
وخذ ماله أجمع وأنا أعطيك ثلثمائة ألف دينار فلم يفعل فلما وصل الى الانبار وأقام
بها أياما ثم سار الى بغداد وبها السلطان بركيارق فلما وصل أحضره الوزير الاعز أبو
المحاسن عنده وقال له السلطان محتاج والعساكر يطالبونه بما ليس عنده ونريد منك
ثلاثين ألف دينار وتكون لك منة عظيمة تستحق بها المكافأة والشكر فقال السمع
والطاعة ولم يطلب ان يحط شيئا وقال ان رحلى ومالى فى الانبار بالدار التى نزلتها فارسل
الوزير اليها جماعة فوجدوا فيها مالا كثيرا واعلاقا نفيسة فمن جملة ذلك ألف ومائة
قطعة مصاغا عجيب الصنعة ومن الملابس والعمائم التى لا يوجد مثلها شئ كثير
* كان ينبغى ان نذكر هذه الحوادث التى بعد انهزام السلطان محمد الى ههنا بعد قتل
الباطنية فانها كانت أواخر السنة وكان قتلهم فى شعبان وانما قدمناها لنتبع بعض
الحادثة بعضا لا ينفصل بينها شئ وأما تاج الملوك بورى فانه لما ملك جبلة وتمكن منها
أساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها وفعلوا بهم أفعالا أنكروها فراسلوا القاضى فخر الملك
أبا على عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس وشكوا اليه ما يفعل بهم وطلبوا منه
ان يرسل اليهم بعض أصحابه ليسلموا اليه البلد ففعل ذلك وسير اليهم عسكرا فدخلوا
جبلة واجتمع بأهلها فقاتلوا تاج الملوك ومن معه فانهزم الاتراك وملك عسكر ابن
عمار جبلة وأخذوا تاج الملوك أسيرا وحملوه الى طرابلس فأكرمه ابن عمار وأحسن اليه
وسيره الى أبيه بدمشق واعتذر اليه وعرفه صورة الحال وانه خاف ان يملك الفرنج جبلة

* (ذكر قتل الباطنية) *

فى هذه السنة فى شعبان أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الاسماعيلية وهم
الذين كانوا قديما يسمون قرامطة ونحن نبتدئ بأول أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم فأول

نصعة لا غير فاخذوه واوقتلوا منهم من قتلوه وابقوه (وفيه) وصلت مكاتبة من ابراهيم بك وارسل الباشا اليهم جوابا
صحبة انسان يسمى شريف اغا
(وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه)
وردت اخبار من ناحية الشام
بانه وقع باسلامبول فتنة بين
الينكجرية والنظام الجديد
وكانت الغلبة للينكجرية
(وعزلوا) السلطان سليم وولوا
السلطان مصطفى ابن عمه وهو
ابن السلطان عبد الحميد بن
أحمد وخطب له ببلاد الشام
(وفى يوم الخميس) وصل
ططرى من طريق البر بتحقيق
ذلك الخبر وخطب الخطباء
للسلطان مصطفى على منابر
مصر وبلاد مصر وبولاق وذلك
يوم الجمعة سادس عشرينه
(وفى أواخره) أحدثوا طلب
مال الاطيان المسموح الذى
لمشايخ البلاد وحرروا به دفترا
وشرعوا فى تحصيله وهى حادثة
لم يسبق مثلها اضرت بمشايخ
البلاد وضيقت عليهم
معايشهم ومضايفهم (وفيه)
كتبوا أوراقا للبلاد والاقاليم
بالبشارة بتولية السلطان
الجديد وعينوا بها المعينين
وعليها حق الطرق مبالغ لها
صورة وكل ذلك من التحيل
على سلب اموال الناس
(وفيه) كتبوا مراسلة الى
الامراء القبليين بالصلح
وارسلوا بها ثلاثة من الفقهاء
وهم الشيخ سليمان الفيومى
والشيخ ابراهيم السجينى
والسيد محمد الدواخلى وذلك انه لما رجع شريف اغا الذى كان توجه اليهم بمراسلتهم

عليه بقصد خدمة السلطان ويضمن له كل ما يريده فقال لا أحضر ولا أطيع السلطان الا اذا سلم وزيره أبا المحاسن الي وان لم يفعل فلا يتصوّر مني الحضور عنده أبدا ويكون في ذلك ما يكون فان سلمه الي فانا العبد الخاص في العبودية بالحسن والطاعة فلم يجب الى ذلك فتم على مقاطعته وارسل الى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها اليه

ذكر وصول السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها

في هذه السنة في السابع والعشرين من ذي الحجة وصل السلطان محمد وسنجر الى بغداد وكان السلطان محمد لما استولى على همذان وغيرها سار الى بغداد فلما وصل الى حلوان سار اليه ايلغازي بن ارتق في عساكره وخدمه واحسن في الخدمة وكان عسكر محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الاتباع فلما وصلت الاخبار بذلك كان بركيارق على شدة من المرض يرجف عليه شواصه بكرة وعشيا فانزعج أصحابه وخافوا واضطروا الى العبور الى الجانب الغربي فنزلوا بالرملة ولم يبق في بركيارق غير روح يتردد وتيقن أصحابه موته وتشاوروا في كفنه وموضع دفنه فبينما هم كذلك اذ قال لهم اني اجد نفسي قد قويت وحركتي قد تزايدت فطابت نفوسهم وساروا وقد وصل العسكر الآخر فتراءى الجمعان بينهما دجلة وجرى بينهم مراماة وسباب وكان اكثر ما يسبهم عسكر محمد يا باطنية يعيرونهم بذلك ونهبوا البلاد في طريقهم الى ان وصلوا الى واسط ووصل السلطان محمد الى بغداد فنزل بدار المملكة فبرز اليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمن الامتعاض من سوء سيرة بركيارق ومن معه والاستبشار بقدومه وخطب له بالديوان ونزل الملك سنجر بدار كوهرائين وكان محمد قد استوزر بعد مؤيد الملك خطير الملك ابا منصور محمد بن الحسين وقدم اليه في المحرم سنة خمس وتسعين الامير سيف الدولة صدقة وخرج الخلق كلهم الى لقائه

ذكر حال قاضي جبلة

هو أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة وكان والده رئيسها ايام كان الروم مالكين لها على المسلمين يقضي بينهم فلما ضعف أمر الروم وملكها المسلمون وصارت تحت حكم جلال الملك ابي الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس كان منصور على عادته في الحكم فيها فلما توفي منصور قام ابنه أبو محمد مقامه واحب الجندية واختار الجند فظهرت شهامته فاراد ابن عمار ان يقبض عليه فاستشعر منه وعصى عليه واقام الخطبة العباسية فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالا ليقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر منه بشيء واصيب صاحبه أتابك طغتكين بنشابة في ركبته وبقي أثرها وبقي أبو محمد بها ظاهرا الى ان جاء الفرنج لعنهم الله فحصروها فاظهر ان السلطان بركيارق قد توجه الى الشام وشاع ذلك فرحل الفرنج فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عادوا وحصروها فاظهر ان المصريين قد توجهوا لحربهم فرحلوا ثانيا ثم عادوا

ثالث عشره) سافروا لاد ابراهيم بك والمطلوبات التي ارسل يطلبها وصحبتهم فراشون وباعة ومقتيبول وغير ذلك

(وفي يوم الاثنين) ورد سلحدار موسى باشا وعلى يده مرسوم بالعربي وآخر بالتركي مضمونهما جواب رسالة ارسلنا الى سليمان باشا بعكا بخبر حادثة الانكليز ومحصوا انه ورد علينا جواب من سليمان باشا يخبر فيه بوصول طائفة الانكليز الى ثغر اسكندرية ودخولهم اليها بمخامرة اهلها ثم زحفهم الى رشيد وقد حاربتهم اهل البلاد والعساكر وقتلوا الكثير منهم واسروا منهم كذلك وتوكد على محمد باشا والعلماء واكابر مصر بالاستعداد والمحافظة وتحصين الثغور مثل السويس والقصير ومحاربة الكفار واخراجهم وابعادهم من الثغر وقد توجهت الكل من سليمان باشا ويوسف باشا بتوجيه ما يريدون من العساكر لمساعدة ونحو ذلك (وفيه) احضروا أربعة انفار من الانكليز وخمسة اشخاص احياء مروا بهم من وسط المدينة ذكروا ان كاشف دمنهور حارب ناحية الاسكندرية فقتل منهم واسر هؤلاء وقيل انهم كانوا يسيرون لبعض اشغالهم نواحي الريف فبلغ الكاشف خبرهم فاحاط بهم وفعل بهم ما فعل وارسلهم الى مصر وهم لبسوا من العسكر بل كانهم ما اطلبة وقيل انهم سالوهم فقالوا نحن مغربيون طلعنا ناحية ابي قير وتهنا عن الطريق فصادفونا ونحن

فقرء

فيلقون في النار وجعلوا انسانا على اخاديد النيران ومنعوا الكلاب فقتلوا منهم خلقا كثيرا

ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم

واستولوا على عدة حصون منها قلعة اصبهان وهذه القلعة لم تكن قديما وانما بناها السلطان ملكشاه وسبب بنائها انه كان قد اتاه رجل من مقدمي الروم فاسلم وصار معه فاتفق انه سار يوما الى الصيد فهرب منه كلب من كلاب الصيد وصعد هذا الجبل فتبعه السلطان والرومي معه فوجده موضع القلعة فقال له الرومي لو ان عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به فامر ببناء القلعة ومنع منه نظام الملك فلم يقبل قوله فلما فرغت جعل فيها دزدارا فلما انقضت ايام السلطان ملكشاه وصارت اصبهان بيد خاتون ازالت الدزدار وجعلت غيره فيها وهو انسان ديلمي اسمه زيار يارغان وصار بالقلعة انسان خوزي فاتصل به احمد بن عطاش وكان الباطنية قد البسوه تاجا وجمعوا له اموالا وقدموه عليهم مع جهله وانما كان ابوه مقدما فيهم فلما اتصل بالدزدار بقي معه ووثق به وقلده الامور فلما توفي الدزدار استولى احمد بن عطاش عليها ونال المسلمين منه ضرر عظيم من اخذ الاموال وقتل النفوس وقطع الطريق والخوف الدائم فكانوا يقولون ان قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لا بد وان يكون خاتمة امرها الشر ومنها الموت وهي من نواحي قزوين قيل ان ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد فارسل يوما عقابا وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فامر ببناء قلعة عليه فسماها اله موت ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان وفيها قلاع حصينة اشهرها الموت وكانت هذه النواحي في ضمان شرفشاه الجعفري وقد استناب فيها رجلا علويا فيه بله وسلامة صدر وكان الحسن بن الصباح رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك وكان رئيس الري انسانا يقال له ابو مسلم وهو صهر نظام الملك فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه فخافه ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من ابي مسلم طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذي ملك قلعة اصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فاكرمه واعطاه مالا وامره ان يدعو الناس الى امامته فقال له الحسن فمن الامام بعدك فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع الى خراسان ودخل كاشغر وما وراء النهر يطوف على قوم يضلهم فلما رأى قلعة الموت واختبر اهل تلك النواحي اقام عندهم وطمع في اغوائهم ودعاهم في السر واظهر الزهد ولبس المسح فتبعه اكثرهم والعلوي صاحب القلعة حسن الظن فيه يجلس اليه يتبرك به فلما احكم الحسن امره دخل يوما على العلوي بالقلعة فقال له ابن الصباح اخرج من هذه القلعة فتبسم العلوي وظنه يمزح فامر ابن

و يدفعهم بصلة الطلب اما خمسة اكياس او عشرة او اقل او اكثر فاما ان يدفعوا والا قبضوا عليه وحبسوه الى المحبس فيحبس ويعاقب حتى يتمم المطلوب منه فنزل بالناس امر عظيم وكرب جسيم وفي الناس من كان تاجرا ووقف حاله بتوالي الفتن والمغارم وانقطاع الاسباب والاسفار وافلس وصار يتعيش بالكد والقرض وبيع متاعه واساس داره وعقاره واسمه باق في دفاتر التجار فيأتيه الامر والطلب لاحقه بخصوصها تقدم لكونه كان معروفا في التجار فيؤخذ ويحبس ويستغيث فلا يغاث ولا يجد شافعا ولا راحما وهذا الشيء خلاف الفرض المتوالية على البلاد والقرى في خصوص هذه الحادثة وكذلك على البنادر مقادير لها صورة وما يتبعها من حق طرق المعينين والمباشرين وتوالي مرور العسكر آناء الليل واطراف النهار بطلب الكلف واللوازم واشياء يكل القلم عن تسطيرها ويستحي الانسان من ذكرها ولا يمكن الوقوف على بعض جزئياتها حتى خربت القرى وافتقر اهلها وجلوا عنها فكان يجتمع اهل عدة من القرى في قرية واحدة بعيدة عنهم ثم يلحقها ما لحقهم فتخرب كذلك واما ناب بلاد المراحل فانها خربت وهرب اهلها وهدموا دورها ومساجدها واخذوا اخشابها ومن جملة افاعيلهم الشنيعة التي لم يطرق الاسماع نظيرها

ارسلوا يطلبون الشيخ الشرقاوى والشيخ الامير والسيد عمر النقيب لاجراء الصلح على ايديهم فارسلوا الثلاثة المذكورين بعد الاصم (وفى هذه الايام) كثر خروج العساكر والدلاة وهم يعدون الى البر الغربى وعدى الباشا بحر النيل الى بر انبابة واقام هناك اياما

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٢)

فيه شرع الباشا فى تعمير القلاع التى كانت انشاتها الفرنساوية خارج بولاق وعمل متاريس بناحية منية عقبة وغيرها ووزع على الحمارة حميرا كثيرا ووسق عدة مراكب وارسلها الى ناحية رشيد ليعمروا هناك سورا على البلد وابراجا وجمعوا البنائين والفعلة والحجارين وانزلوهم فى المراكب قهرا (وفى منتصفه) وصل الى مصر نحو الخمسمائة من الدلاتية اتوا من ناحية الشام ودخلوا الى المدينة (وفيه) طلب الباشا من التجار نحو الالف كيس على سبيل السلفة فوزعت على الاعيان وتجار البن واهل وكالة الصابون ووكالة التفاح ووكالة القرب وخلافها وحجزوا البضائع واجلسوا العساكر على الحواصل والوكائل يمنعون من يخرج من حاصله او مخزنه شيئا الا بقصد الدفع من اصل المطلوب منهم ثم اردفوا ذلك بطلب باته من افراد الناس المياسير فيذكرون الانسان بالساقى بمنعه ايضا الا المعينون واصلون اليه

فيلقون

واما ما عرف من احوالهم اعنى هذه الدعوة الاخيرة التى اشتهرت بالباطنية والاسماعيلية فى ايام السلطان ملكشاه فانه اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فصلوا صلاة العيد فى ساوة ففطن بهم الشحنة فاخذهم وحبسهم ثم سئل فيهم فاطلقهم فهذا اول اجتماع كان لهم ثم انهم دعوا مؤذنا من اهل ساوة كان مقيما باصبهان فلم يجبهم الى دعوتهم فخافوا ان ينم عليهم فقتلوه فهو اول قتيل لهم واول دم اراقوه فبلغ خبره الى نظام الملك فامر باخذ من يتهم بقتله فوقعت التهمة على نجار اسمه طاهر فقتل ومثل به وجروا برجله فى الاسواق فهو اول قتيل منهم وكان والده واعظا وقدم الى بغداد مع السلطان بركيارق سنة ست وثمانين فحظى منه ثم قصد البصرة فولى القضاء بها ثم توجه فى رسالة الى كرمان فقتلته العامة فى الفتنة التى جرت وذكروا انه باطنى ثم ان الباطنية قتلوا نظام الملك وهى اول فتكة مشهورة كانت لهم وقالوا قتل نجارا فقتلناه به واول موضع غلبوا عليه وتحصنوا به بلد عند قاين كان مقدمه على مذهبهم فاجتمعوا عنده وقووا به فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كرمان الى قاين فخرج عليهم ومعه اصحابه والباطنية فقتلوا اهل القافلة اجمعين ولم ينج منهم غير رجل تركمانى فوصل الى قاين فاخبر بالقصة فتسارع اهلها مع القاضى الكرمانى الى جهادهم فلم يقدروا عليهم ثم قتل نظام الملك ومات السلطان ملكشاه فعظم امرهم واشتدت شوكتهم وقويت اطماعهم وكان سبب قوتهم باصبهان ان السلطان بركيارق لما حصر اصبهان وبها اخوه محمود وامه خاتون الجلالية وعاد عنها ظهرت مقالة الباطنية بها وانتشرت وكانوا متفرقين فى المحال فاجتمعوا وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم فعلوا هذا بخلق كثير وزاد الامر حتى ان الانسان كان اذا تاخر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقنوا قتله وقعدوا للعزاء به فحذر الناس وصاروا لا ينفرد احد واخذوا فى بعض الايام مؤذنا اخذه جار له باطنى فقام اهله للنياحة عليه فاصعده الباطنية الى سطح داره واروه اهله كيف يلطمون ويبكون وهو لا يقدر ان يتكلم خوفا منهم

(ذكر ما فعل بهم العامة باصبهان)

لما عمت هذه المصيبة الناس باصبهان اذن الله تعالى فى هتك استارهم والانتقام منهم فاتفق ان رجلا دخل دار صديق له فراى فيها ثيابا ومداسات وملابس لم يعهدها فخرج من عنده وتحدث بما كان فكشف الناس عنها فعلموا انها من المقتولين وثار الناس كافة يبحثون عمن قتل منهم ويستكشفون فظهروا على الدروب التى هم فيها وانهم كانوا اذا اجتاز بهم انسان اخذوه الى دار منها وقتلوه والقوه فى بئر فى الدار قد صنعت لذلك وكان على باب درب منها رجل ضرير فاذا اجتاز به انسان يساله ان يقوده خطوات الى باب الدرب فيفعل ذلك فاذا دخل الدرب اخذ وقتل فتجرد للانتقام منهم ابو القاسم مسعود بن محمد الخجندى الفقيه الشافعى وجمع الجم الغفير بالاسلحة وامر بحفر اخاديد واوقد فيها النيران وجعل العامة ياتون بالباطنية افواجا ومنفردين

خوزستان وفارس وعظم شرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد واتفق جماعة من أصحابه حتى اظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الباطنية وأظهروا انهم معهم على رأيهم فأقاموا عندهم حتى وثقوا بهم ثم اظهر جاولى ان الامراء بنى برسق يريدون قصده واخذ بلاده وانه عازم على مفارقتهم الحضرة عنهم والمسير الى همذان فلما اظهر ذلك وسار قال من عند الباطنية من أصحابه نعم الرأى انا نخرج الى طريقه ونأخذه وما معه من الاموال فساروا اليه فى ثلثمائة من اعيانهم وصناديدهم فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولى عليهم ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر صعدوا الى الجبل وهربوا وغنم جاولى ما معهم من دواب وسلاح وغير ذلك

(ذكر قتل صاحب كرمان الباطنى وملك غيره)

كان ايرانشاه بن توران شاه بن قاورت بك هو الذى قتل الامراء الاسماعيلية وليسوا منسوبين الى هذه الطائفة الباطنية انما نسبوا الى امير اسمه اسمعيل وكانوا من اهل السنة قتل منهم الفى رجل صبرا وقطع ايدى الفين ونفق عليه انسان يقال له ابو زرعة كان كاتبا بخوزستان فحسن له مذهب الباطنية فاجاب اليه وكان عنده فقيه حنفى يقال له احمد بن الحسين البلخى كان مطاعا فى الناس فأحضره عنده ليلا واطال الجلوس معه فلما خرج من عنده اتبعه من قتله فلما اصبح الناس دخلوا عليه وفيهم صاحب جيشه فقال لايرانشاه ايها الملك من قتل هذا الفقيه فقال انت شحنة البلد تسألنى من قتله فقال انا اعرف قاتله ونهض من عنده ففارقه فى ثلثمائة فارس وسار الى اصبهان فارسل فى اثره الفى فارس ليردوه فقاتلهم وهزمهم وسار الى اصبهان وبها السلطان محمد ومؤيد الملك فاكرمه السلطان وقال انت والد الملوك واستعظم عسكر كرمان بعد مسيره واجتمعوا وثاروا الى ايرانشاه واخرجوه من مدينة بردسير التى هى مدينة كرمان فلما فارقها اتفق القاضى والجند واقاموا ارسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك وسار ايرانشاه الى مدينة بم من كرمان فاخرجه اهلها ومنعوه منها واخذوا ما معه من اموال وجواهر وقصد قلعة سميرم وتحصن بها وفيها امير يعرف بمحمد بهستون فارسل ارسلانشاه جيشا حصروا القلعة فقال محمد بهستون لايرانشاه انصرف عنى فلست ارى الغدر بك وانا رجل مسلم ومقامك عندى يؤذينى واتهم بك فى دينى فلما عزم على الخروج ارسل محمد بهستون الى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يعلمه بمسير ايرانشاه منفردا عسكرا الى طريقه فخرجوا عليه واخذوه وما معه واخذوا ايضا ابا زرعة فارسل ارسلانشاه فقتلهما وتسلم جميع بلاد كرمان

(ذكر السبب فى قتل بركيارق الباطنية)

لما اشتد امر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين اعدائهم ذحول واحن فلما قتلوا جماعة من الامراء الاكابر وكان اكثر من قتلوا من هو فى طاعة محمد مخالف للسلطان بركيارق مثل شحنة اصبهان سرمز وارغش وكمش النظاميين

ايضا (وفى ثالثه) طلبوا ايضا خيول الطواحين لجر المدافع والعربات حتى تعطلت الطواحين عن طحن الدقيق ولما ذهبوا بها الى العرضى اختاروا منها جيادها واطلقوا اربابها عن كل فرس خمسين فرانسة وردوا البواقى لاصحابها (وفيه) طلبوا ايضا دراهم من طائفة القبانية والحطابة وباعة السمك القديد المعروف بالفسيخ فكان القدر المطلوب من طائفة القبانية مائة وخمسين كيسا فاغلقوا حوانيتهم وهربوا والتجؤا الى الجامع الازهر وكذلك الحطابة وغيرهم منهم من هرب ومنهم من التجا الى السيد عمر واستمر كذلك ثلاثة ايام وركب السيد عمر وعدى الى الباشا اوتشفع فى الطوائف المذكورة فرفعوا عنهم غراماتهم وكتبوا لهم امانا بذلك (وفى خامسه) حضر قابجى من طرف الانكليز وصحبته اشخاص فانزلهم الباشا فى خيمة بجانب خيمته فرقدوا بها ليأخذوا لهم راحة وناموا فلما استيقظوا لم يجدوا ثيابهم وسطا عليهم السراق فسلبوهم فارسلوا الى حارة الفرنساوية فاتوا لهم بثياب وذقوات لبسوها (وفى يوم السبت) مع ليلة الاحد حادى عشره عمل الفرنساوية عيدا ومولدا لكبارهم واولموا ولائم واوقدوا القناديل الكثيرة تلك الليلة وحراقات نفوط وسواريخ وشنك حصة من الليل وهو عبارة عن مولد بونابارته السنوى (وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره) طلب

الصباح بعض أصحابه بإخراج العلوي فأخرجوه إلى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة ولما بلغ الخبر إلى نظام الملك بعث عسكرا إلى قلعة ألموت فحصروه فيها وأخذوا عليه الطرق فضاق ذرعه بالحصر فأرسل من قتل نظام الملك فلما قتل رجع العسكر عنها ثم إن السلطان محمد بن ملكشاه جهز نحوها العساكر فحصرها وسيرد ذكر ذلك إن شاء الله تعالى ● ومنها طبس وبعض قهستان وكان سبب ملكهم لها أن قهستان كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور أمراء خراسان أيام السامانية وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له المنور وكان رئيسا مطاعا عند الخاصة والعامة فلما ولي كلسارغ قهستان ظلم الناس وعسفهم وأراد أختا للمنور بغير حل فحمل ذلك المنور على أن التجأ إلى الإسماعيلية وصار معهم فعظم حالهم في قهستان واستولوا عليها ● ومن جملتها خور وخوسف وزوزن وقاين وتون وتلك الأطراف المجاورة لها ● ومنها قلعة وسنمكوه ملكوها وهي بقرب أبهر سنة أربع وثمانين وتأذى بهم الناس لا سيما أهل أبهر فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فحوصرت ثمانية أشهر وأخذت منهم سنة تسع وثمانين وقتل كل من بها عن آخرهم ● ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من أصبهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت إلى جاولي سقاوو فجعل بها إنسانا تركيا فصادقه نجار باطني وأهدى له هدية جليلة ولازمه حتى وثق به وسلم إليه مفاتيح القلعة فعمل دعوة للتركي وأصحابه فسقاهم الخمر فأسكرهم واستدعى ابن عطاش فجاء في جماعة من أصحابه فسلم إليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركي فإنه هرب وقوي ابن عطاش بها وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة ● ومن قلاعهم المذكورة أستوناوند وهي بين الري وآمل ملكوها بعد ملكشاه تولى منها صاحبها فقتل وأخذت منه ● ومنها أردهن ملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح ● ومنها كردكوه وهي مشهورة ● ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور وبينها وبين أرجان فرسخان أخذها أبو حمزة الإسكاف وهو من أهل أرجان سافر إلى مصر وعاد داعية لهم وقلعة خلادخان وهي بين فارس وخوزستان وأقام بها المفسدون نحو مائتي سنة يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما صارت الدولة لملكشاه أقطعها الأمير أنر فجعل بها دزدارا فاتفق إليه الباطنية الذين بأرجان يطلبون منه بيعها فأبى فقالوا له نحن نرسل إليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق فأجابهم إلى ذلك فأرسلوا إليه إنسانا ديلميا يناظره وكان للدزدار مملوك قد رباه وسلم إليه مفاتيح القلعة فاستماله الباطني فأجابه إلى القبض على صاحبه وتسليم القلعة إليهم فقبض عليه وسلم القلعة إليهم ثم أطلقه واستولوا بعد ذلك على عدة قلاع هذه أشهرها

●(ذكر ما فعله جاولي سقاوو بالباطنية)●

في هذه السنة قتل جاولي سقاوو خلقا كثيرا منهم وسبب ذلك أن هذا الأمير كانت ولايته البلاد التي بين رامهرمز وأرجان فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة بخوزستان

اليهم قرروا الفرضة فمن فرض المغارم على البلاد فكتبوا أوراقا وسموها بشارة الفرضة يتولاها بعض من يكون متطلعا لمنصب أو منفعة ثم يرتب له خدما وأعوانا ثم يسافر إلى الإقليم المعين له وذلك قبل منصب الأصل وفي مقدمته يبعث أعوانه إلى البلاد يبشر ويمهد لذلك ثم يقبضون ما رسم لهم في الورقة من حق الطريق بحسب ما أدى إليه اجتهاده قليلا أو كثيرا وهذه لا يسع ما يقابلها في ملة ولا ذمة ولا جور وسمعت من بعض من له خبرة بذلك أن المغارم التي قررت على القرى بلغت سبعين ألف كيس وذلك خلاف المصادرات الخارجة (وفي) أواخره قوي عزم الباشا على السفر لناحية الإسكندرية وأمر بإحضار اللوازم والخيام وما يحتاج إليه الحال من روايا الماء والقرب وباقي الأدوات

●(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٣٣)●

في ثانيه وهو يوم الجمعة ركب الباشا إلى بولاق وعدى إلى ناحية بر إنبابة ونصبوا وطاقه هناك وخرجت طوائف العسكر إلى ناحية بولاق وساحل البحر وطفقوا يأخذون ما يجدونه من البغال والحمير والجمال واستمروا على الدخول والخروج والذهاب والمجيء والرجوع والتعدية أياما وضج على ذلك الناس من خطف البهائم وامتنعت السقاؤون عن نقل الماء من البحر حتى شح الماء وغلا سعره وعطشت الناس وامتنع نقل

فعادوا وجددوا عمارة ما انهدم من سورها وما قووها ادخار من سلاح واقوات وغير ذلك ثم عاودهم بوزغش سنة سبع وتسعين فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر ما ملك الفرنج من الشام

فيها سار كندفري ملك الفرنج بالشام وهو صاحب البيت المقدس الى مدينة عكا بساحل الشام فحصرها فاصابه سهم فقتله وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها الى قمص من الفرنج اسمه طنكري فلما قتل كندفري سار اخوه بغدوين الى البيت المقدس في خمسمائة فارس وراجل فبلغ الملك دقاق صاحب دمشق خبره فنهض اليه في عسكره ومعه الامير جناح الدولة في جموعه فقاتله فنصر على الفرنج وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة وسبب ذلك ان الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من اهلها لان اكثرهم ارمن وليس بها من المسلمين الا القليل فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعا كثيرا من التركمان وزحف اليهم فلقوه وقاتلوه فهزموه في ربيع الاول فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج الى سروج فحصروها وتسلموها وقتلوا كثيرا من اهلها وسبوا حريمهم ونهبوا اموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما وفيها ملك الفرنج مدينة حيفا وهي بالقرب من عكا على ساحل البحر ملكوها عنوة وملكوا ارسوف بالامان واخرجوا اهلها منها وفيها في رجب ملكوا مدينة قيسارية بالسيف وقتلوا اهلها ونهبوا ما فيها

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في شهر رمضان تقدم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وان يصلى فيه صلاة التراويح ولم يكن جرت بذلك عادة وامر بالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وهذا ايضا لم تجر به عادة وانما ترك الجهر بالبسملة في جوامع بغداد لان العلويين اصحاب مصر كانوا يجهرون بها فترك ذلك مخالفة لهم لا اتباعا لمذهب احد الائمة وامر ايضا بالقنوت على مذهب الشافعي فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم في جامع القصر وازدحم الناس عنده وكان زعيم الرؤساء ابو القاسم علي بن فخر الدولة بن جهير اخو عميد الدولة قد انطلق من الاعتقال واختلط بالناس وخرج الى شاطئ دجلة من ثلمة في السور وسار الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فاستقبله وانزله واكرمه وفيها في المحرم توفي جمال الدولة ابو نصر بن رئيس الرؤساء بن المسلمة وهو استاذ دار الخليفة وفيه توفي القاضي احمد بن محمد بن عبد الواحد ابو منصور بن الصباغ الفقيه الشافعي واخذ الفقه عن ابن عمه الشيخ ابي نصر بن الصباغ وكان يصوم الدهر وروى الحديث عن القاضي ابي الطيب الطبري وغيره وفيه توفي شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور المستوفي الخوارزمي باصبهان وكان مستوفيا في ديوان السلطان ملكشاه فبذل مائة الف دينار حتى ترك الاستيفاء وبنى مشهدا على قبر ابي حنيفة رحمة الله عليه ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرو وجعلها للحنفيين وفيها في صفر توفي القاضي ابو المعالي عزيزي وكان شافعيا اشعريا وهو من جيلان وله مصنفات كثيرة حسنة وكان وجعلوه مع اهل باب

الجديد وابطاله من اصلامبول ورجوع الوطاقات على قانونها الاول القديم ١٢٠ او وصل في نيف وخمسين برماه الجمعة في صبحها يوم الاحد بباب الباشا واحضروا الاغا فركب ودخل من باب النصر وقرئ الفرمان بحضرة الجمع وضربوا شنكا ومدافع من ابراج القلعة ثلاثة ايام في الاوقات الخمسة (ومن الحوادث) انه ظهر في هذه الايام رجل بناحية بنها العسل يدعى بالشيخ سليمان فاقام مدة في عشة بالغيط واعتقد فيه الناس الولاية والسلوك والجذب فاجتمع اليه الكثير من اهل القرى واكثرهم الاحداث ونصبوا له خيمة وكثر جمعه واقبلت عليه اهالي القرى بالنذور والهدايا وصار يكتب الى النواحي اوراقا يستدعي منهم القمح والدقيق ويرسلها مع المريدين يقول فيها الذي نطلبه من اهل القرية الفلانية حال وصول الورقة اليكم تدفعون كاملها خمسة ارادب قمح او اقل او اكثر برسم طعام الفقراء وكراء طريق المعين ثلاثون رغيفا او نحو ذلك فلا تتأخرون عن ارسال المطلوب في الحال وصار الذين حوله ينادون في تلك النواحي بقوله لا مظالم اليوم ولا تعطوا الكشاف شيئا من المظالم التي يطلبونها منكم ومن اتاكم فاقتلوه فكان كل من ورد من العسكر المعينين الى تلك النواحي بطلب الكلف او الفرض التي يفرضونها افرعوا عليه وطردوه وان عاند قتلوه فثقل امره على

وصهره وغيرهم فنسب أعداء بركيارق ذلك اليه واتهموه بالميل اليهم فلما ظفر السلطان
بركيارق وهزم أخاه السلطان محمدا وقتل مؤيد الملك وزيره انبسط جماعة منهم في العسكر
واستغروا كثيرا منهم وادخلوهم في مذهبهم وكادوا يظهرون بالكثرة والقوة وحصل
بالعسكر منهم طائفة من وجوههم وزاد أمرهم فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل
فصار يخافهم من يخالفهم حتى انهم لم يتجاسر أحد منهم لا أمير ولا متقدم على الخروج
من منزله حاسرا بل يلبس تحت ثيابه درعا حتى ان الوزير الاعز أبا المحاسن كان يلبس
زردية تحت ثيابه واستأذن السلطان بركيارق خواصه في الدخول عليه بسلاحهم
وعرفوه خوفهم ممن يقاتلهم فاذن لهم في ذلك واشاروا على السلطان ان يفتك بهم قبل
ان يعجز عن تلافي أمرهم واعلموه ما يتهمه الناس به من الميل الى مذهبهم حتى ان عسكر
اخيه السلطان محمد يشنعون بذلك وكانوا في المصاف يكبرون عليهم ويقولون يا باطنية
فاجتمعت هذه البواعث كلها فاذن السلطان في قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر
معه وطلبوهم واخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم الا من لم يعرف وكان ممن اتهم
بانه مقدمهم الامير محمد بن دشمنزيار بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه صاحب يزد
فهرب وسار يومه وليلته فلما كان اليوم الثاني وجد في العسكر قد ضل الطريق
ولا يشعر فقتل وهذا موضع المثل أتتك بحائن رجلاه ونهبت خيامه فوجد عنده
السلاح المعد واخرج الجماعة المتهمون الى الميدان فقتلوا وقتل منهم جماعة برآء لم يكونوا
منهم سعى بهم أعداؤهم وفيمن قتل ولد كيقباذ مستحفظ تكريت فلم يغير والده خطبة
بركيارق ولكن شرع في تحصين القلعة وعمارتها ونقض جامع البلد وكان يقاربها لئلا
يؤتى منه وعمل بيعة في البلد جامعا وصلى الناس فيه وكتب الى بغداد بالقبض على
أبي ابراهيم الاسداباذي الذي كان قد وصل اليها رسولا من بركيارق ليأخذ مال مؤيد
الملك وكان من اعيانهم ورؤسهم فاخذ وحبس فلما ارادوا قتله قال هبوا انكم قتلتموني
أتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن فقتل ولم يصل عليه أحد والقي خارج السور وكان
له ولد كبير قتل بالعسكر معهم وقد كان أهل عانة نسبوا الى هذا المذهب قديما فانهي
حالهم الى الوزير أبي شجاع أيام المقتدي بامر الله فاحضرهم الى بغداد فسئل مشايخهم عن
الذي يقال فيهم فانكروا وجحدوا فاطلقهم واتهم أيضا الكيا الهراسي المدرس بالنظامية
بانه باطني ونقل ذلك عنه الى السلطان محمد فامر بالقبض عليه فارسل المستظهر بالله من
استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلو الدرجة في العلم فاطلق

(ذكر حصر الامير بزغش قهستان وطبس)

في هذه السنة جمع الامير بزغش وهو أكبر أمير مع السلطان سنجر جموعا كثيرة وقواهم
بالمال والسلاح وسار الى بلاد الاسماعيلية فنهبها وخربها وقتل فيهم فاكثر وحصر طبس
وضيق عليها ورماها بالمنجنيق فخرب كثيرا من سورها واوشك من بها ولم يبق الا أخذها
فراسلوه وبذلوا له الرشا الكثيرة واستنزلوه عما كان يريده منهم فرحل عنهم وترك لهم

الباشا حسين افندى الروزنامجى فعدى ٤٣ اليه ببر انبابة فخلع عليه خلعة الدفترداريه وحضر الى داره الجديدة وهى بيت
الجيائم بالقرب من قنطرة درب
الجماميز وذهب اليه الناس
يهنونه وانفصل أحمد افندى
عاصم عن الدفترداريه (وفى
يوم الخميس خامس عشره) عمل
الباشا شنكا بالبر الغربى بين
المغرب والعشاء ولما أصبح
امر بالارتحال وتعجل حتى
تكامل ارتحال العساكر
فركب قريب الزوال الى
المنصورة (وفى يوم الجمعة
سادس عشره) الموافق لسادس
مسرى القبطى أوفى النيل
أذرعه وذلك بعد ان حصل فى
الناس غم وقلق بسبب
تأخر الوفاء ووقفات حصلت
فى الزيادة قبل الوفاء بعدة أيام
حتى رفعوا الغلال من
العرصات وزادت اثمانها فلما
حصل الوفاء اطمان الناس
وتراجعت اليهم انفسهم
واظهروا الغلال فى العرصات
والرقع وركب كتخدا بك فى
صبح يوم السبت وكذلك
القاضى وطوسون ابن الباشا
والسيد عمر النقيب وكسر
السد بحضرتهم وجرى الماء
فى الخليج (وفيه) وصل قابجى
الى ثغر سكندرية وحضر بعد
ذلك الى ثغر بولاق من طريق
البر الى قبرص وتعسر
الوصول الى دمياط ثم حضر
الى بولاق وقابله الباشا فى
طريقه ووصل على يده مسكة
ضرب للاماهلها الجديدة بالضربخانه باسم السلطان الجديد وكذلك الامر بالخطبة والدعاء والاعتبار برفع النظام فعاودوا

مجلس بسببه بحضرة السيد عمر والمشايخ وقالوا للباشا انه غير محق وطردوه فسافر الى بلده وسافر الباشا ايضا الى جهة الجيزة والاسكندرية فذهب الشيخ عبد الله المذكور الى الشيخ سليمان المذكور واغراه على الحضور الى مصر وانه متى وصل اجتمع عليه المشايخ واهل البلدة وقابلوه ويكون على يده الفتح والفتوح وحركته خفاف العقول المحيطون به والمجتمعون حوله على المجئ الى مصر ويكون له شان لانه ولانه اشتهرت بالمدينة ولهم فيه اعتقاد عظيم وحب جسيم ومن اوصاف ذلك الشيخ انه لا يتكلم الا بالذكر او الكلام النزر الذي لابد منه ويتكلم في اكثر اوقاته بالاشارة ثم انه اطاع شياطينه وحضر برجاله وغلمانه ومعه طبول وكاسات على طريق مشايخ اهل العصر والاوان الذين يحسبون انهم يحسنون صنعا ودخلوا الى المدينة على حين غفلة وبايديهم فراقل يفرقعون بها فرقعة متتابعة وصياح وجلبة ومن خلفهم الغلمان والدايات وشيخهم في وسطهم فمازالوا في سيرهم حتى دخلوا المشهد الحسيني وجلسوا بالمسجد يذكرون ودخل منهم طائفة الى بيت السيد عمر مكرم النقيب وهم يفرقعون بما في ايديهم من الفرقلات فاقاموا بالمسجد الى العصر ثم دعاهم الباشا من الاجتماع وقال له اسمعيل كشف ابو

دخل بغداد وقد خالف عسكره بطريق خراسان فنهبوا البلاد وخربوها فاخذهم السلطان محمد معه وجد السير الى روذراور واما السلطان بركيارق فقد تقدم سنة اربع وتسعين انه سار من بغداد عند وصول محمد اليها قاصدا الى واسط فلما سمع عسكر واسط بقربه منهم خافوا منه واخذوا نساءهم واولادهم واموالهم وجمعوا السفن جميعها وانحدروا الى الزبيدية فاقاموا هناك ووصل السلطان وهو شديد المرض يحمل في محفة وقد هلك من دواب عسكره ومتاعهم الكثير فانهم كانوا يجدون السير خوفا ان يتبعهم السلطان محمد والامير صدقة صاحب الحلة وكانوا كلما جازوا قنطرة هدموها ليمتنع من يجتاز بها من اتباعهم ولما وصلوا الى واسط عوفي بركيارق ولم يكن له ولاصحابه همة غير العبور من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي فلم يجد هناك سفينة وكان الزمان شاتيا شديد البرد والماء زائدا وكان اهل البلد قد خافوهم فلزموا الجامع وبيوتهم وخلت الطرق والاسواق من مجتاز فيها فخرج القاضي ابو علي الفارقي الى العسكر واجتمع بالامير اياز والوزير واستعطفهما للخلق وطلب انفاذ شحنة لتطمئن القلوب فاجابوه الى ملتمسه وقالوا له نريد ان تجمع لنا من يعبرنا وابتاق الماء وخرج معه فجمع لهم من شباب واسط واعطاهم الاجرة الوافرة فعبروا دوابهم من الخيل والبغال والجمال وكان الامير اياز بنفسه يسوق الدواب ويفعل ما يفعله الغلمان ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداد فعبروا اموالهم ورحالهم فيها فلما صاروا في الجانب الشرقي اطلقوا ايدي العسكر في نهب البلد فرجع القاضي وجدد الخطاب في الكف عنهم فاجيب الى ذلك فارسل معه من يمنع من النهب ثم ان عسكر واسط ارسلوا الى بركيارق يطلبون الامان ليحضروا الخدمة للسلطان فامنهم فحضر اكثرهم عنده وسار ومعه الى بلاد بني برسق فحضروا ايضا عنده وخدموه واجتمعت العساكر عليه وعلم بمسير اخيه محمد عن بغداد فسار يتبعه على نهاوند فادركه بروذراور وكان العسكران متقاربين في العدة كل واحد منهما اربعة آلاف فارس من الاتراك فتصافوا اول يوم جميع النهار ولم يجر بينهم قتال لشدة البرد وعادوا في اليوم الثاني ثم تواقفوا كذلك ثم كان الرجل يخرج من احد الصفين فيخرج اليه من يقاتله فاذا تقاربا اعتنق كل واحد منهما صاحبه وسلم عليه ويعود عنه ثم خرج الامير بلدجي وغيره من عسكر محمد الى الامير اياز والوزير الاعز فاجتمعوا واتفقوا على الصلح لما قد عم الناس من الضرر والملل والوهن واستقرت القاعدة ان يكون بركيارق السلطان ومحمد الملك ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد جنزة واعمالها واذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل وان يمده السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح ما يمتنع عليه منها وحلف كل واحد منهما لصاحبه وانصرف الفريقان من المصاف رابع ربيع الاول وسار بركيارق الى مرج قراتكين قاصدا ساوة والسلطان محمد الى اسداباذ وتفرق العسكران وقصد كل امير اقطاعه

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانتقاض الصلح بينهما)

الارج اخبار ظريفة وكان فاضلا عليهم وكانوا يخضعونه و يعظمونه وتوفي اسعد بن مسعود بن علي بن محمد ابو ابراهيم العتبي من ولد عتبة بن غزوان نيسابوري ولد سنة اربع واربعمائة وروى عن ابي بكر الحيري وغيره وتوفي في صفر محمد بن احمد بن عبد الباقي ابن الحسن بن محمد بن طوق ابو الفضائل الربعي الموصلي الفقيه الشافعي تفقه على ابي اسحق الشيرازي وسمع الحديث من ابي الطيب الطبري وغيره وكان ثقة صالحا وتوفي في ربيع الاول منها محمد بن علي بن عبيد الله بن احمد بن صالح بن سليمان بن ودعان ابو نصر القاضي الموصلي وهو صاحب الاربعين الودعانية وقد تكلموا فيها فقيل انه سرقها وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشمي والغالب على حديثه المناكير وتوفي فيها في ربيع الاول نصر بن احمد بن عبد الله بن البطر القاري ابو الخطاب ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة سمع ابن رزقويه وغيره وصارت اليه الرحلة لعلو اسناده وكان سماعه صحيحا

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين واربعمائة)

(ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الآمر باحكام الله)

في هذه السنة توفي المستعلي بالله ابو القاسم احمد بن معد المستنصر بالله العلوي الخليفة المصري لسبع عشرة خلت من صفر وكان مولده في العشرين من شعبان سنة سبع وستين واربعمائة وكانت خلافته سبع سنين وقريبا من شهرين وكان المدبر لدولته الافضل ولما توفي ولي بعده ابنه ابو علي المنصور ومولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين واربعمائة وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه ابوه وله خمس سنين وشهر واربعة ايام ولقب الآمر باحكام الله ولم يكن من تسمى بالخلافة قط اصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر اكبر من هذا ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بتدبير دولته الافضل بن امير الجيوش احسن قيام ولم يزل كذلك مدبرا للامر الى ان قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما)

في هذه السنة في صفر كان المصاف الثالث بين السلطان بركيارق ومحمد وقد ذكرنا سنة اربع وتسعين قدوم السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها الى واسط مريضا فاقام السلطان محمد ببغداد الى سابع عشر المحرم من هذه السنة وسار عنها هو واخوه السلطان سنجر وقصد سنجر بلاده خراسان والسلطان محمد يقصد همذان فلما سار محمد عن بغداد وصلت الاخبار ان بركيارق قد اعترض خاص الخليفة بواسط وسمع منه في حق الخلافة ما يقبح نقله فارسل الخليفة واعاد السلطان محمدا الى بغداد وذكر له ما نقل اليه وحرضه على الحرب فاجمع محمد الى قتال بركيارق فقال السلطان محمد لا حاجة الى حركة امير المؤمنين فانا اقوم في هذا القيام المرضي وسار عائدا ورتب ببغداد ابا المعالي المفضل بن عبد الرزاق في جباية الاموال وايلغازي شحنة وكان لما

البكتاشية والعسكر وصار له عدة خيام واخصاص واجتمع لديه من المردان نحو المائة وعشرين امرد وغالبهم اولاد مشايخ البلاد وكان اذا بلغه ان بالبلدة الفلانية غلاما وسيم الصورة ارسل يطلبه فيحضرونه اليه في الحال ولو كان ابن عظيم البلدة حتى صاروا يأتون اليه من غير طلب ولا يخفى حال الاقليم المصري في التقليد في كل شيء وهذا من جنس المردان وكذلك ذوو اللحى هم كثيرون ايضا وعمل للمردان عقودا من الخرز الملون في اعناقهم ولبعضهم اقراط في آذانهم ثم ان شيخا من فقهاء الازهر من اهالي بنها يقال له الشيخ عبد الله البنهاوي ادعى دعوى بطين مستأجره من اراضي بنها كان لاسلافه وان الملتزمين بالقرية استولوا على ذلك الطين من غير حق لهم فيه بل باغراء بعض مشايخ القرية والمذكورين وعرفه ولم يحسن سياق دعواه وخصوصا كونه مغفلا وخليا من الدراهم التي لا يمشي الآن في المحالات الا بها والبراطيل للوسايط وارباب الاحكام واتباعهم ويظن في نفسه انه يقضي قضيته فقال المصنف اكراما لعلمه ودرسه فتخاصم مع الملتزمين ومشايخ بلده وانعقدت بسببه مجالس ولم يحصل منها شيء سوى التشفيع عليه من المشايخ الازهرية والسيد عمر النقيب ثم كتب له عرضحال ورفع امره الى كتخدا بك والباشا فامر الباشا بعقد

دجل

ذي الحجة فلما رأى السلطان محمد انه لا قدرة له على الدفع عن البلد وكلما جاء امره ضعف قوي عزمه على مفارقته وقصد جهة اخرى يجمع فيها العساكر ويعود يدفع الخصم عن الحصار فسار عن البلد في مائة وخمسين فارسا ومعه الامير ينال واستخلف بالبلد جماعة من الامراء فسير بركيارق باقي العسكر فلما فارق العسكر والبلد لم يكن في دوابهم ما يدوم على السير لقلة العلف في الحصار فنزل على ستة فراسخ فلما سمع بركيارق بمسيره سير وراءه الامير اياز في عسكر كثير وامره بالجد في السير في طلبه فقيل ان محمدا سبقهم فلم يدركوه فرجعوا وقيل بل ادركوه فارسل الى الامير اياز يقول انت تعلم ان لي في رقبتك عهودا وايمانا ما نقضت ولم يكن مني اليك ما تبالغ في اذاي فعاد عنه وارسل له خيلا واخذ علمه والجتر وثلاثة احمال دنانير وعاد الى بركيارق فدخل عليه ومعه علم اخيه السلطان محمد منكوسة فانكر بركيارق ذلك وقال ان كان قد اساء فلا ينبغي ان يعمل معه هذا فاخبره الخبر فاستحسن ذلك منه فلما فارق محمد اصبهان اجتمع من المفسدين والسوادية ومن يريد النهب ما يزيد على مائة الف نفس وزحفوا الى البلد بالسلاليم والدبابات وطموا الخندق بالتبن وتصعدوا ابا السور وصعد الناس في السلاليم فقاتلهم اهل البلد قتال من يريد يحمي حريمه وماله فعادوا خائبين فحينئذ اشار الامراء على بركيارق بالرحيل فرحل ثامن عشر ذي الحجة من السنة واستخلف على البلد القديم الذي يقال له شهرستان ترشك الصوابي في الف فارس مع ابنه ملكشاه وسار الى همذان وكان هذا من العجب ان سلطانا محصورا قد انقطعت مواده وهو يخطب له في اكثر البلاد ثم يخلص من الحصر الشديد ويعود من العساكر الكثيرة التي كانت قد شرع اليه رمحه وفوق اليه سهمه

(ذكر قتل الوزير الاعز ووزارة الخطير ابي منصور)

في هذه السنة ثاني عشر صفر قتل الوزير الاعز ابو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستاني وزير السلطان بركيارق على اصبهان وكان مع بركيارق محاصر البلد فركب هذا اليوم من خيمته الى خدمة السلطان فحمل عليه شاب اشقر قيل انه كان من غلمان ابي سعيد الحداد وكان الوزير قتله في العام الماضي فانتهز الفرصة فيه وقيل كان باطنيا فجرحه عدة جراحات فتفرق اصحابه عنه ثم عادوا اليه فجرح اقربهم منه جراحات اثخنته وعاد الى الوزير ففتر كما ثرمق وكان كريما واسع الصدر حسن الخلق كثير العمارة ونفر الناس منه لانه دخل في الوزارة وقد تغيرت القوانين ولم يبق دخل ولا مال فحمل للضرورة ما نفر الناس بسببه وكان حسن المعاملة مع التجار فاستغنى به خلق كثير فكانوا ايسالونه ليعاملوهم فلما قتل ضاع منهم مال كثير حكي ان بعض التجار باعه متاعا بالف دينار فقال له خذ بها حنطة من الراذان خمسين كرا كل كر بعشرين دينارا فامتنع التاجر من اخذها وقال لا اريد غير الدنانير فلما كان من الغد دخل اليه التاجر فقال له يهنيك يا فلان قال وما هو قال خبر حنطتك فقال ما لي حنطة ولا اريدها قال بلى

وقالوا ارسل الى كاشف القليوبية بالقبض عليه انما كان وانصرفوا واذا هم بقصدت العساكر بيت اسمعيل كاشف ابو منا فخير نفضوا على الغلمان واخذوهم الى دورهم ولم ينج منهم الا من كان بعيدا وهرب وتغيب وتفرق اتباعه ذوو النهي واما الشيخ فسار من طريق الصحراء حتى وصل الى بهتيم وذهب الى نوب فعرف مكانه الشيخ عبد الله زرزور البنهاوي الذي كان اغراه على الحضور الى مصر ولما سقط في يده تبرأ عنه وذهب الى الكتخدا بك وطلب له امانا واخبره انه مختف بضريح الامام الشافعي فاعطاه امانا وذهب اليه واحضره من نوب فلما حضر عند الكتخدا قال له ارخ لحيتك واترك ما انت عليه واقم في بلدك واعطيك طينا تزرعه ولا تتعرض لاحد ولا احد يتعرض لك والشيخ ساكت لا يتكلم وبصحبته اربعة انفار من تلامذته وهم الذين يخاطبون الكتخدا ويكلمونه ثم امر انفارا من العسكر فاخذوه وذهبوا به الى بولاق وانزلوه في مركب وانحدروا به ثم غابوا احصة وانقلبوا راجعين ثم بعد ذلك تبين انهم قتلوه والقوه في البحر الا واحدا من الاربعة القى بنفسه في البحر وسبح في الماء وطلع الى البر وهرب وانقضى امره (وفيه) ارسل الباشا وحرر الرجالة يطلب شيخ دمرو يحضر اليه ما اخذه من العسكر فلما اتوا اليه امتنع وقال ما اريد الباشا ني

في هذه السنة في جمادى الاولى كان المصاف الرابع بين السلطان بركيارق واخيه محمد وكان سببه ان السلطان محمدا سار من روذراور من الوقعة المذكورة الى اسداباذ ومنها الى قزوين ونسب الامراء الذين سعوا في ذلك الصلح الى المخامرة عليه والتقاعد به فوضع رئيس قزوين ان يتوسل اليه وانك الامراء ليحضروا دعوته فاستشفع الرئيس بهم الى السلطان فحضر دعوته بعد ان امتنع ووصى خواصه بحمل السلاح تحت اقبيتهم وحضر الدعوة ومعه الامير ايتكين وبسمل فقتل الامير بسمل وهو من اكابر الامراء وكحل الامير ايتكين وكان الامير ينال بن انوشتكين الحسامي قد فارق بركيارق واقام مجاهدا للباطنية الذين في القلاع والجبال فقصد الآن السلطان محمدا وسار معه الى الري بقرب النوب الخمس واجتمعت اليه العساكر واقام ثمانية ايام ووافاه اخوه السلطان بركيارق في اليوم التاسع ووقع بينهما المصاف عند الري وكانت عدة العسكرين متقاربة كل عسكر منهما عشرة آلاف فارس فلما اصطفوا حمل الامير سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب آبه على الامير ينال فهزمه وتبعه في الهزيمة جميع عسكر محمد وتفرقوا ومضى معظمهم نحو طبرستان ولم يقتل في هذا المصاف غير رجل واحد قتل صبرا ومضى قطعة من المنهزمين نحو قزوين ونهبت خزائن محمد ومضى في نفر يسير الى اصبهان وحمل هو علمه بيده ليتبعه اصحابه وسار في طلبه الامير البكي بن برسق والامير اياز الى تمم وتتبع السلطان بركيارق اصحاب اخيه محمد واخذ اموالهم

(ذكر حصار السلطان محمد باصبهان)

لما انهزم السلطان محمد من الوقعة التي ذكرناها بالري مضى الى اصبهان في سبعين فارسا والبلد في حكمه وفيه نائبه ومعه من الامراء الامير ينال وغيره من الامراء ودخل المدينة في ربيع الاول وامر بتجديد ما تشعث من السور وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة ابن كاكويه سنة تسع وعشرين واربعمائة عند خوفه من طغرلبك وامر محمد بتعميق الخندق حتى صعد الماء فيه وسلم الى كل امير بابا وكان معه في البلد الف ومائة فارس وخمسمائة راجل ونصب المجانيق ولما علم السلطان بركيارق بمسير اخيه محمد الى اصبهان سار يتبعه فوصلها في جمادى الاولى وعساكره كثيرة تزيد على خمسة عشر الف فارس ومعها مائة الف من الحواشي واقام يحاصر البلد وضيق عليهم وكان السلطان محمد يدور كل ليلة على سور البلد ثلاث دفعات فلما زاد الامر في الحصار اخرج الضعفاء والفقراء من البلد حتى خلت المحال وعدمت الاقوات واكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك وقلت الاموال فاضطر السلطان محمد الى ان يستقرض من اعيان البلد فاخذ مالا عظيما ثم عاود الجند الطلب فقسط على اهل البلد شيئا آخر واخذه منهم بالشدة والعنف فلم تزل الاسعار تغلو حتى بلغ عشرة امنان من الحنطة بدينار واربعة ارطال لحم بدينار وكل مائة رطل تبن باربعة دنانير ورخصت الامتعة فانه لعدم الطالب وكانت الاسعار في عسكر بركيارق رخيصة فبقي الحصار على البلد الى عاشر

مناظرة في الشيخ المذكور اعتقادا فذهبوا معه الى داره فقعد عبد الله بن قفشا عمو وباتوا عنده الى الصباح فلما طلع النهار ركب الشيخ بغلة ذلك الجندي وذهب بطائفته الى ضريح الامام الشافعي فجلس بالمسجد يضامع اتباعه يذكرون وبلغ خبره كتخدا بك وامثاله فكتب تذكرة وارسلها الى السيد عمر النقيب بطلب الشيخ المذكور لينبر كوابهوا كد في الطلب وقصده ان يفتك به لما قرره منه وعلم السيد عمر ما اراد به فارسل يقول له ان كنت من اهل الكرامة فاظهر سرك وكراماتك والا فاذهب وتغيب وكان صالح اغا قوج لما بلغه خبره ركب في عسكره وذهب الى مقام الشافعي واراد القبض عليه فخوفه الحاضرون وقالوا له لا ينبغي لك التعرض له في ذلك المكان فاذا خرج فدونك واياه فانتظره بقصر شويكار وتباطأ الشيخ الى قريب العصر واشاروا عليه بالخروج من الباب القبلي وتفرق عنه الكثير من المجتمعين عليه فذهب الى مقام الليث ابن سعد ثم سار من ناحية الجبل وذهبت بداياته وغلمانه الى دار اسمعيل كاشف الذي بالقرافة ولما سار الى ناحية العمرانية لحقه الحاج سعودي الحناوي واقتفى اثره وبلغه رسالة السيد عمر ورجع الى السيد عمر فوجد كتخدا بك ورجب اغا حضر الى السيد عمر برسالة رضه ولم يكتفوا بالخطاب الاول فاخبرهم انه ذهب ولم تلحقه المراسيل فاغتاظوا

في هذه السنة في العشرين من شوال قصد الامير اسمعيل صاحب البصرة مدينة واسط للاستيلاء عليها ونحن نبتدئ بذكر اسمعيل وتنقل الاحوال به الى ان ملك البصرة وهو اسمعيل بن سلانجق وكان اليه في ايام ملكشاه شحنكية الري ولما وليها كان اهل الري والرستاقية قد اعيوا من وليهم وعجز الولاة عنهم فسلك معهم طريقا اصلحهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذبوا بها وادوا وصل من شعورهم الى السلطان ما عمل منه مقاود وشكالا للدواب ثم عزل عنها ثم ان السلطان بركيارق اقطع البصرة للامير قماج فارسل اليها اخذا الامير اسمعيل نائبا عنه فلما فارق قماج بركيارق وانتقل الى خراسان حدثته نفسه بالتغلب على البصرة والاستبداد فانحدر مهذب الدولة بن ابي الجبر من البطيحة اليه ليسار به ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدي صاحب الجزيرة الدبيسية فاقبلا في جمع كثير من السفن والخيل ووصلوا الى مطارا فبينما معقل يقاتل قريبا من القلعة التي بناها ينال بمطارا وجددها اسمعيل واحكمها اتاه سهم غرب فقتله فعاد ابن ابي الجبر الى البطيحة واخذ اسمعيل سفنه وذلك سنة احدى وتسعين فاستنجد ابن ابي الجبر كوهرائين فامده بابي الحسن الهروي وعباس بن ابي الجبر فلقيهما فكسرهما واسرهما واطلق عباسا على مال اوصله ابوه واصطلحا واما الهروي فبقي في حبسه مدة ثم اطلقه على خمسة آلاف دينار فلم يصح له منها شيء وقوي حال اسمعيل وبنى قلعة بالابلة وقلعة بالشاطئ مقابل مطارا وصار يحوز الجانب وامن البصرة ... بواسط شيئا من المكوس واتسعت امارته باشتغال السلاطين وملك المشان واستضافها الى ما بيده فلما كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم اليه فقوي طمعه في واسط فاصعد في السفن الى نهرابان وراسلهم في التسليم فامتنعوا من ذلك وقالوا راسلنا وقد رأينا غيرة ذلك الرأي فاصعد الى الجانب الشرقي فخيم تحت النخيل وسفنه بين يديه وخيم جند واسط حذاءه وراسلهم ووعدهم وهم لا يجيبونه واتفقت العامة مع الجند وشتموه اقبح شتم فلما ايس منهم عاد الى البصرة وساروا بازائه من الجانب الآخر فوصل الى العمر وعبر طائفة من اصحابه فوق البلد وهو يظن ان البلد خال وان الناس قد خرجوا منه جملة ورأى كثرة من بازائه فيوقع الحريق في البلد فاذا رجع الاتراك عادوا ومن وراءهم فكان تشعبهم الآن الغلمة كانوا على دجلة او لهم في البلد واجتمعوا آخرهم مع الاتراك بازائه فلما عبر اصحابه عاد الاتراك عليهم ومعهم العامة فقتلوا منهم ثلاثين رجلا واسروا خلقا كثيرا والقى الباقون انفسهم في الماء فغرقوا فلما تم من ذلك مصيبة لم يظن وصار اصحابه مأسورين وعاد الى البصرة وكان عوده من سعادته فانه كان قد قصد الامير ابو سعد محمد بن مضر بن محمود البصرة ذلك الوقت وله اعمال واسعة من النصف عمان وجنابة وسيراف وجزيرة بني نفيس وكان سبب قصده اياها انه كان قد صار مع اسمعيل اثنان يعرف احدهما بجعفرك والآخر اسمه زنجويه والثالث بابي الفضل الابلي فاطمعوه في ان يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة في البحر الى هذا ابي سعد وغيره فعمل نيفا وعشرين قطعة فلما علم ابو سعد الحال ارسل جماعة كثيرة من

البصير ذهب اليه وقابله بدمنهور وصحبته لما وصل الباشا قفطان وسيف وشالنج وخلع لكبار العسكر مثل حسن باشا وطاهر باشا وعابدين بك وعمر بك وصالح قوج فنزل ببيت محمد الطويل التتنجي ببولاق (وفيه) نزلوا بالاسرى من الانكليز الى المراكب ليسافروا الى الاسكندرية (وفي يوم الاربعاء ثالث عشره) وصل المبشر بنزول الانكليز من ثغر الاسكندرية الى المراكب ودخول اليها كتخدا بك ونزل بدار الشيخ المسيري واستمر الباشا مقيما عند السد (وفي يوم السبت سادس عشره) ركب الباشا من بولاق بالموكب وشق من وسط المدينة وذهب الى بيت الباشا وضربوا القدوم مدافع من القلعة (وفي يوم الاربعاء سابع عشرينه) ولد لمحمد علي باشا مولود من حظيته وحضر المبشر من بنزول الانكليز من الاسكندرية ودخول الباشا بها فعملوا شنكا وضربوا مدافع من القلعة ثلاثة ايام في الاوقات الخمسة آخرها السبت (وفي يوم الخميس والجمعة والسبت) وصلت عساكر كثيرة ودخلوا المدينة وطلبوا ساكني البيوت وازعجوا الناس واخرجوهم من اوطانهم وضجت الخلائق وحضر الكثير الى السيد عمر والمشايخ فكتبوا عرضا في شأن ذلك وارسلوه الى كتخدا بك فاظهر الاهتمام واحضر طائفة من كبار العسكر وكلمهم في ذلك وقال لهم كل من كان ساكنا

وقد بيع كل كر خمسين دينارا فقال الملك تقبل بها فقال الوزير ما كنت لافسخ عقدا عقدته قال فخرجت واخذت من الحنطة الفين وخمسمائة دينار واضعفت اليها مثلها وعاملته فقتل فضاع الجميع وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء واختص به انسان كيميائي فكان يعده الشهر بعد الشهر والحول بعد الحول وقال له بعض اصحابه وقد احاله عليه بكر حنطة فاسترداه لو كان صادقا في عمله لما كان يسترفد من القدر القليل وقتل ولم يصح له منه شئ ولما قتل الاعز ابو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير ابو منصور الميبذي الذي كان وزير السلطان محمد وكان سبب فراقه لوزارة محمد انه كان معه باصبهان وبركيارق يحاصره وقد سلم اليه محمد بابا من ابوابها يحفظها فقال له الامير ينال بن انوشتكين كنت قد كلفتنا ونحن بالري ان نقصد همذان وقلت انا اقيم بالعسكر من مالي واحصل لهم ما يقوم بهم ولا بد من ذلك فقال له الخطير انا افعل ذلك فلما كان الليل فارق البلد وخرج من الباب الذي كان مسلما اليه وقصد بلده ميبذ واقام بقلعتها فتحصن فارسل اليه السلطان بركيارق من حصره فنزل منها مستأمنا فحمل على بغل باكاف الى العسكر فوصله في طريقه قتل الوزير الاعز وكتاب السلطان له بالامان وطيب قلبه فلما وصل الى العسكر خلع عليه واستوزره

(حادثة يعتبر بها)

في سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بني جهير وهو دورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك الى مؤيد الملك ثم قتل في سنة اربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ماله وتركته واخذ الجميع وحمل الى الوزير الاعز وقتل الوزير الاعز هذه السنة وبيع رحله واقتسمت امواله واخذ السلطان ومن ولي بعده اكثرها وتفرقت ايدي سبا وهذا عاقبة خدمة الملوك

(ذكر الفتنة بين ايلغازي وعامة بغداد)

في هذه السنة في رجب كانت فتنة شديدة بين عسكر الامير ايلغازي بن ارتق شحنة بغداد وبين عامتها وسببها ان ايلغازي كان بطريق خراسان فعاد الى بغداد فلما وصل اتى جماعة من اصحابه الى دجلة فنادوا ملاحا ليعبر بهم فتأخر فرماه احدهم بنشابة فوقعت في مقتله فمات فاخذ العامة القاتل وقصدوا باب النوبي فلقيهم ولد ايلغازي مع جماعة فاستنقذوه ورجمهم العامة بسوق الثلاثاء فمضى الى ابيه مستغيثا فاخذ حاجب الباب من اه في هذه الحادثة فصل فلم يقنع ايلغازي ذلك فعبر باصحابه الى محلة الملاحين المعروفة بمربعة القطانين وتبعهم خلق كثير فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه فعطف عليهم العيارون فقتلوا اكثرهم ونزل من سلم في السفن ليعبر دجلة فلما توسطوها القى الملاحون انفسهم في الماء وتركوهم فغرقوا فكان الغريق اكثر من القتيل وجمع ايلغازي التركمان واراد نهب الجانب الغربي فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة والكيا الهراسي المدرس بالنظامية فمنعاه من ذلك فامتنع

(ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها)

اخبروني بطلبه وانا ادفعه ان كان ذا رامة او كلفة فقالوا لا ندري وانما امرنا باحضارك فشاغلهم بالطعام والقهوة وودع بها نقديه وحريمه والذي يخاف عليه وفي الوقت وصلت مراكب وبها عساكر وطلعوا الى البر فركب شيخ البلد وخيوله وخياله واستعد لحربهم وحاربهم وابلى معهم وقتل منهم عدة كبيرة ثم ولى هاربا فدخل العسكر الى البلد ونهبوها واخذوا ما وجدوه في دور اهلها وحبس وانعام السيد الدسوقي وذبحوا من وجدوه من المجاورين وفيهم من طلبة العلم المواجر (وفيه) ركب كتخدا بك ومر على بيت الداودية وبه مقاتلة من الدلاة فرأى شخصا منهم جرح جاجة بحجر ليرميها من سطح دار اخرى فانتهره واراد ضربه فقامت عليه رفقاؤه الدلاتية وقرموا عليه فولى هاربا منهم فعدوا خلفه ولم يزل راجلا واتباعه حتى وصل الى ناحية الازبكية

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٢٤)

في رابعه وردت مكاتبات من الباشا بوقوع الصلح بينه وبين الانكليز واتفقوا على خروجهم من الاسكندرية وخلوها وتركوها لهم وارسل يطلب الاسرى من الانكليز (وفي عاشره) ورد قبجي [illegible] نجيب افندي فوصل الى بولاق يوم الاثنين حادي عشره وكان وروده من ناحية دمياط فلما علم ان الباشا بناحية

مع شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الخبر فقصد نصيبين وتسلمها وسار موسى قاصدا الى الجزيرة فلما قارب جكرمش غدر بموسى عسكره وصاروا مع جكرمش فعاد موسى الى الموصل وقصده جكرمش وحصره مدة طويلة فاستعان موسى بالامير سقمان بن ارتق وهو بديار بكر واعطاه حصن كيفا وعشرة آلاف دينار فسار سقمان اليه فرحل جكرمش عنه وخرج موسى لاستقبال سقمان فلما كان موسى عند قرية تسمى كراثا وثب عليه عدة من الغلمان القوامية فقتلوه ورماه احدهم بنشابة فقتله فعاد اصحابه منهزمين ودفن على تل هناك يعرف الآن بتل موسى ورجع الامير سقمان الى الحصن فملكه وهو بيد اولاده الى يومنا هذا سنة عشرين وستمائة وصاحبه الآن غازي بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق وقصد جكرمش الموصل وحصرها اياما ثم تسلمها صلحا واحسن السيرة فيها واخذ القوامية الذين قتلوا موسى فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور وملك العرب والاكراد فاطاعوه

⊙(ذكر حال صنجيل الفرنجي وما كان منه في حصار طرابلس)⊙

كان صنجيل الفرنجي لعنه الله قد لقي قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب قونية وكان صنجيل في مائة الف مقاتل وكان قلج ارسلان في عدد قليل فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم كثير واسر كثير وعاد قلج ارسلان بالغنائم والظفر الذي لم يحتسبه ومضى صنجيل مهزوما في ثلثمائة فوصل الى الشام فارسل فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس الى الامير ياخز خليفة جناح الدولة على حمص والى الملك دقاق بن تتش يقول من الصواب ان يعاجل صنجيل اذ هو في هذا العدد القريب فخرج الامير ياخز بنفسه وسير دقاق الفي مقاتل واتتهم الامداد من طرابلس فاجتمعوا على باب طرابلس وصافوا صنجيل هناك فاخرج مائة من عسكره الى اهل طرابلس ومائة الى عسكر دمشق وخمسين الى عسكر حمص وبقي هو في خمسين فاما عسكر حمص فانهم انكسروا عند المشاهدة وولوا منهزمين وتبعهم عسكر دمشق واما اهل طرابلس فانهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم فلما شاهد ذلك صنجيل حمل في المائتين الباقية فكسروا اهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ونازل صنجيل طرابلس وحصرها واتاه اهل الجبل فاعانوه على حصارها وكذلك اهل السواد واكثرهم نصارى فقاتل من بها اشد قتال فقتل من الفرنج ثلثمائة ثم انه هادنهم على مال وخيل فرحل عنهم الى مدينة انطرسوس وهي من اعمال طرابلس فحصرها وفتحها وقتل من بها من المسلمين ورحل الى حصن الطوبان وهو يقارب رفنية ومقدمه يقال له ابن العريض فقاتلهم فنصر عليه اهل الحصن واسر ابن العريض منه فارسا من اكابر فرسانه فبذل صنجيل في فدائه عشرة آلاف دينار والف اسير فلم يجبه ابن العريض الى ذلك

⊙(ذكر ما فعله الفرنج)⊙

العساكر وتقدموا جرانا وهيابا واوقف العساكر صفوفا يتلقونه بسرعة وعندما وصلوا ضربوا لهم مدافع كثيرة وشنكا وقدم لهم خيولا وهدايا واقمشة هندية وخلع عليهم خلعا وشيلانا كشميرية وغير ذلك ثم ركب معهم في قلة الى حيث منزله سارى عسكرهم وكبيرهم فتلاقى معهم وقدم له الآخر هدايا ونحو ذلك ثم ركب معه الى الاسكندرية وتسلم القلعة وذلك بعد دخول كخدا بك بخمسة ايام وكان في اسرى الانكليز اثنان من عظمائهم فاحضرهم الباشا مع باقي الاسرى وتم الصلح على رد المذكورين على انهم ياتوا لا طمعا في البلاد كما تقدم وما زالوا بالمراكب لم يبعدوا من الثغر الا مسافة قليلة واستمروا يقطعون على المراكب الواردين على الثغور وذلك لما بينهم وبين العثمانلي من المقاطعة (هذا) ما كان من امر الانكليز (واما العساكر) فانهم استمروا في التعدي على الناس وغصب البيوت من اصحابها فتاتي الطائفة منهم الى الدار المسكونة ويدخلونها من غير احتشام ولا اذن ويهجمون على مكان الحريم بحيث انهم يتفرجون على اعالي الدار فتصرخ النساء ويجتمع اهل الخطة ويكلمونهم فلا يلتفتون اليهم فيعالجونهم مرة بالملاطفة واخرى بكثرة الجمع ان كان بهم قوة او بمعونة ذي مقدرة واذا انفصلوا لا يخرجون من الدار الا بمصلحة او هدية لما قدروا ويشترطون في ذلك الشيلان الكشميري

فعاد به في نحو خمسين قطعة فاتوا الى دجلة البصرة وذلك في الدفعة الثانية فاقاموا بها محاربين وظفروا بطائفة من اصحاب اسمعيل وقتلوا صاحب قلعة الابلة وكاتبوا بني برسق بخوزستان يطلبون ان يرسلوا عسكرا ليساعدوهم على اخذ البصرة فتمادى الجواب وركن الطائفتان الى الصلح على ان يسلم اليهم اسمعيل جعفرك ورفيقه ويقطعهم مواضع ذكروها من اعمال البصرة فلما رجعوا الى بلدهم لم يفعل شيأ من ذلك واخذ مركبين للقوم من اصحاب ابي سعد فحمله ذلك على ان سار بنفسه في قطع كثيرة تزيد على مائة قطعة بين كبيرة وصغيرة ووصل الى فوهة نهر الابلة وخرج عسكر اسمعيل في عدة مراكب ووقع القتال بينهم وكان البحريون في نحو عشرة آلاف واسمعيل في سبعمائة واصعد البحريون في دجلة فلم قواعدة مواضع وتفرق عسكر اسمعيل فبعضه بالابلة وبعضه بنهر الدير وبعضه في مواضع اخر فلما ضعف اسمعيل عن مقاومة ابي سعد طلب من وكيل الخليفة على ما يتعلق بديوانه من البلاد ان يسعى في الصلح فارسل اليه في ذلك فاعاد الجواب بذكر قبح ما عامله به اسمعيل مرة بعد اخرى وتكررت الرسائل بينهم فاجاب الى الصلح فاصطلحا واجتمعا وعاد ابو سعد الى بلاده وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية جميلة

﴿ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركماني الموصل وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن﴾

في هذه السنة في ذي القعدة توفي قوام الدولة كربوقا بمدينة خوى وكان السلطان بركيارق قد ارسله في العام الماضي الى اذربيجان ليأخذها فاستولى على اكثرها واتى الى خوى فمرض بها ثلاثة عشر يوما وكان معه اصبهبذ صباوة بن خمارتكين وسنقرجه فوصى الى سنقرجه وامر الاتراك بطاعته واخذ له على عسكره العهود مات على اربعة فراسخ من خوى واقام في زاوية لعدم ما يكفن فيه ودفن بخوى وسار سنقرجه واكثر العسكر الى الموصل فتسلمها فاقام بها ثلاثة ايام وكان اعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركماني وهو بحصن كيفا ينوب عن كربوقا فيه واستدعوه ان يبادر اليهم ليسلموا اليه البلد فسار مجدا فسمع سنقرجه بوصوله فظن انه جاء اليه خدمة له فخرج يستقبله في اهل البلد فلما تقاربا ترجل كل واحد منهما لصاحبه عن فرسه واعتنقا وبكيا على قوام الدولة فتسايرا فقال سنقرجه لموسى في جملة حديثه انا مقصودي من جميع ما كان لصاحبنا الخطبة والمنصب والاموال والولايات لكم وبحكمكم فقال موسى من نحن حتى يكون لنا مناصب ودست الامر في هذا الى السلطان يرتب فيه من يريد ويولي من يختار وجرى بينهما محاورات فجذب سنقرجه سيفه وضربه صفحا على رأسه فجرحه فالقى موسى نفسه الى الارض وجذب سنقرجه فالقاه الى الارض وكان مع موسى ولد منصور ابن مروان الذي كان ابوه صاحب ديار بكر فجذب سكينا وضرب بها رأس سنقرجه فابانه ودخل موسى البلد وخلع على اصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم فصارت الولاية وقاتا

قبل الحضر وخرج الى المرضى في دار لم يرجع اليها ويسكنها ولا تعارضوا الناس في مساكنهم فلم يفعلوا في ذلك شيئا لان البيوت التي كانوا بها اخربوها وحرقوا اخشابها وتركوها كيمانا وذلك دابهم

﴿واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة ١٢٢٣﴾

في ثالثه يوم الاثنين وصل الباشا الى ساحل بولاق ضربوا لقدومه مدافع من القلعة وعملوا له شنكا ثلاثة ايام واتفق ان الباشا في حال رجوعه من الاسكندرية نزل في سفينة صغيرة وصحبته حسن باشا طاهر وسليمان اغا الوكيل سابقا فانقلبت بهم واشرف الاتنهم على الغرق وتعلق بعضهم بحرف السفينة فلحقتهم مركب اخرى انقذتهم من الغرق وطلعوا سالمين وكان ذلك عند رشيد (وفيه) كتبوا اوراق البشارة بذهاب الانكليز وسفرهم من الاسكندرية وارسلوها الى البلاد والقرى وعليها حق الطريق اربعة آلاف والفين فضة وصورة ما حصل انه لما وصل الباشا الى ناحية الاسكندرية راسل الانكليز وحضر اليه انفار منهم واختلى معهم ولم يعلم احد ما دار بينهم من الكلام وذهبوا من عنده واشيع الصلح وفرحت العسكر لانهم لما رأوا صورة المتاريس والطوابي والخنادق وجرى الميامين ذلك بالاوضاع المتقنة هالهم ذلك ثم حضر من عندهم انفار وسلموا الباشا بوضو ولم يرتب

سح

فلما وصل الى نيسابور خطب لاخيه محمد بخراسان جميعها ولما كان بعد ذلك طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند في خراسان لبعد سنجر عنها وجمع عساكر تملأ الارض قيل كانوا مائة الف مقاتل فيهم مسلمون وكفار وقصد بلاد سنجر وكان امير من امراء سنجر اسمه كندغدي قد كاتب قدرخان بالاخبار واعلمه مرض سنجر وبعد عوده الى بلاده وانه قد اشفى على الهلاك وقوى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد وشدة عداوة بركيارق لسنجر واشار عليه بالسرعة ما دام الاختلاف واقعا وانه متى اصطلحا عجز عن خراسان والعراق فبادر قدرخان واقدم وقصد البلاد فبلغ السلطان سنجر الخبر وكان قد عوفي فبادر وسار نحوه قاصدا قتاله ومنعه عن البلاد وكان من جملة من معه كندغدي المذكور ولا يتهمه بشيء مما فعل فوصل الى بلخ في ستة آلاف فارس فبقي بينه وبين قدرخان نحو خمسة ايام فهرب كندغدي الى قدرخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق والمناصحة وسار من عنده الى ترمذ فملكها وكان الباعث لكندغدي على ما فعل حسده للامير برغش على منزلته ثم تقدم قدرخان فلما تدانى العسكران ارسل سنجر يذكر قدرخان العهود والمواثيق القديمة فلم يصغ الى قوله واذكى سنجر العيون والجواسيس على قدرخان فكان لا يخفى عنه شيء من خبره فاتاه من اخبره انه نزل بالقرب من بلخ وانه خرج متصيدا في ثلثمائة فارس فندب سنجر عند ذلك الامير برغش لقصده فسار اليه فلحقه وهو على تلك الحال فقاتله فلم يصبر من مع قدرخان فانهزموا واسر كندغدي وقدرخان واحضرهما عند سنجر فاما قدرخان فانه قبل الارض واعتذر فقال له سنجر ان خدمتنا او لم تخدمنا فما جزاؤك الا السيف ثم امر به فقتل فلما سمع كندغدي الخبر نجا بنفسه ونزل في قناة ومشى فيها فرسخين تحت الارض على ما به من النقرس وقتل فيها حيتين عظيمتين وسبق اصحابه الى مخرجها وسار منها في ثلثمائة فارس الى غزنة وقيل بل جمع سنجر عساكر كثيرة والتقى هو وقدرخان وجرى بينهما مصاف وقتال فلم يكثر فيه القتل فيهم فانهزم قدرخان وعسكره وحمل اسيرا الى سنجر فقتله وحصر ترمذ وبها كندغدي فطلب الامان فامنه سنجر ونزل اليه وسلم ترمذ فامره سنجر بمفارقة بلاده فسار الى غزنة فلما وصل اليها اكرمه صاحبها علاء الدولة وحصل عنده المحل الكبير واتفق ان صاحب غزنة عزم على قصد اوتان وهي جبال منيعة على اربعين فرسخا من غزنة وقد عصى عليه فيها قوم وتحصنوا بمعاقلها وعورة مسالكها فقاتلهم عسكر علاء الدولة فلم يظفروا منهم بطائل فتقدم كندغدي منفردا عنهم فابلى بلاء حسنا ونصر عليهم واخذه شتاغوسهم وحملها الى علاء الدولة فلم يقبل منها شيئا وردها عليه فغضب العسكر وحسدوه على ذلك وعلى قربه من صاحبهم وتفاقم عليه فاشاروا بقبضه وقالوا انا لا نامن ان يقصد بعض الاماكن فيفعل في امر الدولة ما لا يمكن تلافيه فقال قد تحققت قصدكم الكذب عن اقبض عليه فاني اخاف ان آمركم بالقبض عليه فيقتل اكثركم منهم ما تقصدون به فقالوا الصواب ان توليه ولاية و يقبض عليه اذا سار اليها فولاه حصن نيروت عادته ان يسجن فيه من

ويستعملون الاواني ويطلبون ما يحتاجون اليه مثل الطست والابريق وغير ذلك ثم تاتيهم رفقاؤهم فيبيتوا ويدخلون ويخرجون وبايديهم الاسلحة ويضيق عليهم المكان فيقولون لصاحب المكان اخل لنا محلا آخر في الدار لرفقائنا فان قال ليس عندنا محل آخر او قصر في مطلوب ابتداؤه بالقوة فعند ذلك يعلم صاحب الدار انهم لا ينفكون عن المكان و بعد مضي العشرة ايام او اقل او اكثر ظهرت قبائحهم وقذروا المكان واحرقوا البسط والحصر بما يتساقط عليها من الجمر من شربهم النارجيلات والتنباك والدخان وشربوا الشراب وعربدوا وصرخوا وصفقوا وغنوا بلغاتهم المختلفة وفقعت رائحة العرق في المنزل فيضيق صدر الرجل وصدر اهل بيته و يطيب خاطرهم على الخروج والنقلة فيطلبون لانفسهم مسكنا ولو مشتركا عند اقاربهم او معارفهم ويخرج النساء في غفلة ينقلون ما يمكن من حمله ثم يشرعون في اخراج المتاع والاواني والنحاس والفرش فيحجزونه منهم ويقولون اذا اخليتم فلك فعلى اي شيء نجلس وفي اي شيء نطبخ وليس معنا فرش ولا نحاس والذي كان معنا استهلكناه في السفر والجهاد ودفع الكفار عنكم وانتم مستريحون في بيوتكم ومتنعمون فيقع النزاع ويتصل الامر بينهم وبين صاحب الدار

في هذه السنة أطلق الدانشمند بيمند الفرنجي صاحب انطاكية وكان قد اسره وقد
تقدم ذكر ذلك واخذ منه مائة الف دينار وشرط عليه اطلاق ابنة باغيسيان الذي
كان صاحب انطاكية وكانت في اسره ولما خلص بيمند من اسره عاد الى انطاكية
فقويت نفوس أهلها به ولم يستقر حتى ارسل الى أهل العواصم وقنسرين وما جاورها
يطالبهم بالاتاوة فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التي بناها الدانشمند وفيها
سار صنجيل الى حصن الاكراد فحصره فجمع جناح الدولة عسكره ليسير اليه و يكبسه
فقتله باطني بالمسجد الجامع فقيل ان الملك رضوان ربيبه وضع عليه من قتله فلما قتل
صبح صنجيل حمص من الغد ونازلها وحصر اهلها وملك اعمالها ونزل القمص على
عكا في جمادى الآخرة وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والابراج
وكان له في البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل واتوا الى
منجنيقاتهم وابراجهم فأحرقوها واحرقوا سفنهم أيضا وكان ذلك نصرا عجيبا اذل الله به
الكفار وفيها سار القمص الفرنجي صاحب الرها الى بيروت من ساحل الشام وحصرها
وضايقها واطال المقام عليها فلم ير فيها طمعا فرحل عنها وفيها في رجب خرجت عساكر
مصر الى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقي في أيديهم من البلاد الشامية فسمع بهم
بردويل صاحب القدس فسار اليهم في سبعمائة فارس وقاتلهم فنصر الله المسلمين
وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاختفى في اجمة قصب فاحرقت تلك
الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر
وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر في أصحابه

(ذكر عود قلعة خفتيذ كان الى سرخاب بن بدر)

في هذه السنة عادت قلعة خفتيذ كان الى الامير سرخاب بن بدر بن مهلهل وكان سبب
اخذها منه ان القرابلي وهو من قبيل من التركمان يقال لهم سلغر كان قد اتى الى بلد
سرخاب فمنعه من المراعي وقتل جماعة من اصحابه فمضى قرابلي الى التركمان واستجاش
بهم وجاء في عسكر كثير فلقيه سرخاب وقاتله فقتل قرابلي من اصحابه الاكراد قريبا من
الفي رجل وانهزم سرخاب الى بعض جباله في عشرين رجلا فلما سمع المستحفظان
بقلعة خفتيذ كان ذلك وكانا رجلين حدثتهما انفسهما بالاستيلاء عليها وكان بها
ذخائر سرخاب وأمواله وقد قاربت قيمتها الفي الف دينار فتملكاها واحتاز بها السلطان
بركيارق فانفذا اليه مائتي الف دينار واستولى التركمان على جميع بلاد سرخاب بن بدر
سوى دقوقا وشهرزور فلما كان هذا الوقت قتل احد المستحفظين الآخر وارسل الى
سرخاب يطلب منه الامان ليسلم اليه القلعة فامنه على نفسه وعلى ما حصل بيده من
اموالها فسلمها اليه ووفى له

(ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند)

قد ذكرنا قبل قدوم الملك سنجر مع اخيه السلطان محمد الى بغداد وعوده الى خراسان

فاذا احضر والهم مطالبوهم فلا يهب كبيرهم ويطالب خلافه احمر او اصغر واتفق ان بعضهم دخل عليه
... جماعته فنزل به
حتى صار الجمع فقال ناخذه
و يترك له دارا فاتاه بشال
اصغر فانه رأى انه لا يريد الا
الاحمر الدودة فلم يسعه الا الرضا
واراد ان يرد الاصغر ويأتيه
بالاحمر فعجزه وقال دعه حتى
تأتي بالاحمر فاختار منهما
الذي يعجبني فلما اتاه بالاحمر
ضمه الى الاصفر واخذ الاثنين
ثم انصرف عنه وذلك خلاف
ما ياخذونه من الدراهم فاذا
انصرفوا وظن صاحب الدار
انهم انفصلوا عنه فياتيه بعد
يومين او ثلاثة خلافهم ويقع
في ورطة اخرى مثل الاولى
او اخف او اعظم منها وبعضهم
يدخل الدار ويسكنها بالتحيل
والملاطفة مع صاحب الدار
فيقول له يا اخي يا حبيبي انا
مع ثلاثة انفارا واربعة
لا غير ونحن مسافرون بعد
عشرة ايام والقصد ان نصبح
لنا نقيم في محل الرجال وانت
عمر علت في مكانهم اهل الدار
فيظن صدقهم ويرضى بذلك
من الخوف وكرهم فيعبرون
ويجلسون كما قالوا في محل
الرجال ويربطون خيولهم في
الحوش ويعلقون اسلحتهم
ويقولون نحن صرنا ضيوفك
فاذا اراد ان يرفع فرش المكان
يقولون نحن نجلس على الحصير
والبلاط واي شيء يصيب
الفرش غير تركه سيئا وقهرا انهم يطلبون الطعام والشراب فما يسعه الا ان يتكلف لهم ذلك في اوقاته

فلما

قد سهوروها بانهم وانتم اولى بذلك لانكم مسلمون فقالوا لهم في الجواب انتم لستم بمسلمين لانكم انتم تمشون

وفيها توفي القاضي ابو نصر السنديجي الضرير الفقيه الشافعي انتقل الى مكة فجاور بها اربعين سنة يدرس الفقه ويسمع الحديث ويشتغل بالعبادة وفيها توفي ابو عبد الله الحسين ابن محمد الطبري باصبهان وكان يدرس فقه الشافعي بالمدرسة النظامية وقد جاوز تسعين سنة وهو من اصحاب ابي اسحق وفيها توفي الامير منظور بن عمارة الحسيني امير المدينة على ساكنها الصلاة والسلام وقام ولده مقامه وهو من ولد المهنا وقد كان قتل المعمار الذي انفذه مجد الملك البلاساني لعمارة القبة التي على قبر الحسن بن علي والعباس رضي الله عنهما وكان من اهل قم فلما قتل البلاساني قتله منظور بعد ان امنه وكان قد هرب منه الى مكة فارسل اليه باماله

(ثم دخلت سنة ست وتسعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء ينال على الري واخذها منه ووصوله الى بغداد)

كانت الخطبة بالري للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من اصبهان على ماذكرناه ومعه ينال بن انوشتكين الحسامي استاذنه في قصد الري واقامة الخطبة له بها فاذن له فسار هو واخوه علي بن انوشتكين فوصلا اليها في صفر فاطاع من بها من نواب بركيارق وخطب لمحمد بالري واستولى ينال على البلد وعسف اهله وصادرهم بمائتي الف دينار واقام بها الى النصف من ربيع الاول فورد اليه الامير برسق بن برسق من عند السلطان بركيارق فوقع القتال بينهم على باب الري فانهزم ينال واخوه علي فامنا علي فعاد الى ولايته قزوين وسلك ينال الجبال فقتل من اصحابه كثير وتشتتوا فاتى الى بغداد في سبعمائة رجل فاكرمه الخليفة واجتمع هو وايلغازي وسقمان ابنا ارتق ببغداد في حنيفة وتحالفوا على مناصحة السلطان محمد وساروا الى سيف الدولة صدقة فحالف لهم ايضا على ذلك وعادوا

(ذكر مافعله ينال بالعراق)

قد ذكرنا وصول ينال بن انوشتكين الى بغداد قبل فلما استقر ببغداد ظلم الناس بالبلاد جميعا وصادرهم واستطال اصحابه على العامة بالضرب والقتل والتقسيط وصادر العمال فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة ابا الحسن الدامغاني ينهاه عن ذلك ويقبح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان وتردد ايضا الى ايلغازي وكان ينال قد تزوج هذه الايام باخته وهي التي كانت زوجة تاج الدولة تتش حتى توسط الامر معه فضوا اليه وحلفوه على الطاعة وترك ظلم الرعية وكف اصحابه ومنعهم فحلف ولم يف باليمين وتمكث ودام على الظلم وسوء السيرة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة وعرفه مايفعله ينال من نهب الاموال وسفك الدماء وطلب منه ان يحضر بنفسه ليكف ينال فسار من حلته في رمضان ووصل بغداد رابع شوال وضرب خيامه بالنجمي واجتمع هو وينال وايلغازي ونواب ديوان الخليفة وتقررت القواعد على مال ياخذه ويرحل عن العراق فطلب ينال المهلة فعاد صدقة عاشر شوال الى حلته وترك ولده

عنك النصارى لبلادكم ويقولون انهم خير منا ونحن مسلمون ويجاهدون طردنا النصارى واخرجناهم من البلاد فنحن احق بالدور منكم ونحو ذلك من القول الشنيع ثم لم يزل الواقع معالجتهم الى ثاني يوم ولم ينصرفوا عن الدار حتى دفعوا الصم مائتي قرش وشال كشمير لكبيرهم وفعل مثل ذلك بعدة بيوت دخلها على هذه الصورة واخذ منها اكثر من ذلك ومنها دار اسمعيل افندي صاحب العيار بالضربخانة وهو رجل معتبر اخذ منه خمسمائة قرش وشال كشمير وفعل مثل ذلك بغيرهم هو وامثاله ولما كثر الناس من التشكي للباشا والسكاكين قال السكافة الناس قاتلوا وجاهدوا اشهرا واياما وقاسوا اماما وهم في الحر والبرد والطل حتى طردوا عنكم الكفار واجلوهم عن بلادكم افلا تسعونهم في السكنى ونحو ذلك من القول (ولما) انقضى هذا الامر واستقر الباشا واطمان خاطره وخلص له الاقليم المصري وثغر الاسكندرية الذي كان خارجا عن حكمه حتى قبل مجيء الانكليز فان الاسكندرية كانت خارجة عن حكمه فلما حصل مجيء الانكليز وخروجهم صار الثغر في حكمه ايضا اذ لم يعد يأبه الا حال صدور المشايخ والفقهاء ومعافي البلاد التي التزموا

يخاف جانبهما واليهما فلما قارب همدان وقف على ارادته فاطرق جميع ماله وتحرز بنواله وسار جريدة وكان في مدة مقامه بغزنة يسأل عن الطرق ويتعرفها فانه عزم على قصد تلك الجهة فلما سار سأل واعيا عن الطريق التي يريدها فدله فاخذه معه مخوفا ان يكون قد غره ولم يزل سائرا الى ان وصل الى قريب هراة فمات هنالك وهو من مماليك تتش ابن الب ارسلان الذي كحله اخوه ملكشاه ومعه بتكريت وقد تقدم ذكر حادثته

(ذكر ملك محمد خان سمرقند)

في هذه السنة احضر السلطان سنجر محمد ارسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان من مرو وملكه سمرقند بعد قتل قدرخان وكان هذا محمد خان من اولاد الخانية بما وراء النهر وامه ابنة السلطان ملكشاه فدفع عن ملك آبائه فقصد مرو واقام بها الى الآن فلما قتل قدرخان ولاه سنجر اعماله وسير معه العساكر الكثيرة فعبروا النهر فاطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها وعظم شأنه وكثرت جموعه الا انه انتصب له امير اسمه صاغربك وزاحمه في الملك فطمع فيه فجرى له معه حروب احتاج في بعضها الى الاستنجاد بعساكر سنجر على ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ولما ملك محمد خان البلاد احسن الى الرعايا بوصية من سنجر وحقن الدماء وصار بابه مقصدا وجنابه ملجأ

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول خرج تاج الرؤساء ابن اخت امين الدولة ابي سعد بن الموصلايا الى الحلة السيفية مستجيرا بسيف الدولة صدقة وسبب ذلك ان الوزير الاعز وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليه انه هو الذي يميل جانب الخليفة الى السلطان محمد فصار خائفا واعتزل خاله امين الدولة الديوان وجلس في داره فلما قتل الوزير الاعز على ما ذكرناه عاد تاج الرؤساء من الحلة الى بغداد وعاد خاله الى منصبه وفي ربيع الاول ايضا ورد العميد المهذب ابو المجد اخو الوزير الاعز الى بغداد نائبا عن اخيه فلما منه ان ايلغازي لا يخالفهم حيث كان بركيارق ومحمد قد اتفقا كما ذكرناه فقبض عليه ايلغازي ولم يتغير عن طاعة محمد وفيها في جمادى الاولى ورد الى بغداد اينكش بن الب ارسلان وكان قد استولى على الموصل نفر منه من كان بها حتى يسير عنها الى بغداد فقعل فلما وصل اليها زوجه ايلغازي بن ارتق ابنته وفيها في شهر رمضان استوزر الخليفة عميد الملك ابا المعالي بن عبد الرزاق ولقب عضد الدين وفيها في صفر قتل الرعيون بجيرت قاضي البلد ابا صالح بن المثنى وكان ورعا فقيها حنفيا من اصحاب القاضي ابي عبد الله الدامغاني وكان هذا القاضي على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول بين القبائل فنسبوه في ذلك الى التحامل عليهم فقتله احدهم فندم الباقون على قتله وقد فات الامر وفيها بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين وسكنها وانما كان يسكن هو وآباؤه قبله في البيوت العربية وفي جمادى الاولى قتل المؤيد بن شرف الدولة مسلم بن قريش امير بني عقيل قتله بنو نمير عند هيت قصاصا

وفيها

اما بترك الدار واما بالمقاسمة والمصالحة بالترجي والوسائط ونحو ذلك وهذا الامر يقع لاعيان الناس والمقيمين بالبلدة من الامراء والاجناد للصربين واتباعهم ونحوهم ثم انهم تعدوا الى الحارات والنواحي التي لم يتقدم لهم السكنى بها قبل ذلك مثل نواحي المشهد الحسيني وخلف الجامع المؤيدي والخرنفش والجمالية حتى ضاقت المساكن بالناس اقاتها وصار بعض المحتشمين اذا سكن بجواره عسكري يتحول من داره ولو كانت ملكه بعدا من جوارهم وخوفا من شرهم وتسلقهم على الدار لانهم يصعدون على الاسطح والحيطان ويتطلعون على من يجاورهم ويرمون بالبندقيات والقنبجات ومما اتفق ان كبيرا منهم دخل بطائفته الى منزل بعض الفقهاء المعتبرين وامره بالخروج منها ليسكن هو بها فاخبر زملاءه من مشايخ العلم فلم يلتفت لقولهم فتركه ولبس عمامته وركب بغلته وحضر الى اخوانه المشايخ واستغاث بهم فركب معه جماعة منهم وذهبوا الى الدار ودخلوا اليها راكبين بغالهم فعندما شاهدهم العسكر وهم اذا صلاتون في كيفية أخذوا اسلحتهم وضربوا عليهم البارود فرجع البعض هاربا وثبت الباقون ونزلوا من بغالهم وخاطبوا كبيرهم وصرخوا ان ادار العالم الكبير وهذا لا يناسب وان النصارى واليهود يكرمون

معايش الناس وغلت الاسعار فكان الخبز يساوي عشرة ارطال بقيراط فصار ثلاثة
ارطال بقيراط وجميع الاشياء كذلك فارسل الخليفة الى سيف الدولة في الاصلاح فلم
تستقر قاعدة وعاد ايلغازي وسقمان ومعهما دبيس بن سيف الدولة صدقة من دجيل
فتسموا بالرملة فقصدهم جماعة كثيرة من العامة فقاتلهم فقتل من العامة اربعة نفر
واخذ منهم جماعة فاطلقوا بعد ان اخذت اسلحتهم وازدادا الارشدة على الناس فارسل
الخليفة قاضي القضاة ابا الحسن بن الدامغاني وتاج الرؤساء ابن الموصلايا الى سيف
الدولة يامره بالكف عن الامر الذي هو ملابسه ويعرضها الناس فيه ويعظم الامر عليه
فاتاهم رضا الخليفة ان اخرج القيصري من بغداد والا فليس غير السيف والرعد والبرق
فلما عاد الرسول استقر الامر على اخراج القيصري من بغداد ففارقها ثاني عشر ربيع
الآخر وسار الى النهروان وعاد سيف الدولة الى بلده واعيدت خطبة السلطان محمد
ببغداد وسار القيصري الى واسط فخاف الناس منه وارادوا الانحدار منها لاستيلائهم
القيصري وخطب لبركيارق بواسط ونهبوا كثيرا من سوادها فلما سمع صدقة ذلك
سار الى واسط فدخلها وعدل في اهلها وكف عسكره عن اذاهم ووصل اليه ايلغازي
بواسط وفارقها القيصري ونزل متحصنا بدجلة فقيل لسيف الدولة ان هذا المخاضة
فسار اليها بعسكره وقد لبسوا السلاح فلما رآهم عسكر القيصري تفرقوا عنه وبقي في
خواص اصحابه فطلب الامان من سيف الدولة فامنه فحضر عنده فاكرمه وقال له قد
جهدت فقال الوزير كنا نحن اخرجنا من بغداد ثم من واسط ونحن لا نعقل ثم بذل صدقة
الامان لجميع عسكر واسط ومن كان مع القيصري سوى رجلين فعادوا اليه فامنهم
وعاد القيصري الى بركيارق واعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وخطب بعده
لسيف الدولة وايلغازي واستناب كل واحد منهما فيها ولده وعادا عنها في العشرين من
جمادى الاولى وامن اهل واسط مما كانوا يخافونه فاما ايلغازي فانه اصعد الى
بغداد واما سيف الدولة صدقة فانه عاد الى الحلة وارسل ولده الاصغر منصورا مع
ايلغازي الى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه فانه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة
فوصل الى بغداد وطلب في ذلك فاجيب اليه

(ذكر استيلاء صدقة على هيت)

كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش اقطعه اياها السلطان الب ارسلان
ولم تزل معه حتى قتل فتطرقها اعداء بغداد الى ان ملكها السلطان ملكشاه ثم اخذها
اخوه تتش بن الب ارسلان فلما استولى السلطان بركيارق اقطعها لبهاء الدولة ثروان
ابن وهيب بن وهيبة واقام هو وجماعة من بني عقيل عند سيف الدولة صدقة وكانا
متصافيين وكان صدقة يزوره كثيرا ثم تنافرا وكان سبب ذلك ان صدقة تزوج جدية
من ابن عمه وكان ثروان قد خطبها قبل ذلك فلما اتفقت عقيل وهم في حلف سيف
الدولة ان يكونوا يدا واحدة عليه فانكر صدقة ذلك ونزح ثروان عقيب ذلك وعاد

والالتزام وحساب الجبر والمناظرة والمضافة والرماية والمرادفات والمراسلات والتنكيت والتنجيم والاخبار
واستدعاء علمائهم في
جميع انواعهم وولاتهم والاعتناء
بشأنهم والتفاخر بترددهم
والتردد عليهم والمهاداة فيما
بينهم الى غير ذلك مما يطول
شرحه واوقع مع ذلك زيادة
عما هو بينهم من التنافر
والتحاسد والتهافت على الرياسة
والتفاقم والتكالب على
سفاسف الامور وحظوظ
الانفس على الاشياء الواجبة
مع ما جبلوا عليه من الشح
والشكوى والاستجداء
وفراغ الاعين والتطلع
للملاء كل في ولائم الاغنياء
والقراء والمعاتبة عليها ان
لم يدعوا اليها والتعرض بغض
بالطلب واظهار الاحتياج
لكثرة العيال والاتباع
واتساع الدائرة وارتكابهم
الامور المخلة بالمروءة المسقطة
للعدالة كالاجتماع في سماع
الملاهي والاغاني والقيان
والآلات المطربة واعطاء
الجوائز والنقوط بمناداة
الخلبوص وقوله واعلاما
في الناس وهو يقول في سامر
الجمع بمجمع من النساء
والرجال من عوام الناس
وخواصهم برفع الصوت الذي
يسمعه القاصي والداني وهو
يخاطب ونشية المغاني
بأن في حضرة شيخ الاسلام
والمسلمين مفيد الطالبين
الشيخ العلامة فلان منه كذا وكذا من التصفيقات الذهب قد رصصناه كثير ومع قليل تقيته التفاخر المكذب

وسار الى بغداد ليمنعوه من الظلم والتعدي فلما استقر الامر عليه بقي ينال الى منتصف ذي القعدة وسار الى اوانا فنهب وقطع الطريق وصادر الناس وبالغ في الفعل القبيح واقطع القرى لاصحابه فارسل الخليفة الى صدقة في ذلك فارسل الف فارس وساروا اليه ومعهم جماعة من اصحاب الخليفة وايلغازي شحنة بغداد فلما سمع ينال بقربهم منه عبر دجلة وسار الى باجسرى وشعثها وقصد شهرابان فمنعه اهلها فقاتلهم فقتل بينهم قتلى ورحل عنهم وسار الى اذربيجان قاصدا الى السلطان محمد وعاد دبيس بن صدقة وايلغازي شحنة بغداد الى مواضعهم

(ذكر وصول كمشتكين القيصري شحنة الى بغداد والفتنة بينه وبين ايلغازي وسقمان وصدقة)

في هذه السنة منتصف ربيع الاول ورد كمشتكين القيصري الى بغداد شحنة ارسله اليها السلطان بركيارق وقد ذكرنا في السنة المتقدمة رحيل بركيارق من اصبهان الى همذان فلما وصلها ارسل الى بغداد كمشتكين شحنة فلما سمع ايلغازي وهو شحنة بغداد للسلطان محمد ارسل الى اخيه سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا يستدعيه اليه ليعتضد به على منعه وسار الى سيف الدولة صدقة بالحلة واجتمع به وساله تجديد عهد في دفع من يقصده من جهة بركيارق فاجابه الى ذلك ووعده انه ينجده فعاد ايلغازي وورد سقمان في عساكره ونهب في طريقه تكريت وسبب ذلك انه ارسل جماعة من التركمان الى تكريت معهم احمال الجبن والسمن والعسل فباعوا ما معهم واظهروا ان سقمان قد عاد عن الانحدار فاطمأن اهل البلد فنبا التركمان تلك الليلة على الحراس فقتلوهم وفتحوا الابواب وورد اليها سقمان ودخلها ونهبها ولما وصل الى بغداد نزل بالرملة واما كمشتكين فوصل اول ربيع الاول الى قرميسين وارسل الى من له هوى مع بركيارق واعلمهم بقربه منهم فخرج اليه جماعة منهم فلقوه بالبندنيجين واعلموه الاحوال واشاروا عليه بالمعاجلة فاسرع السير فوصل الى بغداد منتصف ربيع الاول وفارق ايلغازي داره واجتمع باخيه سقمان واصعدا من الرملة ونهبا بعض قرى دجيل فسار طائفة من عسكر كمشتكين وراءهما ثم عادوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد فارسل كمشتكين القيصري الى سيف الدولة صدقة ومعه حاجب من ديوان الخليفة في طاعة بركيارق فلم يجب الى ذلك وكشف القناع ببغداد في مخالفتهم وسار من الحلة الى جسر صرصر فقطعت خطبة بركيارق ببغداد ولم يذكر على منابرها احد من السلاطين واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير ولما وصل سيف الدولة الى صرصر ارسل الى ايلغازي وسقمان وكانا بحربى يعرفهما انه قد اتى لنصرتهما فعادا ونهبا دجيلا ولم يبقيا على قرية كبيرة ولا صغيرة واخذت الاموال وافتضت الابكار ونهب العرب والاكراد الذين مع سيف الدولة بنهرملك الا انهم لم ينقل عنهم مثل التركمان من هذا القبيح والفساد معهم لكنهم استقصوا في اخذ الاموال بالضرب والاحراق وبطلت

بها لاهلها ابتدع المغارم والشهريات والفرض التي فرضوها على القرى ومظالم الكشوفية فجعل ذلك عاما على جميع الالتزامات والحصص التي بايدي جميع الناس حتى اكابر العسكر واصاغرهم ما عدا البلاد والحصص التي للمشايخ خارجة عن ذلك ولا يؤخذ منها نصف الغائظ ولا ثلثه ولا ربعه وكذلك من ينتسب لهم او يحتمي فيهم ويأخذون الجعالات والهدايا من اصحابها ومن فلاحيهم تحت حمايتها وتنبرص اتباعها واغتروا بذلك واعتقدوا دوامه وا كثروا من شراء الحصص من اصحابها المحتاجين بدون القيمة واقتنوا الدنيا وهجروا مذاكرة المسائل ومدارسة العلم الا بمقدار حفظ الناموس مع ترك العمل بالكلية وصار بيت احدهم مثل بيت احد الامراء الالوف الاقدمين واتخذوا الخدم والمقدمين والاعوان واجروا الحبس والتعزير والضرب بالفلقة والمقارع المعروفة بزب الفيل واستخدموا كتبة الاقباط وقطاع الجرائم في الارساليات للبلاد وقدروا حق طرق لاتباعهم وصارت لهم استيهالات وتحذيرات وانذارات عن تأخر المطلوب مع عدم سماع شكاوى الفلاحين ومخاصمتهم القبيحة مع بعضهم وحجات القاصد والكراهية الجبلية والمركوزة في طباعهم الخبيثة نقوا انقلب الوضع فيهم بضده وصار رشدهم واجتماعهم بذكر الامور الدنيوية والحصص

وحل بهم وقد اعيا العسكر من الجهتين على عسكر السلطان محمد فكسرهم وولوا الادبار لا يلوى احد على احد فاما السلطان بركيارق فانه قصد جبلا بين مراغة وتبريز كثير العشب والماء فاقام به ايا ما وسار الى زنجان واما السلطان محمد فانه سار مع جماعة من اصحابه الى ارجيش من بلاد ومنيية على اربع بين فرسخا من الوقعة وهى من اعمال خلاط من جملة اقطاع الامير سكمان القطبى وسار منها الى خلاط واتصل به الامير على صاحب ارزن الروم وتوجه الى آنى وصاحبها منوجهر اخو فضلون الروادى ومنها سار الى تبريز من اذربيجان وسنذكر باقى اخبارهم سنة سبع وتسعين عند صلحهم ان شاء الله تعالى وكان الامير محمد بن مؤيد الملك ابن نظام الملك مع السلطان محمد فى هذه الوقعة فرمنهزما ودخل ديار بكر وانحدر منها الى جزيرة ابن عمر وسار منها الى بغداد وكان فى حياة ابيه يقيم ببغداد فى سوق المدرسة فاتصلت الشكاوى منه الى ابيه فكتب الى كوهراثين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة وتوجه سنة اثنتين وتسعين الى مجد الملك البلاساني ووالده حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل ان يخطب لنفسه بالسلطنة وتوجه بعد قتل مجد الملك الى والده وقد صار وزير السلطان محمد وخطب لمحمد بالسلطنة وبقى بعد قتل والده واتصل بالسلطان محمد وحضر معه هذه الحرب فانهزم

(ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر ابى سعد بن الموصلايا فى الوزارة)

فى هذه السنة منتصف رجب قبض على الوزير سديد الملك ابى المعالى وزير الخليفة وحبس فى دار بدار الخلافة وكان اهله قد وردوا عليه من اصبهان فنقلوا اليه وكان محبه جميلا وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة فانه قضى عمره فى اعمال السلاطين وليس لهم هذه القواعد ولما قبض عاد امين الدولة بن الموصلايا الى النظر فى الديوان ومن عجيب ما جرى من الكلام الذى وقع بعد ايام ان سديد الملك كان يسكن فى دار عميد الدولة بن جهير وجلس فيها مجلسا عاما بحضرة الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوى فانشدوا ابياتا ارتجلها

سديد الملك سدت وخضت بحرا ۞ عميق اللج فاحفظ فيه روحك
واحى معالم الخيرات واجعل ۞ لسان الصدق فى الدنيا فتوحك
وفى الماضين معتبر فاسرج ۞ مروحك فى السلامة او جموحك

ثم قال سديد الملك من شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد زمان ثم اشار الى الدار وقرأ وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فقبض على الوزير بعد ايام

(ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة)

فى هذه السنة فى شعبان ملك الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة وكانت بيد انسان اسمه قايماز من غلمان السلطان الب ارسلان فلما قتل كربوقا استولى عليها قايماز وطمع فيها دقاق وملكها وتفرد بها ثم رحل عنها الى ... توفى قايماز هذه

ما تقرر عليهم وياخذونها ويتركونها بالجوع والعطش فعند ذلك يهجموا على الجزارين ويرمونها عليهم قهرا باقصى القيمة ويلزمونهم باحضار الثمن فان تراخوا وعجزوا شدوا واعليهم بالحبس والضرب (وفى يوم الخميس ثالث عشره) ركب الباشا الى ناحية سويقة العزى سائرا الى ناحية بيت بلفيا وهناك المكتب فوق السبيل الذى بين الطريقين تجاه من ياتى من تلك الناحية فطلع الى ذلك المكتب شخصان من العسكر برصد ان الباشا فى مروره تحتهما الى مقابلا لذلك المكتب اطلقا فى وجهه بندقتين فاخطأتاه واصابت احدى الرصاصتين فرس فارس من الملازمين حوله فسقط ونزل الباشا عن جواده على مصطبة حانوت مغلقة وامر الخدم باحضار الكامنين بذلك المكتب فطلعوا اليهما وقبضوا عليهما ثم حضر كبيرهم من دار قريبة من ذلك المكان واعتذر الى الباشا بانهما مجنونان وسكرانان فامر باخراجهما وصغرهما من مصر وركب وذهب الى داره (وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه) اجتمع عسكر الارنؤد والترك على بيت محمد على باشا وطلبوا علائفهم فوعدهم بالدفع فقالوا لا نصبر وضربوا ببنادق كثيرة واراد والوا ... ثم انصرفوا وتفرقوا وانجمت البلد وارحل السيد عمر الى اهل العرب ... العقادين والاسواق بامرهم برفع

مريضا فوكل به صدقة وقال لابد من هيت فارسل ثروان حاجبه وكتب خطه بتسليم البلد اليه وكان بهيت حينئذ محمد بن رافع بن رفاع بن ضبيعة بن مالك بن مقلد بن جعفر وارسل صدقة ابنه دبيسا مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلم اليه محمد فعاد دبيس الى ابيه فلما احس صدقة واصحابه النوبة اصعد في عسكره الى هيت فخرج اليه منصور بن كثير ابن اخي ثروان ومعه جماعة من اصحابه فلقوا سيف الدولة وحاربوه ساعة من النهار ثم ان جماعة من الربعيين فتحوا لسيف الدولة البلد فدخله اصحابه فلما راى ذلك منصور ومن معه سلموا البلد اليه فلما دخله يوم ترواه وخلع على منصور وجماعة من وجوه اصحابه وعاد الى حلته واستخلف عليه ابن عمه ثابت بن كامل

ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد

في هذه السنة ثامن جمادى الآخرة كان المصاف الخامس بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وكانت كثرة الامراء الاداران جميعا السلطان محمد وبها عسكره ومقدمهم الامير غزغلي فلما مال مقام محمد باصبهان محصورا توجه غزغلي والامير منصور بن نظام الملك وابن اخيه محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك قاصدين لنصرته ابراهيم بن الطاعة كان آخرها قام فيه الخطبة لمحمد زنجان عائدا الى اذربيجان فوصلوا الى الري في العشرين من ذي الحجة سنة خمس وتسعين فقارقها عسكر بركيارق ودخلوها واقاموا به ثلاثة ايام ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمد من اصبهان وانه وصل الى ساوة فساروا اليه ولحقوه بهمذان ومعه ينال وعلي ابنا انوشتكين الحسامي فبلغ عدتهم ستة آلاف فارس واقاموا الى اواخر المحرم فاتاهم الخبر بان السلطان بركيارق قد اتاهم فتلونوا في رايهم فسار ينال وعلي ابنا انوشتكين الى الري على ماذكرناه وعزم السلطان محمد على التوجه الى شروان فوصل الى اردبيل فارسل اليه الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتي صاحب بعض اذربيجان وكانت قبيلة لابيه اسمعيل بن ياقوتي وهو خال السلطان بركيارق وكانت اخته زوجة السلطان محمد وهو مطالب السلطان بركيارق بثار ابيه وقد تقدم قتله اول دولة بركيارق وقال له ينبغي ان تقدم الينا لنجتمع كلمتنا على طاعتك وقال خصمنا فسار اليه محمد وتصيد في طريقه بين اردبيل وبيلقان وانفرد عن عسكره فوثب عليه نمر وهو غافل فخرج السلطان محمد في عضده فاخذ سكينا وشق بها جوف النمرة فالقاه عن فرسه ونجا ثم ان مودود بن اسمعيل توفي في النصف من ربيع الاول وعمره اثنتان وعشرون سنة ولما بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمد والملك مودود سار غير متوقف فوصل بعد موت مودود وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمد وحلفوا له وفيهم سكمان القطبي ومحمد بن باغيسيان الذي كان ابوه صاحب انطاكية وقزل ارسلان بن السبع الاحمر فلما وصل بركيارق وقعت الحرب بينهم على باب خوى من اذربيجان عند غروب الشمس ودامت الى العشاء الآخرة فتقق ان الامير اياز اخذ معه خمسمائة فارس مستريحين

والازدراء بمقام العلم بين العوام والاوباش الناس الذين اقتدوا بهم في فعل المحرمات الواجب عليهم النهي عنها كل ذلك من غير احتشام ولا مبالاة مع التضاحك والقهقهة المسموعة من البعد في كل مجمع ومواظبتهم على الحزليات والمضحكات واقاويل الحكاية المعبر عنها عند اولاد البلد بالانقاط والتناظر في الاحداث الى غير ذلك (وفيه) طلبوا الطلب من الملتزمين بواقي المبرى على اربع سنوات ماضية (وفي عاشره) طلبوا ايضا دفاتر الطلب بمبرى السنة القابلة ووجهوا الطلب بها الى العسكر فدهى الناس بدواه متوالية منها خراب القرى بتوالي المظالم والمغارم والتكاليف وسوق الطرق والاستعجالات والتشاويف والبشارات فكان اهل القرية النازل بها ذلك يتنقلون الى القرية الاخرى التي من الاشياخ وقد طالت الحماية ايضا احيانا ثم انزلوا بالبنادر مغارم عظيمة لما قدر من الاكياس الكثيرة وذلك عقب فرضة البشارة فعلى دمياط ورشيد والمحلة والمنصورة مائة كيس وخمسون كيسا ومائة وخمسون واكثر واقل (وفي اثناء ذلك) قرروا ايضا فرضة غلال وسمن وشعير وفول على البلاد والقرى والزموا الملتزمين بدفعها وحملها ويرز الطلب شيئا من الدراهم عن الغلال بعد ان اخذوا مواشيهم وابقارهم التي لزرعها ويطعموا وجل

البيت المقدس وقتله من بها ما عدا القلاع وملكوا أيضا يافا وأرسوف وقيسارية وحيفا
وطبرية واللاذقية وأنطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان صنجيل يحاصر مدينة
طرابلس الشام والمواد تأتيها في البحر من الملثمين بمصر وكان يرسل أصحابه في المراكب
يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وقصدوا بذلك أن يخلوا السواد عن
زرع لتقل المواد عن الفرنج فيرحلوا عنه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سادس المحرم توفيت بنت أمير المؤمنين القائم بأمر الله التي كانت زوجة
السلطان طغرلبك وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة وكان الخليفة
المستظهر بالله قد ألزمها بيتها لانه أبلغ عنها انها تسعى في ازالة دولته وفيها في شعبان
ايضا استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جهير واستقدمه من الحلة من
عند سيف الدولة صدقة وقد ذكرنا في السنة المتقدمة مسيره اليها فلما قدم الى
بغداد خرج كل أرباب الدولة فاستقبلوه وخلع عليه الخلع التامة وأجلس في الديوان
ولقب قوام الدين وفيها ايضا قتل ابو المظفر بن الخجندي بالري وكان يعظ الناس فقتله
رجل علوي حين نزل من كرسيه وقتل العلوي ودفن الخجندي بباب ابرز وأصل بيت
الخجندي من مدينة خجندة بما وراء النهر وينسبون الى المهلب بن أبي صفرة وكان نظام
الملك قد سمع أبا بكر محمد بن ثابت الخجندي يعظ بمرو فأعجبه كلامه وعرف محله من
الفقه والعلم فحمله الى أصبهان وصار مدرسا بمدرسته وتقدم عنده فنال جاها عريضا ودنيا واسعة
وكان نظام الملك يتردد اليه ويزوره وفيها أخرج ساغربك بما وراء النهر جموعا كثيرة
وهو من أولاد الخانية وقصد محمد خان الذي ملكه السلطان سنجر سمرقند ونازعه في
ملكها لضعف محمد خان عنه فأرسل الى السلطان سنجر يستنجده فسار الى سمرقند فلما بعد
عنه ساغربك وخافه واحتمى منه وأرسل يطلب الأمان من سنجر والعفو فأجابه الى
ما طلب وحضر ساغربك عنده وقرر الصلح بينه وبين محمد خان وحالف كل واحد منهما
لصاحبه وعاد الى خراسان فوصل الى مرو في ربيع الأول سنة سبع وتسعين وأربعمائة
وفيها توفي ابو المعالي الصالح ساكن باب الطاق وكان مقلا من الدنيا له كرامات ظاهرة

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة)

(ذكر ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة عانة)

في هذه السنة في المحرم استولى بلك بن بهرام بن ارتق وهو ابن أخي ايلغازي بن ارتق
على مدينة عانة والحديثة وكان له مدينة سروج فأخذها الفرنج منه فسار عنها الى عانة
وأخذها من بني يعيش بن عيسى بن خلاط فقصد بنو يعيش سيف الدولة صدقة بن
مزيد وهم من أصحابه فسألوه الاصعاد اليها وان يتسلمها منهم ففعل وأصعد معهم
فرحل التركمان وبهرام عنها وأخذ صدقة رهائنهم وعاد الى حلته فرجع بلك اليها ومعه
الف رجل من التركمان فأسر أصحابه قايلا واستولى على الخاصة اليهم فاغاضوا وعبر

وبعدل منهم عريندالك وخدعهم عالم وشباب وقتل الخصاص وأصبح يوم الخميس وباب القلعة مفتوح والعساكر
راحلون به وواقفون بأسلحتهم
وطلع أفراد من كبار العسكر
بدون حوائجهم ونزلوا واستمر
الحال على ذلك يوم الجمعة
والعسكر والناس في اضطراب
وكل طائفة متخوفة من
الأخرى والأرنؤد فرقتان
فرقة تميل الى الأتراك وفرقة
تميل الى جنسها والدلاة تميل
الى الأتراك وتكره الأرنؤد
وهم كذلك والناس متخوفة
من الجميع ومنهم من يخشى
من قيام الرعية ويظهر
التسودن لهم وخصوصا وهم
مختلطين بهم في المساكن
والحارات وتداخلوا وتزوجوا
منهم (وفي يوم السبت) طلع
ما تقدم من المشايخ الى القلعة
وتكلموا وتشاوروا في تسكين
هذا الحال بأي وجه كان ثم
نزلوا (وفي ليلة الأحد) كانت
رؤية هلال رمضان فلم يعمل
الموسم المعتاد وهو الاجتماع
ببيت القاضي وما يعمل به
من الحراقة والنفوط والشنك
وركوب المحتسب ومشايخ
الحرف والزمور والطبول
واجتماع الناس للفرجة
بالأسواق والشوارع وبيت
القاضي فبطل ذلك كله ولم
تثبت الرؤية تلك الليلة
وأصبح يوم الأحد الناس
مفطرون فلما كان وقت
الضحوة نودي بالامساك ولم تعلم

(واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٢٢)

السنة في صفر وقام مقامه غلام تركي اسمه محسن فابعد عنه كثيرا من جنده وخطب لنفسه وخاف من دقاق فاستظهر واخذ جماعة من السلارية الذين يخافهم فقبض عليهم وقتل جماعة من اعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم فتوجه دقاق اليه وحصره فسلم العامة البلد اليه واعتصم محسن بالقلعة فامنه دقاق فسلم القلعة اليه فاقطعه اقطاعا كثيرا بالشام وقرر امر الرحبة واحسن الى اهلها وجعل فيها من يحفظها ورحل عنها الى دمشق

﴿ذكر اخبار الفرنج بالشام﴾

كان الافضل امير الجيوش بمصر قد انفذ مملوكا لابيه لقبه سعد الدولة ويعرف بالطواشي الى الشام لحرب الفرنج فلقيهم بين الرملة ويافا ومقدم الفرنج يعرف ببغدوين لعنه الله تعالى وتصافوا واقتتلوا فحملت الفرنج حملة صادقة فانهزم المسلمون وكان المنجمون يقولون لسعد الدولة انك تموت مترديا فكان يحذر من ركوب الخيل حتى انه ولي بيروت وارضها مفروشة بالبلاط فقلعه خوفا ان تزلق به فرسه او يعثر فلم ينفعه الحذر عند نزول القدر فلما كانت هذه الوقعة انهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا وملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين فارسل الافضل بعده ابنه شرف المعالي في جمع كثير فالتقوا هم والفرنج بيازور بقرب الرملة فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة وعاد من سلم منهم مفلولين فلما رأى بغدوين شدة الامر وخاف القتل والاسر القى نفسه في الحشيش واختفى فيه فلما بعد المسلمون خرج منه الى الرملة وسار شرف المعالي بن الافضل من المعركة ونزل على قصر بالرملة وبه سبعمائة من اعيان الفرنج وفيهم بغدوين فخرج متخفيا الى يافا وقاتل ابن الافضل من بقي خمسة عشر يوما ثم اخذهم فقتل منهم اربعمائة صبرا واسر ثلثمائة الى مصر ثم اختلف اصحابه في مقصدهم فقال قوم نقصد البيت المقدس ونتملكه وقال قوم نقصد يافا ونملكها فبينما هم في هذا الاختلاف اذ وصل الى الفرنج خلق كثير في البحر قاصدين زيارة البيت المقدس فندبهم بغدوين للغزو معه فساروا الى عسقلان وبها شرف المعالي فلم يكن يقوى بحربهم فلطف الله تعالى بالمسلمين فرأى الفرنج حصانة عسقلان وخافوا البيات فرحلوا الى يافا وعاد ولد الافضل الى ابيه فسير رجلا يقال له تاج العجم في البر وهو من اكبر مماليك ابيه وجهز معه اربعة آلاف فارس وسير في البحر رجلا يقال له القاضي ابن قادوس في الاسطول على يافا ونزل تاج العجم على عسقلان فاستدعاه ابن قادوس اليه ليتفقا على حرب الفرنج فقال تاج العجم ما يمكنني ان انزل اليك الا بامر الافضل ولم يحضر عنده ولا اعانه فارسل القادوسي الى قاضي عسقلان وشهودها واعيانها واخذ خطوطهم بانه اقام على يافا عشرين يوما واستدعى تاج العجم فلم ياته ولا ارسل رجلا فلما وقف الافضل على الحال ارسل من قبض على تاج العجم وارسل رجلا اسمه جمال الملك فاسكنه عسقلان وجعله مقدم العساكر الشامية وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج لعنهم الله

ضائعهم من الحوانيت ففعلوا واغلقوها فلما كان قبيل الغروب وصل الى بيت الباشا طائفة الدلاتية وضربوا ايضا بنادق فضرب عليهم عسكر الباشا كذلك فقتل من الدلاة اربعة انفار وانجرح بعضهم فانكفوا ورجعوا وبات الناس متخوفين وخصوصا نواحي الازهر واغلقوا البوابات من بعد الغروب وسهروا خلفها بالاسلحة ولم تفتح الا بعد طلوع الشمس واصبح يوم الثلاثاء والحال على ما هو عليه من الاضطراب ونقل الباشا امتعته الثمينة تلك الليلة الى القلعة وكذلك في ثاني يوم ثم انه طلع الى القلعة في ليلة الاربعاء وشيعه حسن باشا الى القلعة ورجع الى داره ويقال ان طائفة من العسكر الذين معه بالدار ارادوا غدره تلك الليلة وعلم ذلك منهم باشارة بعضهم لبعض رمزا ففاته القوم وخرج متخفيا من البيت ولم يعلم بخروجه الا بعض خواصه الملازمين له واكثرهم اقاربه وبلدياته ولما تحققوا خروجه من الدار وطلوعه الى القلعة عرف بوابته الخازندار الحاضرين في الحال ونقل الامتعة والخزينة في الحال وكذلك الخيول والسروج وخرجت عساكره يحملون ما بقي من المتاع والفرش والاواني الى القلعة واشيع في البلدة ان العساكر نهبوا بيت الباشا وزاد اللغط والاضطراب ولم يعلم احد من الناس حقيقة الحال حتى ولا كبار العسكر وزاد تخوف الناس من العسكر

البيت

الى الجامع الازهر واقاموا به ليالى واياما الى ان ... ثلاث والاربعون بالطلب وبايديهم الاوراق بعدها

عدة من اصحابهم فمن حضر من اهل العسكر بن جميع اهل الوباء وتوجهوا من اصبهان ومعهم من بقى السلطان محمد الميه وما ذكرهم بركيارق وحمل لاهل اخيه المال الكثير ومن الدواب ثلثمائة جمل ومائة وعشرين بغلا تحمل الثقل وسير معهم العساكر يخدمونهم وبالمواصلات وصل السلطان بركيارق الى الخليفة المستظهر بالله بالصلح وما استقرت القواعد عليه حضر ايلغازى بالديوان وسأل فى اقامة الخطبة لبركيارق فاجيب الى ذلك وخطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى وخطب له من الغد بجامع المنصور وخطب له ايضا بواسط ولما خطب ايلغازى ببغداد لبركيارق وصار فى جملته ارسل الامير صدقة الى الخليفة يقول كان امير المؤمنين ينسب الى كل ما يتجدد من ايلغازى من الاخلال بواجب الخدمة وتبرما بالطاعة ومن اطراح المراقبة والآن فقد ابدى صفحته للمخالفة الذى لا شك فيه وانا غير صابر على ذلك بل اسير لاخراجه عن بغداد فلما سمع ايلغازى ذلك شرع فى جمع التركمان وورد صدقة بغداد فنزل مقابل التاج وقبل الارض ونزل فى خيمه بالجانب الغربى ففارق ايلغازى بغداد الى يعقوبا وارسل الى صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق بالصلح الواقع وان اقطاعه حلوان وغيرها فى جملة بلاد دوان بغداد التى هو شحنة فيها وقد صارت له فذلك الذى ادخله فى طاعته فرضى منه صدقة وعاد الى الحلة وفى ذى القعدة حضرت الخلع من الخليفة للسلطان بركيارق وللامير اياز وللوزير بركيارق وهو الخطير وللمهذب بالسلطنة وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا

ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام

فى هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية فيها التجار والاجناد والحجاج وغير ذلك واستعان بهم صنجيل الفرنجى على حصار طرابلس فحصروها معه برا وبحرا وضايقوها وقاتلوها اياما فلم يروا فيها مطمعا فرحلوا عنها الى مدينة جبيل فحصروها وقاتلوا عليها قتالا شديدا فلما رأى اهلها عجزهم عن الفرنج اخذوا امانا وسلموا البلد اليهم فلم تف الفرنج لهم بالامان واخذوا اموالهم واستنقذوها بالعقوبات وانواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا استنجدهم الملك بغدوين ملك الفرنج صاحب القدس على حصارها فنازلوها وحصروها فى البر والبحر وكان الوالى بها اسمه بنا و يعرف بزهر الدولة الجيوشى نسبة الى ملك الجيوش الافضل فقاتلهم اشد قتال فزحفوا اليه غير مرة فعجز عن حفظ البلد فخرج منه وملك الفرنج البلد بالسيف قهرا وفعلوا باهله الافعال الشنيعة وسار الوالى به الى دمشق فاقام بها ثم عاد الى مصر واعتذر الى الافضل فقبل عذره

ذكر غزو سقمان وجكرمش الفرنج

لما استفحل امر الفرنج خذلهم الله تعالى بما ملكوه من بلاد الاسلام واتفق لهم اشتغال عساكر الاسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا تفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء واختلفت

المبلغ المطلوب من الشخص وعليها حق الطريق وهم قواسة الترك وعسكر ودلالة وتواسة بلدى ودهى الناس بهذه الداهية فى الشهر المبارك فيكون الانسان نائما فى بيته ومتفكرا فى قوت عياله فيدهمه الطلب ويأتيه المعين قبل الشروق فيزعجه ويصرخ عليه بل وبطلع الى جهة حريمه فيثبت كالمطروح من غير اصطباح وبلاطف المعين ويعده ويأخذ بخاطره ويدفع له كراء طريقه المرسوم له فى الورقة المعين بها المبلغ المطلوب قبل كل شئ فيفارقه الا ومعين آخر واصل اليه على النسق المتقدم وهكذا (وفيه) حضر محمد كتخدا شاهين بك الالفى بجواب عن مراسلة ارسلها الباشا الى مخدومه فاقام اياما يتشاور مع الباشا فى مصالحته مع شاهين بك وحصل الاتفاق على حضور شاهين بك الى الجيزة ويتراضى مع الباشا على امر وسافر فى ثانى عشره وصحبته صالح اغا السلحدار (وفى يوم الخميس ثامن عشره) قصد الباشا تقى رجب اغا الارنؤدى وارسل اليه يامره بالخروج والسفر بعدان قطع خرجه واعطاه علوفته فامتنع من الخروج وقال انا لى عنده خمسون كيسا ولا اسافر حتى اقبضها وذلك الله فى حياة

وفى ليلته بين العصر والمغرب ضربوا مدافع كثيرة من القلعة واردفوا ذلك بالبنادق الكثيرة المتتابعة وكذلك

وملكهم ونهبهم وسبى جميع حرمهم وانحدر طاباهيت من الجانب الشامى فبلغ الى قريب منها ثم رجع من يومه ولما سمع صدقة بهزيمة العساكر ثم اتاهم عند عوده بالث

(ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر)

فى هذه السنة فى صفر اغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر وكانوا المسلمين جوا من الرها الاثر وافرقتين واتخذوا يوما واحدا اتنكون الغارة على البلدين فيه ففعلوا ما استقر بينهم واغاروا واستاقوا المواشى واسروا من وقع بايديهم من المسلمين فكانت القلعة والرقة لسالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السلطان ملكشاه سنة تسع وسبعين وقد ذكرناه فيها

(ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر وقع الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابنى ملكشاه وكان سببه ان الحرب تطاولت بينهما وعم الفساد فصارت الاموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة والسلطنة مطموع فيها محكوم عليها واصبح الملوك مقهورين بعد ان كانوا قاهرين وكان الامراء الاكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وادلالهم وكان السلطان بركيارق حينئذ بالرى والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة وبالحرمين الشريفين وكان السلطان محمد باذربيجان والخطبة له فيها وببلاد اران وارمينية واصبهان والعراق جميعها الا تكريت واما اعمال البطائح فبعضها يخطب فيه لبركيارق وبعضها لمحمد واما البصرة فكان يخطب فيها لهما جميعا واما خراسان فان السلطان سنجر كان يخطب له فى جميعها وهى من حد جرجان الى ما وراء النهر ولاخيه السلطان محمد فلما راى السلطان بركيارق المال عنده معدوما والطمع من العسكر زائدا ارسل القاضى ابا المظفر الجرجانى الحنفى وابا الفرج احمد بن عبد الغفار الهمذانى المعروف بصاحب قراتكين الى اخيه محمد فى تقرير قواعد الصلح فسارا اليه وهو بالقرب من مراغة فذكرا له ما ارسلا فيه ورغباه فى الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخراب وطمع عدو الاسلام فى اطراف الارض فاجاب الى ذلك وارسل فيه رسلا واستقر الامر وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتقررت القاعدة ان السلطان بركيارق لا يعترض اخاه محمدا فى الطبل وان لا يذكر معه على سائر البلاد التى صارت له وان لا يكاتب احدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرين ولا يعارض احد من العسكر فى قصد ايهما شاء وان يكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسبيذروذ الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة فاجاب بركيارق الى هذا وزال الخلف والشغب وارسل السلطان محمد الى اصحابه باصبهان يامرهم بالانصراف عن البلد وتسليمه الى اصحاب اخيه وسار السلطان بركيارق الى اصبهان فلما سلمه اليه اصحاب اخيه دعاهم الى ان يكونوا معه وفى خدمته فامتنعوا وساروا الى الروم

العسكر الكائنون بالبلدة فعلوا كفعلهم من كل ناحية ومن ابنية المدور والماكن وكان شيئا هائلا واستمر ذلك الى بعد الغروب وقلت شك القوم رمضان فى دخوله وانقضائه (وفى رابعه) انكشفت القضية عن طلب مبلغ الفى كيس بعد جمعيات ومشاورات تارة ببيت السيد عمر النقيب وتارة فى امكنة اخرى كبيت السيد المحروقى وخلافه حتى رتبوا ذلك وقسموه فوزع منه جانب على رجال دائرة الباشا وجانب على المشايخ الملتزمين بقطع مسموحهم فى فرض حصصهم التى اكلوها وهى مبلغ الفى كيس ووزعت على القرار بما على كل قيراط ثلاثة آلاف نصف فضة على سبيل القرض لاجل ان ترد وتحسب لهم فى المكشوفات من رفع المظالم ومال الجهات بالمضوف شامن فلاحيهم وفرض من ذلك مبالغ على ارباب الحرف واهل الغورية ووكالة الصابون ووكالة القرب والتجار الآفاقية واستقر ديوان الطلب ببيت ابن الصاوى بما يتعلق بالفقهاء والتحصيل الطرحجى بالمطلوب من طائفة الاتراك واهل خان الخليلى والمرجع فى الطلب والدفع والرفع الى السيد عمر النقيب واجتمع الكثير من اهل الحرف كالعطر ماتية وامثالهم والتجوا

خدمة

في هذه السنة في شهر رمضان توفي الملك دقاق بن تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وخطب اتابكه طغتكين لولد له صغير له سنة واحدة وجعل اسم المملكة فيه ثم قطع خطبته وخطب ليكتاش بن تتش عم هذا الطفل في ذي الحجة وله من العمر اثنتا عشرة سنة ثم ان طغتكين اشار عليه بقصد الرحبة فخرج اليها فملكها وعاد فمنعه طغتكين من دخول البلد فمضى الى حصون له واعاد طغتكين خطبة الطفل ولد دقاق وقيل ان سبب استيحاش بكتاش من طغتكين ان والدته خوفته منه وقالت انه زوج والدة دقاق وهي لا تتركه حتى تقتلك ويستقيم الملك لولد ابنها فتم انه حسن له من كان يحسد طغتكين مفارقة دمشق وقصد بعلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج والعود الى دمشق واخذها من طغتكين فخرج من دمشق سرا في صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه الامير ايتكين الحلبي وهو من جملة من تورط مع بكتاش وهو صاحب بصرى فعاثا في نواحي حوران وكتبا الى كل من يريد الفساد وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه فاجابهما الى ذلك وسارا اليهما فاجتمعا به وقررا القواعد معه واقاما عنده مدة فلم يريا منه غير التحريض على الافساد في اعمال دمشق وتخريبها فلما ايسا من نصره غادرا عنده وتوجها في البرية الى الرحبة فملكها بكتاش وعاد عنها واستقام امر طغتكين بدمشق وابتدأ بالامر واحسن الى الناس وبث فيهم العدل فسروا به سرورا كثيرا

❁(ذكر الفتنة بين عسكر صدقة والاتراك بواسط)❁

في هذه السنة في شوال اصعد سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة الى واسط في عسكر كثير وامر فنودي بها في الاتراك من اقام فقد برئت منه الذمة فسار جماعة منهم الى بركيارق وجماعة الى بغداد وصار بعضهم في جملة صدقة ثم انه احضر مهذب الدولة بن ابي الجبر صاحب البطيحة وضمنه البلد مدة آخرها آخر السنة بخمسين الف دينار وعاد الى الحلة واقام مهذب الدولة بواسط الى سادس ذي القعدة وانحدر الى بلده

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة في ربيع الاول اطلق سديد الملك ابو المعالي من الاعتقال وهو الذي كان وزير الخليفة ولما اطلق هرب الى الحلة السيفية ومنها الى السلطان بركيارق فولاه الاشراف على ممالكه وفيها توفي امين الدولة ابو سعد العلاء بن الحسن بن الموصلايا عن عماه وكان اقعد اضر وكان بليغا فصيحا وكان ابتداء خدمته للقائم بامر الله سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة فخدم الخلفاء خمسا وستين سنة كل يوم تزداد منزلته حتى ناب عن الوزارة وكان نصرانيا فاسلم سنة اربع وستين وكان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النية ووقف املاكه على ابواب البر ومكاتباته مشهورة حسنة وللمامات تخلع على ابن اخته ابي نصر ولقب نظام الحضرتين وتولى ديوان الانشاء وفيها كانت ببغداد بين العامة فتن كثيرة وانتشر العيارون وفيها قتل ابو نعيم بن ساوة الطبيب الواسطي وكان

ثم منه الى منزل على اغا الشعراوى الى بيت سيدى محمد واخيه سيدى محمود المعروف بابى دفية الملاصق لمسكنى ما تقدم من الارنؤد وعبثوا فى الدور وازعجوا اهلها بقبيح افعالهم فانهم عندما يدخلون فى اول بيت يصعدون الى الحريم بصورة منكرة من غير دستور ولا استئذان و ينقبون من مساكن الحريم العليا فيهدمون الحائط ويدخلون منه الى محل حريم الدار الاخرى ويصعد طائفة منهم الى السطح وهم يرمون بالبنادق فى الهواء فى حال مشيهم وسيرهم وهكذا ولا يخفى ما يحصل للنساء من الانزعاج ويصرن يصرخن ويصحبن باطفالهن و يهربن الى الحارات الاخرى مثل حارة قواديس وناحية حارة عابدين بظاهر الدور المذكورة بغاية الخوف والرعب والمشقة وطفقت العساكر تنهب الامتعة والثياب والفرش و يكسرون الصناديق وياخذون ما فيها ويأكلون ما فى القدور من الاطعمة فى نهار رمضان من غير احتشام ولقد شاهدت اثر قبيح فعلهم ببيت ابى دفية المذكور من الصناديق المكسرة وانتثار حشو الوسائد والمراتب التى فتقوها واخذوا ما زرقوه ولم يسلم لاصحاب المساكن سوى ما كان لهم خارج دورهم و بعيدا عنها او وزعوه قبل الحادثة واصيب محمد افندى ابو دفية برصاصة اطلقوها بعضهم من النقب الذى نقب عليهم فخفت من كتفه وكذلك فعل العساكر التى اتت من ناحية المدابغ

الالفى الكبير اتفق مع الباشا بان يذهب عند الالفى وينضم اليه ويقبل فى اغتياله وقتله فان فعل ذلك وقتله وعد
هو بان له عليه اعطاء خمسين
كيسا فذهب عند الالفى
وانضاف اليه واظهر انه راغب
فى خدمته وكره الباشا وظلمه
فرحب به وقبله واكرمه مع
الذى رمته فلما طال به الامد
ولم يتمكن من قصده رجع الى
الباشا فلما امره بالذهاب اخذ
يطالبه بالخمسين كيسا
فامتنع الباشا وقال جعلت له
ذلك فى نظير شئ يفعله ولم يحصل
من يده فعله فلا وجه لمطالبته
به واستمر رجب اغا فى عناده
وذلك انهم لا يريدون مفارقة
مصر التى صاروا فيها امراء
واكابر بعد ان كانوا يحتطبون
فى بلادهم ويتكسبون
بالصنائع الدنيئة ثم انه جمع
جيشه اليه من الارنؤد بناحية
سكنه وهو بيت حسن كتخدا
الجرباوى بباب اللوق فارسل
اليه الباشا من يحاربه بحضر
حسن اغا شنشمع ناحية
قنطرة باب الخرق وحضر ايضا
الجم الكثير من الاتراك
وكبرائهم من جهة المدابغ
وجال كل منهم متاريس من
الجهتين وتقدموا الى الاماكن التى
قربوا من مساكن الارنؤد
تجاه بيت البارودى فلم
يتجاسروا على الاقدام عليهم
من الطريق بل دخلوا من
البيوت التى فى صفهم ونقبوا
من بيت الى آخر حتى انتهوا
الى اول ما نزل من مساكنهم ثم نقبوا البيت الذى يسكن به الشيخ محمد سعد البكرى وتقدموا منه الى المحل الذى بجواره

في

الاهواء وتمزقت الاموال وكانت حران لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه
فاستخلف عليها انسانا يقال له محمد الاصبهانى وخرج فى العام الماضى فعصى الاصبهانى
على قراجه واعانه اهل البلد لظلم قراجه وكان الاصبهانى جلدا شهما فلم يترك بحران
من اصحاب قراجه سوى غلام تركى يعرف بجاولى وجعله اصفهسلار العسكر وانس
به فامر معه يوما للشرب فاتفق جاولى مع خادم له على قتله فقتلاه وهو سكران فعند
ذلك سار الفرنج الى حران وحصروها فلما سمع معين الدولة سقمان وشمس الدولة
جكرمش ذلك وكان بينهما حروب وسقمان يطالبه بقتل ابن اخيه وكل منهما يستعد للقاء
صاحبه وانا اذكر سبب قتل جكرمش له ان شاء الله تعالى ارسل كل منهما الى صاحبه
يدعوه الى الاجتماع معه لتلافى امر حران ويعلمه انه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه
فكل واحد منهما اجاب صاحبه الى ما طلب منه وسارا فاجتمعا على الخابور وتحالفا
وسارا الى لقاء الفرنج وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش
ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والاكراد فالتقوا على نهر البليخ وكان المصاف
بينهم هناك فاقتتلوا فاظهر المسلمون الانهزام فتبعهم الفرنج نحو فرسخين فعاد عليهم
المسلمون فقتلوهم كيف شاؤا وامتلأت ايدى التركمان من الغنائم ووصلوا الى
الاموال العظيمة لان سواد الفرنج كان قريبا وكان بيمند صاحب انطاكية وطنكرى
صاحب الساحل قد انفردا وراء جبل ليأتيا المسلمين من ورائهم وهم اذا اشتدت
الحرب فلما خرجا رأيا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فاقاما الى الليل وهربا فتبعهم
المسلمون وقتلوا من اصحابهما كثيرا واسروا كذلك وافلتا فى ستة فرسان وكان
القمص بردويل صاحب الرها قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم وخاضوا نهر البليخ
فوحلت خيولهم فجاء تركمانى من اصحاب سقمان فاخذهم وحمل بردويل الى خيم
صاحبه وقد سار فيمن معه لاتباع بيمند فرأى اصحاب جكرمش ان اصحاب سقمان قد
استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل فقالوا لجكرمش اى منزلة
تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا وحسنوا له اخذ
القمص فانفذ فاخذ القمص من خيم سقمان فلما عاد سقمان شق عليه الامر وركب
اصحابه للقتال فردهم وقال لهم لا يقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم بالاختلاف ولا
اوثر شفاء غيظى بشماتة الاعداء بالمسلمين ورحل لوقته فاخذ سلاح الفرنج وراياتهم
والبس اصحابه لبسهم واركبهم خيلهم وجعل يأتى حصون شيحان وبها الفرنج
فيخرجون ظنا منهم ان اصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم فعل ذلك بعدة
حصون واما جكرمش فانه سار الى حران فتسلمها واستخلف بها صاحبه وسار الى الرها
فحصرها خمسة عشر يوما وعاد الى الموصل ومعه القمص الذى اخذه من خيام سقمان
ففاداه بخمسة وثلاثين دينارا ومائة وستين اسيرا من المسلمين وكان عدة القتلى من
الفرنج يقارب اثنى عشر الف قتيل

(ذكر وفاة دقاق وملك ولده)

الى البر الشرقي ونزل على كاشف الكبير الالفي القصر وبلاده وما به من الجعاله والمدافع وآلات الحرب وغيرها

●(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٢)●

ولم يعمل العسكر شنكهم ثلاث ليال من رميهم الرصاص والبارود الكثير المزعج من سائر النواحي والبيوت والاصطبة لانقباض نفوسهم وانما ضربوا مدافع من القلعة مدة ثلاثة ايام العيد في الاوقات الخمسة (وفي خامسه) اعتنى الباشا بتعمير القصر الذي كان شاهين بك بالجيزة وكان العسكر اخربوه وكذلك بيوت الجيزة ولم يتركوا بها دارا عامرة الا القليل فرسم الباشا للمعمارجية بعمارة القصر فجمعوا البنائين والنجارين والخراطين وحملوا الاخشاب من بولاق وغيرها وهدموا بيت أبي الشوارب وأحضروا الجمال والحمير لنقل اخشابه وانقاضه وأخرجوا منه اخشابا عظيمة في غاية العظم والثخن ليس لها نظير في هذا الوقت والاوان (وفي سابعه) حضر شاهين بك الى بر الجيزة وبات بالقصر وضربوا لقدومه مدافع كثيرة من الجيزة وعمل له على بر مصر موسى الجيزاوي وليمة وفرض مصروفها وكلفتها على اهل البلدة وأعطاه الباشا اقليم الفيوم بتمامه التزاما وكشوفية واطلق له فيها التصرف وأنعم عليه أيضا بثلاثين بلدة من اقليم البهنسا مع كشوفيتها وعشر بلاد من بلاد الجيزة من البلاد التي بيد قبيا وحطا وحاو نصيبهم كشوفية الجيزة وكتب له

●(ذكر عمره وشيء من سيرته)●

لما توفي بركيارق كان عمره خمسا وعشرين سنة ومدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الامور عليه ما لم يقاسه أحد واختلفت به الاحوال بين رخاء وشدة وملك وزواله واشرف في عدة نوب بعد اسلام النعمة على ذهاب المهجة ولما قوي امره في هذا الوقت واطاعه المخالفون وانقادوا له ادركته منيته ولم يهزم في حروبه غير مرة واحدة وكان امراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع حتى انهم كانوا يطلبون نوابه ليقتلوهم فلا يمكنه الدفع عنهم وكان متى خطب له ببغداد وقع الغلاء ووقفت المعايش والمكاسب وكان اهلها مع ذلك يحبونه ويختارون سلطانه وقد ذكرنا من تقلب الاحوال بها ما وقفت عليه ومن العجب ان دخوله اصبهان هاربا من عمه تتش فملكه وصار اخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه فاتفق ان اخاه محمودا مات فاضطروا الى ان يملكوه وهذا من احسن الفرج بعد الشدة وكان حليما كريما صبورا عاقلا كثير المداراة حسن القدرة لا يبالغ في العقوبة وكان عفوه اكثر من عقوبته

●(ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق)●

في هذه السنة خطب لملكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر وخطب له بجوامع بغداد من الغد يوم الجمعة وكان سبب ذلك ان ايلغازي شحنة بغداد سار في المحرم الى السلطان بركيارق وهو باصبهان يحثه على الوصول الى بغداد ورحل مع بركيارق فلما مات بركيارق سار مع ولده ملكشاه والامير اياز الى بغداد فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر والقوا في طريقهم بردا شديدا لم يشاهدوا مثله بحيث انهم لم يقدروا على الماء لجموده وخرج الوزير ابو القاسم علي بن جهير فلقيهم من ديالى وكانوا خمسة آلاف فارس وحضر ايلغازي والامير طغايرك بالديوان وخاطبا في اقامة الخطبة لملكشاه بن بركيارق فاجيبا اليها وخطب له ولقب بألقاب جده ملكشاه وهي جلال الدولة وغيره من الالقاب ونثرت الدنانير عند الخطبة له

●(ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل)●

لما اصطلح السلطان بركيارق والسلطان محمد كما ذكرنا في السنة الخالية وسلم محمد مدينة اصبهان الى بركيارق وسار اليها اقام محمد بتبريز من اذربيجان الى ان وصل اصحابه الذين باصبهان فلما وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن لحسن اثره كان في حفظ اصبهان واقام الى صفر من هذه السنة وسار الى مراغة ثم الى اربل يريد قصد جكرمش صاحب الموصل ليأخذ بلاده فلما سمع جكرمش بمسيره اليه جدد سور الموصل ورم ما احتاج الى اصلاح وامر اهل السواد بدخول البلد واذن لاصحابه في نهب من لم يدخل وحصر محمد المدينة وارسل الى جكرمش يذكر له الصلح بينه وبين اخيه وان في جملة ما استقر ان تكون الموصل وبلاد الجزيرة له وعرض عليه الكتب من بركيارق اليه بذلك

من الخنادق في الطول فيه اصابات حسنة وفيها عزل السلطان سنجر وزيره الخطير ابا
الفتح الطغرائي وسبب ذلك ان الامير برغش وهو اكبر امراء العسكر السنجرى التى
السلطان فيه لا يتم له امر مع هذا السلطان ووقع الى سنجر لا يتم لك امر مع الامير
برغش مع كثرة جموعه فجمع برغش اصحاب العمائم وعرض عليهم الملطفين فاتفقوا على
كاتب الطغرائي وظهرت عليه فقتل وقبض سنجر على الطغرائي واراد قتله فمنعه
برغش وقال له حق خدمة وابعده الى غزنة وفيها جمع برغش كثيرا من عساكر خراسان
واتاه كثير من المتطوعة وسار الى قتال الاسماعيلية فقصد طبس وهي لهم فخربها
وما جاورها من القلاع والقرى واكثر فيهم القتل والنهب والسبي وفعل بهم الافعال
العظيمة ثم ان اصحاب سنجر اشاروا بان يؤمنوا ويشرط عليهم انهم لا يبنون حصنا
ولا يشترون سلاحا ولا يدعون احدا الى عقائدهم فسخط كثير من الناس هذا الامان
وهذا الصلح ونقموه على سنجر ثم ان برغش بعد عوده من هذه الغزاة توفي وكانت خاتمة
امره الجهاد رحمه الله وفي هذه السنة توفي ابو بكر علي بن احمد بن زكريا الطريثيثي وكان
صوفيا عندنا مشهورا وفي رجب توفي القاضي ابو الحسين احمد بن محمد الثقفي قاضي
الكوفة ومولده في ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وهو من ولد عروة بن
مسعود ومن تلاميذ القاضي الدامغاني وولي القضاء بعده ابنه ابو البركات وفي ربيع
الآخر توفي ابو عبد الله الحسين بن علي البسري البندار المحدث ومولده سنة اربع
واربعمائة

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين واربعمائة)

(ذكر وفاة السلطان بركيارق)

في هذه السنة ثاني شهر ربيع الآخر توفي السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد
مرض باصبهان بالسل والبواسير فسار منها في محفة طالبا بغداد فلما وصل الى بروجرد
ضعف عن الحركة فاقام بها اربعين يوما فاشتد مرضه فلما ايس من نفسه خلع على ولده
ملكشاه وعمره حينئذ اربع سنين وثمانية اشهر وخلع على الامير اياز واحضر جماعة
الامراء واعلمهم انه قد جعل ابنه ولي عهده في السلطنة وجعل الامير ايازا اتابكه
وامرهم بالطاعة لهما ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده والذب عنها فاجابوا كلهم
بالسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال في حفظ ولده وسلطنته عليه واستحلفهم على
ذلك فحلفوا وامرهم بالمسير الى بغداد فساروا فلما كانوا على اثني عشر فرسخا من بروجرد
وصلهم خبر وفاته وكان بركيارق قد تخلف على عزم العود الى اصبهان فهلك بعد مسيرهم
فلما سمع الامير اياز بوفاته امر وزيره الخطير الميبذي وغيره بان يسيروا مع تابوته الى
اصبهان فحمل اليها ودفن في تربة جددتها له سريته ثم ماتت بعد ايام فدفنت بازائه
واحضر اياز السرادق والخيام والجتر والشمسة وجميع ما يحتاج اليه السلطان
فجعله برسم ولده ملكشاه

بالبيوت الاخرى واستمر واهل هذه الافعال ثلاثة ايام بلياليها فلما كان ليلة الاثنين ثاني عشر تحقق
عمر بك كبير الارنؤد لما كان
ببولاق وصالح قوج الى
رجب اغا المذكور واركبه
واخذه الى بولاق وبطل
الحرب بينهم ورفع القتال بين
فريقيها وانكشفت الواقعة
من نهب البيوت وذهبها
وازعاج اهلها ومات فيها
بينهم انفار قليلة وكذلك مات
اناس وانجرح اناس من اهل
البلد (وفي يوم السبت) وصل
شاهين بك الالفي الى دمنهور
ووصل صحبته مراكب بها
ذخائر وهدية من ابراهيم بك
ومحمد بك المرادي المعروف
بالمنفوخ برسم الباشا وهي
نحو الثلاثين حصانا ومائة
قنطار بن قهوة ومائة قنطار سكر
واربع خصيان وعشرون
جارية سوداء فلما وصل
شاهين بك الى دمنهور حضر
محمد كتخداه وعلى كاشف
الكبير فارسل الباشا اليه
صحبتهما هدية ومعهما ولده
وديوان افندي (وفي خامس
عشريته) سافر رجب اغا
وتخلف عنه كثير من عساكره
واتباعه وذهب من ناحية
دمياط (وفيه) حضر ديوان
افندي من دمنهور وابن
الباشا ايضا وخلع شاهين بك
على ابن الباشا فروة وقدم له
تقدمة وسلاحا نفيسا انكليزيا
(وفي ثامن عشريته) وصل
شاهين بك الى شبرامنت وقدام الباشا وبطال الجيزة وينتقل منها الكاشف والعسكر فعدى الجميع

برکیارق وكان أشدهم في ذلك ينال وصباوو وفاتهم بالقوالى الاطلاع في السلطان محمد
والمنع له من السلطنة فلما تقرر قوله قال له وزيره الصفي أبو المحاسن يا مولانا ان حياتي
مقرونة ببقاء نعمتك ودولتك وانا اكثر التزاما بك من هؤلاء ولهم من الرأي ما اشاروا
به فان كلا منهم يقصد ان يملك شريفا وان يقيم سوق الفتنة ليأخذوا اكثرهم بلادا ويلحق
المنزلة وانما يقعدهم عن منازعتك قلة العدد والمال والصواب مصالحة السلطان محمد
وطاعته وهو يقرك على اقطاعك ويزيدك عليه مهما اردت فتردد رأي الامير اياز في
الصلح والمباينة الا ان حركته في المباينة ظاهرة وجمع السفن التي ببغداد عنده وضبط
المشارع من متطرق الى عسكره والى البلد ووصل السلطان محمد الى بغداد يوم الجمعة
لثمان بقين من جمادى الاولى ونزل عند الجانب الغربي بباطن بغداد وخطب له
بالجانب الغربي وللملكشاه بن بركيارق بالجانب الشرقي واما جامع المنصور فان
الخطيب قال فيه اللهم اصلح سلطان العالم وسكت وخاف الناس من امتداد الشر
والنهب فركب اياز في عسكره وهم عازمون على الحرب وساروا الى ان اشرف على عسكر
السلطان محمد وعاد الى مخيمه فدعا الامراء الى اليمين مرة ثانية على المناصحة لملكشاه فاجاب
البعض وتوقف البعض وقالوا قد حلفنا مرة ولا فائدة في اعادة اليمين لاننا ان وفينا بالاولى
وفينا بالثانية وان لم نف بالاولى فلا نفي بالثانية فامر اياز حينئذ وزيره الصفي ابا المحاسن
بالعبور الى السلطان محمد في الصلح وتسليم السلطنة اليه وترك منازعته فيها فعبر يوم
السبت لسبع بقين من الشهر الى عسكر محمد واجتمع بوزيره سعد الملك ابي المحاسن سعد
ابن محمد فعرفه ما جاء فيه فحضر عند السلطان محمد وادى الصفي رسالة صاحبه اياز
واعتذر عما كان منه ايام بركيارق فاجابه محمد جوابا لطيفا سكن به قلبه وطيب نفسه
واجاب الى ما التمسه منه من اليمين فلما كان الغد حضر قاضي القضاة والنقيبان
والصفي وزير اياز عند السلطان محمد فقال له وزيره سعد الملك ان اياز يخاف لما تقدم
منه وهو يطلب العهد لملكشاه ابن اخيك ولنفسه وللامراء الذين معه فقال السلطان
اما ملكشاه فانه ولدي ولا فرق بيني و بين اخي واما اياز والامراء فاحلف لهم الا ينال
الحسامي وصباوو فاستحلفه الكيا الهراسي مدرس النظامية على ذلك وحضر الجماعة
اليمين فلما كان من الغد حضر الامير اياز عند السلطان محمد فلقيه وزير السلطان وكافة
الناس ووصل سيف الدولة صدقة ذلك الوقت ودخلا جميعا الى السلطان فاكرمهما
واحسن اليهما وقيل بل ركب السلطان ولقيهما ووقف احدهما عن يمينه والآخر عن
يساره واقام السلطان ببغداد الى شعبان وسار الى اصبهان وفصل فيما نذكره ان
شاء الله تعالى

(ذكر قتل الامير اياز)

في هذه السنة ثالث عشر جمادى الآخرة قتل الامير اياز قتله السلطان محمد وسبب
ذلك ان اياز لما سلم السلطنة الى السلطان محمد وسار في جملته واستحلفه لنفسه فلما

وتغدى عنده ثم ركب بصحبته ونزلا من القلعة وذهب عند حسن باشا فقابله ايضا وسلم عليه وخلع عليه ايضا وقدم له
خيولا وركب بصحبتهما
وذهبوا عند طاهر باشا ابن
اخت الباشا فسلم عليه ايضا
وقدم له تقادم ثم ركب عائدا
الى الجيزة وذهب الى خيمه
بشبرامنت واستمر مقيما
بالخيم حتى تتم عمارة القصر
وترددت كشافهم واجنادهم
الى بيوتهم بالمدينة فيبيتون
الليلة والليلتين ويرجعون الى
خيمهم (وفيه) قطع الباشا
رواتب طوائف من الدلاة
وامروا بالسفر الى بلادهم
(وفي يوم الجمعة) انتقل
الالفية بعرضيهم وخيامهم
الى جسر الجيزة (وفي يوم
السبت ثاني عشره) وصل
او بعض من صناجق الالفية
وهم احمد بك ونعمان بك
وحسين بك ومراد بك فطلعوا
الى القلعة وخلع عليهم الباشا
فراوي وقلدهم سيوفا وقدم
لهم تقادم ثم نزلوا الى حسن
باشا فسلموا عليه وخلع عليهم
ايضا خلعا ثم ذهبوا الى بيت
صالح اغا السلحدار فاقاموا
عنده الى اواخر النهار ثم ذهبوا
الى البيوت التي بها حريمهم
فباتوا بها وذهبوا في الصباح
الى الجيزة (وفي يوم الثلاثاء
خامس عشره) عملت وليمة
وعقدوا الاحمد بك الالفي على
عديلة هانم بنت ابراهيم
بك الكبير والوكيل في العقد
شيخ السادات وقبل منه محمد كتخدا ابو كاتعمن احمد بك ودفع الصداق الباشا من

والاعيان على تسليمها اليه وقال له ان اطعت فانا لا آخذها منك بل أقرها بيدك وتكون الخطبة لي بها فقال جكرمش ان كتب السلطان وردت الي بعد الصلح تامرني ان لا اسلم البلد الى غيره فلما رأى محمد امتناعه باكره القتال وزحف اليه بالنقابين والدبابات وقاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقا كثيرا لحبهم لجكرمش لحسن سيرته فيهم فان جكرمش فتح في السور ابوابا لطافا يخرج منها الرجالة يقاتلون فكانوا يكثرون القتل في العسكر ثم زحف محمد مرة فنقب في السور أصحابه وادركهم الليل فاصبحوا وقد عمره اهل البلد وشحنوه بالمقاتلة وكانت الاسعار عندهم رخيصة في الحصار وكانت الحنطة تساوي كل ثلاثين مكوكا بدينار والشعير خمسون مكوكا بدينار وكان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتل يعفر فكانوا يغيرون على اطراف العسكر ويمنعون الميرة عنهم فدام القتال عليهم الى عاشر جمادى الاولى فوصل الخبر الى جكرمش بوفاة السلطان بركيارق فاحضر اهل البلد واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان فقالوا أموالنا وارواحنا بين يديك وانت اعرف بشانك فاستشر الجند فهم اعرف بذلك فاستشار امراءه فقالوا لما كان السلطان حيا قد كنا في الامتناع ولم يمكن احدا من طروق بلدنا وحيث توفي فليس للناس اليوم سلطان غير هذا والدخول تحت طاعته اولى فارسل الى محمد يبذل الطاعة ويطلب وزيره سعد الملك ليدخل اليه فحضر الوزير عنده واخذ بيده وقال المصلحة ان تحضر الساعة عند السلطان فانه لا يخالفك في جميع ما تلتمسه واخذ بيده وقام فسار معه جكرمش فلما رآه اهل الموصل قد توجه الى السلطان جعلوا يبكون ويصيحون ويحثون التراب على رؤسهم فلما دخل على السلطان محمد اقبل عليه واكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال ارجع الى رعيتك فان قلوبهم اليك وهم متطلعون الى عودك فقبل الارض وعاد ومعه جماعة من خواص السلطان وعمل السلطان من الغد ان يدخل البلد لتزين له فامتنع من ذلك فعمل سماطا بظاهر الموصل عظيما وحمل الى السلطان من الهدايا والتحف وللوزير اشياء جليلة المقدار

﴿ذكر وصول السلطان الى بغداد وصلحه مع ابن اخيه والامير اياز﴾

لما وصل خبر وفاة السلطان بركيارق الى اخيه السلطان محمد وهو يحاصر الموصل جلس للعزاء واصطلح جكرمش صاحب الموصل كما ذكرناه وسار الى بغداد ومعه سكمان القطبي وهو ينسب الى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتي بن داود واسمعيل ابن عم ملكشاه وسار معه جكرمش وغيرهما من الامراء وكان سيف الدولة صدقة صاحب الحلة قد جمع خلقا كثيرا من العساكر فبلغت عدتهم خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وأرسل ولديه بدران ودبيسا الى السلطان محمد يستحثه على المجيء الى بغداد فاستصحبهما معه الى بغداد فلما سمع الامير اياز بمسيره اليه خرج هو والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا الخيام بالزاهر خارج بغداد وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعله فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وصده ومنعه عن السلطنة والاتفاق معه على طاعة ملكشاه بن

كشوفية البحيرة بتمامها الى حد الاسكندرية وأطلق له التصرف في جميع ذلك بذلك تقاسيط ديوانية وضربه ورسوماته نافذة في سائر البر الغربي (وفي صبح يوم الاربعاء) تاسعه ركب السيد عمر افندي النقيب والمشايخ وطلعوا الى القلعة باستدعاء ارسالية ارسلت اليهم في تلك الليلة فلما طلعوا الى القلعة ركب معهم ابن الباشا طوسون بك ونزل الجميع وساروا الى ناحية مصر القديمة وكان شاهين بك عدى الى البر الشرقي في طائفة من الكشاف والمماليك والهوارة فسلموا عليه وكان بصحبتهم طائفة من الدلاة ساروا امام القوم بطبلاتهم وسقافيرهم ومن خلفهم طائفة من الهوارة ومن خلفهم الكشاف والمماليك والسيد عمر النقيب والمشايخ ثم شاهين بك وبجانبه ابن الباشا وخلفهم الطوائف والاتباع والخدم وخلفهم النقاقير فساروا الى ناحية جهة القرافة وزاروا ضريح الامام الشافعي ثم ركبوا وساروا الى القلعة وطلعوا من باب العزب الى سراية الديوان وانفصل عنهم المشايخ ونزلوا الى دورهم وقابلوا الباشا وسلم شاهين بك عليه فخلع عليه الباشا فروة سمور منفتحة وسيفا وخنجرا مجوهرا وتعابي وقدم له خيولا بسروجها وعزم عليه ابن الباشا اذن له ان يتوجه صحبته الى سرايته فركب معه

رأى ذلك أسرع في السير عازما على أخذ دمشق وقصد القريتين فجاءه أمر الله وأدهمته
فوصل الى القريتين واتصل خبره بطغتكين فخاف عاقبة ما صنع وقوي عزمه وزاد
مرضه ولامه أصحابه على ما فرط في تدبيره وخوفوه عاقبة ما فعل وقالوا له قد رأيت
سيرك تاج الدولة لما استدعاه الى دمشق ليمنعه كيف قتله حين وقعت عينه عليه
فبينما هم يديرون الرأي بأي حيلة يردونه أتاهم الخبر بأنه وصل القريتين ومات وحمله
أصحابه وعادوا به فأتاهم فرج لم يحتسبوه وكان مرضه الذي مات به الخوانيق يعتريه دائما
فأشار عليه أصحابه بالعود الى حصن كيفا فامتنع وقال بل أسير فان عوفيت تممت
ما عزمت عليه ولا يراني الله تثاقلت عن قتال الكفرة خوفا من الموت وان أدركني
أجلي كنت شهيدا سائرا الى جهاد فساروا فاعتقل لسانه يومين ومات في صفر وبقي
ابنه ابراهيم في أصحابه وجعل في تابوت وحمل الى الحصن وكان حازما ذا رأي كثير
الخير وقد ذكرنا سبب أخذه حصن كيفا وأما ملكه ماردين فان كربوقا خرج من الموصل
فقصد آمد وصاحبها صاحبها فاستنجد صاحبها وهو تركماني بسقمان فحضر عنده وصاف
كربوقا وكان عماد الدين زنكي بن آقسنقر حينئذ صبيا قد حضر مع كربوقا ومعه جماعة
كثيرة من أصحاب أبيه فلما اشتد القتال انهزم سقمان فألقى أصحاب آقسنقر زنكي ولد
صاحبهم بين أرجل الخيل وقالوا قاتلوا عن ابن صاحبكم فقاتلوا حينئذ قتالا شديدا
فانهزم سقمان وأسروا ابن أخيه ياقوتي بن أرتق فحبسه كربوقا بقلعة ماردين وكان
صاحبها انسانا مغنيا للسلطان بركيارق فطلب منه ماردين وأعمالها فأقطعه اياها
فبقي ياقوتي في حبسه مدة فمضت زوجة أرتق الى كربوقا وسألته اطلاقه فأطلقه فنزل
عند ماردين وكانت قد أعجبته فأقام يعمل في تملكها والاستيلاء عليها وكان من عند
ماردين من الأكراد قد طمعوا في صاحبها المغني وأغاروا على أعمال ماردين عدة
دفعات فراسله ياقوتي يقول قد صار بيننا مودة وصداقة وأريد أن أعمر بلدك بأن أمنع
عنه الأكراد وأغير على الأماكن وآخذ الأموال أنفقها في بلدك وأقيم في الربض فأذن له
في ذلك فجعل يغير من باب خلاط الى بغداد وصار ينزل معه بعض أجناد القلعة
طلبا للمكسب وهو يكرمهم ولا يعترضهم فأمنوا اليه فاتفق أن في بعض الأوقات نزل
معه أكثرهم فلما عادوا من الغارة أمر بقبضهم وتقييدهم وسيقهم الى القلعة ونادى
من بها من أهليهم ان فتحتم الباب والا ضربت أعناقهم فامتنعوا فقتل انسانا منهم
فسلم القلعة من بها اليه وبقي بها ثم انه جمع جمعا وسار الى نصيبين وأغار على بلد جزيرة
ابن عمر وهي لجكرمش فلما عاد أصحابه بالغنيمة أتاهم جكرمش وكان ياقوتي قد أصابه
مرض عجز معه عن لبس السلاح وركوب الخيل فحمل الى فرسه فركبه وأصابه سهم
فسقط منه فأتاه جكرمش وهو يجود بنفسه فبكى عليه وقال له ما حملك على ما صنعت
يا ياقوتي فلم يجبه ومات ومضت زوجة أرتق الى ابنها سقمان وجمعت التركمان وطلبت
بثأر ابن ابنها وحصر سقمان نصيبين وهي لجكرمش فسير جكرمش الى سقمان مالا
كثيرا سرا فأخذه ورضي وقال انه قتل في الحرب ولا يعرف قاتله وملك ماردين بعد

امارة دمياط عوضا عن احمد بك وقلد عبد الله كاشف الدرندلي امارة المنصورة عوضا عن عزيز اغا (وفي يوم الاربعاء ثالث عشرينه) وصل قابجي ومعه مرسومات يتضمن أحدها التقرير لمحمد علي باشا على ولاية مصر وآخر بالدفتردارية باسم ولده ابراهيم وآخر بالعفو عن جميع العسكر جزاء عن اخراجهم الانكليز من ثغر الاسكندرية وآخر بالتأكيد في التشهيل والسفر لمحاربة الخوارج بالحجاز واستخلاص الحرمين والوصية بالرعية والتجار وصحبته أيضا خلع وشلنجات فأركبوه في موكب في صبح يوم الخميس وطلع الى القلعة وقرئت المراسيم المذكورة بحضرة الباشا والمشايخ وكبار العسكر وشاهين بك وخشداشينه الالفية وضربوا مدافع وشنكا (وفيه) سافر ابراهيم بك ابن الباشا على طريق القليوبية وصحبته طائفة من مباشري الاقباط وفيهم جرجس الطويل وهو كبيرهم وافندية من افندية الروزنامه وكتبة مسلمين للكشف على الاطيان التي رويت من ماء النيل والشراقي فانزلوا القرى النوازل من التكالف وحق الطرق وقرروا على كل فدان رواه النيل اربعمائة وخمسين نصف فضة تقبض للديوان وذلك خلاف ما التزم والمضاف والبراني وما يضاف الى ذلك من حق الطرق والكلف المتكررة (واستهل شهر ذي القعدة

كان ثامن جمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة في داره وهي دار كوهرائين ودعا السلطان اليها وقدم له شيئا كثيرا من جملته الحبل البلخش الذي اخذه من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وقد تقدم ذكر ذلك وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد وكان من الاتفاق الردي ان اياز تقدم الى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته ليعرضهم على السلطان فدخل عليهم رجل من اهل الدعابة معهم فضحكوا منه مع كونه يتصوف فقالوا لابد من ان نلبسك درعا فالبسوه الدرع تحت قميصه وتناولوه بايديهم وهو يسألهم ان يكفوا عنه فلم يفعلوا فلشدة ما عالجوه هرب منهم ودخل بين خواص السلطان مختفيا بهم فرآه السلطان مذعورا وعليه لباس عظيم فاستراب به فقال لغلام له بالتركية ليلمسه من غير ان يعلم احد ففعل فرأى الدرع تحت قميصه فاعلم السلطان بذلك فاستشعر وقال اذا كان اصحاب العمائم قد لبسوا السلاح فكيف الاجناد وقوى استشعاره لكونه في داره وفي قبضته فنهض وفارق الدار وعاد الى داره فلما كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الامير صدقة واياز وجكرمش وغيرهم من الامراء فلما حضروا ارسل اليهم انه بلغنا ان قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش قصد ديار بكر ليملكها ويسير منها الى الجزيرة وينبغي ان تجتمع آراؤكم على من يسير اليه ليمنعه ويقاتله فقال الجماعة ليس لها غير الامير اياز فقال اياز ينبغي ان اجتمع انا وسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الامر والدفع لهذا القاصد فقيل ذلك للسلطان فاعاد الجواب يستدعي ايازا وصدقة والوزير سعد الملك ليحضروا الامر في حضرته فنهضوا ليدخلوا اليه وكان قد اعد جماعة من خواصه ليقتلوا ايازا اذا دخل اليه فلما دخلوا ضرب احدهم رأسه فابانه فاما صدقة فغطى وجهه بكمه واما الوزير فانه غشي عليه ولف اياز في مسح والقي على الطريق عند دار المملكة وركب عسكر اياز فنهبوا ما قدروا عليه من داره فارسل السلطان من حماها من النهب وتفرق اصحابه من يومهم وكان زوال تلك النعمة العظيمة والدولة الكبيرة في لحظة بسبب هزل ومزاح فلما كان من الغد كفنه قوم من المتطوعة ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر ابي حنيفة رحمه الله وكان عمره قد جاوز اربعين سنة وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه ثم صار بعده وهو في جملة امير آخر فاتخذه ولدا وكان غزير المروءة شجاعا حسن الراي في الحرب واما وزيره الصفي فانه اختفى ثم اخذ وحمل الى دار الوزير سعد الملك ثم قتل في رمضان وعمره ست وثلاثون سنة وكان من بيت رياسة همذان

(ذكر وفاة سقمان بن ارتق)

كان فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس قد كاتب سقمان يستدعيه الى نصرته على الفرنج وبذل له المعونة بالمال والرجال فبينما هو يتجهز للمسير اتاه كتاب طغتكين صاحب دمشق يخبره انه مريض قد اشفى على الموت وانه يخاف ان مات وليس بدمشق من يحميها ان يملكها الفرنج ويستدعيه ليوصي اليه وبما يعتمده في حفظ البلد فلما

عنده وقدرها ثمانية آلاف ريال (وفيه) اتفقوا على ارسال نعمان بك ومحمد كتخدا وعلى كاشف الصابونجي الى ابراهيم بك الكبير لاجراء الصلح (وفيه) ايضا ارادوا ابرام عقد زينب هانم ابنة ابراهيم بك على نعمان بك فامتنعت وقالت لا يكون ذلك الا من اذن ابي وها هو مسافر اليه فليستأذنه ولا اخالف امره فاجيبت الى ذلك واراد شاهين بك ان يعقد لنفسه على زوجة حسين بك المقتول المعروف بالوشاش وهو خشداشه وهي ابنة الالفي فاستأذن الباشا فقال اني اريد ان ازوجك ابنتي وتكون صهري وهي واصلة عن قريب ارسلت احضرها من بلدي قوله فان تأخر حضورها جهزت لك سرية وزوجتك اياها (وفي يوم الاربعاء) نزل الباشا من القلعة وذهب الى مضرب النشاب واستدعى شاهين بك من الجيزة وعمل معه ميدانا وتراعموا وتسابقوا ولعبوا بالرماح والسيوف ثم طلع الجميع الى القلعة واستمر شاهين بك عند الباشا الى بعد الظهر ثم نزل مع نعمان بك الى بيت عديلة هانم فمكثا الى قبيل المغرب ثم ارسل اليهما الباشا فطلعا الى القلعة فباتا عنده ونزلا في الصباح وعديا الى الجيزة قال الشاعر

امور تضحك السفهاء منها ● ويبكي من عواقبها اللبيب

(وفيه) تقلد حسن اغا مرشحه

في ذي الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا قبيلها على السرايا وسببها
ان الافضل وزير صاحب مصر كان قد سير ولده شرف المعالي في السنة الخالية الى
الفرنج فقهرهم واخذ الرملة منهم ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد
منهما ان الفتح له فاتاهم سرية الفرنج فتقاعد كل فريق منهما بالآخر حتى كاد الفرنج
يظهرون عليهم فرحل عند ذلك شرف المعالي الى ابيه بمصر فنفذ ولده الآخر وهو سناء
الملك حسين في جماعة من الامراء منهم جمال الملك النائب بعسقلان للمصريين وارسلوا
الى طغتكين اتابك بدمشق يطلبون منه عسكرا فارسل اليهم اصبهبذ صباوو ومعه الف
وثلثمائة فارس وكان المصريون في خمسة آلاف وقصدهم بغدوين الفرنجي صاحب
القدس وعكا ويافا في الف وثلثمائة فارس وثمانية آلاف راجل فوقع المصاف بينهم بين
عسقلان ويافا فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى فقتل من المسلمين الف ومائتان
ومن الفرنج مثلهم وقتل جمال الملك امير عسقلان فلما رأى المسلمون انهم قد تكافؤا في
النكاية قطعوا الحرب وعادوا الى عسقلان وعاد صباوو الى دمشق وكان مع الفرنج
جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش وكان طغتكين قد عدل في الملك الى ولد اخيه
دقاق وهو طفل وقد ذكرناه فدعاه ذلك الى قصد الفرنج والكون معهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خراسان من اعمال العراق وقد كانوا قبل
ذلك ينهبون الاموال ويقطعون الطريق الا انهم عندهم مراقبة فلما كان هذه السنة
اطرحوا المراقبة وعملوا الاعمال الشنيعة فاستعمل ايلغازي بن ارتق وهو شحنة
العراق على ذلك البلد ابن اخيه بلك بن بهرام بن ارتق وامره بحفظه وحياطته ومنع
الفساد عنه فقام في ذلك القيام المرضي وحمى البلاد وكف الايدي المتطاولة وسار بلك
الى حصن خانيجار وهو من اعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه وفيها في شعبان جعل
السلطان محمد قسيم الدولة سنقر البرسقي شحنة بالعراق وكان موصوفا بالخير والدين
وحسن العهد لم يفارق محمدا في حروبه كلها وفيها اقطع السلطان محمد الكوفة للامير
قايماز واوصى صدقة بحمايته من خفاجة فاجاب الى ذلك وفيها في شهر
رمضان وصل السلطان محمد الى اصبهان فامن اهلها ووثقوا بزوال ما كان شملهم من
الخبط والعسف والمصادرة وشتان بين خروجه منها ثائرا مختفيا وعوده اليها سلطانا
متمكنا وعدل في اهلها وازال عنهم ما يكرهون وكف الايدي المتطرقة اليهم من الجند
وغيرهم فصار كلمة العامي اقوى من كلمة الجندي ويد الجندي قاصرة عن العامي من
هيبة السلطان وعدله وفيها كثر الجدري في كثير من البلدان لا سيما العراق فانه
كان به كثيرا ومات به من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وموت عظيم وتوفي في هذه
السنة في شوال احمد بن محمد بن احمد ابو علي البرداني الحافظ ومولده سنة ست وعشرين
واربعمائة سمع ابن غيلان والبرمكي والعشاري وغيرهم وتوفي ابو المعالي ثابت بن

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢٢٣) في ثاني عشر ورود الخبر بان سليمان بك الالفي لما وصل الى المنية ونزل بفنائها خرج اليه ياسين بك بجموعه وعساكره وعسر بابه فوقع بينهما وقعة عظيمة وانهزم ياسين بك وولى هاربا الى المنية فتبعه سليمان بك في قلة وعدى الخندق خلفه فاصيب من كمين بداخل الخندق ووقع ميتا بعد ان نهب جميع متاع ياسين بك ورجاله واثقاله وتشتت جموعه وانحصر هو وعساكره وعربانه وما بقي منهم بداخل المنية وكانت الواقعة يوم الاربعاء سادس الشهر فلما ورد الخبر بذلك على الباشا اظهر انه اغتم على سليمان بك وتأسف على موته واقام العزاء عليه خشداشينه بالجيزة وفي [illegible] وطفق الباشا يلوم على جراءة المصريين واقدامهم وكيف ان سليمان بك يخاطر بنفسه ويلقي بنفسه من داخل الخندق ويقول انا ارسلت اليه احذره واقول له انه ينتظر بوصول الخازندار ويراسل ياسين بك ويطلعه على ما بيده من المراسيم فان ابى وخالف ما فيها فعند ذلك يجتمعون على حربه ويتقدم عسكر الاتراك لمعرفتهم وصبرهم على محاصرة الابنية فلم يسمع لما قلته وغرته نفسه وايضا ينبغي لكبير الجيش التأخر عن عسكره فان الكبير عبارة عن المدبر الرئيس وبعصابته تتشكل بهم الحروب [illegible] ولا القوم بخلاف ذلك يلقون بانفسهم في

ياقوتى اخوه على وصار فى طاعة جكرمش واستخلف بها اميرا اسمه على ايضا فارسل على الوالى بماردين الى سقمان يقول له ابن اخيك يريد ان يسلم ماردين الى جكرمش فسار سقمان بنفسه وسلمها الخليفة اليه على ابن اخيه وطلب اعادة القلعة اليه فقال انما اخذتها لئلا يخرب البيت فاقطعه جبل جور وتقدم اليه وكان جكرمش يعطى عليا كل سنة عشرين الف دينار فلما اخذ سقمان ماردين منه ارسل على الى جكرمش يطلب منه المال فقال انما كنت اعطيتك احتراما لماردين وخوفا من مجاورتك والآن فاصنع ما انت صانع فلا قدرة لك على

(ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان)

فى هذه السنة سار جمع كثير من الاسماعيلية من طريثيث من بعض اعمال بيهق وشاعت الغارة فى تلك النواحى واكثروا القتل فى اهلها والنهب لاموالهم والسبى لنسائهم ولم يقفوا على المدة المتقدمة وفى هذه السنة اشتد امرهم وقويت شوكتهم ولم يكفوا ايديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم فمن جملة فعلهم ان قفل الحاج تجمع هذه السنة مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد فوصلوا الى جوار الرى فاتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤا وغنموا اموالهم ودوابهم ولم يتركوا شيئا وقتلوا هذه السنة ابا جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية اخذ الفقه عن الخجندى وكان يدرس بالرى ويعظ الناس فلما نزل من كرسيه اتاه باطنى فقتله

(ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام)

فى هذه السنة فى شعبان كانت وقعة بين طنكرى الفرنجى صاحب انطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب انهزم فيها رضوان وسببها ان طنكرى حصر حصن ارتاح وبه نائب الملك رضوان فضيق الفرنج على المسلمين فارسل النائب بالحصن الى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذى اضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان فى عسكر كثير من الخيالة وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة فساروا حتى وصلوا الى قنسرين وبينهم وبين الفرنج قليل فلما راى طنكرى كثرة المسلمين ارسل الى رضوان يطلب الصلح فاراد ان يجيب فمنعه اصبهبذ صباوو وكان قد قصده وصار معه بعد قتل اياز فامتنع من الصلح واصطفوا للحرب فانهزمت الفرنج من غير قتال ثم قالوا نعود ونحمل عليهم حملة واحدة فان كانت لنا والا انهزمنا فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا وانهزموا وقتل منهم واسر كثير واما الرجالة فانهم كانوا قد دخلوا لمعسكر الفرنج لما انهزموا واشتغلوا بالنهب فقتلهم الفرنج ولم ينج الا الشريد فاخذ اسيرا وهرب من فى ارتاح الى حلب وملكه الفرنج لعنهم الله تعالى وهرب اصبهبذ صباوو الى طغتكين اتابك بدمشق فصار معه من اصحابه

(ذكر حرب الفرنج والمصريين)

يوم الاربعاء سنة ١٢٢٢) (وفيه) فرضوا على ساير الناس مال الكباش ويحسب لهم ما يؤخذ منهم من اصل ما يتقرر على حصصهم من المغارم فى المستقبل وعينوا العساكر بطلبها فتغيب غالبهم وتوارى اعدم ما بايديهم وخلوا كياسهم من المال والاعيان الكثير منهم الى ذوى الجاه ولازموا اعتابهم حتى شفعوا فيهم وكفوا عنهم (وفى عاشره) ورد الخبر من الجهة القبلية بان الامراء المصريين تقاتلوا مع ياسين بك بناحية المنية وذلك عن امر الباشا وهزموه فدخل الى المنية ونهبوا احماله ومتاعه (وفى اثر ذلك) حضر ياسين بك الى مصر وعينت عساكر الى جهة قبلى واميرها بونابارته الخازندار وتقدمهم سليمان بك الالفى فى آخرين (وفى عشرينه) تعين ايضا عساكر الى ناحية بحرى وفيهم عمر بك تابع الاشقر المصرلى لمحافظة رشيد وآخرين الى الاسكندرية ثم تعوق عمر بك عن السفر وسبب ذلك انه ورد قائف الانكليز الى ثغر سكندرية واخبر بخروج عمارة الفرنسيس الى البحر بسبيلهم وربما استولوا عليها وكذلك مالطه فلما ورد هذا الخبر حضر البطرون قنصل الانكليز المقيم برشيد الى مصر باهله وعياله (وفى اواخره) جمعوا عدة كبيرة من البنائين والنجارين واهل باب الاشغال لعمارة اسوار وابراج الاسكندرية وابى قير والسواحل فى

ويغدون فتارة يظفر هؤلاء وتارة يظفر هؤلاء ففي آخر الامر بقي بغدوين حصار بين دمشق فخر يوم بن خاف طغتكين من عاقبة ذلك وما يحدث به من الضرر فخرج معه عسكره وخرج الى مقاتلتهم فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرهما الى هذا القمص ليعاضده ويساعده على المسلمين فعرفه القمص غناءه عنه وانه قادر على مقارعة المسلمين ان قاتلوه فعاد بغدوين الى عكا وتقدم طغتكين الى الفرنج واقتتلوا واشتد القتال فانهزم امير الف من عسكر دمشق فتبعهما طغتكين وقتلهما وانهزم الفرنج الى حصنهم فاحتموا به فقال طغتكين من احسن قتالهم وطلب مني امرا فعلته معه ومن اتاني بحجر من حجارة الحصن اعطيته خمسة دنانير فبذل الرجالة نفوسهم وصعدوا الى الحصن وخربوه وحملوا حجارته الى طغتكين فوفى لهم بما وعدهم وامر بالقاء الحجارة في الوادي واسر وامن بالحصن فامر بهم فقتلوا كلهم واستبقى الفرسان امراء وكانوا مائتي فارس ولم ينج ممن كان في الحصن الا القليل وعاد طغتكين الى دمشق منصورا فزين البلد اربعة ايام وخرج منها الى رفنية وهو من حصون الشام وقد تغلب عليه الفرنج وصاحبه ابن اخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس فحصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج

﴿ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة﴾

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عبادة وخفاجة وسببها ان رجلا من عبادة اخذ منه جماعة من خفاجة جملين فجاء اليهم وطالبهم بهما فلم يعطوه شيئا فاخذ منهم غارة احد عشر بعيرا فلحقته خفاجة وقتلوا من اصحابه رجلا وقطعوا يد آخر وكان ذلك بالموقف من الحلة السيفية ففرق بينهم اهلها فسمعت عبادة الخبر فتواعدت وانحدرت الى العراق للاخذ بثارها وسار واسمع جماعة من امرائهم فبلغت عدتهم سبعمائة فارس وكانت خفاجة دون هذه العدة فراسلهم خفاجة يبذلون الدية ويصطلحون فلم تجبهم الى ذلك عبادة واشار به سيف الدولة صدقة فلم تقبل عبادة فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكوفة ومع عبادة الابل والغنم بين البيوت فتكمنت لهم خفاجة ثلثمائة فارس وقاتلوهم مطاردة من غير جد في القتال فداموا كذلك ثلاثة ايام ثم انهم اشتد بينهم القتال واختلطوا حتى تركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبينما هم كذلك وقد اعيا الفريقان من القتال اذ طلع كمين خفاجة وهم مستريحون فانهزمت عبادة واستمرت عليهم خفاجة وقتل من وجوه عبادة اثنا عشر رجلا ومن خفاجة جماعة وغنمت خفاجة الاموال من الخيل والابل والغنم والعبيد والاماء وكان الامير صدقة بن مزيد قد اعان خفاجة سرا فلما وصل المنهزمون اليه هناهم صدقة بالسلامة فقال له بعضهم مازلت اقاتل واضارب وانا طامع في الظفر بهم حتى رايت فرسك الشقراء تحت احدهم فعلمت انهم اجلبوا علينا بخيلك ورجالك وانا لا طاقة لنا بهم فنصروا علينا اعوانك وقالوا بخيلك فلم يجبه صدقة

﴿ذكر ملك صدقة البصرة﴾

مصر (وفي ليلة الثلاثاء ثامن عشره) حضر ياسين بك الى بر بولاق وركب في صبحه وطلع الى القلعة فعوقه الباشا واراد قتله فتعصب له عمر بك الارنؤدي وصالح قوج وغيرهما وطلعوا في يوم الجمعة وقد رتب الباشا عساكره وجنده واوقفهم بالابواب الداخلة والخارجة وبين يديه وتكلم عمر بك وصالح اغا مع الباشا في امره وان يقيم بمصر فقال الباشا لا يمكن ان يقيم بمصر والساعة اقتله وانظر اي شئ يكون فلم يسع المتعصبين له الا الامتثال ثم احضره وخلع عليه فروة وانعم عليه باربعين كيسا ونزل بعصبته بعد الظهر الى بولاق وسافر الى دمياط ليذهب الى قبرس ومعه عاقلون (وفي يوم الاحد) حضر بونابارته الخازندار من المنية الى مصر وانقضت السنة ﴿واما من مات فيها ممن ذكر﴾ ﴿توفي﴾ الشيخ العلامة بقية العلماء والفضلاء والصالحين الورع القانع الشيخ احمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين البرماوي الذهبي الشافعي الضرير ولد ببلده برما بالمنوفية سنة ١١٣٨ وتشأ بها وحفظ القرآن والمتون على الشيخ المناصري ثم انتقل الى مصر وجاور بالمدرسة الشيخونية بالصليبة وتخرج في الحديث على الشيخ احمد البرماوي وحضر دروس مشايخ الازهر كالشيخ محمد فارس والشيخ علي قايتباي والشيخ الدمري والشيخ سليمان الزيات

بندار بن ابراهيم البقال ومولده سنة ست عشرة واربعمائة سمع ابا بكر البرقاني وابا علي بن شاذان وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة وفي رابع جمادى الاولى توفي أبو الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الفقيه الشافعي ومولده سنة تسع واربعمائة وكان اديبا شاعرا فمن قوله

من قال لي جاه ولي حشمة ۞ ولي قبول عند مولانا
ولم يعد ذاك بنفع على ۞ صديقه لا كان من كانا

وفيها ايضا توفي أبو نصر بن أخت ابن الموصلايا وكان كاتبا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره سبعين سنة ولم يخلف وارثا لانه أسلم وأهله نصارى فلم يرثوه وكان يبخل الا انه كان كثير الصدقة وأبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوي كان واعظا شاعرا كاتبا قدم بغداد ووعظ بها ونصر مذهب الاشعري وكان له قبول عظيم وخرج منها فمات باسفراين

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين واربعمائة)

۞ (ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد) ۞

في هذه السنة في المحرم أظهر منكبرس ابن الملك بوربرس بن الب ارسلان وهو ابن عم السلطان محمد العصيان للسلطان محمد والخلاف عليه وسبب ذلك انه كان مقيما باصبهان فلحقته ضائقة شديدة وانقطعت المواد عنه فخرج منها وسار الى نهاوند فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر وظاهره على امره جماعة من الامراء وتغلب على نهاوند وخطب لنفسه بها وكاتب الامراء بني برسق يدعوهم الى طاعته ونصرته وكان السلطان محمد قد قبض على زنكي بن برسق فكاتب زنكي اخوته وحذرهم من طاعة منكبرس وما فيها من الاذى والخطر وامرهم بتدبير الامر في القبض عليه فلما اتاهم كتاب اخيهم بذلك ارسلوا الى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار اليهم وساروا اليه فاجتمعوا به وقبضوا عليه بالقرب من اعمالهم وهي بلد خوزستان وتفرق اصحابه واخذوا منكبرس الى اصبهان فاعتقله السلطان مع بني عمه تكش واخرج زنكي بن برسق واعاده الى رتبته واستنزله واخوته عن اقطاعهم وهي ليشتر وسابور خواست وغيرهما مما بين الاهواز وهمذان واقطعهم عوضها الدينور وغيرها واتفق أن ظهر بنهاوند ايضا في هذه السنة رجل من السواد ادعى النبوة فاطاعه خلق كثير من السوادية واتبعوه وباعوا املاكهم ودفعوا اليه اثمانها فكان يخرج ذلك جميعه وسمى اربعة من اصحابه ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وقتل بنهاوند فكان اهلها يقولون ظهر عندنا في مدة شهرين اثنان ادعى احدهما النبوة والآخر المملكة فلم يتم لواحد منهما امره

۞ (ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج) ۞

في هذه السنة في صفر كانت وقعة بين طغتكين اتابك صاحب دمشق وبين قمص كبير من قمامصة الفرنج وسبب ذلك انه تكررت الحروب والغارات بين عسكر دمشق

وبغدوين

المماليك ولما ارسل جماعة سليمان بك يخبرون بموت كبيرهم وانهم مجتمعون على حالتهم ومنتظرون لعرضهم وعقلتهم على المنية وانهم منتظرون من نعمة الباشا رتبة حكامه فعند ذلك ارسل الباشا الى شاهين بك يعزيه والتمس منه ان يختار من خشداشينه من يقلده الباشا امارة سليمان بك فتشاور شاهين بك مع خشداشينه فلم يرض احد من الكبار ان يتقلد ذلك ثم وقع اختيارهم على شخص من المماليك يسمى يحيى وارسلوه الى الباشا فخلع عليه وامره بالسفر الى المنية فاخذ في قضاء اشغاله وعدى الى بر الجيزة (وفي منتصفه) ورد الخبر بان بونابارته الخازندار وصل الى المنية بعد الواقعة وياسين بك محصور بها فارسل اليه يستدعيه الى الطاعة واطلعه على المكاتبات والمراسيم التي بيده من الباشا خطابا له وللامراء الحاضرين والغائبين المصرية وفي ضمنها الى ياسين بك عن الدخول في الطاعة واستمر على عناده وعصيانه فان بونابارته والامراء المصرية يحاربونه فعند ذلك نزل ياسين بك على حكم بونابارته وحضر عنده بعد ان استوثق منه بالامان ووصلت الاخبار بذلك الى مصر وخرجت العربان المحصورون بالمنية بعد ان صالحوا على انفسهم وقصر الهم عن قتال وذهبوا الى أنها كثيرو واستمر بونابارته بالمنية فقام بها يومين وارتحل عنها وحضر الى

على جها اهلكهم بالماء وغيره ونزل الى سيف الدولة وامن سيف الدولة أهل البصرة من كل اذى ورتب فيها شحنة وعاد الى الحلة ثالث جمادى الآخرة وكان مقامه بالبصرة ستة عشر يوما واما اسمعيل فانه لما سار صدقة الى الحلة قصده والباسيان الى ان وصل ماله في المراكب وسار نحو فارس وسار بعض اصحابه وبرز جنسه وقبض على جماعة من خواصه وقال لهم انتم سقيتم ولدى اقراسياب السم حتى مات وكان قد مات في صفر من هذه السنة ففارقه كثير منهم حتى زوجته فارقته وسارت الى بغداد واخذته الحمى وقويت عليه فلما بلغ رامهرمز انفرد في خيمته ولم يظهر لاصحابه يوما وليلة فظهر لهم موته فنهبوا ماله وتفرقوا فارسل الامير برامهرمز فردهم واخذ ما معهم من امواله ودفن بالقرب من ايذج وكان عمره قد جاوز خمسين سنة وكانت سيرته قد حسنت في اهل البصرة اخيرا

﴿ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها﴾

في هذه السنة في شهر رمضان حصر الملك رضوان بن تتش نصيبين وسبب ذلك انه عزم على حرب الفرنج واجتمع معه من الامراء ايلغازي بن ارتق الذي كان شحنة بغداد والاصبهبذ صباوو والبي بن ارسلان تاش صاحب سنجار وهو صهر جكرمش صاحب الموصل فقال ايلغازي الرأى اننا نقصد بلاد جكرمش وما والاها فنملكها ونتقوى بعسكرها والاموال ووافقه البي فسار الى نصيبين في عشرة آلاف فارس مستهل رمضان وكان قد جعل فيها اميرين من اصحابه في عسكر فتحصنوا بالبلد وقاتلوا من وراء السور فرمى البي بن ارسلان تاش بنشابة فجرح جرحا شديدا فعاد الى سنجار واما جكرمش فانه بلغه الخبر بنزولهم على نصيبين وهو بالحاسة التي بالقرب من طنزة يتداوى بمائها من مرضه فرحل الى الموصل وقد اجفل اليها اهل السواد فخيم على باب البلد عازما على حرب رضوان واستعمل المخادعة فكاتب اعيان عسكر رضوان ورغبهم حتى افسد نياتهم وتقدم الى اصحابه بنصيبين بخدمة الملك رضوان وباخراج الاقامة اليه مع الاحتراز منه وارسل الى رضوان يبذل له خدمته والدخول في طاعته ويقول له ان السلطان محمدا قد حصرني ولم يبلغ مني غرضا فرحل عني عن صلح وان قبضت على ايلغازي الذي قد عرفت انت وغيرك فساده وشره فانا معك ومعينك بالرجال والاموال والسلاح فاتفق هذا ورضوان قد تغيرت نيته مع ايلغازي فازداد تغيرا وعزم على قبضه فاستدعاه يوما وقال له هذه بلاد ممتنعة فتعود عنها ونستولي الفرنج على حلب والمصلحة مصالحة جكرمش واستصحابه معنا فانه يسير بعسكر كثيرة ظاهرة التجمل ونعود الى قتال الفرنج فان ذلك مما يعود باجتماع شمل المسلمين فقال له ايلغازي انك جئت بحكمك وانت الآن بحكمي لا امكنك من المسير دون اخذ هذه البلاد فان اقمت والا بدأت بقتالك وكان ايلغازي قد تقوى نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان وكان الملك رضوان قد واعد قوما من اصحابه ليقبضوا عليه فلما جرى ما ذكرناه امرهم رضوان فقبضوا عليه

الاول من هذه السنة وله من العمر اربع وثمانون سنة وصلى عليه بجامع ابن طولون ودفن بجوار المشهد المعروف بالسيدة سكينة رضى الله عنها بجانب الشيخ البرماوى رحمه الله وبارك في ولده الشيخ مصطفى واعانه على وقته ومات العمدة الفاضل حاوى الكمالات والفضائل الشيخ محمد بن يوسف ابن بنت الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى ولد سنة ١١٦٣ وتربى في حجر جده وتخلق باخلاقه وحفظ القرآن والالفية والمتون وحضر دروس جده واخى جده الشيخ يوسف الحفناوى وحضر اشياخ الوقت كالشيخ على العدوى والشيخ احمد الدردير والشيخ عطية الاجهورى والشيخ عيسى البراوى وغيرهم وتمهر وانجب واخذ طريق الخلوتية عن جده ولقنه الاسماء ولما توفى جده التى الدروس في محله بالازهر ونشا من صغره على احسن طريقة وعفة نفس وتباعد عن سفاسف الامور الدنيئة ولازم الاشتغال بالعلم وفتح بيت جده وعمل به ميعاد الذكر كعادته وكان عظيم النفس مع تهذيب الاخلاق والتبسط مع الاخوان والمعارف مع تجنبه ما يخل بالمروءة وله بعض تعليقات وحواش وشعر مناسب ولم يزل على حالته الى ان توفى يوم السبت رابع شهر ربيع الاول من السنة وصلى عليه بالازهر في مشهد حافل ودفن مع جده في قبر واحد بمقبرة المجاورين ولم يخلف

في هذه السنة في جمادى الاولى قصد سيف الدولة صدقة من الحلة الى البصرة فملكها وقد ذكرنا فيما تقدم تمكن اسمعيل بن ارسلانجق من البصرة ونواحيها واقام بها عشر سنين فاتفق الامر وازداد قوة وتمكنا بالاختلاف الواقع بين السلاطين واخذ الاموال السلطانية وكان قد راسل صدقة واظهر له انه في طاعته وهو وافقه فلما استقر الامر للسلطان محمد اراد ان يرسل الى البصرة مقدما يأخذها من اسمعيل فخاطبه صدقة في معناها وعني اقرارها عليه فانفذ السلطان عميدا اليها يتولى ما يتعلق بالسلطان هناك فمنعه اسمعيل ولم يمكنه من عمله وذلك ما خرج به عن حد المجاملة فامر السلطان صدقة بقصده واخذ البصرة منه فتحرك لذلك فاتفق ظهور منكبرس وخلافه على السلطان وانه على قصد واسط فسر اسمعيل بذلك وزاد انبساطه وارسل صدقة حاجبا له وكان قبله قد خدم اباه وجده الى اسمعيل يامره بتسليم الشرطة واعادتها الى مهذب الدولة بن ابي الجبر لانها كانت في ضمانه فوصل الى الشرطة واخذ منها اربعمائة دينار فاحضره اسمعيل وحبسه واستذله ثم منّ عليه فلما رأى صدقة تمكنه تمادى في حاله واظهر انه يريد قصد الرحبة ثم جد السير الى البصرة فلم يشعر اسمعيل الا بقربه منه ففرق اصحابه في القلاع التي استجدها بمطارا ونهر معقل وغيرهما واعتقل وجوه العباسيين والعلويين وقاضي البصرة ومدرسها واعيان اهلها ونازلهم صدقة فجرى قتال بين طائفة من عسكره وطائفة من اهل البصرة قتل فيه ابو النجم بن ابي القاسم الورامي وهو ابن خال سيف الدولة صدقة وكان امدح بسيف الدولة ورثى به ابو النجم بن ابي القاسم قول بعضهم

ترى باخبر من يحمي حريم حمى • فتحا اغنت به الدنيا مع الدين
ركبت للبصرة القراء في نجب • فركبتني على يوم صفين
هوى ابو النجم كالنجم المنير بها • لكنه كان رجما للشياطين

واقام صدقة محاصرا لاسمعيل بالبصرة فاشار على سيف الدولة صدقة بعض اصحابه بالعود عنها واعلموه انهم لا يظفرون بطائل فاشار عليهم بالمقام وقالوا ان رحلنا كانت كسرة وكان رأى سيف الدولة المقام وقال ان تعذر علي فتح البصرة لم يطعني احد ولم يحرز في الناس ثم ان اسمعيل خرج من البلد وقاتل صدقة فسار بعض اصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد ودخلوه وقتلوا من السوادية الذين جمعهم اسمعيل خلقا كثيرا وانهزم اسمعيل الى قلعته بالجزيرة فادركه بعض اصحاب سيف الدولة واراد قتله ففداه احد غلمانه بنفسه فوقعت الضربة فيه فقتلته فنهبت البصرة وغنم من معهم عرب البرية بجميع ما قدروا عليه ولم يسلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربد فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد وعمت المصيبة لاهل البلد سوى من ذكرنا وامتنع اسمعيل بقلعته فاتفق ان المهذب بن ابي الجبر انحدر في سفن كثيرة واخذ القلعة التي لاسمعيل بمطارا وقتل بها خلقا من اصحاب اسمعيل وحمل الى صدقة كبراءهم فلما علم اسمعيل بذلك ارسل الى صدقة يطلب الامان على نفسه واهله وامواله فاجابه الى ذلك واجله سبعة ايام فاخذ كل ما يمكنه حمله مما يعز عليه وما لم يقدر

والشيخ الملوي والشيخ المدابغي والشيخ التميمي والشيخ محمد الحفني واخيه الشيخ يوسف وعبد الكريم الزيات والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ سالم النفراوي والشيخ عمر الشنواني والشيخ احمد رزة والشيخ سليمان البجوري والشيخ على الصعيدي واقرأ الدروس وافاد الطلبة ولازم الاقراء وكان منجمعا عن الناس قانعا راضيا بحالته لا يزاحم على الدنيا ولا يتداخل في امورها واخبرني ولده العلامة الفاضل الشيخ مصطفى انه ولد بصيرا فاصابه الجدري فطمس بصره في صغره فاخذه ابوه الى الشيخ صالح الفحي ودعا له فقال في دعائه اللهم كما اعميت بصره نور بصيرته فاستجاب الله دعاءه وكان قوي الادراك ويمشي وحده من غير قائد ولا دليل من غير خادم ويذهب في حوائجه المسافة البعيدة ويأتي الى الازهر ولا يخطئ الطريق ويتقي ما عساه يصيبه من راكب او جمل او حمار مقبل عليه او شيء معترض في طريقه اقوى من ذي بصر فكان يضرب به المثل في ذلك مع شدة التعجب كما قال القائل

ما عماء العيون مثل عمى القلب • فهذا عمى العين والسلام
فعماء العيون تغميض عين • وعماء القلوب غي والشقاء

ولم يزل ملازما على حالته من الانجماع والاشتغال بالعلم والعمل به وتلاوة القرآن وقيام الليل فكان يقرأ كل ليلة نصف القرآن الى ان توفي يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع

على

ذلك ابدا ويقضى لما اقتضاه الشيخ لعلمه انه لا غرض دنيوى ولا اخبرهم ان الحق خلافه فيبطل الخصم الآخر

فلاذ الشيخ فلما ملكه الفرنج تفرق اهله فتوجه القاضى الذى بها الى ابن ملاعب
واقام عنده فاكرمه واحبه ووثق به فاعمل القاضى الحيلة عليه وكتب الى ابى طاهر
المعروف بابن الصائغ وهو من اعيان اصحاب الملك رضوان ووجوه الباطنية ودعاتهم
ووافقهم على القتل بابن ملاعب وان يسلم افامية الى الملك رضوان فظهر شىء من هذا
فاتى الى ابن ملاعب اولاده وكانوا قد تسللوا اليه من مصر وقالوا له قد بلغنا عن هذا
القاضى كذا وكذا والرأى ان تعاجله وتحتاط لنفسك فان الامر قد اشتهر وظهر
فاحضره ابن ملاعب فتلقاه كمصحف لانه رأى امارات الشر فقال له ابن ملاعب
ما بلغه عنه فقال له ايها الامير قد علم كل احد انى اتيتك خائفا فقيرا فامنتنى واغنيتنى
ورزقتنى نصرت ذا مال وجاه فان كان بعض من حسدنى على منزلتى منك وما غمرنى
من نعمك سعى بى اليك فانا الآن آخذ جميع ما معى واخرج كما جئت وحلف له على
الوفاء والنصح فقبل عذره وامنه وعاود القاضى مكاتبة ابى طاهر بن الصائغ واشار
عليه ان يوافق رضوان على انفاذ ثلثمائة رجل من اهل سرمين وبنش معهم خيل من
خيول الفرنج وسلاحا من اسلحتهم ورؤسا من رؤس الفرنج يأتون الى ابن ملاعب
ويظهرون انهم غزاة ويشكون من سوء معاملة الملك رضوان واصحابه لهم وانهم
فارقوه فلقيهم طائفة من الفرنج فظفروا بهم ويحملون جميع ما معهم اليه فاذا اذن
لهم فى المقام اتفقت آراؤهم على اعمال الحيلة عليه ففعل ابن الصائغ ذلك ووصل
القوم الى افامية وقدموا الى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها فقبل ذلك منهم
وامرهم بالمقام عنده وانزلهم فى ربض افامية فلما كان فى بعض الايام الى نام الحراس
بالقلعة قام القاضى ومن بالحصن من اهل سرمين ودلوا الحبال واصعدوا اولئك
القادمين جميعهم وقصدوا اولاد ابن ملاعب وبنى عمه واصحابه فقتلوهم واتى القاضى
وجماعة معه الى ابن ملاعب وهو مع امرأته فاحس بهم فقال من انت فقال ملك
الموت جئت اقبض روحك فناشده الله فلم يرجع عنه وجرحه وقتله وقتل اصحابه
وهرب ابناه فقتل احدهما والتحق الآخر بابى الحسن بن منقذ صاحب شيزر فحفظه
لعهد كان بينهما ولما سمع ابن الصائغ خبر افامية سار اليها وهو لا يشك انها له فقال له
القاضى ان وافقتنى واقمت عندى فبالرحب والسعة ونحن بحكمك والا فارجع من حيث
جئت فايس ابن الصائغ منه وكان احد اولاد ابن ملاعب بدمشق عند طغتكين
غضبان على ابيه فولاه طغتكين بعض بلاده وضمن على نفسه حفظ الطريق فلم يفعل وقطع
الطريق وتعدى القوافل فاستغاثوا الى طغتكين منه فارسل اليه من طلبه فهرب
الى الفرنج واستدعاهم الى حصن افامية وقال ليس فيه غير قوت شهر فاقاموا عليه
يحاصرونه فجاع اهله وملكه الفرنج وقتلوا القاضى المتغلب عليه واخذوا ابن الصائغ
فقتلوه وكان هو الذى اظهر مذهب الباطنية بالشام هكذا ذكر بعضهم ان ابا طاهر
ابن الصائغ قتله الفرنج بافامية وقد قيل ان ابن بديع رئيس حلب قتله سنة سبع
وخمسمائة بعد وفاة رضوان وقد ذكرناه هنالك والله اعلم

ولم يزل على حالته حتى كان
المولد المعتاد وعندنا فذهب
ابن الشيخ الامير الى هناك فاتى
لزيارة ابن شيخه ونزل فى الدار
التى هو نازل فيها فانهدمت
الجهة التى هو بها وسقطت
عليه فمات شهيدا هو وما
ومعه ثلاثة انفار من اهالى
قرية العكروت وذلك فى
اوائل شهر الحجة ولم يخلف
بعده مثله رحمه الله ومات
الامير بشير اغا دار السعادة
العثمانى الحبشى قدم الى
مصر بصحبة يوسف باشا
الوزير فى ابهة ونزل بدرب
الجماميز فى البيت الذى كان
نزل به شريف افندى الدفتردار
بعد انتقاله منه وتحرى با
التفتيش على جهات اوقاف
الحرمين وغيرهما واخاف
الناس وحضر اليه كتبة
الاوقاف وجلسوا للمقارشة
الناس والتعنت عليهم بطلب
السندات ويحولون عليهم
بالاغاوات ويأخذون منهم
المصالحات ثم ينهون اليه
الامر على حسب اغراضهم
ويعطونه جزءا ويأخذون
لانفسهم الباقى ثم تنبه لذلك
فطرد غالبهم وشدد على
الباقين وتساهل مع الناس
وكان رئيسا عاقلا معدودا فى
الرؤساء تعمل عنده الدواوين
والاجتماعات فى مهمات
الامور والوقائع كما تقدم ذكر ذلك فى مواضع وسببه انه عرض بذات الرئة شهرا ومات فى يوم الاثنين رابع شهر صفر

فقتلوه فلما سمع الترك ان الحال اظهر والخلاف والامتناع ففارقوا رضوان والتجؤا
الى سور المدينة واصعدوا ايلغازي الى قلعتها وخرج من بها من العسكر فاعانوه فلما
راى الترك ذلك تفرقوا ونهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها ورحل رضوان من
وقته وسار الى حلب وكان جكرمش قد رحل من الموصل قاصدا لحرب القوم فلما بلغ
تل يعفر اتاه المبشرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق فرحل عند ذلك الى
سنجار ووصلت اليه رسل رضوان تستدعي منه النجدة ويعتذر عليه مما فعل بايلغازي
فاجابه فالقوم لم يفوا بما وعدوه ونازل سنجار لشيء في نفسه من صهره البي بن ارسلان
تاش بما اعتمده من معاداته ومظاهرة أعدائه وكان البي على شدة من المرض بالسهم
الذي أصابه على نصيبين فلما نزل جكرمش عليها أمر البي أصحابه ان يحملوه اليه فحملوه
في محفة فحضر عنده واخذ يعتذر عما كان منه وقال جئت مذنبا فافعل بي ما تراه فرق
له واعاده الى بلده فلما عاد قضى نحبه فلما مات عصى على جكرمش من كان بسنجار
وعصوا بالبلد فقاتله بقية رمضان وشوال ولم يظفر منهم بشيء فحضر عنده تركان أخو ارسلان
تاش عم البي فاصلح حاله مع جكرمش وبذل له الخدمة فعاد الى الموصل

(ذكر ملك طغتكين بصرى)

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين حال بكتاش بن تتش وخروجه من دمشق واتصاله بالفرنج
ومعه ايتكين الحلبي صاحب بصرى وسيرهما الى الرحبة وعودهما عنها فلما ضعفت
احوالهما سار طغتكين الى بصرى فحصرها وبها أصحاب ايتكين فراسلوا طغتكين
وبذلوا له التسليم اليه بعد اجل قرروه بينهم فاجابهم الى ذلك فرحل عنهم الى دمشق
فلما انقضى الاجل هذه السنة سلموها واحسن الى من بها ووفى لهم بما وعدهم وبالغ
في اكرامهم وكثر الثناء عليه والدعاء له ومالت النفوس اليه واحبوه

(ذكر ملك الفرنج حصن افامية)

في هذه السنة ملك الفرنج حصن افامية من بلد الشام وسبب ذلك ان خلف بن ملاعب
الكلابي كان متغلبا على حمص وكان الضرر به عظيما ورجاله يقطعون الطريق فكثر
الحرامية عنده فاخذها منه تتش بن الب ارسلان وابعده عنها فتقلبت به الاحوال الى
ان دخل الى مصر فلم يلتفت اليه من بها فاقام بها واتفق ان المتولي لافامية من جهة
الملك رضوان ارسل الى صاحب مصر وكان يميل الى مذهبهم يستدعي منهم من يسلم اليه
الحصن وهو من امنع الحصون وطلب ابن ملاعب منهم ان يكون هو المقيم به وقال انني
ارغب في قتال الفرنج واوثر الجهاد فسلموه اليه واخذوا رهائنه فلما ملكه خلع
طاعتهم ولم يرع حقهم فارسلوا اليه يتهددونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم فاعاد
الجواب انني لا انزل من مكاني وابعثوا الي ببعض اعضاء ولدي حتى آكله فايسوا من
رجوعه الى الطاعة واقام بافامية يخيف السبيل ويقطع الطريق واجتمع عنده كثير
من المفسدين فكثرت امواله ثم ان الفرنج ملكوا سرمين وهي من اعمال حلب واهلها

ذكور رحمه الله ومات الشيخ العلامة المفيد والنحرير المجيد محمد الصافي الشافعي الفقيه النحوي الفرضي الفلكي تلقى
العلوم وحضر أشياخ الطبقة
الاولى ودرس العلوم بالازهر
وافاد الطلبة وقرأ الكتب
المفيدة وعاش طول عمره
منعكفا في زوايا الخمول منعزلا
عن الدنيا وهي منعزلة عنه
راضيا بما قسم الله له قانعا
بيسره مولاه لا يدعى في وليمة
ولا يزاحم على شيء من امور
الدنيا ولم يزل على حالته حتى
توفي يوم الاثنين ثالث عشر
شوال من السنة ه ومات
العمدة الفاضل الشيخ محمد
عبد الفتاح المالكي من
اهالي كفر حشاد بالمنوفية قدم
من بلده صغيرا فجاور بالازهر
وحضر على أشياخ الوقت
ولازم دروس الشيخ الامير
وتخرج وتفقه عليه وعلى
غيره من علماء المالكية
وتمهر في المعقولات وانجب
وصارت له ملكة واستحضار
ثم سافر الى بلده واقام بها
يفيد ويفتي ويرجعون اليه
في قضاياهم ودعاويهم فيقضي
بينهم ولا يقبل من احد جعالة
ولا هدية فاشتهر ذكره
بالاقليم واعتقدوا فيه الصلاح
والعفة وانه لا يقضي الا بالحق
ولا ياخذ رشوة ولا جعالة ولا
يحابي في الحق فامتثلوا
لقضاياه واوامره فكان اذا
قضى قاض من قضاة البلدان
بين خصمين رجعا الى المترجم
وان اداه اليه نظره اهمله وان رأى القضاء صحيحا موافقا للشرع امضاه وامتثل الخصم الآخر ولا يمانع بعد

الملك هرب منه خوفا لما قبض على صاحبه عميد الملك وسار الى الرقة فملكها وصار معه كثير من التركمان فيهم الافشين وأحمدشاه فقتلا دوار سلاّم واليه الى الب ارسلان ودخل الافشين بلاد الروم وقاتل الفردوس صاحب انطاكية فهزمه وقتل من الروم خلقا كثيرا وسار ملك الروم من القسطنطينية الى ملطية فدخل الافشين بلاده ووصل الى عمورية وقتل في غزاته مائة ألف آدمي ولما عاد الى بلاد الاسلام وتفرق من معه خرج عليه عسكر الرها وهي حينئذ للروم ومعهم بنو نمير من العرب فقاتلهم ومعه مائتا فارس فهزمهم ونهبهم ونهب بلاد الروم فارسل ملك الروم رسولا الى القائم بامر الله يطلب الصلح فارسل الى الب ارسلان في ذلك فصالح الروم على مائة ألف دينار وأربعة آلاف ثوب أصنافا وثلثمائة رأس بغال الافشين بين الحالتين وأقول شتان بين حال الملك المرذوابن الذين استعز زهم وبين حال الناس في زمننا هذا وهو سنة ست عشرة وستمائة فمع الفرنج أيضا والتترو سنرى ذلك منهم وحال ان شاء الله تعالى لنعلم الفرق فسأل الله تعالى ان ييسر للاسلام وأهله قاتماً يقوم بنصرهم وان يدفع عنهم عن احب من خلقه وما ذلك على الله بعزيز

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة ورد الى بغداد انسان من الملثمين ملوك الغرب قاصدا الى دار الخلافة فاكرم وكان معه انسان يقال له الفقيه من الملثمين أيضا فوعظ الفقيه في جامع القصر واجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو ملثم لا يظهر منه غير عينيه وكان هذا الملثم قد حضر مع ابن الافضل امير الجيوش بمصر اوقعته مع الفرنج واظهر بلاء حسنا وكان سبب مجيئه الى بغداد ان المغاربة كانوا يعتقدون في العلويين اصحاب مصر الاعتقاد القبيح فكانوا اذا أرادوا الحج يعدلون عن مصر وكان امير الجيوش بدر والد الافضل اراد اصلاحهم فلم يميلوا اليه ولا قاربوه فامر بقتل من ظفر به منهم فلما ولي ابنه الافضل احسن اليهم واستعان بمن قاربهم منهم على حرب الفرنج وكان هذا من جملة من قاتل معه فلما خالط المصريين خاف العود الى بلاده فقدم بغداد ثم عاد الى دمشق ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج الا وشهدها فقتل في بعضها شهيدا وكان شجاعا فاتكا كما قدمنا وفيها في ربيع الآخر ظهر كوكب في السماء له ذؤابة كقوس قزح آخذة من المغرب الى وسط السماء وكان يرى قريبا من الشمس قبل ظهوره ليلا وبقي يظهر عدة ليال ثم غاب وفيها وصل الملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم الى الرها فحصرها وبها الفرنج فراسله اصحاب جكرمش المقيمون بحران ليسلموها اليه فسار اليهم وتسلم البلد وفرح به الناس لاجل جهاد الفرنج فاقام بحران اياما ومرض مرضا شديدا اوجب عوده الى ملطية فعاد مريضا وبقي أصحابه بحران وفي هذه السنة توفي الشيخ ابو منصور الخياط المقرى امام مسجد ابن جردة وكان خيرا صالحا وفيها قتل القاضي ابو العلاء صاعد بن ابي محمد النيسابوري الحنفي بجامع اصبهان قتله باطني وفيها توفي ابو الفوارس الحسين

من الحرمين الشريفين ولا تخفى عنكم الحوادث والوقائع التي كانت سببا في التأخير عن المبادرة في امتثال الاوامر والآن تحصل الهدوّ وحضر قابجي باشا بالتاكيد والحث على خروج العساكر وسفرهم وقد حسبنا المصاريف اللازمة في هذا الوقت فبلغت اربعة وعشرين الف كيس فاعملوا رأيكم في تحصيلها فحصل ارتباك واضطراب وشاع ذلك في الناس وزاد بهم الوسواس ثم اتفقوا على كتابة عرضحال ليصحبه ذلك القابجي معه بصورة ما قرروا (وفي سادسه) حضر مرزوق بك وسليم بك المحرمجي وعلي كاشف الصابونجي المرسل فطلعوا الى القلعة وقابلوا الباشا وخلع على مرزوق بك والمحرمجي فروتين ونزلا الى دورهم ثم ترددوا وطلعوا ونزلوا وبلغوا رسالة الامراء القبليين وذكروا مطالبهم وشروطهم وشروط الباشا عليهم والاتفاق في تقرير الصلح والمصالحة عدة أيام (وفيه) حضر عرب الهنادي والجهينة وصالحوا على انفسهم وان يرجعوا الى منازلهم بالبحيرة ويطردوا اولاد علي وكانوا تغلبوا على الاقليم وحصل منهم الفساد والافساد وكانت مصالحتهم بسفارة شاهين بك

الالفي وسافر معهم شاهين بك وخشداشينه ولم يبق بالجيزة سوى نعمان بك وذهبوا الى ناحية دمنهور

ومات الامير سليمان بك المرادى وهو من الامراء الذين تامروا بعد موت مراد بك وكان ظالما غشوما ويعرف بريحه بتشديد الياء وسبب تسميته بذلك انه كان اذا اراد قتل انسان ظلما يقول لاحد اعوانه خذه وريحه فياخذه ويقتله ومات فى واقعة اسيوط الاخيرة اخذت جلة المدفع دماغه وقطع ذراعه وعرفوا قتله بخاتمه الذى فى اصبعه فى ذراعه المقطوع • ومات سليمان بك الالفى الذى قتل فى واقعة ياسين بك بالمنية عند الخندق وغير هؤلاء والله اعلم

(واستهلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف)

فكان اول المحرم يوم الاحد فيه برز القابجى المسمى بياضجى بك الى السفر على طريق البر وخرج الباشا لوداعه وهذا القابجى كان حضر بالاوامر بخروج العساكر لبلاد الحجاز وخلاص البلاد من ايدى الوهابية وفى مراسيمه التى حضر بها التاكيد والحث على ذلك فلم يزل الباشا يخادعه ويعده بانفاذ الامر ويعرفه ان هذا الامر لا يتم بالعجلة ويحتاج الى استعداد كبير وانشاء مراكب فى القلزم وغير ذلك من الاستعدادات وعمل الباشا ديوانا جمع فيه الدفتردار والمعلم غالى والسيد عمر والمشايخ وقال لهم لا يخفاكم ان الحرمين استولى عليها الوهابيون ومشوا احكامهم بها وقد وردت علينا الاوامر الملك

(ذكر نهب العرب البصرة)

قد ذكرنا استيلاء الامير صدقة على البصرة وانه استناب بها مملوكا كان لجده دبيس بن مزيد اسمه التونتاش وجعل معه مائة وعشرين فارسا فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم اليها من العرب وقصدوا البصرة فى جمع كثير فقاتلهم التونتاش فاسر وانهزم اصحابه ولم يقدر من بها على حفظها فدخلوها بالسيف واحرقوا القيصرية واحرقوا الاسواق والدور الحسان ونهبوا ما قدروا عليه واقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوما وتفرق اهلها فى السواد ونهبت خزانة كتب كانت موقوفة وقفها القاضى ابو الفرج ابن ابى البقاء وبلغ الخبر صدقة فارسل عسكرا فوصلوا وقد فارقها العرب ثم ان السلطان محمدا ارسل شحنة وعميدا الى البصرة واخذها من صدقة وعاد اهلها اليها وشرعوا فى عمارتها

(ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج)

كان صنجيل الفرنجى لعنه الله قد ملك مدينة جبلة واقام على طرابلس يحصرها فحيث لم يقدر ان يملكها بنى بالقرب منها حصنا وبنى تحته ربضا واقام مراصدا لها ومنتظرا ورود فرصة فيها فخرج فخر الملك ابو على بن عمار صاحب طرابلس فاحرق ربضه ووقف صنجيل على بعض سقوفه المحترقة ومعه جماعة من القمامصة والفرسان فانخسف بهم فمرض صنجيل من ذلك عشرة ايام ومات وحمل الى القدس فدفن فيه ثم ان ملك الروم امر اصحابه باللاذقية ليحملوا الميرة الى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها فى البحر فخرج اليهم فخر الملك بن عمار باسطول فجرى بينهم وبين الروم قتال شديد فظفر المسلمون بقطعة من الروم فاخذوها واسروا من كان بها وعادوا ولم تزل الحرب بين اهل طرابلس والفرنج خمس سنين الى هذا الوقت فعدمت الاقوات به وخاف اهله على نفوسهم واولادهم وحرمهم فجلا الفقراء وافتقر الاغنياء وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى سديد ومما اضر بالمسلمين فيها ان صاحبها استنجد سقمان بن ارتق فجمع العساكر وسار اليه فمات فى الطريق على ما ذكرناه واذا اراد الله امرا هيأ اسبابه واجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء فلما قلت الاموال عنده شرع يقسط على الناس ما يخرجه فى باب الجهاد فاخذ من رجلين من الاغنياء مالا مع غيرهما فخرج الرجلان الى الفرنج وقالا ان صاحبنا صادرنا فخرجنا اليكم لنكون معكم وذكرا انه تاتيه الميرة من عرقة والجبل فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شئ الى البلد فارسل ابن عمار وبذل للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين اليه فلم يفعلوا فوضع عليهما من قتلهما غيلة وكانت طرابلس من اعظم بلاد الاسلام واكثرها تجملا وثروة فباع اهلها من الحلى والاوانى الغريبة ما لا حد عليه حتى بيع كل مائة درهم نقرة بدينار وشتان بين هذه الحالة وبين حال الروم ايام السلطان الب ارسلان وقد ذكرت ظفره بهم سنة ثلاث وستين واربعمائة وقد كان بعض اصحابه وهو كمشتكين دواتى عميد

قصد نيسابور وأقام عند الملك سنجر بن ملكشاه ووزر له وأصبح يوم عاشوراء صائما وقال
لأصحابه رأيت الليلة في المنام الحسين بن علي عليهما السلام وهو يقول عجل الينا وليكن
افطارك عندنا وقد اشتغل فكري به ولا محيد عن قضاء الله وقدره فقالوا له يحميك الله
والصواب ان لا تخرج اليوم والليلة من دارك فأقام يومه يصلي ويقرأ القرآن وتصدق
بشيء كثير فلما كان وقت العصر خرج من الدار التي كان بها يريد دار النساء فسمع صياح
متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون فلم يبق من يكشف مظلمة ولا يأخذ
بيد ملهوف فاحضره عنده رحمة له فقال ما حالك فدفع اليه رقعة فبينما يقرأ الملك
يتأملها اذ ضربه بسكين فقضى عليه فحمل الباطني الى سنجر فقرره فأقر على جماعة
من اصحاب السلطان كذبا وقال انهم وضعوني على قتله واراد ان يقتل بيده وسعايته فقتل
من ذكر وكان مكذوبا عليهم ثم قتل الباطني بعدهم وكان عمر فخر الملك ستا وستين سنة

(ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت)

في هذه السنة في صفر تسلم الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد قلعة تكريت
وقد ذكرنا فيما تقدم انها كانت لبني مقن العقيليين وكانت الى آخر سنة سبع وعشرين
واربعمائة بيد رافع بن الحسين بن مقن فمات ووليها ابن أخيه أبو منعة خميس بن
تغلب بن حماد ووجد لرافع خمسمائة ألف دينار سوى المصاغ وتوفي سنة خمس وثلاثين
واربعمائة ووليها ولده أبو غشام فلما كان سنة اربع واربعين وثب عليه عيسى
اخوه وملك القلعة والاموال فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان واربعين صالحه
على بعض المال فرحل عنه وخافت زوجته اميرة بعد موته ان يعود ابو غشام يملك
القلعة فقتلته وكان قد بقي في الحبس اربع سنين واستنابت في القلعة ابا الغنائم بن
المحلبان فسلمها الى اصحاب السلطان طغرلبك فسارت الى الموصل فقتلها ابن ابي
غشام بابيه واخذ شرف الدولة مسلم بن قريش مالها ورد طغرلبك امر القلعة الى انسان
يعرف بابي العباس الرازي فمات بها بعد ستة اشهر فملكها المهربانط وهو ابو جعفر
محمد بن احمد بن خشنام من بلد الثغر فأقام بها احدى وعشرين سنة ومات ووليها ابنه
سنتين واخذت منه ثم كان خاتون ووليها كوهرائين ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه
قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب فلما قتل صارت للامير كمشتكين الجاندار فجعل
فيها رجلا يعرف بابي المصارع ثم عادت الى كوهرائين اقطاعا ثم اخذها منه مجد الملك
البلاساني فولى فيها كيقباذ بن هزارسب الديلمي فأقام بها اثنتي عشرة سنة فظلم اهلها
واساء السيرة فلما اجتاز به سقمان بن ارتق سنة ست وتسعين ونهبها كان كيقباذ
ينهبها الليل وسقمان ينهبها النهار فلما استقر السلطان محمد بعد موت اخيه بركيارق
اقطعها للامير آقسنقر البرسقي شحنة بغداد فسار اليها وحصرها مدة تزيد على سبعة
اشهر حتى ضاق على كيقباذ الامر فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها اليه فسار اليها في صفر
هذه السنة وتسلمها منه وانحدر البرسقي ولم يملكها ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة

وكذلك زوج نعمان بك مملوكه بجارية أخرى وسكن بيت الشيخ بدرب الدليل بعد ان هجرته الدار وفرشت على
طرف الباشا وكذلك تزوج عمر
بك بجارية من جواري
الست نفيسة المرادية وجهزتها
جهازا نفيسا من مالها وتزوج
أيضا علي كاشف الكبير الالفي
بزوجة استاذه

(شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٣)

(فيه) سافر مرزوق بك بعد
تقرر امر الصلح بينه وبين
الامراء المصريين القبالي وقلد
الباشا مرزوق بك ولاية
جرجا وامارة الصعيد والبسه
الخلعة وشرط عليه ارسال
المال والغلال الميرية فعند
ذلك اطمأنت الناس وسافرت
السفار والمتسببون ووصل
الى السواحل مراكب الغلال
والاشياء التي تجلب من
الجهة القبلية

(واستهل شهر جمادى
الثانية سنة ١٢٢٣)

فيه قطع الباشا رتب الدلاة
الاغراب واخرجهم وعزل
كبيرهم الذي يسمى كردى
بوالى الساكن ببولاق وقلد
ذلك مصطفى بك من اقاربه
وجعله كبيرا على طائفة
الدلاتية الباقين وضم اليه
طائفة من الاتراك الذين
طرأوا وجعلهم دلاتية
وسافر كردى بوالى بالدلاة في
منتصف الشهر وخرج بصحبته
عدة كبيرة من الدلاة (وفي
اواخره) وردت الاخبار من اسلامبول وذلك ان طائفة من الينكجرية تعصبت وقامت على السلطان سليم

ابن علي بن الحسين بن الخازن صاحب الخط الجيد وعمره سبعون سنة قيل انه كتب خمسمائة ختمة وفيها في المحرم توفي القاضي ابو الفرج عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة وله ثلاث وثمانون سنة وكان من الفقهاء الشافعية المشهورين تفقه على الماوردي وابي اسحق واخذ هذا العلم عن الرقي والدهان وابن برهان وكان عفيفا مقدما عند الخلفاء والسلاطين وفيها في المحرم توفي سهل بن احمد بن علي الارغياني ابو الفتح الحاكم تفقه على الجويني ببرو ثم ترك المناظرة وبنى رباطا واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن وفيها في صفر توفي الامير مهارش بن مجلي وله نحو ثمانين سنة وهو الذي كان الخليفة القائم عنده بالحديثة وكان كثير الصلاة فرم يحب الخير واهله ولما توفي ملك الحديثة بعده ابنه سليمان

(ثم دخلت سنة خمسمائة)

(ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه علي)

في هذه السنة توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والاندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل الدين والعلم ويكرمهم ويصدر عن رأيهم ولما ملك الاندلس على ما ذكرناه جمع الفقهاء واحسن اليهم فقالوا له ينبغي ان تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة فارسل الى الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين رسولا ومعه هدية كثيرة وكتب معه كتابا يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الاسلام ويطلب تقليدا بولاية البلاد فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد ولقب أمير المسلمين وسيرت اليه الخلع فسر بذلك سرورا كثيرا وهو الذي بنى مدينة مراكش للمرابطين وبقي على ملكه الى سنة خمسمائة فتوفي وملك بعده البلاد ولده علي بن يوسف وتلقب أيضا أمير المسلمين فازداد في اكرام العلماء والوقوف عند اشارتهم وكان اذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه وكان يوسف بن تاشفين حليما كريما دينا خيرا يحب أهل العلم والدين ويحكمهم في بلاده وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم الف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الآخر زوجته النفزاوية وكانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم وأعطى متمني المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذي لا تصل اليه ثم أرسله اليها فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل اليه كل يوم طعاما واحدا ثم احضرته وقالت له ما أكلت هذه الايام قال طعاما واحدا فقالت كل النساء شيء واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته

(ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك)

في هذه السنة قتل فخر الملك ابو المظفر علي بن نظام الملك يوم عاشوراء وكان أكبر اولاده وقد ذكرنا سنة ثمان وثمانين واربعمائة وزارته للسلطان بركيارق فلما فارق وزارته

وارتحل اولاد علي الى حوش ابن عيسى وذلك أواخر المحرم ثم ان شاهين بك ركب بمن معه وحاربوهم ووقع بينهم مقتلة عظيمة قتل فيها اثنان من كبار الاجناد الالفية وهما عثمان كاشف وآخر نحو ستة مماليك وقتل جملة كبيرة من العرب وانكشف الحرب عن هزيمة العرب واسروا منهم نحو الاربعين وغنموا منهم غنائم كثيرة من اغنام وجمال وتفرقوا وتشتتوا وذهبوا الى ناحية قبلي والفيوم وذلك في شهر صفر

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٣)

في خامسه حضر شاهين بك وباقي الالفية (وفي عشرينه) ورد الخبر بموت شاهين بك المرادي فخلع الباشا على سليم بك المحرمجي وجعله كبيرا ورئيسا على المرادية عوضا عن شاهين بك وسافر الى قبلي (وفيه) أيضا حضر امين بك الالفي من غيبته وكان مسافرا مع الانكليز الذين كانوا حضروا الى الاسكندرية ورشيد وحصل لهم ما حصل فلم يزل غائبا حتى بلغه صلح اخشداشينه مع الباشا فرجع وطالب عليه رتبته فارسلوا له الملاقاة والخيول واللوازم وحضر في التاريخ المذكور (وفيه) زوج الباشا شاهين بك المحرمجي بالمصرية المتشهاة وجعلها وجعلها الباشا واقتنتها وفرش له بمقتضى الباس بحضر الجبرتي وجهز الالفية الاصلي وتقدم تجهيز الشوار والامتعة واللوازم الحوالجي محمود حسن

قصد

الى بغداد فاقام بها الى اول ربيع الاول وسار الى الموصل وجعل طريقه على البوازيج فملكها ونهبها اربعة ايام بعد ان امن اهلها وحلف لهم انه يحميهم فلما ملكها سار الى اربل واما جكرمش فانه لما بلغه مسيره الى بلاده كتب في جمع العساكر فاتاه كتاب ابي الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني صاحب اربل يذكر استيلاء جاولي على البوازيج ويقول له ان لم تعجل المجيء اجتمع عليه وعليه والا اضطررت الى موافقته والمسير معه فبادر جكرمش وعبر الى شرقي دجلة وسار في عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره ووصل اليه ابو الهيجاء بعسكره مع اولاده فاجتمعوا بقرية بكلبا من اعمال اربل وواقعهم جاولي وهو في الف فارس وكان جكرمش في الفي فارس ولا يشك انه ياخذ جاولي باليد فلما اصطفوا للحرب حمل جاولي من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه وبقي جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لا يقدر يركب وانما يحمل في محفة فلما انهزم اصحابه قاتل غلام له تركي اسود قتالا عظيما فقتل وقاتل معه واحد من اولاد الملك قاورت بك بن داود اسمه احمد فقاتل بين يديه فطعن فجرح وانهزم فمات بالموصل ولم يقدر اصحاب جاولي على الوصول الى جكرمش حتى قتل الركابي الاسود فحينئذ اخذوه اسيرا واحضر وه عند جاولي فامر بحفظه وحراسته وكانت عساكر جكرمش التي استنجدها قد وصلت الى الموصل بعد مسيره بيومين فساروا بعده ليدركوا الحرب فلقيهم المنهزمون ليقضي الله امرا كان مفعولا

ذكر حصر جاولي سقاوو الموصل وموت جكرمش

لما انهزم العسكر واسر جكرمش وصل الخبر الى الموصل فاقعد والي الامرة زنكي بن جكرمش وهو صبي عمره احدى عشرة سنة وخطبوا له واحضروا اعيان البلد والتمسوا منهم المساعدة فاجابوا الى ذلك وكان مستحفظ القلعة مملوكا لجكرمش اسمه غزغلي فقام في ذلك المقام المرضي وفرق الاموال التي جمعها جكرمش والخيول وغير ذلك على الجند وكاتب سيف الدولة صدقة وقلج ارسلان والبرسقي شحنة بغداد بالمبادرة اليهم ومنع جاولي عنهم ووعدوا كلا منهم ان يسلموا البلد اليه فاما صدقة فلم يجبهم الى ذلك ورأى طاعة السلطان واما البرسقي وقلج ارسلان فنذكر حالهما ثم ان جاولي حصر الموصل ومعه كرماوي بن خراسان التركماني وغيره من الامراء وكثر جمعه وامر ان يحمل جكرمش كل يوم على بغل وينادي اصحابه بالموصل ليسلموا البلد ويخلصوا صاحبهم مما هو فيه ويامرهم هو بذلك فلا يسمعون منه وكان يسجنه في جب ويوكل به من يحفظه لئلا يسرق فاخرج في بعض الايام ميتا وعمره نحو ستين سنة وكان شانه قد علا ومنزلته قد عظمت وكان قد شيد سور الموصل واحكمه وبنى عليه الفصيل وحفر خندقها وحصنها غاية ما قدر عليه وكان مع جكرمش رجل من اعيان الموصل يقال له ابو طالب بن كسيرات وبنو كسيرات الى الآن بالموصل من اعيان اهلها وكان ابو طالب قد تقدم عند جكرمش وارتفعت منزلته واستولى على اموره وحضر معه الحرب فلما اسر جكرمش هرب ابو طالب الى اربل وكان اولاد ابي الهيجاء صاحب اربل قد

السلطان سليم في المكان الذي هو مختف به وقتلوه بالخناجر والسكاكين حتى مات واحضروه ميتا الى مصطفى باشا البيرقدار وقالوا له هاهو السلطان سليم الذي تطلبه فلما رآه ميتا بكى وتأسف (ثم انه عزل السلطان مصطفى واحضر محمودا اخاه ابن عبد الحميد واجلسه على تخت الملك) ونودي باسمه وكان ذلك يوم الخميس خامس جمادى الثانية من السنة وعمره ثلاث وعشرون سنة * ومات السلطان سليم وعمره احدى وخمسون سنة لانه ولد سنة ١١٧٣ ومدة ولايته نحو العشرين سنة تنقص شهرا فلما وردت هذه الاخبار وتواترت في مكاتبات التجار والسفار خطب بعض الخطباء يوم الجمعة سادس عشرينه باسم السلطان محمود وبعضهم اطلق في الدعاء ولم يذكر الاسم (وفيه) قوي عزم الباشا على السفر الى جهة دمياط ورشيد والاسكندرية فطلب لوازم السفر ووعد بسفره بعد قطع الخليج وما فتئ يستعجل بالوفاء ويطلب ابن الرداد القياسي ويسأله عن الوفاء ويقول اقطعوا جسر الخليج في غد او بعد غد فيقول تأمرونا بقطعه قبل الوفاء فيقول لا ويقول ليس الوفاء بايدينا (فلما كان يوم السبت) سابع عشرينه وخامس عشر مسرى القبطي نقص النيل نحو خمسة اصابع وانكشف الجرار الذي يندفع الخليج تحت الجسر القائم فضج الناس ورفعوا

ثمانية ايام وكان عمره ستين سنة واستناب صدقة بها ورام بن ابي فراس بن ورام وكان كيقباذ ينسب الى الباطنية وكان موته من سعادة صدقة فانه لو اقام عنده لعرض صدقة لظنون الناس في اعتقاده ومذهبه

ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة

في هذه السنة في ربيع الاول كانت حرب بين عبادة وخفاجة فظفرت عبادة واخذت بثارها من خفاجة وكان سبب ذلك ان سيف الدولة صدقة ارسل ولده بدران في جيش الى طرف بلاده مما يلي البطيحة ليحميها من خفاجة لانهم يؤذون اهل تلك النواحي فقربوا منه وتهددوا اهل البلاد فكتب الى ابيه يشكوهم ويعرفه حالهم فاحضر عبادة وكانت خفاجة قد فعلت بهم العام الماضي ما ذكرناه فلما حضروا عنده قال لهم اريد تجهزوا مع عسكره لتاخذوا بثاركم من خفاجة فساروا في مقدم عسكره فادركوا حلة من خفاجة من بني كليب ليلا وهم غارون لم يشعروا به فقالوا من انتم فقالت عبادة نحن اصحاب الديون فعلموا انهم عبادة فقاتلوهم وصبرت خفاجة فبينما هم في القتال اذ سمع طبل الجيش فانهزموا وقتلت منهم عبادة جماعة وكان فيهم عشرة من وجوههم وتركوا حرمهم فامر صدقة بحراستهن وحمايتهن وامر العسكر ان يؤثروا عبادة بما غنموه من اموال خفاجة خلفا لهم عما اخذ منهم في العام الماضي واصاب خفاجة من مفارقة بلادها ونهب اموالها وقتل رجالها امر عظيم وانتزحت الى نواحي البصرة واقامت عبادة في بلاد خفاجة ولما انهزمت خفاجة تفرقت ونهبت اموالها جاءت امرأة منهم الى الامير صدقة فقالت له انك سبيتنا وطلقتنا قوتنا وفرقتنا واضعت حرمتنا اطال الله في نفسك وجعل صورة اهلك كصورتنا فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك واعطاها اربعين جملا ولم يمض غير قليل حتى قابل الله صدقة في نفسه واولاده فان دعاء الملهوف عند الله بمكان

ذكر مسير جاولي سقاوو الى الموصل واسر صاحبها جكرمش

في هذه السنة في المحرم اقطع السلطان محمد جاولي سقاوو الموصل والاعمال التي بيد جكرمش وكان جاولي قبل هذا قد استولى على البلاد التي بين خوزستان وفارس واقام بها سنين وعمر قلاعها وحصنها واساء السيرة في اهلها وقطع ايديهم وجدع انوفهم وسمل اعينهم فلما تمكن السلطان محمد من السلطنة خافه جاولي وارسل السلطان اليه الامير مودود بن التونتكين فتحصن منه جاولي وحصره مودود ثمانية اشهر فارسل جاولي الى السلطان انني لا انزل الى مودود فان ارسلت غيره نزلت فارسل اليه خاتمه مع امير آخر فنزل جاولي وحضر الخدمة باصبهان فرأى من السلطان ما يحب وامره السلطان بالمسير الى الفرنج ليأخذ البلاد منهم واقطعه الموصل وديار بكر والجزيرة كلها وكان جكرمش لما عاد من عند السلطان الى بلاده كما ذكرناه وعد من نفسه الخدمة وحمل المال فلما استقر ببلاده لم يف بما قال وتثاقل في الخدمة وحمل المال فاقطع بلاده جاولي سقاوه

وعزلوه واجلسوا مكانه السلطان مصطفى وابطلوا النظام الجديد وقتلوا دفتردار النظام الجديد وكتخدا الدولة ودفتردار الدولة وغيرهم وقطعوهم في آت ميدان بعد ان تخبوا واختفوا في اماكن حتى في بيوت النصارى واستدلوا عليهم واحدا بعد واحد فكانوا يسحبون الامير منهم المترفه على صورة منكرة الى آت ميدان فيقتلونه وبعضهم قطعوه في الطريق وسكن الحال على سلطنة السلطان مصطفى بن عبد الحميد وكان السلطان سليم عندما احس بحركة الينكجرية ارسل يستقدم ويستدعي مصطفى باشا البيرقدار وكان برشق بالروملي بجملة العرضي المتعين على حرب الموسكوب ووصل خبر الواقعة الى من بالعرضي فقام ايضا الينكجرية الذين بالعرضي وقتلوا اغات العرضي وخلافه وهرب الرئيس وخلافه عند مصطفى باشا المذكور وقد وصله مراسلة السلطان سليم يخبره ويحثه على القيام بنصرة السلطان سليم على الينكجرية فركب من العرضي في عدته وافرزه وحضر الى اسلامبول بجميع جيشه وعسكره من وصلها في كبكبة حتى وصل الى باب السراية فوجده مغلقا فاراد كسره او حرقه الى ان فتحوه بالعنف وعبر الى داخل السراية وطلب السلطان سليم وعند ذلك ارسل السلطان مصطفى المتولي جماعة من خاصته فدخلوا على

الى

من غرّ على مملوك جكرمش وجعل له فيها فردا واردوع الرسوم المحدثة في الظلم وعدل في
الناس وتالفهم وقال من سعى الي باحد قتلته فلم يسع احد باحد واقر القاضي ابا محمد
عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري على القضاء بالموصل وجعل الرياسة لابي البركات
محمد بن محمد بن خميس وهو والد شيخنا ابي الربيع سليمان وكان في جملة قلج ارسلان الامير
ابراهيم بن ينال التركماني صاحب آمد ومحمد بن جبق التركماني صاحب حصن زياد وهو
خرتبرت فاما ابراهيم بن ينال فكان سبب ملكه لمدينة آمد ان تاج الدولة تتش حين
ملك ديار بكر سلمها اليه فبقيت بيده واما محمد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن
زياد ان هذا الحصن كان بيد الفلادروس الرومي ترجمان ملك الروم وكانت الرها
وانطاكية من اعماله فلما ملك سليمان بن قتلمش والد هذا قلج ارسلان انطاكية
وملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف الفلادروس عن اقامة ما يحتاج اليه حصن
زياد من الميرة والاقامة فاخذه جبق واسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه
وامره على الرها فلم يزل عليها حتى مات واخذها الامير بزان بعده وكان بالقرب من
حصن زياد حصن آخر بيد انسان من الروم اسمه افرنجي وكان يقطع الطريق ويكثر
قتل المسلمين فارسل اليه جبق هدية وخطب اليه مودته وان يعين كل واحد منهما
صاحبه فاجابه الى ذلك فكان جبق يعين افرنجي على قطع الطريق وغيره وكذلك
افرنجي يعين جبق فلما وثق كل واحد بصاحبه ارسل اليه جبق اني اريد قصد بعض
الاماكن وطلب ان يرسل اليه اصحابه فارسلهم اليه فلما صاروا معه في الطريق تقدم
بكتفهم وحملهم الى قلعة افرنجي وقال لاهليهم والله ان لم تسلموا الى افرنجي لاضربن
اعناقهم ولآخذن الحصن عنوة ولا اقيلنكم على دم واحد فسلموا اليه الحصن وسلموا
اليه افرنجي فقتله واخذ امواله وسلاحه وكان عظيما ومات جبق فولي بعده ابنه محمد

(ذكر قتل قلج ارسلان وملك جاولي الموصل)

قد ذكرنا ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين سار جاولي عن الموصل الى سنجار ثم الى
الرحبة فوصلها في رجب وحصرها الى الرابع والعشرين من شهر رمضان وكان
صاحبها حينئذ يعرف بمحمد بن السباق وهو من بني شيبان وتسلمها الملك دقاق لما
فتحها واخذ ولده رهينة وحمله معه الى دمشق فلما توفي ارسل هذا الشيباني قوما
سرقوا ولده وحملوه اليه فلما وصل اليه خلع الطاعة للدمشقيين وخطب في بعض
الاوقات لقلج ارسلان فلما وصل اليها جاولي وحصرها ارسل الى الملك رضوان يعرفه
انه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه و يشترط عليه انه اذا تسلم البلاد سار معه
ليكشف الفرنج عن بلاده فلما استقرت القاعدة بينهم احضر عنده رضوان فاشتد
الحصار على اهل البلد وضاقت عليهم الامور واتفق جماعة كانوا باحد الابراج وارسلوا
الى جاولي واستحلفوه على حفظهم وحراستهم وامروه ان يقصد البرج الذي هم فيه عند
انتصاف الليل ففعل ذلك فرفع من في البرج اصحابه اليهم في الحبال فظهروا بوفاقهم

الماء الى محل الزيادة الاولى واستمر الجبر الراقد بالماء (وفي يوم الاثنين) خرجوا أيضا وأشار بعض
الناس باحضار النصارى أيضا
فحضروا وحضر المعلم غالي
ومن يصحبه من الكتبة
الاقباط وجلسوا في ناحية
من المسجد يشربون الدخان
وانفض الجمع أيضا (وفي تلك
الليلة) التي هي ليلة الثلاثاء
زاد الماء ونودي بالوفاء وفرح
الناس وطفق النصارى
يقولون ان الزيادة لم تحصل
الا بخروجنا (فلما) كانت ليلة
الاربعاء طاف المنادون
بالرايات الحمر ونادوا بالوفاء
وعمل الشنك والوقدة تلك
الليلة على العادة (وفي صبحها)
حضر الباشا والقاضي واجتمع
الناس وكسروا السد وجرى
الماء في الخليج ماء ضعيفا
لعلو ارض الخليج وعدم
تنظيفه من الاتربة المتراكمة
فيه من مدة سنين وكان ذلك
يوم الاربعاء غرة شهر رجب
وتاسع عشر مسرى القبطي

(واستهل شهر رجب بيوم
الاربعاء سنة ١٢٣٣)

في ثانيه يوم الخميس وصل الى
بولاق راغب افندي وهو
اخو خليل افندي الرجائي
الدفتردار المقتول ووصل بيده
مرسوم باجراء الخطبة باسم
السلطان محمود بن عبد الحميد
وانزلوه ببيت ابن السباعي
بالفورية وضربوا مدافع بالقلعة
وشنك ثلاثة ايام في الاوقات
الخمسة وخطب الخطباء في صبحها باسم السلطان محمود والدعاء له في جميع المساجد (وفي ليلة الاحد خامسه) سافر محمد علي

حضروا الحرب مع جكرمش واسرهم جاولي فارسل الى ابي الهيجاء يطلب ابن كيبرات فاطلقه وسيره اليه فاطلق جاولي ابن ابي الهيجاء فلما حضر ابن كيبرات عند جاولي ضمن له فتح الموصل وبلاد جكرمش وتحصيل الاموال فاعتقله اعتقالا جميلا وكان قاضي الموصل أبو القاسم بن ودعان عدوا لابي طالب فارسل الى جاولي يقول له ان قتلت أبا طالب ملكت الموصل البلد فقتله وارسل راسه اليه فاشتهر الشماتة به واخذ كثيرا من أمواله وودائعه فقاربه الاتراك غضبا لابي طالب ولتفرده بما اخذ من امواله فقتلوه وكان بين ما شهروا احد وقدرا كثيرا ووجه نا ما الا بغضبه من قرب وفاة أحد المتعادين بعد صاحبه

(ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج)

في هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم صاحب القسطنطينية وبين بيمند الفرنجي فسار بيمند الى بلاد ملك الروم ونهبها وعزم على قصده فارسل ملك الروم الى الملك قلج ارسلان بن سليمان صاحب قونية واقصرا وغيرهما من تلك البلاد يستنجده فامده بجمع من عسكره فقوي بهم وتوجه الى بيمند فالتقوا وتصافوا واقتتلوا وصبر الفرنج لشجاعتهم وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم ودامت الحرب ثم اجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج واتى القتل على اكثرهم واسر كثير منهم والذين سلموا عادوا الى بلادهم بالشام وعاد عسكر قلج ارسلان الى بلادهم عازمين على المسير الى صاحبهم بديار الجزيرة فاتاهم خبر قتله على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتركوا الحركة واقاموا

(ذكر ملك قلج ارسلان الموصل)

قد ذكرنا ان اصحاب جكرمش كتبوا الى الامير صدقة وقسيم الدولة البرسقي والملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب بلاد الروم يستدعون كلا منهم اليهم ليسلموا البلد اليه فاما صدقة فامتنع وراى طاعة السلطان واما قلج ارسلان فانه سار في عساكره فلما سمع جاولي سقاوو بوصوله الى نصيبين رحل عن الموصل واما البرسقي فانه كان شحنة بغداد فسار منها الى الموصل فوصلها بعد رحيل جاولي عنها فنزل بالجانب الشرقي فلم يلتفت احد اليه ولا ارسلوا اليه كلمة واحدة فعاد في باقي يومه ثم ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين اقام بها حتى كثر جمعه فلما سمع جاولي بقربه رحل من الموصل الى سنجار وودع رحله بها واتصل به الامير ابو الغازي بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمش فصار معه اربعة آلاف فارس فاتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه الى الشام ويقول له ان الفرنج قد عجز من بالشام عن منعهم فسار الى الرحبة وارسل اهل الموصل وعسكر جكرمش الى قلج ارسلان وهو بنصيبين ليتحالفوه ولهم يحلف وامحلفهم على الطاعة له والمناصحة وسار معهم الى الموصل فملكها في الخامس والعشرين من رجب ونزل بالمعرقة وخرج اليه ولد جكرمش واصحابه فخلع عليهم وجلس على التخت واسقط السلطان محمدا وخطب لنفسه بعد الخليفة واحسن الى العسكر واخذ القلعة

الغلال من الرقع والعرصات والسواحل والقرى الخالية بسبب شحة النيل في العام الماضي وهيفان الزرع وشرع المظالم وخراب الريف وجلاء اهله واجتمع في ذلك اليوم المشايخ عند الباشا فقال لهم اطلبوا الاستسقاء وأمروا الفقراء والضعفاء والاطفال بالخروج الى الصحراء وادعوا الله فقال له الشيخ الشرقاوي ينبغي ان ترفقوا بالناس وترفعوا الظلم فقال انا لست بظالم وحدي وانتم اظلم مني فاني رفعت عن حصصكم الفرض والمغارم اكراما لكم وانتم تأخذونها من الفلاحين وعندي دفتر محرر فيه ما قبضت ايديكم من الحصص يبلغ الفي كيس ولابد اني افحص عن ذلك وكل من وجدته يأخذ الفرضة المرفوعة من فلاحيه ارفع الحصة عنه فقالوا له لك ذلك ثم اتفقوا على الخروج والسقيا في صبحها بجامع عمرو بن العاص لكونه محل الصحابة والسلف الصالح يصلون به صلاة الاستسقاء ويدعون الله ويستغفرونه ويتضرعون اليه في زيادة النيل وبالجملة ركب السيد عمر والمشايخ واهل الازهر وغيرهم والاطفال واجتمع عالم كثير وذهبوا الى الجامع المذكور بمصر القديمة فلما كان صبحها وتكامل الجمع صعد الشيخ جاد المولى على المنبر وخطب بعدما صلى صلاة الاستسقاء ودعا الله وامن الناس على دعائه وحول رداءه ورجع الناس بعد صلاة الظهر وبات السيد عمر هناك (وفي تلك الليلة) رجع من

لما انقطع ابن عطاش مع جهله قال له كان ابيه لانه كان استاذى وصار لابن عطاش
عدد كثير وبأس شديد واستفحل أمره بالقلعة فكان يرسل اصحابه لقطع الطريق وأخذ
الاموال وقتل من قدروا عليه فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن احصاؤهم وجعلوا له على
القرى السلطانية واملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الأذى فتعذر بذلك
انتفاع السلطان بقراه والناس باملاكهم وتمشى لهم الامر بالخلف الواقع بين
السلطانين بركيارق ومحمد فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده
اهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم
فرأى البداءة بقلعة اصبهان التى بايديهم لان الاذى بها اكثر وهى متسلطة على
سرير ملكه فخرج بنفسه فحاصرهم فى سادس شعبان وكان قد عزم على الخروج
اول رجب فاتفق ذلك من يتعصب لهم من العسكر فأرجفوا بان قلج ارسلان بن
سليمان قد قصد بغداد وملكها وافتعلوا فى ذلك مكاتبات ثم اظهروا ان خللا قد
تجدد بخراسان فتوقف السلطان لتحقيق الامر فلما ظهر بطلانه عزم عزمة مثله
وقصدهم وصعد جبلا يقابل القلعة من غربيها ونصب له التخت فى اعلاه واجتمع
له من اصبهان وسوادها لحربهم الامم العظيمة للذحول التى يطالبونهم بها واحاطوا
بجبل القلعة ودوره اربعة فراسخ ورتب الامراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم امير
فضاق الامر بهم واشتد الحصار عليهم وتعذرت عندهم الاقوات فلما اشتد الامر عليهم
كتبوا فتوى فيها ما يقول السادة الفقهاء ائمة الدين فى قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله
واليوم الآخر وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وانما يخالفون فى
الامام هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم وان يقبل طاعتهم ويحرسهم من
كل اذى فاجاب اكثر الفقهاء بجواز ذلك وتوقف بعضهم فجمعوا للمناظرة ومعهم
ابو الحسن على بن عبد الرحمن السمنجانى وهو من شيوخ الشافعية فقال بمحضر من
الناس يجب قتالهم ولا يجوز اقرارهم بمكانهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين
فانهم يقال لهم اخبرونا عن امامكم اذا اباح لكم ما حظره الشرع او حظر عليكم
ما اباحه الشرع اتقبلون امره فانهم يقولون نعم وحينئذ تباح دماؤهم بالاجماع
وطالت المناظرة فى ذلك ثم ان الباطنية سألوا السلطان ان يرسل اليهم من يناظرهم
وعينوا على اشخاص من العلماء منهم القاضى ابو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية
باصبهان وقاضيها وغيره فصعدوا اليهم وناظروهم وعادوا كما صعدوا وانما كان قصدهم
التعلل والمطاولة فلج حينئذ السلطان فى حصرهم فلما رأوا عين الحاقة اذعنوا الى
تسليم القلعة على ان يعطوا عوضا عنها قلعة خالنجان وهى على سبعة فراسخ من
اصبهان وقالوا انا نخاف على دمائنا واموالنا من العامة فلا بد من مكان نحتمى به منهم
فاشير على السلطان باجابتهم الى ما طلبوه فسألوا ان يؤخرهم الى النوروز ليرحلوا الى
خالنجان ويسلموا القلعة وشرطوا ان لا يسمع قول متنصح فيهم وان قال احد عنهم
شيئا سلمه اليهم وان من اتاهم منهم رده اليهم فاجابهم اليه وطلبوا ان يحمل اليهم من

الطيور فقماشهم وغيرانهم صاروا يتتبعون أولاد البلد أرباب الصنائع الذين لهم نسبة قديمة بالقرى وذلك بالفراء
أتباعهم وأعوانهم فى كون
الشخص منهم جالسا فى حانوته
وصناعته فما يشعر الا
والاعوان محيطون به يطلبونه
الى مخدومهم فان امتنع
او تلكأ حملوه بالقهر
وادخلوه الى الحبس وهو
لا يعرف له ذنبا فيقول وما ذنبى
فيقال له عليك مال التنيسى
فيقول وأى شئ يكون التنيسى
فيقولون له جاءنى فلان من
المتسببين لم تدفعه وقدره كذا
وكذا فيقول لا اعرف ذلك ولا
اعرف البلد ولا رأيتها فى عمرى
لا انا ولا ابى ولا جدى فيقال
له الست فلانا الشبراوى
او المنياوى مثلا فيقول لهم هذه
نسبة قديمة من الى من عمى
او خالى او جدى فلا يقبل منه
ويحبس ويضرب حتى يدفع
ما الزموه به او يجد شافعا يصالح
عليه وقد وقع ذلك لكثير من
المتسببين والتجار وصناع
الحرير وغيرهم * ولم يزل
الباشا فى سيره حتى وصل الى
دمياط وفرض على اهلها
اكياسا واخذ من حكامها
هدايا وتقادم ثم رجع الى
مصر وركب فى البر الى الجهة
وقبض ما فرضه عليها وهو
خمسون كيسا نقصت سبعة
اكياس عجزوا عنها بعد الحبس
والعقاب وقدم له حاكمها اثنين
جملا وأربعين حصانا خلاف
الاقمشة اهلا وبد مثل الزردخانات والمغا مع الحرير وما يصنع بالعملة من انواع الثياب والامتعة فانقطعت بنى بيان

وطلبوا منهم فقتل من في البلد ودخله اصحاب جاولي في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان ونهبوه الى الظهر ثم امر برفع النهب ونزل اليه محمد الشيباني صاحب البلد واطاعه وصار معه ثم ان قلج ارسلان لما فرغ من امر الموصل سار عنها الى جاولي ليحاربه وجعل ابنه ملكشاه في دار الامارة وعمره احدى عشرة سنة ومعه امير يدبره وجيش من العسكر وكانت عدة عسكر جاولي اربعة آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيل الجيدة وجمع العسكرية وضعا جاولي فاختلفوا وكان اول من خالف عليه ابراهيم بن ينال صاحب آمد فانه فارق خيامه واثقاله وعاد من الخابور الى بلده وكذلك غيره وعجل قلج ارسلان على المناجزة لما بلغه من قوة جاولي وكثرة جموعه وارسل الى بلاده يطلب عساكره لانها كانت عند ملك الروم نجدة له على قتال الفرنج كما ذكرناه فلما وصل الى الخابور التقت عدته خمسة آلاف وكان مع جاولي اربعة آلاف من جملتهم الملك رضوان وجماعة من عسكره الا ان شجعانها كثروا ثم جاولي قلة عسكر قلج ارسلان فقاتله قبل وصول عساكره اليه فالتقوا في العشرين من ذي القعدة فحمل قلج ارسلان على القوم بنفسه حتى خالطهم فضرب يد صاحب العلم فابانها ووصل الى جاولي بنفسه فضربه بالسيف فقطع الكزاغند ولم يصل الى بدنه وحمل اصحاب جاولي على اصحابه فهزموهم واستباحوا اثقالهم وسوادهم فلما رأى قلج ارسلان انهزام عسكره علم انه ان اسر فعل به فعل من لم يترك للصلح موضعا لاسيما وقد نازع السلطان في بلاده واسم السلطنة فالقى نفسه في الخابور وحمى نفسه من اصحاب جاولي بالنشاب فانحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق وظهر بعد ايام فدفن بالشمسانية وهي من قرى الخابور وسار جاولي الى الموصل ولما وصل اليها فتح اهلها الباب ولم يتمكن من بها من اصحاب قلج ارسلان من منعهم ونزل بظاهر البلد واخذ كل واحد من اصحاب جكرمش الذي حضر الوقعة مع قلج ارسلان الى جهته فلما ملك جاولي الموصل اعاد خطبة السلطان محمد وصادر جماعة من بها من اصحاب جكرمش وسار الى جزيرة ابن عمر وبها حبشي بن جكرمش ومعه امير من غلمان ابيه اسمه غزغلي فحصره مدة ثم انهم صالحوه وحملوا اليه ستة آلاف دينار وغيرها من الدواب والثياب ورحل عنهم الى الموصل وارسل ملكشاه بن قلج ارسلان الى السلطان محمد

❁(ذكر احوال الباطنية باصبهان وقتل ابن عطاش)❁

في هذه السنة ملك السلطان محمد القلعة التي كان الباطنية ملكوها بالقرب من اصبهان واسمها شاه دز وقتل صاحبها احمد بن عبد الملك بن عطاش وولده وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه واستولى عليها بعده احمد بن عبد الملك بن عطاش وسبب ذلك انه اتصل بدزدار كان لها فلما مات استولى احمد عليها وكان الباطنية باصبهان قد البسوه تاجا وجمعوا له اموالا وانما فعلوا ذلك به لتقدم ابيه عبد الملك في مذهبهم فانه كان اديبا بليغا حسن الخط سريع البديهة عفيفا وابتلي بحب هذا المذهب وكان هذا ابنه احمد جاهلا لا يعرف شيئا وقيل لابن الصباح صاحب قلعة الموت

باشا الى بحري ونزل في المراكب وارسل قبل نزوله بايام بتحويل الانعامات والتكاليف على البلاد من كل صنف خمسة عشر واخذوا لمن معه بيوت البنادر مثل المنصورة ودمياط ورشيد والمحلة والاسكندرية وفرض الفرض والمغارم على البلاد على حكم القرار طالتي كانوا ابتدعوها في العام الماضي على كل قيراط سبعة آلاف وسبعمائة نصف فضة ومعها كلفة الذخيرة وامر بكتابة دفتر لذلك فكتب اليه الروزنامجي ان الخراب استولى على كثير من البلاد ولا يمكن تحصيل هذا الترتيب فارسل من المنصورة يامر بتحرير اسماء البلاد المستولي عليها الخراب بدفتر آخر ففعل الروزنامجي ذلك وادخل فيها بلادا بها بعض الرمق لتخلص من الفرضة وفيها ما هو لنفسه فلما وصلت اليه امر بتوزيع ذلك الخراب على اولاده واتباعه واغراضه وعدتها مائة وستون بلدة وامر الروزنامجي بكتابة تقاسيطها بالاسماء التي عينها له فلم يمكن الروزنامجي ان يتلافى ذلك فتظاهر بخيانته ووزعت وارتفعت عن اصحابها وكذلك حصل باقليم البحيرة لما عمها الخراب وتعطل خراجها وطلبوا الميري من الملتزمين فتظلموا واعتذروا بعموم الخراب فرفعوها عنهم وفرقها الباشا على اتباعه واستولوا عليها وطلبوا الفلاحين الشاردين والمتسحبة من البلاد الاخر واردوهم ببكاوزوادوادي

قدره واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فأجارهم وكان كثير العناية بأمور
السلطان محمد والتقوية له والشد منه على اخيه بركيارق حتى انه جاهر بركيارق
بالعداوة ولم يبرح على مصافاة السلطان محمد وزاده محمد اقطاعا من جملته مدينة واسط
واذن له في اخذ البصرة ثم افسد ما بينهما العميد ابو جعفر محمد بن حسين البلخي وقال
في جملة ما قال عنه ان صدقة قد عظم امره وزاد حاله وكثر ادلاله وتبسطه في الدولة وحمايته
كل من يفر اليه من عند السلطان وهذا لا تحتمله الملوك لا لاولادهم ولو ارسلت بعض
اصحابك ملك بلاده وامواله ثم انه اعمدى ذلك حتى ما هو في اعتقاده ونسبه واهل
بلاده الى مذهب الباطنية وكذب وانما كان مذهبه التشيع لا غير ووافق ارغون
السعدي ابا جعفر العميد وانتهى ذلك الى صدقة وكانت زوجة ارغون بالحلة واهله
لم يزل اخذهم بشيء مما كان لها ابنة اختك من بقائها باخراج بلده فامر صدقة ان يخلص
ذلك اليها بجمعه يعلم الى زوجته واما سبب قتله فان صدقة كان كلما لجأ اليه مستجير
به كل خائف من خليفة وسلطان وغيرهما وكان السلطان محمد قد سخط على ابي دلف
سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوة وآبة فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به فاجاره
فارسل السلطان يطلب من صدقة ان يسلمه الى نوابه فلم يفعل واجاب انني لا امكن منه بل
احامي عنه واقول ما قاله ابو طالب لقريش لما طلبوا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونسلمه حتى نصرع حوله ۞ ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وظهر منه امور انكرها السلطان فتوجه الى العراق ليتلافى هذا الامر فلما سمع صدقة
استشار اصحابه في الذي يفعله فاشار عليه ابنه دبيس بان ينفذ الى السلطان ومعه
الاموال والخيل والتحف ليستعطف له السلطان واشار سعيد بن حميد صاحب جيش
صدقة باظهار العصيان وجمع الجند وتفريق المال فيهم واستطال في القول فمال صدقة
الى قوله وجمع العساكر واجتمع اليه عشرون الف فارس وثلاثون الف راجل فارسل
اليه المستظهر بالله يحذره عاقبة امره وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان ويعرض له
توسط الحال فاجاب صدقة انني على طاعة السلطان لكن لا آمن على نفسي في الاجتماع
به وكان الرسول بهذا الشأن عن الخليفة نقيب النقباء علي بن طراد الزينبي ثم ارسل
السلطان اقضى القضاة ابا سعيد الهروي الى صدقة يطيب قلبه ويزيل خوفه ويأمره
بالانبساط على عادته ويعرفه عزمه على قصد الفرنج ويأمره بالتجهز للغزاة معه فاجاب
ان السلطان قد افسد اصحابه قلبه علي وغيروا لي نعمه وزال ما كان عليه في حقي من
الانعام وذكر ما الف من خدمته ومناصحته وقال سعيد بن حميد صاحب جيشه لم يبق لنا في
صلح السلطان مطمع ولترين خيولنا بحلوان وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان
ووصل السلطان الى بغداد في العشرين من ربيع الآخر ومعه وزيره نظام الملك احمد بن
نظام الملك المشهور البرسقي شحنة بغداد في جماعة من الامراء الى صرصر فنزلوا عليها وكان
وصول السلطان جريدة لا يبلغ عسكره الفي فارس فلما تيقن ببغداد مكاتبة صدقة
ارسل الى الامراء يأمرهم بالوصول اليه واخذ في السير قبل ذلك فوردوا اليه من كل

فيه عزل الباشا السيد المحروقي
عن نظارة الضربخانة ونصب
بها شخصا من اقاربه (وفي
ثالث عشره) نزل والي الشرطة
وامامه المناداة على ما يستقرضه
الناس من العسكر بالربا
والزيادة على ان يكون على كل
كيس ستة عشر قرشا في كل
شهر لا غير والكيس عشرون
الف نصف فضة وهو الكيس
الرومي وذلك بسبب ما انكسر
على المحتاجين والمضطرين
من الناس من كثرة الربا والضيق
المعاش وانقطاع المكاسب
وغلو الاسعار وزيادة المكوس
فيضطر الشخص الى الاستدانة
فلا يجد من يداينه من اهل البلد
فيستدين من احد العسكر
ويحسب عليه على كل كيس
خمسين قرشا في كل شهر واذا
قصرت يد المديون عن الوفاء
اضافوا الربا زيادة على الاصل
وبطول الزمن تتضاعف الزيادة
ويؤول الامر لكشف حال
المديون ويجري ذلك على كثير
من مساتير الناس وباعوا
املاكهم ومتاعهم والبعض
لما ضاق به الحال ولم يجد
شيئا خرج هاربا وترك اهله
وعياله خوفا من العسكري
وما يلاقيه منه ومما فعله
فعرض بعض المديونين الى
الباشا فامر بكتابة هذا
البيورلدي ونزل به والي
الشرطة ونودي به في الاسواق فعدة ذلك من غرائب الحكام حيث ينادى على الربا جهارا

نظام الملك الى ركنه وقيل له لما عزل فخر الملك بن نظام الملك وصار علية الحق الى الكثيرون ولاده أغنياء نعمتنا ولا معدل عنهم فأمر لابي نصر احمد هذا بالوزارة ولقب القاب ابيه قوام الدين نظام الملك صدر الاسلام وكان سبب قدومه الى باب السلطان انه لما رأى انقراض دولة اهل بيته لزم داره بهمذان فاتفق ان رئيس همذان وهو الشريف ابو هاشم آذاه فسار الى السلطان شاكيا منه ومتظلما فقبض السلطان على الوزير واحمد هذا في الطريق فلما وصل اليه ذكره وخلع عليه خلع الوزارة وحكمه ومكنه وقوى أمره وهذا من الفرج بعد الشدة فانه حضر شاكيا فصار حاكما

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر عزل الوزير ابو القاسم علي بن جهير وزير الخليفة فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئا اليها وكانت ملجأ لكل ملهوف فارسل اليه صدقة من اخذه اليه الى الحلة وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة اشهر وايام وامر الخليفة بنقض داره التي بباب العامة وفيها عبرة فان اباه ابا نصر بن جهير بناها بانقاض املاك الناس واخذ بنيها اكثر ما دخل فيها القهر بعد ذلك من قريب ولما عزل استنيب قاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغاني ثم تقررت الوزارة في المحرم من سنة احدى وخمسمائة لابي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب وخلع عليه فيه وفيها في شوال توفي الامير ابو الفوارس مرحاب بن بدر بن مهلهل المعروف بابن ابي الشوك الكردي وكانت له اموال كثيرة وخيول لا تحصى وولي الامارة بعده ابو منصور بن بدر وقام مقامه وبقيت الامارة في بيته مائة واثنتين سنة وقد تقدم من اخبارهم ما فيه كفاية وفي هذه السنة توفي ابو الفتح احمد ابن محمد بن احمد بن سعيد الحداد الاصبهاني ابن اخت عبد الرحمن بن ابي عبد الله بن منده ومولده سنة ثمان واربعمائة وكان مكثرا من الحديث مشهورا بالرواية وفيها توفي ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج البغدادي في صفر وهو مكثر من الرواية وله تصانيف حسنة واشعار لطيفة وهو من اعيان الزمان وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب ابو محمد الشيرازي الفقيه وولي التدريس بالنظامية ببغداد سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وكان يروي الحديث ايضا وابو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن احمد الصيرفي المعروف بابن الطيوري البغدادي ومولده سنة احدى عشرة واربعمائة وكان مكثرا من الحديث ثقة صالحا عابدا وابو الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب النحوي سمع الحديث من ابي الطيب الطبري والجوهري وغيرهما وكان اماما في النحو واللغة

(ثم دخلت سنة احدى وخمسمائة)

(ذكر قتل صدقة بن مزيد)

في هذه السنة في رجب قتل الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدي امير العرب وهو الذي بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شأنه وعلا

نصفين او ثلاثة (وفيه) سافر ايضا حسن الشماشرجي ولحق بالجرداوي (وفي اواخره) ورد الخبر بان عثمان بك كاشف البحيرة قبض على السيد حسين نقيب الاشراف بدمنهور واهانه وضربه وصادره واخذ منه الفي ريال بعد ان حلف انه ان لم يأتيه بها في مدة اربع وعشرين ساعة والا قتله فوقع في عرض النصارى المباشرين فدفعوها عنه حتى تخلص بالحياة وكذلك قبض على رجل من التجار وقرر عليه جملة كثيرة من المال فدفع الذي حصل بيده وبقي عليه باقي ما قرره عليه فلم يزل في حبسه حتى مات تحت العقوبة فطلب اهله رمته فلف لا يعطيهم الجسم حتى يكون ابنه في الحبس مكانه (ومن الحوادث السماوية) ان في سابع عشر رمضان غيمت السماء بناحية الغربية والمنوفية الكبرى وامطرت بردا في مقادير بيض الدجاج واكبر واصغر فهدمت دورا واصابت اناما واخبروا انها قتلت الدودة من الزرع البدري

(واستهل شهر شوال بيوم الاحد سنة ١٢٢٣)

في اوائله حضر شاهين بك الالفي من ناحية البحيرة وذلك بعد فرار خليل اولاد علي من الاقليم (وفيه) ايضا حضر سليمان كاشف البواب من ناحية قبلي وصحبته عدة من المماليك واربعة من الكشاف فقابل الباشا وخلع عليه وانزله بيت طنان بسويقة العزى وسكن بها فقدره

السلطان ونهاه عن المخالفة فاعتذر صدقة وقال ما خالفت الطاعة ولا قطعت الخطبة
في بلدي وجهز ابنه دبيسا للسير معهما الى السلطان فبينما الرسل وصدقة في هذا
الحديث اذ ورد الخبر ان طائفة من عسكر السلطان قد عبروا من مطيراباذ وان الحرب
بينهم وبين اصحاب صدقة قائمة على ساق فقال صدقة للرسل وهو يشتمهم الى كرب
الى اصحابه خوفا عليهم وكان الرسل اذا سمعوا ذلك ينكرونه لانهم قد تقدموا الى العسكر
عند عبورهم عليهم انه لا يتعرض احد منهم الى حرب حتى نعود فان الصلح قد قارب
فقال صدقة للرسول كيف اثق بارسال ولدي الآن وكيف آمن عليه وقد جرى ما ترون
فان تكفلتم برده الي انفذته فلم يجسروا على كفالته فكتب الى الخليفة يعتذر عن
انفاذ ولده بما جرى وكان سبب هذه الوقعة ان عسكر السلطان لما رأوا الرسل اعتقدوا
وقوع الصلح فقال بعضهم الرأي اننا ننهب شيئا قبل الصلح فاجاب البعض وامتنع
البعض فعبر من اجاب النهر ولم يتأخر من لم يجب لئلا ينسب الى خور وجبن ولئلا يتم على من
عبر وهن فيكون عاره واذاه عليهم فعبروا وامدهم ايضا فاتاهم اصحاب صدقة وقاتلوهم
فكانت الهزيمة على الاتراك وقتل منهم جماعة كثيرة واسر جماعة من اعيانهم وكثير من
غيرهم وغرق جماعة منهم الامير محمد بن باغيسيان الذي كان ابوه صاحب انطاكية
وكان عمره نيفا وعشرين سنة وكان محبا للعلماء واهل الدين وبنى باقطاعه من
اذربيجان عدة مدارس ولم يجسر الاتراك يعرفون السلطان بما اخذ منهم من الاموال
والدواب خوفا منه بحيث فعلوا ذلك بغير امره وطمع العرب بهذه الهزيمة وظهر منهم
الفخر والتيه والطمع واظهروا انهم باعوا كل اسير بدينار وان ثلاثة باعوا اسيرا
بخمسة قراريط وان كلابيا اخذ اوهر بية وجعلوا ينادون من يتغدى باسير ويتعشى
باخر فظهر من الاتراك اضطراب عظيم واعاد الخليفة مكاتبة صدقة يحضر يأمر بالصلح
فاجاب انه لا يخالف ما يؤمر به وكتب صدقة ايضا الى السلطان يعتذر عما نقل عنه
ومن الحرب التي كانت بين اصحابه وبين الاتراك وان جند السلطان عبرت الى اصحابه
فدفعوا عن انفسهم بغير علمه وانه لم يحضر الحرب ولم ينزع يده من طاعة ولا قطع خطبته
من بلده ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب فارسل الخليفة نقيب النقباء
وابا سعد الهروي الى صدقة فقصدا السلطان اولا واخذا يده بالامان لمن قصده من
اقارب صدقة فلما وصلا الى صدقة وبلغاه عن الخليفة ان اصلاح قلب السلطان
موقوف على اطلاق الاسرى ورد جميع ما اخذ من العسكر المنهزم فاجاب اولا بالخضوع
والطاعة ثم قال لو قدرت على الرحيل من بين يدي السلطان لفعلت لكن وراءي من
ظهري وظهر ابي وجدي ثلثمائة امرأة ولا يحملها مكان ولو علمت انني اذا جئت
السلطان مستسلما قبلني واستخدمني لفعلت لكني اخاف انه لا يقبل عثرتي ولا يعفو
عن زلتي واما ما نهب فان الخلق كثير وعندي من لا اعرفه وقد نهبوا ودخلوا البر فلا
طاقة لي عليهم والآن ان كان السلطان لا يرضى فيها في يدي ولا فيمن اجرته وان
يقرر مرتبا بين كمخر وعلى اقطاعه بسارة وان يتقدم الى ابن بوقا باعادة ما نهب من

واختنق مصطفى باشا في سرداب فلم يجدوه واوقعوا بالسراية الحريق والهدم
والنهب وخاف السلطان لان
سراية الوزير تجاه السراية
السلطانية ففتح باب السراية
التي بناحية البحر وارسل
يستعجل قاضي باشا الحضور
وكذلك قبودان باشا فحضرا
الى السراية واشتد الحرب
بين الفريقين واكثر
الينكجرية من الحريق في
البلدة حتى احرقوا منها طائفة
كبيرا فلما عاين السلطان
ذلك هاله وخاف من عموم
حريق البلدة وهو ومن معه
محصورون بالسراية يوما
وليلة فلم يسعه الا التلافي للامر
فراسل كبار الينكجرية
وصالحهم وابطلوا الحرب
وشرعوا في اطفاء الحريق
وخرج قاضي باشا هاربا
وكذلك قبودان باشا وهو
عبد الله رئيس افندي الذي
كان في ايام الوزير بعضهم ثم
انهم اخرجوا مصطفى باشا من
المكان الذي اختفى فيه ميتا
من تحت الردم وصلبوه من
رجليه الى نطارجه وعلقوه في
شجرة ومثلوا به واكثروا
على رمته من الضرب وعند
وقوع هذه الحادثة ونجى
قاضي باشا وكان من اغراض
السلطان مصطفى المنفصل
فخاف السلطان ان قاضي باشا
ان غلب على الينكجرية فيعزله
ويولي اخاه ويرده الى السلطنة
فقتل السلطان محمود اخاه
مصطفى خنقا ثم لما تمكن الحال عين اولى قاضي باشا وقتلوه وكذلك عبد الله افندي رئيس قبودان باشا وكان

فى الاسواق من غير احتشام ولا مبالاة لانهم لا يرون ذلك عيبا فى عقيدتهم (وفى رابع عشرينه) غضب الباشا على
عمر بك الكبير الذى كان
كاشفا بالبحيرة ونفاه الى ابى قير
واخذ امواله واثم بيته وهو
بيت حسين افندى بحارة
عابدين وما بها من الخيول
والجمال والجواهر والخيام
والمتاع على عمر بك الصغير
الاورفلى

*(واستهل شهر ذى الحجة
بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٣)*

فيه وصلت الاخبار من
اسلامبول بوقوع فتنة عظيمة
وانه لما حصل ما حصل فى
منتصف السنة من دخول
مصطفى باشا البيرقدار على
الصورة المذكورة وقتل
السلطان سليم وتولية السلطان
محمود وخذلان الينكجرية
وقتلهم ونفيهم وتحكم مصطفى
باشا فى امور الدولة واستمر من
بقى منهم تحت الحكم فاجمعوا
امرهم ومكروا مكرهم وحقد
بعضهم مصطفى باشا من
المذكورين فلم يكترث بذلك
ولم يتمون امرهم واحتقر جانبهم
وقال اى شئ هؤلاء صو ولرى
يعنى انهم بياعون الما كهمة
فكان حاله كما قيل

فلا تحتقر كيد العدو فربما
تموت الافاعى من سموم العقارب

ثم انهم تحزبوا وحضروا الى
سرايته على حين غفلة بعد
السحور ليلة السابع والعشرين
من رمضان وجماعته وطائفته
متفرقون فى اماكنهم فحرقوا باب السراية وكبسوا عليه فقتل من قتل من اتباعه وهرب من هرب على جهة

السلطان

جانب ثم وصل كتاب صدقة الى الخليفة فى جمادى الاولى يذكر انه واقف عند
ما يرسم له و يغير من حاله مع السلطان ومهما امر به من ذلك امتثله فانفذ الخليفة
الكتاب الى السلطان فقال السلطان انا امتثل ما يأمر به الخليفة ولا اخالفه
فارسل الخليفة الى صدقة يعرفه اجابة السلطان الى ما طلب منه ويأمره بانفاذ ثقة
ليستوثق له و يحلف السلطان على ما يقع الاتفاق عليه فعاد صدقة عن ذلك الرأى
وقال اذا رحل السلطان عن بغداد امددته بالمال والرجال وما يحتاج اليه فى الجهاد واما
الآن وهو ببغداد وعسكره بنهر الملك فما عندى مال ولا غيره وان جاولى سقاوو
وايلغازى بن ارتق قد ارسلا الى بالطاعة لى والموافقة معى على محاربة السلطان وغيره
ومتى اردتهما وصلا الى فى عساكرهما وورد الى السلطان قرواش بن شرف الدولة
وكرماوى بن خراسان التركمانى وابو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائى
وآباؤه كانوا اصحاب البلقاء والبيت المقدس منهم حسان بن المفرج الذى مدحه التهامى
وكان فضل تارة مع الفرنج وتارة مع المصريين فلما رآه طغتكين اتابك على
هذه الحال طرده من الشام فلما طرده التجأ الى صدقة وحالفه فاكرمه صدقة
واهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عينا فلما كانت هذه الحادثة بين صدقة
والسلطان فارق الحلة ثم هرب الى السلطان فلما وصل خلع عليه وعلى اصحابه وانزله
بدار صدقة ببغداد فلما سار السلطان الى قتال صدقة استأذنه فضل فى اتيان البرية
ليمنع صدقة من الهرب ان اراد ذلك فاذن له فعبر بالانبار وكان آخر العهد به وانفذ
السلطان فى جمادى الاولى الى واسط الامير محمد بن بوقا التركمانى فاخرج منها نائب
صدقة وامن الناس كلهم الا اصحاب صدقة فتفرقوا ولم ينهب احد وانفذ خيله الى بلد
قوسان وهو من اعمال صدقة فنهبه اقبح نهب واقام عدة ايام فارسل صدقة اليه ثابت
ابن سلطان وهو ابن عم صدقة فى عسكر فلما وصلوا اليها خرج منها الاتراك واقام
ثابت بها وبينه وبينهم دجلة ثم ان ابن بوقا سير جماعة من الجند ارتضاهم وعرف
شجاعتهم فوقفوا على موضع مرتفع على نهر ما لم يكن ارتفاعه نحو خمسين ذراعا
فقصدهم ثابت وعسكره فلم يقدروا يقربون الترك من النشاب والمدد يأتيهم من ابن بوقا
وجرح ثابت فى وجهه وكثر الجراح فى اصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعهم الاتراك فقتلوا
منهم واسروا ونهب طائفة من الترك مدينة واسط واختلط بهم رجالة ثابت فنهبت
معهم فسمع ابن بوقا الخبر فركب اليهم ومنعهم وقتل منهم وبعض البلد ونادى فى الناس
بالامان واقطع السلطان اواخر جمادى الاولى مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقى وامر
ابن بوقا بقصد بلاد صدقة ونهبها فنهبوا فيها ما لا يحد واما السلطان محمد فانه سار عن بغداد
الى الزعفرانية ثانى جمادى الآخرة فارسل اليه الخليفة مع وزيره مجد الدين بن المطلب يأمره
بالتوقف وترك العجلة شفقة على الرعية من القتل والنهب واشار قاضى اصبهان بذلك
واتباع امر الخليفة فاجاب السلطان الى ذلك فارسل الخليفة الى صدقة نقيب النقباء على
ابن طراد وجمال الدولة مختصا الخادم فسارا الى صدقة فبلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة

وذهب من الاموال ما لا حد له وكان له من الكتب المنسوبة الخط شيء كثير الوف مجلدات وكان يحسن يقرأ ولا يكتب وكان جوادا حليما صدوقا كثير البر والاحسان ما برح ملجأ لكل ملهوف يلقى من يقصده بالبر والتفضل ويبسط قاصديه ويزورهم وكان عادلا والرعايا معه في امن ودعة وكان عفيفا لم يتزوج على امرأته ولا تسرى عليها فما ظنك بغيره ولم يصادر احدا من نوابه ولا اخذ احدا بذنب قديم وكان اصحابه يودعون اموالهم في خزانته ويدلون عليه ادلال الولد على الوالد ولم يسمع برعية احبت اميرها كحب رعيته له وكان متواضعا محتملا يحفظ الاشعار ويبادر الى النادرة رحمه الله فقد كان من محاسن الدنيا وعاد السلطان الى بغداد ولم يصل الى الحلة وارسل الى البطيحة امانا لزوجة صدقة وامرها بالظهور فاصعدت الى بغداد فاطلق السلطان ابنها دبيسا وانفذ معه جماعة من الامراء الى لقائها فلما التقيا ابنها بكيا بكاء شديدا ولما وصلت الى بغداد احضرها السلطان واعتذر من قتل زوجها وقال وددت انه حمل الي حتى كنت افعل معه ما يعجب الناس به من الجميل والاحسان لكن الاقدار غلبتني واستحلف ابنها دبيسا انه لا يسعى بفساد

﴿ذكر وفاة تميم بن المعز صاحب افريقية وولاية ابنه يحيى﴾

في هذه السنة في رجب توفي تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية وكان شهما شجاعا ذكيا له معرفة حسنة وكان حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة وله شعر حسن فمنه انه وقع حرب بين طائفتين من العرب وهما عدي ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا واهدروا دمه وكان ... فقال ابياتا يحرض على الطلب بدمه وهي

متى كانت دماؤكم تطل * اما فيكم بثأر مستقل
اغانم ثم سالم ان فشلتم * فما كانت اوائلكم تذل
ونمتم عن طلاب الثأر حتى * كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالي * ولا بيض تفل ولا تسل

فعمد اخوة المقتول فقتلوا اميرا من عدي واشتغلهم القتال وكثرت القتلى حتى اخرجوا بني عدي من افريقية قيل انه اشترى جارية بثمن كثير فبلغه ان مولاها الذي باعها ذهب عقله واشتغل على فراقها فاحضره تميم بين يديه وارسل الجارية الى داره ومعها من الكسوات والاواني الفضة وغيرها ومن الطيب وغيره شيء كثير ثم امر مولاها بالانصراف وهو لا يعلم بذلك فلما وصل الى داره ورآها على تلك الحال وقع مغشيا عليه لكثرة سروره ثم افاق فلما كان الغد اخذ الثمن وجميع ما كان معها وحمله الى دار تميم فانتهره وامره باعادة جميع ذلك الى داره وكان له في البلاد اصحاب اخبار يجري عليهم ارزاقا سنية ليطالعوه باحوال اصحابه لئلا يظلموا الناس فكان بالقيروان تاجر له حال ونعمة ذكر في بعض الايام التجار عنده ودعوا الله ودعا لتميم ... فترحم على ابيه المعز

الذي يقوم بحمله على باشا باللوازم مما يحتاج اليه من ادوات وتعمير وغير ذلك ولم يشهر ذلك الكلام الى ان اصبح النهار وحضر ذلك القاضي في موكب الى بيت الباشا وحضر الاشياخ والاعيان وكان الباشا قاعدا في الترعة كما تقدم وعرضه لخدابك واكابر دولته وقرئت المراسيم تحقق الخبر وانقضت السنة بحوادثها التي لا يمكن ضبط جزئياتها لعدم الوقوف على حقيقتها (فمن الحوادث العامة) توالي الفرض والمظالم المتوالية واحداث انواع المظالم على كل شيء والتزايد فيها واستمرار الغلاء في جميع اسعار المبيعات والمآكل والمشارب بسبب ذلك وفقر اهل القرى وحجزهم لمواشيهم في المغارم فقل اللحم والسمن والجبن واخذه مواشيهم واغنامهم من غير ثمن في الكلف ثم رميها على الجزارين باغلى ثمن ولا يذبحونها الا في المذبح ويؤخذ منهم اسقاطها وجلودها ورؤوسها ورواتب الباشا واهل دولته ثم يذهبون بما يبقى لمحالهم فتباع على اهل البلد باغلى ثمن حتى يخلص للجزار رأس ماله واذا عثر المحتسب على جزار ذبح شاة او شراها في غير المذبح قبض عليه واشهره واخذ ما في حانوته من اللحم بغير ثمن ثم حبس وضرب ويغرم مالا ولا يغفر ذنبه ويسمى حالا وفلانيا

* ومنها انقطاع الحج الشامي والمصري معتللين بمنع الوهابي الناس عن الحج والحال ليس كذلك فانه لم يمنع احدا يأتي

مصطفى باشا البيرقدار وهنأه بشكور السير فتحب اقامة العدل والوقت بخلاف ذلك (وفيه) تحرى الاهتمام

بلادي وان يخرج وزير الخليفة ليحلفني الايمان على المحافظة فيما بيني وبينه فحينئذ اخدم بالمال وأدوس بساطه بعد ذلك فعادوا بهذا ومعهم ابو منصور بن معروف رسول صدقة فردهم الخليفة وارسل السلطان معهم قاضي اصبهان ابا اسمعيل فاما ابو اسمعيل فلم يصل اليه وعاد من الطريق وأصر صدقة على القول الاول ثم سار السلطان ثامن رجب من الزعفرانية وسار صدقة في عساكره الى قرية مطر وامر جنده بلبس السلاح واستأمن ثابت بن سلطان بن دبيس بن علي بن مزيد وهو ابن عم صدقة الى السلطان محمد وكان يحسد صدقة وهو الذي تقدم ذكره انه كان بواسط فاكرمه السلطان واحسن اليه ووعده الاقطاع ووردت العساكر الى السلطان منهم بنو برسق وعلاء الدولة ابو كاليجار كرشاسب بن علي بن فرامرز بن جعفر بن كاكويه وآباؤه كانوا اصحاب اصبهان وفرامرز هو الذي سلمها الى طغرلبك وقتل ابوه مع تتش وعبر عسكر السلطان دجلة ولم يعبر هو فصار مع صدقة على ارض واحدة بينهما نهر ثم التقوا تاسع عشر رجب وكانت الريح في وجوه اصحاب السلطان فلما التقوا صارت في ظهورهم وفي وجوه اصحاب صدقة ثم ان الاتراك رموا بالنشاب فكان يخرج في كل رشقة عشرة آلاف نشابة فلم يقع سهم الا في فرس او فارس وكان اصحاب صدقة كلما حملوا منعهم النهر من الوصول الى الاتراك والنشاب ومن عبر منهم لم يرجع وتقاعدت عبادة وخفاجة وجعل صدقة ينادي يا آل خزيمة يا آل ناشرة يا آل عوف ووعد الاكراد بكل جميل لما ظهر من شجاعتهم وكانوا كذا على فرسه المهلوب ولم يكن لاحد مثله فجرح الفرس ثلاث جراحات واخذه الامير احمديل بعد قتل صدقة فسيره الى بغداد في سفينة فمات في الطريق وكان لصدقة فرس آخر قد ركبه حاجبه ابو نصر بن تفاحة فلما رأى الناس وقد غشوا صدقة هرب عليه فناداه صدقة فلم يجبه وحمل صدقة على الاتراك فضرب غلام منهم على وجهه فشوهه وجعل يقول انا ملك العرب انا صدقة فاصابه سهم في ظهره وادركه غلام اسمه برغش كان اشل فتعلق به وهو لا يعرفه وجذبه عن فرسه فسقطا الى الارض هو والغلام فعرفه صدقة فقال يا برغش ارفق فضربه بالسيف فقتله واخذ رأسه وحمله الى البرسقي فحمله الى السلطان فلما رآه عانقه وامر لبرغش بصلة وبقي صدقة مطروحا الى ان سار السلطان فدفنه انسان من المدائن وكان عمره تسعا وخمسين سنة وكانت امارته احدى وعشرين سنة وحمل رأسه الى بغداد وقتل من اصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس فيهم جماعة من اهل بيته وقتل من بني شيبان خمسة وتسعون رجلا واسر ابنه دبيس بن صدقة واسر سرخاب بن كيخسرو الديلمي الذي كانت عنده الحرب بسببه فاحضر بين يدي السلطان فطلب الامان فقال قد عاهدت الله اني لا اقتل اسيرا فان ثبت عليك انك باطني قتلتك وأسر سعيد بن حميد العمري صاحب جيش صدقة وهرب بدران بن صدقة الى الحلة فاخذ من المال وغيره ما امكنه وسير امه ونساءه الى البطيحة الى مهذب الدولة ابي العباس احمد بن ابي الجبر وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته

بسد ترعة الفرعونية وتعين لذلك شخص يدعى عثمان السلانكلي الذي كان مباشرا على جسر الاسكندرية (وفي منتصفه) سافر الباشا وصحبته حسن باشا لمباشرة الترعة التي يريدون سدها وأمر بوسق الاحجار وافردوا لذلك عدة كثيرة من المراكب تشحن بالاحجار والاخشاب الكثيرة وترجع فارغة وتعود موسوقة في كل يوم مرة وامر بجمع الرجال من القرى لذلك العمل (وفيه) ايضا شرع الباشا في انشاء ابنية بساحل شبرا الشهيرة الآن بشبرا الملكية واشيع ان قصده انشاء سواقي وعمائر وبساتين ومزارع وأخذ في الاستيلاء على ما يحاذي ذلك من القرى والاطيان والرزق والاقطاعات من ساحل شبرا الى جهة بركة الحاج عرضا (وفي سابع عشره) خرجت عساكر كثيرة الى البر الغربي بقصد الذهاب الى الفيوم صحبة شاهين بك والالفية بسبب اولاد علي الذين كانوا بالبحيرة (وفي ثاني عشرينه) وصل واحد قاصد واشيع انه طلع من بولاق وذهب الى بيت الباشا وعلى يده مرسومان احدهما تقرير الباشا على ولاية مصر والثاني يذكر فيه ان يوسف باشا المعدني الصدر السابق تعين بالسفر على جهة الشام لتنظيم بلاد العرب والحجاز وذهب

اجلسوا كرمهم اقبل عليه بحديثه وسير الخليفة خواصه وجماعة ارباب المناصب فلقوه وانزله الخليفة واجرى عليه الجراية الدقيقة وكذلك ايضا فعل السلطان وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم امثاله وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا ولاجر الآخرة اكبر ولما اجتمع بالسلطان قدم هديته وساله السلطان عن حاله وما يعانيه في مجاهدة الكفار وبقاسيه من ركوب الخطوب في قتالهم فذكر له حاله وقوة عدوه وطول حصره وطلب النجدة وضمن انه اذا سيرت العساكر معه اوصل اليهم جميع ما ياتمسونه فوعده السلطان بذلك وحضر دار الخلافة فوقه كرايضا نحو ما ذكره عند السلطان وحمل هدية جليلة نفيسة واقام الى ان رحل السلطان من بغداد في شوال فاحضره عنده بالنهروان وتقدم الى الامير حسين بن اتابك قتلغتكين ليسير معه العساكر التي سيرها الى الموصل مع الامير مودود لقتال جاولي سقاو وليحضروا معه الى الشام وخلع عليه السلطان خلعا نفيسة واعطاه شيئا كثيرا وودعه وسار ومعه الامير حسين فلم يجد ذلك نفعا وكان ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ثم ان فخر الملك بن عمار عاد الى دمشق منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة فاقام بها اياما وتوجه منها مع العسكر من دمشق الى جبلة فدخلها واطاعه اهلها واما اهل طرابلس فانهم راسلوا الافضل امير الجيوش بمصر يلتمسون منه واليا يكون عندهم ومعه الميرة في البحر فسير اليهم شرف الدولة بن ابي الطيب واليا ومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه البلاد في الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة من اهل ابن عمار واصحابه واخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر في البحر

● (ذكر عدة حوادث) ●

في هذه السنة في شعبان أطلق السلطان محمد المكوس والضرائب ودار البيع والاجتيازات وغير ذلك مما يناسبه بالعراق وكتبت به الالواح وجعلت في الاسواق وفيها في شهر رمضان ولي القاضي ابو العباس بن الرطبي الحسبة ببغداد وفيه ايضا عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك ثم اعيد الى الوزارة باذن السلطان وشرط عليه شروطا منها العدل وحسن السيرة وان لا يستعمل احدا من أهل الذمة وفيها عاد الاصبهبذ صباوو من دمشق وكان هرب عند قتل اياز فلما قدم اكرمه السلطان واقطعه رحبة مالك بن طوق وفيها سابع شوال خرج السلطان الى ظاهر بغداد عازما على العود الى اصبهان وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر وسبعة عشر يوما وفيها في ذي الحجة احترقت خرابة ابن جردة فهلك فيها كثير من الناس واما الامتعة والاموال واثاث البيوت فهلك منها ما لا يحد وخلص خلق بنقب نقبوه في سور المحلة الى مقبرة باب ابرز وكان بها جماعة من اليهود فلم يتقلوا شيئا لتمسكهم بسبتهم وكان بعض اهلها قد سيروا الى الجانب الغربي لافرجة على عادتهم في السنة التي يلي العيد فعادوا فوجدوا بيوتهم قد حرقت واهلهم قد احترقوا واموالهم قد هلكت ثم تبع ذلك

والاعوام الكثيرة وهي في الزيادة ارتصدت معنى لا حقيقة وارتسم في الأذهان حرمته قدرا وانها صارت لها لا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لاحد اخذها ولا انفاقها والنبي عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك لم يدخر شيئا من عرض الدنيا في حياته وقد اعطاه الله الشرف الاعلى وهو الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب واختار ان يكون نبيا عبدا ولم يختر ان يكون نبيا ملكا (وثبت) في الصحيحين وغيرهما انه قال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا (وروى) الترمذي بسنده عن ابي امامة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو ذلك فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك ثم ان كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقة على الرسول وعترته فهو فاسد فهو اولى النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد انما هي اوساخ الناس ومنع بني هاشم من تناول الصدقة وحرمها عليهم والمراد الانتفاع في حال الحياة لا بعد ما ظن المال او جده المولى سبحانه وتعالى من امور الدنيا لا من امور الآخرة قال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وهو من جملة السبعة التي ذكرها الله

ولم يذكره فرسم ذلك الى تميم فاحضره الى حضرته وسأله عن خاتم الملك فقال لا قال فهل علم به بعض اصحابي قال لا قال فلم اطلقت لسانك امس بذمي فسكت فقال لولا ان يقال شر في حاله لقتلتك ثم امر به فصفع في حضرته قليلا ثم اطلقه فخرج واصحابه ينتظرونه فسألوه عن خبره فقال اسرار الملوك لا تذاع فصارت بافريقية مثلا ولما توفي كان عمره اربعا وسبعين سنة وكانت ولايته ستا واربعين سنة وعشرة اشهر وعشرين يوما وخلف من الذكور ما يزيد على مائة ومن البنات ستين بنتا ولما توفي ملك بعده ابنه يحيى بن تميم وكانت ولادته بالمهدية لاربع بقين من ذي الحجة سنة سبع وخمسين واربعمائة وكان عمره حين ولي ثلاثا واربعين سنة وستة اشهر وعشرين يوما ولما ولي فرق اموالا جزيلة واحسن السيرة في الرعية

(ذكر ملك يحيى قلعة قليبية)

لما ملك يحيى بن تميم بعد ابيه جرد عسكرا كثيفا الى قلعة قليبية وهي من احصن قلاع افريقية فنزل عليها وحصرها حصارا شديدا ولم يبرح حتى فتحها وحصنها وكان ابوه تميم قد رام فتحها فلم يقدر على ذلك ولم يزل منتصرا منصورا لم يهزم له جيش

(ذكر قدوم ابن عمار بغداد مستنفرا)

في هذه السنة في شهر رمضان ورد القاضي فخر الملك ابو علي بن عمار صاحب طرابلس الشام الى بغداد قاصدا باب السلطان محمد مستنفرا على الفرنج طالبا تسيير العساكر لازاحتهم والذي حمله على ذلك انه لما طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس على ما ذكرناه ضاقت عليه الاقوات وقلت واشتد الامر عليه وعلى اهل البلد فسير الله عليهم سفنا فيها الميرة في البحر من جزيرة قبرس وانطاكية وجزائر البنادقة فاشتدت قلوبهم وقووا على حفظ البلد بعد ان كانوا استسلموا فلما بلغ فخر الملك انتظام الامور للسلطان محمد وزوال كل مخالف رأى لنفسه وللمسلمين قصده والاستنصار به فاستناب بطرابلس ابن عمه ذا المناقب وامره بالمقام بها ورتب معه الاجناد رجالة وفرسانا واعطاهم جامكية ستة اشهر سلفا ورتب كل موضع الى من يقوم بحفظه بحيث ان ابن عمه لا يحتاج الى فعل شئ من ذلك وسار الى دمشق فاظهر ابن عمه الخلاف له والعصيان عليه ونادى بشعار المصريين فلما عرف فخر الملك ذلك كتب الى اصحابه يأمرهم بالقبض عليه وحمله الى حصن الخوابي ففعلوا ما امرهم وكان ابن عمار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة والخيل الرائقة فلما وصلها لقيه عسكرها وطغتكين اتابك وخيم على ظاهر البلد وسأله طغتكين الدخول اليه فدخل يوما واحدا الى الطعام وادخله حمامه وصار عنده واوسعه وطغتكين بن شيبه فلما وصل الى بغداد امر السلطان كافة الامراء بتلقيه واكرامه وارسل اليه شبارته وفيها دسته التي يجلس عليها اذا ركب فيها فلما نزل اليها قعد بين يدي موضع السلطان فقال له من بها من خواص السلطان قد امرنا ان يكون جلوسك في دست السلطان فلما دخل على السلطان

الحج على الطريقة المشروعة وامتنع من ويأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الاسلحة وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة وحجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله ولم يتعرض لهم احد بشئ ولما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي وانقطع عن اهل المدينة ومكة ما كان يصل اليهم من الصدقات والاوقاف والصرر التي كانوا يتعيشون منها خرجوا من اوطانهم باولادهم ونسائهم ولم يمكث الا الذي ليس له ايراد من ذلك واتوا الى مصر والشام ومنهم من ذهب الى اسلامبول يشتكون من الوهابي ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من اجراء الارزاق واتصال الصلات والنيابات والخدم في الوظائف التي باسماء رجال الدولة كالفراشة والكناسة ونحو ذلك ويذكرون ان الوهابي استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ونقلها واخذها فيرون ان اخذه لذلك من الكبائر العظام وهذه الاشياء ارسلها ووضعها ضعاف العقول من الاغنياء والملوك والسلاطين الاعاجم وغيرهم اما حرصا على الدنيا وكراهة ان يأخذها من يأتي بعدهم او لنوائب الزمان فتكون مذخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج اليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الاعداء فلما تقادمت عليها الازمنة وتوالت عليها السنين

عامًا بان على الحديث في هذا الامر فقتلهما وخرج عن البلد ونهب السواد وترك بالبلد
زوجته ابنة برسق واسكنها القلعة ومعها الف وخمسمائة فارس من الاتراك سوى غيرهم
وسوى الرجالة ونزل العسكر عليها في شهر رمضان سنة احدى وخمسمائة وصادرت
زوجته من بقي بالبلد وعمقت نساء الخارجين عنه وبالغت في الاحتراز عليهم فأوحشهم
ذلك ودعاهم الى الانحراف عنها وتوكل اهل البلد بالاستتار بما تقدم في الحصار واهلها
من خارج والقتال من داخل الى آخر المحرم والجند يجتمعون عامًا من القريب من السور
فلما طال الامر على الناس اتفق نفر من الجصاصين ومقدمهم جصاص يعرف
بسعدي على تسليم البلد وتحالفوا على التساعد واتوا وقت صلاة الجمعة والناس بالجامع
وصعدوا برجًا واغلقوا ابوابه وقتلوا من به من الجند وكانوا نيامًا فلم يشعروا بشيء حتى
قتلوا واخذوا سلاحهم والقوهم الى الارض وملكوا برجًا آخر ووقعت الصيحة
وقصدهم من كان فارس من العسكر ورموهم بالنشاب وهم يقاتلون وينادون بشعار
السلطان فزحف عسكر السلطان اليهم ودخلوا البلد من ناحيتهم وملكوه ودخله
الامير مودود ونودي بالسكون والامن وان يعود الناس الى دورهم واملاكهم واقامت
زوجة جاولي بالقلعة ثمانية ايام وراسلت الامير مودودًا في ان يفرج لها عن طريقها
وان يحلف لها على الصيانة والحراسة ففعل وخرجت الى اخيها برسق بن برسق ومعها
مالها وما استولت عليه وولي مودود الموصل وما يضاف اليها

۞(ذكر حال جاولي بعد الحصار)۞

واما جاولي فانه لما وصل عسكر السلطان الى الموصل وحصرها سار عنها واخذ معه
القمص صاحب الرها الذي كان قد اسره سقمان واخذه منه جكرمش وقد ذكرنا ذلك
وسار الى نصيبين وهي حينئذ للامير ايلغازي بن ارتق وراسله وسأله الاجتماع به
واستدعاه الى معاضدته وان يكونا يدًا واحدة واعلمه ان خوفهما من السلطان ينبغي
ان يجمعهما على الاحتماء منه فلم يجبه ايلغازي الى ذلك ورحل عن نصيبين ورتب بها
ولده وامره بحفظها من جاولي وان قاتله ان يصده وسار الى ماردين فلما سمع جاولي
ذلك عدل عن نصيبين وقصد دارا وارسل الى ايلغازي ثانيًا في المعنى وسار بعد
الرسول فبينما رسوله عند ايلغازي بماردين لم يشعر الا وجاولي معه في القلعة وحده
قد قصده ان يتألفه ويستميله فلما رآه ايلغازي قام اليه وخدمه ولما رأى جاولي حسن اللقاء
فيه غيره نشر منه لم يجد الى مخالفته سبيلًا فنزل معه وعسكرا بظاهر نصيبين وسارا منها
الى سنجار وحاصرا اهلها فلم يجبهما صاحبها الى صلح فتركاها وسارا نحو الرحبة وايلغازي
يظهر لجاولي المساعدة ويبطن الخلاف وينتظر فرصة لينصرف عنه فلما وصلا الى
عرابان من الخابور هرب ايلغازي ليلًا وقصد نصيبين

۞(ذكر اطلاق جاولي القمص الفرنجي)۞

لما هرب ايلغازي من جاولي سار جاولي الى الرحبة فلما وصل الى ماكسين اطلق

والمصادرات والطلبات والاستيلاء على الاموال بغير حق حتى افتقر واتجارهم ووطائهم ولم يأخذوا من حقه
المدخرات تقابل وربما كان
عندهم او عند خرقائهم
جوهر نفيس من بقايا
المدخرات فيرسلونه خفية الى
الحجرة ولا ينتفعون به في مهماتهم
فضلا عن اعتنائهم بتحفه من
المحتاجين واذا صار في ذلك
المكان لا ينتفع به احد
الا ما يختلسه العبيد الخصيون
الذين يقال لهم اغوات الحرم
والفقة رآها من اولاد الرسول واهل
العلم والمحتاجون وابناء
السبيل ويقولون جوهره هذه
الاغاوات محجور عليها ويمنعون
منه الى ان حضر الوالي
واستولى على المدينة واخذ تلك
الذخائر فيقال انه عبى اربعة
تختاجين من الجواهر المحلاة
بالالماس والياقوت العظيمة
القدر ومن ذلك اربع
شمعدانات من الزبرجد وبدل
الشمعة قطعة الماس مستطيلة
يضيء نورها في الظلام ونحو
مائة سيف قراباتها ملبسة
بالذهب الخالص ومنزل عليها
الماس وياقوت ونصابها من
الزمرد واليشم ونحو ذلك
وسلاحها من الحديد الموصوف
كل سيف منها لا قيمة له وعليها
دمغات باسم الملوك والخلفاء
السالفين وغير ذلك ۞ ومنها
ان الباشا عزم على عمارة المجراة
التي تنقل الماء الى القلعة
وقد خربت وتلاشى امرها
وتبددت دائرها وتعطل نقل الماء عليها من نحو عشرين سنة فتقيد بعمارتها محمد

حريق في عدة اماكن منها درب القيار وقراح ابن رزين وقراح الظفر وابطلوا معايشهم واقاموا ليلا ونهارا يحرسون بيوتهم في الدروب وعلى السطوح وعملوا عندهم الماء المعد لاطفاء النار فظهر ان سبب هذا الحريق ان جارية احبت رجلا فواقفته على المبيت عنده في دار مولاها سرا واعدت له ما يحرقها ثم جرى باخذها في ابنيته فلما اخذها طرحا النار في الدار وخرجا فاظهر الله عليهما وعمل القصة علما فشدا وصلبا وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها وامر ببناء حصن عندها على تل المعشوقة واقام شهرا محاصرا لها فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار فاخذها ورحل عن المدينة وقصد مدينة صيدا فحصرها برا وبحرا ونصب عليها البرج الخشب ووصل الاسطول المصري في الدفع عنها والحماية لمن فيها فقاتلهم اسطول الفرنج فظفر المسلمون عليهم فاتصل بالفرنج مسير عسكر دمشق نجدة لاهل صيدا فرحلوا عنها بغير فائدة وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب فبقي ليالي كثيرة ثم غاب * وتوفي في هذه السنة في شعبان ابراهيم بن مياس بن مهدي ابو اسحق القشيري الدمشقي سمع الحديث الكثير من الخطيب البغدادي وغيره وتوفي في ذي القعدة ابو سعيد اسمعيل بن عمرو بن محمد النيسابوري المحدث كان يقرأ الحديث الغريب وقرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسي عشرين مرة

*(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة)

(ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود)

في هذه السنة في صفر استولى مودود والعسكر الذي ارسله السلطان معه على مدينة الموصل واخذوها من اصحاب جاولي سقاوو وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولي عليها وما جرى بينه وبين جكرمش والملك قلج ارسلان وهلاكهما على يده وصار معه بها ذلك العسكر الكثير والعدة التامة والاموال الكثيرة وكان السلطان محمد قد جعل اليه ولاية كل بلد يفتحه فاستولى على كثير من البلاد والاموال وكان سبب اخذ البلاد منه انه لما استولى عليها وعلى الاموال الكثيرة منها لم يحمل الى السلطان منها شيئا فلما وصل السلطان الى بغداد لقصد بلاد سيف الدولة صدقة ارسل الى جاولي يستدعيه اليه بالعساكر وكرر الرسل اليه فلم يحضر وغالط في الانحدار اليه واظهر انه يخاف ان يجتمع به ولم يقنع بذلك حتى كاتب صدقة واظهر له انه معه ومساعده على حرب السلطان واطمعه في الخلاف والعصيان فلما فرغ السلطان من امر صدقة وقتله كما ذكرناه تقدم الى الامراء بني برسق وسكمان القطبي ومودود بن التونتكين وآقسنقر البرسقي ونصر بن مهلهل بن ابي الشوك الكردي وابي الهيجاء صاحب اربل بالمسير الى الموصل وبلاد جاولي واخذها منه فتوجهوا نحو الموصل فوجدوا جاولي عاصيا قد حصن الموصل واحكم بناءها جكرمش واعد الميرة والاقوات والآلات واستظهر على الاعيان بالموصل فحبسهم واخرج من اهلها ما يزيد على عشرين الفا ونادى متى اجتمع

تنبيها منه تعالى في كتابه العزيز في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فهذه البنعية انما تكون الخبائث والقبائح وليست هي في نفسها امورا مذمومة بل قد تكون معينة على الآخرة اذا صرفت في محلها (وعن مطرف) عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت الى غير ذلك ومعصية الرسول بتصديقه واتباع شريعته وسنته لاجل الله اوامره وكنز المال بحيازته وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين وباقي الاصناف الثمانية وان كان المدخر اكثرها لنوائب الزمان ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة اليها فلسنا قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم في مصالحات المتغلبين عليهم من فرنكات الافرنج وخلو خزائنهم من الاموال التي افنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم ورفاهيتهم فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة [illegible] الفرق من الافرنج المسلمين ثم واستولوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة الارض عاميان

وانهم غضبوا منه فقتلوه وابا هاوامه وتولى على وقفها واراد هاوانفرد يسكن البيت وصار له قبول عند الفرنساوية

بينهم وبين الفرنج بسببه من نزاع قد ذكرناه للقمص فقال هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين فقتله

﴿ذكر حال جاولي بعد اطلاق القمص﴾

لما اطلق جاولي القمص سار الى الرحبة فأتاه ابو النجم بدران وابو كامل منصور ابنا سيف الدولة صدقة وكانا بعد قتل ابيهما بقلعة جعبر عند سالم بن مالك فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة ووعدهما انه يسير معهما الى الحلة وعزموا ان يقدموا عليهم بكتاش بن تكش بن الب ارسلان فوصل اليهم وهم على هذا العزم الاصبهبذ صباوو وكان قد قصد السلطان فأقطعه الرحبة وقد ذكرناه فاجتمع بجاولي واشار عليه ان يقصد الشام فان بلاده خالية من الاجناد والفرنج قد استولوا على كثير منها وعرفه انه متى قصد العراق والسلطان به والقريب منه لم يأمن شرا يصل اليه فقبل قوله واصعدوا من الرحبة فوصل اليه رسول سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر يستغيث به من بني نمير وكانت الرقة بيد ولده علي بن سالم فوثب جوشن النميري ومعه جماعة من بني نمير فقتل عليا وملك الرقة فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب الى صفين فصادف تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيروه الى جاولي فأخذوا واسر عدة منهم واتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم الى حلب فاستنجد سالم بن مالك بجاولي وسأله ان يرحل الى الرقة ويأخذها ووعده بما يحتاج اليه فقصد الرقة وحصرها سبعين يوما فضمن له بنو نمير مالا وخيلا فارسل الى سالم انني في امرهم من هذا وانما انا عدو ويجب التشاغل به دون غيره وانا عازم على الانحدار الى العراق فان تم امري فالرقة وغيرها لك ولا اشتغل عن هذا المهم بحصار رجمة من بني نمير ووصل الى جاولي الامير حسين بن اتابك قتلغتكين وكان ابوه اتابك السلطان محمد فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان واختص به فسيره السلطان مع فخر الملك بن عمار ليصلح الحال مع جاولي ويأمر العساكر بالمسير مع ابن عمار الى جهاد الكفار فحضر عند جاولي وامره بتسليم البلاد وطيب قلبه عن السلطان وضمن الجميل اذا سلم البلاد واظهر الطاعة والعبودية فقال جاولي انا مملوك السلطان وفي طاعته وحمل اليه مالا وثيابا لها مقدار جليل وقال له سر الى الموصل ورحل العسكر عنها فاني ارسل معك من يسلم ولدي اليك رهينة وينفذ السلطان اليها من يتولى امرها وجباية اموالها ففعل حسين ذلك وسار ومعه صاحب جاولي فلما وصلا الى العسكر الذي على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد امرهم حسين بالرحيل فكلهم اجاب الا الامير مودود فانه قال لا ارحل الا بامر السلطان وقبض على صاحب جاولي واقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وعاد حسين بن قتلغتكين الى السلطان فاحسن النيابة عن جاولي عنده وسار جاولي الى مدينة بالس فوصلها ثالث عشر صفر فاحتمى اهلها منه وهرب من بها من اصحاب الملك رضوان صاحب حلب فحصرها خمسة ايام وملكها بعد ان نقب برجا من ابراجها فوقع على النقابين فقتل منهم جماعة وملك البلد وصلب جماعة من اعيانه عند النقب واحضر القاضي محمد بن عبد العزيز بن الياس فقتله وكان فقيها صالحا

وجعلوه من اعاظم رؤساء الديوان الذي كانوا نظموه لاجراء الاحكام بين المسلمين فكان وافر الحرمة مسموع الكلمة مقبول الشفاعة عندهم فازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى واجتمع عنده عمائم الاتمن عمائل الامراء المصرية الذين كانوا مختفين ومتغيبين وعدة خدم وقواسة ومقدم كبير وسراجين واجناد واستمر على ذلك الى ان حضر يوسف باشا الوزير في المرة الاولى التي انتقض فيها الصلح ووقعت الحروب في البلدة بين العثمانية والفرنساوية والامراء المصرية واهل البلدة فهجموا على داره المذكورة من العامة ونهبوه وهتكوا حريمه وعروه من ثيابه وسحبوه بينهم مكشوف الرأس من الازبكية الى وكالة ذي الفقار بالجمالية و بها عثمان كتخدا الدولة فشفع فيه الحاضرون واطلقوه بعد ان اشرف على الهلاك واخذه الخواجا احمد بن محرم الى داره واسكنه وبعثوا اليه ثيابا واكرمه بين يديه الى ان انقضت ايام الفتنة وظهرت الفرنساوية على المصريين وخرجوا من البلدة واستقر بها الفرنساوية فعند ذلك ذهب اليهم وشكا

لهم ما فعل به بسبب موالاته لهم فعرضوا عليه ما فاجب له ورجع الى الحالة التي كان عليها معهم وكان شداوا ابريا

القمص الفرنجى الذى كان أسيرا بالموصل واسمه بردويل وكان صاحب الرها وسروج وغيرهما وبقى فى الحبس الى الآن وبذل الاموال الكثيرة فلم يطلق فلما كان الآن اطلقه جاولى وخلع عليه وكان مقامه فى السجن ما يقارب خمس سنين وقرر عليه ان يفدى نفسه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين فى سجنه وان ينصره متى اراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله فلما اتفقا على ذلك سير القمص الى قلعة جعبر وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين وهو من فرسان الفرنج وشجعانها وهو صاحب تل باشر وغيرها وكان أسر مع القمص فى تلك الوقعة ففدى نفسه بعشرين ألف دينار فلما وصل جوسلين الى قلعة جعبر اقام رهينة عوض القمص وأطلق القمص وسار الى انطاكية واخذ جاولى جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه واخذ عوضه اخا زوجته واخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به ويحثه على اطلاق الاسرى وانفاذ المال وما ضمنه فلما وصل جوسلين الى منبج اغار عليها ونهبها وكان معه جماعة من اصحاب جاولى فانكروا عليه ذلك ونسبوه الى الغدر فقال ان هذه المدينة ليست لكم

(ذكر ما جرى بين هذا القمص وبين صاحب انطاكية)

لما اطلق القمص وسار الى انطاكية اعطاه طنكرى صاحبها ثلاثين الف دينار وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك وكان طنكرى قد اخذ الرها من اصحاب القمص حين اسر فخاطبه الآن فى ردها عليه فلم يفعل فخرج من عنده والى تل باشر فلما قدم عليه جوسلين وقد اطلقه جاولى سر بذلك وفرح به وسار اليهما طنكرى صاحب انطاكية بعساكره ليحاربهما قبل ان يقوى امرهما ويجمعا عسكرا او يلحق بهما جاولى وينجدهما فكانوا يقتتلون فاذا فرغوا من القتال اجتمعوا كل بعضهم مع بعض وتحادثوا واطلق القمص من الاسرى المسلمين مائة وستين اسيرا كلهم من سواد حلب وكساهم وسيرهم وعاد طنكرى الى انطاكية من غير فصل حال فى معنى الرها فسار القمص وجوسلين واغارا على حصون طنكرى صاحب انطاكية والتجآ الى ولاية كواسيل وهو رجل ارمنى ومعه خلق كثير من المرتدين وغيرهم وهو صاحب رعبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمالى حلب فانجد القمص بالف فارس من المرتدين والفى راجل فقصدهم طنكرى فتنازعوا فى امر الرها فدخل بينهم البطرك الذى لهم وهو عندهم كالامام الذى للمسلمين لا يخالف امره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان بيمند خال طنكرى قال له لما اراد ركوب البحر والعود الى بلاده أن يعيد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر فاعادها عليه طنكرى تاسع صفر وعبر القمص الفرات ليسلم الى اصحاب جاولى المال والاسرى فاطلق فى طريقه خلقا كثيرا من الاسرى من حران وغيرها وكان بسروج ثلثمائة مسلم ضعفى فعمر اصحاب جاولى مساجدهم وكان رئيس سروج مسلما قد ارتد فسمعه اصحاب جاولى يقول فى الاسلام قولا شنيعا فضربوه وجرى

افندى جليل ناظر المهمات قمبر هلوايرى السابق بها فى اواخر الشهر الماضى ومنها احداث عدة مكوس على اصناف كثيرة منها على بضاعة البن عن كل قنطار ثلثمائة نصف فضة وكذلك على صنف الخشب عن كل محلة عشرة انصاف وكذلك الموزونات كل مائة درهم اربعة دراهم على البائع درهمان وعلى المشترى درهمان وغير ذلك حوادث كثيرة لا نعلمها

(واما من مات بها ممن له ذكر) فمات الاجل المبجل والمحترم المفضل السيد خليل البكرى الصديقى والفقه من ذرية شمس الدين الحنفى وهو اخو الشيخ احمد البكرى الصديقى الذى كان متوليا على سجادتهم ولما مات اخوه لم يولها المترجم لما فيه من الرعونة وارتكابه أمور الغير لائقة بل تولاها ابن عمه السيد محمد افندى مضافة لنقابة الاشراف فتنازع مع ابن عمه المذكور وقسموا البيت الذى هو مسكنهم بالازبكية نصفين وعمر منابه عمارة مستقلة وزخرفوا أثاثه بستانا وزرع فيه اصناف الاشجار والفواكه فلما توفى السيد محمد افندى تولى المترجم مشيخة السجادة وتولى نقابة الاشراف السيد عمر مكرم الاسيوطى فلما طرق البلاد الفرنساوية تداخل المترجم فيهم وخرج السيد عمر مع من خرج هاربا من الفرنساوية الى بلاد الشام وعرف المترجم الفرنساوية ان النقابة كانت لبيتهم

بينهم

بالأمير حسين بن قتلغتكين ... من ... وهو ... وقد اختفى شخصه وكتم أمره وسار إلى عسكر السلطان وكان بالقرب من اصبهان فوصل اليه في سبعة عشر يوما من مكانه لجده في السير فلما وصل المعسكر قصد الأمير حسين فحمله الى السلطان فدخل اليه وكفنه تحت يده فامتنعوا أتاه الامراء يهنئونه بقتله وطلب منه السلطان الملك بلا منازع ابن تكش فسلمه اليه فاعتقله باصبهان

■(ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بعدها)■

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين أتابك والفرنج وسببها ان طغتكين سار الى طبرية وقد وصل اليها ابن اخت بغدوين الفرنجي ملك القدس فتحاربوا واقتتلوا وكان طغتكين في الفي فارس وكثير من الرجالة وكان ابن اخت ملك الفرنج في اربعمائة فارس والفي راجل فلما اشتد القتال انهزم المسلمون فترجل طغتكين ونادى بالمسلمين وشجعهم فعادوا الحرب وكسروا الفرنج وأسروا ابن اخت الملك وحمل الى طغتكين فعرض طغتكين عليه الاسلام فامتنع منه وبذل في فداء نفسه ثلاثين الف دينار واطلاق خمسمائة اسير فلم يقنع طغتكين منه بغير الاسلام فلما لم يجب قتله بيده وأرسل الى الخليفة والسلطان الاسرى ثم اصطلح طغتكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين بعد الهزيمة الآتي ذكرها أمرا عظيما

■(ذكر انهزام طغتكين من الفرنج)■

في هذه السنة في شعبان انهزم أتابك طغتكين من الفرنج وسبب ذلك ان حصن عرقة وهو من أعمال طرابلس كان بيد غلام للقاضي فخر الملك أبي علي بن عمار صاحب طرابلس وهو من الحصون المنيعة فعصى على مولاه فضاق به القوت وانقطعت عنه الميرة لطول مكث الفرنج في نواحيه فأرسل الى أتابك طغتكين صاحب دمشق وقال له أرسل من يتسلم هذا الحصن مني فقد عجزت عن حفظه ولأن يأخذه المسلمون خير لي دنيا وآخرة من أن يأخذه الفرنج فبعث اليه طغتكين صاحبا له اسمه اسرائيل في ثلثمائة رجل فتسلم الحصن فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه اسرائيل في الاختلاط بسهم فقتله وكان قصده بذلك ان لا يطلع أتابك طغتكين على ما خلفه بالقلعة من المال وأراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه وتقويته بالعساكر والاقوات وآلات الحرب فنزل الغيث والثلج مدة شهرين ليلا ونهارا فمنعه فلما زال ذلك سار في أربعة آلاف فارس ففتح حصونا للفرنج منها حصن الاكمة فلما سمع السرداني الفرنجي بمجيء طغتكين وهو على حصار طرابلس توجه في ثلثمائة فارس فلما أشرف أوائل أصحابه على عسكر طغتكين انهزموا وأسلموا اثقالهم ورحالهم ودوابهم للفرنج فغنموها وقووا به وزاد في تجملهم ووصل المسلمون الى حمص على أقبح حال من التقطع ولم يقتل منهم أحد لأنهم لم يحضروا حربا وقصد السرداني الى عرقة فلما نازلها طلب من كان بها الأمان

القرن وكان بظاهره أيضا جنينة فاشتراها وغرس بها الأشجار وحسنها واشترى أيضا وبنى له محلا مطلا عليها وبالأسفل ساباط ولواوين جملونية على البغة واشترى دارين من دور الامراء المتقدمين بظاهر ذلك وهدمهما وبنى بأنقاضهما واخشابهما وباع ما كان تحت يده من حصص الالتزام وسد بأثمانها ديونه واقتصر على ايراده فيما يخصه من وقف جده لأمه الاستاذ الحنفي وتصدى لمناقضته واذيته أنفار من المتظاهرين مثل السيد عمر مكرم النقيب والشيخ محمد وفا السادات وخلافهما حتى انه كان عقد لابنه سيدي أحمد على بنت المرحوم محمد افندي البكري فتعصبوا عليه وبعد عزله من المشيخة والنقابة وابطلوا العقد وفسخوا النكاح ببيت القاضي وتسلط عليه من له دين أو دعوى أو مطالبة حتى بيعه حصصه وكان قد اشترى مملوكا في أيام الفرنساوية جميل الصورة فلما حصل لما حصل ادعى عليه البائع انه اخذه بدون الثمن ولم يدفع له الثمن فلم يثبت عليه ذلك وكان المملوك ذهب من عنده وتم الامر والمصالحة على ان عثمان بك المرادي اخذ ذلك المملوك لنفسه وقد تقدم ذكر قصته في الحوادث السابقة ولم يزل المترجم على حالة حوله حتى تحركت عليه

داء النقرس وعجز عن حركة ... ونصف شهر ذي الحجة وصلى عليه بمشهد جده لأمه الشيخ شمس الدين بوا

الناهبون فسكن ببيت البارودي بباب الخرق ثم انتقل منه الى بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلي بحارة عابدين وجدد بها عمارة وكان له ابنة خرجت عن طورها في أيام الفرنسيس فلما اشيع حضور الوزير والقبودان والانكليز وظهورهم على الفرنساوية بالخروج من مصر فقتل ابنته المذكورة بيدها كم الشرطة فلما استقرت العثمانية بالديار المصرية عزل المترجم من نقابة الاشراف وتولاها السيد عمر مكرم كما كان قبل الفرنساوية ولما حضر محمد باشا خسرو وانهى اليه المكارهون له بانه مرتكب للموبقات ويعاقر الشراب وغير ذلك وان ابنته كانت تذهب الى الفرنسيس بعلمه وانه قتلها خوفا وتبرئة لنفسه من الشهرة التي لا يمكنه سترها ولا يقبل عذره فيها ولا التنصل منها وانه لا يصلح لمشيخة سجادة السادة البكرية وعرفوه ان هذا الامر فيما من سلالتهم يقال له الشيخ محمد سعد وهو من جملة اتباع المترجم ولكنه فقير لا يملك شيئا ولا دارا ولا مركوبا فقال الباشا أنا أراعيه واعطيه فاحضروه وله بعد ان البسوه تاجا كبيرا وثيابا وهو رجل مبارك طاعن في السن فالبسه فروة سمور وقدم له حصانا معدوا وقيد له ألف قرش وسكن دارا بناحية باب الخرق وتشوش حاله وخمل امر المترجم واشترى دارا بدرب الحمام بجهة الباب الاحمر

ونهب البلد واخذ منهم مالا كثيرا

(ذكر الحرب بين جاولي والفرنج)

وفي هذه السنة في صفر كان المصاف بين جاولي سقاوو وبين طنكري الفرنجي صاحب انطاكية وسبب ذلك ان الملك رضوان كتب الى طنكري صاحب انطاكية يعرفه ما عليه جاولي من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه ويعلمه انه على قصد حلب وانه ان ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه فاجابه طنكري الى منعه وبرز من انطاكية فارسل اليه رضوان ستمائة فارس فلما سمع جاولي الخبر ارسل الى القمص صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته واطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة فسار الى جاولي فلحق به وهو على منبج فوصل الخبر اليه وهو على هذه الحال بان الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه وامواله فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من اصحابه منهم اتابك زنكي بن آقسنقر وبكتاش النهاوندي وبقي جاولي في الف فارس وانضم اليه خلق من المطوعة فنزل بتل باشر وقاربهم طنكري وهو في الف وخمسمائة فارس من الفرنج سوى الرجالة وستمائة فارس من اصحاب الملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولي في ميمنته الامير اقسيان والامير التونتاش الابري وغيرهما وفي الميسرة الامير بدران بن صدقة والاصبهبذ صباوو وسنقر دراز وفي القلب القمص بغدوين وجوسلين الفرنجيين ووقعت الحرب فحمل اصحاب انطاكية على القمص صاحب الرها واشتد القتال فازاح طنكري القلب عن موضعه وحملت ميسرة جاولي على رجالة صاحب انطاكية فقتلت منهم خلقا كثيرا ولم يبق غير هزيمة صاحب انطاكية ففي تلك الحال عمد اصحاب جاولي الى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوها وانهزموا فمضى جاولي وراءهم فلم يرجعوا وكانت طاعته قد زالت عنهم حين اخذت الموصل منه فلما رأى انهم لا يعودون معه اهمته نفسه وخاف من المقام فانهزم وانهزم باقي عسكره فاما الاصبهبذ صباوو فسار نحو الشام واما بدران بن صدقة فسار الى قلعة جعبر واما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر واما جاولي فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير ونهب صاحب انطاكية اموالهم واثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج بحرب القمص وجوسلين الى تل باشر والتجأ اليهما خلق كثير من المسلمين فقتلاهم الجبل ودادوا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم الى بلادهم

(ذكر عود جاولي الى السلطان)

لما انهزم جاولي سقاوو وقصد الرحبة المذكور بها بلغه دونها في خمسة فوارس فاتفق ان طائفة من عسكر الامير مودود الذين اخذوا الموصل منه اغاروا على قوم من العرب يجاورون الرحبة فقاربوا جاولي وهم لا يشعرون به ولو علموا لاخذوه فلما رأى الحال كذلك علم انه لا يقدر ان يقيم في الجزيرة ولا بالشام ولا يقدر على شيء يحفظ به نفسه ويرجع اليه ويدا ويحم حفظ شير انصداباب السلطان محمد عن رغبة واختيار وكانوا اتقيا

كبيرا وصغيرا والكبير في مقدار حجر الطاحون والصغير في قدر بيض الدجاج وتهدمت منها دور وقتلت

ابن المطلب ووزر له ابو القاسم علي بن ابي نصر بن جهير وفيها في شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه وهي اخت السلطان محمد وكان الذي خطب خطبة النكاح القاضي ابو العلاء صاعد بن محمد النيسابوري الحنفي وكان المتولي لقبول العقد نظام الملك احمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة وكان الصداق مائة الف دينار ونثرت الجواهر والدنانير كان العقد باصبهان وفيها تولى مجاهد الدين بهروز شحنكية بغداد وكان سبب ذلك ان السلطان محمدا كان قبض على ابي القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلى ابي الفرج بن رئيس الرؤساء واعتقلهم عنده ثم اطلقهم الآن وقرر عليهم مالا يحملونه اليه فارسل مجاهد الدين بهروز لقبض المال وامره السلطان بعمارة دار المملكة ففعل ذلك وعمر الدار واحسن الى الناس فلما قدم السلطان الى بغداد ولاه شحنكية العراق جميعه وخلع على سعيد ابن حميد العمري صاحب جيش صدقة وولاه الحلة السيفية وكان حازما ذا راي وجلد وفيها سابع شوال ملك الامير سكمان القطبي صاحب خلاط مدينة ميافارقين بالامان بعد ان حصرها وضيق على اهلها عدة شهور وعدمت الاقوات بها واشتد الجوع باهلها فسلموها وفي هذه السنة في صفر قتل قاضي اصبهان عبيد الله بن علي الخطيبي بهمذان وكان قد تجرد في امر الباطنية تجردا عظيما وصار يلبس درعا حذرا منهم ويحتاط ويحترز فقصده انسان عجمي يوم جمعة ودخل بينه وبين اصحابه فقتله وقتل صاعد بن محمد بن عبد الرحمن ابو العلاء قاضي نيسابور يوم عيد الفطر قتله باطني وقتل الباطني ومولده سنة ثمان واربعين واربعمائة وسمع الحديث وكان حنفي المذهب وفي هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى ملك الفرنج فسار اليه وعارضه في البرية واخذ كل من فيه ولم يسلم منهم الا القليل ومن سلم اخذه العرب وفيها في فصح النصارى ثار جماعة من الباطنية في حصن شيزر على حين غفلة من اهله في مائة رجل فملكوه واخرجوا من كان فيه واغلقوا بابه وصعدوا الى القلعة فملكوها وكان اصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى وكانوا قد احسنوا الى هؤلاء الذين افسدوا كل الاحسان فبادر اهل المدينة الى الباشورة فاصعدهم النساء في الحبال من الطاقات وصاروا معهم وادركهم الامراء بنو منقذ اصحاب الحصن فصعدوا اليهم فكبروا عليهم وقاتلوهم فانخذل الباطنية واخذهم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم احد وقتل من كان على مثل رأيهم في البلد وفيها وصل الى المهدية ثلاثة نفر غرباء فكتبوا الى اميرها يحيى بن تميم يقولون انهم يعملون الكيمياء فاحضرهم عنده وامرهم ان يعملوا شيئا من صناعتهم فقالوا نعمل النقرة فاحضر لهم ما طلبوا من آلة وغيرها وقعد معهم هو والشريف ابو الحسن وقائد جيشه اسمه ابراهيم وكانا يختصان به فلما رأى الكيماويون المكان خاليا من جمع ثاروا بهم فضرب احدهم يحيى بن تميم على رأسه فوقعت السكين في عمامته فلم تصنع شيئا ورفسه يحيى فالقاه على ظهره ودخل يحيى بابا واغلقه على نفسه فضرب الثاني الشريف فقتله واخذ القائد

مواشي وآدمية وأهلكت زروعا كثيرة (وفي يوم الاحد رابعه) قتل الباشا حسين بن الكبيري وهو بترعة الفرعونية وأرسل رأسه الى مصر فعلقت بباب زويلة (وفي اواخره حضر) الباشا من ترعة الفرعونية وقد عجز عن سدها بعد أن بطل جهده وفرض الفرض العظيمة على البلاد واشغلوا المراكب في نقل الاحجار ليلا ونهارا والسيد محمد المحروقي متقيد لذلك ومقيم عند الآثار لتشهيل الحجارين ووسقها بالمراكب وقطعها من الجبل قطعا وصخورا فكانوا يثقبون الجبل بالغام البارود مثل عمل الافرنج وظهر في قطعهم كهوف ومغارات وتجاويف وتحدث الناس بذلك بانواع الاكاذيب والخرافات كقولهم ظهر في الجبل باب من حديد وعليه اقفال ففتحوه ونظروا من داخله اشخاصا على خيول الى غير ذلك (وفيه) حضر قاصد من قبودان باشا يطلب عوائده بالاسكندرية فقال لاجل الاسكندرية ينبغي أن تذهب الى الباشا بالترعة وتقابله فذهب اليه وقابله عند السدة فاعطاه ثلاث البدلة وأصبح ميتا فأخرجوه الى المقبرة ثم حضر قاصد آخر بخبر بوصول قابجي وعلى يده مرسومات أحدهما الاخبار عن صلح الدولة مع الانكليز والموسكوب وانفتاح

فاستمر على قومهم وتسلم الحصن فلما خرج من قيده قبض على ابن اتيل وقال لا اطلق عنه الا باطلاق فلان وهو اسير كان بدمشق من الفرنج فتخلص صدقين فقودي به واطلقا معا ولما وصل طغتكين الى دمشق بعد الهزيمة ارسل اليه ملك القدس يقول له لا تظن انني انقض الهدنة للذي تم عليك من الهزيمة فالملوك ينالهم اكثر مما نالك ثم تعود امورهم الى الانتظام والاستقامة وكان طغتكين خائفا ان يقصده بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما اراد

٭(ذكر صلح السنة والشيعة ببغداد)٭

في هذه السنة في شعبان اصطلح عامة بغداد السنة والشيعة وكان الشر منهم على طول الزمان وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين والشحن في اصلاح الحال فتعذر عليهم ذلك الى ان اذن الله تعالى فيه وكان بغير واسطة وكان السبب في ذلك ان السلطان محمدا لما قتل ملك العرب صدقة كما ذكرناه خاف الشيعة ببغداد اهل الكرخ وغيرهم لان صدقة كان يتشيع هو واهل بيته فشنع اهل السنة عليهم بانهم نالهم غم وهم لقتله فخاف الشيعة واغضوا على سماع هذا ولم يزالوا خائفين الى شعبان فلما دخل شعبان تجهز السنة لزيارة قبر مصعب بن الزبير وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة ومنعوا منه لتنقطع الفتن الحادثة بسببه فلما تجهزوا للسير اتفقوا على ان يجعلوا طريقهم في الكرخ فاظهروا ذلك فاتفق رأي اهل الكرخ على ترك معارضتهم وانهم لا يمنعونهم فصارت السنة تسير اهل كل محلة منفردين ومعهم من الزينة والسلاح شيء كثير وجاء اهل باب المراتب ومعهم فيل قد عمل من خشب وعليه الرجال بالسلاح وقصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه فاستقبلهم اهله بالبخور والطيب والماء المبرد والسلاح الكثير واظهروا بهم السرور وشيعوهم حتى خرجوا من المحلة وخرج الشيعة ليلة النصف منه الى مشهد موسى بن جعفر وغيره فلم يعترضهم احد من السنة فعجب الناس لذلك ولما عادوا من زيارة مصعب لقيهم اهل الكرخ بالفرح والسرور فاتفق ان اهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب فقرأ لهم قوم ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة

٭(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مزيد الى باب السلطان فقبله واكرمه وكان قد هرب بعد قتل والده الى الآن والتحق اخوه بدران بن صدقة بالامير مودود الذي اقطعه السلطان الموصل فاكرمه واحسن صحبته وفيها في نيسان زادت دجلة زيادة عظيمة وتقطعت الطرق وغرقت الغلات الشتوية والصيفية وحدث غلاء عظيم بالعراق بلغت الكارة الدقيق الخشكار عشرة دنانير امامية وعدم الخبز راسا واكل الناس التمر والباقلاء الاخضر واما اهل السواد فانهم لم ياكلوا جميع شهر رمضان ونصف شوال سوى الحشيش والتوت وفيها في رجب عزل وزير الخليفة ابو المعالي هبة الله

ابن

محمد الحنفي ودفن بمدرسته فلانه

بك المرادي)٭ ويعرف بباب الأوق لانه كان سا كذا هذا وهو من مماليك مراد بك واصله جركسي الجنس ولما اعتقه مراد بك انعم عليه بكشوفية اقليم الغربية ثم رجع الى مصر واقام بطالا متطلعا للامارة ويرى انه احق بها من غيره ولما رجع المصريون الى مصر بعد قتل طاهر باشا وكان الالفي غائبا ببلاد الانكليز انضم اليه عثمان بك البرديسي ووافقه على كراهة الالفي باطنية وكان هو احد المباشرين والعاملين بين حسين بك الوشاش بالبر الغربي في ليلة خروجهم وتعديتهم لملاقاة الالفي ثم خرج من مصر مع شريده ولم يزل حتى مات في منتصف شهر ربيع الاول من السنة المذكورة والله اعلم

(سنة اربع وعشرين ومائتين والف)

استهل شهر المحرم بيوم الخميس وفي تلك الليلة اعني ليلة الجمعة ثانيه مرت سحابة سوداء مظلمة في وقت العشاء وحصل رعد مزعج وبرق مستمر شديد اللمعان وامطرت في خلال ذلك قليلا وقوي كثيرا ثم انجلت الغمام بعد ما ظهرت النجوم وبعد ايام اخبر الواردون من ناحية بلاد الصعيد بالقرب انها امطرت بتلك الناحية في تلك الليلة مطرا

من بلد الفرنج في البحر ومقدمهم قمص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة فنزل على طرابلس وكان نازلا عليها قبله السرداني ابن اخت صنجيل وليس بابن اخت ريمند فهو قمص آخر فجرت بينهما فتنة ادت الى الشر والقتال فوصل طنكري صاحب انطاكية اليها معونة للسرداني ووصل الملك بغدوين صاحب القدس في عسكره فاصلح بينهم ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا في قتالها ومضايقة اهلها من اول شعبان والصقوا ابراجهم بسورها فلما رأى الجند واهل البلد ذلك سقط في ايديهم وذلت نفوسهم وزادهم ضعفا تأخر الاسطول المصري عنهم بالميرة والنجدة وكان سبب تأخره انهم فرغت الميرة منه ومن البحث عليه واختلفوا فيه اكثر من سنة وسار فردته الريح فتعذر عليهم الوصول الى طرابلس ليقضي الله امرا كان مفعولا وشد الفرنج القتال عليها من الابراج والزحف فهجموا على البلد وملكوه عنوة وقهرا يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة ونهبوا ما فيها واسروا الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال وغنموا من اهلها من الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحد ولا يحصى فان اهلها كانوا من اكثر اهل البلاد اموالا وتجارة وسلم الوالي الذي كان بها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فوصلوا الى دمشق وعاقب الفرنج اهلها بانواع العقوبات واخذت دفائنهم وذخائرهم من مكامنهم

(ذكر ملك الفرنج جبيل وبانياس)

لما فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكري صاحب انطاكية الى بانياس وحصرها وافتتحها وامن اهلها ونزل مدينة جبيل وفيها فخر الملك بن عمار الذي كان صاحب طرابلس وكان القوت فيها قليلا فقاتلها الى ان ملكوها في الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة بالامان وخرج فخر الملك بن عمار سالما ووصل عقيب ملك طرابلس الاسطول المصري بالرجال والمال والغلال وغيرها ما يكفيهم سنة فوصل الى صور بعد اخذها بثمانية ايام للقضاء النازل باهلها وفرقت الغلال التي فيه والذخائر في الجهات المنفذة اليها وصيدا وبيروت واما فخر الملك بن عمار فانه قصد شيزر فاكرمه صاحبها الامير سلطان بن علي بن منقذ الكناني واحترمه وساله ان يقيم عنده فلم يفعل وسار الى دمشق فانزله طغتكين صاحبها واجزل له في الحمل والعطية واقطعه اعمال الزبداني وهو عمل كبير من اعمال دمشق وكان ذلك في المحرم سنة اثنتين وخمسمائة

(ذكر الحرب بين محمد خان وساغر بك)

في هذه السنة عاود ساغر بك وجمع العساكر الكثيرة من الاتراك وغيرهم وقصد اعمال محمد خان بسمرقند وغيرها فارسل محمد خان الى سنجر يستنجده فسير اليه الجنود واجتمع معه ايضا كثير من العساكر وساروا الى ساغر بك فالتقوا بنواحي الخشب واقتتلوا فانهزم

قال انا لست آمن احمائهم وصدقائهم حتى انهم يضحكون على ذقني بهذه الامور وحيث انهم لا يرجعون عن الكلام في رؤسهم فلا بد من ورود جيش اليهم وقطع رؤسهم وارسل الى من بمصر من الاكابر يامرهم بالبراز والخروج فخرج حسن باشا وصالح اغا قوج وطاهر باشا واحمد بك والكثير من اعيانهم بعساكرهم وعدوا الى بر الجيزة ونصبوا وطاقهم وخيامهم ثم ان رضوان كتخدا الوزير لاطفه حتى توافق معه على وعد مقدار مسافة ذهاب الجواب ورجوعه اياما معدودة فلما حضر من الترسانة اخذ في التشهيل والخروج فانتقلت العساكر الى البر الغربي واخذ يتحث في المطلوبات وخروج الخيام وجمع المراكب وسافر قبودان بولاق الى جهة بحري لجمع المراكب وفرضوا على القرى غلالا وجمالا وذلك في عقب ما فرضه عليهم في مهمات الترسانة المتقدمة وخلافها من رشاوة القبطان والتقرير وما في ضمن ذلك من حق طرق المباشرين والمعينين مع ما الناس فيه من القحط والغلاء في الغلال وقلة بروزها وعدم وجود التقاوي والذين لا يقدرون على تحصيل الغلة يلزمونهم بدفع ثمنها باقصى القيمة بمصادقة المباشرين لذلك واعطائهم الرشوات

وحضر ايضا نعمان ميراخور باشا من عند ابراهيم بك وقابل الباشا على الترعة فلم ينفع

ابراهيم السيف فقاتل الكيخاوية ووقع الصوت فدخل اصحاب الامير يحيى فقتلوا الكيخاوية وتركان زيد وذى اهل الاقداس فقتل جماعة من اهل البلد على مثل زيهم وقيل للامير يحيى ان هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفة واتفق ان الامير ابا الفتوح بن تميم اخا يحيى وصل تلك الساعة الى القصر فى اصحابه وقد لبسوا السلاح فمنع من الدخول فثبت عند الامير يحيى ان ذلك برضى منهما فاحضر المقدم بن خليفة وامر اولاد اخيه فقتلوه قصاصا لانه قتل اباهم واخرج الامير ابا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم وهى ابنة عمه ووكل بهما فى قصر زياد بين المهدية وسفاقس فبقى هناك الى ان مات يحيى وملك بعده ابنه على سنة تسع وخمسمائة فسير ابا الفتوح وزوجته بلارة الى الديار المصرية فى البحر فوصلا الى اسكندرية على ما نذكره ان شاء الله وفيها فى المحرم قتل عبد الواحد بن اسمعيل بن احمد بن محمد ابو المحاسن الرويانى الطبرى الفقيه الشافعى مولده سنة خمس عشرة واربعمائة وكان حافظا للمذهب ويقول لو احترقت كتب الشافعى لامليتها من قلبى وفيها فى جمادى الآخرة توفى الخطيب ابو زكريا يحيى بن على التبريزى الشيبانى اللغوى صاحب التصانيف المشهورة وله شعر ليس بالجيد وفيها فى رجب توفى السيد ابو هاشم زيد الحسنى العلوى رئيس همذان وكان نافذ الحكم ماضى الامر وكانت مدة رياسته لها سبعا واربعين سنة وجده لامه الصاحب ابو القاسم بن عباد وكان عظيم المال جدا ومن ذلك انه اخذ منه السلطان محمد فى دفعة واحدة سبعمائة الف دينار لم يبع لاجلها ملكا ولا استدان دينارا وقام بعد ذلك بالسلطان محمد عدة شهور فى جميع ما يريده وكان قليل المعروف وفيها فى ذى الحجة توفى ابو الفوارس الحسن بن على الخازن الكاتب المشهور بجودة الخط وله شعر منه

عنت الدنيا لطالبها	واستراح الزاهد الفطن
عرف الدنيا فلم يرها	وسواه حظه الفتن
كل ملك نال زخرفها	حظه مما حوى كفن
يقتنى مالا ويتركه	فى كلا الحالين مفتتن
املى كونى على ثقة	من لقاء الله مرتهن
اكره الدنيا وكيف بها	والذى تسخو به وسن
لم تدم قبلى على احد	فلماذا الهم والحزن

وقيل توفى سنة تسع وتسعين واربعمائة وقد ذكرناه

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام)

فى هذه السنة حادى عشر ذى الحجة ملك الفرنج طرابلس وسبب ذلك ان طرابلس كانت قد صارت فى حكم صاحب مصر ونائبه فيها والمدد ياتى اليها منه وقد ذكرنا ذلك سنة احدى وخمسمائة فلما كان هذه السنة اول شعبان وصل اسطول كبير

العسكر وأمن المسافرين والثانى السابق المعروف بالمعدن تعين بالسفر للحرمين على طريق الشام وكذلك سليمان باشا والى بغداد تعين ايضا بالسفر من ناحيته على الدرعية واحضر الباشا تقريرا بالولاية مجددا وخلعة وسيفا

(واستهل شهر صفر بيوم السبت سنة ١٢٢٤)

فيه حضر الاغا الواصل الى بولاق فركب الاغوات ات الينكجرية والوالى وارباب العكاكيز فاركبوه فى موكب ودخلوا به من باب النصر وطلع الى القلعة وقرئ المراسيم بحضرة الجمع وبعد الفراغ من قراءتها ضربوا مدافع وشنكا (وفى ذلك اليوم) غيمت السماء بالسحاب وامطرت كثيرا ونزل مطر ببركة الحاج وجدوا فيه سمكا صغيرا من جنس السمك الذى يعرف بالقاروص وصار يتنطط على الارض واحضروا منه الى مصر وشاهدناه وهو فى غاية البرودة (وفيه) اهتم الباشا باخراج تجريدة الى الامراء القبليين وذلك انه تقدم بالارسال اليهم يطالبهم بالغلال والاموال الميرية المتراكمة العديدة وهم يعدون ولا يوفون ووصل اليه من عندهم رضوان كتخدا البرديسى وهو بالترعة ومعه أجوبة وهدية وفيها خيول وجمال وعبيد وسكر وحصيان فاغتاظ الباشا من

على ذلك فخرج الوالي وجماعة كثيرة من اعيان اهل البلد في العشرين من جمادى الاولى الى دمشق واقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وكانت مدة الحصار سبعة واربعين يوما ورحل بغدوين عنها الى القدس ثم عاد الى صيدا بعد مدة يسيرة فقرر على المسلمين الذين اقاموا بها عشرين الف دينار فافقرهم واستغرق اموالهم

● (ذكر استيلاء المصريين على عسقلان) ●

كانت عسقلان للعلويين المصريين ثم ان الخليفة الآمر باحكام الله استعمل عليها انسانا يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه واهدى اليه مالا وعروضا فامتنع به من احكام المصريين عليه الا فيما يريد من غير مجاهرة بذلك فوصلت الاخبار بذلك الى الآمر باحكام الله صاحب مصر والى وزيره الافضل امير الجيوش فعظم الامر عليهما وجهزا عسكرا وسيراه الى عسقلان مع قائد كبير من قواده واظهرا انه يريد الغزاة وانفذا الى القائد سرا ان يقبض على شمس الخلافة اذا حضر عندهم ويقيم هو عوضه بعسقلان اميرا فسار العسكر فعرف شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصري وجاهر بالعصيان واخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفا منهم فلما عرف الافضل ذلك خاف ان يسلم عسقلان الى الفرنج فارسل اليه وطيب قلبه وسكنه واقره على عمله واعاد عليه اقطاعه بمصر ثم ان شمس الخلافة خاف اهل عسقلان فاحضر جماعة من الارمن واتخذهم جندا ولم يزل على هذه الحال الى آخر سنة اربع وخمسمائة فانكر الامر اهل البلد فوثب به قوم من اعيانه وهو راكب فجرحوه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع ما فيها ونهبوا بعض دور العسكر من ارباب الاموال بهذه الحجة وارسلوا الى مصر بجلية الحال الى الآمر والافضل فسر بذلك واحسن الى الواصلين بالبشارة وارسل اليها واليا يقيم به ويستعمل مع اهل البلد الاحسان وحسن السيرة فتم ذلك وزال ما كانوا يخافونه

● (ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب وغيره)

في هذه السنة جمع صاحب انطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الاثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الامر على من به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقبا قصدوا ان يخرجوا منه الى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه فلما فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن اليه صبي ارمني فعرفه الحال فاحتاط واحترز منهم وجد في قتالهم حتى ملك الحصن قهرا وعنوة وقتل من اهله الفي رجل وسبى واسر الباقين ثم سار الى حصن زردنا فحصره وفتحه وفعل باهله مثل الاثارب فلما سمع اهل منبج بذلك فارقوها خوفا من الفرنج وكذلك اهل بالس وقصد الفرنج البلدين فرأوهما وليس بهما انيس فعادوا عنهما وسار عسكر من الفرنج الى مدينة صيدا فطلب اهلها منهم الامان فامنوهم وتسلموا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وايقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام

وهي اتم ما التزموا بثلثه مما عليهم من غلال الميري وقدره مائة الف اردب وسبعة آلاف اردب بعد مناقشات ومعاقدات والذي تولى المناقشات معهم مساعدا للباشا شاهين بك الالفي والموعد احد وثلاثون يوما وسافر على بك ايوب ورضوان بك البرديسي واكرمهما الباشا وخلع عليهما (وفي حادي عشره) قتل الباشا مصطفى اغا تابع حسن بك في قصبة رضوان تلطما وسبب ذلك انه لما نزل قبودان بولاق لجمع المراكب المطلوبة لسفر التجريدة تصادف بعضها من الارنؤد الذين يتسببون في بيع الغلال في مركب ومعه غلة وذلك عند قرية تسمى سهرجت فحجزه ليأخذ منه السفينة فقال كيف تأخذها وفيها غلالي قال اخرج غلالك منها على البر واتركها فانها مطلوبة لمهمات الباشا فلم يرض وخاف على تلفها ولم يجد سفينة اخرى لان جميع السفن مطلوبة مثلها وقال له عندما اصل بها الى مصر وانقل منها الغلة ارسلها لمن يأخذها فقال القبودان لا سبيل الى ذلك وتشاجرا فحنق القبودان على الارنؤدي وسل عليه سيفه ليضربه فعاجله الارنؤدي وضربه بالبندقية فقتله فاراد اتباع القبودان القبض عليه فقر منهم الى البلد فوجد جماعة من الدلاة منتظرين لقبض الفرصة فالتجأ اليهم فحموه واعتصموا وتنازع الفريقان وكان مصطفى اغا

صاغر بك وصار كره وأخذت السيوف منهم مأخذها وكثر الأسر فيهم والنهب فلما فرغ وأمن جانبهم وأمن محمد خان من قهر صاغر بك عاد العسكر السنجري الى خراسان فعبروا النهر الى بلخ

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة في المحرم سير السلطان وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك الى قلعة الموت لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الاسماعيلية فحصروهم وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضا وفيها في ربيع الآخر قدم السلطان الى بغداد وعاد عنها في شوال من السنة أيضا وفيها في شعبان توجه الوزير نظام الملك الى الجامع فوثب به الباطنية فضربوه بالسكاكين وجرح في رقبته فبقي مريضا مدة ثم برأ وأخذ الباطني الذي جرحه فسقي الخمر حتى سكر ثم سئل عن أصحابه فأقر على جماعة بمسجد المأمونية فأخذوا وقتلوا وفيها عزل وزير الخليفة وهو أبو المعالي بن المطلب ووزر بعده الزعيم أبو القاسم بن جهير فخرج ابن المطلب من دار الخليفة مستترا هو وأولاده واستجار بدار السلطان وفيها جهز يحيى بن تميم صاحب افريقية خمسة عشر شينيا وسيرها الى بلاد الروم فلقيها اسطول الروم وهو كبير فقاتلوهم وأخذوا ست قطع من شواني المسلمين ولم يهزم بعد ذلك ليحيى جيش في البحر والبر وسير ابنه أبا الفتوح الى مدينة سفاقس واليا عليها فثار به أهلها ونهبوا قصره وهموا بقتله فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم حتى فرق كلمتهم وبدد شملهم وملك رقابهم فسجنهم وعفا عن دمائهم وذنوبهم وفيها توفي الأمير ابراهيم ينال صاحب آمد وكان قبيح السيرة مشهورا بالظلم بحيث ان كثيرا من أهلها جلوا عنها لجوره وملك بعده ولده وكان أصلح حالا منه وفيها في ثامن ذي القعدة ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة الى القبلة وبقي يطلع الى آخر ذي الحجة ثم غاب

(ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا)

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيدا من ساحل الشام وسبب ذلك أنه وصل في البحر الى الشام ستون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحج البيت المقدس وليغزو بزعمه المسلمين فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقررت القاعدة بينهم أن يقصدوا بلاد الاسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برا وبحرا وكان الاسطول المصري مقيما على صور فلم يقدر على انجادهم فعمل الفرنج برجا من الخشب وأحكموه وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به فلما عاين أهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم وأشفقوا أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها الى الفرنج وطلبوا من ملكهم الأمان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم والعسكر الذي عندهم ومن أراد المقام بها عندهم أمنوه ومن أراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم

تحضوره أيضا ولم يسمع له قول ووضع مزيفا (وفي خامسه) حضر علي بك أيوب وصحبته آخر يقال له رضوان بك الجربجي قطامش الى القلعة وتقابلا مع الباشا والتخضع له علي بك أيوب وقبل رجله وترجى عنده في عدم خروج التجريدة وكلمه في أمر الغلال المنكسرة والجديدة وعلى أنهم يقومون بدفع الغلال القديمة بالثمن والجديدة بالكيل وليس عندهم مخالفة والقصد الامهال الى حصاد الغلال فقال انهم اذا حصدوا الغلال أخذوها وفروا الى الجبال واستمر هذا القيل والقال نحو أربعة أيام ثم أشيع في ثامنه الصلح وفرح الناس واستبشروا والأمر لما يترتب وما يحصل من الفساد وأكل الزروعات وخراب البلدان فانهم أكلوا في الأربعة أيام التي ترددوا فيها بالجيزة نيفا وخمسمائة فدان ولما أشيع بالجهة القبلية خروج العساكر للتجريدة انزعجوا وابتدوا من زروعاتهم وخرجوا من أوطانهم على وجوههم لا يدرون أين يذهبون بأولادهم ونسائهم ومواشيهم وتفرقوا في مصر والبلاد البحرية (وفي صبحها) أعيد أمر التجريدة وأشيع خروج العساكر ثانيا فانقبضت النفوس ثانيا وباتوا في نكد وطلبت السلف من المياسير والملتزمين وكتبت الدفاتر وحولت الأكياس وانبثت المعينون للطلب (وفي عاشره) حل أمر التجريدة وانقضى أمر الصلح على شروط

ودخل خراسان وولي التدريس بسمرقند فتوفي بها

(ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة)

(ذكر مسير العساكر الى قتال الفرنج)

في هذه السنة اجتمعت العساكر التي امرها السلطان بالمسير الى قتال الفرنج فكانوا الامير مودود صاحب الموصل والامير سكمان القطبي صاحب تبريز وبعض ديار بكر والامير ايلبكي وزنكي ابنا برسق ولهما همذان وما جاورها والامير احمديل وله مراغة وكوتب الامير ابو الهيجاء صاحب اربل والامير ايلغازي صاحب ماردين والامراء البكجية بالعراق بالملك مسعود ومودود ووافقهم واما الامير ايلغازي فانه سير ولده اياز واقام هو فلما اجتمعوا ساروا الى بلد سنجار ففتحوا عدة حصون للفرنج وقتلوا من بها منهم وحصروا مدينة الرها مدة ثم رحلوا عنها من غير ان يملكوها وكان سبب رحيلهم عنها ان الفرنج اجتمعت جميعها فارسها وراجلها وساروا الى الفرات ليعبروها ويمنعوا الرها من المسلمين فلما وصلوا الى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه واقاموا على الفرات فلما رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها الى حران ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات اليهم ويقاتلوهم فلما رحلوا عنها جاء الفرنج ومعهم الميرة والذخائر الى الرها فجعلوا فيها كل ما يحتاجون اليه بعد ان كانوا قليلي الميرة وقد اشرفوا على ان يؤخذوا واخذوا كل من فيها من عاجز وضعيف وفقير وعادوا الى الفرات فعبروه الى الجانب الشامي وطرقوا اعمال حلب فافسدوا ما فيها ونهبوها وقتلوا فيها واسروا وسبوا خلقا كثيرا وكان سبب ذلك ان الفرنج لما عبروا الى الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب الى ما اخذه الفرنج من اعماله فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلما عادوا وعبروا الفرات فعلوا باعماله ما فعلوا واما العسكر السلطاني فانه لما سمع بعود الفرنج وعبورهم الفرات رحلوا الى الرها وحصروها فرأوا امرا محكما قد قويت نفوس اهلها بالذخائر التي تركت عندهم وبكثرة المقاتلين عندهم ولم يجدوا فيها مطمعا فرحلوا عنها وعبروا الفرات فحصروا قلعة تل باشر خمسة واربعين يوما ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضا ووصلوا الى حلب فاغلق الملك رضوان ابواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الامير سكمان القطبي وعاد مريضا فتوفي في بالس فجعله اصحابه في تابوت وحملوه عائدين الى بلاده فقصدهم ايلغازي ليأخذهم ويغنم ما معهم فجعلوا تابوته في القلب وقاتلوا بين يديه فانهزم ايلغازي وغنموا ماله وساروا الى بلادهم ولما اغلق الملك رضوان ابواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانية رحلوا الى معرة النعمان واجتمع بهم طغتكين صاحب دمشق ونزل على الامير مودود فاطلع من الامراء على نيات فاسدة في حقه فخاف ان يأخذوا منه دمشق فشرع في مهادنة الفرنج سرا وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين فلم يتم ذلك وتفرقت العساكر وكان سبب تفرقهم ان الامير برسق بن برسق الذي هو اكبر الامراء كان به نقرس فهو يحمل في محفة ومات سكمان القطبي كما ذكرنا

وذهب الى ناحية الشيخ فرج وتحصل ببولاق قلقة وارتجاج ثم ركب الباشا وارجعا الجمارك بالازبكية ووقفت العرضي وكثرت الارجاف والقلقلة بين الارنؤد والدلاتية (وفي خامس عشره) قتل الارنؤد شخصين من الدلاتية ايضا جهة قناطر السباع ثم ان القاتل الذي قتل القبودان التجا الى كبير من كبار الارنؤد فارسل الباشا الى حسن باشا يطلب منه قاتل المذكور فكان في طلبه اوانه يقطع رأس القاتل ويرسلها فكانه فعل وارسل اليه برأس ملفوفة في ملاية تسكينا لحدته وبردت القضية وسكنت الحدة وراحت على من راح عليه (وفي اواخره) امر الباشا بعمل دفاتر فرضة الاطيان وزادوا فيها عن علم الشراقي الماضي الثلث ووزعوها وقبضوها ارباع مراتب ثم بدل ضريبة الاخرى مائة نصف فضة اعلاه يبلغ ثمانمائة نصف فضة على ان الفرضة الماضية بقي الكثير منها لعدم خراب القرى وعجزهم واحتال لتنظيم ذلك من الافندية والاقباط بجهات متباعدة الافندية بربع ايوب ببولاق والاقباط بدرب مصر العتيقة حتى حرروا ذلك وتمموه وزيموه في عشرة ايام ووقع الطلب في جانب بهلا سموه التروبعة (وفيه) امر الباشا غير بك الارنؤد بالخروج من مصر وقطع ترجمه ورواتبه هو ومن ... لما فيها الموجا سيه على

لعدم الحامي لها والمانع عنها فشرع اصحاب البلاد الاسلامية بالشام في الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الاجابة الا على قطيعة يأخذونها الى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين الف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على اربعة آلاف دينار وصالحهم على الكردي صاحب حماة على الفي دينار وكانت مدة الهدنة الى وقت ادراك الغلة وحصادها ثم ان مراكب اقلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الامتعة الكثيرة فوقع عليها مراكب الفرنج فاخذوها وغنموا امتعة التجار واسروهم فسار جماعة من اهل حلب الى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان انفاذ العساكر للجهاد وسير من دار الخلافة منبرا الى جامع السلطان فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغداد فمنعهم حاجب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا شباك المقصورة وهجموا الى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة ايضا فارسل الخليفة الى السلطان في المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه فتقدم حينئذ الى من معه من الامراء بالمسير الى بلادهم والتجهز للجهاد وسير ولده الملك مسعودا مع الامير مودود صاحب الموصل وتقدموا الى الموصل ليلحق بهم الامراء ويسيروا الى قتال الفرنج وانقضت السنة وساروا في سنة خمس وخمسمائة وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل نظام الملك احمد من وزارة السلطان ووزر بعده الخطير محمد بن الحسين الميبذي وفيها ورد رسول ملك الروم الى السلطان يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد وكان وصوله قبل وصول اهل حلب وكان اهل حلب يقولون للسلطان اما تتقي الله تعالى ان يكون ملك الروم اكثر حمية منك للاسلام حتى قد ارسل اليك في جهادهم وفيها في رمضان زفت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة وزينت بغداد وغلقت وكان جهازا عظيما لم يشاهد الناس مثلها وفيها هبت بمصر ريح سوداء اظلمت بها الدنيا واخذت بانفاس الناس ولم يقدر احد يفتح عينيه ومن فتحها لا يبصر يده ونزل على الناس رمل ويئس الناس من الحياة وايقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد الى الصفرة وكان ذلك من اول وقت العصر الى بعد المغرب وفيها في المحرم توفي الكيا الهراسي الطبري واسمه ابو الحسن على بن محمد بن على وكان من اعيان الفقهاء الشافعية اخذ الفقه عن امام الحرمين الجويني ودرس بعده في النظامية ببغداد وتوفي بها ودفن عند تربة الشيخ ابي اسحق ودرس بعده في النظامية الامام ابو بكر الشاشي وفيها توفي ابو الحسين ادريس بن حمزة بن على الرملي الفقيه الشافعي من اهل الرملة تفقه على ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي وعلى الشيخ ابي اسحق الشيرازي

المذكور ملتزم البلدة هناك وغالبا في بعض شؤنه فبلغه الخبر فحضر اليهم وخاف من وقوع قتل أو شر يقع بالبلدة فيكون سببا لخراب الناحية فقال يا جماعة اذهبوا بنا الى الباشا ايرى رأيه فرضوا بذلك وحضر بصحبتهم القاتل معهم وطلعوا الى ساحل بولاق فعندما وصلوا الى البر هرب القاتل وذهب عند عمر بك الارنؤدي الساكن ببولاق فتبعه الامير مصطفى المذكور فقال لعمر بك اذهب الى الباشا واخبره انه عندي واقضه لا باس عليك فضلا فقال له الباشا ولاي شيء لم تحتفظ عليه وتركته حتى يهرب فاعتذر بعدم قدرته على ذلك من الدلاتية الملتجئ اليهم وكانهم هم الذين اطلقوه فامر بحبسه فارسل الى عمر بك فحضر الى الباشا وترجى في اطلاقه ووعده انه في غد يطلقه اذا احضر القاتل فقال انه عند زعيراغا وهو لا يسلم فيه وركب الى داره فلما كان في الصباح امر بقتل الامير مصطفى المذكور فانزلوه الى الرميلة ورموا رقبته عند باب القلعة تلقاء (وفي صبحها) ايضا قتلوا شخصا من الدلاة بسبب هذه الحادثة (وفي ثاني يوم) قتل الارنؤد شخصين من الدلاة ايضا (وفي يوم الخميس ثالث عشره ارسل الباشا وطلب الارنؤدي) القاتل للقبودان من عمر بك وشدد في طلبه وقال ان لم يرسلوه الا مرتفت عليهما رد فامتنع من ارساله ورجع الى مصاقبة الارنؤد وصاح اغاقوج جار دوركب الباشا

التجى الرجال اليه فسقط الطائر على مركب الفرنج فأخذه رجلان مسلم وافرنجي فقال
الفرنجي نطلقه لعل فيه فرجا لهم فلم يمكنه المسلم وحمله الى الملك بغدوين فلما وقف عليه
سير مركبا الى المكان الذي ذكره طغتكين وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا اليه
من صور فوصل اليهم العسكر فكلموهم بالعربية فلم ينكروهم وركبوا معهم فأخذوهم
اسرى وحملوهم الى الفرنج فقتلوهم وطمعوا في أهل صور وكان طغتكين يغير على
أعمال الفرنج من جميع جهاتها وقصد حصن الحبيس في السواد من اعمال دمشق وهو
للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كل من فيه وعاد الى الفرنج الذين على صور وكان
يقطع الميرة عنهم في البر فأحضروها في البحر وخندقوا عليهم ولم يخرجوا اليه فسار الى
صيدا واغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية واحرق نحو عشرين مركبا على الساحل
وهو مع ذلك يواصل اهل صور بالكتب يأمرهم بالصبر والفرنج يلازمون قتالهم
وقاتل أهل صور قتال من أيس من الحياة فدام القتال الى اوان ادراك الغلات فخاف
الفرنج أن طغتكين يستولي على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال الى عكا
وعاد عسكر طغتكين اليه واعطاهم اهل صور الاموال وغيرها ثم اصلحوا ما تشعث من
سورها وخندقها وكان الفرنج قد طموه

(ذكر انهزام الفرنج بالاندلس)

في هذه السنة خرج ادفونش الفرنجي صاحب طليطلة بالاندلس الى بلاد الاسلام يطلب
ملكها والاستيلاء عليها وجمع وحشد فاكثر وكان قد قوي طمعه فيها بسبب
موت امير المسلمين يوسف بن تاشفين فجمع امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين
العسكر وسار اليه في عدد كثير وجموعه فلقيه فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر للمسلمين
وانهزم الفرنج وقتلوا قتلا ذريعا واسر منهم جمع كثير وسبي منهم وغنم من اموالهم
ما يخرج عن الاحصاء فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من قصد بلاده وذل ادفونش
حينئذ وعلم ان في البلاد حاميا لها وذابا عنها وفي هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الامام
أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الامام المشهور

(ثم دخلت سنة ست وخمسمائة)

في هذه السنة في المحرم سار مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره
زروعها ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك واهمل الفرنج ولم يحترزوا منهم فلم يشعر
الا وجوسلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة في المرعى فاخذ
الفرنج كثيرا منها وقتلوا كثيرا من العسكر فلما تأهب المسلمون للقائه عاد عنهم الى
سروج وفيها رحل السلطان محمد من بغداد وكان مقامه هذه المرة خمسة اشهر فلما وصل
الى اصبهان قبض على زين الملك ابي سعد القمي وسلمه الى الامير كاميار لعداوة بينهما
فلما وصل الى الري اركبه كاميار على دابة بمركب ذهب واظهر ان السلطان خلع عليه
على مال قرره عليه فحصل بذلك مالا كثيرا من اهل القمي ثم صلبه وكان سبب قبضه

مجرى البحر الشرقي وغزر ماؤه وجرت فيه السفن من دمياط بعد ان كان مخاضة
ووصلت هذه الزيادة النيل حتى
انعكس فيه وخالط الطين ماء
البحر الملح الى قبلي فارسكور
واقام السد مع بلا ما بتابع
الانتقر لمحاربته وتعهد الخلل
وكثر المحسر من النشح والتنفيس
وسكن هناك ولم يفارقه
واستمر في هذه الوظيفة والخدمة
ولم يقم بمصر (وفي هذا الشهر
وما قبله) نشطت الغلال
وغلا سعرها حتى بلغ الاردب
القمح الفا ومئتا نصف
فضة وعز وجوده بالرقع
والعرصات واما السواحل
فلا يكاد يوجد بها شيء من
الفهم بطول السنة ولولا لطف
الله بوجود الذرة لهلكت
الخلائق ومع ذلك استمرار
المغارم والفرض حتى فرض
الغلة عين وكذلك تبن وجمال
وما ينضاف الى ذلك مما
يعسر تحريره مما يطول شرحه
(وفيه) نودي على صرف
الفرانسه والمحبوب والمنكا
نودي في العام الماضي لانه
لما نودي بنقص صرفها
ومضى نحو الشهر او الشهرين
رجع الصرف الى ما كان
عليه وزيادة فتفاحش الامر
كذلك وسبب ذلك الخلاف مادام
الكرب والضيق بالناس
على ان هذه المناداة والاوامر
بالنقص والزيادة ليست من
باب الشفقة على الناس ولا
الرحمة بهم وانما هي بحسب
اغراضهم وزيادة طمعهم فانه اذا توجهت المطالبات بالعرض والمغارم نودي بالنقص لتزيد الفرط وتتوفر

وا وال الامير احمد يل صاحب مراغة اليه وليطلب من السلطان ان يقطعه ما كان له بكمان من البلاد واتابك طغتكين صاحب دمشق خاف الامراء على نفسه فلم يحضرهم الا انه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودة وصداقة فتفرقوا العساكر الاسباب بن بقي مودود وطغتكين بالمعرة فساروا اليها ونزلوا على نهر العاصي ولما سمع الفرنج بتفرق عساكر الاسلام طمعوا وكانوا اذا اجتمعوا كلهم بعد الاختلاف والتباين وساروا الى فامية فجمع بهم سلطان بن منقذ صاحب شيزر فسار الى مودود وطغتكين وهون عليهما امر الفرنج وحرضهما على الجهاد فرحلوا الى شيزر ونزلوا عليها ونزل الفرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة وألزموهم بالقتال والفرنج يحفظون نفوسهم ولا يعطون مصافا فلما رأوا قوة المسلمين عادوا الى فامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من ادركوه في ساقتهم وعادوا الى شيزر في ربيع الاول

٥(ذكر حصر الفرنج مدينة صور)٥

لما تفرقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها فساروا اليها مع الملك بغدوين صاحب القدس وحشدوا وجمعوا ونازلوها وحصروها في الخامس والعشرين من جمادى الاولى وعملوا عليها ثلاثة ابراج خشب علو البرج سبعون ذراعا وفي كل برج الف رجل ونصبوا عليها المجانيق والصقوا احدها الى سور البلد واخلوه من الرجال وكانت صور للآمر باحكام الله العلوي ونائبه بها عز الملك الاعز فاحضر اهل البلد واستشارهم في حيلة يدفعون بها شر الابراج عنهم فقام شيخ من اهل طرابلس وضمن على نفسه احراقها واخذ معه الف رجل بالسلاح التام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج الى ان وصلوا الى البرج الملتصق بالمدينة فالقى الحطب من جهاته والقى فيه النار ثم خاف ان يشتغل الفرنج الذين في البرج باطفاء النار ويتخلصوا فرماهم بجرب كان قد اعدها علواً من العذرة فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث فتمكنت النار منه فهلك كل من به الا القليل واخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب ثم اخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط والزفت والكتان والكبريت ورماهم بسبعين سلة وأحرق البرجين الآخرين ثم ان أهل صور حفروا سراديب تحت الارض ليسقط فيها الفرنج اذا زحفوا اليهم وليخسف برج ان عملوه وسيروه اليهم فاستأمن نفر من المسلمين الى الفرنج واعلموهم بما عملوه فحذروا منها وارسل أهل البلد الى اتابك طغتكين صاحب دمشق يستنجدونه ويطلبون ليسلموا البلد اليه فسار في عساكره الى نواحي بانياس وسير اليهم نجدة مائتي فارس فدخلوا البلد فامتنع من فيه بهم واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات ففني نشاب الاتراك فقاتلوا بالخشب وفني النفط فظفروا ببئر تحت الارض فيه نفط لا يعلم من خزنه ثم ان عز الملك صاحب صور أرسل الاموال الى طغتكين ليكثر من الرجال ويقصدهم ليرحلوا عن البلد فارسل طغتكين ما اتى اليه رقعة ليعلمه وصول المال ويأمره ان يتم ركابا فكان ذكره

المتكلم له واحد من الالف وكذلك حلوان البلاد التي في تعهدته فبلغ نحو ستمائة كيس ووزعت على دائرة الباشا وخلافهم وكان الباشا ضبط جملة من حصص الناس واستولى عليها من بلاد القليوبية بجهة شبرا واختصها لنفسه فلما استولى على حصص عمر بك ودفع له حلوانها وهي بالمنوفية والغربية والبحيرة عوض بعض من براهم جانبه من ذلك واخذ عمر بك ومن يلوذ به في تسهيل انفسهم وقضاء حوائجهم

٥(واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٤)٥

فيه شرع السيد عمر مكرم نقيب الاشراف في عمل مهم لختان ابن ابنته ودعا الباشا والاعيان وارسلوا اليه الهدايا والتقادم وعمل له زفة يوم الاثنين سادس عشره مشى فيها ارباب الحرف والعربات والملاعيب وجمعيات وعصب صعايدة ومغاربة من اهالي بولاق والمكوة والحسينية وغيرها من جميع الاصناف وطبول وزمور وجموع كثيرة فكان يوما مشهودا اكثرت فيه الاماكن الفرجة وكان هذا الفرح هو آخر سطوة السيد عمر بمصر فانه حصل له عقيب ذلك ما سيتلى عليك قريبا من النفي والخروج من مصر (وفيه) كمل سد ترعة الفرعونية واستقر العمل فيها وفي تأييده بالاحجار والمشحات والاتربة نحو ستة اشهر وصرف عليها من الاموال ما لا يحصى ويجري

لقيه

ووصل الفرنج الى مضيق دون طبرية فلقيهم صاحب طرابلس وانطاكية فقويت نفوسهم بهم وعاودوا الحرب فاحاط بهم المسلمون من كل ناحية وصعد الفرنج الى جبل غربي طبرية فاقاموا به ستة وعشرين يوما والمسلمون بازائهم يرمونهم بالنشاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلهم يخرجون الى قتالهم فلم يخرج منهم احد فسار المسلمون الى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا الى القدس وخربوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى وانقطعت المادة عنهم لبعدهم عن بلادهم فعادوا ونزلوا بمرج الصفر الامير مودود وأذن للعساكر في العود والاستراحة ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة وبقي في خواصه ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الاول ليقيم عند طغتكين الى الربيع فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الاول ليصلي فيه هو وطغتكين فلما فرغوا من الصلاة خرج الى صحن الجامع ويده في يد طغتكين وثب عليه باطني فضربه فجرحه اربع جراحات وقتل الباطني واخذ رأسه فلم يعرفه احد فاحرق وكان صائما فحمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله الا صائما فمات من يومه رحمه الله فقيل ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله وكان خيرا عادلا كثير الخير (حدثني) والدي قال كتب ملك الفرنج الى طغتكين بعد قتل مودود كتابا من فصوله ان امة قتلت عميدها يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله ان يبيدها ولما قتل تسلم تميرك صاحب سنجار ما معه من الخزائن والسلاح وحملها الى السلطان ودفن مودود بدمشق في تربة دقاق صاحبها وحمل بعد ذلك الى بغداد فدفن في جوار ابي حنيفة ثم حمل الى اصبهان

(ذكر الخلف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما)

في هذه السنة كثر الحديث عند سنجر أن محمد خان بن سليمان بن داود قد مد يده الى اموال الرعايا وظلمهم ظلما كثيرا وانه خرب البلاد بظلمه وشره وانه قد صار استخف باوامر سنجر ولا يلتفت الى شيء منها فتجهز سنجر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر فخاف محمد خان فارسل الى الامير قماج وهو اكبر امير مع سنجر يسأله أن يصلح الحال بينه وبين سنجر وارسل ايضا الى خوارزمشاه بمثل ذلك وسألهما في اعتذار السلطان عنه واعترف بانه اخطأ فاجاب سنجر الى صلحه على شرط ان يحضر عنده ويطأ بساطه فارسل محمد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه ولكنه يحضر الخدمة ويخدم السلطان وبينهما نهر جيحون ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده والدخول اليه فسألوا الاجابة الى ذلك والاستقالة بغيره فامتنع ثم اجاب وكان سنجر على شاطئ جيحون من الجانب الغربي وجاء محمد خان الى الجانب الشرقي فترجل وقبل الارض وسنجر راكب وعاد كل واحد منهما الى خيامه ورجعوا الى بلادهم وسكنت الفتنة بينهما

(ذكر عدة حوادث)

استولى على ذلك واخذ المتاع والمصاغ والجواهر والعقار واخذ الحصص والتخ
حلوانها وذلك بيد محمود بك الدويدار فلما حضر صالح آغا لم يجد شيئا لا دار ولا عقار ولا ما فتح نار فنزل عند علي بك ايوب بحارة شمس الدولة فحضر اليه محمود بك الدويدار والترجمان واخذا بخاطره وطمناه واخبراه ان الباشا سيعوض عليه ما ذهب منه وزيادة وزرعاله فوق السطوح فلم يسعه الا التسليم (وفيه) سقط سقف القصر الذي انشاه الباشا بشبرا وشرعوا في تعميره ثانيا (وفيه) وصل الخبر بحضور زوجة الباشا ام اولاده وابنه الصغير وصحبتها اسمعيل وابن بونابارته الخازندار وكثير من اقاربهم واهاليهم حضر الجميع من بلادهم قوله الى الاسكندرية وذلك انهم لما طابت لهم مصر واستوطنوها وسكنوها وتمهدوا فيها ارسلوا الى اهاليهم واولادهم واقاربهم بالحضور فكانوا في كل وقت يأتون افواجا افواجا نساء ورجالا واطفالا فلما وصل خبر وصولهم الى الاسكندرية سافر لملاقاتها ايضا ابراهيم بك الدفتردار وذلك حادي عشره (وفي ثالث عشره) حضر المذكور قبل حضور الواصلين ولما وصلوا نزل الباشا لملاقاتهم الى بولاق (وفي يوم الاثنين رابع عشره) نبهوا على جميع
النساء والخوندات وكل من كانت لها اسم في الالتزام ان يركبن باسرهن ويذهبن الى ملاقاة

انه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان وفيها ظهر ببغداد رجل مغربي يعمل الكيمياء فزعم ... اسمه ابو علي فحمل الى دار الخلافة وكان آخر العهد به وفيها ورد الى بغداد يوسف بن ايوب الهمذاني الواعظ وكان من الزهاد العابدين فوعظ الناس بها فقام اليه رجل متفقه يقال له ابن السقا فآذاه في مسئلة وعاوده فقال له اجلس فاني أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير دين الاسلام فاتفق بعد مديدة ان ابن السقا خرج الى بلاد الروم وتنصر وفيها في ذي القعدة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة ولم يكن بالسماء غيم حتى يظن انه صوت رعد ولم يعلم احد اي صوت كان وفيها توفي بسيل الارمني صاحب الدروب بلاد ابن لاون فسار طنكري صاحب انطاكية اول جمادى الآخرة الى بلاده طمعا في ان يملكها فمرض في طريقه فعاد الى انطاكية فمات ثامن جمادى الآخرة وملكها بعده ابن اخته سرخال واستقام الامر فيها بعد ان جرى بين الفرنج خلف بسببه فاصلح بينهم القسوس والرهبان وفيها توفي قراجة صاحب حمص وكان ظالما وقام ولده قرجان مكانه وكان مثله في قبح السيرة وفي هذه السنة توفي المعمر علي ابو سعد بن ابي شامة الواعظ البغدادي ومولده سنة تسع وعشرين واربعمائة وكان له خاطر حاد ومجون حسن وكان الغالب على وعظه اخبار الصالحين وتوفي احمد بن الفرج بن عمر الدينوري والد شهدة وكان يروي عن ابي يعلى بن الفراء وابن المامون وابن المهتدي وابن النقور وغيرهم وكان حسن السيرة متزهدا وتوفي ابو العلاء صاعد بن منصور بن اسمعيل بن صاعد الخطيب النيسابوري وكان من اعيان الفقهاء وولي قضاء خوارزم وكان يروي الحديث

(ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة)

(ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود)

في هذه السنة في المحرم اجتمع المسلمون وفيهم الامير مودود بن التونتكين صاحب الموصل وتميرك صاحب سنجار والامير اياز بن ايلغازي وطغتكين صاحب دمشق وكان سبب اجتماع المسلمين ان ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق ونهبه وخربه اواخر سنة ست وخمسمائة وانقطعت المواد عن دمشق فغلت الاسعار فيها وقلت الاقوات فارسل طغتكين صاحبها الى الامير مودود يشرح له الحال ويستنجده ويحثه على سرعة الوصول اليه فجمع عسكرا وسار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ست وخمسمائة فخافه الفرنج واجتمع طغتكين به بسلمية واتفق رأيهم على قصد بغدوين ملك القدس فساروا الى الاردن فنزل المسلمون عند الاقحوانة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم واشتد القتال وصبر الفريقان ثم ان الفرنج انهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وممن اسر ملكهم بغدوين فلم يعرف فاخذ سلاحه واطلق فنجا وغرق منهم في بحيرة طبرية ونهر الاردن كثير وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم

لم الزيادة وحصل التشديد والمعاقبة على من يقبض بالزيادة من اهل الاسواق واذا كان الدفع من خزائنهم في علائف العسكر ولوازمهم الكبيرة قبضوها بالزيد من الزيادة التي نادوا عليها من غير مبالاة ولا احتشام تناقض حالة الا السكوت عنه (وفي اواخره) تواجدت الغلال والغلال والخل بمصر وحضر الفلاحون بدارى الغلة وانحط السعر والحمد لله

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٤)

في سادسه وردت مراسيم من الروم ببشارة بولادة ولدت للسلطان وسموها فاطمة وفي المراسيم الامر بالزينة فاقتضى الراي ان يعملوا شنكا ومدافع من القلعة تضرب في الاوقات الخمسة سبعة ايام وهذا شيء لم يسمع بمثله فيما سبق ان يعملوا لاجل انثى شنكا او زينة او يذكرون ذلك مطلقا وانما يعمل ذلك للولد الذكر من بدع الاعاجم (وفي يوم الثلاثاء ثامنه) حضر من الامراء المصريين القبالي مرزوق بك ابن ابراهيم بك وسليم اغا مستحفظان وقاسم بك سلحدار مراد بك وعلي بك ايوب حسب الاتفاق المتقدم في تقرير الصلح ولكن لم يكن سليم اغا مذكورا في الحضور بل كان متخوفا ومتنعا من التداخل في هذه الاحوال والسبب في حضوره ان زوجته توفيت من نحو نصف شهر بعضر الاجل تركها وبعث اليها متاعه الذي عنده او بعضه ولما حضر وجد الباشا

نصر بن الصباغ وفيها توفي أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن الحسن الساجي الحافظ المقدسي ومولده سنة خمس وأربعين وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث وتفقه على ابي اسحق وكان ثقة

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة)

● (ذكر مسير آقسنقر البرسقي الى الشام لحرب الفرنج) ●

في هذه السنة سير السلطان محمد الامير آقسنقر البرسقي الى الموصل واعمالها واليا عليها لما بلغه قتل مودود وسير معه ولده الملك مسعودا في جيش كثيف وامره بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصل به عماد الدين زنكي بن آقسنقر الذي ملك هو واولاده الموصل بعد ذلك وكان له الشجاعة في الغاية واتصل به ايضا تميرك صاحب سنجار وغيرهما فسار البرسقي الى جزيرة ابن عمر فسلمها اليه نائب مودود بها وسار معه الى ماردين فنازلها البرسقي حتى اذعن له ايلغازي صاحبها وسير معه عسكرا مع ولده اياز فسار عنه البرسقي الى الرها في خمسة عشر الف فارس فنازلها في ذي الحجة وقاتلها وصبر له الفرنج واسروا من بعض المسلمين فرقة فاخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ وحمي المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من اعيانهم واقام عليها شهرين وايام وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها الى سميساط بعد ان خربوا بلد الرها وبلد سروج وبلد سميساط واطاعه صاحب مرعش على ما نذكره ثم عاد الى شحنان
(١) فقبض على اياز بن ايلغازي حيث لم يحضر ابوه ونهب سواد ماردين

● (ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البرسقي) ●

في هذه السنة توفي بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فاستولت زوجته على المملكة وتحصنت من الفرنج واحسنت الى الاجناد وراسلت آقسنقر البرسقي وهو على الرها واستدعت منه بعض اصحابه لتطيعه فسير اليها الامير سنقر دراز صاحب الخابور فلما وصل اليها اكرمته وحملت اليه مالا كثيرا وبينما هو عندها اذ جاء جمع من الفرنج فواقعوا اصحابه وهم نحو مائة فارس واقتتلوا القتال الشديد ظفر فيه المسلمون بالفرنج وقتلوا منهم اكثرهم وعاد سنقر دراز وقد اصحبته الهدايا للملك مسعود والبرسقي واذعنت بالطاعة ولما عرف الفرنج ذلك عاد اكثر من عندها الى انطاكية

● (ذكر الحرب بين البرسقي وايلغازي واسر ايلغازي) ●

لما قبض البرسقي على اياز بن ايلغازي سار الى حصن كيفا وصاحبها الامير ركن الدولة داود ابن اخيه سقمان فاستنجده فسار معه في عسكره واحضر خلقا كثيرا من التركمان وسار الى البرسقي فلقيه في اواخر السنة واقتتلوا القتال الشديد فصبر واقيه فانهزم البرسقي وعسكره وخلص اياز بن ايلغازي من الاسر فارسل السلطان اليه يتهدده فخافه

الوزير يوسف باشا وعلى يده مرسوم مضمونه طلب ما كان أخذه حين كان بمصر على

اوراق الاقطاعات والفراغات وتقاسيط الالتزام الذي بموجبه تصرفا البلاد ونحو ذلك وجعل ايراد ذلك لنفسه فارسل يطلب ذلك من تاريخ سنة ١٢١٧ سبعة عشر ومائتين والف الى وقت تاريخه حسب قدره ذلك فبلغ نيفا واربعة آلاف كيس (وفيه) شرعوا في تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين وقرروا آخر بفرض مال على الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والاسبلة والخيرات وجهات البر والصدقات وكذلك اطيان الاوسية المختصة ايضا بالملتزمين وكتبوا بذلك مراسيم الى القرى والبلاد وعينوا بها معينين وحق طرق من طرف كشاف الاقاليم بالكشف على الرزق المرصدة على المساجد والخيرات وتقدموا الى كل متصرف في شيء من هذه الاطيان وواضع عليها يده بان ياتي بسنده الى الديوان ويجدد سنده ويقوى بمرسوم جديد وان تاخر عن الحضور في ظرف اربعين يوما رفع عنه ذلك ويحكم لغيره وذكروا في رسوم الارسالية وجعلوا لطرق الاسماع تكبيرها بانه اذا مات السلطان او عزل بطلت تواقيعه ومراسيمه وكذلك توليته ويحتاج الى تجديد تواقيع من نواب المتولي الجديد ونحو ذلك ثم ليعلم ان هذه الارصادات والاطيان موضوعة من ايام الملك الناصر يوسف صلاح الدين

امراة الباشا ببولاق وذلك صبح يوم الاربعاء واشتدت الشنيعة بالمرادية بانها مريضة ولا تقدر على الحركة والخروج فلم يقبلوا لها عذرا فلما كان صبح يوم الاربعاء اجتمع السواد الاعظم من النساء بساحل بولاق على الحمارة المكارية وهم ازيد من خمسمائة مكارى حتى ركبت زوجة الباشا وساروا معها الى الازبكية وضربوا لها طبلا وحلوا لها عدة مدافع كثيرة من القلعة والازبكية ثم وصلت الهدايا والتقادم واقيات من كل ناحية الهدايا المختصة بالاولاد والمختصة بالنساء

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٤)

في ثالثه يوم السبت نزل عمر بك الالفى وذهب الى المراكب من بيته من بولاق وسافر على طريق دمياط ليذهب الى بلاده وسافر معه نحو المائة وهم الذين جمعوا الاموال واجتمع لعمر بك المذكور من المال والاموال اشياء كثيرة فباعها في صناديق كثيرة ذهبا معه وذلك خلاف ما ارسله الى بلاده في دفعات قبل تاريخه (وفى يوم الخميس خامس عشره) سافر على بك ايوب وسليم اغا مستحفظان الى ناحية قبلى واستمر عمر مرزوق بك وقاسم بك المرادى (وفيه) طلب الباشا الف كيس من المعلم غالى والزمه بها فوزعها على المباشرين والكتبة وجمعها في اقرب زمن (وفيه) حضر سلحدار نحو

في هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى بغدوين ملك الفرنج فسار اليهم وعارضهم في البر فاخذهم اجمعين ولم ينج منهم الا القليل ومن نجا اخذه العرب وفي هذه السنة توفي الوزير ابو القاسم على بن محمد بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله ووزر بعده الربيب ابو منصور ابن الوزير ابى شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان وفيها توفي الملك رضوان بن تاج الدولة تتش بن الب ارسلان صاحب حلب وقام بعده بحلب ابنه الب ارسلان الاخرس وعمره ست عشرة سنة وكانت امور رضوان غير محمودة قتل اخويه ابا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في كثير من اموره لقلة دينه ولما ملك الاخرس استولى على الامور لؤلؤ الخادم ولم يكن للاخرس معه الا اسم السلطنة ومعناه لؤلؤ ولم يكن الب ارسلان اخرس وانما في لسانه حبسة وتمتمة وامه بنت باغيسيان الذى كان صاحب انطاكية وقتل الاخرس اخوين له احدهما اسمه ملكشاه وهو من ابيه وامه واسم الآخر مباركشاه وهو من ابيه وكان ابوه قد فعل مثله فلما توفي قتل ولداه مخافة لما اعتمده مع اخويه وكانت الباطنية قد كثروا بحلب في ايامه حتى خافهم ابن بديع رئيسها واعيان اهلها فلما توفي قال ابن بديع لالب ارسلان في قتلهم والايقاع بهم فامره بذلك فقبض على مقدمهم ابى طاهر الصائغ وعلى جميع اصحابه فقتل ابا طاهر وجماعة من اعيانهم واخذ اموال الباقين واطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرقوا في البلاد وفي هذه السنة توفي ببغداد ابو بكر احمد بن على بن بدران الحلوانى الزاهد منتصف جمادى الاولى وروى الحديث عن القاضى ابى الطيب الطبرى وابى محمد الجوهرى وابى طالب العشارى وغيرهم وروى عنه خلق كثير ومن آخرهم ابو الفضل عبد الله بن الطوسى خطيب الموصل واسمعيل بن احمد بن الحسين بن على ابو على بن ابى بكر البيهقى الامام ابن الامام ومولده سنة ثمان وعشرين واربعمائة وتوفي بمدينة بيهق ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة وشجاع بن ابى شجاع فارس بن الحسين بن فارس ابو غالب الذهلى الحافظ ومولده سنة ثلاثين واربعمائة وروى عن ابيه وابى القاسم وابن المهتدى والجوهرى وغيرهم والاديب ابو المظفر محمد بن احمد بن محمد الابيوردى الشاعر المشهور وله ديوان حسن ومن شعره

تنكر لى دهرى ولم يدر اننى ⁕ اعز واحداث الزمان تهون
وظل يرينى الخطب كيف اعتداؤه ⁕ وبت اريه الصبر كيف يكون

وله ايضا

وكيف ترى قاذرى دمعه انقا ⁕ عند افتراق منهم مضمر الياس
وقال هنام تؤذينى فان نفثت ⁕ حوائج النفار كيى الى الناس

وكانت وفاته باصبهان وهو من ولد عنبسة بن ابى سفيان بن حرب الاموى وتوفي ابو بكر محمد بن احمد بن الحسين بن عمر الشاشى الامام الفقيه الشافعى في شوال وبه ولد سنة سبع وعشرين واربعمائة سمع ابا بكر الخطيب وابا يعلى بن الفراء وغيرهم وتفقه على ابى عبد الله محمد بن البكروزى بديار بكر وعلى ابى اسحق الشيرازى ببغداد وعلى ابى

قصده وهي أخت الملك سنجر من السلطان بركيارق وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها ومنعها من الخروج من غزنة وتزوجها فبعث الآن ارسلان شاه فلما وصلت الى أخيها وصلت ما معها من الاموال والهدايا وكان معها ثلاثة آلاف دينار وغير ذلك وطلبت من سنجر ان يسلم الملك بهرام اليه وكانت موغرة الصدر من ارسلان شاه فهونت أمره على سنجر واطمعته في البلاد وسهلت الامر عليه وذكرت له ما فعل باخوته وكان قتل بعضا وكحل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة فسار الملك سنجر فلما وصل الى بست أرسل خادما من خواصه الى ارسلان شاه في رسالة فقبض عليه في بعض القلاع فسار حينئذ سنجر وبعد المسافة بقربه عند ما أطلق الرسول ووصل سنجر الى غزنة ووقع بينهما المصاف على فرسخ من غزنة بصحراء شهراباذ وكان ارسلان شاه في ثلاثين ألف فارس وخلق كثير من الرجالة ومعه مائة وعشرون فيلا على كل فيل أربعة نفر فحملت الفيلة على القلب وفيه سنجر فكاد من فيه ينهزمون فقال سنجر لغلمانه الاتراك الترموها بالنشاب فتقدم ثلاثة آلاف غلام فرموا الفيلة رشقا واحدا جميعا فقتلوا منها عدة فعدلت الفيلة من القلب الى الميسرة وبها أبو الفضل صاحب سجستان وجالت عليهم فصدمت من في الميسرة فشجعهم أبو الفضل وخوفهم من الهزيمة ومقدارهم وترجل عن فرسه فتبعوه وقصد كبير الفيلة وتقدم منها ودخل تحتها فشق بطنها وقتل فيلين آخرين ورأى الامير أنز وهو في الميمنة ما في الميسرة من الحرب فحمل عليها من وراء عسكر غزنة وقصد الميسرة واختلط بهم وقاتلهم فكانت الهزيمة على الغزنوية وكان ركاب الفيلة قد شدوا انفسهم عليها بالسلاسل فلما عضتهم الحرب وعمل فيهم السيف القوا انفسهم فبقوا معلقين عليها ودخل السلطان سنجر غزنة في العشرين من شوال سنة عشر وخمسمائة ومعه بهرام شاه فاما القلعة الكبيرة المشتملة على الاموال وبينها وبين البلد تسعة فراسخ وهي عظيمة لا مطمع فيها ولا مطمع لاحد بل يلي عليها وكان ارسلان شاه قد سجن فيها اخاه طاهر الخازن وهو صاحب بهرام شاه واهله ثم ألفى زوجة بهرام شاه فلما انهزم ارسلان شاه استمال اخوه طاهر المتحفظ بها وبذل له والاجناد الزيادات فسلموا القلعة الى الملك سنجر واما قلعة البلد فان ارسلان شاه كان اعتقل بها رسول سنجر فلما التقى غلمانه بها سلموا القلعة اليه بغير قتال وكان قد تقرر بين بهرام شاه وبين سنجر ان يجلس بهرام على سرير جده محمود بن سبكتكين وحده وان تكون الخطبة بغزنة للخليفة والسلطان محمد والملك سنجر وبعدهم لبهرام شاه فلما دخلوا غزنة كان سنجر راكبا وبهرام شاه بين يديه راجلا حتى جاء السرير فصعد بهرام شاه فجلس عليه ورجع سنجر وكان يخطب له بالملك ولبهرام شاه بالسلطان على عادة آبائه فكان هذا من اعجب ما يسمع به وحصل لاصحاب سنجر من الاموال ما لا يحد ولا يحصى من السلطان والرعايا وكان في دور الملوك قواعد دور على حيطانها الواح الفضة وسواقي المياه الى البساتين من الفضة ايضا فقلع من ذلك اكثره ونهب فلما سمع سنجر ما فعل

الاصلية في نظير المحصول الذي يدفعه للفرغ وبتعه وبناحيته فقد داخل الزمام ولم تزل على ذلك بطول القرون الماضية وتلك القرفصاوية الديار المصرية فلم يتعرضوا لشيء من ذلك ولما حضر شريف افندي الدفتردار بعد دخول يوسف باشا الوزير ووجه الطلب على الملتزمين بأن يدفعوا للدولة حلوانا جديدا على الالتزام والرزق الذي بأيديهم وتحيل على تحصيل المال بأي وجه زاعمين ان ارض مصر صارت دار حرب بتغلب الفرنساوية وقوانهم لتعلقوها منهم واستولوا عليها استيلاء جديدا وصارت جميع اراضيها ملكا لهم فمن يريد الاستيلاء على شيء من ارض وغيرها فليشتره من نائب السلطان بمبلغ الحلوان الذي قدروه واطلعوا على التقاسيط وفي بعضها ما رفع منه الميري الذي يقبض للخزينة بأذن الولاة بعلة اصلاحات والتعويض عن المصاريف والمصارف الميرية كالعلائف والغلال والبعض نحو ذلك بفرامين سلطانية كاملة ولون شريفة بحيث يصير الالتزام مثل الرزق الاحباسية ويعرفه خزينة ومنهم من ابقى على الزامه شيئا قليلا ونحو مال الحماية فلم يسهل بهم ابطال ذلك بل جعل عليها الدفتردار الميري الذي كان مقيدا عليها الواقل او اكثر بحسب واضع اليد وا كرامه ان كان ممن يكرم ويضعه الى مال الحماية الاصلي أو المستجد فقط وضيع على الناس معهم وما بأيديهم من مرتباتهم وعلائفهم التي

وسار الى الشام الى طغتكين صاحب دمشق فأقام عنده اياما وكان طغتكين ايضا قد استوحش من السلطان لانه نسب اليه قتل مودود فاتفقا على الامتناع والالتجاء الى الفرنج والاحتماء بهم فراسلا صاحب انطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حمص وجددوا العهود وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار ايلغازي الى الرستن على عزم قصد ديار بكر وجمع التركمان والعود فنزل بالرستن ليستريح فقصده الامير قرجان بن قراجة صاحب حمص وقد تفرق عن ايلغازي اصحابه فظفر به قرجان واسره ومعه جماعة من خواصه وارسل الى السلطان يعرفه ذلك ويسأله تعجيل انفاذ العساكر لئلا يغلبه طغتكين على ايلغازي ولما بلغ طغتكين الخبر عاد الى حمص وارسل في اطلاقه فامتنع قرجان وحلف ان لم يعد طغتكين ليقتلن ايلغازي فارسل ايلغازي الى طغتكين ان الملاحة تؤذيني وتهلكني والمصلحة عودك الى دمشق فعاد وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانية فتأخرت عنه فخاف ان يخدع اصحابه طغتكين ويسلموا اليه حمص فعدل الى الصلح مع ايلغازي على ان يطلقه ويأخذ ابنه اياز رهينة ويصاهره ويمنعه من طغتكين وغيره فاجابه الى ذلك فاطلقه وتحالفا وسلم اليه ابنه اياز وسار عن حمص الى حلب وجمع التركمان وعاد الى حمص وطالب بولده اياز وحصر قرجان الى ان وصلت العساكر السلطانية فعاد ايلغازي على ما نذكره

(ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر)

في هذه السنة في شوال توفي الملك علاء الدولة ابو سعد مسعود بن ابي المظفر ابراهيم بن ابي سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وملك بعده ابنه ارسلانشاه وامه سلجوقية وهي اخت السلطان ألب ارسلان بن داود فقبض على اخوته وسجنهم وهرب اخ له اسمه بهرام الى خراسان فوصل الى السلطان سنجر بن ملكشاه فارسل الى ارسلانشاه في معناه فلم يسمع منه ولا اصغى الى قوله فتجهز سنجر للسير الى غزنة واقامة بهرامشاه في الملك فارسل ارسلانشاه الى السلطان محمد يشكو من اخيه سنجر فارسل السلطان الى اخيه سنجر يأمره بمصالحة ارسلانشاه وترك التعرض له وقال للرسول ان رأيت اخي وقد تجهز وسار نحوهم او قارب ان يسير فلا تمنعه ولا تبلغه الرسالة فان ذلك يفت في عضده ويوهنه ولا يعود ولان يملك اخي الدنيا احب الي فوصل الرسول الى سنجر وقد جهز العساكر الى غزنة وجعل على مقدمته الامير انر مقدم عسكره ومعه الملك بهرامشاه فساروا حتى بلغوا بست واتصل بهم فيها ابو الفضل نصر بن خلف صاحب سجستان وسمع ارسلانشاه الخبر فسير جيشا كثيفا فهزمهم وتبعوا وعاد من سلم الى غزنة على اسوأ حال فخضع حينئذ ارسلانشاه وارسل الى الامير انر يضمن له الاموال الكثيرة ليعود عنه ويحسن للملك سنجر العود عنه فلم يفعل وتجهز السلطان سنجر بعد ان سمع بنفسه فارسل اليه ارسلانشاه امرأة عمه نصر تسأله الصلح والعود عن

الايوبي في القرن الخامس وجعله من مصاريف بيت المال ليصل الى المستحقين بعض استحقاقهم من بيت المال ليصرفوا ثم اقتدى به في ذلك الملوك والسلاطين والامراء الى وقتنا هذا فيبنون المساجد والتكايا والربط والخوانق والاسبلة ويرصدون عليها اشياء يخرجونها من زمام اوسيتهم فيستغل خراجها او غلالها لتلك الجهة وكذلك يربطون على بعض الاشخاص من طلبة العلم والفقراء على وجه البر والصدقة ليتعيشوا بذلك ويستعينوا به على طلب العلم واذا مات المرصد عليه ذلك قرر القاضي او الناظر خلافه عن مستحق ذلك وقيد اسمه في سجل القاضي ودفتر الديوان السلطاني عند الافندي المقيد بذلك الذي عرف بمكاتب الرزق فيكتب له ذلك الافندي سندا بموجب التقرير يقال له الافراج ثم يضع عليه علامته ثم علامة الباشا والدفتردار ولكل اقليم من الاقاليم القبلية والبحرية دفتر مخصوص عليه عبارة من خارج مكتوب فيها اسم ذلك الاقليم ليسهل الكشف والتحرير والمراجعة عند الاشتباه وتحرير مقادير حصص ارباب الاستحقاقات ولم يزل ديوان الرزق الاحباسية محفوظا مضبوطا في جميع الدول المصرية جيلا بعد جيل لا يتطرقه خلل الا ما نزل عنه اربابه لشدة احتياجهم بالفراغ لبعض الملتزمين بقدر من الدراهم معجل ويقرر له ويخرج على نفسه قدرا مؤجلا دون القيمة

فقصده

وطغتكين بعد نجدتهما فسارا اليهم الى قارس ووصلا حلب فامتنع من بها خيفة
من عسكر السلطان واظهروا العصيان فسار الامير برسق بن برسق الى مدينة حماة
وهي في طاعة طغتكين وبها ثقله فحصرها وفتحها عنوة ونهبها ثلاثة ايام وسلمها
الى الامير قيرجان صاحب حمص وكان السلطان قد امر ان يسلم اليه كل بلد يفتحونه
فلما رأى الامراء ذلك فشلوا وضعفت نياتهم في القتال بحيث تؤخذ البلاد وتسلم الى
قيرجان فلما سلموا حماة الى قيرجان سلم اليهم اياز بن ايلغازي وكان قد سار ايلغازي
وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصاحبها روجيل وسألوه ان
يساعدهم على حفظ مدينة حماة فلما اتاهم قصدها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين
صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج فاتفق رأيهم على
ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند دخول الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة
افامية واقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا
فعاد ايلغازي الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادهم وكانت افامية
وكفرطاب للفرنج فقصد المسلمون كفرطاب وحصروها فلما اشتد الحصر على الفرنج
ورأوا الهلاك قتلوا اولادهم ونساءهم واحرقوا اموالهم ودخل المسلمون البلد عنوة
وقهرا واسر صاحبه وقتلوا من بقي فيه من الفرنج وساروا الى قلعة افامية فرأوها
حصينة فعادوا عنها الى المعرة وهي للفرنج ايضا وفارقهم الامير جيوش بك الى وادي
بزاعة فملكه وسارت العساكر عن المعرة الى حلب وتقدمهم ثقلهم ودوابهم على
جاري العادة والعساكر في اثرهم متلاحقة وهم آمنون لا يظنون احدا يقدم على
القرب منهم وكان روجيل صاحب انطاكية لما بلغه حصر كفرطاب سار في
خمسمائة فارس والفي راجل للمنع فوصل الى المكان الذي ضربت فيه خيام
المسلمين على غير علم بها فرآها خالية من الرجال المقاتلة لانهم لم يصلوا اليها فنهب
جميع ما هنالك وقتل كثيرا من السوقية وغلمان العسكر ووصلت العساكر
متفرقة وكان الفرنج يقتلون كل من وصل اليهم ووصل الامير برسق في نحو
مائة فارس فرأى الحال فصعد تلا هناك ومعه اخوه زنكي واحاط بهم السوقية
والغلمان واحتمى بهم ومنعهم والامير برسق من النزول فاشار عليه اخوه ومن معه
بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا افعل بل اقتل في سبيل الله واكون فداء المسلمين
فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه وتبعهم الفرنج نحو فرسخ ثم عادوا وتمموا الغنيمة
والقتل واحرقوا كثيرا من الناس وتفرق العسكر واخذ كل واحد جهة ولما سمع
الموكلون بالاسرى المأخوذين من كفرطاب ذلك قتلوهم وكذلك فعل الموكل باياز
ابن ايلغازي قتله ايضا وخاف اهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التي بالشام
فانهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فاتاهم ما لم يكن في الحساب وعادت
العساكر الى بلادها واما برسق واخوه زنكي فانهما توفيا في سنة عشر وخمسمائة
وكان برسق خيرا دينا وقد ندم على الهزيمة وهو يتجهز للعود الى الغزاة فاتاه اجله

فاستهول الناس ذلك وشاع في الاقليم المصري فاقبل الناس من البلاد القبلية والبحرية لتجليد سنداتهم فتفقوا يكتبون السندات على نسق تقاسيط الالتزام لاهل الوضع القديم ويعلم عليها الدفتردار فقط واما الصورة القديمة فكانت تكتب في كاغد كبير بخط عربي مجود وعليها طرة بداخلها اسم والي مصر ومهمورة بختمه الكبير وعليها علامة الدفتردار وبداخلها صورة اخرى تسمى التذكرة مستطيلة على صورة التقسيط القديمة ممهورة ايضا وعليها العلامة والختم وهي متضمنة ما في الكبيرة وعلى ذلك كان استمرار الحال الى هذا الاوان من قرون خلت وعقود مضت (وفيه) احضروا دفتر الاقليم البحيرة بمساحة الطين الري والشراقي واضافوا الطين الاوسية والرزق وكتبوا بذلك مناشير واخرج المباشرون كشوفاتها باسماء الملتزمين فضج الناس واجتمعوا الى مشايخ الازهر وتشكوا فوعدوهم بالتكلم في شان ذلك بعد التثبت (وفيه) قبض اغات التبديل على شخص من اهل العلم من اقارب السيد حسن البقلي وحبسه فارسل المشايخ يرجون في اطلاقه فلم يفعل وارسله الى القلعة (وفيه) سعى محمد افندي طبل كاتب الهمامات لصديقه السيد سلامة النجاري عند الباشا في انعام ووظيفة وسبب ذلك ان المذكور ارسل جملة طاقات

جعلها نظير نقدية كذا كرتم تقييد لكتابة الاعلامات عبد الله افندي راز الفردان

منع عنه مجهوده وطلب جماعة حتى كف الناس وفي جملة ما حصل للملك سنجر
خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على الفي الف دينار وألف وثلثمائة قطعة مصاغ مرصعة
وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة اربعين يوما حتى استقر بهرامشاه
وعاد نحو خراسان ولم يخطب بغزنة لسلجوقي قبل هذا الوقت حتى ان السلطان ملكشاه
مع عظمته وكثرة ملكه لم يطمع فيه وكان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك وأما
ارسلانشاه فانه لما انهزم قصد بلد هندوستان واجتمع عليه اصحابه فقويت شوكته فلما
عاد سنجر الى خراسان توجه الى غزنة فلما عرف بهرامشاه قصده اياه توجه الى باميان
وارسل الى الملك سنجر يعلمه الحال فارسل اليه عسكرا واقام ارسلانشاه بغزنة شهرا
واحدا وسار يطلب اخاه بهرامشاه فبلغه وصول عسكر سنجر فانهزم بغير قتال للخوف
الذي قد باشر قلوب اصحابه ولحق بجبال اوغنان فسار اخوه بهرامشاه وعسكر سنجر في
اثره واثروا بالبلاد التي هو فيها وارسلوا الى اهلها يتهددونهم فسلموه بعد المضايقة
فاخذه مقدم جيش الملك سنجر واراد حمله الى صاحبه فخاف بهرامشاه من ذلك فبذل
له مالا فسلمه اليه فخنقه ودفنه بتربة ابيه بغزنة وكان عمره سبعا وعشرين سنة وكان
احسن اخوته صورة وكان قتله في جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وانما
ذكرناه ههنا لتتصل الحادثة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها فخربت
كثيرا من الرها وحران وسميساط وبالس وغيرها وهلك تحت الهدم خلق كثير وفيها
قتل تاج الدولة ألب ارسلان بن رضوان صاحب حلب قتله غلمانه بقلعة حلب
واقاموا بعده اخاه سلطانشاه بن رضوان وكان المتولي عليه لؤلؤ الخادم وفيها
توفي الشريف النسيب ابو القاسم علي بن ابراهيم بن العباس الحسيني في ربيع الآخر
بدمشق

(ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة)

(ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج)

قد ذكرنا ما كان من عصيان ايلغازي وطغتكين على السلطان وقوة الفرنج فلما
اتصل ذلك بالسلطان محمد جهز عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم الامير برسق بن برسق
صاحب همذان ومعه الامير جيوش بك والامير كنتغدي وعساكر الموصل والجزيرة
وأمرهم بالبداءة بقتال ايلغازي وطغتكين فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج
وقاتلوهم وحصروا بلادهم فساروا في رمضان من سنة ثمان وخمسمائة وكان عسكرا
كثير العدد وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقة فلما قاربوا حلب راسلوا المتولي
لامرها لؤلؤ الخادم ومقدم عسكرها المعروف بشمس الخواص يارقتاش يأمرونهما بتسليم حلب
ويعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فغالطا في الجواب وارسلا الى ايلغازي

وصنعوها ونسخوها في نظير
وقاضي باشا وسمى في ذلك
الوقت بكاتب البري وتوجه
نحوه الناس لاجل كتابة
الاعلامات لثبوت رزقهم
الاحباسية وتجديد سنداتها
فتمنعت عليهم الضرر وبين
التعنت كان يطلب من
صاحب العرضحال اثبات
استحقاقه فاذا اثبت له لا يخلو
اما ان يكون ذلك بالفراغ
او الحلول فيكلفه احضار
السندات واوراق الفراغات
القديمة فربما عدمت او
بليت لتقادم السنين او تركها
واضع اليد لاستغنائه عنها
بالسند الجديد او كان القديم
مشتملا على غير المفروغ عنه
فيقدم بهامشه بالمنزول عنه
ويبقى القديم عند صاحب
الاصل فان احضره اليه علل
بشئ آخر واحتج بشبهة اخرى
فاذا لم يبق له شبهة طالبه
بحلوانها عن مقدار ايراد
ثلاث سنوات والاقصر
سنوات وذلك خلاف
المعتاد فضج الناس
واستغاثوا بشريف افندي
الدفتردار فعزل عبد الله
افندي راز المذكور من
ذلك وقيد آخر كاتبه بكتابة
الاعلامات وقرر على كل
فدان عشرة انصاف فضة عما
دونها برسم اوراق السند الجديد
وجعلها مال ... اوجه الناس ان مال الجزية يكون زيادة في تاكيد الاحباس وحماية لها
من تطرق الخلل

وطغتكين

ونعاهدوا وانه اتفق واهل الاقتصاد وترك الاتب ثم وجه ذلك جعفر ديوان افندى وقال الباشا يسلم عليكم

في هذه السنة في رجب قدم السلطان محمد بغداد ووصل اليه اتابك طغتكين صاحب دمشق في ذى القعدة وسأل الرضا عنه فرضى عنه السلطان وخلع عليه ورده الى دمشق وفيها أمر الامام المستظهر بالله ببيع البدرية وهى منسوبة الى بدر غلام المعتضد بالله وكانت من احسن دور الخلفاء وكان يسكنها الراضى بالله ثم تهدمت وصارت تلالا فامر القادر بالله ان يعمر عليها سور لجامع الدار الامامية ففعل ذلك فلما كان الآن امر ببيعها فبيعت وعمرها الناس وفيها في شعبان وقعت الفتنة بين العامة وسببها ان الناس لما عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل أولا فاقتتلوا وقتل بينهم جماعة وعادت الفتن بين اهل المحال كما كانت ثم سكنت وفيها اقطع السلطان محمد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقى للامير جيوش بك وسير ولده الملك مسعودا واقام البرسقى بالرحبة وهى اقطاعه الى ان توفى السلطان محمد وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها توفى اسمعيل بن محمد بن احمد بن ملة الاصبهانى أبو عثمان بن ابى سعيد الواعظ سمع الكثير وحدث ببغداد وغيرها وعبد الله بن المبارك بن موسى السقطى ابو البركات له رحلة وله تصانيف وكان أديبا

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة)

(ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان)

في هذه السنة اول المحرم حضر اتابك طغتكين صاحب دمشق دار السلطان محمد ببغداد وحضر جماعة الامراء ومعهم احمديل بن ابراهيم بن وهسوذان الروادى الكردى صاحب مراغة وغيرها من اذربيجان وهو جالس الى جانب طغتكين فاتاه رجل متظلم وبيده رقعة وهو يبكي ويسأله ان يوصلها الى السلطان فأخذها من يده فضربه الرجل بسكين فجذبه احمديل وتركه تحته فوثب رفيق للباطنى وضرب احمديل سكينا اخرى فأخذتهما السيوف واقبل رفيق لهما وضرب احمديل ضربة اخرى فعجب الناس من اقدامه بعد قتل صاحبيه وظن طغتكين والحاضرون ان طغتكين كان المقصود بالقتل وانه بامر السلطان فلما علموا انهم باطنية زال هذا الوهم

(ذكر وفاة جاولى سقاوو وحال بلاد فارس معه)

في هذه السنة توفى جاولى سقاوو وكان السلطان ببغداد عازما على المقام بها فاضطر الى المسير الى اصبهان ليكون قريبا من فارس لئلا تختلف عليه وقد ذكرنا حال جاولى بالموصل الى ان ملكت منه واخذها السلطان فلما قصد السلطان ورضى عنه اقطعه بلاد فارس فسار جاولى اليها ومعه ولد السلطان جغرى وهو طفل له من العمر سنتان وامره باصلاحها وقمع المفسدين بها فسار اليها واول ما اعتمده فيها انه لما توسط بلاد الامير بلدجى وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه ومن جملة بلاده كليل وسرماه وكان متمكنا في تلك البلاد فامر جاولى ان يقدم الى خدمة جغرى ولد السلطان وعلم جغرى ان يقول بالفارسية خذوه فلما دخل بلدجى قال جغرى على عادته خذوه فاخذوه وقتل

ويسأل عن مطلوباتكم ثم فرقوهنا سطروه اجمالا ويبينوه له تفصيلا فقال ينبغى ذهابكم اليه وتخاطبونه مشافهة بما تريدون وهو لا يخالف أوامركم ولا يرد شفاعتكم وانما القصد ان تلاطفوه في الخطاب لانه شاب مغرور جاهل وظالم غشوم ولا تقبل نفسه التحكم وربما حمله غروره على حصول ضرر بكم وعدم انفاذ الغرض فقالوا بلسان واحد لا نذهب اليه ابدا ما دام يفعل هذه الفعال فان رجع عنها وامتنع عن احداث البدع والمظالم من خلق الله رجعنا اليه وترددنا عليه كما كنا في السابق فاننا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور فقال لهم ديوان افندى واما قصدى ان تخاطبوه مشافهة ويحصل انفاذ الغرض فقالوا لا نجتمع عليه ابدا ولا نثير فتنة بل نلزم بيوتنا ونقتصر على حالنا ونصبر على تقدير الله بنا وبغيرنا واخذ ديوان افندى العرضحال ووعدهم برد الجواب ثم بعد رجوعه انطلقوا الى بيت السيد حسن البقلى الذى كان محبوسا ولم يزل ذلك ثم انتظروا عوده ديوان افندى فابطأ عليهم وتأخر عوده الى خامس يوم بعد الجمعة فاجتمع الشيخ

المهدى والشيخ الدواخلى وعند محمد افندى طبل ناظر المهمات وتلاشيهم في فهمهم

من الاقمشة الهندية الفرنجية المقصبة وغيرها وحصانا من أعظم خيول الهند ممن كان اشتراه منهم هدية الى محمد

افندى المذكور فاقتضت مروءته أخذها وقدمها للباشا وقال له ان السيد سلامة احضر هذه الهدية لافندينا شكر الانعامه السابق عليه فقبلها الباشا وانعم عليه بعشرة اكياس وامر محمد افندى بان يجعله فى وظيفة (وفيه) ايضا شرع مواق تحرير دفتر بنصف قائمة الملتزمين بانواع الاقمشة وباعة التعالات التى هى الصرم والبلغ وجعلوا عليها ختمية فلا يباع منها شئ حتى يعلم بيد الملتزم ويختم وعلى وضع الختم والعلامة قدر مقرر بحسب ثلث البضاعة وغيرها فزاد التضجر والقهر فى الناس (وفى يوم السبت سابع عشره) حضر المشايخ بالازهر على عادتهم لقراءة الدروس فحضر الكثير من النساء والعامة واهل المسجون وهم يصرخون ويستغيثون وابطلوا الدروس واجتمع المشايخ بالقبلة وارسلوا الى السيد عمر النقيب فحضر اليهم وجلس معهم ثم قاموا وذهبوا الى بيوتهم ثم اجتمعوا فى ثانى يوم وكتبوا عرضحال الى الباشا يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع وختم الامتعة وطلب مال الاوسية والرزق والمقاسمة فى الاقطاع وكذلك أخذهم ربيب ابنة فى وحبسه بلا ذنب وذلك بعد أن جلسوا اجلاسا خاصا فى

(ذكر ملك الفرنج رفنية وأخذها منهم)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ملك الفرنج رفنية من أرض الشام وهى لطغتكين صاحب دمشق وقووها بالرجال والذخائر وبالغوا فى تحصينها فاهتم طغتكين لذلك وقوى عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب فأتاه الخبر عن رفنية وخلوها من عسكر يمنع عنها وليس هناك الا الفرنج الذين رتبوا لحفظها فسار اليها جريدة فلم يشعر من بها الا وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوة وقهرا واخذ كل من فيه من الفرنج أسيرا وقتل البعض وترك البعض وغنم المسلمون من سوادهم وكراعهم وذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم وعادوا الى بلادهم سالمين

(ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه على)

فى هذه السنة توفى يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية يوم عيد الاضحى فجأة وكان منجم قد قال له فى مولده ان عليه قطعا فى هذا اليوم فلا تركب فلم يركب وخرج اولاده واهل دولته الى المصلى فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته وقرأ القراء وانشد الشعراء وانصرفوا الى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام فلم يمش غير ثلاث خطا حتى وقع ميتا وكان ولده على بمدينة سفاقس فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى بالقصر ثم نقل الى التربة بالمنستير وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوما وكانت ولايته ثمانى سنين وخمسة اشهر وخمسة وعشرين يوما وخلف ثلاثين ولدا فقال عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلى يرثيه ويهنئ ابنه عليا بالملك

ما أغمد العضب الا جرد الذكر • ولا اختفى قمر حتى بدا قمر
بموت يحيى أميت الناس كلهم • حتى اذا ما على جاءهم نشروا
ان يعقبوا بسرور من علائكه • فمن منية يحيى بالاسى قبروا
أوفى حلى حسن الملك ضاحكة • وعينها من أسيه دمعها همر
شقت جيوب المعالى بالاسى فبكت • فى كل أفق عليه الانجم الزهر
وقل لابن تميم حزن ملازمها • فكل حزن عظيم فيه محتقر
قام الدليل ويحيى لا حياة له • ان المنية لا تبقى ولا تذر

وكان يحيى عادلا فى رعيته ضابطا للامور ودولته مدبرا لجميع احواله رحيما بالضعفاء والفقراء يكثر الصدقة عليهم ويقرب أهل العلم والفضل وكان عالما بالاخبار وايام الناس والطب وكان حسن الوجه أشهل العين الى الطول ما هو ولما استقر على فى الملك جهز اسطولا الى جزيرة جربة وسببه ان أهلها كانوا يقطعون الطريق ويأخذون التجار فحصرها وضيق على من بها فدخلوا تحت طاعته والتزموا ترك الفساد وضمنوا اصلاح الطريق وكف عنهم عند ذلك وصلح أمر البحر وأمن المسافرون

(ذكر عدة حوادث)

ليلتها احضر ديوان افندى وعبد الله بكتاش الترجمان وحضر المهدى ٣٠٩ والدواخلى الجميع عند السيد عمر وطال بينهم

ويدعوه اليه فلم يجد بدا من موافقته فنزل اليه طائعا وسار معه الى كرمان وأرسل الى
صاحبها القاضى أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضى شيراز يأمره باعادة الشوانكارة لانهم
رعية السلطان ويقول انه متى أعادهم عاد عن قصد بلاده وان قصده عاد صاحب
كرمان بجواب الرسالة يتضمن الشفاعة فيهم حيث استجاروا به ولما وصل الرسول
الى جاولى أحسن اليه وأجزل له العطاء وأفسده على صاحبه وجعله عينا له عليه وقرر
معه اعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارون فلما عاد الرسول وبلغ السيرجان
وبها عسكر صاحب كرمان ووزيره مقدم الجيش أعلم الوزير ما عليه جاولى من
المقاربة وانه يفارق ما كرهوا أكثر من هذا النوع وقال لكنه مستوحش من
اجتماع العساكر بالسيرجان وان اعداء جاولى طامعون فيه بهذا العسكر والرأى ان
تعاد العساكر الى بلادها فعاد الوزير والعساكر ودخلت السيرجان وسار جاولى فى اثر
الرسول فنزل بفرج وهى الحد بين فارس وكرمان فحاصرها فبلغ ذلك ملك كرمان
فأحضر الرسول وأنكر عليه اعادة العسكر فاعتذر اليه وكان مع الرسول فراش لجاولى
ليعود اليه بالاخبار فارتاب به الوزير فعاقبه فأقر على الرسول فصلب ونهبت أمواله
وصلب الفراش وندب العساكر الى المسير الى جاولى فساروا فى ستة آلاف فارس
وكانت الولاية التى هى الحد بين فارس وكرمان بيد انسان يسمى موسى وكان ذا رأى
ومكر فاجتمع بالعسكر وأشار عليهم بترك الجادة المسلوكة وقال ان جاولى يحتاط بها
ودلهم على طريق غير مسلوكة بين جبال ومضايق وكان جاولى يحاصر فرج وقد
ضيق على من بها وهو مدمن الشرب فسير اميرا فى طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ
من كرمان فسار الامير ولم ير احدا فظن انهم قد عادوا فرجع الى جاولى وقال ان العسكر
كان قد بلغه اعاد خوفا منا فاطمأن حينئذ جاولى وادمن شرب الخمر ووصل عسكر كرمان
اليه ليلا وهو سكران نائم فايقظه بعض اصحابه واخبره فقطع لسانه فايقظه غيره واعلمه
وعرفه الحال فاستيقظ وركب وانهزم وقد تفرق عسكره منهزمين فقتل منهم واسر كثير
وادرك خسرو وابن ابى سعد الذى قتل جاولى اباه فسارا معه فى اصحابهما فالتفت فلم ير
معه احدا من اصحابه الاتراك فخاف على نفسه منهما فقالا له انا لا نغدر بك ولن ترى منا
الا الخير والسلامة وسارا معه حتى وصل الى مدينة فسا واتصل به المنهزمون من اصحابه
واطلق صاحب كرمان الاسرى وجهزهم وكانت هذه الوقعة فى شوال سنة ثمان
وخمسمائة وبقى يتمارض ولم يبد الامر ليعاود كرمان ويأخذ بثأره فتوفى الملك جغرى ابن
السلطان محمد وعمره خمس سنين وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة تسع وخمسمائة ففت
ذلك فى عضده فارسل ملك كرمان رسولا الى السلطان وهو ببغداد يطلب منه منع
جاولى عنه فاجابه السلطان انه لابد من ارضائه ولم يزل ليخرج اليه فعاد الرسول فى
ربيع الاول سنة عشر وخمسمائة فتوفى جاولى فامنوا ما كانوا يخافونه فلما سمع
السلطان سار من بغداد الى اصبهان خوفا على فارس من صاحب كرمان

(ذكر فتح جبل وسلات وتونس)

الكلام والمعالجة فى طلوعهم وقابلتهم الباشا وفرق ذلك كل من المهدى والدواخلى والسيد عمر مصمم على الامتناع ثم قالوا لابد من كون الشيخ الامير معنا ولا نذهب بدونه فاعتذر الشيخ الامير بانه متوعك ثم قام المهدى والدواخلى وتوجها صحبة ديوان افندى والترجمان وطلعا الى القلعة وقابلوا الباشا ودار بينهم الكلام وقال فى كلامه انا لا ارد شفاعتكم ولا اقطع رجاءكم والواجب عليكم اذا رأيتم منى انحرافا ان تنصحونى وترشدونى ثم اخذ يلوم على السيد عمر فى تخلفه وتعنته ويثنى على البواقى وفى كل وقت يعاندنى ويبطل احكامى ويخوفنى بقيام الجمهور فقال الشيخ المهدى هو ليس الا بنا واذا خلا عنا فلا يسوى شيئا ان هو الا صاحب حرفة او جابى وقف يجمع الايراد ويصرفه على المستحقين فعند ذلك تبين قصد الباشا لهم ووافق ذلك ما فى نفوسهم من الحقد للسيد عمر والشيخ الدواخلى حضوره نيابة عن الشيخ الشرقاوى وعن نفسه ثم تناجوا معه حصة وقاموا

منصرفين مدبرين ومظهرين خلاف ما هو كامن فى نفوسهم من الحقد وحظوظ النفس غير متفكرين فى العواقب

السيد عمر ما فيها وتناجوا مع بعضهم ثم انتقلوا في حصر تهما وتفرقوا وحضر المهدي والدواخلي الى السيد
عمر وأخبراه ان محمد أفندي
ذكر لهم ان الباشا لم يطلب
مال الاوسية ولا الرزق وقد
كذب من نقل ذلك وقال
انه يقول لكم لا أخالف أوامر
المشايخ وعند اجتماعهم
عليه ومواجهته يحصل
كل المراد فقال السيد عمر
اما انكاره طلب مال الرزق
والاوسية فهاهي أوراق من
أوراق المباشرين هندي
لبعض الملتزمين مشتملة
على الفرضة ونصف الفائظ
ومال الاوسية والرزق واما
الذهاب اليه فلا اذهب اليه
ابدا وان كنتم تنقضون
الأيمان والعهد الذي وقع
بيننا فالرأي لكم ثم انفض
المجلس واخذ الباشا يدبر
في تفريق جمعهم وخذلان
السيد عمر لما في نفسه منه من
عدم انفاذ اغراضه ومعارضته
له في غالب الامور ويخشى
صولته ويعلم ان الرعية
والعامة تحت امره ان شاء
جمعهم وان شاء فرقهم وهو
الذي قام بنصره وساعده
واعانه وجمع الخاصة والعامة
حتى ملكه الاقليم ويرى
انه ان شاء فعل بنقيض
ذلك فشرع يجمع اليه بعض
الافراد من اصحابه الظاهر
ويختلي معهم ويحدثهم اليه
ويتمنى بذلك ويرى انه صار من
المقربين ويسكرون له في شأن الدواخلي وتصنع فيهم الخرج لهم جواب حقد ويرشده بقدر اجتهاده ما فيه من العداوة ثم في

ونهبت أمواله وكان ابلدجي من جملة حصونه قلعة اصطخر وهي من أمنع القلاع
وأحصنها وكان بها أهله وذخائره وقد استناب في حفظها وزيراً له يعرف بالجهرمي فعصى
عليه وأخرج اليه أهله وبعض المال ولم تزل في يد الجهرمي حتى وصل جاولي الى فارس
فأخذها منه وجعل فيها أمواله وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة وهم خلق
كثير لا يحصون ومقدمهم الحسن بن المبارز المعروف بخسرو وله فسا وغيرها فراسله
جاولي ليحضر خدمته جفري فأجاب انني عبد السلطان وفي طاعته فأما الحضور فلا سبيل
اليه لانني قد عرفت عادتك مع بلدجي وغيره ولكنني أحمل الى السلطان ما يؤثره فلما
سمع جاولي جوابه علم انه لا مقام له بفارس معه فأظهر العود الى السلطان وحمل أثقاله
على الدواب وسار كأنه يطلب السلطان وعاد جميع الرسول الى خسرو فأخبره فاطمأن وقعد
للشرب وأمن وأما جاولي فانه عاد من الطريق الى خسرو جريدة في نفر يسير فوصل اليه
وهو مخمور نائم فكبسه فأنبهه أخوه فضلويه فلم يستيقظ فصب عليه الماء البارد فأفاق
وركب من وقته وانهزم وتفرق أصحابه ونهب جاولي ثقله وأمواله وأكثر القتل في
أصحابه ولجأ خسرو الى حصنه وهو بين جبلين يقال لاحدهما انج وسار جاولي الى
مدينة فسا فتسلمها ونهب كثيراً من بلاد فارس منها جهرم وسار الى خسرو وحصره
مدة وضيق عليه فرأى من امتناع حصنه وقوته وكثرة ذخائره ما علم ان المدة تطول عليه
فصالحه ليشتغل بباقي بلاد فارس ورحل عنه الى شيراز فأقام بها ثم توجه الى كازرون
فملكها وحصر أبا سعد محمد بن مما في قلعته وأقام عليها صيفاً وشتاء فراسله
جاولي في الصلح فقتل الرسول فأرسل اليه قوماً من الصوفية فأطعمهم الهريسة
والقطائف ثم أمر بهم فخيطت أدبارهم وألقاهم في الشمس فهلكوا ثم نفد ما عند أبي
سعد فطلب الامان فأمنه وتسلم الحصن ثم ان جاولي أساء معاملته فهرب فقبض على
أولاده وبث الرجال في أثره فرأى بعضهم زنجياً يحمل شيئاً فقال ما معك فقال زادي
ففتشه فرأى دجاجاً وحلواء السكر فقال ما هذا من طعام مثلك فضربه فأقر على أبي سعد
وانه يحمل ذلك اليه فقصدوه وهو في شعب جبل فأخذه الجندي وحمله الى جاولي
فقتله وسار الى دارابجرد وصاحبها اسمه ابراهيم فهرب صاحبها منه الى كرمان خوفاً منه
وكان بينه وبين صاحب كرمان صهر وهو ارسلانشاه بن كرمانشاه بن ارسلان بك بن
قاورت فقال له لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولي وطلب منه النجدة وسار جاولي بعد هربه
منه الى حصار رنيل وهنه يعني مضيق رنيل وهو موضع لم يؤخذ قهراً قط لانه واد نحو
فرسخين وفي صدره قلعة منيعة على جبل عال وأهل دارابجرد يتحصنون به اذا خافوا
فأقاموا به ومعهم قاتلوا العلاء فلما رأى جاولي حصانته سار يطلب البرية نحو كرمان كأنه
أمره ثم رجع من طريق كرمان الى دارابجرد فظنه أهله من عسكر الملك ارسلانشاه
صاحب كرمان فلم يشكوا في الحصن انهم مدد لهم من صاحبهم فأظهروا السرور وأذنوا له
في دخول المضيق فلما دخله وضع السيف فيمن هناك فلم ينج الا القليل ونهب أموال
أهل دارابجرد وعاد الى مكانه وراسل خسرو يعلمه انه عازم على التوجه الى كرمان

وبعده

وفيها في شعبان توفي أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد بن بيان الرزاز ومولده في صفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن مخلد وأبي القاسم بن بشران وفيها توفي أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني رئيس الشافعية بمرو ومولده سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث الكثير وصنف وله فيه أمالي حسنة وتكلم على الحديث فأحسن ما شاء وفيها توفي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني أبو الخطاب الفقيه الحنبلي ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وتفقه على أبي يعلى بن الفراء

(ثم دخلت سنة احدى عشرة وخمسمائة)

(ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود)

في هذه السنة في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان وكان ابتداء مرضه في شعبان وانقطع عن الركوب وتزايد مرضه ودام وأرجف عليه بالموت فلما كان يوم عيد النحر حضر السلطان وحضر ولده السلطان محمود على السماط فنهبه الناس ثم أذن لهم فدخلوا الى السلطان محمد وقد تكلف القعود لهم وبين يديه سماط كبير فأكلوا وخرجوا فلما انتصف ذو الحجة أيس من نفسه فأحضر ولده محمودا وقبله وبكى كل واحد منهما وأمره أن يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس وعمره إذ ذاك قد زاد على أربع عشرة سنة فقال لوالده انه يوم غير مبارك يعني من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على أبيك وأما عليك فمبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وفي يوم الخميس الرابع والعشرين أحضر الأمراء وأعلمهم بوفاته وقرئت وصيته الى ولده محمود يأمره بالعدل والاحسان وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين منه خطب لمحمود بالسلطنة وكان مولد السلطان محمد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين وأربعمائة وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستة أيام وأول ما دعي له بالسلطنة ببغداد في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات على ما ذكرناه ولقي من المشاق والأخطار ما لا حد عليه فلما توفي أخوه بركيارق صفت له السلطنة وعظمت هيبته وكثرت جيوشه وأمواله وكان اجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة وستة أشهر

(ذكر بعض سيرته)

كان عادلا حسن السيرة شجاعا فمن عدله أنه اشترى مماليك من بعض التجار وأحالهم بالثمن على عامل خوزستان فأعطاهم البعض ومطل بالباقي فحضروا مجلس الحكم وأحضروا معهم غلمان القاضي فلما رآهم السلطان قال لحاجبه انظر ما حال هؤلاء فسألهم عن حالهم فقالوا لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم فقال من هو قالوا السلطان وذكروا قصتهم فعظم ذلك فاشتد عليه وأنكره وأمر باحضار العامل وأمره بايصال أموالهم والحمل الثقيل ونكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله ثم انه كان يقول بعد ذلك لقد

عمرو وتكلموا في شأن والطلوع الى الباشا ومقابلته فخالف السيد عمر انه لا يطلع اليه ولا يجتمع به ولا يرى له وجها الا اذا أبطل هذه الاحدوثات وقال ان جميع الناس يتهموني معه ويزعمون انه لا يتجارى على شئ يفعله الا باتفاقي معه ويكفي ما مضى ومهما تقادم يتزايد الظلم والجور وتكلم كلاما كثيرا فلما لم يجبهم الى الذهاب قالوا فليطلع المشايخ وأرسلوا الى الشيخ الامير فاعتذر بانه متوعك الجسم ولا يقدر على الحركة ولا الركوب ثم اتفقوا على طلوع الشيخ عبد الله الشرقاوي والمهدي والدواخلي والفيومي وذلك على خلاف غرض السيد عمر وظنا انهم يعتمدون لامتناعه العهود السابقة والايمان فلما طلعوا الى الباشا وتكلموا معه وقدم لهم كل منهم لقمة الا* ثم البالطية ثم ذاكروه في أمر المحدثات فأخبرهم انه يرفع بدعة الدمغة وكذلك يرفع الطلب عن الاطيان الاوسية ويقرر ربع الفائظ وقاموا على ذلك ونزلوا الى بيت السيد عمر وأخبروه بما حصل فقال وأعجبكم ذلك قالوا قال انه رجل يخبرني بتقرير ربع المال الفائظ فلم أرض وأبيت الا وقع ذلك بالكتابة فانه في العام السابق لما طلب احداث الربع قلت له هذه تصير سنة متبعة فقال انها

* قوله قالوا قال الخ هكذا في جميع النسخ التي بيدنا ولعله قالوا الا أو نعم أو نحو ذلك كذا بهامش الاصل

وحضروا عند السيد عمر وهو عتاني بالقيطة مما حصل من الشذوذ وتحقق العهد فأخبروه بان الباشا لم يحصل

منه خلاف وقال انا لا ارد شفاعتكم ولكن نفسي لا تقبل النصح والواجب عليكم اذا رأيتموني فعلت شيئا مخالفا ان تنصحوني وتشفعوا فانا لا أردكم ولا امتنع من قبول نصحكم وأما ما تفعلونه من التشنيع والاجتماع بالازهر فهذا لا يناسب منكم وكأنكم تخوفونني بهذا الاجتماع وتهييج الشرور وقيام الرعية كما كنتم تفعلون في زمان المماليك فانا لا أفزع من ذلك وان حصل من الرعية امر ما ليس لهم عندي الا السيف والانتقام فقلنا له هذا لا يكون ونحن لا نحب ثوران الفتن وانما اجتماعنا لاجل قراءة البخاري وندعو الله برفع الكرب ثم قال أريد ان تخبروني عمن انشأ هذا الامر ابتدأ بالخلاف فقالوا الطلبة وانه وعدنا بابطال الدمغة وتضعيف الفائظ الى الربع بعد النصف وانكر الطلب بالاوسية والرزق من اقليم البحيرة ثم قاموا منصرفين وانفتح بينهم باب النفاق واستمر القال والقيل وكل حريص على حظ نفسه وزيادة شهرته وسمعته وظهر خلاف ما في ضميره

●(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الجمعة سنة ١٢٢٤)● فيه حضر ديوان افندي وعبد الله بكتاش الترجمان واجتمع المشايخ ببيت السيد وفيها

في هذه السنة حصر عسكر علي بن يحيى صاحب افريقية مدينة توفس وبها احمد بن خراسان وضيق على من بها فصالحهم احمد على ما اراد وفيها فتح ايضا جبل وسلات بافريقية واستولى عليه وهو جبل منيع ولم يزل اهله طول الدهر يفتكون بالناس ويقطعون الطريق فلما استمر ذلك منهم سير اليهم جيشا فتمكن اهل الجبل ينزلون الى الجيش ويقاتلون اشد قتال فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود الى الجبل من شعب لم يكن احد يظن انه يصعد منه فلما صار في اعلاه في طائفة من اصحابه ثار اليه اهل الجبل فصبر لهم وقاتلهم فيمن معه اشد قتال وتتابع الجيش في الصعود اليه فانهزم اهل الجبل وكثر القتل فيهم ومنهم من رمى نفسه فتكسر ومنهم من اخذ واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل فلما احاط بهم الجيش طلبوا ان يرسل اليهم من يصالحهم فارسل اليهم جماعة من العرب والجند فثار بهم اوثق بالسلاح فقتلوا بعضهم وطلع الباقون الى اعلى القصر ونادوا اصحابهم من الجيش فاتوهم وقاتلوهم بعضهم من اعلى القصر وبعضهم من اسفله فالقى من فيه من اهل الجبل ايديهم فقتلوا كلهم

●(ذكر الفتنة بطوس)●

في هذه السنة في عاشوراء كانت فتنة عظيمة بطوس في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام وسببها ان علويا خاصم في المشهد يوم عاشوراء بعض فقهاء طوس فادى ذلك الى مضاربة وانقطعت الفتنة ثم استعان كل منهما بحزبه فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع اهل طوس واحاطوا بالمشهد وخربوه وقتلوا من وجدوا فقتل منهم جماعة ونهبت اموال جمة وافترقوا وترك اهل المشهد الخطبة ايام الجمعات فيه فبنى عليه عضد الدين فرامرز بن علي سورا امتنعا يحتمي به من بالمشهد على من يريده بسوء وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية ببغداد فاحترقت الاخشاب التي بها واتصل الحريق الى درب السلسلة وقطانين التمر والى باب المراتب فاحترقت منه عدة دور واحترقت خزانة كتب النظامية وسلمت الكتب لان الفقهاء لما احسوا بالنار نقلوها وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول ابو محمد الاندلسي السرقسطي وكان فقيها فاضلا وورد العراق سنة خمسمائة وسار الى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها وله شعر حسن فمنه

ومهفهف يختال في ابراده ● مرح القضيب اللدن تحت البارح

ابصرت في مرآة فكري خده ● فحكيت فعل جفونه بجوارحي

ما كنت احسب ان فعل توهمي ● يقوى تعديه فيجرح جارحي

لا غرو ان جرح التوهم خده ● فالسحر يعمل في البعيد النازح

يبق غيرهم كيف نزل اليه الباطنية من القلعة فقاتلهم وقاتلهم وحمى من تخلف من ساقة العسكر واتباعهم ولحق بالعسكر فلما فارق القلعة نزل الباطنية ما تخلف عندهم

ذكر حصار قابس والمهدية

في هذه السنة جهز علي بن يحيى صاحب افريقية اسطولا في البحر الى مدينة قابس وحصرها وسبب ذلك ان صاحبها رافع بن مكن الدهماني انشأ مركبا بساحلها ليحمل التجار في البحر وكان ذلك آخر ايام الامير يحيى فلم ينكر يحيى ذلك جريا على عادته في المداراة فلما ولي علي الامر بعد ابيه انف من ذلك وقال لا يكون لاحد من اهل افريقية ان يناويني في اجراء المراكب في البحر بالتجار فلما خاف رافع ان يمنعه علي التجا الى اللعين رجار ملك الفرنج بصقلية واعتضد به فوعده رجار ان ينصره ويعينه على اجراء مركبه في البحر وانفذ في الحال اسطولا الى قابس فاجتازوا بالمهدية فحينئذ تحقق علي اتفاقهما وكان يكذبه فلما اجتاز اسطول رجار بالمهدية اخرج علي اسطوله في اثره فتوافى الجميع الى قابس فلما رأى صاحبها اسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه فعاد اسطول الفرنج وبقي اسطول علي يحصر قابس مضيقا عليها ثم عادوا الى المهدية وتمادى رافع في المخالفة لعلي وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل على المهدية محاصرا لها ونازع عليا وقال اني انما جئت للدخول في الطاعة وطلب من يسعى في الصلح وانفذ اليه كتب اقواله فلم يجبه علي عن ذلك بحرف واخرج العساكر وحملوا على رافع ومن معه حملة منكرة فالحقوهم بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت فلما رأى ذلك النساء صحن وولولن فغارت العرب وعاودت القتال واشتد حينئذ الامر الى الغروب ثم افترقوا وقد قتل من عسكر رافع بشر كثير ولم يقتل من جند علي غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر علي مرة اخرى فاقتتلوا اشد من القتال الاول وكان الظهور فيه لعسكر علي فلما رأى رافع انه لا طاقة له بهم رحل عن المهدية ليلا الى القيروان فمنعه اهلها من دخولها فقاتلهم اياما قلائل ثم دخلها فارسل علي اليه عسكرا من المهدية فحصروه فيها الى ان خرج عنها وعاد الى قابس ثم ان جماعة من اعيان افريقية من العرب وغيرهم سألوا عليا في الصلح فامتنع ثم اجاب الى ذلك بعد اعادة عليه

ذكر الوحشة بين رجار والامير علي

كان رجار صاحب صقلية بينه وبين الامير علي صاحب افريقية مودة وكيدة الى ان اعان رافعا كما تقدم قبل فاستوحش كل منهما من صاحبه ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادته به فقويت الوحشة فارسل رجار رسالة فيها خشونة فاحترز علي منه وامر بتجديد الاسطول واعداد الاهبة للقاء العدو وكاتب المرابطين بمراكش في الاجتماع معه على الدخول الى صقلية فكف رجار عما كان جمعه

ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء ايلغازي عليها

بالحجاز لما تشير عليهم وارسل اليه كتخداه ليترفق به وذكر له ان الباشا رتب له كيسا في كل يوم ويعطيه في هذا الحين ثلثمائة كيس خلاف ذلك فلم يقبل ولم يزل الباشا متعلق الخاطر بسببه ويتفحص ويتفحص عن احواله وعلى من يتردد عليه من كبار العسكر وربما اغرى به بعض الكبار فراسلوه سرا واظهروا له كراهتهم للباشا وانه ان انتبذ لذلك قاموا بمساعدته وقاموا بنصرته عليه فلم يخف على السيد عمر مكرهم ولم يزل مصمما ومتمنعا عن الاجتماع به والامتثال اليه ويسعى عليه والمترددون ايضا ينقلون ويحرفون بحسب الاغراض والاهواء واتفق في اثناء ذلك ان الباشا امر بكتابة عرضحال بسبب المطلوب لوزير الدولة وهي الاربعة آلاف كيس ويذكر فيه انها صرفت في المهمات منها ما صرف في سد ترعة الفرعونية ومبلغه ثمانمائة كيس وعلى تجاريد العساكر لمحاربة الامراء المصرية حتى دخلوا في الطاعة كذلك مبلغا عظيما وما صرف في عمارة القلعة والمجراة التي تنقل المياه اليها مبلغا ايضا وكذلك في حفر الخلجان والترع ونقص المال الميري بسبب شراقي البلاد ونحو ذلك وارسله الى السيد عمر ليضع خطه وختمه عليه فامتنع وقال اما ما صرف على سد الترعة فان الذي جمعه وجباه من البلاد يزيد على ما صرفه اضعافا كثيرة واما غير ذلك فكله كذب لا اصل

قد ندمت على ما فعلته حيث لم احضر معهم مجلس الحكم ليقتدي بي غيري ولا يمتنع احد عن الحضور فيه واداء الحق ومن عدله انه كان له خازن يعرف بابي احمد القزويني قتله الباطنية فلما قتل امر بعرض الخزانة فعرض عليه فيها درج فيه جوهر كثير نفيس فقال ان هذا الجوهر عرضته علي منذ ايام وهو في ملك اصحابه وسلمه الى خادم ليحفظه ويطلب من اصحابه فيعطيهم اياه فسأل عنهم وكانوا تجارا غرباء وقد تفرقوا وادخلوا (؟) وايسوا منه فكتب واحضرهم وسلمه اليهم ومن عدله انه اطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد ولم يعرف منه فعل قبيح وعلم الامراء سيرته فلم يقدم احد منهم على الظلم وكفوا عنه ومن محاسن اعماله ما فعله مع الباطنية على ما نذكره

❁(ذكر حال الباطنية ايام السلطان محمد)❁

قد تقدم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم ونحن نذكر ههنا زيادة اهتمامه بامرهم فانه رحمه الله تعالى لما علم ان مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم واخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان في ايامه المقدم عليهم والقيم بامرهم الحسن بن الصباح الرازي صاحب قلعة ألموت وكانت ايامه قد طالت وله منذ ملك قلعة ألموت ما يقارب ست وعشرين سنة وكان المجاورون له في اقبح صورة من كثرة غزوه عليهم وقتله واسره رجالهم وسبي نسائهم فسير اليه السلطان العساكر على ما ذكرناه فعادت من غير بلوغ غرض فلما اعضل داؤه ندب لقتاله الامير انوشتكين شيركير صاحب آبه وساوة وغيرهما فملك منهم عدة قلاع منها قلعة كلام ملكها في جمادى الاولى سنة خمس وخمسمائة وكان مقدمها يعرف بعلي بن موسى فآمنه ومن معه وسيرهم الى ألموت وملك منهم ايضا قلعة بيرة وهي على سبعة فراسخ من قزوين وآمنهم وسيرهم الى ألموت ايضا وسار الى قلعة ألموت فحصرهم ومعه من العساكر وامده السلطان بعدة من الامراء فحصرهم وكان هو من بينهم صاحب القريحة والبصيرة في قتالهم مع جودة رأي وشجاعة فبنى عليها مساكن يسكنها هو ومن معه وعين لكل طائفة من الامراء اشهرا يقيمونها فكانوا ينوبون ويحضرون وهو ملازم الحصار وكان السلطان ينقل اليه الميرة والذخائر والرجال فضاق الامر على الباطنية وعدمت عندهم الاقوات وغيرها فلما اشتد عليهم الامر نزلوا نساءهم وابناءهم صغارا يسألون ان يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا الى ذلك واعادهم الى القلعة قصدا ليموت الجميع جوعا وكان ابن الصباح يجري لكل رجل منهم في اليوم رغيفا وثلاث جوزات فلما بلغ بهم الامر الى الحد الذي لا مزيد عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر الى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم وعزموا على الرحيل فقال شيركير ان رحلنا عنهم وشاع الامر نزلوا الينا واخذوا ما اعددناه من الاقوات والذخائر والرأي ان نقيم على قلعتهم حتى نفتحها وان لم يكن المقام فلا بد من مقام ثلاثة ايام حتى ينفذ ثقلنا وما اعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله لئلا يأخذه العدو فلما سمعوا قوله عزموا على المقام ... (؟) على الاتفاق والاجتماع فلما امسوا رحلوا من غير مشاورة ولم

لا تكون بعد هذا العام وخلافه ضرورة الندامة وان عاد اليها في المستقبل يكون ملعونا ومطرودا من رحمة الله وعاهد في على ذلك وشرائط عليكم كالايمان المغلظة كما لو انهم واما قوله انه دفع الطلب عن الاوصية والرزق فلا اصل لذلك وما هي اوراق العبيرة وجعلوا بها الطلب فقالوا انه اذ كرنا له ذلك فانكر وكابرناه باوراق الطلب فقال ان السبب في طلب ذلك من اقليم العبيرة خاصة ان السكك الذين لما نزلوا الكشف على اراضي الري والعراق ليقرروا ابيا (؟) فرضة الايلبان حصل منهم الخيانة والتدليس فاذا كان في ارض البالة خمسمائة فدان زرع قالوا انها مائة ووضعوا الباقي رزقا واوصية فقررت ذلك عقوبة لهم في نظير تلبيسهم وخيانتهم فقال السيد عمر وحل ذلك امر واجب فعلا اليس هو مجرد جور ولم اصنعه في العام الماضي وهي فرضة الايلبان التي ادى لزومها لاتمام المعلومة وحلف انه لا يعود لمثلها فقد عاد وزاد وانتم تراقبونه وتسايرونه ولا تصدونه ولا تصدعونه بكلمة واما الذي صدر منه من تعدي مخالفة وشاذا وجعل عليهم الاوم في نقضهم العهد والايمان وانفض المجلس وتفرقت الآراء وراج سوق النفاق وتحركت حفائظ الحقد والحسد وكثر سعيهم وتناجيهم بالليل والنهار والباشا يراسل السيد عمر ويطلبه للحضور اليه والاجتماع به ويعده بيق

مذ قتل والده على ما ذكرناه فأحسن إليه وأقطعه إقطاعا كثيرا فلما توفي السلطان محمد خاطب السلطان محمودا في العود إلى بلده الحلة فأذن له في ذلك فعاد إليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب والأكراد وغيرهم وكان آقسنقر البرسقي مقيما بالرحبة وهي إقطاعه وليس بيده من الولايات شيء فاستناب عليها ابنه عز الدين مسعودا وسار إلى السلطان محمد قبل موته عازما على مخاطبته في زيادة إقطاعه فبلغه وفاة السلطان محمد قبل وصوله إلى بغداد وسمع مجاهد الدين بهروز بقربه من بغداد فأرسل إليه يمنعه من دخولها فسار إلى السلطان محمود فلقيه وتبع السلطان بولاية شحنكية بغداد وهو بحلوان وعزل بهروز وكان الأمراء عند السلطان يريدون البرسقي ويتعصبون له ويكرهون مجاهد الدين بهروز ويحسدونه لقربه كان من السلطان محمد وخافوا أن يزداد تقدما عند السلطان محمود وحكما فلما ولي البرسقي شحنكية بغداد هرب بهروز إلى تكريت وكانت له ثم إن السلطان ولى شحنكية بغداد الأمير منكوبرس وهو من أكابر الأمراء وتقدم وحكم في دولة السلطان محمود فلما أعطي الشحنكية سير إليها ربيبه الأمير حسين بن أزبك أحد الأمراء الأتراك وهو صاحب أسداباذ لينوب عنه ببغداد والعراق وفارق السلطان من باب همذان واتصل بجماعة الأمراء البكجية وغيرهم فلما سمع البرسقي خاطب الخليفة المستظهر بالله ليأمره بالتوقف إلى أن يكاتب السلطان ويفعل ما يرد به الأمر عليه فأرسل إليه الخليفة فأجاب إن رسمتم الخليفة بالعود عدت وإلا فلا بد من دخول بغداد فجمع البرسقي أصحابه وسار إليه فالتقوا واقتتلوا فقتل أخ لحسين وانهزم هو ومن معه وعادوا إلى عسكر السلطان فكان ذلك في شهر ربيع الأول قبل وفاة المستظهر بالله بأيام

(ذكر وفاة المستظهر بالله)

في هذه السنة سادس عشر شهر ربيع الآخر توفي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله وكان مرضه التراقي وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام وخلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جهير وسديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الأصبهاني وزعيم الرؤساء أبو القاسم بن جهير ومجد الدين أبو المعالي هبة الله بن المطلب ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمد وناب عن الوزارة أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا وقاضي القضاة أبو الحسن علي بن الدامغاني ومضى في أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان والسلطان بركيارق ومحمد ابنا ملكشاه ومن غريب الاتفاق أنه لما توفي السلطان ألب أرسلان توفي بعده القائم بأمر الله ولما توفي السلطان ملكشاه توفي بعده المقتدي بأمر الله ولما توفي السلطان محمد توفي بعده المستظهر بالله

(ذكر بعض أخلاقه وسيرته)

مطلوبي وارتاح من هذه الورطة ولكن اريد ان يكون في بلد فلم تمكن فبعث حكمه اذا لم يأذن لي في الذهاب الى اسيوط فليأذن لي في الذهاب الى الطور او الى وزنة فعرفوا الباشا فلم يرض الا بذهابه الى دمياط ثم ان السيد عمر ابى باختياره وخشي ان ياخذه الجاويشية ويذهبوا به الى بيت السادات واخذ في اسباب السفر (وفي يوم الخميس ثامن عشرينه) الموافق لخامس مسرى القبطي اوفى النيل المبارك ونودي بالوفاء تلك الليلة وخرج الناس لاجل الفرجة والضيافات في الدور المطلة على الخليج فلما كان آخر النهار برزت الاوامر بتأخير الموسم الى ليلة السبت بالروضة فبرد طعام اهل الولائم والضيافات وتضاعفت كلفهم ومصاريفهم وحصلت الجمعية ليلة السبت بالروضة وعند قنطرة السد وعملوا الحراقات والشنك وحضر الباشا واكابر دولته والقاضي وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء في الخليج وانفض الجمع (وفي ذلك اليوم) اعتنى السيد محمد المحروقي بامر السيد عمر وذهب الى الباشا وكلمه واخبره بانه اقامه وكيلا على اولاده وبيته وتعلقاته فاجاز ذلك وقال هو آمن من كل شيء وانا لم ازل راعيا خاطره ولا اخونه ثم ارسل السيد المحروقي فاحضر ابن ابنة السيد عمر فقابل به الباشا وطمن خاطره ولكن قال لابد من سفره الى دمياط وعندما طلب السيد المحروقي القلام الى

في هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب وأعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولي أتابكية ولده ألب أرسلان فلما مات أقام بعده في الملك سلطانشاه ابن رضوان وحكم في دولته أكثر من حكمه في دولة أخيه فلما كان هذه السنة سار منها الى قلعة جعبر ليجتمع بالأمير سالم بن مالك صاحبها فلما كان عند قلعة نادر نزل يريق الماء فقصده جماعة من أصحابه الأتراك وصاحوا أرنب أرنب وأوهموا أنهم يتصيدون ورموه بالنشاب فقتل فلما هلك نهبوا الخزانة فخرج اليهم أهل حلب فاستعادوا ما أخذوه وولي أتابكية سلطانشاه بن رضوان شمس الخواص يارقتاش فبقي شهرا وعزلوه وولي بعده أبو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه وقيل كان سبب قتل لؤلؤ أنه أراد قتل سلطانشاه كما قتل أخاه ألب أرسلان قبله ففطن به أصحاب سلطانشاه فقتلوه وقيل كان قتله سنة عشر وخمسمائة والله أعلم ثم ان أهل حلب خافوا من الفرنج فسلموا البلد الى نجم الدين ايلغازي فلما تسلمه لم يجد فيه مالا ولا ذخيرة لأن الخادم كان قد فرق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فأكثر ففرقه الصغير أولاده فلما رأى ايلغازي خلو البلد من الأموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج وهادنهم مدة يسيرة تمكنون بمقدار مسيره الى ماردين وجمع العساكر والعود فلما تمت الهدنة سار الى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في رابع عشر صفر انخسف القمر انخسافا كليا وفي هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا وفيها في يوم عرفة كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد وخرب بها ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربي وفيها مات أحمد العربي ببغداد وكان من عباد الله الصالحين له كرامات وقبره يزار بها وفي هذه السنة في شوال توفي أبو علي محمد بن سعد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب وعمره مائة سنة وكان عالي الاسناد روى عن أبي علي بن شاذان وغيره والحسن ابن أحمد بن جعفر أبو عبد الله الشقاق الفرضي الحاسب وكان واحد عصره في علم الفرائض والحساب وسمع الحديث من أبي الحسين بن المهتدي وغيره وفيها مات الكرايكس ملك القسطنطينية وملك بعده ابنه يوحنا وسلك سيرته وفيها مات دوقس أنطاكية وكفى الله شره

(ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة)

(ذكر ملك السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقي شحنكية بغداد)

لما توفي السلطان محمد وملك بعده ابنه محمود ودبر دولته الوزير الربيب أبو منصور وأرسل الى الخليفة المستظهر بالله يطلب أن يخطب له ببغداد فخطب له في الجمعة ثالث عشر المحرم وكان شحنة بغداد بهروز ثم ان الأمير دبيس بن صدقة كان عند السلطان محمد

له وان وجد من يحاسبه على ما أخذه من النظر المصري من القرض والمظالم وهذه الدفاتر فلما ردوا عليه وأخبروه بذلك الكلام حنق واغتاظ في نفسه وطلبه للاجتماع به فامتنع فلما أكثر من التراسل قال ان كان ولا بد فاجتمع معه في بيت السادات وأما طلوعي اليه فلا يكون فلما قيل له في ذلك ازداد حنقه وقال انه بلغ به أن يردني ويذلني ويأمرني بالنزول من محل حكمي الى بيوت الناس (ولما أصبح يوم الأربعاء سابع عشرينه) ركب الباشا وحضر الى بيت ولده ابراهيم بك الدفتردار وطلب القاضي والمشايخ المذكورين وأرسل الى السيد عمر رسولا من طرفه ورسولا من طرف القاضي يطلبه للحضور ليتحاقق ويتشارع معه فرجعا وأخبرا بأنه شرب دواء ولا يمكنه الحضور في هذا اليوم وكان قد أحضر شيخ السادات الوفائية والشيخ الشرقاوي فعند ذلك أحضر الباشا خلعة وألبسها الشيخ السادات على نقابة الأشراف وأمر بكتابة فرمان بخروج السيد عمر ونفيه من مصر يوم تاريخه فتشفع المشايخ في امهاله ثلاثة أيام حتى يقضي أشغاله فأجاب الى ذلك ثم سألوه في أن يذهب الى بلده أسيوط فقال لا يذهب الى أسيوط ويذهب اما الى اسكندرية أو دمياط فلما ورد الخبر على السيد عمر بذلك قال أما منصب النقابة فاني راغب عنه وزاهد فيه وليس فيه الا التعب وأما النفي فهو غاية

فأجاب الى ما طلب منه ثم حدث من امر البرسقي ودبيس وطغرلبك ما ذكرناه فتأخر
الحال واقام الامير ابو الحسن عند دبيس الى ثاني عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة
ثم سار عن الحلة الى واسط وكثر جمعه وقوي الارجاف بقوته وملك مدينة واسط
وخيف جانبه فتقدم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لولي عهده ولده ابي جعفر المنصور
وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة فخطب له ثاني ربيع الآخر ببغداد وكتب الى البلاد
بالخطبة له وارسل الى دبيس بن مزيد في معنى الامير ابي الحسن وانه الآن قد فارق
جواره وهو يده الى بلاد الخليفة وما يتعلق به ويأمره بقصده ومعاجلته قبل قوته فارسل
دبيس العساكر اليه ففارق واسط وقصد بخسير وهربوا اصحابه فضلوا الطريق ووصلت
عساكر دبيس فصادفوهم عند الصلح فنهبوا اثقاله وهرب الاكراد من اصحابه
والاتراك وعاد الباقون الى دبيس وبقي الامير ابو الحسن في عشرة من اصحابه وهو
عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ وكان الزمان قيظا فايقن بالتلف وتبعه
بدويان فأراد الهرب منهما فلم يقدر فأخذاه وقد اشتد به العطش فسقياه وحملاه الى
دبيس فسيره الى بغداد وحمله الى الخليفة بعد ان بذل له عشرين الف دينار وحمل
الى الدار العزيزة وكان بين خروجه منها وعوده اليها احد عشر شهرا ولما دخل على
المسترشد بالله قبل قدمه وقبله المسترشد وبكيا وانزله دارا حسنة كان هو يسكنها قبل
ان يلي الخلافة وحمل اليه الخلع والتحف الكثيرة وطيب نفسه وامنه

(ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك الى العراق وما كان بينهما وبين البرسقي ودبيس)

في هذه السنة في جمادى الاولى برز البرسقي ونزل باسفل الرقة في عسكره ومن معه واظهر
انه على قصد الحلة واجلاء دبيس بن صدقة عنها وجمع دبيس جموعا كثيرة من العرب
والاكراد وفرق الاموال الكثيرة والسلاح وكان الملك مسعود ابن السلطان محمد بالموصل
مع اتابكه اي ابه جيوش بك فاشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فانه
لا مانع دونه فساروا في جيوش كثيرة ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك ابو علي بن عمار
صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكي بن آقسنقر جد ملوكنا الآن بالموصل وكان
من الشجاعة في الغاية ومعهم ايضا صاحب سنجار وابو الهيجاء صاحب اربل وكرباوي
ابن خراسان التركماني صاحب البوازيج فلما علم البرسقي قربهم خافهم وكان البرسقي
قديما قد جعله السلطان محمد اتابكا لولده مسعود على ما ذكرناه وانما كان خوفه من
جيوش بك فلما قاربوا بغداد سار اليهم ليقاتلهم ويصدهم فلما علم مسعود وجيوش
بك ذلك ارسلوا اليه الامير كرباوي في الصلح واعلمه انهم انما جاؤوا نجدة له على دبيس
واصطلحوا وتعاهدوا واجتمعوا ووصل مسعود الى بغداد ونزل بدار المملكة ووصلهم
الخبر بوصول الامير عماد الدين منكبرس المقدم ذكره في جيش كثير فسار البرسقي
عن بغداد نحوه ليحاربه ويمنعه عنها فلما علم به منكبرس قصد النعمانية وعبر دجلة
هناك واجتمع هو ودبيس بن صدقة وكان دبيس قد نافق من الملك مسعود والبرسقي

خلع الباشا على ثلاثة من الاجناد المصرية المنسوبين لسليمان بك البواب ٢٣٧ وقلدهم صناجق وامراء الوقت وضم اليهم
عساكر الارنؤد وارادت امر
الجميع الى الجهة القبلية
بسبب عصيان الامراء المرادية
وتوقفهم عن دفع المال
والغلال وكذلك عين للسفر
ايضا احمد اغا لاظ وصالح قوج
وبونابارته وحسن باش اوطه باشي
بك فارتجت البلد وطلبوا
المراكب فتعطل المسافرون
الى الجهة القبلية والبحرية
وكذلك امتنع مجيء الواصلين
بالغلال والبضائع خوفا من
التسخير وقد كان حصل بعض
الاطمئنان وسلوك الطريق
القبلية ووصول المراكب
بالغلال والحبوبات (وفي عاشره)
سافر احمد اغا لاظ وصالح
قوج وخرجوا بعساكرهم ونزلوا في
المراكب وذهبوا الى قبلي
(وفيه) حضر محمد كتخدا الالفي
من دمياط راجعا من تشييع
السيد عمر ووصوله الى دمياط
واستقراره بها (وفي يوم
الخميس ثاني عشره) سافر
من كان متأخرا الى الجهة
القبلية ولم يبق منهم احد
(وفي ثالث عشرينه)
نادى منادي المعمار على
ارباب الاشغال في العمائر
من البنائين والنجارين
والفعلة بان لا يشتغلوا في
عمارة احد من الناس كائنا
من كان وان يجتمع الجميع في
عمارة الباشا بناحية الجبل
(وفي تاسع عشرينه) وردت اخبار عن التجريدة ازعجت الباشا ثم اخفاها ما امكنه وقصد الذهاب بنفسه وفيه

كان رضي الله عنه لين الجانب كريم الأخلاق يحب اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع إلى أعمال البر والمثوبات مشكور المساعي لا يرد مكرمة تطلب منه وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ إلى سعاية ساع ولا ملتفت إلى قوله ولم يعرف منه تلون وانحلال عزم بأقوال أصحاب الأغراض وكانت أيامه أيام سرور للرعية فكأنها من حسنها أعياد وكان إذا بلغه ذلك فرح به وسره وإذا تعرض سلطان أو نائب له إلى أذى أحد بالغ في إنكار ذلك والزجر عنه وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد يدل على فضل غزير وعلم واسع ولما توفي صلى عليه ابنه المسترشد بالله وكبر أربعا ودفن في حجرة كان يألفها ومن شعره قوله

أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا * لما مددت إلى رسم الوداع يدا
وكيف أسلك نهج الاصطبار وقد * أرى طرائق في مهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعد بدر قد شغفت به * من بعد ما قد وفى دهرا بما وعدا
إن كنت أنقض عهد الحب في خلدي * من بعد هذا فلا عاينته أبدا

(ذكر خلافة الإمام المسترشد بالله)

لما توفي المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس أحمد ابن المستظهر بالله وكان ولي عهده قد خطب له ثلاثا وعشرين سنة فبايعه أخواه ابنا المستظهر بالله وهما أبو عبد الله محمد وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي بأمر الله وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان وكان المتولي لأخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغاني وكان نائبا عن الوزارة فأقره المسترشد بالله عليها ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا وأحمد بن أبي دواد فإنه أخذها للواثق بالله والقاضي أبو علي إسمعيل بن إسحق أخذها للمعتضد بالله ثم إن المسترشد عزل قاضي القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الربيب أبي منصور وزير السلطان محمود وكان والده خاطب في معنى ولده حتى استوزره وقبض على صاحب المخزن أبي طاهر يوسف بن أحمد الحزي

(ذكر هرب الأمير أبي الحسن أخي المسترشد وعوده)

لما اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله ركب أخوه الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر وانحدر إلى المدائن ومنها إلى دبيس بن صدقة بالحلة فأكرمه دبيس وعلم منه وفاة المستظهر بالله وأقام له الإقامات الكثيرة فلما علم المسترشد بالله خبره أهمه ذلك وأقلقه وأرسل إلى دبيس يطلب منه إعادته فأجاب بأنني عبد الخليفة وواقف عند أمره ومع هذا فقد استذم بي ودخل منزلي فلا أكرهه على أمر أبدا وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي فقصد الأمير أبا الحسن وتحدث معه في عوده وضمن له عن الخليفة كل ما يريده فأجاب إلى العود وقال إنني لم أفارق أخي لشر أريده وإنما الخوف حملني على مفارقته فإذا أمنني قصدته وتكفل دبيس بإصلاح الحال بنفسه والمسير معه إلى بغداد فعاد النقيب وأعلم الخليفة الحال

الباشا أشيع في الناس وقوع الرضا وتناقل الناس ذلك وفرح أهل منزله وزغرطوا وسروا واستمروا على ذلك حتى وضح الكلام وتبين أنه لا شيء فانقلب الفرح بالترح وتعين بالسفر صحبة السيد عمر كتخدا الألفي إلى دمياط

(واستهل شهر رجب بيوم الأحد سنة ١٢٢٤) فيه اجتمع المودعون للسيد عمر ثم حضر محمد كتخدا المذكور فعند وصوله قام السيد عمر وركب في الحال وخرج بصحبته وتبعه الكثير من المتعممين وغيرهم وهم يتباكون حوله حزنا على فراقه وكذلك اغتم الناس على سفره وخروجه من مصر لأنه كان ركنا وملجأ ومقصدا للناس ولتعصبه على نصرة الحق فسار إلى بولاق ونزل في المركب وسافر من ليلته بأتباعه وخدمه الذين يحتاج إليهم إلى دمياط (وفي صبح ذلك اليوم) حضر الشيخ المهدي عند الباشا وطلب وظائف السيد عمر فأنعم عليه الباشا بنظر أوقاف الإمام الشافعي ونظر وقف سنان باشا ببولاق وحاسب على المنكسر له من الغلال مدة أربع سنوات فأمر بدفعها له من خزينته نقدا وقدرها خمسة وعشرون كيسا وذلك في نظير اجتهاده في خيانة السيد عمر حتى أوقعوا به ما ذكر (وفيه) تقيد الخواجا محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذي يعرف بالآثار النبوية تعمير داخلها على وضعها القديم وقد كان آل إلى الخراب (وفي يوم الثلاثاء) فلجاب

بغداد وورد عميد دبيس بن صدقة وعاد الى الحلة بعد ان طالب بها وأبيه بدر بن فيروز وكانت قد دخلت في جامع القصر ببغداد فصودرت بغداد على أموال وأقام منكبرس ببغداد يظلم ويعسف الرعية ويصادرهم فاختفى ارباب الاموال وانتقل جماعة الى حريم دار الخلافة خوفا منه وبطلت معايش الناس وأكثر اصحابه الفساد حتى ان بعض اهل بغداد زفت اليه امرأة تزوج بها فأخذها بعض اصحاب منكبرس فأتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدة جراحات وأبقى زوجته فكثر الدعاء ليلا ونهارا واستغاث الناس لهذه الحال واغلقوا الاسواق فاخذ الجندي الى دار الخلافة فاعتقل بها ثم اطلق وسمع السلطان بما فعله منكبرس ببغداد فارسل اليه يستدعيه ويحثه على اللحوق به وهو يغالط ويدافع وكلما طلبه السلطان يلح في جمع الاموال والمصادرات فلما علم اهل بغداد تغير السلطان عليه واستدعاءه اياه طمعوا فيه فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفا ان يثوروا به وكفى الناس شره وظهر من كان مستترا

(ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين)

في ذي الحجة من سنة احدى عشرة وخمسمائة توفي بغدوين ملك القدس وكان قد سار الى ديار مصر في جمع الفرنج قاصدا ملكها والتغلب عليها وقوي طمعه في الديار المصرية وبلغ مقابل تنيس وسبح في النيل فانتقض جرح كان به فلما احس بالموت عاد الى القدس فمات ووصى ببلاده للقمص صاحب الرها وهو الذي كان اسره جكرمش واطلقه جاولي سقاوو واتفق ان هذا القمص كان قد سار الى القدس يزور بيعة قمامة فلما وصى اليه بالملك قبله واجتمع له القدس والرها وكان اتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين دير أيوب وكفر بصل باليرموك فبلغه وفاة بغدوين حتى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوما وبينهم نحو يومين فاتاه رسول ملك الفرنج يطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التي بينهم من جبل عوف والحنانة والصلت والغور فلم يجب الى ذلك واظهر القوة فسار طغتكين الى طبرية فنهبها وما حولها وسار منها نحو عسقلان وكانت لمصر بين وجاء عسكرهم كانوا قد سيروها لما عاد ملك القدس المتوفى عن مصر وكانوا سبعة آلاف فارس فاجتمع بهم طغتكين واعلمه المقدم عليهم ان صاحبهم تقدم اليه بالوقوف عند رأي طغتكين والتصرف على ما يحكم به فاقاموا بعسقلان نحو شهرين ولم يروا من الفرنج اثرا فعاد طغتكين الى دمشق فأتاه الصريخ بان مائة وثلاثين فارسا من الفرنج اخذوا حصنا من اعماله يعرف بالحبيس ويعرف بحصن جلدك فطلع اليهم المستحفظ به وقصدوا الدرعات فتم بوجه الأرسل اليهم تاج الملوك بوري بن طغتكين فانحاز اصحابه الى جبل هناك فنازلهم فأتاه أبوه وشهاه صحيح فلم يفعل وطمع فيهم فلما ايس الفرنج فاتلوا قتال مستقتل فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة فهزموهم بها واسروا وقتلوا خلقا كثيرا وعاد الفل الى دمشق على اسوأ حال فسار طغتكين الى حلب وبها ايلغازي فاستنجده وطلب منه المساعدة على الفرنج

اجماء المشايخ وذهبوا به اليهم ليضعوا خطوطهم عليه فامتنع البعض من ذلك وقال هذا كلام لا أصل له ووقع بينهم محاججات ولام الاعاظم الممتنعين على الامتناع وقالوا لهم انتم لستم باورع منا وأثبت لنفسه ورعا وحصل بينهم منافسات ومخالفات ومقاطعات ثم غير واسورة المرضحال باقل من الشامل الاول وكتب عليه بعض الممتنعين وكان من الممتنعين أولا وآخرا السيد أحمد الطحطاوي الحنفي فزادوا في الشامل عليه وخصوصا شيخ السادات والشيخ الامير وخلافهما واتفق انه دعي في وليمة عند الشيخ الشنواني بحارة خوشقدم وتأخر حضوره عنهم فصادفهم حال دخوله الى المجلس وهم خارجون فسلم عليهم ولم يصافحهم لما سبق منهم في حقه من الايذاء فتطاول عليه ابن الشيخ الامير ورفع صوته بتوبيخه وشتمه لسكوته لم يقبل يده والده ويقول له في جملة كلامه أليس هو الاقليل الادب والحياء ثالث طبقة للشيخ الوالد ونحو ذلك (وفي ثانيه) سافر الباشا الى الجهة القبلية وتبعه العساكر (وفي منتصفه) خرجت الدلاة والارنؤد وباقي الاجناد والعسكر واقام الباشا كتخدا بك قائم مقامه وأقام بالقلعة (وفيه) اتفق الاشياخ والمتصدرون على عزل الباشا واحضروا أوكي من اقاف الحنفية واحضروا الشيخ حسين المنصوري وركبوا

فبقى أمره على الحاجز قوا الاما فلما تعدى الى مسعود ودبيس حسنه والبرسقي وجيوش بك
فلما وصلهم خبر وصول منكبرس راسله واستماله واستحلفه واتفقا على التعاضد
والتناصر واجتمعا وكل واحد منهما قوى بصاحبه فلما اجتمعا سار الملك مسعود
والبرسقي وجيوش بك ومن معهم الى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس فلما وصلوا
المدائن اتتهم الاخبار بكثرة الجمع معهما فعاد البرسقي والملك مسعود وعبرا نهر صرصر
وحفظا المخاضات عليه ونهب الطائفتان السواد نهبا فاحشا نهر الملك ونهر صرصر
ونهر عيسى وبعض دجيل واستباحوا النساء فارسل المسترشد بالله الى الملك مسعود
والبرسقي ينكر هذه الحال ويأمرهم بحقن الدماء وترك الفساد ويأمر بالموادعة
والمصالحة وكان الرسل سديد الدولة بن الانباري والامام الاسعد الميهني مدرس
النظامية فانكر البرسقي ان يكون جرى منهما شئ من ذلك واجاب الى العود الى بغداد
فوصل من اخبره ان منكبرس ودبيسا قد جهزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور اخي
دبيس والامير حسين بن ازبك ربيب منكبرس وسارا وعبرا عند درزيجان ليقطعوا
مخاضة عند ديالى الى بغداد لخلوها من عسكر يحميها ويمنع عنها فعاد البرسقي الى بغداد
وعبر الجسر لئلا تخاف الناس ولم يعلمهم الخبر وخلف ابنه عز الدين مسعودا على عسكره
بصرصر واستصحب معه عماد الدين زنكي بن آقسنقر فوصل الى ديالى ومنع عسكر
منكبرس من العبور فاقام يومين فاتاه كتاب ابنه عز الدين مسعود يخبره ان الصلح قد
استقر بين الفريقين فانكسر نشاطه حيث جرى هذا الامر ولم يعلم به وطار نحو بغداد
وعبر الى الجانب الغربي وعبر منصور وحسين فسارا في عسكرهما خلفه فوصلوا بغداد
عند نصف الليل فنزلا عند جامع السلطان وسار البرسقي الى الملك مسعود فاخذ ثركه
وماله وعاد الى بغداد فخيم عند القنطرة العتيقة واصعد الملك مسعود وجيوش بك فنزلا
عند البيمارستان واصعد دبيس ومنكبرس فخيما تحت الرقة واقام عز الدين مسعود
ابن البرسقي عند منكبرس منفردا عن ابيه وكان سبب هذا الصلح ان جيوش بك كان
قد ارسل الى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فوصل كتاب الرسول من
العسكر يذكر انه لقي من السلطان احسانا كثيرا وانه اقطعهم اذربيجان فلما بلغه
رحيلكم الى بغداد اعتقد انكم قد عصيتم عليه فعاودها كان استقر ويقول ان
السلطان قد جهز عسكرا الى الموصل فوقع الكتاب بيد منكبرس فارسله
الى جيوش بك وضمن له اصلاح السلطان له وللملك مسعود وكان منكبرس متزوجا بام
الملك مسعود واسمها سرجهان وكان يؤثر مصلحته لذلك واستقر الصلح وخاف من
البرسقي ان يمنع منه فاتفقا على ارسال العسكر الى درزيجان ليتفق في مقابلة البرسقي
ليخلو لعسكره منه ويقع الاتفاق فكان الامر في سيره على ما تقدم وكان البرسقي محبوبا
الى اهل بغداد لحسن سيرته فيهم فلما استقر الصلح ووصلوا الى بغداد تفرق عن
البرسقي اصحابه وجموعه خوفا مما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير امر
السلطان وسار عن العراق الى الملك مسعود فاقام معه واستقر منكبرس في شحنكية

بغداد

على جميع كبراء العساكر بالخروج وان لا يتخلف منهم احد حتى اولاده ابراهيم بك الدفتردار وطوسون بك
وانه هو المتقدم عليهم في
الخروج في يوم الخميس
واستعجل التشهيل والاتلاب
وامر بضرب فردة فرضة
خروجية على اقليم المنوفية
والغربية والشرقية والقليوبية
وذكروا انها من اصل حساب
الشهرية المبتدعة (وفيه)
تقلد حسن اغا الشماشرجي
كشوفية المنوفية وارخى
لحيته على ذلك

(واستهل شهر شعبان بيوم
الثلاثاء سنة ١٢٢٤)

فيه عمل مشايخ الوقت عرضحال
في حق السيد عمر يأمر الباشا
بارساله صحبة السلحدار وذكروا
فيه سبب عزله ونفيه عن
مصر وعدوا له مثالب ومعايب
وجنحا وذنوبا منها انه ادخل في
دفتر الاشراف اسماء اشخاص
ممن اسلم من القبط واليهود
ومنها انه اخذ من الالفي في
السابق مبلغا من المال
ليملكه مصر في ايام فتنة
احمد باشا خورشيد ومنها
انه كاتب الامراء المصريين
ايضا في وقت الفتنة حين
كانوا بالقرب من مصر ليحضروا
على حين غفلة في يوم قطع
الخليج وحصل لهم ما حصل
ونصر الله عليهم حضرة الباشا
ومنها انه اراد ايقاع الفتن في
العساكر لينقض دولة الباشا
ويولي خلافه ويجمع عليه
طوائف المغاربة والصعائدة واخلاط العوام وغير ذلك وذلك على حد من اعان ظالما سلط عليه وكتبوا عليه

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة)

(ذكر عصيان الملك طغرل على اخيه السلطان محمود)

كان الملك طغرل بن محمد لما توفى والده بقلعة سرجهان وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة فى المحرم واقطعه والده سنة اربع ساوة وآوة وزنجان وجعل أتابكه الامير شيركير الذى تقدم ذكره فى حصار قلاع الاسماعيلية فازداد ملك طغرل بما افتتحه شيركير من قلاعهم فارسل اليه السلطان محمود الامير كنتغدى ليكون اتابكا له ومدبرا لامره وتقدم اليه بحمله اليه فلما وصل اليه حسن له مخالفة اخيه وترك المجى اليه واتفقا على ذلك وسمع السلطان محمود الخبر فارسل شرف الدين انوشروان بن خالد ومعه خلع وتحف وثلاثون الف دينار ووعد اخاه باقطاع كثير زيادة على ماله اذا قصده واجتمع به فلم تقع الاجابة الى الاجتماع واجاب كنتغدى باننا فى طاعة السلطان واى جهة اراد قصدناها ومعنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده فبينما الخوض معهم فى ذلك ركب السلطان محمود من باب همذان فى عشرة آلاف فارس جريدة فى جمادى الاولى وكتم مقصده وعزم على ان يكبس اخاه والامير كنتغدى فرأى احد خواصه تركيا من اصحاب الملك طغرل فاحضره السلطان وقبض عليه فعلم رفيق كان معه الحال فسار مجدا فقطع خمسين فرسخا فى ليلة ووصل الى الامير كنتغدى وهو سكران فايقظه بعد جهد واعلمه الحال فقصد الملك طغرل فعرفه ذلك واخذه وقصدا قلعة سميران فضلا عن الطريق الى قلعة سرجهان وكانا قد فارقاها وجعلا العسكر وكان ضلالهما هذا سببا الى السلامة فان السلطان محمودا جعل طريقه على سميران وقال انها حصنهما الذى فيه الذخائر والاموال واذا علما بوصولى اليهما سارا اليها فعاد لو صادفهما فى الطريق فسلما منه مع ما تنساه عطبهما ووصل السلطان الى العسكر فكبسه ونهبوا واخذ من خزانة اخيه ثلاثمائة الف دينار وذلك المال الذى انفذه له واقام السلطان محمود بزنجان وتوجه منها الى الرى ونزل طغرل من سرجهان ولحق هو وكنتغدى بكنجة وقصده اصحابه فقويت شوكته وتمكنت الوحشة بينه وبين اخيه محمود

(ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى كانت حرب شديدة بين سنجر وابن اخيه السلطان محمود ونحن نذكر سياقة ذلك فقد ذكرنا سنة ثمان وتسعين واربعمائة مسير السلطان سنجر الى غزنة وفتحها وما كان منه فيها ثم عاد منها الى خراسان فلما بلغه وفاة اخيه السلطان محمد وجلوس ولده السلطان محمود فى السلطنة وهو زوج ابنة سنجر لحقه حزن عظيم لموت اخيه واظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله وجلس للعزاء على الرماد واغلق البلد سبعة ايام وتقدم الى الخطباء بذكر السلطان محمد بما من اعماله من قتال الباطنية واطلاق المكوس وغير ذلك وكان سنجر يلقب بناصر الدين فلما توفى اخوه محمد

بك حسن ومحمد بك المنفوخ ومحمد بك الابراهيمى وصلوا عند الباشا وقابلوه وانه أرسل الى ابراهيم بك الكبير ولده طوسون باشا فتقلدوا أزمه وارسل هو ايضا ولده الصغير الى الباشا فاكرمه ووصل الى مصر بعض نساء حريمه وحريم الامراء

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٤)

وفى اواخره وصل طائفة من الدلاتية من ناحية الشام ودخلوا الى مصر وهم فى حالة رثة كما حضر غيرهم ومعهم من الخنثين المعروفين بالخولات الذين يتكلمون بالكلام المؤنث ومعهم دفوف وطنابير (وفى اواخره) حرروا دفتر الاطيان على ضريبة واحدة عن كل فدان خمسة ريالات غير البرانى والخدم ولم يحصل فى ذلك مراجعة ولا كلام ولا مرافعة فى شئ كما وقع فى العام الماضى والذى قبله فى المراجعة بسبب الرى والشراقى وأما فى هذه السنة فليس فيها شراقى لحصول المساحة الكاملة لعموم الرى فان النيل فى هذه السنة زاد زيادة مفرطة ووصل الى الاعالى وتلف بزيادته المفرطة الدراوى والاقصاب بقبلى وكذلك غرق مزارع الارز والسمسم والقطن وجناين كثيرة بالبحر الشرقى بسبب انسداد ترعة الفرعونية بتلك الناحية ولما تم وانحرر الدفاتر على النسق المطلوب والباشا بقبلى وارسل يطلبها ليطلع عليها فسافر اليه بها المعلم غالى واخذ صحبته اجد

ووصل المسير معه فبينما هو كذلك اتاه الخبر بان الفرنج قصدوا حوران من اعمال دمشق فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا فاتفق راى طغتكين وايلغازى على عود طغتكين الى دمشق وحماية بلاده وعود ايلغازى الى ماردين وجمع العساكر والاجتماع على حرب الفرنج فصالح ايلغازى من يليه من الفرنج على ما تقدم ذكره وعبر الى ماردين لجمع العساكر وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة انقطع الغيث وعدمت الغلات فى كثير من البلاد وكان اشده بالعراق فغلت الاسعار واجلى اهل السواد وتقوت الناس بالنخالة وعظم الامر على اهل بغداد بما كان يفعله منكبرس بهم وفيها اسقط المسترشد بالله من الاقطاع المختص به كل جور وامر ان لا يؤخذ الا ما جرت به العادة القديمة واطلق ضمان غزل الذهب وكان صناع السقلاطون والممزج وغيرهم ممن يعمل منه يلقون شدة من العمال عليها والذى عقد منها وفيها تأخر مسير الحجاج تأخرا ارجف بسببه بانقطاع الحج من العراق فرتب الخليفة الامير نظر خادم امير الجيوش يمن وولاه من امارة الحج ما كان يتولاه امير الجيوش واعطاه من المال ما يحتاج اليه فى طريقه وسيره فادركوا الحج وظهرت كفاية نظر وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوة ونجدة للفرنج بالشام فغرقا وكان الناس قد خافوا عن فيهما وفيها وصل رسول ايلغازى صاحب حلب وماردين الى بغداد يستنفر على الفرنج ويذكر ما فعلوا بالمسلمين فى الديار الجزرية وانهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا اميرها ابن عطير فضربت الكتب بذلك الى السلطان محمود وفيها انتقل المستظهر الى الرصافة وجميع من كان مدفونا بدار الخلافة وفيها ماتت جدة المستظهر ام المقتدى وكان وفاتها بعد المستظهر ورأت البطن الرابع من اولادها وفيها كثر امر العيارين بالجانب الغربى من بغداد فعبر اليهم نائب الشحنة فى خمسين غلاما اتراكا فقاتلهم فانهزم منهم ثم عبر اليهم من الغد فى مائتى غلام فلم يظفر بهم ونهب العيارون [illegible] وفى هذه السنة فى شعبان توفى ابو الفضل بكر بن محمد بن على بن الفضل الانصارى من ولد جابر بن عبد الله وهو من بلد بخارا وكان من اعيان الفقهاء الحنفية حافظا للمذهب وتوفى ابو طالب الحسين بن محمد بن على بن الحسن الزينبى نقيب النقباء ببغداد فى صفر واستقال من النقابة فوليها اخوه طراد وكان من اكابر الحنفية وروى الحديث الكثير وفيها فى ذى الحجة توفى ابو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن منده الاصبهانى المحدث المشهور من بيت الحديث وله فيه تصانيف حسنة وفيها توفى ابو الفضل احمد بن الخازن وكان اديبا ظريفا له شعر حسن فمنه قوله وقد قصد زيارة صديق له فلم يره فادخله غلمانه الى بستان فى الدار وحمام فقال فى ذلك

واتيت منزله فلم ار صاحبا * الا تلقانى بوجه ضاحك
والبشر فى وجه الغلام نتيجة * لمقدمات ضياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك

بمحبته وماله وابدا الى القلعة بعد ان مهدوا القضية فالبس قائمقام الشيخ [illegible] فروة ثم تركوا ثم طاف السلام
عليهم وخلعوا عليهم ايضا
خلعهم فلما بلغ الخبر السيد
احمد الطهطاوى طوى الخلع
التى كانوا البسوها له عند
ما تقلد الافتاء بعد موت الشيخ
ابراهيم الحريرى فى جمادى
الاولى بقرب عهد وارسلها
لهم وكان الشيخ السادات
البسه حين ذلك فروة فلما
ردها عليه احتد واغتاظ
واخذ يسبه ويذكر بمجالسه
جمعه بقول انظروا الى هذا
الخبيث كانه يجعلنى مثل
الكلب الذى يعود فى قيئه
ونحو ذلك (واما السيد احمد)
فانه اعتكف فى داره لا يخرج
منها الا الى الشيخونية بجواره
واعتزلهم وترك الخلطة بهم
وتباعد عنهم وهم يبالغون
فى ذمه والحط عليه لكونه لم
يوافقهم فى شهادة الزور
والحامل لهم على ذلك
كله الحظوظ النفسانية والحسد
مع ان السيد عمر كان ظلا
ظليلا عليهم وعلى اهل البلدة
ويدافع ويرافع عنهم وعن
غيرهم ولم تقم لهم بعد خروجه
من مصر راية ولم يزالوا بعده فى
انحطاط وانخفاض (واما
السيد عمر) فان الذى وقع
له بعض ما يستحقه ومن اعان
ظالما سلط عليه ولا يظلم ربك
احدا (وفى ثالث عشره)
سافر حسن باشا وعساكر
الارنؤد وتتابعوا فى الخروج وتحدث الناس بروايات عن الباشا والامراء المصريين بوصلهم م وان عثمان

(ثم)

الى الرى فسار محمود اليه فالتقيا بالقرب من ساوة ثانى جمادى الاولى من السنة وكان عسكر السلطان محمود قد عبروا المفازة التى بين يدى عسكر سنجر وهى ثمانية ايام فسبقوهم الى الماء وملكوه عليهم وكان العسكر الخراسانى فى عشرين الفا ومعهم ثمانية عشر فيلا منها كبيرها باذهو ومن الامراء الكبار ولد الامير ابى الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد والامير انز والامير قماج واتصل به علاء الدولة كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه صاحب يزد وهو صهر السلطان محمد وسنجر على اختهما وكان اخص الناس بالسلطان محمد فلما تولى السلطان محمود تاخر عنه فاقطع بلده لقراجة الساقى الذى صار صاحب بلاد فارس فسار حينئذ علاء الدولة الى سنجر وهو من ملوك الديلم وعرف سنجر الاحوال والطريق الى قصد البلاد وما فعله الامراء من اخذ الاموال وما هم عليه من اختلاف الاهواء وحسن قصد البلاد وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين الفا ومن الامراء الكبار الامير على بن عمر امير حاجب والامير منكبرس واتابكه غزغلى وبنو برسق وسنقر البخارى وقراجة الساقى ومعه تسعمائة حمل من السلاح واستهان عسكر محمود بعسكر عمه بكثرتهم وشجاعتهم وكثرة خيلهم فلما التقوا ضعفت نفوس الخراسانية لما راوا من العسكر من القوة والكثرة فانهزمت ميمنة سنجر وميسرته واختلط اصحابه واضطرب امرهم وساروا منهزمين لا يلوون على شئ ونهب من اثقالهم شئ كثير وقتل اهل السواد كثيرا منهم ووقف سنجر بين الفيلة فى جمع من اصحابه وبازائه السلطان محمود ومعه اتابكه غزغلى فالجات سنجر الضرورة عند اختلاط الخطب عليه ان يقدم الفيلة للحرب وكان من بقى معه قد اشاروا عليه بالهزيمة فقال اما النصر او القتل واما الهزيمة فلا فلما تقدمت الفيلة وراها خيل محمود تراجعت باصحابها على اعقابها فاشفق سنجر على السلطان محمود فى تلك الحال وقال لاصحابه لا تفزعوا الصبى بحملات الفيلة فكفوها عنهم وانهزم السلطان محمود ومن معه فى القلب وامر اتابكه غزغلى وكان يكاتب السلطان سنجر ويعده انه يحمل اليه ابن اخيه فعاتبه على ذلك فاعتذر بالعجز فقتله وكان شحنة قد بالغ فى ظلم اهل همذان فجعل الله عقوبته ولما تم النصر والظفر للسلطان سنجر ارسل من اعاد المنهزمين من اصحابه اليه ووصل الخبر الى بغداد فى عشرة ايام فارسل الامير دبيس بن صدقة الى المسترشد بالله فى الخطبة للسلطان سنجر فخطب له فى السادس والعشرين من جمادى الاولى وقطعت خطبة السلطان محمود واما السلطان محمود فانه سار من الكسرة الى اصبهان ومعه وزيره ابو طالب السميرمى والامير على بن عمر وقراجة واما سنجر فانه سار الى همذان فراى قلة عسكره واجتماع العساكر على ابن اخيه فراسله فى الصلح وكانت والدته تشير عليه بذلك وتقول قد استوليت على غزنة واعمالها وما وراء النهر وملكت ما لا حد عليه وقررت الجميع على اصحابه فاجعل ولد اخيك كاحدهم وكانت والدة سنجر هى جدة السلطان محمود فاجاب الى قولها ثم كثرت العساكر عند سنجر منهم البرسقى وكان عند الملك مسعود باذربيجان من حين خروجه من بغداد الى هذه الغاية

واخرج معه مطايح واغناما واستعد لقدومه استعدادا زائدا وذهب تعبه فى الفارغ البطال ثم بعد وصول الباشا بثلاثة ايام وصلت طوائف العسكر وبثقالهم ومعهم المنهوبات من الجمال والاغنام والجمم والحطب والغلال وانواع النهب وغير ذلك حتى انخسفت الدور وابوابها (وفى يوم الاثنين) وصل حسن باشا وطوائف الارنؤد وصالح قوج والدلاة والترك ووصل ايضا شاهين بك الالفى وصحبته محمد بك المنفوخ المرادى ومحمد بك الابراهيمى وهم الذين حضروا فى هذه المرة من الالفية وقيل ان البواقى اخذوا امهالا لبعد التحضير واما ابراهيم بك تابع الاشقر ومحمد اغا تابع مراد بك الصغير وصحبتهما عساكر فذهبا الى ناحية السويس بسبب وصول طائفة من العرب يقال انهم من التابعة للوهابيين حضروا وقاموا عند بئر الماء ومنعوا السقيا منها

•(واستهل شهر ذى القعدة بيوم السبت سنة ١٢٢٤)•

فيه حضر ابراهيم بك ابن الباشا وباقى العسكر وسكنوا الدور وازعجوا الناس واخرجوهم من مساكنهم ومنازلهم ببولاق ومصر وغيرهما واتفق ان بعض ذوى المكر من العسكر عندما اراد السفر الى جهة قبلى ارسل لصاحب

افندى اليه من طرف الروزنامه وعبد الله بكتاش الترجمان فذهبوا اليه باسيوط وأعلموه بعلم الحضر عليهما وانقضى شهر رمضان

(واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٢٤) في ثالث عشره حضر المعلم غالى واحمد افندى وبكتاش وغيرهم من غيبتهم وحضر ايضا في اثرهم المعلم جرجس الجوهرى وقد تقدم انه خرج من مصر هاربا الى الجهة القبلية واختفى مدة ثم حضر بامان الى الباشا وقابله وأكرمه ولما حضر نزل في بيته الذى بحارة الونديك وفرشه له المعلم غالى وقام له بجميع لوازمه وذهب الناس مسلمهم ونصرانيهم وعامهم وجاهلهم للسلام عليه (وفى يوم الثلاثاء عشرينه) وصل الباشا على حين غفلة الى مصر فى الهجين وقد وصل من أسيوط الى ناحية مصر القديمة فى ثلاثين ساعة وصحبته ابنه طوسون ونابارته الخازندار وسليمان اغا الوكيل سابقا لا غير فركبوا حميرا متنكرين ووصلوا الى القلعة من ناحية الجبل وطلع من باب الجبل وعندما طلعوه من العقبة امر ملاحيها ان لا يذكروا لاحد وصوله حتى يسمعوا ضرب المدافع من القلعة ثم طلع الى سرايته ودخل الى الحريم فلم يشعروا به الا وهو بالحريم وعند ذلك أمر بضرب المدافع واشيع حضوره فركب اكثر الكبار وغيرهم من الاقاته ثم بلغهم طلوعه الى

الى

تلقب بعز الدين وهو لقب ابيه ملكشاه وعزم على قصد بلد الجبل والعراق وما بيد محمود ابن أخيه فندم على قتل وزيره ابى جعفر محمد بن فخر الملك ابى المظفر بن نظام الملك وكان سبب قتله انه اوحش الامراء واستخف بهم فابغضوه وكرهوه وشكوا منه الى السلطان وهو بغزنة فعلمهم انه يؤثر قتله وليس يمكنه فعل ذلك بغزنة وكان سنجر قد تغير على وزيره لاسباب منها انه اشار عليه بقصد غزنة فلما وصل الى بست ارسل ارسلان شاه صاحبها الى الوزير وضمن له خمسمائة الف دينار ليثنى سنجر عن قصده فاشار عليه بمصالحته والعود عنه وفعل مثل ذلك بما وراء النهر ومنها انه نقل عنه انه اخذ من غزنة اموالا جليلة عظيمة المقدار ومنها اذاه كثيرا من الامراء وغير هذه الاسباب فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله واخذ ماله وكان له من الجواهر والاموال ما لا يحد عليه والذى وجد له من العين الفا الف دينار فلما قتله استوزر بعده شهاب الاسلام عبد الرزاق ابن اخى نظام الملك يعرف بابن الفقيه الا انه لم يكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس فى علو المنزلة فلما اتصل به وفاة اخيه ندم على قتله لانه كان يبلغ به من الاغراض والملك ما لا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس اليه وعلمهم عندهم ثم ان السلطان محمودا ارسل الى عمه سنجر شرف الدين انوشروان بن خالد وفخر الدين طغايرك بن اليزن ومعهما الهدايا والتحف وبذل له النزول عن مازندران وحمل مائتى الف دينار كل سنة فوصلا اليه وابلغاه الرسالة فتجهز للمسير الى الرى فاشار عليه شرف الدين انوشروان بترك القتال والحرب فكان جوابه فى ذلك ان ولدى صبى وقد تحكم عليه وزيره والحاجب على فلما سمع السلطان محمود بمسير عمه نحوه ووصول الامير انر فى مقدمته الى جرجان تقدم الى الامير على بن عمر وهو امير حاجب السلطان محمد وبعده صار امير حاجب السلطان محمود بالمسير وضم له جمعا كثيرا من العساكر والامراء فاجتمعوا فى عشرة آلاف فارس فساروا الى ان قاربوا مقدمة سنجر التى عليها الامير انر فراسله الامير على بن عمر يعرفه وصية السلطان محمد بتعظيم سنجر والرجوع الى امره ونهيه والقبول منه وانه قال ان سنجر عقد السلطنة على ولده السلطان محمود واخذ علينا بذلك العهود فليس لنا ان نخالفه وحيث جئتم الى بلادنا لا نحتمل ذلك ولا نغضى عليه وقد علمت ان معك خمسة آلاف فارس فانا ارسل اليك اقل منهم لتعلم انكم لا تقاومونا ولا تقوون بنا فلما سمع الامير انر ذلك عاد عن جرجان ولحقه بعض عسكر السلطان محمود فاخذوا قطعة من سواده واسروا عدة من اصحابه وكان السلطان محمود قد وصل الى الرى وهو بها وعاد الامير على بن عمر اليه منتصرا فشكر فعله واثنى عليه وعلى عسكره الذين معه واشير على السلطان محمود بملازمة الرى والمقام بها وقيل ان عسكر خراسان اذا علموا بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم ولا يتعدون ولا يتم فلم يقبل ذلك وضجر من المقام وسار الى جرجان ووصل السلطان محمودا الامير منكبرس من العراق فى عشرة آلاف فارس والامير منصور بن صدقة اخو دبيس والامراء البكجية وغيرهم وسار محمود الى همذان وتوفى بها وزيره الربيب واستوزر ابا طالب السميرمى وبلغه وصول عمه سنجر

واستبشر القرآن حين نصرته * وبكى له فقد رجاله الانجيل

ثم جمع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقيهم ايلغازي أيضا فهزمهم وفتح منهم حصن الاثارب وزردنا وعاد الى حلب وقرر امرها واصلح حالها ثم عبر الفرات الى ماردين

(ذكر وقعة أخرى مع الفرنج)

في هذه السنة سار جوسلين صاحب تل باشر في جمع من الفرنج نحو مائتي فارس من طبرية فكبس طائفة من طيء يعرفون ببني خالد فأخذهم وأخذ أنعامهم وسألهم عن بقية قومهم من بني ربيعة فأخبروه انهم من وراء الحزن بوادي السلالة بين دمشق وطبرية فقدم جوسلين مائة وخمسين فارسا من أصحابه وسار هو في خمسين فارسا على طريق آخر وواعدهم الصبح ليكبسوا بني ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فارادوا الرحيل فمنعهم اميرهم من بني ربيعة وكانوا في مائة وخمسين فارسا فوصلهم المائة والخمسون من الفرنج معتقدين ان جوسلين قد سبقهم او سيدركهم فأضل الطريق وتأخرت العدتان فاقتتلوا وطعنت العرب خيولهم فجعلوا أكثرهم رجالة وظهر من أميرهم شجاعة وحسن تدبير وجودة رأي فقتل من الفرنج سبعون وأسر اثنا عشر من مقدميهم بذل كل واحد في فداء نفسه مالا جزيلا وعدة من الاسرى وأما جوسلين فانه ضل في الطريق وبلغه خبر الوقعة فسار الى طرابلس فجمع بها جمعا واسرى الى عسقلان فأغار على بلدها فهزمه المسلمون هناك فعاد مخذولا

(ذكر قتل منكوبرس)

في هذه السنة قتل الامير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد وقد تقدم حاله وكان سبب قتله انه لما انهزم مع السلطان محمود وعادا الى بغداد نهب عسكره وافتضح من طريق خراسان واراد دخول بغداد فسير اليه دبيس بن صدقة من منعه فعاد وقد استقر الصلح بين السلطانين سنجر ومحمود فقصد السلطان سنجر فدخل اليه ومعه سيف وكفن فقال له انا لا آخذ احدا وسلمه الى السلطان محمود وقال هذا لو كان فاصنع به ما تريد فاخذه وكان في نفسه منه شيئا شديدا لاسباب منها انه لما توفي السلطان محمد اخذ سرية والدة الملك مسعود قهرا قبل انقضاء عدتها ومنها تحكمه عليه واستبداده بالامور دونه ومسيره الى شحنكية بغداد والسلطان كاره لذلك لكنه لم يقدر على منعه ومنها ما فعله بالعراق من الظلم الى غير ذلك فقتله صبرا وأراح العباد والبلاد من شره

(ذكر قتل الامير علي بن عمر)

في هذه السنة ايضا قتل الامير علي بن عمر حاجب السلطان محمود وكان قد صار اكبر امير مع السلطان محمود وانقادت العساكر له فحسده الامراء وأفسدوا حاله مع السلطان محمود وحسنوا له قتله فعلم فهرب الى قلعة برجين وهي بين بروجرد وكرج وكان بها اهله وماله وسار منها في مائتي فارس الى خوزستان وكانت بيد اقبوري بن برسق

الماء والتعليق والزيادة واللوازم السيد محمد المحروقي وكان ترجمه ومن معه ٢٣٠ على الهجن (وفي ليلة الاحد رابع عشرينه) حضر الباشا من السويس وكان وصوله ليلا وطلع الى القلعة

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم الاحد سنة ١٢٣٤) فيه شرع الباشا في انشاء مراكب ببحر القلزم فطلب الاخشاب الصالحة لذلك وارسل المعينين لقطع اشجار التوت والنبق من القطر المصري القبلي والبحري وغيرها من الاخشاب المجلوبة من الروم وجعل بساحل بولاق ترسخانه وورشات وجمعوا الصناع والنجارين والنشارين فيهيؤنها وتحمل اخشابها على الجمال و يركبها الصناع بالسويس سفينة ثم يقلفطونها و يدهنونها و يلقونها في البحر فعملوا اربع سفائن كبار احداها تسمى الابريق وخلاف ذلك داوات تحمل السفار والبضائع (ومن الحوادث) في آخره ان امرأة ذهبت الى عرصة الغلة بباب الشعرية واشترت حنطة ودفعت في ثمنها قرشا فلما ذهبت نظروها وتفقدوها فاذا هي من عمل الزغلية ثم عادت بعد ايام فاشترت الغلة ودفعت الثمن قروشا ايضا فذهب البائع معها الى الصيرفي فوجدها زغولة مثل الاولى فعلموا انها المغشوشة فقال لها الصيرفي من اين لك هذه فقالت من زوجي قبضه واعطانيه واتوا بها الى الآغا فسألها الآغا عن زوجها فقالت هو

فى يوم فعادوا الرسل وابلغه عن الامراء الذين مع السلطان محمود انهم لا يصالحونه حتى يعود الى خراسان فلم يجب الى ذلك وسار من همذان الى كرج واعاد مراسلة السلطان محمود فى الصلح ووعد ان يجعله ولى عهده فاجاب الى ذلك واستقر الامر بينهما وتحالفا عليه وسار السلطان محمود الى عمه سنجر فى شعبان فنزل على جدته والدة سنجر واكرمه عمه وبالغ فى ذلك وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة فقبلها ظاهرا وردها باطنا ولم تقبل منه سوى خمسة افراس عربية وكتب السلطان سنجر الى سائر الاعمال التى بيده كخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بان يخطب للسلطان محمود بعده وكتب الى بغداد بمثل ذلك واعاد عليه جميع ما اخذ من البلاد سوى الرى وقصد باخذها ان تكون له فى هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه بالخروج

(ذكر غزاة ايلغازى بلاد الفرنج)

فى هذه السنة سار الفرنج من بلادهم الى نواحى حلب فملكوا بزاعة وغيرها واخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا وخافهم اهلها خوفا شديدا ولو مكنوا من القتال لم يبق بها احد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الفرنج اهل حلب على ان يقاسموهم على املاكهم التى بباب حلب فارسل اهل البلد الى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يغاثوا وكان الامير ايلغازى صاحب حلب ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين الفا وكان معه اسامة بن المبارك بن شبل الكلابى والامير طغان ارسلان بن المكر صاحب بدليس وارزن وسار بهم الى الشام عازما على قتال الفرنج فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ساروا فنزلوا قريبا من الاثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق الا من ثلاث جهات وفى هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش وظن الفرنج ان احدا لا يسلك اليهم لضيق الطريق فاخلدوا الى المطاولة وكانت عادتهم اذا راوا قوة من المسلمين وراسلوا ايلغازى يقولون له لا تتعب نفسك بالمسير الينا فنحن واصلون اليك فاعلم اصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فاشاروا بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار اليهم ودخل الناس من الطرق الثلاث ولم تعتقد الفرنج ان احدا يقدم عليهم لصعوبة المسلك اليهم فلم يشعروا الا واوائل المسلمين قد غشيتهم فحمل الفرنج حملة منكرة فولوا منهزمين فلقوا باقى العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة واحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم واخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع واسروا وكان فى جملة الاسرى نيف وسبعون فارسا من مقدميهم وحملوا الى حلب فبذلوا فى فدائهم ثلثمائة الف دينار فلم يقبل منهم وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة واما سيرجال صاحب انطاكية فانه قتل وحمل راسه وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الاول فمما مدح به ايلغازى فى هذه الوقعة قول العظيمى

قل ما تشاء فقولك المقبول * وعليك بعد الخالق التعويل

الدار التى هو غاصبها ساكن فيها فاحضره وسلمه المفتاح وهو يقول له تسلم دارك التى دارك واسكنها بارك الله لك فيها وسامحنى وابرئ ذمتى فربما انى اموت ولا ارجع ولان الكثير منهم تولى المناصب والامريات بالجهة القبلية وعندما يتسلم صاحب الدار داره يفرح بخلاصها او يشرع فى عمارتها واصلاح ما تهدم منها فيكلف نفسه ولو بالدين ويعمر ما خلفاه والآن عم العمارة والمرمة فى مدة قليلة فما يشعر الا وصاحبه داخل عليه بحصانه وجوله وخدمه فما يسع الشخص الا الرحلة ويتركها لغريمه وقد وقع ذلك لكثير من الناس المغفلين (وفيه) وصلت اخبار بان عمارة الفرنساوية نزلت الى البحر وعدة مراكبهم مائتان وسبعة عشر مركبا وتحار بين لا يعلم قصدهم اى جهة من الجهات وحضر ثلاثة اشخاص من الططر المعدين لتوصيل الاخبار وبيدهم رسوم مضمونه الامر بالتحفظ على الثغور فعند ذلك امر الباشا بالاستعداد وخروج العساكر الى الثغور (وفى يوم السبت) ثامنه سافر جملة من العسكر الى ناحية بحرى فسافر كبير منهم ومعه جملة من العسكر الى سكندرية وكذلك سافر خلافه الى رشيد والى دمياط وابى قير والبرلس (وفى ليلة الاثنين عاشر شهره) ركب الباشا ليلا وخرج مسافرا الى السويس ليكشف على قلاع القلزم وقام له بالاحتياجات من احمال واستمر

وكان في نفس غزغلي عليه حقد حيث تم الحج على يده ولانه خاف أن يأخذ بثار سنقر البخاري الذي قتلوه فيقدم البلاد قبيحة فارسل غزغلي الى عرب البرية يأمرهم بقصد الحاج ورغبهم فطمعوا بذلك وقصدوا الحاج فقاتلوهم وحماهم ابن سكمان وأبلى بلاء حسنا وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة الى ان بقي بينه وبين البصرة يومان فارسل اليه غزغلي يمنعه من قصد البصرة فقصد العوني أسفل دجلة هذا والعرب يقاتلونه فلما وصل الى العوني حمل على العرب بجماعته صادقة فهزمهم وسار غزغلي الى علي بن سكمان في عدد كثير وكان علي في قلة فتحاربا واقتتلت الطائفتان فاصابت فرس غزغلي نشابة فسقط وقتل وسار علي الى البصرة فدخلها وملك القلعة واقر عمال آقسنقر البخاري ونوابه وكاتبه بالطاعة وكان عند السلطان وسأله ان يكون نائبه بالبصرة فلم يجبه آقسنقر الى ذلك فطرد حينئذ نواب آقسنقر واستولى على البلد وتصرف تصرف الاصحاب مستبدا واستقر فيها واحسن السيرة الى سنة اربع عشرة فسير السلطان محمود الامير آقسنقر البخاري في عسكر الى البصرة فاخذها من علي بن سكمان

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة امر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز الى شحنكية العراق وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل عنها وفيها في ربيع الاول توفي الوزير ربيب الدولة وزير السلطان محمود ووزر بعده الكمال السميرمي وكان ولد ربيب الدولة وزير المسترشد فعزل واستعمل بعده عميد الدولة أبو علي بن صدقة ولقب جلال الدين وهذا الوزير هو عم الوزير جلال الدين ابي الرضا صدقة الذي وزر للراشد والاتابك زنكي على ما نذكره وفيها ظهر قبر ابراهيم الخليل وقبور ولديه اسحق ويعقوب عليهم السلام بالقرب من البيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل اجسادهم وعندهم في المغارة قناديل من ذهب وفضة هكذا ذكره حمزة بن اسد التميمي في تاريخه والله اعلم وفيها في المحرم توفي قاضي القضاة ابو الحسن علي بن محمد الدامغاني ومولده في رجب سنة تسع واربعين واربعمائة وولي القضاء بباب الطاق من بغداد الى الموصل وله من العمر ست وعشرون سنة وهذا شيء لم يكن لغيره ولما توفي ولي قضاء القضاة الاكمل ابو القاسم علي بن ابي طالب الحسين بن محمد الزينبي وخلع عليه ثالث صفر وفيها انهدم تاج الخليفة على دجلة المعروف من انهدامه وهذا التاج بناه امير المؤمنين المكتفي بعد سنة تسعين ومائتين وفيها تأخر الحج فاستغاث الناس وارادوا كسر المنبر بجامع القصر فارسل الخليفة الى دبيس ابن صدقة ليساعد الامير نظر على تسيير الحاج فاجابا الى ذلك وكان خروجهم من بغداد ثاني عشر ذي القعدة وتوالت عليهم الامطار الى الكوفة وفيها ارسل دبيس بن صدقة القاضي ابا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثقفي قاضي الكوفة الى ايلغازي بن ارتق ماردين يخطب ابنته فزوجها منه ايلغازي وحملها الثقفي معه الى الحلة واجتاز بالموصل وفيها في جمادى الاولى توفي ابو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة في وقته ببغداد وكان حسن المناظرة سريع الخاطر وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته

لزعانهم لون ازهرية ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانقضت الرابعة وزادتها التي منها ما ذكر (ومنها) احداث بدعة المكس على الشوق وذلك ان بعض المتصدرين من نصارى الاروام انهى الى كتخدا بك امر الشوق وكثرة المستعملين له والدكاكين والباعة واذا جمعت دكاكينه وصناعه في مكان واحد ويجعل عليهم مقادير يلتزم به ويضبط رجاله ويجمع ماله وايصاله الى الخزينة ممن يكون ناظرا وقرر عليه كثيره من اقلام المكوس التي يعبرون عنها بالجمارك فانه يحصل من ذلك مال له صورة فلما سمع الكتخدا بك ذلك انهاه الى مخدومه فامر في الحال بكتابة فرمان بذلك واختار الذي جعلوه ناظرا على ذلك خانا بالمحلة بين الصورين ونادوا على جميع صناع الشوق وجمعوهم بذلك الخان ومنعوهم من جلوسهم بالاسواق والخطط المتفرقة والقيم على ذلك يشتري الدخان المعلوم من تجاره بثمن معلوم حدده لا يزيد على ذلك ولا يشتريه سواه وهو يبيعه على صناع الشوق بثمن حدده ولا ينقص عنه ومن وجدوه باع شيئا من الدخان او اشتراه او سحق شيئا خارجا عن ذلك الخان ولو لخاصة نفسه قبضوا عليه وعاقبوه وغرموه مالا وعينوا امينين بجميع القرى والبلدان القبلية والبحرية ومعهم من ذلك الدخان ما يزن الى

وابنى اخويه ارغلى بن يلبكى وهندو بن زنكى فارسل اليهم واخذ عهودهم بامانه وحمايته فلما ساروا اليهم ارسلوا عسكرا نحو من قصدهم فلقوه على سنقراخ من ستر فاقتتلوا فانهزم هو واصحابه فوقف به فرسه فانتقل الى غيره فتشبث ذيله بسرجه الاول فازاله فعاود التعلق فابطأ فادركوه واسروه وكاتبوا السلطان محمودا فى امره فامرهم بقتله فقتل وحمل راسه اليه

﴿ذكر الفتنة بين المرابطين واهل قرطبة﴾

فى هذه السنة وقيل سنة اربع عشرة كانت فتنة بين عسكر امير المسلمين على بن يوسف وبين اهل قرطبة وسببها ان امير المسلمين استعمل عليها ابا بكر يحيى بن رواد فلما كان يوم الاضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد ابى بكر يده الى امرأة فامسكها فاستغاثت بالمسلمين فاغاثوها فوقع بين العبيد واهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق فادركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر الى الامير ابى بكر فاجتمع اليه الفقهاء والاعيان وقالوا المصلحة ان تقتل واحدا من العبيد الذين اثاروا الفتنة فانكر ذلك وغضب منه واصبح من الغد واظهر السلاح والعدد يريد قتال اهل البلد فركب الفقهاء والاعيان والشبان من اهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا اليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر واحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا اموالهم واخرجوهم من البلد على اقبح صورة واتصل الخبر بامير المسلمين فانكر ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر اليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة وحصر مدينة قرطبة فقاتله اهلها قتال من يريد ان يحمى دمه وحريمه وماله فلما راى امير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وسعوا فى الصلح فاجابهم الى ذلك على ان يغرم اهل قرطبة المرابطين ما نهبوه من اموالهم واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم

﴿ذكر ملك على بن سكمان البصرة﴾

فى هذه السنة استولى على بن سكمان على البصرة وسبب ذلك ان السلطان محمدا كان قد اقطع البصرة الامير آقسنقر البخارى فاستخلف بها نائبا يعرف بسنقر البياتى فاحسن السيرة الى حد ان الماء بالبصرة ملح فادام سقيا وجرار الضعفاء والسابلة تحمل لهم الماء العذب فلما توفى السلطان محمد عزم هذا الامير سنقر على القبض على امير اسمه غزغلى مقدم الاتراك الاسماعيلية وهو مقدم كوروج بالناس على البصرة عدة سنين وعلى امير آخر اسمه سنقر الب وهو مقدم الاتراك البلدقية فاجتمعا عليه وقبضاه وقيداه واخذا القلعة وما وجداه له ثم ان سنقر الب اراد قتله فنهاه غزغلى فلم يقبل منه فلما قتله وثب غزغلى على سنقر الب فقتله ونادى فى الناس بالسكون واطمانوا وكان امير الحاج من البصرة هذه السنة امير اسمه على بن سكمان احد الاتراك البلدقية

عطار بسوق الازهر فاخذه الاغا وحضر بها الى بيت الشيخ الشرقاوى بعد العشاء واحضروا زوجها وسأله فقال انا اخذتها من فلان تابع الشيخ الشرقاوى فانفعل الشيخ وقال ان يكن هو ابنى فانا برىء منه وطلبوه فتغيب واختفى واخذ الاغا المرأة وزوجها وقررها فاقر الرجل وعرف عن عدة اشخاص يفعلون ذلك وغيرهم من مجاورى الازهر فلم يزل يتجسس ويتفحص ويستدل على البعض بالبعض ويقبض على اشخاص ومعهم العدد والآلات وحبسهم ايضا بالقلعة عند كتخدا بك وفر ناس من مجاورى الازهر من مصر لما داخلهم من الوهم وفى كل يوم يشاع بالتنكيل والتجريس للمقبوض عليهم واتلافهم ولم يزل الاغا يتجسس حتى جمعوا ست عشرة عدة وارسلوها الى بيت محمد افندى ناظر المهمات وسألوا الحدادين عمن اصطنع هذه العدد فتنكروا وجحدوا وقالوا هذا من صناعة الشام ثم كسروها وابطلوها وطال امر المحبوسين والتفحص عن غيرهم فكان بعض المقبوض عليهم يعرف عن غيره او شريكه فكانت هذه الحادثة من اشنع الحوادث خصوصا بنسبتها لجهة الازهر فكان كل من اشترى شيئا ودفع الثمن للبائع قروشا ذهب بها الى الصيرفى لانه فى ذلك الوقت لم يكن موجودا بايدى الناس خلافها وكانوا يقولون فى ذهابهم الى الصيرفى

الموصل وكانت له ومعها اذربيجان واشار عليه بمكاتبة دبيس بن صدقة ليجتمع به ويكثر جمعهم ففعلوا وطلب السلطنة لنفسه ومعه من مكانه ووصل البرسقي فلم يره فاخبر بمسيره فسار في اثره وعزم على طلبه ولو الى الموصل وجد في السير فادركه على ثلاثين فرسخا من مكانه ذلك ورده معه واحسن صحبته ووعده ما اراد واعاده الى العسكر فامر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه ففعلوا ذلك وامر السلطان ان ينزل عنده والحشة ويجلس له واحضره واعتنقا وبكيا وانعطف عليه محمود ووفى له بما بذله وطيب نفسه في كل ما اراده فقعد على مكارم محمود وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود باذربيجان وبلد الموصل والجزيرة ثمانية وعشرين يوما واما اتابك جيوش بك فانه سار الى عقبة اسداباذ واستشار الملك مسعودا فلم يره موافقا لرأيه وكان آخر فلم يصل اليه فلما يئس منه سار الى الموصل ونزل بظاهرها وجمع الغلات من السواد اليها واجتمع اليه عسكره فلما سمع بما فعله السلطان مع اخيه وانه عنده علم انه لا مقام له على هذا الحال فسار كانه يريد الصيد فوصل الى الزاب وقال لمن معه اني قد عزمت على قصد السلطان محمود والمخاطرة بنفسي فسار اليه فوصل وهو بهمذان ودخل اليه فطيب قلبه وامنه واحسن اليه واما دبيس فانه كان بالعراق فلما بلغه خبر انهزام الملك مسعود نهب البلاد واخربها وفعل فيها الافاعيل القبيحة الى ان اتاه وصول السلطان محمود وطيب قلبه فلم يلتفت

(ذكر حال دبيس وما كان منه)

لما كان منه ببغداد وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجر مثله ارسل اليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ويأمره بالكف فلم يفعل فارسل اليه السلطان وطيب قلبه وامره بمنع اصحابه عن الفساد فلم يقبل وسار بنفسه الى بغداد وضرب سرادقه بازاء دار الخلافة واظهر الضغائن التي في نفسه وكيف طيف براس ابيه وتهدد الخليفة وقال انك ارسلت تستدعي السلطان فان اعدتموه والا فعلت وصنعت فاعيد جواب رسالته ان عود السلطان وقد سار عن همذان غير ممكن ولكننا نصلح حالك معه وكان الرسول شيخ الشيوخ اسمعيل فكف على ان تسير الرسل في الاتفاق بينه وبين السلطان وعاد عن بغداد في رجب ووصل السلطان في رجب الى بغداد فارسل دبيس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير اليه ومعها مال كثير وهدية نفيسة وسال الصفح عنه فاجيب الى ذلك على قاعدة امتنع منها ولازم [illegible] حشم السلطان فسار السلطان عن بغداد في شوال الى قصد دبيس بالحلة واستحضر الف سفينة ليعبر فيها فلما علم دبيس ارسل يطلب الامان فامنه وكان قصده ان يغالطه ليتجهز فارسل نساءه الى البطيحة واخذ امواله وسار عن الحلة بعد ان نهبها الى ايلغازي ملتجئا اليه ووصل السلطان الى الحلة فلم ير احدا فبات بها ليلة واحدة وعاد واقام دبيس عند ايلغازي وتردد معه ثم انه ارسل اخاه منصورا في جيش من قلعة جعبر الى العراق فنظر الى الحلة والكوفة وانحدر الى البصرة وارسل الى يرنقش الزكوي يساله ان يصلح حاله مع

في السنة التالية مطر غاو ماء منحدرا من الاعلى الى الاسفل ممتدا في المسافة لا في الطلوع الى الجبل او الانحدار منه بحيث يحوز عليه الماشي والراكب من غير مشقة ولا تعب كثير (واما من مات في هذه السنة ممن له ذكر) مات العلامة المفيد والنحرير الفريد الفقيه النبيه الشيخ ابراهيم ابن الشيخ محمد الحريري الحنفي مفتي مذهب السادة الحنفية كوالده تفقه على والده وحضر في المعقولات على اشياخ الوقت كالبيلي والدردير والصبان وغيرهم وانجب وتمهر وصارت فيه ملكة جيدة واستحضار الفروع الفقهية ولما مات والده في شهر رجب سنة عشرين ومائتين والف تقلد منصب والده في الافتاء وكان له ملازمة التحري والمراجعة في المسائل المشكلة والعفة والصيانة والديانة والتباعد عن الامور المخلة بالمروءة وانما الوظائف ودروسه ملازما لداره الا ما دعته الضرورة اليه من المواساة وحضور المجالس مع ارباب المظاهر وكان مبتلى بضعف البصر وبالحرقة اعتراه الباسور وقاسى منه شدة وانقطع بسببه عن الخروج من داره ووصف له حكيم بدمياط فسافر اليه لاجل ذلك وقصد تغيير الهواء وذلك باشارة نسيبه الشيخ المهدي وقاسى اهوالا في معالجته وقطعه بالا [illegible] ينجح ورجع الى مصر وتزايد الالم ولم يزل ملازما للفراش حتى توفي

على أبي الوليد فاراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم اظهر التوبة حتى تمكن من الظهور وله مصنفات من جملتها كتاب الفنون

(ثم دخلت سنة اربع عشرة وخمسمائة)

ذكر عصيان الملك مسعود على اخيه السلطان محمود والحرب بينهما

في هذه السنة في ربيع الاول كان المصاف بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود ومسعود حينئذ له الموصل واذربيجان وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك اتابك الملك مسعود ويحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة وكان غرضه ان يختلفوا فيناله من الجاه وعلو المنزلة ما ناله ابوه باختلاف السلطانين بركيارق ومحمد ابني ملكشاه على ما ذكرناه وكان قسيم الدولة البرسقي اتابك الملك مسعود قد فارق شحنكية بغداد وقد اقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وبينه وبين دبيس عداوة محكمة فكاتب دبيس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقي وينسبه الى الميل الى السلطان محمود وبذل له مالا كثيرا على قبضه فعلم البرسقي ذلك ففارقهم الى السلطان محمود فاكرمه واعلى محله وزاد في تقدمه واتصل الاستاذ ابو اسمعيل الحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي بالملك مسعود فكان ولده ابو المؤيد محمد ابن ابي اسمعيل يكتب الطغرا مع الملك فلما وصل والده استوزره مسعود بعد ان عزل اباعلي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة وخمسمائة فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وشعر ما هم عليه من ذلك وبلغ السلطان محمود الخبر فكتب اليهم يحذرهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان اقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا الى قوله واظهروا ما كانوا عليه وعاجلوه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس وكان عسكرهم على تفرق من عساكر السلطان محمود فقوى طمعهم واسرعوا المسير اليه ليلقوه وهو مخف من العساكر فاجتمع اليه خمسة عشر الف فارس وايضا اليهم فالتقوا عند عقبة اسداباذ منتصف ربيع الاول واقتتلوا من بكرة الى آخر النهار وكان البرسقي في مقدمة السلطان محمود وابلى يومئذ بلاء حسنا فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار واسر منهم جماعة كثيرة من اعيانهم ومقدميهم والامير الاستاذ ابو اسمعيل وزير مسعود فامر السلطان بقتله وقال قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده فكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صنعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس اموالا لا تحصى واما الملك مسعود فانه لما انهزم اصحابه وتفرقوا قصد جبلا بينه وبين موضع الوقعة اثنا عشر فرسخا فاختفى فيه ومعه غلمان صغار فارسل ركابيا يعرف بعثمان الى اخيه يطلب له الامان فسار الى السلطان محمود واعلمه حال اخيه مسعود فرق له وبذل له الامان وامر آقسنقر البرسقي بالمسير اليه وتطييب قلبه واعلامه بعفوه عنه واحضاره وكان مسعود بعد ان ارسل يطلب الامان قد وصل بعض الامراء اليه وحسن له اللحاق

بالموصل

القرية ويطلبون مشاهدها او بعضهم قدراً موزوناً ويلزمونهم بالثمن المعين بالمرسوم الذي بيدهم فيقول اهل القرية نحن لا نستعمل الشوم ولا نعرفه ولا يوجد عندنا من يصنعه وليس لنا به حاجة ولا نشتريه ولا نأخذه فيقال لهم ان لم تأخذوه فهاتوا ثمنه فان اخذوه او لم يأخذوه فهم ملزومون بدفع القدر المعين المرسوم ثم كراء طريق المعينين وكلفتهم وعليق دوابهم (ومنها) ايضا النطرون فرقوه وفرضوه على القرى مختصين ايضا باحتياج الحياكة والقزازين اليه لغسل غزل الكتان وبياض قماشه ونحو ذلك واشنع من ذلك كله انهم ارادوا واعمل مثل هذا في الشراب المسكر المعروف بالعرقي والزام اهل القرى بأخذه ودفع ثمنه ان اخذوه او لم يأخذوه فقيل لهم في ذلك فقالوا ان شربه يقوي ابدانهم على اعمال الزرع والزراعة والحرث والسكر في القطارة والنطالة والساذوف ثم بطل ذلك (ومنها) ان الباشا شرع في عمل زلاقة تجاه باب القلعة المعروف بباب الجبل موصلة الى اعلى الجبل المقطم فجمعوا البنائين والحجارين والفعلة للعمل وعمروا اصدة فيها المراجعات العمارة وطواحين للجبس ونودي بالمدينة على البنائين والفعلة ان لا يشتغلوا في عمارة احد من الناس كائنا من كان ويجتمع الجميع في عمارة الباشا بالقلعة والجبل الى ان كمل عملها

كان صاحب طرابلس مع ابن الانبارى الى ايلغازى ليقيم عنده يعبا الاوقات بما يتقدم به عليه فاعتذر بابعاد دبيس ووعده ثم سار الى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل من اعمال حلب فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر له ثم اجتمع ايلغازى واتابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج في معرة قنسرين يوما وليلة ثم اشار اتابك طغتكين بالافراج عنهم كيلا يحملهم الخوف على ان يستقتلوا ويخرجوا الى المسلمين فربما ظفروا وكان اكثر خوفه من دوخيل التركمان وجودة خيل الفرنج فافرج لهم ايلغازى فساروا عن مكانهم وتخلصوا وكان ايلغازى لا يطيل المقام في بلد الفرنج لانه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر احدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويعد الساعات لغنيمة يتعجلها ويعود فاذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الاموال ما يفرقها فيهم

● (ذكر ابتداء امر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما) ●

في هذه السنة كان ابتداء امر المهدى ابى عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوى الحسنى وقبيلته من المصامدة تعرف بهرغة في جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير وسنذكر امره وامر عبد المؤمن هذه السنة الى ان فرغ من ملك المغرب لنتبع بعض الحادثة بعضا وكان ابن تومرت قد رحل في شبيبته الى بلاد الشرق في طلب العلم وكان فقيها فاضلا عالما بالشريعة حافظا للحديث عارفا باصول الدين والفقه متحققا بعلم العربية وكان ورعا ناسكا ووصل في سفره الى العراق واجتمع بالغزالى والكيا واجتمع بابى بكر الطرطوشى بالاسكندرية وقيل انه جرى له حديث مع الغزالى فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغزالى ان هذا لا يتمشى في هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لامثالنا كذا قال بعض مؤرخى المغرب والصحيح انه لم يجتمع به فخرج من هناك وعاد الى المغرب ولما ركب البحر من الاسكندرية مغربا غير المنكر في المركب والزم من به باقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى الى المهدية وسلطانها حينئذ يحيى بن تميم سنة خمس وخمسمائة فنزل بمسجد قبلى مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصا وتسامع به اهل البلد فقصدوه يقرؤن عليه انواع العلوم وكان اذا مر به منكر غيره وازاله فلما كثر ذلك منه احضره الامير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما راى سمته وسمع كلامه اكرمه واحترمه وساله الدعاء ورحل عن المدينة واقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار الى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فاخرج منها الى قرية بالقرب منها اسمها ملالة فلقيه بها عبد المؤمن بن على فراى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالامر فساله عن اسمه وقبيلته فاخبره انه من قيس عيلان ثم من بنى سليم فقال ابن تومرت هذا الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم حين قال ان الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس فقيل من اى قيس فقال من بنى سليم فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وكان مولد عبد المؤمن في مدينة تاجرة من اعمال تلمسان وهو

النادر نظيره في عصره مع الانفة والحشمة ولا يشكو ضرورة ولا حاجة ولا زمانا ٢٤١ ولم يزل على حاله حتى مرض اياما وتوفي ليلة الخميس حادى عشر ذى القعدة عن اربع وثمانين سنة وخرجوا بجنازته من منزله الكائن بدرب الخلفاء بالقرب من باب البرقية فمروا بالجنازة على خطة الجمالية على الصاغة على الاشرفية ودخلوا من حارة الخراطين الى الجامع الازهر وصلى عليه في مشهد حافل ودفن على والده بتربة المجاورين وخلف من الاولاد الذكور اربعة رجال ذوى لحى صلحاء وخلفهم الشيخ خلاف البنات رحمه الله وعفا عنا وعنه ● (ومات) ● الفقيه النبيه الصالح الورع العالم المحقق الشيخ احمد الشهير ببرغوث المالكى ومولده بالبلدة المعروفة باليهودية بالبحيرة تفقه على اشياخ العصر ومهر في الفقه والمعقول واقرا الدروس وانتفع به الطلبة واشتهر ذكره بينهم وشهدوا بفضله وكان على حالة حسنة منجمعا عن الناس وراضيا بما قسمه له مولاه منكسر النفس متواضعا ولم يتزى بعمامة الفقهاء يمشى في حوائجه وعرض بالزمانة عدة سنين يتعكز بعصاه ولم يقطع درسه ولا املاءه حتى توفي الى رحمة الله سبحانه وتعالى يوم الاربعاء خامس شهر صفر من

٢١ بح صل عا السنة ودفن بتربة المجاورين رحمه الله (ومات) العمدة الشهير والنبيل الشهير الشيخ سليمان

الى رحمة الله سبحانه وتعالى فى يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الاولى من هذه السنة وصلى عليه بالازهر ودفن بقرشة الشعبانية بحارة الدويدارى ظاهر حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الازهر وخلف ولده النجيب الاديب سيدى محمد الملقب عبد المعطى بارك الله فيه وأعانه على وقته (ومات) الامام العلامة والعمدة الفهامة شيخ الاسلام والمسلمين الشيخ عبد المنعم ابن شيخ الاسلام الشيخ أحمد العماوى المالكى الازهرى وهو من آخر طبقة الاشياخ من أهل القرن الثانى عشر تفقه على الشيخ الزهار وغيره من علماء مذهبه وحضر الاشياخ المتقدمين كالدفرى والحفنى والصعيدى والشيخ سالم النفراوى والشيخ الصباغ السكندرى والشيخ فارس وقرأ الدروس وانتفع به الطلبة ولم يزل ملازما على القاء الدروس بالازهر على طريقة المتقدمين مع العفة والديانة والانجماع عن الناس راضيا بحاله قانعا بمعيشته ليس بيده من التعلقات الدنيوية سوى النظر على ضريح سيدى أبى السعود أبى العشائر ولم يتجرأ على القيام بما عليه لذلك وزيادة ولم تطمع نفسه لزخارف الدنيا وسفاسف الامور مع التجمل فى الملبس والمركب واظهار الغنى وعدم التطلع لما فى أيدى الناس ويصدع بالحق فى المجالس ولا يتردد الى بيوت الحكام والاكابر الا فى

كان

السلطان فلم يتم أمره فأرسل الى أخيه دبيس يعرفه ذلك ويدعوه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلة سنة خمس عشرة فدخلها وملكها وأرسل الى الخليفة والسلطان يعتذر ويعد من نفسه الطاعة فلم يجب الى ذلك وسيرت اليه العساكر فلما قاربوه فارق الحلة ودخل الى الازير وهو نهر سنداد ووصل العسكر اليها وهى فارغة قد اجلى أهلها عنها وليس بها اقامة فكانت الميرة تنقل من بغداد وكان مقدم العسكر سعد الدولة برنقش الزكوى فترك بها خمسمائة فارس وبالكوفة جماعة أخرى يحفظون الطريق على دبيس وأرسل الى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة ففعلوا ذلك وسير عسكر السلطان الى دبيس فبقى بين الطائفتين ثم تخاض فيه مواضع ثم تراسل برنقش ودبيس واتفقا على أن يرسل دبيس أخاه منصورا رهينة ويلازم الطاعة ففعل وعاد العسكر الى بغداد سنة ست عشرة

(ذكر خروج الكرج الى بلاد الاسلام وملك تفليس)

فى هذه السنة خرج الكرج وهم الخزر الى بلاد الاسلام وكانوا قديما يغيرون فامتنعوا أيام السلطان ملكشاه الى آخر أيام السلطان محمد فلما كان هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الامم المجاورة لهم فتكاتب الامراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا منهم الامير ايلغازى ودبيس بن صدقة وكان عنده والملك طغرل بن محمد وأتابكه كنتغدى وكان لطغرل بلد اران ونقجوان الى أرس فاجتمعوا وساروا الى الكرج فلما قاربوا تفليس وكان المسلمون فى عسكر كثير يبلغون ثلاثين ألفا فالتقوا واصطف الطائفتان للقتال فخرج من القفجاق مائتا رجل فظن المسلمون انهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب صف المسلمين فظن من بعد انها هزيمة فانهزموا وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكفار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقتل أكثرهم وأسروا أربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازى ودبيس وعاد الكرج فنهبوا بلاد الاسلام وحصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على أهلها ودام الحصار الى سنة خمس عشرة فملكوها عنوة وكان أهلها لما أشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها الى الكرج فى طلب الامان فلم تصغ الكرج اليهما وأحرقوهما ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه ووصل المستنفرون منهم الى بغداد مستصرخين ومستنصرين سنة ست عشرة فبلغهم ان السلطان محمودا بهمذان فقصدوه واستغاثوا به فسار الى اذربيجان وأقام بمدينة تبريز شهر رمضان وأنفذ عسكرا الى الكرج وسيرد ذكر ما كان منهم ان شاء الله تعالى

(ذكر غزوات ايلغازى هذه السنة)

فى هذه السنة أرسل المسترشد بالله خلعا مع سديد الدولة بن الانبارى الى نجم الدين ايلغازى وشكره على ما فعله من غزو الفرنج ويأمره بابعاد دبيس عنه وسار أبو على بن عمار الذى

وتبيح لهم طرق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل
الثمن وهو يحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بين اظهرهم واقام بتينملل
وبنى له مسجدا خارج المدينة فكان يصلي فيه الصلوات هو وجمع ممن معه عنده
ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة فلما رأى كثرة اهل الجبل وحصانة المدينة خاف ان
يرجعوا عنه فامرهم ان يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة ايام ثم انه امر اصحابه ان
يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد ثم دخل المدينة فقتل فيها
واكثر وسبى الحريم ونهب الاموال فكان عدة القتلى خمسة عشر الفا وقسم المساكن
والارض بين اصحابه وبنى على المدينة سورا وقلعة على راس جبل عال وفي جبل تينملل
انهار جارية واشجار وزروع والطريق اليه صعب فلا جبل احصن منه وقيل انه لما
خاف اهل تينملل نظر فرأى كثيرا من اولادهم شقرا زرقا والذي يغلب على الآباء
السمرة وكان لامير المسلمين عدة كثيرة من المماليك الفرنج والروم يغلب على الوانهم
الشقرة وكانوا يصعدون الجبل في كل عام مرة ويأخذون ما لهم فيه من الاموال المقررة لهم
من جهة السلطان فكانوا يسكنون بيوت اهله ويخرجون اصحابها منها فلما رأى
المهدي اولادهم سالهم مالي اراكم سمر الالوان وارى اولادكم شقرا زرقا فاخبروه
خبرهم مع مماليك امير المسلمين فقبح الصبر على هذا وازرى عليهم وعظم الامر عندهم
فقالوا له فكيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة فقال اذا حضروا عندكم في
الوقت المعتاد وتفرقوا في مساكنكم فليقم كل رجل منكم الى نزيله فليقتله واحفظوا
جبالكم فانه لا يرام ولا يقدر عليه فصبروا حتى حضر اولئك العبيد فقتلوهم على ما قرره
لهم المهدي فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من امير المسلمين فامتنعوا في الجبل
وسدوا ما فيه من طريق يرتقى اليه فقويت نفس المهدي بذلك ثم ان امير المسلمين
ارسل اليهم جيشا فحصرهم في الجبل وضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلت
عند اصحاب المهدي الاقوات حتى صار الخبز معدوما وكان يطبخ لهم كل يوم من
الحساء ما يكفيهم فكان قوت كل واحد منهم ان يغمس يده في ذلك الحساء ويخرجها فما
علق عليها اقتنع به فاتفق ذلك اليوم فاجتمع اعيان اهل تينملل وارادوا اصلاح الحال مع امير
المسلمين فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تومرت وكان معه انسان يقال له ابو عبد الله
الونشريشي يظهر البله وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم وبزاقه يجري على صدره
وهو كانه معتوه ومع هذا فالمهدي يقربه ويكرمه ويقول ان لله سرا في هذا الرجل سوف
يظهر وكان الونشريشي يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السر بحيث لا يعلم احد ذلك
منه فلما كان سنة تسع عشرة وخاف المهدي من اهل الجبل خرج يوما لصلاة الصبح
فرأى الى جانب محرابه انسانا حسن الثياب طيب الريح فاظهر انه لا يعرفه وقال من
هذا فقال انا ابو عبد الله الونشريشي فقال له المهدي ان امرك لعجب ثم صلى فلما فرغ
من صلاته نادى في الناس فحضروا فقال ان هذا الرجل يزعم انه الونشريشي فانظروه
وحققوا امره فلما اضاء النهار عرفوه فقال له المهدي ما قصتك قال انني اتاني الليلة

صدقاته الروحي وتصرف في اوقاف ابيها ومنها عزب الرخام رشيد وغيرها ٢٤٣ فاشتهر بالبلاد القبلية والبحرية وكان مع
ذلك بضاعته في العلم مشاركا
بسبب التداخل في القضايا
وكان كريم النفس جدا يجود
وما لديه قليل مع حسن
المعاشرة والبشاشة والتواضع
والمواساة للكبير والصغير
والجليل والحقير وطعامه
مبذول للواردين ومن اتى في
منزله الى حاجة اوزائر لا يمكنه
من الذهاب حتى يغديه او
يعشيه واذا اتاه مسترفد ولم
يجد معه اشياء اقترض
واعطاه فوق ما يرجوه ولا يبخل
بجاهه وسعيه على احد كائنا
من كان بعوض وبدونه ومما
اتفق له مرارا انه يركب من
الصباح في حوائج الناس فلا
يعود الا بعد العشاء الاخيرة
فيلاقيه آخر وحاجته في
نصف الطريق او آخره فيشكو
اليه قصته امانة فاتته عند
امير او خلاص مسجون او غير
ذلك فيقف له ويستمع قصته
ويحررها كتب فيقول له في غد
نذهب اليه فان الوقت صار
ليلا فيقول صاحب الحاجة
هو في داره في هذا الوقت فيعود
من طريقه مع صاحب
الحاجة الى ذلك الامير ولو
بعدت داره ويقضي حاجته
و يعود بعد حصة من الليل
وهكذا كان شانه ولا ينتظر
ولا يؤمل جعالة ولا اجرة
نظير سعيه فان اتوه بشئ اخذه
اوهدية قبلها قلت او كثرت وشكرهم على ذلك فمالت اليه القلوب ووفدت اليه الوفود والحاجات من كل ناحية

من عالم قبيل من كومية نزلوا بتلك الاقاليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدى ملازما للامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى طريقه الى ان وصل الى مراكش دار مملكة امير المسلمين يوسف بن على بن تاشفين فرأى فيها من المنكرات اكثر مما عاينه فى طريقه فزاد فى امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو فى بعض الايام فى طريقه اذ رأى اخت امير المسلمين فى موكبها ومعها من الجوارى الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال فحين رأى النساء كذلك انكر عليهن وامرهن بستر وجوههن وضرب هو واصحابه دوابهن فسقطت اخت امير المسلمين عن دابتها فرفع امره الى امير المسلمين على بن يوسف فاحضره واحضر الفقهاء ليناظروه فاخذ يعظه ويخوفه فبكى امير المسلمين وامر ان يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة ادلته فى الذى فعله وكان عند امير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب فقال يا امير المسلمين ان هذا والله لا يريد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر انما يريد اثارة فتنة والغلبة على بعض النواحى فاقتله وقلدنى دمه فلم يفعل ذلك فقال اذا لم تقتله فاحبسه وخلده فى السجن والا اثار شرا لا يمكن تلافيه فاراد حبسه فمنعه رجل من اكابر الملثمين يسمى بيان بن عثمان فامر باخراجه من مراكش فسار الى اغمات ولحق بالجبل فسار فيه حتى لحق بالسوس الذى فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة اربع عشرة فاتوه واجتمعوا حوله وتسامع به اهل تلك النواحى فوفدوا عليه وحضر اعيانهم بين يديه وجعل يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فاقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمى اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبى صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدى الذى يملأ الارض عدلا وان مكانه الذى يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدى فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى امير المسلمين فجهز جيشا من اصحابه وسيرهم اليه فلما قربوا من الجبل الذى هو فيه قال لاصحابه ان هؤلاء يريدونى واخاف عليكم منهم فالرأى ان اخرج بنفسى الى غير هذه البلاد لتسلموا انتم فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة هل تخاف شيئا من السماء فقال لا بل من السماء تنصرون فقال ابن توفيان فليأتنا كل من فى الارض ووافقه جميع قبيلته فقال المهدى ابشروا بالنصر والظفر بهذه الشرذمة وبعد قليل تستأصلون دولتهم وترثون ارضهم فنزلوا من الجبل ولقوا جيش امير المسلمين فهزموهم واخذوا اسلابهم وقوى ظنهم فى صدق المهدى حيث ظفروا كما ذكر لهم واقبلت اليه افواج القبائل من الحلل التى حوله شرقا وغربا وبايعوه واطاعته قبيلة هنتانة وهى من اقوى القبائل فاقبل عليهم واطمأن اليهم واتاه رسل اهل تينملل بطاعتهم وطلبوه اليهم فتوجه الى جبل تينملل واستوطنه والف لهم كتابا فى التوحيد وكتابا فى العقيدة

الفيومى المالكى ولد بالفيوم وحضر الى مصر وحفظ القرآن وجاور برواق الفيمة بالازهر وكان فى اول عمره يغنى خلف جار الشيخ الصعيدى وعليه قراءة مصوف وشملة صغراء ثم حضر دروسه ودروس الشيخ الدردير وغيرهما واختلط مع المنشدين وكان له صوت شجى فيذهب مع الذاكرين الى بيوت الاعيان فى الليالى فينشد الانشادات ويقرا الاعشار فيحبونه ويكرمونه زيادة على غيره واختلط ببعض الاعيان الذين يقال لهم البرقوقية من ذرية السلطان برقوق وهم نظار على اوقافه فراج امره وكثرت معارفه بالاغوات الطواشية وبهم توصل الى نساء الامراء والسعى فى حوائجهن وقضاياهن وصار له قبول زائد عندهن وعند ازواجهن وتجمل بالملابس وركب البغال واحدق به المداحون وتزوج بامرأة بناحية قنطرة الامير حسين وسكن بدارها فانتشت ثروتها ولما مات الشيخ محمد الغفاتينى المترجم لمشيخة رواق الفيمة وبنى له محمد بك المعروف بالمبدول دار الضيافة بحارة عابدين واشتهر ذكره وعلا شانه وطار صيته وسافر فى بعض مقتضيات الامراء الى دار السلطنة وعاد الى مصر واقبلت عليه الهدايا من الامراء والحريمات والاغوات والاقباط وغيرهم واشتهر بابنة وزوجته الست زليخا زوجة ابراهيم بك الكبير بيتا ونهج

قد رتب أصحابه مراتب فالاولى يسمون ايت عشرة يعني اهل عشرة واولهم عبد المؤمن
ثم ابو حفص الهنتاني وغيرهما وهم اشرف اصحابه واهل الثقة عنده والسابقون
الى متابعته والثانية ايت خمسين يعني اهل خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة
من رؤساء القبائل والثالثة ايت سبعين يعني اهل سبعين وهم دون التي قبلها وسمى
عامة اصحابه والداخلين في طاعته موحدين فاذا ذكر الموحدون في اخبارهم فانما
يعني اصحابه واصحاب عبد المؤمن بعده ولم يزل امر ابن تومرت يعلو الى سنة اربع
وعشرين فجهز المهدي جيشا كثيفا يبلغون اربعين الفا اكثرهم رجالة وجعل
عليهم الونشريشي وسير معهم عبد المؤمن فنزلوا وساروا الى مراكش فحصروها
وضيقوا عليها وبها امير المسلمين علي بن يوسف فبقي الحصار عليها عشرين يوما فارسل
امير المسلمين الى متولي سجلماسة يأمره ان يحضر ومعه الجيوش فجمع جيشا كثيرا وسار
فلما قارب عسكر المهدي خرج اهل مراكش من غير الجهة التي اقبل منها فاقتتلوا
واشتد القتال وكثر القتل في اصحاب المهدي فقتل الونشريشي اميرهم فاجتمعوا الى
عبد المؤمن وجعلوه اميرا عليهم ولم يزل القتال بينهم عامة النهار وصلى عبد المؤمن صلاة
الخوف الظهر والعصر والحرب قائمة ولم تصل بالمغرب قبل ذلك فلما رأى المصامدة
كثرة المرابطين وقوتهم اسندوا ظهورهم الى بستان كبير هناك والبستان يسمى
عندهم البحيرة فلهذا قيل وقعة البحيرة وعام البحيرة وصاروا يقاتلون من جهة
واحدة الى ان ادركهم الليل وقد قتل من المصامدة اكثرهم وحين قتل الونشريشي
دفنه عبد المؤمن فطلبه المصامدة فلم يروه في القتلى فقالوا رفعته الملائكة ولما جنهم
الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتل الى الجبل

(ذكر وفاة المهدي وولاية عبد المؤمن)

لما سير الجيش الى حصار مراكش مرض مرضا شديدا فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد
مرضه وسأل عن عبد المؤمن فقيل هو سالم فقال ما مات احد الامر قائم وهو الذي يفتح
البلاد ووصى اصحابه باتباعه وتقديمه وتسليم الامر اليه والانقياد له ولقبه امير المؤمنين
ثم مات المهدي وكان عمره احدى وخمسين سنة وقيل خمسا وخمسين سنة ومدة ولايته
عشرين سنة وعاد عبد المؤمن الى تينمال واقام بها يتألف القلوب ويحسن الى الناس
وكان جوادا مقداما في الحروب ثابتا في الهزاهز الى ان دخلت سنة ثمان وعشرين
وخمسمائة فتجهز وسار في جيش كثير وجعل يمشي مع الجبل الى ان وصل الى تادلة
فمانعه اهلها وقاتلوه فقهرهم وفتحها وسائر البلاد التي تليها ومشى في الجبال يفتح
ما امتنع عليه واطاعته صنهاجة الجبل وكان امير المسلمين قد جعل ولي عهده ابنه سير
فمات فاحضر امير المسلمين ابنه تاشفين من الاندلس وكان اميرا عليها فلما حضر عقد
له ولاية عهده سنة احدى وثلاثين وجعل معه جيشا وصار يمشي في الصحراء قبالة
عبد المؤمن في الجبال وفي سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن في النواظر وهو جبل
عال مشرف وتاشفين في الوطاة ويخرج من الطائفتين قوم يتراموه ن ويتطاردون ولم

فاشار علينا بكذا وبحوذلك ولم يزل مع الجميع في هذه الحالة الى ان طرقت هذه الفرنساوية البلاد المصرية واخرجوا منها
الامراء وخرج النساء من
بيوتهن وفهبن اليه افواجا
افواجا حتى امتلأت داره
وما حولها من الدور بالنساء
فتصدى لهن الترجمة وتداخل
في الفرنساوية ودافع عنهن
والقين بداره شهورا واخذ لهما
لكثير من الاجناد المصرية
واحضرهم الى مصر واقاموا
بداره ليلا ونهارا واحبته
الفرنساوية ايضا وقبلوا
شفاعته و يحضرون الى داره
و يعمل لهم الولائم وساس
امورهم معهم وتقرر في رؤساء
الديوان الذي رتبوه لاجراء
الاحكام بين المسلمين ولما
نظموا امور القرى والبلدان
المصرية على النسق الذي
جعلوه رتبوا على مشايخ
كل بلد شيخا ترجع امور
البلدة ومشايخها اليه وشيخ
المشايخ المترجم مضافا لذلك
لمشيخة الديوان وحاكمهم
الكبير فرنساوي يسمى
ابريزون فازدحمت داره بمشايخ
البلدان فياتون اليه افواجا
و يذهبون افواجا وله ترتيب
خاص خلاف ترتيب الديوان
واستمر معهم في وجاهته الى
ان انقضت ايامهم وسافروا
الى بلادهم وحضرت
العثمانية والوزير والمترجم
في عداد العلماء والمتصدرين
واقرانه مشهور الذكر بعيد
الصيت مرعي الجانب مقبول القول عند الاكابر والاصاغر ولما قتل خليل افندي الرجائي الدفتردار وكتخدا بك

ـلاث من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن والموطأ وغيره من العلوم والاحاديث
فبكى المهدي بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن
قراءة حسنة من اى موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والاصول فعجب
الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله تعالى قد اعطاني نورا اعرف به اهل
الجنة من اهل النار وآمركم ان تقتلوا اهل النار وتتركوا اهل الجنة وقد انزل الله
تعالى ملائكة الى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي فسار المهدي
والناس معه وهم يبكون الى تلك البئر وصلى المهدي عند رأسها وقال يا ملائكة الله
ان ابا عبد الله الونشريشي قد زعم كيت وكيت فقال من بها صدق وكان قد وضع فيها
رجالا يشهدون بذلك فلما قيل ذلك من البئر قال المهدي ان هذه مطهرة مقدسة قد
نزل اليها الملائكة والمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة او ما لا يجوز فالقوا فيها من
الحجارة والتراب ما طمها ثم نادى في اهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا
للتمييز فكان الونشريشي يعمد الى الرجل الذي يخاف ناحيته فيقول هذا من اهل
النار فيلقى من الجبل مقتولا والى الشاب الغر ومن لا يخشى يقول هذا من اهل الجنة
فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعين الفا فلما فرغ من ذلك امن على نفسه
واصحابه واستقام امره هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون في التمييز
وسمعت منهم من يقول ان ابن تومرت لما رأى كثرة اهل الشر والفساد في اهل الجبل
احضر شيوخ القبائل وقال لهم انكم لا يصح لكم دين ولا يقوى الا بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واخراج المفسد من بينكم فابحثوا عن كل من عندكم من اهل الشر
والفساد فانهوهم عن ذلك فان انتهوا والا فاكتبوا اسماءهم وارفعوها الى لانظر في
امرهم ففعلوا ذلك وكتبوا اليه اسماءهم من كل قبيلة ثم امرهم بذلك مرة ثانية وثالثة
ثم جمع المكتوبات فاخذ منها ما تكرر من الاسماء فاثبتها عنده ثم جمع الناس قاطبة
ورفع الاسماء التي كتبها ودفعها الى الونشريشي المعروف بالبشير وامره ان يعرض
القبائل ويجعل اولئك المفسدين في جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين ففعل
ذلك وامر ان يكتف من على شمال الونشريشي فكتفوا وقال ان هؤلاء اشقياء قد وجب
قتلهم وامر كل قبيلة ان يقتلوا اشقياءهم فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز ولما
فرغ ابن تومرت من التمييز رأى اصحابه الباقين على نيات صادقة وقلوب متفقة على
طاعته فجهز منهم جيشا وسيرهم الى جبال اغمات وبها جمع من المرابطين فقاتلوهم
فانهزم اصحاب ابن تومرت وكان اميرهم ابو عبد الله الونشريشي وقتل منهم كثير وجرح
عمر الهنتاتي وهو من اكبر اصحابه وسكن حسه ونبضه فقالوا مات فقال الونشريشي اما
انه لم يمت ولا يموت حتى يملك البلاد فبعد ساعة فتح عينيه وعادت قوته اليه فافتتنوا به
وعادوا منهزمين الى ابن تومرت فوعظهم وشكرهم على صبرهم ثم لم يزل بعدها يرسل
السرايا في اطراف بلاد المسلمين فاذا رأوا عسكرا تعلقوا بالجبل فامنوا وكان المهدي

فلا يرد احدا ويتقبلهم بالبشاشة والترحم في داره ويطعمهم ويكرمهم ويستمرون في ضيافته حتى يقضي حوائجهم
ويزودهم ويرجعون الى
اوطانهم مسرورين ويجيبون
وشاكرين ثم يكافئونه بما
امكنهم من المكافآت واذا
وصلت اليه هدية وصادف
وصولها حضوره بالمنزل فرق
منها على من بمجلسه من الحاضرين
فبذلك انجذبت اليه القلوب
وساد على اقرانه ومعاصريه
كما قيل
بيذل وحلم ساد في قومه الفتى
وكونك اياه عليك يسير
ولما حضر حسن باشا الجزايرلي
الى مصر وارتحل الامراء
المصريون الى الصعيد واحاط
بدورهم وطلب الاموال
من نسائهم وقبض على
اولادهم وجواريهم وامهات
اولادهم وانزلهم بسوق المزاد
التجأ الى المترجم الكثير من
نساء الامراء الكبار فآواهن
واجهد نفسه في السعي في
حمايتهن والرفق بهن ومواساتهن
مدة امامة حسن باشا بمصر
وبعدها في امارة اسمعيل
بك فلما رجع ازواجهن
بعد الطاعون الى امارتهم
ازداد قدر المترجم عندهم
وقبوله ومحبته ووجاهته
واشتهر عندهم بعدم قبوله
الرشوة ومكارم الاخلاق
والديانة والتورع فكان
يدخل الى بيت الامير يعبر
الى محل الحريم ويجلس معهن ويسررن بدخوله عندهن ويقولون زارنا ابونا الشيخ وشاورنا ابانا الشيخ

قه

تاجرة في يوم مشهود فجمع عسكره وتفرق عسكر امير المسلمين واحتمى بعضهم بمدينة وهران
فلما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف وقتل فيها ما لا يحصى ثم سار الى تلمسان وهما
مدينتان بينهما شوط فرس احداهما تاجرت وبها عسكر الملثمين والاخرى اقادير وهي
بناء قديم فامتنعت اقادير وغلقت ابوابها وتأهب اهلها للقتال واما تاجرت فكان
فيها يحيى بن الصحراوية فهرب منها بعسكره الى مدينة فاس وجاء عبد المؤمن اليها
فدخلها لما فر منها العسكر ولقيه اهلها بالخضوع والاستكانة فلم يقبل منهم ذلك وقتل
اكثرهم ودخلها عسكره ورتب امرها ورحل عنها وجعل على اقادير جيشا يحصرها وسار
الى مدينة فاس سنة اربعين فنزل على جبل مطل عليها وحصرها تسعة اشهر وفيها يحيى
ابن الصحراوية بعسكره الذين فروا من تلمسان فلما طال مقام عبد المؤمن عمد الى نهر
يدخل البلد فسكره بالاخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من دخول البلد وصار بحيرة
تسير فيها السفن ثم هدم السكر فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد وكل
ما يجاور النهر من البلد واراد عبد المؤمن ان يدخل البلد فقاتله اهله خارج السور
فتعذر عليه ما قدره من دخوله وكان بفاس عبد الله بن خيار الجياني عاملا عليها
وعلى جميع اعمالها فاتفق هو وجماعة من اعيان البلد وكاتبوا عبد المؤمن في طلب
الامان لاهل فاس فاجابهم اليه ففتحوا له بابا من ابوابها فدخلها عسكره وهرب يحيى بن
الصحراوية وكان فتحها آخر سنة اربعين وخمسمائة وسار الى طنجة ورتب عبد
المؤمن امر مدينة فاس وامر فنودي في اهلها من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه
فحمل كل من في البلد ما عنده من سلاح اليه فاخذه منهم ثم رجع الى مكناسة
ففعل باهلها مثل ذلك وقتل من بها من الفرسان والاجناد واما العسكر الذي كان على
تلمسان فانهم قاتلوا اهلها ونصبوا المجانيق وابراج الخشب وزحفوا بالدبابات وكان
المقدم على اهلها الفقيه عثمان فدام الحصار نحو سنة فلما اشتد الامر على اهل البلد
اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحدين اصحاب عبد المؤمن بغير علم الفقيه عثمان
وادخلوهم البلد فلم يشعر اهله الا والسيف يأخذهم فقتل اكثر اهله وسبيت الذرية
والحريم ونهب من الاموال ما لا يحصى ومن الجواهر ما لا تحد قيمته ومن لم يقتل بيع
باوكس الاثمان وكان عدة القتلى مائة الف قتيل وقيل ان عبد المؤمن هو الذي حصر
تلمسان وسار منها الى فاس والله اعلم وسير عبد المؤمن سرية الى مكناسة فحصروها مدة
ثم سلمها اليهم اهلها بالامان فوفوا لهم وسار عبد المؤمن من فاس الى مدينة سلا ففتحها
وحضر عنده جماعة من اعيان سبتة فدخلوا في طاعته فاجابهم الى بذل الامان وكان
ذلك سنة احدى واربعين

(ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش)

لما فرغ عبد المؤمن من فاس وتلك النواحي سار الى مراكش وهي كرسي مملكة الملثمين
وهي من اكبر المدن واعظمها وكان صاحبها حينئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين

ثالث عشره) حصلت زلزلة عجيبة مرعبة وارتجت منها الجهات ثلاث درجات ٤٧ ومنها البلاد واستمرت نحو اربع دقائق
فانزعج الناس منها من منامهم
وصار لهم جلبة وقلقة وخرج
الكثير من دورهم طائرين
الى الازقة يطلبون الخلاص
الى الفضاء مع بعده منهم
وكان ذلك في اول الساعة
السابعة من الليل واصبح
الناس يتحدثون بها فيما بينهم
وسقط بسببها بعض حيطان
ودور قديمة وتشققت جدران
وسقطت منارة بسوق
ونصف منارة بام اخوان
بالمنوفية وغير ذلك لا نعلمه
(وفي عصر يوم السبت)
ايضا حصلت زلزلة ولكن
دون الاولى فانزعج الناس
منها ايضا وضجوا ثم سكنوا
ثم كثر لغط العالم بمعاودتها
فمنهم من يقول ليلة الاربعاء
ومنهم من يقول خلاف ذلك
وانها تستمر طويلا واسندوا
ذلك لبعض المنجمين ومنهم
من اسنده لبعض النصارى
واليهود وان رجلا نصرانيا
ذهب الى الباشا واخبره
بحصول ذلك واكد في قوله
وقال له احبسني وان لم يظهر
صدقي اقتلني وان الباشا
حبسه حتى يمضي الوقت
الذي عينه ليظهر صدقه من
كذبه وكل ذلك من تخيلاتهم
واختلافاتهم واكاذيبهم وما
يعلم الغيب الا الله (وفي يوم
الاحد) رابع عشره امر
الباشا بالاحتياط على بيوت عظماء الاقباط كالمعلم غالي والمعلم جرجس الطويل واخيه وفلتيوس وفرانسيسكو

 الدفتردار وخازنداره وضربوهما وقبضوا الى داره واقاموا عنده تمام

يكن بينهما لقاء ويسمى عام النواظر وفي سنة ثلاث وثلاثين توجه عبد المؤمن مع
الجبل في الشعراء حتى انتهى الى جبل كرناطة فنزل في ارض صلبة بين شجر ونزل
تاشفين قبالته في الوطأة في ارض لا نبات فيها وكان الفصل شاتيا فتوالت الامطار اياما
كثيرة لا تقلع فصارت الارض التي فيها تاشفين واصحابه كثيرة الوحل تسوخ فيها قوائم
الخيل الى صدورها ويعجز الرجل عن المشي فيها وتقطعت الطرق عنهم فاوقدوا
رماحهم وقرابيس سروجهم وهلكوا جوعا وبردا وسوء حال وكان عبد المؤمن واصحابه
في ارض خشنة صلبة في الجبل لا يبالون بشيء والميرة متصلة اليهم وفي ذلك الوقت سير
عبد المؤمن جيشا الى وجرة من اعمال تلمسان ومقدمهم ابو عبد الله محمد بن رقو وهو من
ايت خمسين فبلغ خبرهم الى محمد بن يحيى بن فانو متولي تلمسان فخرج في جيش من
الملثمين فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر فهزمهم جيش عبد المؤمن وقتل محمد بن
يحيى وكثير من اصحابه وغنموا ما معهم ورجعوا فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه الى
غمارة فاطاعوه قبيلة بعد قبيلة واقام عندهم مدة وما برح يمشي في الجبال وتاشفين
يحاذيه في الصحارى فلم يزل عبد المؤمن كذلك الى سنة خمس وثلاثين فتوفي امير المسلمين
علي بن يوسف بمراكش وملك بعده ابنه تاشفين فقوي طمع عبد المؤمن في البلاد الا
انه لم ينزل الصحراء وفي سنة ثمان وثلاثين توجه عبد المؤمن الى تلمسان فنازلها وضرب
خيامه في جبل باعلاها ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد وكان بينهم مناوشة
وبقوا كذلك الى سنة تسع وثلاثين فرحل عبد المؤمن عنها الى جبل تاجرة ووجه جيشا
مع عمر الهنتاتي الى مدينة وهران فهاجمها بغتة ودخل عمر وجيشه فيها فسمع بذلك
تاشفين فسار اليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر في شهر رمضان
سنة تسع وثلاثين فلما كانت ليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة يعظمها اهل المغرب
وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر باعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع
معظم عندهم فسار اليه تاشفين في نفر يسير من اصحابه متخفيا لم يعلم به الا النفر الذين
معه وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع اولئك الجماعة الصالحين فبلغ الخبر الى عمر
ابن يحيى الهنتاتي فسار لوقته بجميع عسكره الى ذلك المتعبد واحاطوا به وملكوا
الربوة فلما خاف تاشفين على نفسه ان يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه الى جهة البحر
فسقط من جرف عال على الحجارة فهلك ورفعت جثته على خشبة وقتل كل من كان
معه وقيل ان تاشفين قصد حصنا هناك على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار
فاتفق ان عمر الهنتاتي مقدم عسكر عبد المؤمن سير سرية الى ذلك الحصن لعلمهم
بضعف من فيه ولم يعلموا ان تاشفين فيه فالقوا النار في بابه فاحترق فاراد تاشفين
الهرب فركب فرسه فوثب الفرس من داخل الحصن الى خارج السور فسقط في النار
فاخذ تاشفين فاعترف فارادوا حمله الى عبد المؤمن فمات في الحال لان رقبته كانت قد
اندقت فصلب وقتل كل من معه وتفرق عسكره ولم يجتمع لهم جماعة وملك بعده اخوه
اسحق بن علي بن يوسف ولما قتل تاشفين ارسل عمر الى عبد المؤمن بالخبر فجاء من

وواساهم حتى سافروا الى بلادهم
ولم يزل عليلا بالمحنة حتى نزل به
خلط بارد فابطل شقه وعقد
لسانه واستمر اياما وتوفي
ليلة الاحد خامس عشر ذي
الحجة وخرجوا بجنازته من
بيته بحارة عابدين وصلي عليه
بالازهر في مشهد عظيم جدا
مثل مشاهد العلماء الكبار
المتقدمين وربما كان جمع
النساء خلفه كجمع الرجال
في الكثرة ودفنوا عليه
دونا نحو العشرة آلاف ريال
ساعده اصحابها ولم يخلف من
الاولاد الا ابنتين رحمه الله
وسامحه وعفا عنا وعنه آمين

(سنة خمس وعشرين
ومائتين والف)

استهل المحرم بيوم الاثنين
فيه وردت الاخبار من الديار
الرومية بغلبة الموسكوب
واستيلائهم على ممالك
كثيرة وانه واقع باسلامبول
شدة عظيمة وغلاء في الاسعار
وخوف وانهم يذيعون في
المدائن خلاف الواقع لاجل
التعمية (وفي خامسه) حضر
ابراهيم افندي القاضي الذي
كان توجه الى الدولة من مدة
سابقة وعلى يده مراسيم
بطلب ذخيرة وغلال وعملوا
لقدومه شنكا ومدافع وطلع
في موكب الى القلعة (وفيه)
رجع ديوان افندي من
ناحية قبلي وصحبته احمد آغا شويكار واقام بمصر اياما ثم رجع بالجواب الى الامراء القبليين (وفي ليلة السبت

الاخيرة سلط الله عليه في عقابه من ارى في الآخرة تعليمه وزاد فتبارك الحي الدائم الملك الذي لا يزول ملكه وهذه سنة الدنيا فاف لها ثم اف نسأل الله ان يختم اعمالنا بالحسنى ويجعل خير ايامنا يوم نلقاه بمنه وكرمه

(ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة)

في سنة ثلاث واربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين الى دكالة فاجتمع اليه قبائلها وصاروا يغيرون على اعمال مراكش وعبد المؤمن لا يلتفت اليهم فلما كثر ذلك منهم سار اليهم سنة اربع واربعين فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم الى ساحل البحر في مائتي الف راجل وعشرين الف فارس وكانوا موصوفين بالشجاعة وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر وكان الموضع الذي فيه دكالة كثير الحجر والحزونة فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن اذا سلكه فمن الاتفاق الحسن له انه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء فانحل عليهم ما قدروه وفارقوا ذلك الموضع فاخذهم السيف فدخلوا البحر فقتل اكثرهم وغنمت ابلهم واغنامهم واموالهم وسبي نساؤهم وذراريهم فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة وعاد عبد المؤمن الى مراكش مظفرا منصورا وثبت ملكه وخافه الناس في جميع المغرب واذعنوا له بالطاعة

(ذكر حصر مدينة كتندة)

في هذه السنة يعني سنة اربع عشرة وخمسمائة خرج ملك من ملوك الفرنج بالاندلس يقال له ابن ردمير فسار حتى انتهى الى كتندة وهي بالقرب من مرسية في شرق الاندلس فحصرها وضيق على اهلها وكان امير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والاجناد المتطوعة فسيرهم الى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا اشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل في المسلمين وكان فيمن قتل ابو عبد الله بن الفراء قاضي المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد في الدنيا العادلين في القضاء

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كسر بالشام ابن ارتق عفراس الرومي وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد حلب وكان واسر عفراس وكثير من عسكره وفيها اغار بدوين ملك الفرنج صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين غربي الفرات وغنم من اموالهم ومواشيهم شيئا كثيرا ولما عاد خرب بزاعة وفيها تسلم اتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمر والشقيف وفيها امر السلطان محمود الامير جيوش بك بالمسير الى حرب اخيه طغرل فسار اليه فهرب منه طغرل واتابكه كنتغدي فسارا الى كنجة من بين يدي العسكر ولم يجر قتال وفيها في المحرم توفي خالصة الدولة ابو البركات احمد بن عبد الوهاب بن السيبي صاحب المخزن ببغداد وولي مكانه الكمال

الازهر فاذا اقام انسان لحاجته منفردا اختلوا امامه واشتد ذلك فاجتهد في ذلك الشيخ المهدي في التفحص والقبض على فاعل ذلك الى ان عرفوا اشخاصهم وقبض على من قبض منهم من اولاد اصحاب المظاهر المتعممين فستروا امرهم واتاهم وانخصا من رفقائهم لبس له شهرة واخرجوه من البلد منفيا ونسبوا اليه الفعال وسينكشف ستر الفاعلين فيما بعد ويفتضحون بين العالم كما يأتي خبر ذلك في سنة تسع وعشرين وكذلك اخرجوا طائفة من القوادين والنساء الفواحش سكنوا بحارة الازهر واجتمعوا في اهله حتى ان اكابر الدولة وعساكرهم بل واهل البلد والسوقة جعلوا سمرهم وديدنهم ذكر الازهر واهله ونسبوا اليه كل رذيلة وقبيحة ويقولون نرى كل مصيبة تظهر منه ومن اهله وبعد ان كان منبع الشريعة والعلم صار بعكس ذلك وقد ظهر منهم قبيل الزغلية والاخوان الحرامية ولهم وغيرهم الشعفية (وفيه) طلب الباشا تمهيد الطريق الموصلة من القلعة الى الرملة التي انشأها طريقا يصعد منها الى الجبل المقطم السابق ذكرها واراد ان يفرض على الاخطاط والحارات رجالا للعمل بعضهم بخصوص ومن امتنع من الخروج والمساعدة يفرض عليه بدلا عنه او قدرا من الدراهم يدفعها

يخ مل عا فيم الجدل واشتهر هذا الامر واستقصر الاوباش على الطبول والزمور كما كانوا

وخوصي فنازلها وكان نزوله عليها سنة احدى واربعين فضرب خيامه في غربيها على
جبل صغير وبنى عليه مدينة له ولعسكره وبنى بها جامعا وبنى له بناء عاليا يشرف منه على
المدينة ويرى احوال اهلها واحوال المقاتلين من اصحابه وقاتلها قتالا كثيرا واقام
عليها احد عشر شهرا فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد
واشتد الجوع على اهلها وتعذرت الاقوات عندهم ثم زحف اليهم يوما وجعل لهم كمينا
وقال لهم اذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا وجلس هو باعلى المنظرة التي بناها يشاهد
القتال وتقدم عسكره وقاتلوا وصبروا ثم انهم انهزموا لاهل مراكش ليتبعوهم الى
الكمين الذي لهم فتبعهم الملثمون الى ان وصلوا الى مدينة عبد المؤمن فهدموا
اكثر سورها وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليامر بضرب الطبل ليخرج الكمين
فقال لهم اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد فلما خرج اكثر اهله امر بالطبل فضرب
وخرج الكمين عليهم ورجع المصامدة المنهزمون الى الملثمين فقتلوهم كيف شاؤا
وعادت الهزيمة على الملثمين فمات في زحمة الابواب ما لا يحصيه الا الله سبحانه وكان شيوخ
الملثمين يدبرون دولة اسحق بن علي بن يوسف لصغر سنه فاتفق ان انسانا من جملتهم يقال
له عبد الله بن ابي بكر خرج الى عبد المؤمن مستامنا واطلعه على عوراتهم وضعفهم
فقوي الطمع فيهم واشتد عليهم البلاء ونصب عليهم المجانيقات والابراج وفنيت
اقواتهم واكلوا دوابهم ومات من العامة بالجوع ما يزيد على مائة الف انسان فانتن
البلد من ريح الموتى وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا
بهم فجاؤا اليهم نجدة فلما طال عليهم الامر راسلوا عبد المؤمن يسالون الامان فاجابهم
اليه ففتحوا له بابا من ابواب البلد يقال له باب اغمات فدخلت عساكره بالسيف وملكوا
المدينة عنوة وقتلوا من وجدوا ووصلوا الى دار امير المسلمين فاخرجوا الامير اسحق
وجميع من معه من امراء المرابطين فقتلوا وجعل اسحق يرتعد رغبة في البقاء ويدعو
لعبد المؤمن ويبكي فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفا فبزق في وجهه
وقال تبكي على ابيك وامك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين
فقام الموحدون اليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين
بالشجاعة وقدم اسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة اثنتين واربعين وهو آخر ملوك
المرابطين وبه انقرضت دولتهم وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولي منهم اربعة
يوسف وعلي وتاشفين واسحق ولما فتح عبد المؤمن مراكش اقام بها واستوطنها
واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من اهل مراكش فاكثر فيهم القتل اختفى كثير
من اهلها فلما كان بعد سبعة ايام امر فنودي بامان من بقي من اهلها فخرجوا فاراد
اصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع واهل الاسواق من ننتفع به فتركوا
وامر باخراج القتلى من البلد فاخرجوهم وبنى بالقصر جامعا كبيرا وزخرفه فاحسن عمله
وامر بهدم الجامع الذي بناه امير المسلمين يوسف بن تاشفين ولقد اساء يوسف بن
تاشفين في فعله بالمعتمد بن عباد وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة اقبح مركب

وعظتهم سبعة فاحضروهم في صورة منسكرة وسمروا دورهم واخذوا دفاترهم فلما حضروا بين يديه قال لهم اريد
حسابكم وحيث دفاترهم هذه
وامر بضربهم فطلبوا منه الامان
وانه ياذن لهم في حسابه فاذن
لهم بمخاطبة المعلم غالي وخرجوا
من بين يديه الى الحبس ثم
قرر عليهم بواسطة حسين
افندي الروزنامجي سبعة
آلاف كيس بعد ان كان
طلب منهم ثلاثين الف كيس
(وفي يوم الخميس) ثامن عشره
شاع في الناس حصول زلزلة تلك
الليلة وهي ليلة الجمعة ويكون
ذلك في نصف الليل فذهب
غالب الناس للطلوع خارج
البلد فخرجوا بنسائهم
واولادهم الى شاطئ النيل
ببولاق ونواحي الشيخ قمر
ووسط بركة الازبكية
وغيرها وكذلك خرج الكثير
من العسكر ايضا ونصبوا
خياما في وسط الرميلة
وقراميدان والقرافتين
وقاسوا تلك الليلة من البرد
ما لا يكيف ولا يوصف لان
الشمس كانت ببرج الدلو وهو
وسط الشتاء ولم يحصل شيء
مما اشاعوه واذاعوه وتوهموه
وتسلق العيارون والحرامية
تلك الليلة على كثير من الدور
والاماكن وفتشوها فلما
اصبح يوم الجمعة كثر التشكي
الى الحكام من ذلك فنادوا
في الاسواق بان لا احد يذكر
امر الزلزلة وكل من خرج تلك
من داره عوقب فانكفوا وتركوا كراهتنا اللقط الفارغ (وفيه) ظهر بالازهر انفار يعقوبون بالليل بعض الكلام

من أهل حلب وتولى أبوه قضاء القاهرة وأما الباطني فابن البطائحي يعرفه فقالا
صدق فلما ترك الأفضل نقل من أمواله ما لا يعلمه إلا الله تعالى وبقي الخليفة في داره
نحو أربعين يوما والكتاب بين يديه والدواب تحمل وتنقل ليلا ونهارا ووجد له
من الأعلاق النفيسة والأشياء الغريبة القليلة الوجود ما لا يوجد مثله لغيره واعتقل
أولاده وكان عمره سبعا وخمسين سنة وكانت ولايته بعد أبيه ثمانيا وعشرين سنة منها
آخر أيام المستنصر وجميع أيام المستعلي إلى هذه السنة من أيام الآمر وكان الإسماعيلية
يكرهونه لأسباب منها التضييق على إمامهم وترك ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها
ترك معارضة أهل السنة في اعتقادهم والنهي عن معارضتهم وإذنه للناس في إظهار
معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد مصر وكان حسن السيرة عادلا حكي أنه
لما قتل وظهر الظلم بعده اجتمع جماعة واستغاثوا إلى الخليفة وكان من جملة قولهم أنهم
لعنوا الأفضل فسألهم عن سبب لعنهم إياه فقالوا إنه عدل وأحسن السيرة ففارقنا بلادنا
وأوطاننا وقصدنا بلده لعدله فقد أصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا فأحسن
الخليفة إليهم وأمر بالإحسان إلى الناس ومنها أن صاحبه الآمر بأحكام الله صاحب
مصر وضع عليه وسبب ذلك ما ذكرناه قبل فقصد الآمر بيته ما ذكر فأراد الآمر أن يضع عليه
من يقتله إذا دخل عليه قصره للسلام أو في أيام الأعياد فمنعه من ذلك ابن عمه أبو الميمون
عبد المجيد وهو الذي ولي الأمر بعده بمصر وقال له في هذا الفعل شناعة وسوء سمعة لأنه
قد خدم دولتنا هو وأبوه خمسين سنة ولم يعلم الناس منهم إلا النصح لنا والمحبة لدولتنا
وقد سار ذلك في أقطار البلاد فلا يجوز أن نظهر منا هذه المكافأة الشنيعة ومع هذا فلا
بد وأن نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه في منصبه فيتمكن مثله أو ما يقاربه فيخاف أن نفعل
به مثل فعلنا بهذا فيحذر من الدخول إلينا خوفا على نفسه وإن دخل علينا كان خائفا
فيتعذر الانتفاع به وفي هذا الفعل منهم ما يسقط المنزلة والرأي أن نراسل أبا عبد الله بن
البطائحي فإنه الغالب على أمر الأفضل والمطلع على سره ونعده أن نوليه منصبه
ونطلب منه أن يدبر الأمر في قتله إذا ركب فإذا انفردنا بمن قتله قتلناه وأظهرنا
الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا ويزول عنا قبح الأحدوثة ففعلوا ذلك فقتل
كما ذكرناه ولما قتل ولي بعده أبو عبد الله بن البطائحي الأمر ولقب المأمون وتحكم في
الدولة فبقي كذلك حاكما في البلاد إلى سنة تسع عشرة وصلب كما نذكره إن شاء الله
تعالى

﴿ذكر عصيان سليمان بن إيلغازي على أبيه﴾

في هذه السنة عصى سليمان بن إيلغازي بن أرتق على أبيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين
سنة حمله على ذلك جماعة من عنده فسمع والده الخبر فسار مجدا لوقته فلم يشعر به سليمان
حتى هجم عليه فخرج إليه معتذرا فأمسك عنه وقبض على من كان أشار عليه بذلك
منهم أمير كان قد التقطه أرتق والد إيلغازي ورباه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه

الكامل لكثرة النيل وعموم
الماء الأراضي على أنه بقي
الكثير من بلاد الصعيد وغيرها
شراقي بسبب عدم حفر الترع
وحبس الحبوس وتصبير
الجسور واشتغال الفلاحين
والملتزمين بالقرض والمظالم
وعجزهم عن ذلك (وفي
خامسه) طلب الباشا كشاف
الأقاليم وشرع في تقرير فرضة
على البلاد بما يقتضيه نظره
ونظر كشاف الأقاليم والمعلمين
القبط فقرروا على أعلاها
عشرين كيسا والأدنى خمسة
عشر كيسا ولم يتقيد بتحرير
ذلك أحد من الكتبة الذين
يحررون ذلك بدفاتر ويوزعونها
على مقتضى الحال ولم يعطوا
بالمقادير أوراق الملتزمين الحصص
كما كانوا يفعلون قبل ذلك
فإن الملتزم كان إذا بلغه تقرير
فرضة تدارك أمره وذهب
إلى ديوان الكتبة وأخذ علم
القدر المقرر على حصته
وتكفل بها وأخذ منهم مهلة
بأجل معلوم وكتب على نفسه
وثيقة وأبقاها عندهم ثم
يجتهد في تحصيل المبلغ من
فلاحيه وإن لم يسعفوه في الدفع
وحولوا عليه الطلب دفعه من
عنده إن كانت له مقدرة أو
استدانه ولو بالربا ثم يستوفيه
بعد ذلك من الفلاحين شيئا
فشيئا كل ذلك حرصا على
راحة فلاحي حصته وتأمينهم واستقرارهم في وطنهم ليحصل منهم المطلوب من المال الميري وبعض ما يقتاتون

ابو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة المعروف بابن البقشلام والد صاحب المخزن الكاتب المعروف وفي جمادى الاولى منها توفي ابو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري الامام ابن الامام وكان اخذ العلم من قرابته والطريقة ايضا ثم اشتغل ايضا على امام الحرمين ابي المعالي الجويني وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسن الوعظ سريع الخاطر ولما توفي جلس الناس في البلاد البعيدة للعزاء به حتى في بغداد برباط شيخ الشيوخ

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة)

(ذكر اقطاع البرسقي الموصل)

في هذه السنة في صفر اقطع السلطان محمود مدينة الموصل واعمالها وما يضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير آقسنقر البرسقي وسبب ذلك انه كان في خدمة السلطان محمود مصاحبا له ملازما له في حروبه كلها وكان له الاثر الحسن في الحرب الذي كانت بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود وهو الذي احضر الملك مسعودا عند اخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير امير ولى عليها البرسقي وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وامره بمجاهدة الفرنج واخذ البلاد منهم فسار اليها في عسكر كثير وملكها واقام يدبر امورها ويصلح احوالها

(ذكر وفاة الامير علي وولاية ابنه الحسن افريقية)

في هذه السنة توفي الامير علي بن يحيى بن تميم صاحب افريقية في العشر الاخير من ربيع الآخر وكان مولده بالمهدية وقد تقدم من حروبه واعماله ما يستدل به على علو همته ولما توفي ولي الملك بعده ابنه الحسن بعهد ابيه وقام بامر دولته صندل الخصي لانه كان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة لا يستقل بتدبير الملك فقام صندل في الحفظ والاحتياط فلم تطل ايامه حتى توفي فوقع الاختلاف بين اصحابه وقواده كل منهم يقول انا المقدم على الجميع وبيدي الحل والشد فلم يزالوا كذلك الى ان فوض امور دولته الى قائد من اصحاب ابيه يقال له ابو عزيز موفق فصلحت الامور

(ذكر قتل امير الجيوش)

في هذه السنة في الثالث والعشرين من رمضان قتل امير الجيوش الافضل بن بدر الجمالي وهو صاحب الامر والحكم بمصر وكان قد ركب الى خزانة السلاح ليفرقه على الاجناد على جاري العادة في الاعياد فسار ومعه عالم كثير من الرجالة والخيالة فتأذى بالغبار فامر بالبعد عنه وسار منفردا ومعه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياقلة فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء الثالث من ورائه فضربه بسكين في خاصرته فسقط عن دابته ورجع اصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه الى داره فدخل عليه الخليفة فتوجع له وسأله عن الاموال فقال اما الظاهر منها فابو الحسن بن ابي اسامة الكاتب يعرفه وكان

يفعلون في قضية مصادرة محمد باشا خسرو وعثمان [illegible] الشيخ المهدي اجتمع بكتخدا بك وادخل عليه وهما ان محمد باشا خسرو لما فعل ذلك لم يتم له امر وعزل ولم تطل ايامه ونحن نطلب دوامكم ودولتكم والاولى ترك هذا الامر فتركوا ذلك ولم يذكروه بعد

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٢) فيه قلد الباشا خليل افندي النظر على الروزنامجي وكتابه وهو كاتب الذمة اي ذمة الميري من الايراد والمصرف وكان ذلك عند فتح الطلب بالميري عن السنة الجديدة فلا يكتب تحويل ولا تنبيه ولا تذكرة حتى يطلع عليها ويكتب عليها علامته فتكدر من ذلك الروزنامجي وباقي الكتبة وهذا اول دسيسة ادخلوها في الروزنامه وابتداء تفتيشها او كشف سرها وذلك باغراء بعض الافندية الحاسدين انهوا اليهم ان الروزنامجي ومن معه من الكتاب يوفرون لانفسهم الكثير من الاموال الميرية ويتوسعون فيها وفي ذلك اجحاف بمال الخزينة وخليل افندي هذا كان كاتب الخزينة عند محمد باشا خسرو ولا يخلو من التشرب (وفيه) طلب الباشا ثلاثة اشخاص من كتبة الاقباط الذين كانوا متقيدين بقياس الاراضي بالمنوفية وضربهم وحبسهم لكونه بلغه عنهم انهم اختلسوا البراطيل والرشوات على قياس ما من اراضي بعض البلاد وقصروا من القياس فيما ارتوى من الطين وهي

من

دوزر السلطان سنجر وهو ابن أخي نظام الملك وكان يتفقه قديما على امام الحرمين الجويني فكان يفتي ويوقع ووزر بعده أبو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمي وتوفي بعد شهور فوزر بعده عثمان القمي وفيها في جمادى الأولى أوقع أتابك طغتكين بطائفة من الفرنج فقتل منهم وأسر وأرسل من الأسرى والغنيمة للسلطان والخليفة وفيها تضعضع الركن اليماني من البيت الحرام زاده الله شرفا من زلزلة وانهدم بعضه وتشعث بعض حرم النبي صلى الله عليه وسلم وتشعث غيره من البلاد وكان بالموصل كثير منها وفيها احترقت دار السلطان كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمد فرغت قبل وفاته بيسير فلما كان الآن احترقت وسبب الحريق أن جارية كانت تختضب ليلا فاستندت شمعة الى الخيش فاحترق وعلقت النار منه في الدار واحترق فيها من زوجة السلطان محمود ابنة السلطان سنجر ما لا حد عليه من الجواهر والحلي والفرش والثياب وأقيم الغالون يخلصون الذهب وما أمكن تخليصه وكان الجوهر جميعه قد هلك الا الياقوت الأحمر وترك السلطان الدار تحدد جماعتها وتطير منها لأنه لم يتمم بها ثم احترق فيها من أموالهم الشيء العظيم واحترق قبلها بأسبوع جامع أصبهان وهو من أعظم الجوامع وأحسنها أحرقه قوم من الباطنية ليلا وكان السلطان قد عزم على أخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق بإشارة الوزير السميرمي عليه بذلك فقصده من هذين الحريقين ما هاله واتعظ فأعرض عنه وفيها في ربيع الآخر انقض كوكب عشاء وصار له نور عظيم وتفرق منه أعمدة عند انقضاضه وسمع عند ذلك صوت هدة عظيمة كالزلزلة وفيها ظهر بمكة انسان علوي وأمر بالمعروف فكثر جمعه ونازع أمير مكة ابن أبي هاشم وقوي أمره وعزم على أن يخطب لنفسه فعاد ابن أبي هاشم وظفر به ونفاه عن الحجاز الى البحرين وكان هذا العلوي من فقهاء النظامية ببغداد وفيها ألزم السلطان أهل الذمة ببغداد بالغيار وجرى فيه مراجعات انتهت الى أن قرر عليهم للسلطان عشرون ألف دينار وللخليفة أربعة آلاف دينار وفيها حضر السلطان محمود وأخوه الملك مسعود عند الخليفة فخلع عليهما وعلى جماعة من أصحاب السلطان منهم وزيره أبو طالب السميرمي وشمس الملك عثمان بن نظام الملك والوزير أبو نصر أحمد بن محمد بن حامد المستوفي وعلى غيرهم من الأمراء وفيها في ذي القعدة وهو الحادي والعشرون من كانون الثاني سقط بالعراق جميعه من البصرة الى تكريت ثلج كثير وبقي على الأرض خمسة عشر يوما وسمكه ذراع وهلكت أشجار النارنج والأترج والليمون فقال فيه بعض الشعراء

يا صدور الزمان ليس بوفر ... ما رأيناه في نواحي العراق
إنما عم ظلمكم سائر الخلق ... فشابت ذوائب الآفاق

وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام فأهلكت كثيرا من الناس وغيرهم من الحيوانات وفيها توفي أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات

ترتيبا بقدرة الله تعالى بعض الجهات الجارية من المكوس والحمايات التي أحدثوها فان لم يستقصوا وكان ممن رافق جانبه حول الى بعض الجهات المذكورة بحوزة ولا أهمل أمره وبعضهم باعها لمسرعا انكسر عليه من مال الفرض وقد وقع ذلك لكثير من أصحاب الذمم المتعددة انكسر عليه مقادير عظيمة فنزل عن بعضها وخصم له ثمنها من المنكسر عليه من الفرضة وبقي عليه الباقي يطالبه فان حدثت فرضة أخرى قبل خلاص الباقي وقعد بها وضمت الى الباقي وقصرت يده لعجزه لاخيه واستدان بالربا من العسكر تضاعف الحال وتوجه عليه الطلب من الجهتين فيضطر الى خلاص نفسه ويبذل ما بقي تحت يده كالأول وقد يبقى عليه المكسر ويصبح فارغ اليدين الالتزام وهذا وقد وقع ذلك لكثير كانوا أغنياء ذوي ثروة وأصبحوا فقراء محتاجين من حيث لا يشعرون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (وفيه) تحركت همم الأمراء المصريين القبليين الى الحضور الى ناحية مصر بعد ترداد الرسل والمكاتبات وحضور ديوان أفندي ورجوعه وحضور محمد بك المنفوخ أيضا وكل من حضر منهم أنعم عليه الباشا وألبسه الخلع ويقدم له التقادم ويعطيه المقادير العظيمة من الأكياس وقصده الباطني صيدهم حتى انه كان أنعم على محمد بك المنفوخ بالتزام

ومنهم انسان من اهل حماة من بيت قرناص كان قد قدمه ايلغازى على اهل حلب وجعل اليه الرياسة فازاله بعد ذلك وقطع يديه ورجليه وكحل عينيه فمات واحضر ولده وهو مكوان فاراد قتله فضمه مرقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فارسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه الى ذلك واستناب بحلب سليمان ابن اخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

ذكر اقطاع ميافارقين لايلغازى

في هذه السنة اقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازى وسبب ذلك انه ارسل ولده حسام الدين تمرتاش وعمره حينئذ سبع عشرة سنة الى السلطان ليشفع في دبيس ابن صدقة ويبذل عنه الطاعة وحمل الاموال والخيل وغيرها وان يضمن الحلة كل يوم بالف دينار وفرس وكان المتحدث عنه القاضى بهاء الدين ابو الحسن على بن القاسم بن الشهرزورى فتردد الخطاب في ذلك ولم ينفصل حال فلما اراد العود اقطع السلطان اباه مدينة ميافارقين وكانت مع الامير سكمان صاحب خلاط فتسلمها ايلغازى وبقيت في يده ويد اولاده الى ان ملكها صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ثمانين وخمسمائة وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى

ذكر حصر بلك بن بهرام الرها واسر صاحبها

في هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد اخى ايلغازى الى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقى على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فاتاه انسان تركمانى واعلمه ان جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع من عنده من الفرنج وهو عازم على كبسه وكان قد تفرق عن بلك اصحابه وبقى في اربعمائة فارس فوقف مستعدا لقتالهم واقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج وصلوا الى ارض قد نضب عنها الماء فصارت وحلا فغاصت خيولهم فيه فلم تتمكن مع ثقل السلاح والفرسان من الاسراع والجرى فرماهم اصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم احد واسر جوسلين وجعل في جلد جمل وخيط عليه وطلب منه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل في فداء نفسه اموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يجبه الى ذلك وحمله الى قلعة خرتبرت فسجنه بها واسر معه ابن خالته واسمه كليام وكان من شياطين الكفار واسر ايضا جماعة من فرسانه المشهورين فحبسهم معه

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفيت جدة السلطان محمود لابيه وهى والدة السلطان سنجر وكانت تركية تعرف بخاتون السفرية وكان موتها بمرو وجلس محمود للعزاء ببغداد وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس وفيها توفى الخطير محمد بن الحسين الميبذى ببلاد فارس وهو في وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمد وكان قديما وزر للسلطانين بركيارق ومحمد وكان جوادا حليما سمع ان الابيوردى هجاه فلما حضر عنده قبض على ابهامه وصفح عنه وخلع عليه ووصله وفيها توفى الشهاب ابو المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله

ومع ورق الديوان لم يحصل ذلك المحصول بالخلاص فقلت كاشف الناحية وعين على الناحية الاعوان بالطلب الحثيث وما ينضاف الى ذلك من حق طرق المعينين وكلفهم وان تاخر الدفع تكرر الارسال والطلب على النسق المشروح فيتضاعف الهم وربما ضاع في ذلك قدر الاصل المطلوب وزيادة عنه مرة او مرتين والذى يقبضونه يحسبونه بالقرط وهو في كل ريال عشرة انصاف فضة يسمونها دوانى فيقبض المباشر من الريال تسعين نصفا فضة ويجعل التسعين ثمانين وذلك خلاف ما يقرره في اوراق الرسم من خدم المباشرين من كتبة القبط فينكشف حال الفلاح ويبيع ما عنده من الغلة والبهيمة ثم يفر من بلدته الى غيرها فيطلبه الملتزم ويبعث اليه المعينين من كاشف الناحية عن طريق ايضا فرعا بانواء الحال ان كان خفيف العيال والحركة الى الفرار والخروج من الاقليم بالكلية وقد وقع ذلك حتى امتلأت البلاد الشامية والرومية من فلاحى قرى مصر الذين جلوا عنها وتركوا اوطانهم وفروا عن اوطانهم من ظلم هول الجور واذا ضاق الحال بالملتزم وكتب له عرضحال يشكو حاله وحال بلده وحصته وضعف حال الملتزم والفلاحين وتجايلر وقدم عرضحاله الى الباشا يحاله على جماعات القبط ويخفف عن حصته اربعين او ستين

وزير

فانهزموا من غير قتال فانهزم بهزيمتهم الناس والبرسقي وقيل بل اعطى رقعة فيها ان جماعة من الامراء منهم اسمعيل البكجي يريدون الفتك به فانهزم وتبعه العسكر ودخل بغداد ثاني عشر ربيع الآخر وكان في جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذب الدولة احمد بن ابي الجبر وكان ناظرا بالبطيحة عن عسكر خادم السلطان لانها كانت من جملة اقطاعه وحضر ايضا المظفر بن حماد بن ابي الجبر وبينهما عداوة وتشديد فلما عند الانهزام بباب نهر ملك فقتل المظفر ومضى الى واسط فتغلب وسار منها الى البطيحة وتغلب عليها وكاتب دبيسا واما عسكر دبيس فانه لم يعرض لنهر ملك ولا غيره وارسل الى الخليفة انه على الطاعة ولولا ذلك لاخذ البرسقي وجميع من معه وسال ان يخرج الناظر الى القرى التي لخاص الخليفة ليقبض دخلها وكانت الوقعة في حزيران وهي الغلات فاجابه الخليفة فعله وترددت الرسل بينهما فاستقرت القاعدة ان يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين ابي علي بن صدقة ليعود الى الطاعة فقبض على الوزير ونهبت داره ودور اصحابه والمنتمين اليه وهرب ابن اخيه جلال الدين ابو الرضا الى الموصل ولما سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة اخي دبيس وولده ورفعهما الى قلعة برجين وهي تجاور كرج ثم ان دبيسا ارسل جماعة من اصحابه بالمسير الى اقطاعهم بواسط فساروا اليها فمنعهم اتراك واسط فجهز دبيس اليهم عسكرا مقدمهم مهلهل بن ابي العسكر وارسل الى المظفر بن ابي الجبر بالبطيحة ليتفق مع مهلهل ويساعده على قتال الواسطيين فاتفقا على ان تكون الوقعة تاسع رجب وارسل الواسطيون الى البرسقي يطلبون منه المدد فامدهم بجيش من عنده وعجل مهلهل في عسكر دبيس ولم ينتظر المظفر ظنا منه انه ينفرد بما ينال منهم ما اراده وينفرد بالفتح فالتقى هو والواسطيون ثامن رجب فانهزم مهلهل وعسكره وظفر الواسطيون واخذ مهلهل اسيرا وجماعة من اعيان العسكر وقتل ما يزيد على الف قتيل ولم يقتل من الواسطيين غير رجل واحد واما المظفر بن ابي الجبر فانه اصعد من البطيحة ونهب وافسد وجرى من اصحابه القبيح فلما قارب واسطا سمع بالهزيمة فعاد منحدرا وكان في جملة ما اخذ العسكر الواسطي من مهلهل تذكرة بخط دبيس يامره فيها بقبض المظفر بن ابي الجبر ومطالبته باموال كثيرة اخذها من البطيحة فارسلوا الخط الى المظفر وقالوا هذا الذي تختاره وقد اغضبت الله تعالى والخلق كلهم لاجله فمال اليهم ووافقهم ولما جرى على اصحاب دبيس من الواسطيين ما ذكرناه شمر عن ساعده في الشر وبلغه ان السلطان كحل اخاه فجز شعره ولبس السواد ونهب البلاد واخذ كل ما للخليفة بنهر الملك فجفل الناس الى بغداد وسار عسكر واسط الى النعمانية فاجلوا عنها عسكر دبيس واستولوا عليها وجرى بينهم هناك وقعة كان الظفر للواسطيين وتقدم الخليفة الى البرسقي بالتبريز الى حرب دبيس فبرز في رمضان وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل السميرمي)

وفي هذه السنة قتل الوزير الكمال ابو طالب السميرمي وزير السلطان محمود سلخ صفر

العمارة وشرعوا في البناء فعل وضع احسن من الاول وتوسعوا في ساحتها وادخلوا فيها اماكن مجاورة لها واتقنوا البناء اتقانا محكما وجعلوا اسوارها وحيطانها بالحجر النحيت ونقلوا اليها من رخام المسجد الاقصى فقام عند ذلك جماعة من الاشراف الينكجرية وشنعوا على الاغا المعين وعلى كبار البلدة وتعصبوا لحماية الدين قائلين ان الكنائس اذا خربت لا يجوز اعادتها الا بانقاضها ولا يجوز الاستعلاء بها ولا تشييدها ولا اخذ رخام الحرم القدسي ليوضع في الكنيسة وما انجر في ذلك فارسل ذلك الاغا المعين الى يوسف باشا يعرفه عن المعارضين لاوامر الدولة فارسل يوسف باشا اغاته من عسكره في عدة وافرة فوصلوا من طريق الغور وهو مسلك موصل الى القدس قريب المسافة خلاف الطريق المعتاد فدهموا الجماعة المعارضين على حين غفلة وحاصروهم في دير وقتلوهم عن آخرهم وهم نيف وثلاثون نفرا وشيدوا القمامة كما ارادوا واعظم مما كانت عليه قبل حرقها فقال المولى السلامة في الدين

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الخميس سنة ١٢٢٥) فيه وصلت الامراء المصريون القبالي الى ناحية بني سويف وكثير من الاجناد الى مصر وترددت الرسل وحضر ديوان افندي ثم رجع ثانيا اليهم (وفيه امر الباشا) الكتاب

المشهورة وهو اديب بن عوض الهروي وكان قد سمع الحديث كثيرا

(ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة)

(ذكر طاعة الملك طغرل لاخيه السلطان محمود)

وفي المحرم من هذه السنة اطاع الملك طغرل أخاه السلطان محمودا وكان قد خرج عن طاعته كما ذكرناه وقصد اذربيجان في السنة الخالية ليتغلب عليها وكان أتابكه كنتغدي يحسن له ذلك ويقويه عليه فاتفق أنه مرض وتوفي في شوال سنة خمس عشرة وكان الامير آقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة عند السلطان محمود ببغداد فاستأذنه في المضي الى اقطاعه فاذن له فلما سار عن السلطان ظن انه يقوم مقام كنتغدي من الملك طغرل فسار اليه واجتمع به واشار عليه بالمكاشفة لاخيه السلطان محمود وقال له اذا وصلت الى مراغة اتصل بك عشرة آلاف فارس وراجل فسار معه فلما وصلوا الى اردبيل اغلقت ابوابها دونهم فساروا عنها الى قريب تبريز فأتاهم الخبر ان السلطان محمودا سير الامير جيوش بك الى اذربيجان واقطعه البلاد وانه نزل مراغة في عسكر كثيف من عند السلطان فلما تيقنوا ذلك عدلوا الى خونج وانتقض عليهم ما كانوا فيه وراسلوا الامير شيركير الذي كان أتابك طغرل ايام ابيه يدعونه الى انجادهم وقد كان كنتغدي قبض عليه بعد موت السلطان محمد على ما ذكرناه ثم اطلقه السلطان سنجر فعاد الى اقطاعه أبهر وزنجان وكاتبوه فاجابهم واتصل بهم وسار معهم الى ابهر فلم يتم لهم ما ارادوا ثم راسلوا السلطان بالطاعة فاجابهم الى ذلك فاستقرت القاعدة اول هذه السنة

(ذكر حال دبيس بن صدقة وما كان منه)

قد ذكرنا سنة اربع عشرة حال دبيس بن صدقة ومصالحته على يد برنقش الزكوي ومقامه بالحلة وعود برنقش الى السلطان ومعه منصور بن صدقة اخو دبيس وولده رهينة فلما علم الخليفة بذلك لم يرض به وراسل السلطان محمودا في ابعاد دبيس عن العراق الى بعض النواحي وتردد الخطاب في ذلك وعزم السلطان على المسير الى همذان فاعاد الخليفة الشكوى من دبيس وذكر انه يطالب الناس بحقوده مما قتل ابيه وان يحضر السلطان آقسنقر البرسقي من الموصل ويوليه شحنكية بغداد والعراق ويجعله في وجه دبيس ففعل السلطان ذلك واحضر البرسقي فلما وصل اليه زوجه والدة الملك مسعود وجعله شحنة ببغداد وامره بقتال دبيس ان تعرض الى البلاد وسار السلطان عن بغداد في صفر من هذه السنة وكان مقامه ببغداد سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوما فلما فارق بغداد والعراق تظاهر دبيس بامور تأثر بها المسترشد بالله وتقدم الى البرسقي بالمسير اليه وازعاجه من الحلة فارسل البرسقي الى الموصل واحضر عساكره وسار الى الحلة واقبل دبيس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرقي الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقي وكان سبب الهزيمة انه رأى في ميمنته خللا وبها الامراء البكجية فامر بالقاء خيمته وان تنصب عند الميسرة ليقوى قلوب من بها فلما رأوا الخيمة وقد سقطت

ظنوها

جرك دوان ولاوخم ووقعت مغاثة كبير وغيره (وفيه) قلد الباشا ناظر المهمات لصالح بن مصطفى كتخدا الرزاز ونقلوا ورشة الحدادين ومنافخهم وعددهم من بيت محمد افندي طليل الودنلي المعروف بناظر المهمات الى بيت صالح المذكور بناحية التبانة وكذلك العربجية وصناع الجلل والمدافع وبرعواته ايضا معمل البارود وكان تحت نظره وكذلك واعية القصة وجزك الابان وغيره (وفيه وصلت) الاخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها بوقوع الزلازل في الوقت الذي حصلت فيه بمصر الا انها كانت اعظم واشد واطول مدة وحصل في بلاد كريت الزلازل كثيرة وهدمت اماكن ودورا كثيرة وهلك كثير من الناس تحت الردم وخسفت اماكن وتنكسر على ساحل ما اهله صنعة مراكب وحصل ايضا باللاذقية خسف وحكى الناقلون ان الارض انشقت في جهة من اللاذقية فظهر في اسفلها ابنية انخسفت بها الارض قبل ذلك ثم انطبقت ثانيا (وفيه من الحوادث) ما وقع ببيت المقدس وهو انه لما احترقت القمامة الكبرى كما تقدم ذكر حرقها في العام الماضي عرضوا الى الدولة فبرز الامر السلطاني باعادة بنائها وعين مولانا السلطان يحيى والى بيده موسوم شريف بحضر الى القدس وحصل الاجتهاد في تشهيل مهمات

من معصمه فأطلق يونس ذلك السوادي والمال الذي أخذ منه حتى أطلق الوزير أصحابه ونقل الحيلة التي تمت عليه ولما صار الوزير من عند يونس لقي السوادي فأنكره فأخذه فرأى معه كتابا من دبيس إلى يونس يبذل له ستة آلاف دينار ليقتل الوزير فكان خلاصه من أعجب الأشياء

(ذكر قتل جيوش بك)

في هذه السنة قتل الأمير جيوش بك الذي كان صاحب الموصل وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود وعوده إلى خدمته فلما رضي عنه أقطعه أذربيجان وجعله مقدم عسكره فجرى بينه وبين جماعة من الأمراء منافرة ومنازعات فأغروا به السلطان فقتله في رمضان على باب تبريز وكان تركيا من مماليك السلطان محمد عادلا حسن السيرة ولما ولي الموصل والجزيرة كان الأكراد بتلك الأعمال قد انتشروا وأكثروا فسادهم وكثرت قلاعهم والناس معهم في ضيق والطرق بين خائفة فقصدهم وحصر قلاعهم وفتح كثيرا منها بلد الهكارية وبلد الزوزان وبلد البشنوية وخافه الأكراد وتولى قصدهم بنفسه فهربوا منه في الجبال والشعاب والمضايق وأمنت الطرق وانتشر الناس واطمأنوا وبقي الأكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته

(ذكر وفاة إيلغازي وأحوال حلب بعده)

في هذه السنة في شهر رمضان توفي إيلغازي بن أرتق بميافارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميافارقين وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق فبقي بها إلى أن أخذها ابن عمه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أقطع السلطان محمود الأمير آقسنقر البرسقي مدينة واسط وأعمالها مضافا إلى ولاية الموصل وغيرها مما بيده وشحنكية العراق فلما أقطعها البرسقي سير إليها عماد الدين زنكي بن آقسنقر الذي ملك والده حلب وأمره بحمايتها فسار إليها في شعبان ووليها وقد ذكرنا أخبار زنكي في كتاب الباهر في ذكر ملكه وملك أولاده الذين هم ملوكنا الآن فينظر منه وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريبا من قلعة ذي القرنين وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يعهد مثلها فدخل الماء إلى ربض قلعة جعبر وكان الفرات حينئذ بالقرب منها فغرق أكثر دوره ومساكنه وهو محل قريب من الربض والقلعة من فوق السور إلى الفرات وفيها بنيت مدرسة بحلب لأصحاب الشافعي وفيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوجة السلطان محمود وفيها في شعبان قدم إلى بغداد البرهان أبو الحسن علي بن الحسين الغزنوي وعقد مجلس الوعظ في جميع المواضع وورد بعده أبو القاسم علي بن يعلى العلوي ونزل برباط شيخ الشيوخ فوعظ في جامع القصر والتاجية ورباط [illegible] وصار له قبول عند الحنابلة وحصل له مال كثير لأنه أظهر موافقتهم وورد بعده أبو الفتوح الاسفرايني ونزل برباط شيخ الشيوخ

الألفي فترجيا عند الباشا وأخبراه بأن المذكور مريض بالسرطان في رجله ولا يقدر على حركتها ولسابقة السيد المحروقي بأن يأخذه إلى داره فإن داره باب من أبوابه فأجابه إلى ذلك وركب في الحال ولحق بالمعينين وكانوا قد وصلوا إليه وأزعجوه فمنعهم عنه وأخذه إلى داره وراجع الباشا في أمره فقرره على ثمانين كيسا بعد أن قال إني كنت أريد أن أقول ثلثمائة كيس فسبق لساني فقلت مائة كيس وقد تجاوزت لأجلك عن عشرين كيسا وهو يقدر على أكثر من ذلك لأنه يفعل كذا وكذا وعدد أشياء تدل على أنه في نعمة كبيرة ومنها أنه لما سافر إلى الباشا بعد أمر الفرضة إلى ناحية أسيوط طلع إلى البلدة في هيئة وصحبته فرش ومواعين وبشخانات وكرارات وفراشون وخدم وكيلارجيته وصاحبيه والحكيم والمزين فلما شاهد الباشا هيئته سأل عنه وعن منصبه فقيل له إنه حاجب من كتبة الروزنامه فقال إذا كان حاجب تبع تلميذ فكيف يكون باش جاويش أو قلفاوات الأقاليم فضلا عن كبيرهم الروزنامجي وأي شيء ذلك وأمر فلان في

نفسه وطفق يسأل ويتجسس عن أحوالهم لأنه من طبعه الحقد والحسد والتطلع لما في

وكان قد برز مع السلطان ليسير الى همذان فدخل الحمام وخرج بين يديه الرجالة والخيالة وهو في موكب عظيم فاجتاز بسوق المدرسة التي بناها خمارتكين التتشي واجتاز في منفذ ضيق فيه حظائر الشوك فتقدم اصحابه لضيق الموضع فوثب عليه باطني وضربه بسكين فوقعت في البغلة وهرب الى دجلة وتبعه الغلمان فخلا الموضع فظهر رجل آخر فضربه بسكين في خاصرته وجذبه عن البغلة الى الارض وضربه عدة ضربات وعاد اصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان من الباطنية فانهزموا منهما ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاة فحمل قتيلا وبه نيف وثلاثون جراحة وقتل قاتلوه ولما كان في الحمام كان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيد وان تأخرت يفوت طالع السعد فأسرع وركب واراد ان يأكل طعاما فمنعوه لاجل الطالع فقتل ولم ينفعه قولهم وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة اشهر وانتهب ماله واخذ السلطان خزانته ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك وكانت زوجة السميرمي قد خرجت هذا اليوم في موكب كبير معها نحو مائة جارية وجمع من الخدم والجميع بمراكب الذهب فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات وقد تبدلن بالعز هوانا وبالمسرة احزانا فسبحان من لا يزول ملكه وكان السميرمي ظالما كثير المصادرة للناس سيء السيرة فلما قتل اطلق السلطان ما كان جدده من المكوس وما وضعه على التجار والباعة

﴿ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة علي بن طراد﴾

في جمادى الاولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة وقد تقدم ذكره قبل واقيم نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي في نيابة الوزارة فارسل السلطان الى المسترشد بالله في معنى وزارة نظام الملك ابي نصر احمد بن نظام الملك وكان اخا شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود فاجيب الى ذلك واستوزر في شعبان وكان قد وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ثم عزل واقام ببغداد الى الآن فلما خلع على نظام الملك وجلس في الديوان طلب ان يخرج ابن صدقة من بغداد فلما علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة ان يسير الى حديثة عانة ليكون عند الامير سليمان ابن مهارش فاجيب الى ما طلب وسار الى الحديثة فخرج عليه في الطريق انسان من مفسدي التركمان يقال له يونس الحرامي فأسره ونهب اصحابه فخاف الوزير ان يسلم الى دبيس فارسل الى يونس وبذل له مالا ليأخذه منه للعداوة التي بينهما فتقرر الامر مع يونس على الف دينار يحصل منها ثلاثمائة ويؤخر الباقي الى ان يرسله من الحديثة وارسل عامل بلد الفرات في تخليصه وانفاذ من يضمن الباقي الذي عليه فعمل العامل الحيلة في ذلك فاحضر انسانا فلاحا والبسه ثيابا فاخرة وطيلسانا واركبه وسير معه غلمانا وامره ان يمضي الى يونس ويدعي انه قاضي بلد الفرات ويضمن الوزير منه ما بقي من المال فسار السوادي الى يونس فلما حضر عنده الوزير ويونس احترماه وضمن السوادي الوزير منه وقال له اقيم عندك الى ان يصل المال مع صاحب لي انفذه مع الوزير فاعتقد يونس صدق ذلك واطلق الوزير ومعه جماعة من اصحابه فلما وصل الحديثة قبض على

بعمل حساب حسن افندى الروزنامجى عن السنين الماضية وهي سنة ثلاث وعشرين واربع وعشرين وذلك باغراء البعض منهم فلم يظهر في عمل الحساب الا ما قرره لحسن افندى مائة وثمانون كيسا فلم يعجب الباشا ذلك واستخونهم في عمل الحساب ثم الزمه بدفع اربعمائة كيس وقال انا كنت اريد منه ستمائة كيس وقد سامحته في مائتين في نظير الذي تأخر له وطلع في صبحها الى الباشا وخلع عليه فروة باستقراره في منصبه ونزل الى داره فلما كان بعد الغروب حضر اليه جماعة من العسكر في هيئة مزعجة ومعهم مشاعل وطلبوا الدفاتر وهم يقولون معزول معزول واخذوا الدفاتر وذهبوا وحولوا عليه الحوالات بطلب الاربعمائة كيس فاجتهد في تحصيلها ودفعها ثم ردوا له الدفاتر ثانيا (وفيه) حصلت كائنة احمد افندى المعروف باليتيم من كتاب الروزنامه وذلك ان الباشا كان يبعث الازبكية فوصل اليه مكتوب من كاشف اقليم الدقهلية يعرفه فيه انه قاس قطعة ارض جارية في اقطاع احمد افندى المذكور فوجد مساحتها اختلاف القيد في القياس الاول وسقوط منها نحو الخمسمائة فدان وذلك من فعل المذكور وتشاوره مع النصارى الكتبة والمساحين لانهم يداهنونه ويدلسون معه لانه دفتر الروزنامه بيده فلما قرأ المكتوب امر

وجددوا آلاف كثيرا من البضائع التجار وحكوا أنه هدم عدة مخاصة دار وكان ذلك في شهر صفر (وفيه)

أصحابه بنهب بغداد وسبي النساء فلما تراءت الفئتان بادر أصحاب دبيس وبين أيديهم
الإماء يضربن بالدفوف والمخانيث بالملاهي ولم ير في عسكر الخليفة غير قارئ ومسبح
وداع فقامت الحرب على ساق وكان مع أعلام الخليفة الأمير كزباوي بن خراسان وفي
الساقة سليمان بن مهارش وفي ميمنة عسكر البرسقي الأمير أبو بكر بن الياس مع الأمراء
البكجية فحمل عنتر بن أبي العسكر في طائفة من عسكر دبيس على ميمنة البرسقي
فتراجعت على أعقابها وقتل ابن أخ للأمير أبي بكر البكجي وعاد عنتر وحمل حملة ثانية
على هذه الميمنة فكان حالها في الرجوع على أعقابها كالحملة الأولى فلما رأى عسكر
واسط ذلك وتقدمهم الشهيد عماد الدين زنكي بن آقسنقر حملوا وهم معه على عنتر
ومن معه وأتوهم من ظهورهم فبقي عنتر في الوسط وعماد الدين وعسكر واسط من
ورائه والأمراء البكجية بين يديه فأسر عنتر وأسر معه بريك بن زائدة وجميع من معهما
ولم يفلت أحد وكان البرسقي واقفا على نشز من الأرض وكان الأمير آق بوري في الكمين
في خمسمائة فارس فلما اختلط الناس خرج الكمين على عسكر دبيس فانهزموا
جميعهم وألقوا نفوسهم في الماء فغرق كثير منهم وقتل كثير ولما رأى الخليفة اشتداد
الحرب جرد سيفه وكبر وتقدم إلى الحرب فلما انهزم عسكر دبيس وحملت الأسرى إلى
بين يديه أمر الخليفة أن تضرب أعناقهم صبرا وكان عسكر دبيس عشرة آلاف فارس
واثني عشر ألف راجل وعسكر البرسقي ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ولم
يقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارسا ووصل نساء دبيس وسراريه تحت الأسر
سوى بنت ايلغازي وبنت عميد الدولة بن جهير فإنه كان تركهما في المشهد وعاد
الخليفة إلى بغداد فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة ولما عاد الخليفة إلى بغداد ثار
العامة بها ونهبوا مشهد باب التبن وقلعوا أبوابه فأنكر الخليفة ذلك وأمر نظرا أمير
الحاج بالركوب إلى المشهد وتأديب من فعل ذلك وأخذ ما نهب ففعل وأعاد البعض
وخفي الباقي عليه وأما دبيس بن صدقة فإنه لما انهزم نجا بفرسه وسلاحه وأدركته
الخيل فعبر الفرات فرأته امرأة عجوز وقد عبر فقالت له دبير جئت فقال دبير من لم
يجئ واختفى خبره بعد ذلك وأرجف عليه بالقتل ثم ظهر أمره أنه قصد غزية من عرب
نجد فطلب منهم أن يحالفوه فامتنعوا عليه وقالوا إنا نسخط الخليفة والسلطان فرحل
إلى المنتفق واتفق معهم على قصد البصرة وأخذها فساروا إليها ودخلوها ونهبوا أهلها
وقتل الأمير سخت كمان مقدم عسكرها وأجلى أهلها فأرسل الخليفة إلى البرسقي يعاتبه
على إهماله أمر دبيس حتى تم له من أمر البصرة ما أخرب به فتجهز البرسقي للانحدار إليه
فسمع دبيس ذلك ففارق البصرة وسار على البر إلى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر
معهم حصار حلب وأطمعهم في أخذها فلم يظفروا بها فعادوا عنها ثم فارقهم والتحق
بالملك طغرل ابن السلطان محمد فأقام معه وحسن له قصد العراق وسنذكره سنة تسع
وعشرين إن شاء الله تعالى

وصل الأمراء المصريون إلى
ناحية الرزق وأوائلهم وصلوا
إلى دمنهور وخرج إليهم
الأتباع بالملاقاة من بيوتهم
وأحبابهم وذهب إليهم مصطفى
أغا الوكيل وعلي كاشف
الصابونجي وديوان أفندي
ثم الباشا ثم في أثرهم طوسون
ابن الباشا وقدم له إبراهيم بك
تقادم وأقام بوطاقه أياما ثم
رجعوا وكثر ترداد المراسلات
والاختلافات في أمر الشروط
(وفي خامسه) حضر عثمان
بك يوسف وصحبته صنجق
آخر فطلعا إلى القلعة وقابلا
الباشا ثم رجعا وحضرا في ثاني
يوم كذلك فخلع عليهما خلعا
وأعطاهما أكياسا وأرسل
إلى إبراهيم بك هدايا وإلى
سليم بك المحرمجي المرادي
أيضا (وفي يوم الثلاثاء حادي
عشره) وصل الحجيج إلى
الجيزة ونصبوا وطاقهم خارج
الجيزة وصحبتهم عربان وهوارة
كثيرة وانتظروا أن الباشا
يضرب لحضورهم مدافع فلم
يفعل وقال إبراهيم بك سبحان
الله هذا الاحتقار إلى كم أكن
أمير مصر نحوا من أربعين سنة
وقلدت قائمقامية ولايتها
ووزارتها مرارا وباشتها صار من
أتباعي وأعطيته خرجه من
كيلاري ثم أحضر أنا وباقي
الأمراء على صورة الصلح فلا يضرب لنا مدافع كما يفعل لحضور بعض الأقزعيين ونحو ذلك والحجيج في التلبس

ايدى الناس ولما تقلد خليل افندى كتابة ولى النعمة فى الروزنامه كما تقدم انضم اليه المكارهون للمذكور الذين كانوا خاملى الذكر بوجوده وتوصلوا الى باب الباشا وكتخدا بك وانهوا اليه انه يتصرف فى الاموال الميرية كيف يختار وان حسن افندى الروزنامجى لا يخرج عن مراده واشاراته وبيته مفتوح للضيفان ويجتمع عنده فى كل ليلة عدة من القراء ينزدهم الثريد فى القصاع ويواسى الكثير من اهل العلم وغيرهم ويتعهد بكثير من الملتزمين بالقرض التى تقرر على حصصهم ويشهد فى حسابه ويصبر عليهم حتى يوفوها له فى طول الزمن ونحو ذلك وكل ماذكر دليل على سعة الحال والمقدرة واما الذنب الذى اخذ به فان القدر المذكور من الطين كان من الموات فاتفق المذكور مع شركائه ملتزمى الناحية فعمروه واحيوه واصلحوه بعد ان كان خرابا ومواتا لا ينتفع به وجعلوه صالحا للزراعة وظن ان ذلك لا يدخل فى المساحة فاسقطه منها فوقع له ما وقع واسقطوا اسمه من كتاب الروزنامه ومحوه منها وانقطع فى داره وزاد به ألم رجله (وفيه انحرف) ايضا الباشا على الخواجا محمود حسن وعزله من الجمارك والبزرجانية والزم عليه المطلوب له وهو مبلغ الفان وخمسون كيسا

٥(واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٢٥)٥

فيه وصلت الاخبار من البلاد الحجازية بنزول سيل عظيم حصل منه ضرر كثير وهدم دورا كثيرة بمكة

ايضا ووعظ فى هذه المواضع وفى النظامية واظهر مذهب الاشعرى فصار له قبول كثير عند الشافعية وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله وسلم اليه رباط الارجوانية والدة المقتدى بالله بدرب زاخى وفيها توفى عبد الله بن احمد بن عمر ابو محمد السمرقندى اخو ابى القاسم بن السمرقندى ومولده بدمشق سنة اربع واربعين واربعمائة ونشأ ببغداد وسمع الصريفينى وابن النقور وغيرهما وسافر الكثير وكان حافظا للحديث عالما به وفى ذى الحجة توفى عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف ابو طالب ومولده سنة ست وثلاثين واربعمائة وسمع البرمكى والجوهرى والعشارى وكان ثقة حافظا للحديث

٥(ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة)

٥(ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس)٥

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس بن صدقة وكان سبب ذلك ان دبيسا اطلق عفيفا خادم الخليفة وكان ماسورا عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة بارسال البرسقى الى قتاله وتقويته بالمال وان السلطان قد اطاعه وبالغ فى الوعيد ولبس السواد وجز شعره وحلف لينهبن بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة من هذه الرسالة وغضب وتقدم الى البرسقى بالتبرز الى حرب دبيس فبرز فى رمضان سنة ست عشرة وتجهز الخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فاتاه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة فى عقيل واتاه قرواش بن مسلم وغيرهما وارسل دبيس الى نهر ملك فنهب وعمل اصحابه كل عظيم من الفساد فوصل اهله الى بغداد فامر الخليفة فنودى ببغداد ولا يتخلف من الاجناد احد ومن احب الجندية من العامة فليحضر فجاء خلق كثير ففرق فيهم الاموال والسلاح فلما علم دبيس الحال كتب الى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضا عنه فلم يجب الى ذلك واخرجت خيام الخليفة فى العشرين من ذى الحجة من سنة ست عشرة فنادى اهل بغداد النفير النفير الغزاة الغزاة وكثر الضجيج من الناس وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة وبرز الخليفة رابع عشرى ذى الحجة وعبر دجلة وعليه قباء اسود وعمامة سوداء وطرحة وعلى كتفه البردة وفى يده القضيب وفى وسطه منطقة حديد صينى ونزل الخيام ومعه وزيره نظام الدين احمد بن نظام الملك ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء على بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل وغيرهم من الاعيان وكان البرسقى قد نزل بقرية جهارطاق ومعه عسكره فلما بلغهم خروج الخليفة عن بغداد عادوا الى خدمته فلما راوا الشمسة ترجلوا باجمعهم وقبلوا الارض بالبعد منه ودخلت هذه السنة فنزل الخليفة منزل الحرم بالحديثة بنهر الملك واستدعى البرسقى والامراء واستحلفهم على المناصحة فى الحرب ثم ساروا الى النيل ونزلوا بالمباركة وعبى البرسقى اصحابه ووقف الخليفة من وراء الجميع فى خاصته وجعل دبيس اصحابه صفا واحدا ميمنة وميسرة وقلبا وجعل الرجالة بين يدى الخيالة بالسلاح وكان قد وعد

الديماس وجنود المسلمين تحفظهم فلما كان بعد ايام اشتد القتال على الحصن الداخل فلما كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارتجت لها الارض وكبروا فوقع الرعب في قلوب الفرنج فلم يشكوا ان المسلمين يهجمون عليهم فبادروا الى شوانيهم وقتلوا بايديهم كثيرا من خيولهم وغنم المسلمون منها زهاء اربعمائة فرس ولم يسلم معهم غير فرس واحد وغنم المسلمون جميع ما تخلف عن الفرنج وقتلوا كل من عجز عن الطلوع الى المراكب فلما صعد الفرنج الى مراكبهم اقاموا بها ثمانية ايام لا يقدرون على النزول الى الارض فلما ايسوا من خلاص اصحابهم الذين في الديماس ساروا والمسلمون يكبرون عليهم ويصيحون بهم واقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس في امم لا يحصون كثرة فحصروه ولازموا قتالهم فضعفت قوتهم فلما عدم الماء على من به من الفرنج وضجروا من مواصلة القتال ليلا ونهارا فتحوا باب الحصن وخرجوا فقتلوا عن آخرهم وذلك يوم الاربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة اقامتهم في الحصن ستة عشر يوما ولما سار الفرنج مقهورين ارسل الامير الحسن البشرى الى سائر البلاد وقال الشعراء في هذه الحادثة فاكثروا وتركنا ذلك خوف التطويل

(ذكر استيلاء الفرنج على خرتبرت واخذها منهم)

في هذه السنة في ربيع الاول استولى الفرنج على خرتبرت من ديار بكر وسبب ذلك ان بلك بن بهرام بن ارتق كان صاحب خرتبرت فحصر قلعة كركر وهي تقارب خرتبرت فسمع الفرنج بالشام الخبر فساروا يقصدون ملك الفرنج في جموعه اليه ليرحل عنها خوفا ان يقوى عليه بملكها فلما سمع بلك بقربهم منه رحل اليهم والتقيا في صفر واقتتلوا فانهزم الفرنج واسر ملكهم ومعه جماعة من اعيان فرسانهم وسجنهم بقلعة خرتبرت وكان بالقلعة ايضا جوسلين صاحب الرها وغيره من مقدمي الفرنج كان قد اسرهم سنة خمس عشرة وسار بلك عن خرتبرت الى حران في ربيع الاول فملكها فاحتال الفرنج وتحيلوا باستمالة بعض الجند فظهروا وملكوا القلعة فاما الملك بغدوين فانه اتخذ الليل جملا ومضى الى بلاده واتصل الخبر ببلك فعاد في عساكره اليها وحصرها وضيق على من بالقلعة واستعادها من الفرنج وجعل فيها من الجند من يحفظها وعاد عنها

(ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة الى وزارة الخليفة)

في هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك وقتله وسبب ذلك انه لما اشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج وخالفه وكانت الخيرة في مخالفته تغير عليه وذكره اعداؤه عنده بسوء ونبهوا على تهوره وقلة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة فقد راى السلطان فيه ثم ان الشهاب ابا المحاسن وزير السلطان سنجر كان قد توفي وهو ابن اخي نظام الملك ووزر بعده ابو طاهر القمي وهو من عدو البيت النظامي فسعى مع السلطان سنجر حتى ارسل الى السلطان محمود يامره بالقبض على وزيره شمس الملك فصادف وصول الرسول وهو متغير عليه فقبض عليه وسلمه الى طغايرك فبعثه

الى الجيزة واجتماعكم وقد حصل فقال له ابراهيم بك وما هي الشروط قال هي ان تدخلوا تحت حكمه وطاعته وهو يوليكم المناصب التي تريدونها بشرط ان تقوموا بدفع الفرض التي يقررها على النواحي والغلال الميرية والخراج وتعيين من يريده منكم بصحبة العساكر الموجهة الى البلاد الحجازية لفتح الحرمين وتكونوا معه امراء مطيعين وهو يعطيكم الامريات والاقطاعات الجزيلة ويعمر لكم ما تريدونه من الدور والقصور التي لكم ولاتباعكم على طرفه لا يكلفكم بشئ من الاشياء وقد رايتم وسمعتم ما فعله من الاكرام والانعام على شاهين بك وما اعطاه من المال والخيول والجواري الحسان وشفاعاته عنده لا ترد واطلق له التصرف في البر الغربي من رشيد الى الفيوم الى بني سويف والبهنسا وجعلها تحت حكمه وراعى جانبه الى الغاية فقال له ابراهيم بك نعم انه فعل مع شاهين بك ما لا تفعله الملوك فضلا عن الوزراء وليس ذلك لسابق معروف فعله شاهين بك معه ليستحق به ذلك بل هو لغرض سره يكمنه في نفسه وشبكة يصطاد بها غيره فانا اختبرنا احواله وخياناته وشاهدنا ذلك في كثير ممن خدموه ونصحوا معه حتى ملكوه هذه المملكة قال ومن هم قال اولهم محمد باشا خسرو ثم كتخداه وخازنداره عثمان اغا جنج الذي خامر معه ... مع اخيه المرحوم

ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب

في هذه السنة في صفر ملك الفرنج حصن الاثارب من اعمال حلب وسبب ذلك انهم كانوا قد اكثروا قصد حلب واعمالها بالاغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوة وخافهم فهادنهم على ان يسلم اليهم الاثارب ويكفوا عن بلاده فاجابوه الى ذلك وتسلموا الحصن وتمت الهدنة بينهم واستقام امر الرعية باعمال حلب وجلبت اليهم الاقوات وغيرها ولم تزل الاثارب بايدي الفرنج الى ان ملكها اتابك زنكي بن آقسنقر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر ملك بلك حران وحلب

في هذه السنة في ربيع الاول ملك بلك بن بهرام مدينة حران وكان حصرها فلما ملكها سار منها الى مدينة حلب وسبب مسيره اليها انه بلغه ان صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الاثارب الى الفرنج فعظم ذلك عليه وعلم عجزه عن حفظ بلاده فقوي طمعه في ملكها فسار اليها ونازلها في ربيع الاول وضايقها ومنع الميرة عنها واحرق زروعها فسلم اليه ابن عمه البلد والقلعة بالامان غرة جمادى الاولى من السنة وتزوج ابنة الملك رضوان وبقي مالكا لها الى ان قتل على ما نذكره

ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بافريقية

قد ذكرنا ان الامير علي بن يحيى صاحب افريقية تحصن لما استوحش من رجار صاحب صقلية وعمر الاسطول الذي له وكثر عدده وعدده وكاتب امير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين بمراكش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقلية فلما علم رجار ذلك كف عن بعض ما كان يفعله فاتفق ان عليا مات سنة خمس عشرة وولي ابنه الحسن وقد ذكرناه فلما دخلت سنة ست سير امير المسلمين اسطولا فقصدوا نقوطرة بساحل بلاد قلورية فلم يشك رجار ان عليا كان سبب ذلك فحقق تسيير الشواني والمراكب وحشد فاكثر ومنع من السفر الى افريقية وغيرها من بلاد الغرب فاجتمع له من ذلك ما لم يعهد مثله قيل كان ثلثمائة قطعة ولما انقطعت الطريق عن افريقية توقع الامير الحسن بن علي خروج العدو الى المهدية فامر باتخاذ العدد وتجديد الاسوار وجمع المقاتلة فاتاه من اهل البلاد ومن العرب جمع كثير فلما كان في جمادى الاولى سنة سبع عشرة وخمسمائة خرج الاسطول الفرنجي في ثلثمائة قطعة فيها الف فرس وفرس واحد الا انهم لما ساروا من مرسى علي فرقتهم الريح وغرق منهم مراكب كثيرة ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحوها وقتلوا من بها وسبوا وغنموا وساروا منها فوصلوا الى افريقية ونازلوا الحصن المعروف بالديماس اواخر جمادى الاولى فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك والديماس حصن منيع في وسطه حصن آخر وهو مشرف على البحر وسير الحسن من عنده من الجموع الى الفرنج واقام هو بالمهدية في جمع آخر يحفظها واخذ الفرنج حصن

تعهد بذا الباشا من التعقل السلام على ابراهيم بك فلم يثبت وظهر انه لم يفعل واصبح مبكرا الى شبرا وجلس في قصره وحضر اليه شاهين بك الالفي في مغيبة ووقع بينهما مكالمات ورجع من عنده عائدا الى الجيزة منفعل الخاطر ثم ان الباشا اعرض عما ذكره فاجتمع اليه الجميع وبطل اللغط وكثرت القلقلة وعند ما وصل شاهين بك الى الجيزة ازعج حريمه واركبهن وارسلهن الى الفيوم ونقل متاعه وفرشه من قصر الجيزة في بقية اليوم وكسر المرايات وزجاج الشبابيك التي في مجالسه الخاصة ثم ركب في طوائفه واتباعه وخشداشينه ومماليكه وذهب الى عرضي اخوانه وقبيلته ونصب خيامه ووطاقه بحذائهم واجتمع بهم وتصافق معهم وقد كان حضر اليه عبد الرحمن بك تابع عثمان بك المرادي المعروف بالطنبرجي وحول دماغه واتفق معه على الانضمام اليهم والخروج عن الباشا ففعل ما فعل وجعلوه رئيس الامراء المرادية (وفي ذلك اليوم) عدى حسن باشا وصالح اغا قوج الى بر الجيزة وذهبا الى عرضي الامراء وسلما عليهم وتغديا عند شاهين بك وجرى بينهما وبين ابراهيم بك كلام كثير وقال لهم حسن باشا انكم وصلتم الى هنا لتمام الصلح على الشروط التي حصلت بينكم وبين الباشا والاتفاق الذي جرى باسيوط ويكون تمامه عند وصولكم

الخليفة نقابة العلويين الى على بن طراد نقيب العباسيين وفيها جمع الامير بلك
عساكره وسار الى غزاة بالشام فلقيه الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم واسر
بشر كثير من مقدميهم ورجالتهم وفيها كان فى اكثر البلاد غلاء شديد وكان اكثره
بالعراق فبلغ ثمن الكارة الدقيق الخشكار ستة دنانير وعشرة قراريط وتبع ذلك
موت كثير وامراض زائدة هلك فيها كثير من الناس وفيها فى صفر توفى قاسم بن ابى
هاشم العلوى الحسنى امير مكة وولى بعده ابنه ابو فليتة وكان اعدل منه واحسن سيرة
فاسقط المكوس واحسن الى الناس وفيها توفى عبد الله بن الحسن بن احمد بن الحسن
ابو نعيم بن ابى على الحداد الاصبهانى ومولده سنة ثلاث وستين واربعمائة وهو من
اعيان المحدثين سافر الكثير فى طلب الحديث وفيها سار طغتكين صاحب دمشق
الى حمص فهجم المدينة ونهبها واحرق كثيرا منها وحصرها وصاحبها قرجان بالقلعة
فاستنجد صاحبها طغان ارسلان فسار اليه فى جمع كثير فعاد طغتكين الى دمشق وفيها
لقى اسطول مصر اسطول البنادقة من الفرنج فاقتتلوا وكان الظفر للبنادقة واخذ من
اسطول مصر عدة قطع وعاد الباقى سالما وفيها سار الامير محمود بن قراجة صاحب حماة
الى حصن الخامية فهجم على الربض بغتة فاصابه سهم من القلعة فى يده فاشتد المه فعاد
الى حماة وقلع الزج من يده ثم عملت عليه فمات منه واستراح اهل عمله من ظلمه وجوره
فلما سمع طغتكين صاحب دمشق الخبر سير الى حماة عسكرا فملكها وصارت فى جملة
بلاده ورتب فيها واليا وعسكرا يحميها

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة)

(ذكر قتل بلك بن بهرام بن ارتق وملك تمرتاش حلب)

فى هذه السنة فى صفر قبض بلك بن بهرام بن ارتق صاحب حلب على الامير حسان
البعلبكى صاحب منبج وسار اليها فحصرها فملك المدينة وحصر القلعة فامتنعت عليه
فسار الفرنج اليه ليرحلوه عنها لئلا يقوى باخذها فلما قاربوه ترك على القلعة من
يحصرها وسار فى باقى عسكره الى الفرنج فلقيهم وقاتلهم فكسرهم وقتل منهم خلقا
كثيرا وعاد الى منبج فحصرها فبينما هو يقاتل من بها اتاه سهم فقتله لا يدرى من رماه
واضطرب عسكره وتفرقوا وخلص حسان من الحبس فكان حسام الدين تمرتاش بن
ايلغازى بن ارتق مع ابن عمه بلك فحمله مقتولا الى ظاهر حلب وتسلمها فى العشرين
من ربيع الاول من هذه السنة وزال الحصار عن قلعة منبج وعاد اليها صاحبها حسان
واستقر تمرتاش بحلب واستولى عليها ثم انه جعل فيها نائبا له يثق اليه ورتب عنده
ما يحتاج اليه من جند وغيرهم وعاد الى ماردين لانه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج
وكان رجلا يحب الدعة والرفاهية فلما عاد الى ماردين اخذت حلب منه على ما نذكره
ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام)

اواقل او اكثر مما بين مقدمى الوف وامراء وكشاف واكابر وجاقات ومماليك واجناد ومتوالف وخدم واتباع
رفهى المعاش بانواع الالذ
كل امير مختص ومعتكف
باقطاعه مع كثرة مصارفنا
وانعاماتنا على اتباعنا ومن
ينتسب الينا واعطية الجميع
معدودة فى الاوقات المعهودة
ولا نعرف عسكرا ولا علوفة
عسكر والقرى والبلاد
مطمئنة والفلاحون ومشايخ
البلاد مرتاحون فى اوطانهم
ومضايفهم مفتوحة
للواردين والضيفان مع
ما كان يلزم عليها من المصارف
الميرية ومرتبات الفقراء
وخزينة السلطان وصرة
الحرمين والحجاج وعوائد
العربان وكلف الوزراء
المتولين والاغوات والقابجية
المعينين وخدمهم والهدايا
السلطانية وغير ذلك واقتدينا
بما كفاه ايراد الاقليم وما
احدثه من الجمارك والمكوس
وما قرره على القرى والبلدان
من فرض المال والغلال
والجمال والخيول والتعدى
على الملتزمين ومقاسمتهم فى
فائظهم ومعاشهم وذلك
خلاف مصادرات الناس
والتجار فى مصر وقراها
والدعاوى والشكاوى والتزايد
فى الجمارك وما احدثه
فى القرش وغلاه من ضرب
القروش النحاس واستغراقها
اموال الناس بحيث صار
ايراد كل قلم من اقلام المكوس بايراد اقليم من الاقاليم ويعلى علينا انما نعيش بضنك وصار الناس ومن بقى معنا من

الى بلده خلخال فبقي فيها ثم ان أبا نصر المستوفي الملقب بالعزيز قال للسلطان محمود لا تأمن ان يرسل السلطان سنجر يطلب الوزير ويحمي (؟) اتصل به لا تأمن شره ويحدث منه وكان بينهما عداوة فأمر السلطان بقتله فلما ادخل عليه السياف ليقتله قال امهلني حتى اصلي ركعتين ففعل فلما صلى جعل يرعد وقال للسياف سيفي اجود من سيفك فاقتلني به ولا تعذبني فقتل ثاني جمادى الآخرة ولما صالح الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل اخاه نظام الدين احمد من وزارته وأعاد جلال الدين ابا علي بن صدقة الى الوزارة وأقام نظام الدين بالمخزن التي في المدرسة النظامية ببغداد واما العزيز المستوفي فانه لم تطل أيامه حتى قتل على ما نذكره جزاء لسعيه في قتل الوزير

﴿ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج﴾

في هذه السنة اشتدت نكاية الكرج في بلاد الاسلام وعظم الامر على الناس لا سيما أهل دربند شروان فسار منهم جماعة كثيرة من اعيانهم الى السلطان وشكوا اليه ما يلقون منهم واعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم فسار اليهم والكرج قد وصلوا الى شماخي فنزل السلطان في بستان هناك وتقدم الكرج اليه فخافهم العسكر خوفا شديدا واشار الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك على السلطان بالعود من هناك فلما سمع أهل شروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا نحن نقاتل ما دمت عندنا وان تأخرت هلكت نفوس المسلمين وهلكوا فقبل قولهم وأقام بمكانه وبات العسكر على وجل عظيم وهم بنية المصاف فأتاهم الله بفرج من عنده وألقى بين الكرج والقفجاق اختلافا وعداوة فاقتتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه المنهزمين وكفى الله المؤمنين القتال وأقام السلطان بشروان مدة ثم عاد الى همذان فوصلها في جمادى الآخرة

﴿ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر﴾

في هذه السنة وصل جمع كثير من لواتة من الغرب الى ديار مصر فأفسدوا فيها ونهبوها وعملوا اعمالا شنيعة فجمع المأمون بن البطائحي الذي وزر بمصر بعد الافضل عسكر مصر وسار اليهم فقاتلهم فهزمهم وأسر منهم وقتل خلقا كثيرا وقرر عليهم خراجا معلوما كل سنة يقومون به وعادوا الى بلادهم وعاد المأمون الى مصر مظفرا منصورا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في صفر أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداد وان يجبى ما يخرج عليه من البلد ففرق ذلك على الناس وجبي من ذلك مال كثير فلما علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر باعادة ما اخذ منهم فسر الناس بذلك وكثر الدعاء له وقيل ان الوزير احمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال نقسط الباقي على أرباب الدولة وكان أهل بغداد يعملون بأنفسهم فيه وكانوا يتناوبون العمل يعمل أهل كل محلة منفردين بالطبول والزمور وزينوا البلد وعملوا فيه القباب وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت دار علي بن أفلح وكان الخليفة يكرمه فظهر انه عين لدبيس يطالعه بالاخبار وجعل

طاهر باشا القلعة واحرق سرايته ثم حاط الارنؤد على طاهر باشا حتى قتلوه في داره واظهر مولانا وصداقتنا ومساعدتنا وصيرنا من عسكرنا وقصد عثمان بك البرديسي واظهر له خلوص الصداقة والاخوة وعاهده بالايمان حتى اغراه على علي باشا الطرابلسي وجرى ما جرى عليه من القتل ونسب ذلك الينا ثم اشتغل معه على خيانته لاخيه الالفي واتباعه ثم سلط علينا العساكر بطلب العلوفة واشار على عثمان بك بطلب المال من الرعية حتى وقع لنا ما وقع وخرجنا من مصر على الصورة التي خرجنا عليها ثم احضر احمد باشا خورشيد وولاه وزيرا وخرج دوهار بتنا ثم اضمر امره لاحمد باشا واراد الايقاع به فعمل العود الى مصر واوقع بينه وبين جنده حتى نفروا منه وتابعوه والقى الى السيد عمر والقاضي والمشايخ ان احمد باشا يريد الفتك بهم فهيجوا العامة والخاصة وجرى ما جرى من الحروب وحرق الدور وبذل السيد عمر جهده في النصح معها يظهره له من الحب والصداقة وراجت عليه احواله حتى تمكن امره وبلغ مراده ولو قيم بما وقع واخرجه من مصر وغدر بعض وطنه ونقض العهود والمواثيق التي كانت بينه وبينه كما فعل بعمر بك وغيره وكل ذلك معلوم ومشاهد للرواة بركة ان يامن قتلنا وبقتله صلحا والطريا والذى اتينا كتابهم نحو العشرة آلاف

الخليفة

ما أمل فقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج الى احد منهم ولم يبق الا الضعيف عجز عن الحركة وملك الفرنج البلد في الثالث والعشرين من جمادى الاولى من السنة وكان فقده وهنا عظيما على المسلمين فانه من احصن البلاد وامنعها فالله يعيدها الى الاسلام ويقر اعين المسلمين بفتحه بمحمد وآله

(ذكر عزل البرسقي من شحنكية العراق وولاية يرنقش الزكوي)

في هذه السنة عزل البرسقي عن شحنكية العراق ووليها سعد الدولة يرنقش الزكوي وسبب ذلك ان البرسقي تغير عليه المسترشد بالله فارسل الى السلطان محمود يلتمس منه ان يعزل البرسقي عن العراق ويعيده الى الموصل فاجابه السلطان الى ذلك وأرسل الى البرسقي يامره بالعود الى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج فلما علم البرسقي الخبر شرع في جباية الاموال ووصل نائب يرنقش فسلم اليه البرسقي الامر وارسل السلطان ولدا له صغيرا مع امه الى البرسقي ليكون عنده فلما وصل الصغير الى العراق خرجت العساكر والمواكب الى لقائه وحملت له الاقامات وكان يوم دخوله يوما مشهودا وتسلمه البرسقي وسار الى الموصل وهو والام معه مرفهما ولما سار البرسقي الى الموصل كان عماد الدين زنكي بن آقسنقر بالبصرة قد سيره البرسقي اليها ليحميها فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ولم يزل يقصد العرب ويقاتلهم في حللهم حتى ابعدوا الى البر فارسل اليه البرسقي يامره باللحاق به فقال لاصحابه قد ضجرنا مما نحن فيه كل يوم للموصل امير جديد ونريد نخدمه وقد رأيت ان اسير الى السلطان فاكون معه فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فقدم عليه باصبهان فاكرمه واقطعه البصرة واعاده اليها

(ذكر ملك البرسقي مدينة حلب)

في هذه السنة في ذي الحجة ملك آقسنقر البرسقي مدينة حلب وقلعتها وسبب ذلك ان الفرنج لما ملكوا مدينة صور على ما ذكرناه طمعوا وقويت نفوسهم وتيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام واستكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لا سيما في حلب وقال لهم ان اهلها شيعة وهم يميلون الى لاجل المذهب فمتى رأوني سلموا البلد الي وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة وقال انني اكون ههنا نائبا عنكم ومطيعا لكم فساروا معه اليها وحصروها وقاتلوا قتالا شديدا ووطنوا نفوسهم على المقام الطويل وانهم لا يفارقونها حتى يملكوها وبنوا البيوت لاجل البرد والحر فلما رأى اهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز وقلت الاقوات عندهم فلما رأوا ما دفعوا اليه من هذه الاسباب اعملوا الرأي في طريق يتخلصون به فرأوا انه ليس لهم غير البرسقي صاحب الموصل فارسلوا اليه يستنجدونه ويسألونه المجيء اليهم ليسلموا البلد اليه فجمع عساكره وقصدهم وارسل الى من بالبلد وهو في الطريق يقول انني لا اقدر على الوصول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابي وصار اصحابي فيها لانني لا ادري

البارود الى قصر الجيزة الذي كان به شاهين بك وكذا عدوا الخيام والمدافع ٢٦ ه والعربات والاثقال واجتمعت طوائف العسكر من الاتراك والاروام والدلاة والسكبان بالجيزة وتحققت المقاقمة والامراء المصرية خلف السواقي معا بلثوم واستمروا على ذلك الى ثاني يوم والناس متوقعون حصول الحرب بين الفريقين ولم يحصل وانتقل المصرية وترفعوا الى قبلي الجيزة بناحية دهشور وزنين (وفي يوم الاثنين والثلاثاء) اتفق الباشا مع العسكر وكان له مدة ثم ولم يتفق عليهم (وفي ليلة الثلاثاء) ركب الباشا ليلا وسافر الى ناحية كرداسة على جرائد الخيل ورجع في ثاني ليلة وكان سبب ركوبه انه بلغه ان طائفة من العربان مارين يريدون المصرية فاراد ان يقطع عليهم الطريق فلم يجد احدا وصادف نجعا مقيمين في خطة فنهب مواشيهم ورجع تعبا وانقطع عنه افراد من العسكر ومات بعضهم من العطش (وفي يوم الجمعة) ارتحل المصرية وترفعوا الى ناحية بزار القرى بالقرب من الرقق (وفيه) حضر مشايخ عربان اولاد علي للباشا فكساهم وخلع عليهم والبسهم شالات كشميري عدتها اثمان شالات وانعم عليهم بمائتين وخمسين كيسا وحضر عند المصرية عربان الهنادي ومشايخهم وانضموا اليهم (وفي يوم الاحد ثالث عشرينه)

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر ولم تزل كذلك الى سنة ست وخمسمائة فكان بها وال من جهة الافضل امير الجيوش وزير الآمر باحكام الله العلوي يلقب عز الملك وكان الفرنج قد حصروها وضيقوا عليها ونهبوا بلدها غير مرة فلما كان سنة ست تجهز ملك الفرنج وجمع عساكره ليسير الى صور فخافهم اهل صور فارسلوا الى اتابك طغتكين صاحب دمشق يطلبون منه ان يرسل اليهم اميرا من عنده يتولاهم ويحميهم ويكون البلد له وقالوا له ان ارسلت الينا واليا وعسكرا والا سلمنا البلد الى الفرنج فسير اليهم عسكرا وجعل عندهم واليا اسمه مسعود وكان شهما شجاعا عارفا بالحرب ومكايدها وامده بعسكر وسير اليهم ميرة ومالا فرقه فيهم وطابت نفوس اهل البلد ولم تغير الخطبة للآمر صاحب مصر ولا السكة وكتب الى الافضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول متى وصل اليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها اليه وطلب ان الاسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الافضل على ذلك واثنى عليه وصوب رأيه فيما فعله وجهز اسطولا وسيره الى صور فاستقام احوال اهلها ولم تزل كذلك الى سنة ست عشرة بعد قتل الافضل فسير اليها اسطولا على جاري العادة وامر المقدم على الاسطول ان يعمل الحيلة على الامير مسعود الوالي بصور من قبل طغتكين ويقبض عليه ويتسلم البلد منه وكان السبب في ذلك ان اهل صور اكثروا الشكوى منه الى الآمر باحكام الله صاحب مصر بما يعتمده من مخالفتهم والاضرار بهم فسار الاسطول فارسى عند صور وخرج مسعود اليه للسلام على المقدم عليه فلما صعد الى المركب الذي فيه المقدم اعتقله ونزل البلد واستولى عليه وعاد الاسطول الى مصر وفيه الامير مسعود فاكرم واحسن اليه واعيد الى دمشق واما الوالي من قبل المصريين فانه طيب قلوب الناس وراسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد وان سبب ما فعل هو شكوى اهل صور من مسعود فاحسن طغتكين الجواب وبذل من نفسه المساعدة فلما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوي طمعهم فيها وحدثوا نفوسهم بملكها وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها فسمع الوالي بها للمصريين الخبر فعلم انه لا قوة له ولا طاقة في دفع الفرنج عنها لقلة من بها من الجند والميرة فارسل الى الآمر بذلك فرأى ان يرد ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق فارسل اليه بذلك فملك صور ورتب بها من الجند وغيرهم ما ظن فيه كفاية وسار الفرنج اليهم ونازلوهم في ربيع الاول من هذه السنة وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الاقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين الى بانياس ليقرب منهم ويذب عن البلد ولعل الفرنج اذا رأوا قربه منهم رحلوا فلم يتحركوا ولازموا الحصار فارسل طغتكين الى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه وتمادت الايام واشرف اهلها على الهلاك فراسل حينئذ طغتكين صاحب دمشق وقرر الامر على ان يسلم المدينة اليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من اموالهم ورحالهم وغيرها فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت ابواب البلد وملكه الفرنج وفارقه اهله وتفرقوا في البلاد وحملوا

ابلهنا وعما الكتابل وقصده صيدنا وهلا كنا من آخر فقال حسن باشا لما فاته فلم يكن ذلك بود انما يقول والدنا ابراهيم بك ولكن لا يخفاكم ان اقطاعنا وولاية هذا القطر وهو يؤتي الملك من يشاء ولا نرضى نقيم من يخالف عليه او يشاركه بالقهر والاستيلاء فاذا صار الصلح ووقع الصفاء اعطاكم فوق مأمولكم فهز ابراهيم بك راسه وقال صحيح يكون خيرا وانفض المجلس وقد جمع حسن باشا وصالح قوج وعديا الى بر مصر (وفي ثالث الليلة) خرج جميع من كان بمصر من الامراء والاجناد المصرية بخيامهم وخدمهم ومتاعهم وعدوا الى بر الجيزة ولم يبق منهم الا القليل واجتمعوا مع بعضهم وقسموا الامر بينهم ثلاثة اقسام قسم للمرادية وكبيرهم شاهين بك وقسم المحمدية وكبيرهم على بك ايوب وقسم للابراهيمية وكبيرهم عثمان بك حسن وكتبوا مكاتبات وارسلوها الى مشايخ العربان لم اقف على مضمونها (وفي يوم الجمعة) رابع عشره اوقفوا عساكر على ابواب المدينة يمنعون الخارجين من البلد حتى الخدم ومنعوا التعدية الى البر الغربي وجمعوا المراكب والمعادي الى البر الشرقي ونقلوا البضائع التي في مراكب التجار المعدة للسفر رشيد ودمياط العربية بالرواحل واخذ نوحا اليهم وشرعوا في التعدية بطول يوم الجمعة والسبت وعدى الباشا آخر

خراسان وتفرق اصحابه فى النهب والفساد ونزل هو برباط جلولاء فسار اليه الوزير جلال
الدين بن صدقة فى عسكر كثير فنزل الدسكرة وتوجه طغرل ودبيس الى الهارونية
وسار الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير واستقر الامر بين دبيس وطغرل ان يسيرا حتى
يعبرا ديالى ويقطعا جسر النهروان ويقيم دبيس ليحفظ المعابر ويتقدم طغرل الى
بغداد فيملكها وينهبها فساروا على هذه القاعدة فعبروا تامرا ونزل طغرل بين تامرا وبين
ديالى وسار دبيس على ان يلحقه طغرل فقدر الله تعالى ان الملك طغرل لحقته حمى شديدة
ونزل عليهم من المطر ما لم يشاهدوا مثله وزادت المياه وجاءت السيول والخليفة بالدسكرة
وسار دبيس فى مائتى فارس وقصد معبرة النهروان وهو تعب سهران وقد لقى هو
واصحابه من المطر والبلل ما آذاهم وليس معهم ما يأكلون فناموا منتظرين ان طغرل
واصحابهم يلحقونهم فتأخروا لما ذكرناه فنزلوا جياعا قد آلمهم البرد واذ قد طلع عليهم
ثلاثون جملا تحمل الثياب الخاص للخليفة والعمائم والاقبية والقلانس وغيرها من الملبوس
وتحمل ايضا انواع الاطعمة المصنوعة قد جاءت من بغداد الى الخليفة فاخذ دبيس
الجميع فلبسوا الثياب الجدد ونزعوا الثياب الندية واكلوا الطعام وناموا فى الشمس
عما نالهم تلك الليلة وبلغ الخبر اهل بغداد فلبسوا السلاح ووقفوا يحرسون الليل
والنهار ووصل الخبر الى الخليفة والعسكر الذى معه ان دبيسا قد ملك بغداد فرحل من
الدسكرة ووقعت الهزيمة على العسكر الى النهروان وتركوا اثقالهم ملقاة بالطريق
لا يلتفت اليها احد ولولا ان الله تعالى لطف بهم بحمى الملك طغرل وتأخره والا كان قد
ملك العسكر والخليفة ايضا واخذوا وكانت السواقى مملوءة بالوحل والماء من السيل
فقيرة ولو لحقتهم مائة فارس لملكوا ووصلت رايات الخليفة ودبيس واصحابه نيام
وتقدم الخليفة واشرف على ديالى ودبيس نازل غرب النهروان والخليفة وعسكره شرق
النهروان فلما ابصر دبيس شمسة الخليفة قبل الارض بين يدى الخليفة وقال انا العبد
المطرود فليعف امير المؤمنين عن عبده فرق الخليفة له وهم بصلحه حتى وصل الوزير
ابن صدقة فلفته عن رأيه وركب دبيس ووقف بازاء عسكر برنقش الزكوى يحادثهم
و يتماجن معهم ثم امر الوزير الرجالة فعبروا ليعقدوا الجسر آخر النهار فسار حينئذ دبيس
عائدا الى الملك طغرل وسير الخليفة عسكرا مع الوزير فى اثره وعاد الى بغداد فدخلها
وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان الملك طغرل ودبيسا عادا وسارا الى السلطان
سنجر فاجتازا بهمذان فقسطا على اهلها مالا كثيرا واخذوه وعاثوا فى تلك الاعمال
فبلغ خبرهما السلطان محمودا فقصد اليهم فانهزموا من بين يديه وتبعتهم العساكر
فدخلوا خراسان الى السلطان سنجر وشكيا اليه من الخليفة ومن برنقش الزكوى

(ذكر ملك البرسقى كفرطاب وانهزامه من الفرنج)

فى هذه السنة جمع البرسقى عساكره وسار الى الشام وقصد كفرطاب وحصرها فملكها
من الفرنج وسار الى قلعة عزاز وهى من اعمال حلب من جهة الشمال وصاحبها

فى البناء وقائم اغاليق لم يمس بها احد من المصريين وفى كل يوم يخرج عساكرهم يرجعون الى المدينة وهم
يرتدون على خلف
الدواب وجهها البطيخ وجمال
السقائين والباشا يعدى الى
بر مصر فى كل يومين او ثلاثة
ويطلع الى القلعة ثم يعود
الى مخيمه فى الجيزة وامتنع
سفر المشاة من قبلى وبحرى
(وفى يوم الثلاثاء سابع
عشره) بلغ الباشا ان الامراء
المرادية والابراهيمية وغالب
المصرية لهم مراسلات
ومعاملات مع السيد سلامة
الضارى واخيه وابن اخيه
وانه يرسل لهم جميع ما يلزم
من اسلحة وامتعة وخلافها
بواسطة بعض عملائهم من
العربان خفية وانه اشترى
جملة اسلحة وخيول وثياب
وغيرها واخفاها من بيوت
بعضهم لاجل ان يرسل الجميع
اليهم وان جميع ذلك موجود
عند المذكور الآن ومن جملة
ايام حضر رسول من عندهم
بدراهم ومعه حصان نعمان
بك وهو عنده ايضا فامر
بطلبه وحبسه وهجم منزله
وضبط اوراقه وضبط ما يوجد
بها ففعلوا ذلك وحبسوا معه
ابن اخيه واخاه وهجموا
منزله فوجدوا فيه خمسة خيول
وجملة اسلحة فعقروا ونهبوا
ونهبوا امتعته وبدده وانحل
كتب ابيه ولم يعبد امكانات
من الامراء القبالى ولا اثر
لذلك بل انه يبيد واحد وايام من اخيه السيد احمد معضوبة افتقد وصولنا الى مكة المشرفة اشترينا الرمية

ما يقدره الله تعالى اذا انا لقيت الفرنج فان انهزمنا منهم واليث حلب بيد اصحابى حتى احمى انا وعسكرى بها لم يبق منا احد ومينئذ تؤخذ حلب وغيرها فاجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه فلما استقروا فيها واستولوا عليها سار في العساكر التى معه فلما اشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو براهم فاراد من في مقدمة عسكره ان يحمل عليهم فمنعهم هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى يتقرر أمر حلب ونصلح حالها ونكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم فلما رحل الفرنج خرج أهل حلب ولقوه وفرحوا به واقام عندهم حتى اصلح الامور وقررها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة انقطعت الامطار في العراق والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكر وكثير من البلاد فقلت الاقوات وغلت الاسعار في جميع البلاد ودام الى سنة تسع عشرة وفيها وصل منصور بن صدقة أخو دبيس الى بغداد تحت الاستظهار فرض بها فاحضر الخليفة الاطباء وامرهم بعلاجه واحضره عنده وجعل في حجرة وادخل اصحابه اليه وفيها سار دبيس من الشام بعد رحيله عن حلب وقصد الملك طغرل فاغراه بالخليفة واطمعه في العراق وكان ما نذكره سنة تسع عشرة ان شاء الله تعالى وفيها مات الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية صاحب الموت وقد تقدم من اخباره ما يعلم به محله من الشجاعة والرأى والتجربة وفيها ايضا توفى داود ملك الابخاز وشمس الدولة بن نجم الدين ايلغازى وفيها ثار أهل آمد بمن فيها من الاسماعيلية وكانوا قد كثروا فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل فضعف أمرهم بها بعد هذه الوقعة وفيها في صفر توفى محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفرانى وهو من اصحاب الخطيب البغدادى وفيها توفى أحمد بن على بن برهان أبو الفتح الفقيه المعروف بابن الحمامى لان اباه كان حماميا وكان حنبليا تفقه على ابن عقيل ثم صار شافعيا وتفقه على الغزالى والشاشى

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة)

(ذكر وصول الملك طغرل ودبيس بن صدقة الى العراق وعودهما عنه)

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة الى الملك طغرل من الشام فلما وصل اليه اقيه واكرمه واحسن اليه وجعله من اعيان خواصه وامرائه فحسن له دبيس قصد العراق وهون أمره عليه وضمن له أنه يملكه فسار معه الى العراق فوصلوا دقوقا في عساكر كثيرة فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة بخبرهما فتجهز للمسير ومنعهما وأمر برنقش الزكوى شحنة العراق ان يكون مستعدا للمسير مع العساكر والامراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة العساكر اثنى عشر الفا سوى الرجالة واهل بغداد وفرق السلاح وبرز خامس صفر وبين يديه أرباب الدولة رجالة وخرج من باب النصر وكان قد امر بنقضه تلك الايام وسماه باب النصر ونزل صحراء الشماسية ونزل برنقش عند السبتى ثم سار فنزل الخالص فلما سمع طغرل بخروج الخليفة عدل الى طريق

عدى الباشا الى بر مصر وذهب الى بيته بالازبكية فبات به ليلتين ثم طلع في يوم الثلاثاء الى القلعة وقد تكدر طبعه من هذه الحادثة بعد ان حصلوا بالجيزة وكادوهم قصده فيهم وخصوصا ما فعله شاهين بك الذى انفق عليه الوفا من الاموال ذهبت جميعها في الفارغ البطال (وفي هذه الايام) اعنى منتصف شهر بشنس القبطى زاد النيل زيادة ظاهرة اكثر من ذراع ونصف واستمر اياما ثم رجع الى حاله الاول وهذا من جملة عجائب الوقت

(واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الاحد سنة ١٢٢٥)

فيه عمل الباشا ميدان رماحة بالجيزة فتقنطر به الحصان ووقع به الارض فاقاموه واصيب غلام من مماليكه برصاصة فمات ويقال ان الضارب لها كان قاصدا الباشا فاخطأه واصابت ذلك المملوك والاجل حصين (وفيه) نبهوا على العسكر بالخروج فشرعوا بالجد والعجلة في قضاء اشغالهم ولوازمهم ونفقة ويخطفون حمير الناس وجمالهم ومن يصادفونه ويقدرون عليه من اهل البلد وغلاظهم ويقولون في غد مسافرون وراحلون لمحاربة المصريين والمصريون ايضا منتشرون في جهاتهم يقتلونها (وفي خامسه) خرج حسن باشا وبرز خيامه بناحية الآثار وخرج ايضا عوسى بك بعسكره وطوائفه ومعهم بيارق وسافر جملة عساكر في المراكب ليرابطوا

وقصدوه فلم يكن لهم بهم طاقة فتحصن منهم في حصن منيع له اسمه اربيسول فحصروه وكبسهم ليلا فانهزم المسلمون وكثر القتل فيهم وعاد الى بلاده

﴿ذكر قصد بلاد الاسماعيلية بخراسان﴾

في هذه السنة امر الوزير المختص ابو نصر احمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية وقتلهم اين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب اموالهم وسبي حريمهم وجهز جيشا الى طريثيث وهي لهم وجيشا الى بيهق من اعمال نيسابور وكان في هذه الاعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز ومقدمهم بها انسان اسمه الحسن بن سمين وسير الى كل طرف من اعمالهم جمعا من الجند ووصاهم ان يقتلوا من لقوه منهم فقصد كل طائفة الى الجهة التي سيرت اليها فاما القرية التي باعمال بيهق فقصدها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد والقى نفسه منها فهلك وكذلك العسكر المنفذ الى طريثيث قتلوا من اهلها فاكثروا وغنموا من اموالهم وعادوا

﴿ذكر ملك الاسماعيلية قلعة بانياس﴾

في هذه السنة عظم امر الاسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس في ذي القعدة منها وسبب ذلك ان بهرام ابن اخت الاسداباذي لما قتل خاله ببغداد كما ذكرناه هرب الى الشام وصار داعي الاسماعيلية فيه وكان يتردد في البلاد ويدعو اوباش الناس وطغامهم الى مذهبه فاستجاب له منهم من لا عقل له فكثر جمعه الا انه يخفي شخصه فلا يعرف واقام بحلب مدة ونفق على ايلغازي صاحبها واراد ايلغازي ان يعتضد به لاتقاء الناس شره وشر اصحابه لانهم كانوا يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم واشار ايلغازي على طغتكين صاحب دمشق بان يجعله عنده لهذا السبب فقبل رايه واخذه اليه فاظهر حينئذ شخصه واعلن بمذهبه فكثر اتباعه من كل من يريد الشر والفساد واعانه الوزير ابو طاهر بن سعد المزدقاني قصدا للاعتضاد به على ما يريد فعظم شره واستفحل امره وصار اتباعه اضعاف ما كانوا فلولا ان عامة دمشق يغلب عليهم مذاهب اهل السنة وانهم يشددون فيما يعتقدونه لملك البلد ثم ان بهرام راى من اهل دمشق فظاظة وغلظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنا ياوي اليه هو ومن اتبعه فاشار الوزير بتسليم قلعة بانياس اليه فسلمت اليه فلما صار اليها اجتمع اليه اصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ خطبه وجلت المحنة بظهوره واشتد الحال على الفقهاء والعلماء واهل الدين لا سيما اهل السنة والستر والسلامة الا انهم لا يقدرون على أن ينطقوا بحرف واحد خوفا من سلطانهم أولا ومن شر الاسماعيلية ثانيا فلم يقدم احد على انكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوائر

﴿ذكر قتل البرسقي وملك ابنه عز الدين مسعود﴾

في هذه السنة ثامن ذي القعدة قتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقي صاحب الموصل بمدينة الموصل قتلته الباطنية يوم جمعة بالجامع وكان يصلي الجمعة مع العامة وكان قد

انتصفوا قائم طابه وضاعف مرتبه واحال عليه نظر مشترى الخيول (وفيه وصلت) الاخبار بان حسن باشا وصالح قوج وعابدين بك وعساكر الارنؤود وصلوا الى ناحية صول والبرنبل فوجدوا المصريين جعلوا متاريس ومدافع على البرنبه وامرود المراكب فقاربوهم حتى اجلوهم عنها وملكوا المتاريس وقتل رجل من الاجناد وهو الذي كان محافظا على المتاريس يقال له ابراهيم اغا سقط به الحرف الى البحر فاخذوه اليهم ومعه آخر وقتلوهما وقطعوا رؤسهما وارسلوها صحبة المبشرين الى الباشا فضربوا الزاد بباب زويلة ولما بلغ الامراء المصريين اخذ المتاريس تاهبوا وساروا من اول الليل وهي ليلة السبت رابع عشره وكمنوا وكانوا من امرهم فدهموا الارنؤود من كل ناحية فوقع بينهم مقتلة عظيمة واخذوا منهم عدة بالحياة واخذوا منهم اشياء وكان حسن باشا واخوه عابدين بك صعدا بمراكبهما الى قبلي المتاريس فاحترق من مراكب الثانية مركب والقى من فيها بانفسهم الى البحر فمنهم من نجا ومنهم من غرق واما مركب حسن باشا فانه ساعده الريح ايضا وسارت الى الناحية الغربية ثم ان المصريين عدى منهم طائفة الى شرق اطفيح واشتغل بواقيهم راجعين الى ناحية الجيزة قريبا من عرضي الباشا (وفي ليلة الخميس تاسع عشره) عدى الباشا الى

حوما بن خضرها فاجتمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه ليرحلوه عنها فلقيهم وضرب معهم مصافا واقتتلوا قتالا شديدا صبروا كلهم فيه فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر كثير وكان عدد القتلى اكثر من ألف قتيل من المسلمين وعاد منهزما الى حلب فخلف بها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل المأمون بن البطائحي)

في هذه السنة في رمضان قبض الآمر بأحكام الله العلوي صاحب مصر على وزيره أبي عبد الله بن البطائحي الملقب بالمأمون وصلبه واخوته وكان ابتداء امره ان اباه كان من جواسيس الأفضل بالعراق فمات ولم يخلف شيئا فتزوجت امه وتركته فقيرا فاتصل بانسان يتعلم البناء بمصر ثم صار يحمل الامتعة بالسوق الكبير فدخل مع الحمالين الى دار الأفضل أمير الجيوش مرة بعد أخرى فرآه الأفضل خفيفا رشيقا حسن الحركة حلو الكلام فأعجبه فسأل عنه فقيل هو ابن فلان فاستخدمه مع الفراشين ثم تقدم عنده وكثرت منزلته وعلت حالته حتى صار وزيرا وكان كريما واسع الصدر قتالا سفاكا للدماء وكان شديد التحرز كثير التطلع الى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر البلاد مصر والشام والعراق وكثر الغمازون في أيامه وأما سبب قتله فانه كان قد أرسل الى الأمير جعفر أخي الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن أبي أسامة وكان خصيصا بالآمر قريبا منه وقد ناله من الوزير أذى واطراح فحضر عند الآمر وأعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزاء من قابل الاحسان بالاساءة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي شمس الدولة سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر وتعرف قديما بقلعة دوسر وفيها قتل القاضي ابو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي بهمذان قتله الباطنية وكان قد مضى الى خراسان في رسالة الخليفة الى السلطان سنجر فعاد فقتل وكان ذا مروءة غزيرة وتقدم كبير في الدولة السلجوقية وفي هذه السنة توفي هلال بن عبد الرحمن ابن شريح بن عمر بن احمد وهو من ولد بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته ابو سعد طاف في البلاد وسمع وقرأ القرآن وكان موته بسمرقند

(ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة)

(ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالاندلس)

في هذه السنة عظم شأن ابن ردمير الفرنجي بالاندلس واستطال على المسلمين فخرج في عساكر كثيرة من الفرنج وسار في بلاد الاسلام وخاضها حتى وصل الى قرب قرطبة واكثر النهب والسبي والقتل فاجتمع المسلمون في جيش عظيم زائد الحد في الكثرة

خيول تحدث بها العلامات التي اعرفها دنها وهي مرسلة للاعي ان تعرف ابتقيها الا اقتنينا ولما سئل عن الأسلحة . والخيول التي عنده قال ان السلاح عندنا من قديم ولم نعد ورود شيء يدل على ذلك واما الخيول فمنها اربعة احضرتها هدية لافندينا وجاءت ضعيفة فابقيتها عندي حتى تتقوى واقدمها اليه والحصان الخامس اشتريته لنفسي من رجل عيلانا اسمه عطوان امه من اهالي كفر حكيم انحرف انه اشتراه من ناحية صول ولما رأيت فيه العلامات الجيدة وجاءت الاربعة خيول تركت ركوبه وابقيته معها حتى اقدم الجميع لافندينا عند ذلك توجه محمد افندي طبيل للباشا وفهمه براءة ذمة المذكور واخبره بما صار وما وجدوه وما قاله المذكور وسعى في ازالة هذه التهمة بمعرفة ان هذا الرجل مستقيم الاحوال وانه من وقت توظيفه معهم لم ينظر عليه ما يخالف وصدق عليه الحاضرون فلما ظهر للباشا كذب التهمة وتحقق براءته وانه احضر هذه الخيول هدية له امر باطلاقه من السجن وانه يرجع مأموريته الاعوان من منزلة ونخلق عليهم بسبب ذلك ثم امر باحضارهم واحضار الخيول المهداة له فقبلها منه ثم سأله عن علامات الجودة وعن ما يحمد في الخيل وما يذم فيها فأجابه بأجوبة مفيدة

قد اشتد بالناس لعدم الغلات والاقوات لخراب البلاد واكثر عن بلادهم ويطلب منه ان يتأخر هذه الدفعة الى ان يصلح حال البلاد ثم يعود اليها فلا مانع له عنها وبذل له على ذلك مالا كثيرا فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ما قرره الزكوى وابى ان يجيب الى التأخر وصمم العزم وسار اليها مجدا فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو واهله وحرمه ومن عنده من اولاد الخلفاء الى الجانب الغربى فى ذى القعدة مظهر للغضب والانتزاح عن بغداد ان قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيما لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه وبلغ منه كل مبلغ فارسل يستعطف الخليفة ويسأله العود الى داره فاعاد الجواب انه لابد من عودك هذه الدفعة فان الناس هلكى بشدة الغلاء وخراب البلاد وانه لا يرى فى دينه ان يزداد ما بهم وهو يشاهدهم فان عاد السلطان والا رحل هو عن العراق لئلا يشاهد ما يلقى الناس بمجىء العساكر فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد واقام الخليفة بالجانب الغربى فلما حضر عيد الاضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وارسل عفيفا الخادم وهو من خواصه فى عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فارسل السلطان اليه عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان له حينئذ البصرة وقد فارق البرسقى واتصل بالسلطان فاقطعه البصرة فلما وصل عفيف الى واسط سار اليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقى وكان عفيف بالجانب الغربى فارسل اليه عماد الدين يحذره القتال ويامره بالانتزاح عنها فابى ولم يفعل فعبر اليه عماد الدين واقتتلوا فانهزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة واسر مثلهم وتغافل عن عفيف حتى نجا وعاد وكانت بينهما مودة ثم ان الخليفة جمع السفن جميعها اليه وسد ابواب دار الخلافة سوى باب النوبى وامر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشى الخليفة بالجانب الشرقى سواه ووصل السلطان الى بغداد فى العشرين من ذى الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره الى بغداد ونزلوا فى دور الناس فشكا الناس ذلك الى السلطان فامر باخراجهم وبقى فيها من له دار وبقى السلطان يراسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح وهو يمتنع وكان يجرى بين العسكرين مناوشة والعامة من الجانب الغربى يسبون السلطان افحش سب ثم ان جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة اول المحرم سنة احدى وعشرين وضج اهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا الغزاة فاقبلوا من كل ناحية ولما رآهم الخليفة خرج من السرادق والشمسة على راسه والوزير بين يديه وامر بضرب الكوسات والبوقات ونادى باعلى صوته يا لهاشم وامر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة وكان له فى الدار الف رجل مختفين فى السراديب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فاسر منهم جماعة من الامراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الامراء ودار عزيز الدين المستوفى ودار الحكيم اوحد الزمان الطبيب وقتل منهم خلق كثير فى الدروب ثم عبر الخليفة الى الجانب الشرقى ومعه ثلاثون الف مقاتل من اهل بغداد والسواد وامر

ولابد فيهم مضنا فيشكون الى الباشا فيدفعه الى البرجية من خزينته وهو منشرح الخاطر واخوانه يتأثرون لذلك وتأخذهم الغيرة ويطعنون فى جانبه وهو يقصر فى حقهم ولا يعطيهم الا النزر مع المن والتضجر وفيهم من هو اقدم منه هجرة ويرى فى نفسه انه احق بالتقدم منه ولما دنت وفاة استاذهم احضر شاهين بك وسلمه خزينته واوصاه بان يعطى لكل امير من خشداشينه سبعة آلاف منفضة ولم يعطهم وطفق كلما اعطاهم شيئا حسبه عليهم من الوصية حتى اذا اعطى البلك والبقشيش لنعمان بك مثلا يعطيه انقص من بقشيش امين بك نصف ذراع ويقول هو قصير القامة ونحو ذلك فيعدون ذلك عليه ويشكون من خسته وتقصيره فى حقهم ويعلم الباشا ذلك فلما انتقض شاهين بك عهده وانضم الى الغالبين وخشداشينه المذكورون معه بالتأثر القلبى واسلمهم الباشا راودهم وعدهم ومناهم بانهم اذا حضروا اليه وفارقوا شاهين بك الخائن المقصر فى حقهم انزلهم منزلة شاهين بك وزيادة واختص بهم اختصاصا كبيرا فمالت نفوسهم لذلك القول واعتقد والحداة عقولهم محبته وانهم اذا رجعوا اليه هذه المرة وثبتوا الغالبين اعتقد صداقتهم وخلوصهم

راى تلك الليلة في منامه ان عدة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقي ما آذاه فقص رؤياه على اصحابه فاشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة ايام فقال لا اترك الجمعة لشئ ابدا فغلبوا على رايه ومنعوه من قصد الجمعة فعزم على ذلك فاخذ المصحف يقرا فيه فاول ما راى وكان امر الله قدرا مقدورا فركب الى الجامع على عادته وكان يصلي في الصف الاول فوثب عليه بضعة عشر نفسا عدة الكلاب التي رآها فجرحوه بالسكاكين فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان مملوكا تركيا خيرا يحب اهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات في اوقاتها ويصلي من الليل متهجدا حكى لي والدي رحمه الله عن بعض من كان يخدمه قال كنت فراشا معه فكان يصلي كل ليلة كثيرا وكان يتوضا هو بنفسه ولا يستعين باحد ولقد رايته في بعض ليالي الشتاء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجية صغيرة وبر وبيده ابريق فمشى نحو دجلة لياخذ ماء فمنعني البرد من القيام ثم اني خفته فقمت بين يديه لآخذ الابريق منه فمنعني وقال يا مسكين ارجع الى مكانك فانه برد فاجتهدت لآخذ الابريق فلم يعطني وردني الى مكاني ثم توضا وقام يصلي ولما قتل كان ابنه عز الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج فارسل اليه اصحاب ابيه بالخبر فسار الى الموصل ودخلها اول ذي الحجة واحسن الى اصحاب ابيه واقر وزيره المؤيد ابا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزاق على وزارته واطاعه الامراء والاجناد وانحدر الى خدمة السلطان محمود فاحسن اليه واعاده ولم يختلف عليه احد من اهل بلاده ووقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن اخبارهم فقيل انهم كانوا يجلسون الى اسكاف بدرب ايليا فاحضر ووعد الاحسان ان اقر فلم يقر فهدد بالقتل فقال انهم وردوا من سنين لقتله فلم يتمكنوا منه الى الآن فقطعت يداه ورجلاه وذكره ورجم بالحجارة فمات ومن العجب ان صاحب انطاكية ارسل الى عز الدين بن البرسقي يخبره بقتل والده قبل ان يصل اليه الخبر وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدة عنايتهم بمعرفة الاحوال الاسلامية ولما استقر عز الدين في الولاية قبض على الامير بابكر بن ميكائيل وهو من اكابر الامراء وطلب منه ان يسلم ابن اخيه قلعة اربل الى الامير فضل وابي علي ابني ابي الهيجاء وكان ابن اخيه قد اخذها منهما سنة سبع عشرة فارسل ابن اخيه فسلم اربل الى المذكورين

(ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود)

كان قد جرى بين يرنقش الزكوي شحنة بغداد وبين نواب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدده الخليفة فيها فخافه على نفسه فسار عن بغداد الى السلطان محمود في رجب من هذه السنة وشكا اليه وحذره جانب الخليفة واعلمه انه قد قاد العساكر ولقي الحروب وقويت نفسه ومتى لم تعاجله بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعا ومنعك عنه وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيدك فتوجه السلطان نحو العراق فارسل اليه الخليفة يعرفه ما البلاد واهلها عليه من الضعف والوهن بسبب دبيس وافساد عسكره فيها وان الغلاء

بمصر وطلع الى القلعة فلما كان الليل وصل ٢٧ طائفة من المصريين الى المرابطين بحفارة عرضي الباشا واحتاطوا بهم وشاققوهم الجميع فانزعج العرضي وحصل فيهم مخافة فارسل خورشيد باشا الى ابيه فركب ونزل من القلعة في سادس ساعة من الليل وعدى الى البر الغربي وسمع عنه ان الباشا عند ما نزل المعدية وسار بها في البحر سمع واحدا يقول لآخر قدم حتى نقتل المصريين ونبدد شملهم ويكرر ذلك فارسل الباشا مركبا وارسل بعض اتباعه بها لينظروا هؤلاء الشخصين ولاى شئ نزلا البحر في هذا الوقت فلما ذهبوا الى الجهة التي سمع منها الصوت لم يجدوا احدا وتفحصوا عنهما فلم يجدوهما فاعتقد من له اعتقاد منهم انهما من الاولياء وان الباشا مساعد باهل الباطن (وفي عشرينه) ظهر التخاذل بين الامراء المصريين وتبين ان الذين كانوا عدوا الى البر الشرقي هم ثلاثة امراء من الالفية وهم نعمان بك وامين بك ويحيى بك وذلك انهم لما تصالحوا مع الباشا واميرهم شاهين بك وهو الرئيس المنظور اليه ومطلق التصرف في معظم البر الغربي والفيوم يتحكم فيهم وفي طوائف العربان واهالي البلاد والفلاحين بغير يد وكذلك اموال المعادي بناحية الاخصاص وانبابة والجيزة وغير ذلك وهو شئ له قدر كبير وزاد فيهم ايضا اشقاق المعادي وفي اخذ جميع

وكان هذا من الغريب ان ما اتفقتا ثم زهدت كل واحدة منهما من صاحبتها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة حصر الفرنج رفنية من ارض الشام وهي بيد المسلمين وضيقوا عليها فملكوها وفيها توفي ابو الفتوح احمد بن محمد بن محمد الغزالي الواعظ وهو اخو الامام ابي حامد محمد وقد ذمه ابو الفرج بن الجوزي باشياء كثيرة منها روايته في وعظه الاحاديث التي ليست بصحيحة والعجب انه يقدح فيه بهذا وتصانيفه هو ووعظه محشوة به مملوءة منه نسال الله ان يعيذنا من الوقيعة في الناس ثم ياليت شعري اما كان للغزالي حسنة تذكر مع ما ذكر من المساوي التي نسبها اليه لئلا ينسب الى الهوى والغرض

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ولاية الشهيد اتابك زنكي شحنكية العراق)

في هذه السنة في ربيع الآخر اسند السلطان محمود شحنكية العراق الى عماد الدين زنكي بن آقسنقر وكان سبب ذلك ان عماد الدين لما اصعد من واسط في التجمل والجمع الذي ذكرناه وقام في حفظ واسط والبصرة وتلك النواحي القيام الذي عجز غيره عنه عظم في صدر السلطان وصدور امرائه فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فيمن يصلح ان يلي شحنكية العراق يامن معه من الخليفة فاعتبر امراءه واعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم في هذا الامر مقام عماد الدين فاستشار في ذلك فكل اشار به وقالوا لا يقدر على رقع هذا الخرق واعادة ناموس هذه الولاية ولا تقوى نفس احد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكي فوافق ما عنده فاسند اليه الولاية وفوضها اليه مضافة الى ما له من الاقطاع وسار عن بغداد وقد اطمان قلبه من جهة العراق فكان الامر كما ظن

(ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة انوشروان بن خالد)

في هذه السنة في عاشر ربيع الآخر سار السلطان محمود عن بغداد بعد تقرير القواعد بها ولما عزم على المسير حمل اليه الخليفة الخلع والدواب الكثيرة فقبل ذلك جميعه وسار ولما بعد عن بغداد قبض على وزيره ابي القاسم علي بن القاسم الانساباذي في رجب لانه اتهمه بممالاة المسترشد بالله في اقامته في امره واتمام الصلح على ما ظهر اثره فسعى به اعداؤه فلما قبض عليه ارسل السلطان الى بغداد احضر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان مقيما بها فلما علم ذلك جاءته الهدايا من كل احد حتى من الخليفة وسار عن بغداد خامس شعبان فوصل الى السلطان وهو باصبهان فخلع عليه خلع الوزارة وبقي فيها عشرة اشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد الى بغداد في شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة واما الوزير ابو القاسم فانه بقي مقبوضا الى ان خرج السلطان سنجر الى الري سنة اثنتين وعشرين فاخرجه من الحبس في ذي الحجة واعاده الى وزارة

صحبتك ولا نحارب معك حتى تظهر لنا ما تقاتل معك عليه وتزايدوا معه في المكالمة والمعاتبة والمفاقة ثم انفصلوا عنه ونقلوا خيامهم الى ناحية البحر واعتزلوه وفارقوا عرضي الجميع فلما علم بذلك ابراهيم بك الكبير تنكد خاطره وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اي شيء هذا الفشل وخساقة العقل والتفرق بعد الالتئام والاجتماع وذهب اليهم ليصالحهم ويضمن لهم كل ما طلبوه وطمعوا فيه عند عليكم وقال لهم ان كنتم محتاجين في هذا الوقت لمصرف انا اعطيكم من عندي عشرين الف ريال انصرفوها بينكم وعودوا الضرر بكم معنا فامتنعوا من صلحهم مع شاهين بك فرجع ابراهيم بك بعد احتشامهم من بلكا اليهم فامتنع من ذهابه اليهم وقال انا لست محتاجا اليهم وان ذهبوا فلا ذنب لي امتثالهم وعندي من يصلح لذلك ويكون مطيعا لي دونهم ثم ان هؤلاء يرون انهم احق مني بالرياسة والحاصل شرعوا في التعدية وانتقلوا الى البر الشرقي وحال البحر بين الفريقين ووصل اليهم مصطفى كاشف المورلي من طرف الباشا واجتمعوا معه عند عبد الله اغا المقيم بناحية بني سويف وضرب لهم شنكا ومدافع ثم انهم عزموا على الحضور الى مصر فوصلوا في يوم الخميس خامس عشره نفوا بلوا الباشا وخلع عليهم واعطاهم تقادم

بعد ان الخنادق حفرت بالليل وسقفت وابعدوا من عسكر السلطان ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الامر عليهم وكان القتال كل يوم عليهم عند ابواب البلد وعلى شاطئ دجلة وعزم عسكر الخليفة على ان يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الامير ابو الهيجاء الكردي صاحب اربل وخرج كانه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد ارسل الى عماد الدين بواسط يامره ان يحضر هو بنفسه ومعه المقاتلة في السفن وعلى الدواب في البر فجمع كل سفينة في البصرة الى بغداد وشحنها بالرجال المقاتلة واكثر من السلاح واصعد فلما قارب بغداد امر كل من معه في السفن وفي البر بلبس السلاح واظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن في الماء والعسكر في البر على شاطئ دجلة قد انتشروا وملؤا الارض برا وبحرا فرأى الناس منظرا عجيبا كبر في اعينهم وملأ صدورهم وركب السلطان والعسكر الى لقائهم فنظروا الى ما لم يروا مثله وعظم عماد الدين في اعينهم وعزم السلطان على قتال بغداد حينئذ واخذ في ذلك في البر والماء فلما رأى الامام المسترشد بالله الامر على هذه الصورة وخروج الامير ابي الهيجاء من عنده اجاب الى الصلح وترددت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان مما جرى وكان حليما يسمع سبه باذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن اهل بغداد جميعهم وكان اعداء الخليفة يشيرون على السلطان باحراق بغداد فلم يفعل وقال لا تساوي الدنيا فعل مثل هذا واقام ببغداد الى رابع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وحمل الخليفة من المال اليه كل ما استقرت القاعدة عليه واهدى له سلاحا وخيلا وغير ذلك فمرض السلطان ببغداد فاشار عليه الاطباء بمفارقتها فرحل الى همذان فلما وصلها عوفي

﴿ذكر مصاف بين طغتكين اتابك والفرنج بالشام﴾

في هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقمامصتها وكنودها وساروا الى نواحي دمشق فنزلوا بمرج الصفر عند قرية يقال لها شقحب بالقرب من دمشق فعظم الامر على المسلمين واشتد خوفهم وكاتب طغتكين اتابك صاحبها امراء التركمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد سار عن دمشق الى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بوري فكان بها كلما جاءت طائفة احسن ضيافتهم وسيرهم الى ابيه فلما اجتمعوا سار بهم طغتكين الى الفرنج فالتقوا اواخر ذي الحجة واقتتلوا واشتد القتال فسقط طغتكين عن فرسه فظن اصحابه انه قتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقي التركمان لم يقدروا ان يلحقوا بالمسلمين في الهزيمة فتخلفوا فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين وان معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام حملوا على الرجالة فقتلوهم ولم يسلم منهم الا الشريد ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم واموالهم وجميع ما معهم ومن جملته كنيسة فيها من الذهب والجوهر ما لا يقوم كثرة ونهبوا ذلك جميعه وعادوا الى دمشق سالمين لم يعدم منهم احد ولما رجع الفرنج من اثر المنهزمين ورأوا رجالتهم قتلى واموالهم منهوبة تبعوا منهزمين لا يلوي الاخ على اخيه

وزاد قهرهم وعز النوم عندهم وتذكروا عند ذلك ما كانوا فيه مدة اقامتهم بمصر من التنعم والراحة في القصور التي هجروها بالجبرة والبيوت التي اتخذوها بداخل المدينة والرفاهية والفرش الوثيرة وتحركات خلقتهم للقاء والسراري التي انعم عليهم الباشا بها وقالوا اما النار والغربة وتعب الجسم والخاطر والانزعاج والحروب والالقاء بنفوسنا في المهالك وعدم الراحة في النوم واليقظة فردوا الجواب بالاجابة وعاهدوا عليه ايضا ما حالف في نفوسهم بشرط طرح المؤاخذة والعفو الكامل بواسطة من يعتقد صدقه فاجابهم لكل ما سألوه وعاهدوه بواسطة مصطفى كاشف المورلي وهو معدود سابقا منهم وانفصل عنهم وانتمى الى الالفي بك وصار من اتباعه فعند ذلك شرعوا في مناكدة اخيهم شاهين بك ومفارقته وعقدوا معه مجلسا وقالوا له انا معاك في ربع المملكة التي خصونا به في الصلحة التي شرطوها وفنا شركاؤك فان ابراهيم بك قسم مع جماعته وكذلك عثمان بك وعلي بك ايوب فقال لهم وما هو الذي لكناه حتى اقاسمكم فيه فقالوا انت تضعف علينا وتختص بالشيء دوننا فانك لما اصطلحنا معك مع الباشا وصرفك في البر الغربي اختصصت بايراده وهو كذا وكذا دوننا ولم تشركنا معك في شيء ولولا ان الباشا كان يراعينا ويواسينا من عنده لمتنا جوعا فضلا لاراضيك ولا

وكان

وتعالى (وفي أواخره) حضر كثير من عسكر الدلاة من الجهة الشامية وكذلك حضر أتراك من على ظهر البحر كثيرون (واستهل شهر جمادى الثانية يوم الثلاثاء سنة ١٢٢٠) في ثالثه يوم الخميس قلد الباشا ديوان افندي نظر مهمات الحرمين والتاهب لسفر الحجاز لمحاربة الوهابية وسكن ببيت قصبة رضوان كل ذلك مع توجه الهمة والاستعداد لمحاربة الامراء المصريين والمذكورين بناحية قنطرة اللاهون (وأما حسن باشا وصالح قوج وطائفتين ايلك ومن معهم) فانهم صعدوا الى قبلي وملكوا البنادر الى حد جرجا واستقر دبوس اوغلي بجهة ابن خصيب (وفي يوم السبت خامسه) ارتحل الباشا بعساكره من الجيزة وانتقل الى جزيرة الذهب ونودي في المدينة بخروج العساكر المقيمين بمصر ولا يتخلف منهم احد فزاد تعديهم وخطفهم الحمير والجمال والرجال الفلاحين وتسخيرهم لتسخيرهم في خدمتهم وفي المراكب عوضا عن النوتية والملاحين الذين هربوا وتركوا اسفائنهم فكانوا يقبضون على كل من صادفوه ويحبسونهم في الحواصل ببولاق واتفق انهم حبسوا نحو ستين نفرا في حاصل مظلم واغلقوه عليهم وتركوهم من غير اكل ولا شرب بالماء حتى ماتوا عن آخرهم وانحدر قبطان بولاق واعوانه في طلب المراكب من بحر النيل فكانوا يقبضون على المراكب الواصلة إلى

بها ويحملها ظهره لانه خاف من جاولي انه ربما صده عن البلاد فلما دخل البوازيج
سار عنها الى الموصل فلما سمع جاولي بقربه من البلاد خرج الى تلقيه ومعه جميع العسكر
فلما رآه جاولي نزل عن فرسه وقبل الارض بين يديه وعاد في خدمته الى الموصل فدخلها
في رمضان واقطع جاولي الرحبة وسيره اليها واقام بالموصل يصلح امورها ويقرر
قواعدها فولى نصير الدين دزدارية القلعة بالموصل وجعل اليه سائر دزدارية القلاع
وجعل صلاح الدين محمد الاميرا حاجبا وبهاء الدين قاضي قضاة بلاده جميعها وزاده
املاكا واقطاعا واحتراما وكان لا يصدر الا عن رأيه فلما فرغ من امر الموصل سار عنها
الى جزيرة ابن عمر وبها مماليك البرسقي فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم وبذل لهم
البذول الكثيرة ان سلموا فلم يجيبوه الى ذلك فجد في قتالهم وبينه وبين البلد دجلة
فامر الناس فالقوا انفسهم في الماء ليعبروا الى البلد ففعلوا وعبر بعضهم سباحة
وبعضهم في السفن وبعضهم في الاكلاك وتكاثروا على اهل الجزيرة وكانوا قد خرجوا
عن البلد الى ارض بين الجزيرة وبين دجلة تعرف بالزلاقة ليمنعوا من يريد من عبور دجلة
فلما عبر العسكر اليهم قاتلوهم ومانعوهم فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم فانهزم اهل
البلد ودخلوه وتحصنوا باسواره واستولى عماد الدين على الزلاقة فلما رأى من بالبلد ذلك
ضعفوا ووهنوا وايقنوا ان البلد يملك عاجلا او آجلا فارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى
ذلك وكان هو ايضا مع عسكره بالزلاقة فسلموا البلد اليه فدخله هو وعسكره ثم ان دجلة
زادت تلك الليلة زيادة عظيمة فجاءت سور البلد وصارت الزلاقة ماء فلو اقاموا بها ذلك اليوم
لغرق هو وعسكره ولم ينج منهم احد فلما رأى الناس ذلك ايقنوا بسعادته وايقنوا ان
امرا هذا ابتداؤه لعظيم ثم سار عن الجزيرة الى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش
صاحب ماردين فلما نازلها سار حسام الدين الى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن
ارتق وهو صاحب حصن كيفا وغيرها فاستنجده على اتابك زنكي فوعده النجدة بنفسه
وجمع عسكره وعاد تمرتاش الى ماردين وارسل رقاعا على اجنحة الطيور الى نصيبين يعرف
من بها من العسكر انه وابن عمه سائران في العسكر الكثير اليهم وازاحة عماد الدين عنهم
ويأمرهم بحفظ البلد خمسة ايام فبينما اتابك في خيمته اذ سقط طائر على خيمة تقابله
فامر به فصيد فرأى فيه رقعة فقرأها وعرف ما فيها فامر ان يكتب غيرها يقول فيها انني
قصدت ابن عمي ركن الدولة وقد وعدني النصرة وجمع العساكر وما يتأخر عن الوصول
اكثر من عشرين يوما ويأمرهم بحفظ البلد هذه المدة الى ان يصلوا وجعلها على الطائر
وارسله فدخل نصيبين فلما وقف من بها على الرقعة سقط في ايديهم وعلموا انهم
لا يقدرون ان يحفظوا البلد هذه المدة فارسلوا الى الشهيد وصالحوه وسلموا البلد اليه
فبطل على تمرتاش وداود ما كانا عزما عليه وهذا من غريب ما يسمع فلما ملك نصيبين
سار عنها الى سنجار فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموا البلد اليه وسير منها الشحن الى
الخابور فملكه جميعه ثم سار الى حران وهي للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة
وتلك النواحي جميعها للفرنج واهل حران معهم في ضر عظيم وضيق شديد لخلو البلاد

ورجعوا الى مصر بجماعة الاتاروحصيتهم ستة عشر من كبارهم والجميع يزيدون عن المائتين وانعم عليهم الباشا بثمانين كيسا لكل كبير من الاربعة عشرون كيسا ومائة وعشرون كيسا لبقيتهم واشتروا دورا واسعة وشرعوا فى تعميرها وزخرفتها على طرف الباشا فاشترى امين بك دار دغان آغة المتوفى بدرب سعادة من عتقائه ودفع له الباشا ثمنها وامر لكل امير منهم بسبعة آلاف ريال ليصرفوا اذ بها يحتاج اليه فى العمارة واللوازم وحرضهم بذلك على العمل قال ولما تحقق شاهين بك انقصالهم عنه داخله الوهم من آتباعه امرائهم واعطاهم بيرقا وخيولا وضم لهم مماليك وما والف وعتت حيلة الباشا التى احكمها بمكره وعند ذلك اشيع فى الاقليم القبلى والبحرى تفرقهم وتخاذلهم ورجع من كان هاربا من القبائل والعربان من الانضمام اليهم وطلبوا الامان من الباشا وحضروا اليه ودخلوا فى طاعته وانعم عليهم وكساهم وكانت اهالى البلاد عندما حصلت هذه الحوادث تعصت عن دفع الفرض والمغارم وطردوا المعينين وتعطل الحال وخصوصا عندما شاع غلبة المصريين على الارنؤد وتحركت عليهم العربان الذين كانوا انضموا اليهم واطاع القاتلين الاقليم الجنوبى والعاصى والمصانع وكلها اسباب لبروز المقدور المستور فى غيبه سبحانه يجريها

السلطان محمود وهى الوزارة الثانية

ذكر وفاة عز الدين بن البرسقى وولاية عماد الدين زنكى الموصل واعمالها

فى هذه السنة توفى عز الدين مسعود بن البرسقى وهو صاحب الموصل وكان موته بمدينة الرحبة وسبب مسيره اليها انه لما استقامت اموره فى ولايته وراسل السلطان محمودا وخطب الولاية ما كان ابوه يتولاه من الموصل وغيرها فاجابه السلطان الى ما طلب فرتب الامور وقررها الكثير جنده وكان شجاعا شهما فطمع فى التغلب على بلاد الشام فجمع عساكره وسار الى الشام يريد قصد دمشق فابتدأ بالرحبة فوصل اليها ونازلها وقام يحاصرها فاخذه مرض حاد وهو يحاصرها فسلم القلعة ومات بعد ساعة فندم من بها على تسليمها اليه ولما مات بقى مطروحا على بساط لم يدفن وتفرق عنه عسكره ونهب بعضهم بعضا واشتغلوا عنه ثم دفن بعد ذلك وقام بعده اخ له صغير وراسب تولى على البلاد مملوك للبرسقى يعرف بالجاولى ودبر امر الصبي وارسل الى السلطان يطلب ان يقرر البلاد على ولد البرسقى وبذل الاموال الكثيرة على ذلك وكان الرسول فى هذا الامر القاضى بهاء الدين ابو الحسن على بن القاسم الشهرزورى وصلاح الدين محمد امير حاجب البرسقى فحضر ادركاه السلطان ليخاطبا فى ذلك وكانا يخافان جاولى ولا يرضيان بطاعته والتصرف بما يحكم به فاجتمع صلاح الدين ونصير الدين جقر الذى صار نائبا عن اتابك عماد الدين بالموصل وكان بينهما مصاهرة فذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وافشى اليه سره فخوفه نصير الدين من جاولى وقبح عنده طاعته وقرر فى نفسه انه انما ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ومتى اجيب الى مطلوبه لا يبقى على احد منهم وتحدث معه فى مخاطبة فى ولاية عماد الدين زنكى وضمن له الولايات والاقطاع الكثيرة وكذلك للقاضى بهاء الدين الشهرزورى فاجابه الى ذلك واحضره معه عند القاضى بهاء الدين وخاطباه فى هذا الامر فضمن له كل ما اراده فوافقهما على ما طلبا وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير وهو حينئذ شرف الدين انوشروان بن خالد وقالا له قد علمت انت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها واستولوا على اكثرها وقد اصبحت ولايتهم من حدود ماردين الى عريش مصر ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين وقد كان البرسقى مع شجاعته وتجربته وانقياد العساكر اليه يكف بعض عاديتهم وشرهم فمذ قتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع ذى رأى وتجربة يذب عنها ويحفظها ويحمى حوزتها وقد انهينا الحال لئلا يجرى خلل او وهن على الاسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ويقال لم لا انهيتم الينا جلية الحال فرفع الوزير قولهما الى السلطان فاستحسنه وشكرهما عليه واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكى وبذلا عنه تقربا الى خزانة السلطان مالا جليلا فاجاب السلطان الى توليته لما يعلمه من كفايته لما يليه فاحضره وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وسار فبدأ بالبوازيج ليملكها ويتقوى

قلعتها واستعظالهم بجيش وحاربوهم وطاردوهم ثم اضطربت الاخبار واختلفت الاقوال (واستهل شهر رجب

الى المدينة فصودق في حال فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب انطاكية في جمع من الفرنج فخندق الحلبيون حول القلعة فمنع الداخل والخارج الناس ظاهر البلد واشرف الناس على الخطر العظيم الى منتصف ذي الحجة من السنة وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير الى حلب الامير سنقر دراز والامير حسن قراقوش وهما من اكابر امراء البرسقي وقد صارا من امرائه في عسكر قوي ومعه التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة والشام فاستقر الامر ان يسير بدر الدولة بن عبد الجبار وقتلغ ابه الى الموصل الى عماد الدين فسارا اليه واقام حسن قراقوش بحلب واليا عليها ولاية مستعارة فلما وصل بدر الدولة وقتلغ ابه الى عماد الدين اصلح بينهما ولم يرد واحدا منهما الى حلب وسير حاجبه صلاح الدين محمدا الياغيسياني اليها في عسكر فصعد الى القلعة ورتب الامور وجعل فيها واليا وسار عماد الدين زنكي الى الشام في جيوشه وملك في طريقه مدينة منبج وبزاعة وخرج اهل حلب اليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتب اموره واقطع اعماله الاجناد والامراء فلما فرغ من الذي اراده قبض على قتلغ ابه وسلمه الى ابن بديع فكحله ابن بديع بداره بحلب فمات قتلغ ابه واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعبر واستجار بصاحبها فاجاره وجعل عماد الدين في رياسة حلب ابا الحسن علي بن عبد الرزاق ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بملك اتابك بلاد الشام لملكها الفرنج لانهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية واذا علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها واغار عليها فيضطر الفرنج الى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى انه توفي هذه السنة فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة اهله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ففعل بالفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قدوم السلطان سنجر الى الري)

في هذه السنة سار السلطان سنجر من خراسان الى الري في جيش كثير وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة لما وصل اليه هو والملك طغرل حسن له قصد العراق ولم يزل يطمعه في العراق ويسهل عليه قصده ويلقي في نفسه ان المسترشد بالله والسلطان محمودا متفقان على الامتناع منه ولم يزل به حتى اجابه الى المسير الى العراق فلما سار ووصل الى الري وكان السلطان محمود بهمذان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته ام قد تغير على ما زعم دبيس فلما جاءه الرسول بادر الى المسير الى عمه فلما وصل اليه امر العسكر جميعه بلقائه واجلسه معه على التخت وبالغ في اكرامه واقام عنده الى منتصف ذي الحجة ثم عاد السلطان سنجر الى خراسان وسلم دبيسا الى السلطان محمود ووصاه باكرامه واعادته الى بلده ورجع محمود الى همذان ودبيس معه ثم سار الى العراق فلما قاربا بغداد خرج الوزير الى لقائه وكان قدومه تاسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وكان الوزير ابو القاسم الانساباذي قد قبض السلطان محمود عليه فلما اجتمع بالسلطان سنجر امر باطلاقه فاطلقه محمود وقرره سنجر في وزارة ابنته التي زوجها

بيوم الخميس سنة ١٢٢٣) فيه وردت الاخبار بورود قرلار اغاسي من طرف الدولة وعلى يده اوامر وخلعة وسيف وخنجر فيه لعلي باشا وبصحبته ايضا هدية ماشيا لا شراك ولوازم حروب لسفر البلاد الحجازية ومحاربة الوهابية وهو يسمى عيسى اغا فلما طلع الى ثغر سكندرية (وفي يوم السبت عاشره) الموافق لسادس مسرى القبطي اوفى النيل وحصلت الجمعية وحضر كتخدا بك والقاضي وباقي الاعيان وكسر السد بحضرتهم في صبحها يوم الاحد وجرى الماء في الخليج (وفيه) وصل الاغا المذكور وعملوا له هناك شنكا وحراقات وتعليقات قبالة القصر الذي انشأه الباشا بساحل شبرا وخرجوا لملاقاته في صبحها بعد ثلاث ليال في يوم الثلاثاء ثالث عشره وعملوا له موكبا عظيما وطلع الى القلعة وضربوا عند طلوعه الى القلعة مدافع وهذا الاغا من الاغوات حسني خصي لطيف الذات متعاظم في نفسه قليل الكلام وفي حال وروده كان بجانبه نقصان في سعر الذهب والفضة الاسلامبولي على الناس المتفرجين وحضر بصحبته وصحبة ابناء السكة

الى بلده التي ضربت بصلابيول من الذهب والفضة وهي دراهم فضة خالصة فيها المضي الدمغة

من عام يذب عنها وسلطان يمنعها فلما قارب حران خرج اهل البلد واطاعوه وسلموا اليه فلما ملكها ارسل الى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد وراسله وهادنه مدة يسيرة وكان غرضه ان يتفرغ لاصلاح البلاد وجند الاجناد وكان اهم الامور اليه ان يعبر الفرات الى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقر الصلح بينهم وامن الناس ونحن نذكر ملك حلب ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قتل معين الملك ابو نصر احمد بن الفضل وزير السلطان سنجر قتله الباطنية وكان له في قتالهم آثار حسنة ونية صالحة فرزقه الله الشهادة وفيها ولي السلطان شحنكية بغداد مجاهد الدين بهروز ولما سار اتابك زنكي الى الموصل وفيها رتب الحسن بن سلمان في تدريس النظامية ببغداد وفيها اوقع السلطان سنجر بالباطنية في الموت فقتل منهم خلقا كثيرا قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس وتوفي هذه السنة علي بن المبرك ابو الحسن المقرئ المعروف بابن الفاعوس الحنبلي ببغداد في شوال وكان صالحا وفي شوال توفي محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن احمد ابو الحسن بن ابي الفضل الهمذاني الفرضي صاحب التاريخ

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة)

﴿ذكر ملك اتابك عماد الدين زنكي مدينة حلب﴾

في هذه السنة اول المحرم ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها فنقول قد ذكرنا ملك البرسقي لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلف فيها ابنه مسعودا ولما قتل البرسقي سار مسعود عنها الى الموصل وملكها واستناب بحلب اميرا اسمه قومان ثم انه ولى عليها اميرا اسمه قتلغ ابه وسيره بتوقيع الى قومان بتسليمها فقال بيني وبين عز الدين علامة لم ارها ولا اسلمها الا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود بن البرسقي حسن التصوير فعاد قتلغ ابه الى مسعود وهو يحاصر الرحبة فوجده قد مات فعاد الى حلب مسرعا وعرف الناس موته فسلم الرئيس فضائل بن بديع البلد واطاعه المقدمون به واستنزلوا قومان من القلعة بعد ان صح عنده وفاة صاحبه مسعود واعطوه الف دينار فتسلم قتلغ القلعة في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين فظهر منه بعد ايام جور شديد وظلم عظيم ومد يده الى اموال الناس لا سيما التركات فانه اخذها وتقرب اليه الاشرار فنفرت قلوب الناس منه وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذي كان قديما صاحبها فاطاعه اهلها وقاموا ليلة الثلاثاء ثاني شوال فقبضوا على كل من كان بالبلد من اصحاب قتلغ ابه وكان اكثرهم يشربون في البلد صبيحة العيد وزحفوا الى القلعة فتحصن قتلغ ابه فيها بمن معه فحصروه ووصل الى حلب حسان صاحب منبج وحسن صاحب بزاعة لاصلاح الامر فلم ينصلح وسمع الفرنج بذلك فتقدم جوسلين بعسكره

مصر بالغلال والبضائع والبقارة بالقوت يحفظها الى الاخابيط هم اعلى شطوط النيل ويأتون بالمراكب الى بولاق والجيزة الآن يعطوهم براطيل على تركهم الغلة بالمراكب حتى يصلوا بها الى ساحل بولاق فيخرجونها منها ثم يأخذون المركب وهكذا كان دأبهم طول هذه المدة (وفي عاشره) ارتحل الباشا من جزيرة الذهب يريد محاربة المصريين (وفي منتصفه) ورد الخبر بان حسين بك تابع حسين بك المعروف بالوشاش الالفي اراد الهروب والمجيء الى الباشا فقبض عليه شاهين بك واخذ سلاحه ونهبه وكتفه واركبه على جمل مغطى الراس وارسله الى الواحات فاحتال وهرب وحضر الى عرضي الباشا فاكرموا مقدمه عليه واعطاه خمسة اكياس وانعم عليه (وفي خامس عشرينه) وصلت الاخبار بان الباشا ملك قناطر اللاهون وان المصريين ارتحلوا الى ناحية البهنسا ولم يقع بينهم كبير محاربة وان الباشا استولى على الفيوم وارسل الباشا هدايا الى من سرايته ولده من طرائف الفيوم مثل ماء الورد والعنب والفاكهة وغير ذلك واستولى على ما كان مودعا للمصريين من الغلال بالفيوم (وفي اواخره) وصلت اخبار من ناحية الشام بان ما انعقد من الوحشة بين يوسف باشا والى الشام كلية فتوجه يوسف باشا الى المزيريب وحصن

الى

لما رحل السلطان الى همذان ماتت زوجته وهي ابنة السلطان سنجر وهي التي كانت تعنى بأمر دبيس وتدافع عنه فلما ماتت انحل أمر دبيس ثم ان السلطان مرض مرضا شديدا فأخذ دبيس ابنا له صغيرا وقصد العراق فلما سمع المسترشد بالله ذلك جند الاجناد وحشد وكان بهروز بالحلة فهرب منها ودخلها دبيس في شهر رمضان فلما سمع السلطان الخبر أحضر الامير ابن قزل والاحمديلي وقال انتما ضمنتما دبيسا مني وأريده منكما فسار الاحمديلي الى العراق الى دبيس ليكف شره عن البلاد ويحضره الى السلطان فلما سمع دبيس الخبر أرسل الى الخليفة يستعطفه ويقول ان رضيت عني فانا أرد أضعاف ما أخذت وأكون العبد المملوك فترددت الرسل ودبيس يجمع الاموال والرجال فاجتمع معه عشرة آلاف فارس وكان قد وصل في ثلثمائة فارس ووصل الاحمديلي بغداد في شوال وسار في اثر دبيس ثم ان السلطان سار الى العراق فلما سمع دبيس بذلك أرسل الهدايا الجليلة المقدار وبذل ثلثمائة حصان منعلة بالذهب ومائتي ألف دينار ليرضى عنه السلطان والخليفة فلم يجبه الى ذلك ووصل السلطان الى بغداد في ذي القعدة فلقيه الوزير والزينبي وأرباب المناصب فلما تيقن دبيس وصوله رحل الى البرية وقصد البصرة وأخذ منها أموالا كثيرة للخليفة والسلطان هناك من الدخل فسير السلطان اثره عشرة آلاف فارس ففارق البصرة ودخل البرية

(ذكر قتل الاسماعيلية بدمشق)

قد ذكرنا فيما تقدم قتل ابراهيم الاسداباذي ببغداد وهرب ابن اخته بهرام الى الشام وملكه قلعة بانياس وحضر أمره اليها ولما فارق دمشق اقام بها خليفة يدعو الناس الى مذهبه فكثروا وانتشروا وملكوا عدة حصون من الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادي التيم من اعمال بعلبك اصناف من مذاهب مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وغيرهم واميرهم اسمه الضحاك فسار اليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين وحصرهم وقاتلهم فخرج اليه الضحاك في ألف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كبيرة وقتل بهرام وانهزم من سلم وعادوا الى بانياس على اقبح صورة وكان بهرام قد استخلف في بانياس رجلا من اعيان اصحابه اسمه اسمعيل فقام مقامه وجمع شمل من عاد اليه منهم وبث دعاته في البلاد وعاضده المزدقاني أيضا وقوى نفسه على ما عنده من الامتعاض بهذه الحادثة والهرب بها ثم ان المزدقاني أقام بدمشق عوض بهرام انسانا اسمه ابو الوفاء فقوي أمره وعلا شأنه وكثر اتباعه وقام بدمشق فصار المستولي على من بها من المسلمين وحكمه اكثر من حكم صاحبها تاج الملوك ثم ان المزدقاني راسل الفرنج ان يسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور واستقر الامر بينهم على ذلك وتقرر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه وقرر المزدقاني مع الاسماعيلية ان يحتاطوا ذلك اليوم بابواب الجامع فلا يمكنوا احدا يخرج منه ليجيء الفرنج ويملكوا

لانفار وعدوها ويكون حضوره ضريح المشهد الحسيني فبات الناس في ارتياب وظنون وتخامين فلما اصبح
اليوم حضر شيخ السادات
وهو الناظر على اوقاف المشهد
الى قبة المدفن وحضر الشيخ
البكري والقلعة وارباب القبة
ومنعوا الناس من العبور
بالمسجد منتظرين لثمرة هذا
الاجتماع وكل من حضر من
الاشياخ المشاهير استأذنوا
له وادخلوه الى القبة وحضر
الشيخ الامير والشيخ المهدي
وتأخر حضور الشيخ الشرقاوي
لكونه كان يبيت في بولاق
ثم حضر الاغا المذكور
ودخل الى القبة وصحبته
ظرف من خشب ففتحه واخرج
منه لوحا طوله ازيد من ذراعين
في عرض ذراع ونصف
مكتوب فيه البسملة بخط
الثلث مموه بالذهب وهي بخط
يد السلطان محمود وتحتها
طرة العلامة السلطانية
فعلقوه على مقصورة المقام
وقرؤا الفاتحة ودعا السيد
محمد الغزلاوي خطيب
المسجد بدعوات للسلطان
ولما فرغ دعا ايضا السيد
بدر الدين المقدسي ثم خلع على
المشايخ خلعا وفرق دراهم ثم
خرج الجميع وركبوا الى
دورهم فكان هذا الجمع
جمع خفيف لا غير (وفي يوم
الجمعة) ركب الاغا المذكور
وذهب الى مقرع السادات
الوفائية بالقرافة بصحبة الشيخ
المتولي خلافتهم فزاره قابره وعلق هناك لوحا به او فرق دراهم وخلع على الشيخ المذكور خلعة (ومن

بالسلطان محمود فلما وصل معه الى بغداد اعاده محمود الى وزارته فى الرابع والعشرين من المحرم وهى وزارته الثانية

٥(ذكر عدة حوادث)٥

فى هذه السنة ثامن صفر توفى اتابك طغتكين صاحب دمشق وهو من مماليك الملك تتش ابن ألب أرسلان وكان عاقلا خيرا كثير الغزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة فى رعيته مؤثرا للعدل فيهم وكان لقبه ظهير الدين ولما توفى ملك بعده ابنه تاج الملوك بورى وهو اكبر اولاده بوصية من والده له بالملك واقر وزير ابيه اباعلى طاهر بن سعد المزدقانى على وزارته وفيها مستهل رجب توفى الوزير جلال الدين ابوعلى بن صدقة وزير الخليفة وكان حسن السيرة جميل الطريقة متواضعا محبا لاهل العلم مكرما لهم وله شعر حسن فمنه فى مدح المسترشد بالله

وجدت الورى كالماء طعما ورقة ● وان أمير المؤمنين زلاله
وصورت معنى العقل شخصا مصورا ● وان امير المؤمنين مثاله
ولولا طريق الدين والشرع والتقى ● لقلت من الاعظام جل جلاله

واقيم فى النيابة بعده شرف الدين على بن طراد الزينبى ثم جعل وزيرا وخلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين ولم يوزر للخلفاء من بنى العباس هاشمى غيره وفيها هبت ريح شديدة سوداء ملأت الآفاق وجاءت بتراب احمر يشبه الرمل وظهر فى السماء اعمدة كأنها نار فخاف الناس وعدلوا الى الدعاء والاستغفار فانكشف عنهم ما يخافونه

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة)

٥(ذكر قدوم السلطان محمود الى بغداد)٥

فى هذه السنة فى المحرم قدم السلطان محمود بغداد بعد عوده من عند عمه السلطان سنجر ومعه دبيس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله فتأخر دبيس عن السلطان ثم دخل بغداد ونزل بدار السلطان واسترضى عنه الخليفة فامتنع الخليفة من الاجابة الى ان يولى دبيس شيئا من البلاد وبذل مائة ألف دينار لذلك وسمع اتابك زنكى ان السلطان يريد ان يولى دبيس الموصل فبذل مائة ألف دينار وحضر بنفسه الى خدمة السلطان فلم يشعر السلطان به الا وهو عنده وحمل معه الهدايا الجليلة فاقام عند السلطان ثلاثة ايام وخلع عليه واعاده الى الموصل وخرج السلطان يتصيد فعمل له شحنة المزرفة دعوة عظيمة احتفل فيها اجتمع عنده السلطان وادخله الى حمام فى داره وجعل فيها عوض الماء ماء الورد فاقام السلطان الى رابع جمادى الآخرة وسار عنها الى همذان وجعل بهروز على شحنكية بغداد وسلمت اليه الحلة ايضا

٥(ذكر ما فعله دبيس بالعراق وعود السلطان الى بغداد)٥

الدرهم منها درهم وزن كامل ستة عشر قيراطا يصرف بخمسة وعشرين نصفا من الانصاف المعاملة العددية المستعملة فى معاملة الناس الآن وكذلك قطعة مضروبة وزن درهمين بالدرهم الوزنى تصرف بخمسين وكذلك قطعة مضروبة وزنها اربعة دراهم وتصرف بمائة نصف وقطعة وزنها ثمانية دراهم وتصرف بمائتين وكذلك ذهب فندقلى اسلامبولى يصرف بأربعمائة نصف وأربعين نصفا ونصفه بنصفها (وفى يوم الجمعة سادس عشره) حضر الآغا المذكور الى المشهد الحسينى وصلى به الجمعة وخرج وهو يفرق على الفقراء والمستجدين ارباع الفندقلى واحتفى خدمة الضريح وخدمة المسجد قروشا اسلامبولى فى صرة اقل ما فى الصرة الواحدة عشرة قروش (وفى يوم السبت سابع عشره) عملوا ديوانا بالقلعة واحضروا خلعة وصلت صحبة الآغا المذكور ارسلها مجيبة خازندار والبسوها لابنه للباشا وجعلوه باشا ميرميران وابن الباشا المذكور ولد مراهق صغير يسمى اسمعيل وضربوا شنكا ومدافع وأشيع انه وصلت مبشرون من الجهة القبلية بنصرة الباشا على المصريين وأرسلوا بذلك أوراقا للأعيان اخبروا فيها بوقوع الحرب بين الفريقين ليلة السبت أو يوم السبت عاشر رجب (وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشره) ارسلوا اتانيه الى المشايخ المحصورين من القد

لما

المقدمين ونهب خيامهم وطائفة من السلاح واعتقلهم وهرب من سواهم وسار من يومه الى حماة فوصل اليها وهى خالية من الجند الحماة الذابين فملكها واستولى عليها ورحل عنها الى حمص وكان صاحبها قرجان بن قراجه معه فى عسكره وهو الذى أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك فقبض عليه ونزل على حمص وحصرها وطلب من قرجان صاحبها ان يامر نوابه وولده الذين فيها بتسليمها فارسل اليهم بالتسليم فلم يقبلوا منه ولا التفتوا الى قوله فاقام عليها محاصرا لها ومقاتلا لاهلها مدة فلم يقدر على ملكها فرحل عنها عائدا الى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الامراء المقدمين وترددت الرسل فى اطلاقهم بينه وبين تاج الملوك واستقر الامر على خمسين الف دينار فاجاب تاج الملوك الى ذلك ولم يتقض بينهم امر

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة ملك بيمند صاحب انطاكية حصن القدموس من المسلمين وفى هذه السنة ايضا وثب الاسماعيلية على عبد اللطيف بن الخجندى رئيس الشافعية باصبهان فقتلوه وكان ذا رياسة عظيمة وتحكم كثير وفى هذه السنة توفى الامام ابو الفتح اسعد بن ابى نصر الميهنى الفقيه الشافعى مدرس النظامية ببغداد وله طريقة مشهورة فى الخلاف وتفقه على ابى المظفر السمعانى وكان له قبول عظيم عند الخليفة والسلطان وسائر الناس وفيها توفى حمزة بن هبة الله بن محمد بن الحسن الشريف العلوى الحسينى النيسابورى سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة ست وعشرين واربعمائة وجمع مع شرف النسب شرف النفس والتقوى وكان زيدى المذهب

(ثم دخلت سنة اربع وعشرين وخمسمائة)

ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد خان المذكور

فى هذه السنة فى ربيع الاول ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وسبب ذلك انه كان قد رتب فيها لما ملكها اولا ارسلان خان محمد بن سليمان بن بغراخان داود فاصابه فالج فاستناب ابنا له يعرف بنصر خان وكان شهما شجاعا وكان بسمرقند انسان علوى فقيه مدرس اليه الحل والعقد والحكم فى البلد فاتفق هو ورئيس البلد على قتل نصر خان فقتلاه ليلا وكان ابوه محمد خان غائبا فعظم عليه ما تم وكان له ابن آخر غائب فى بلاد تركستان فارسل اليه واستدعاه فلما قارب سمرقند خرج العلوى ورئيس البلد الى استقباله فقتل العلوى فى الحال وقبض على الرئيس وكان والده ارسلان خان قد ارسل الى السلطان سنجر رسولا يستدعيه ظنا منه ان ابنه لا يتم امره مع العلوى والرئيس فتجهز سنجر وسار يريد سمرقند فلما ظفر ابن ارسلان خان بهم ندم على استدعاء السلطان سنجر فارسل اليه يعرفه انه قد ظفر بالعلوى والرئيس وانه وابنه على الطاعة ويسأله العود الى خراسان فغضب سنجر من ذلك واقام اياما فبينما هو فى الصيد

وقولهم ياه وياهو ياجباوى ويابدوى ويادسوقى ويابيومى وصياحهم الكثير من الفقهاء والمتعممين والاطفال المذكور وراكب معهم والمقتر المصنوع مركب على أعواد وعليه العمامة مرفوع متوسط الستر على خشب ومعلقين حوله بالمصابيح والمقارع يمدون ايدى الناس الذين يمدون ايديهم للتمسح والتبرك من الرجال والنساء والصبيان المتفرجين ويرمون الخرق والطرح حتى انهم يرخونها من الطبقان بالحبال لتصل الى ذلك التمثال لينالوا البركة من بركته ولم يزالوا سائرين به على هذه الهيئة والحالة التى تزداد كثرة حتى وصلوا الى ذلك المشهد خارج البلدة بالقرب من كوم الجارح حيث الجراة وصنع فى ذلك اليوم والليلة اطعمة واطعمة للجيعانين وتواصل ذلك الى ثانى يوم (وفيه) بعث عثمانى اغا الواصل نجيب افندى الى الباشا يخبره بحضوره وبالغرض الذى حضر من اجله ويستدعيه للحضور (وفى يوم الجمعة) ثامنه وردت الاخبار بوقوع حرابة بين الباشا والمصريين وقتل بين الفريقين مقتلة عظيمة عند دمنهو والبدرمان وكانت الغلبة للباشا على المصريين واخذوا منهم اسرى وحضر الى الباشا جماعة من الامراء الالفية بامان وهرب الباقون وصعدوا الى قبلى فعملوا الطلقات اليوم شنكا بمدافع ثلاثة ايام كل يوم ثلاث مرات

البلاد فبلغ الخبر تاج الملوك صاحب دمشق فاستدعى المزدقاني الى مجلسه وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق راسه على باب القلعة ونادى في البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس وكان ذلك منتصف رمضان من السنة وكفى الله المسلمين شرهم ورد على الكافرين كيدهم ولما تمت هذه الحادثة بدمشق على الاسمعيلية خاف اسمعيل والي بانياس ان يثور به وبمن معه الناس فيهلكوا فراسل الفرنج وبذل لهم تسليم بانياس اليهم والانتقال الى بلادهم فاجابوه فسلم القلعة اليهم وانتقل هو ومن معه من اصحابه الى بلادهم ولقوا شدة وذلة وهوانا وتوفي اسمعيل اوائل سنة اربع وعشرين وكفى الله المؤمنين شرهم

(ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم)

لما بلغ الفرنج قتل المزدقاني والاسمعيلية بدمشق عظم عليهم ذلك وتاسفوا على دمشق حيث لم يتم لهم ملكها وعمتهم المصيبة فاجتمعوا كلهم صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من الفرنج وقمامصتهم ومن وصل اليهم في البحر للتجارة والزيارة فاجتمعوا في خلق عظيم نحو الفي فارس واما الراجل فلا يحصى وساروا الى دمشق ليحصروها ولما سمع تاج الملوك بذلك جمع العرب والتركمان فاجتمع معه منهم ثمانية آلاف فارس ووصل الفرنج في ذي الحجة فنازلوا البلد وارسلوا الى اعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلاد فلما سمع تاج الملوك ان جمعا كثيرا قد سار الى حوران لنهبه واحضار الميرة سير اميرا من امرائه يعرف بشمس الخواص في جمع من المسلمين اليهم وكان خروجهم في ليلة شاتية كثيرة المطر ولقوا الفرنج من الغد فواقعوهم واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلت منهم غير مقدمهم ومعه اربعون رجلا واخذوا ما معهم وهي عشرة آلاف دابة موقرة وثلثمائة اسير وعادوا الى دمشق لم يمسهم قرح فلما علم من عليها من الفرنج ذلك القى الله في قلوبهم الرعب فرحلوا عنها شبه المنهزمين واحرقوا ما تعذر عليهم حمله من سلاح وميرة وغير ذلك وتبعهم المسلمون والمطر شديد والبرد عظيم يقتلون كل من تخلف منهم فكثر القتلى منهم وكان نزولهم ورحيلهم في ذي الحجة من هذه السنة

(ذكر ملك عماد الدين زنكي مدينة حماة)

في هذه السنة ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل مدينة حماة وسبب ذلك انه عبر الفرات الى الشام واظهر انه يريد جهاد الفرنج وارسل الى تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق يستنجده ويطلب منه المعونة على جهادهم فاجاب الى المراد وارسل من اخذ له العهود والمواثيق فلما وثق اليه جهز عسكرا من دمشق مع جماعة من الامراء وارسل الى ابنه سونج وهو بمدينة حماة يامره بالنزول الى العسكر والمسير معهم الى زنكي ففعل ذلك فساروا جميعهم فوصلوا اليه فاكرمهم واحسن لقاءهم وتركهم اياما ثم انه غدر بهم فقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة الامراء

الحوادث) البدعية من هذا القبيل ان عثمان اغا المتولى اغات مستحفظان موالت لهذه فعمر مشهد الراس وهو راس زيد بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ويعرف هذا المشهد عند العامة بزين العابدين وبذلك اشتهر ويقصدونه بالزيارة صبح يوم الاحد فلما كانت الحوادث وجيء الفرنسيس اهملوا ذلك وخرب المشهد واهيلت عليه الاتربة فاجتهد عثمان اغا المذكور في تعميره ذلك فعمره وزخرفه وبيضه وعمل به سترا وتابوتا ليوضعا على المقام وارسل فنادى على اهل الطرق الشيطانية المعروفين بالاشاير وهم السوقة وارباب الحرف المرذولة الذين ينسبون انفسهم لارباب الضرائح المشهورين كالاحمدية والرفاعية والقادرية والبرهامية ونحوهم للتنويه في حضورهم قبل الجمع بايام ثم انهم اجتمعوا في يوم الاحد خامس عشرينه بانواع من الطبول والزمامير والبيارق والاعلام والشراميط والخرق الملونة والمصبغة ولهم انواع من الصياح والنباح والجلبة والصراخ الهائل حتى ملؤا النواحي والاسواق وانتظموا وساروا وهم يصيحون ويترددون ويتجاوبون بالصلوات والآيات التي يحرفونها وانواع التوسلات ومنادات اشياخهم ايضا المنتسبين اليهم باسمائهم كقولهم برفع الصوت وضرب الطبلات

المقدمين

(ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضاً مدينة سرجي ودارا)

لما فرغ من أمر أتابك وتلك النواحي عاد الى ديار الجزيرة وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين وابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا فسار عماد الدين اليهم وحصر مدينة سرجي وهي بين ماردين ونصيبين فاجتمع حسام الدين وركن الدولة وصاحب آمد وغيرهم وجمعوا خلقا كثيرا من التركمان بلغت عدتهم عشرين الفا وساروا اليه فتصافوا بتلك النواحي فهزمهم عماد الدين وملك سرجي حكى لي والدي قال لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه فبلغ الخبر عماد الدين فسار نحو الجزيرة واراد دخول بلد داود ثم عاد عنه لضيق مسالكه وخشونة الجبال التي في الطريق وسار الى دارا فملكها وهي من القلاع في تلك الاعمال

(ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوي)

في هذه السنة ثاني ذي القعدة قتل الآمر باحكام الله ابو علي بن المستعلي العلوي صاحب مصر خرج الى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لانه كان سيء السيرة في رعيته وكانت ولايته تسع وعشرين سنة وخمسة اشهر وعمره اربع وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدي عبيد الله الذي ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بافريقية وهو ايضا العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدي أيضا ولما قتل لم يكن له ولد بعده فولي بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد ابن الامير ابي القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وانما بويع له لينظر في الامر نيابة حتى يكشف عن حمل ان كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائبا عنه ومولد الحافظ بعسقلان لان اباه خرج من مصر اليها في الشدة فاقام بها فولد ابنه عبد المجيد هناك ولما ولي استوزر ابا علي احمد بن الافضل بن بدر الجمالي واستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه واودعه في خزانة لا يدخل اليه الا من يريده ابو علي وبقي الحافظ له اسم لا معنى تحته ونقل ابو علي كل ما في القصر الى داره من الاموال وغيرها ولم يزل الامر كذلك الى ان قتل ابو علي سنة ست وعشرين فاستقامت امور الحافظ وحكم في دولته وتمكن من ولايته وبلاده

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفيت الخاتون ابنة السلطان سنجر وهي زوجة السلطان محمود وفيها قتل ببغداد القرقجي صاحب اقطاع كبيرة وفيها توفي نصير الدين محمود بن مؤيد الملك بن نظام الملك في شعبان ببغداد ووقع الحريق في داره بعد وفاته وفي عقار الحلب والسوق التتشي فذهب من الناس اموال كثيرة وفيها توفي الرئيس ابو الذواد المفرج بن الحسن ابن الصوفي الصاحب دمشق تاج الملوك وفيها كان الرصد بالدار السلطانية بشرقي بغداد تولاه البديع الاسطرلابي ولم يتم وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين فخاف الناس منها خوفا شديدا وآذى جماعة منهم وفيها في ذي الحجة خرج الملك

عيسى آغا هذا وحصل بدمراسيم بولاية سليمان باشا على الشام وعزل يوسف باشا واشاعوا ذلك وتوجه سليمان باشا تابع الجزار من عكا الى جهة ... وتوجه يوسف باشا بجموعه ايضا فتقابلا فانهزم يوسف باشا ونزل بالجيزة واستعمل الرجوع الى الشام فقامت عليه عساكره ونهبوا متاعه وتوجه سليمان باشا تابع الجزار من عكا وتفرقوا عنه فلم يسعه الا الفرار وترك ثقله وامواله ونزل في مركب ومعه نحو الثلاثين نفرا وحضر الى مصر ملتجئا لمحمد علي باشا لان بينهما صداقة ومراسلات فلما وصلت الاخبار بوصوله ارسل الى ملاقاته طاهر باشا وحضر بصحبته الى مصر وانزله بمنزل معد له على بركة الازبكية وعين له ما يكفيه وارسل اليه هدايا وخيولا وما يحتاج اليه (وفي هذه) الايام انحل سد ترعة الفرعونية واتسع منه نهر واندفع فيه الماء فخرج الناس واجتهدوا في سده وان افندي واخذ معه مراكب واحجارا واخشابا وغاب يومين ثم رجع واتسع الخرق واستمر ... تابع الاشقر ... عليها الخطارتها ولمنع مرور المراكب ويقوى رديمها لئلا تحرها المياه فيزداد اتساع الخرق (وفي هذه الايام) توقفت زيادة النيل فكان يزيد من بعد الوفاء قليلا ثم ينقص قليلا ثم يرجع النقص وكذا اشار البعض بالاجتماع بالابتهال بالازهر فجمع القليل ثم تفرقوا

ورأى اثني عشر رجلا في السلاح التام فقبض عليهم وعاقبهم فأقروا ان محمد خان ارسلهم ليقتلوه فقتلهم ثم سار الى سمرقند فملكها عنوة ونهب بعضها ومنع من الباقي وتحصن منه محمد خان ببعض تلك الحصون فاستنزله السلطان سنجر بأمان بعد مدة فلما نزل اليه اكرمه وارسله الى ابنته زوجة السلطان سنجر فبقي عندها الى ان توفي وأقام سنجر بسمرقند مدة حتى اخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد الى الامير حسن تكين وعاد الى خراسان فلم يلبث حسن تكين ان مات فملك سنجر بعده عليها محمود بن محمد خان بن سليمان بن داود المقدم ذكره وقيل ان السبب غير ما ذكرناه وسيرد ذكره سنة ست وثلاثين الحاجة الى ذكره هناك

(ذكر فتح عماد الدين زنكي حصن الاثارب وهزيمة الفرنج)

لما فرغ عماد الدين زنكي من امر البلاد الشامية حلب واعمالها وما ملكه وقرر قواعده عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثم امرهم بالتجهز للغزاة فتجهزوا واعدوا واستعدوا وعاد الى الشام وقصد حلب فقوي عزمه على قصد حصن الاثارب ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ بينها وبين انطاكية وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربية حتى على رحا لاهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق وكان اهل البلد معهم في ضر شديد وضيق كل يوم قد اغاروا عليهم ونهبوا اموالهم فلما راى الشهيد هذه الحال صمم العزم على حصر هذا الحصن فسار اليه ونازله فلما علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم وعلموا ان هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا وجمعوا ولم يتركوا من طاقتهم شيئا الا واستنفدوه فلما فرغوا من امرهم ساروا نحوه فاستشار اصحابه فيما يفعل فكل اشار بالعود عن الحصن فان لقاء الفرنج في بلادهم خطر لا يدرى على اي شيء تكون العاقبة فقال لهم ان الفرنج متى راونا قد عدنا من بين ايديهم طمعوا وساروا في اثرنا وخربوا بلادنا ولا بد من لقائهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم اليهم فالتقوا واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه واشتد الامر بينهم ثم ان الله تعالى انزل نصره على المسلمين فظفروا وانهزم الفرنج اقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم في الاسر وقتل منهم خلق كثير وتقدم عماد الدين الى عسكره بالاثخان وقال هذا اول مصاف عملناه معهم فلنذقهم من باسنا ما يبقى رعبه في قلوبهم ففعلوا ما امرهم ولقد اجتزت بتلك الارض سنة اربع وثمانين وخمسمائة ليلا فقيل لي ان كثيرا من العظام باق الى ذلك الوقت فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلموه عنوة وقتلوا واسروا كل من فيه واخربه عماد الدين وجعله دكا وبقي الى الآن خرابا ثم سار منه الى قلعة حارم وهي بالقرب من انطاكية فحصرها وهي ايضا للفرنج فبذل له اهلها نصف دخل بلد حارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد استقر المسلمون بتلك الاعمال وضعفت قوى الكافرين وعلموا ان البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم في حساب وصار قصاراهم حفظ ما بايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا في ملك الجميع

(ذكر

(واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة ١٢٢٥) فيه حضر الباشا وقت الغروب في نظر بندو وصحبته جماعة قليلون يطلع من البحر من بر طرا والمعصرة ونزل وركب من هناك خيولا من خيول العرب وطلع الى القلعة على حين غفلة وضرب له في ذلك الوقت مدافع اعلاما بحضوره (وفي ثاني ايامه) حضر طابع عيسى اغا المذكور عند الغروب وقابل وسلم عليه (وفي يوم الاثنين ثالثه) عمل الباشا ديوانا وحضر ذلك الاغا من بيت عثمان اغا الوكيل الكائن بدرب الجماميز في موكب وطلع الى القلعة وقرأ المرسوم الذي وصل صحبته بالمعنى السابق وهو الامر بالخروج الى الحجاز والبس الباشا الخلعة والسيف بحضرة الجمع وضربوا مدافع كثيرة عقب ذلك (وفيه) وردت الاخبار بمجيء يوسف باشا والي الشام الى ثغر دمياط وكان من خبر وروده على هذه الصورة انه لما تقرر امره في تقلده ولاية الشام اقام العدل وابطل المظالم والمنكرات واستقامت احواله وشاع امر عدله الحسي في البلدان فثقل امره على غيره من الولاة واهل الدولة لمخالفته طرائقهم فقصدوا عزله وقتله فارسلوا له ولوالي مصر اوامر بالخروج الى الحجاز فحصل التواني وفي اثناء ذلك حضر فرقة من العربان الوهابيين وخرج اليهم يوسف باشا المذكور وهزمهم من المزيريب ثم تقدم ورجع الى الشام وتفرقت الجموع ثم وصل

الغوطة فأخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وسمع أتابك عماد الدين زنكي الخبر وكان دبيس يقع فيه ويثلبه فأرسل الى تاج الملوك يطلب منه دبيسا ليسلمه اليه ويطلق ولده ومن معه من الامراء المأسورين وان امتنع من تسليمه سار الى دمشق وحصرها وخربها ونهب بلدها فأجاب تاج الملوك الى ذلك وارسل أتابك سونج بن تاج الملوك والامراء الذين معه وارسل تاج الملوك دبيسا فأيقن دبيس بالهلاك ففعل زنكي معه خلاف ما ظن واحسن اليه وحمل له الاقوات والسلاح والدواب وسائر امتعة الخزائن وقدمه حتى على نفسه وفعل معه ما يفعل مع اكابر الملوك ولما سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق ارسل سديد الدولة بن الانباري وابا بكر بن بشر الجزري من جزيرة ابن عمر الى تاج الملوك يطلب منه ان يسلم دبيسا اليه لما كان متحققا به من معاداة الخليفة فسمع سديد الدولة بن الانباري بتسليمه الى عماد الدين وهو في الطريق فسار الى دمشق ولم يرجع وذم أتابك زنكي بدمشق واستخف به فبلغ الخبر عماد الدين فأرسل الى طريقه من يأخذه اذا عاد فلما رجع من دمشق قبضوا عليه وعلى ابن بشر وحملوهما اليه فأما ابن بشر فأهانه وجرى في حقه مكروه وأما ابن الانباري فحبسه ثم ان المسترشد بالله شفع فيه فأطلق ولم يزل دبيس مع زنكي حتى انحدر معه الى العراق على ما نذكره ان شاء الله تعالى

■(ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود)■

في هذه السنة في شوال توفي السلطان محمود ابن السلطان محمد بهمذان وكان قبيل مرضه قد خاف وزيره أبو القاسم الانساباذي من جماعة من الامراء واعيان الدولة منهم عز الدين أبو نصر أحمد بن حامد المستوفي والامير انوشتكين المعروف بشيركير وولده عمر وهو امير حاجب السلطان وغيرهم فاما عز الدين فأرسله مقبوضا عليه الى مجاهد الدين بهروز بتكريت ثم قتل بها واما شيركير وولده فقتلا في جمادى الآخرة ثم ان السلطان مرض وتوفي في شوال واقعد ولده الملك داود في السلطنة باتفاق من الوزير ابي القاسم وأتابكه آقسنقر الاحمديلي وخطب له في جميع بلاد الجبل واذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت فلما اطمأن الناس وسكنوا سار الوزير باموال الى الري فأمن فيها حيث هي للسلطان سنجر وكان عمر السلطان محمود لما توفي نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته للسلطنة اثنتي عشرة سنة وتسعة اشهر وعشرين يوما وكان حليما كريما عاقلا يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع في اموال الرعايا عفيفا عنها كافا لاصحابه عن التطرق الى شئ منها

■(ذكر عدة حوادث)■

في هذه السنة ثار الباطنية بتاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين فبرأ احدهما وبقي الآخر يمرض فيه الا انه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه وفيها توفي الامير ابو الحسن بن المستظهر بالله اخو المسترشد بالله في رجب

عشرينه) زاد النيل ورجع بما كان انتقصه وزاد على ذلك نحو قيراطين ونودي الى ابوانحورت واعلان النحاس (وفي خامسه) سافر حسين اغا بعد ما قبض ما احتاله اليه الباشا وهديته من الهدايا والا كياس والقفف والسكاكر والشرابات والاقمشة الهندية وغير ذلك ونزل لتشييعه عثمان اغا الوكيل وسافر صحبته نجيب افندي (وفي اواخره) سافر سليمان بك البواب لمصالحة الامراء المنهزمين على يد حسن باشا

■(واستهل شهر رمضان بيوم الاحد سنة ١٢٢٠)■

في سابع عشره قبض الباشا على المعلم غالي كبير المباشرين الاقباط والمعلم فلتيوس والمعلم جرجس الطويل والمعلم فرنسيس اخي المعلم غالي وباقي اعيان المباشرين فاما غالي وفلتيوس فنزلوا بهما الى ... الى بولاق وانزلوهما في مركب ليسافروا به الى ... وحبسوا الباقين بالقلعة وختموا على دورهم ووجدوا عند المعلم غالي تسعة وستين جارية بيضاء وسوداء وحبشية ثم قلدوا المباشرة الى المعلم منصور ضريمون الذي كان معلم ديوان الجمرك ببولاق سابقا والمعلم بشارة ورزق الله الصباغ وكان معهم ثم نزلوا النصارى المنفلتين من القلعة الى بيت ابراهيم بك الدفتردار

مسعود بن محمد من خراسان وكان عند عمه السلطان سنجر ووصل الى ساوة ووقع الارجاف ان عزمه على مخالفة اخيه السلطان محمود فقوي وان عمه سنجر امره بذلك فاستشعر السلطان محمود وسار من بغداد الى همذان فلما وصل الى كرمانشاهان وصل اليه اخوه الملك مسعود وخدمه ولم يظهر للارجاف اثر فاقطعه السلطان مدينة كنجة واعمالها وسيره اليها وفيها كانت زلزلة عظيمة في ربيع الاول بالعراق وبلد الجبل والموصل والجزيرة فخربت كثيرا وفيها اخذ السلطان محمود قلعة الموت وفيها توفي ابراهيم بن عثمان بن محمد ابو اسحق الغزي من اهل غزة مدينة بفلسطين من الشام ومولده سنة احدى واربعين واربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فمن قوله من قصيدة يصف فيها الاتراك

في فتية من جيوش الترك ما تركت ◦ للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة ◦ حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وله في الزهد

انما هذه الحياة متاع ◦ والسفيه الغوي من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب ◦ ولك الساعة التي انت فيها

وفيها توفي الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن احمد بن محمد الدباس ابو عبد الله المقرى الشاعر المعروف بالبارع اخو ابي الكرم بن فاخر النحوي لامه ومولده سنة ثلاث واربعين واربعمائة وله شعر مليح فمنه قوله

ردي على الكرى ثم اهجري سكني ◦ فقد قنعت بطيف منك في الوسن
لا تحسبي النوم قد اوحشت ساحته ◦ الا رجاء خيال منك يؤنسني
تركتني والهوى فردا اغالبه ◦ ونام ليلك عن سهري وعن حزني

وهي طويلة وفيها توفي هبة الله بن القاسم بن محمد بن عطاء بن محمد ابو سعد المهرواني النيسابوري ومولده سنة احدى وثلاثين واربعمائة وكان محدثا عالما فقيها صالحا

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة)

(ذكر اسر دبيس بن صدقة وتسليمه الى عماد الدين زنكي)

في هذه السنة في شعبان اسر تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق الامير دبيس بن صدقة صاحب الحلة وسلمه الى اتابك الشهيد زنكي بن آقسنقر وسبب ذلك انه لما فارق البصرة على ما ذكرناه قصد الشام من صرخد يستدعيه اليها لان صاحبها كان خصيا فتوفي هذه السنة وخلف جارية سرية له فاستولت على القلعة وما فيها وعلمت انه لا يتم لها ذلك الا بان تتصل برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس بن صدقة وكثرة عشيرته وذكر لها حاله وما هو عليه بالعراق فارسلت تدعوه الى صرخد لتتزوج به وتسلم القلعة وما فيها من مال وغيره اليه فاخذ الادلاء معه وسار من ارض العراق الى الشام فضل به الادلاء بنواحي دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقي

وذلك يوم الثلاثاء رابع عشرينه خرج النصارى الاقباط يستسقون ايضا واجتمعوا بالروضة وصحبتهم القسوس والرهبان وهم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير في تجمل زائد وصحبتهم طائفة من اتباع الباشا بالعصي المفضضة وعملوا في ذلك اليوم صيانة وصلوات وقداسات واسمطة وسكردانات عند جيز العبد ويقولون ان النيل لما توقفت زيادته في العام الذي قبل العام الماضي وخرج الناس يستسقون بجامع عمرو وخرج النصارى في ثاني يوم فزاد النيل تلك الليلة وذلك لا اصل له على انه لا استغراب في الزيادة في اوانها وهذه الايام ايضا اواخر مسرى وايام النسي وفيها قوة الزيادة وايام النوروز (وفي يوم السبت) خرج المشايخ والناس الى جامع عمرو بمصر القديمة وارسلوا تلك الليلة فجمعوا الاطفال من مصر وبولاق فحضر الكثير وخطبوا وصلوا واخبر بعض المتقيدين بالجامع في ذلك اليوم انهم لم يجدوا ما يأكلونه (وفي ثاني يوم) نقص النيل واستمر ينقص في كل يوم (وفي يوم الخميس) ثالث عشره حضرت العساكر والجريدة الى نواحي الآثار والبساتين ودخلوا في صبيحة يوم الجمعة رابع عشره بطموشهم وحملاتهم حتى ضاقت بهم الارض وحضر صحبتهم الكثير من الاجناد المصرية مسري ومستامنين (وفيه) حضر يوسف باشا المنفصل عن القرملة

الشرب فاقه الحافظ على نفسه وتخيل منه بأمر فاحتاط ولم يأكل عنده شيئا ولا شرب
فاحتال عليه الحافظ بان وضع له فراشه فى بيت الطهارة مسموما فاغتسل به فوقع
الدود فى سفله وقيل له متى تحركت من مكانك هلكت فكان يعالج بان يجعل اللحم الطرى
فى المحل فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفاء فقيل للحافظ انه قد صلح
وان تحرك هلك فركب اليه الحافظ كأنه يعوده فقام له ومشى بين يديه وقعد الحافظ
عنده ثم خرج من عنده فتوفى من ليلته وكان موته فى السادس والعشرين من ذى الحجة
من هذه السنة ولما مات بالس استوزر الحافظ ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد
وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين وانما ذكرت القاب ابى على تعجبا منها ومن حماقة
ذلك الرجل فان وزير صاحب مصر وحده اذا كان هكذا فينبغى ان يكون وزير
السلاطين السلجوقية كنظام الملك وغيره يدعون الربوبية على ان رب مصر هكذا
ولذا الا ترى الى فرعون يقول انا ربكم الاعلى والى اشياء اخر لا نطيل بذكرها

ذكر حال السلطان مسعود والملكين طغرل وسلجوقشاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود

لما توفى السلطان محمود بن السلطان محمد وخطب ببلاد الجبل واذربيجان لولده الملك
داود على ما ذكرناه سار الملك داود من همذان فى ذى القعدة من سنة خمس وعشرين
الى زنجان فاتاه الخبر ان عمه السلطان مسعودا قد سار من جرجان ووصل الى تبريز
واستولى عليها فسار الملك داود اليه وحصره بها وجرى بينهما قتال الى سلخ المحرم سنة
ست وعشرين ثم اصطلحا وتأخر الملك داود مرحلة وخرج السلطان مسعود من تبريز
واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وارسل يطلب الخطبة ببغداد وكانت
رسل الملك داود قد تقدمت فى طلب الخطبة فاجاب المسترشد بالله ان الحكم فى الخطبة
الى السلطان سنجر من اراد خطب له وارسل الى السلطان سنجر ان لا يأذن لاحد فى
الخطبة فان الخطبة ينبغى ان تكون له وحده فوقع ذلك منه موقعا حسنا ثم ان السلطان
مسعودا كاتب عماد الدين زنكى صاحب الموصل وغيرها يستنجده ويطلب منه اعانته
ووعده النصرة فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة ثم ان الملك سلجوقشاه ابن
السلطان محمد سار ومعه اتابكه قراجة الساقى صاحب فارس وخوزستان فى عسكر
كثير الى بغداد فوصل اليها قبل وصول السلطان مسعود ونزل فى دار السلطان واكرمه
الخليفة واستحلفه لنفسه ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة ويتهدد ان
منعها فلم يجب الى ما طلبه فسار حتى نزل عباسية الخالص وبرز عسكر الخليفة وعسكر
سلجوقشاه وقراجة الساقى نحو مسعود الى ان يفرغ من حرب اتابك عماد الدين زنكى
وسار يوما وليلة الى المعشوق وواقع عماد الدين زنكى فهزمه واسر كثيرا من اصحابه وسار
زنكى منهزما الى تكريت فعبر فيها دجلة وكان الدزدار بها حينئذ نجم الدين ايوب
فاقام له المعابر فلما عبر امن الطلب وسار الى بلاده لاصلاح حاله ورجاله وهذا

الساتين وذلك بعد ان تمموا الصلح على يد حسن باشا بواسطة سليمان بك البواب فلما استقر بخبائه بعرضيه
بمصر حضر اليه رفقائه
مقابل الباشا وهو ببيت
الازبكية فبش فى وجهه
فقال شاهين بك نرجو نجاح
القضية او عفوه عما تقدم منا
فقال نعم من قبل مجيئكم
بزمان وحضر لهم على كل
ركوبهم واخلى له بيت محمد كتخدا
الاشقر بجوار طاهر باشا
بالازبكية وفرشه ونظموه
ووعدهم بعوده الى الجيزة
فى مناصبه كما كان حتى يحول
منها محرم بك صهر الباشا لانه
عندما انتقل شاهين بك من
الجيزة عدى اليها محرم بك
بحريمه وهى ابنة الباشا
وسكن القصر بعسكره
وكذلك اسكن كبار اتباعه
وخواصه القصور التى كان
يسكنها الالفية وكذلك البيوت
والدور فوعده بالرجوع الى
محله وظن بجماعته صحة
ذلك وحضر صحبة شاهين بك
جملة من العسكر والدلاة
وغيرهم واستمرت جمالهم
وامتعتهم تدخل الى المدينة
ارسالا فى عدة ايام (وفى يوم
الجمعة) جلس الباشا ديوانا
بالازبكية فى بيت ابنه ابراهيم
بك الدفتردار واجتمع عنده
المشايخ والوجاقلية وغيرهم
فتكلم الباشا وقال يا احبابنا
لا يخفاكم احتياجى الى الاموال
الكثيرة لنفقات العساكر
والمصاريف والمهمات ولا ايراد لا يكفى ذلك فلزم الحال لتقرير الفرض على البلاد والاطيان وقد اجحف

بالازبكية وفيهم برجس الطويل واخوه حنا وجرجس وفرنسيس اخو غالي ويعقوب كاتبه وغيرهم واتباعهم واهل

حسابهم ثم دار الشغل وسعت الساعون في المصالحة على غالي ورفقائه الى ان تم الامر على اربعة وعشرين الف كيس ونزل له فرمان الرضا والخلع والقفاطين وذلك في آخر رمضان

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٥)

فيه نزلت طبلخانة الباشا الى بيت المعلم غالي واستمروا يضربون النوبة التركية ثلاثة ايام العيد ببيته وكذلك الطبل الشامي وباقي الملاعيب وترمى لهم الخلع والبقاشيش (وفي سابعه) حضر المعلم غالي وطلع الى القلعة وخلع عليه الباشا خلع الرضا والبسه فروة سمور وانعم عليه ونزل له عن اربعة آلاف كيس من اصل الاربعة والعشرين الف كيس المطلوبة في المصالحة ونزل الى داره وامامه الجاويشية والاتباع بالعصي المفضضة وجلس بدكة داره واقبل عليه الاعيان من المسلمين والنصارى للسلام عليه والتهنئة بالقدوم المبارك واما المعلم منصور ضربون فجبروا الناظر بان قيدوه وعوقوه ببيت ابراهيم بك ابن الباشا الدفتردار وقيدوا رفيقه في خدم اخرى (وفي يوم الخميس) عاشر شوال حضر شاهين بك الالفي ومن معه الى مصر ونصب وطاقه بناحية الشر

وفيها في شوال توفي الحسن بن سلمان بن عبد الله ابو علي الفقيه الشافعي الواعظ مدرس النظامية ببغداد واصله من الزوزان والخطيب ابو نصر احمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطوسي خطيب الموصل توفي في ربيع الاول وحماد بن مسلم الدباس الرحبي الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله اصحاب وتلامذة كثيرون سادوا ورأيت الشيخ ابا الفرج بن الجوزي قد ذمه وثلبه وللشيخ اسوة بغيره من الصالحين فان ابن الجوزي قد صنف كتابا سماه تلبيس ابليس لم يبق فيه على احد من سادة المسلمين وصالحيهم وهبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني الكاتب ومولده سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة سمع ابا علي بن المذهب وابا طالب بن غيلان وغيرهما وهو راوي مسند احمد بن حنبل والغيلانيات وغيرها ومحمد بن الحسن ابن علي بن الحسن ابو غالب الماوردي ولد سنة خمسين واربعمائة بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن ابي داود السجستاني وكان صالحا

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة)

(ذكر قتل ابي علي وزير الحافظ ووزارة يانس وموته)

في هذه السنة في المحرم قتل الافضل ابو علي بن الافضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ لدين الله العلوي صاحب مصر وسبب قتله انه كان قد حجر على الحافظ ومنعه ان يحكم في شيء من الامور قليل او جليل واخذ ما في قصر الخلافة الى داره واسقط من الدعاء ذكر اسمعيل الذي هو جدهم واليه تنسب الاسمعيلية وهو ابن جعفر بن محمد الصادق واسقط من الاذان حي على خير العمل ولم يخطب للحافظ وامر الخطباء ان يخطبوا له بالقاب كتبها لهم وهي السيد الافضل الاجل سيد مماليك ارباب الدول والمحامي عن حوزة الدين وناشر جناح العدل على المسلمين الاقربين والابعدين ناصر امام الحق في حالتي غيبته وحضوره والقائم بنصرته بماضي سيفه وصائب رأيه وتدبيره امين الله على عباده وهادي القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وارشاده مولى النعم ورافع الجور عن الامم ومالك فضيلتي السيف والقلم ابو علي احمد بن السيد الاجل الافضل شاهنشاه امير الجيوش وكان امامي المذهب يكثر ذم الآمر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويين ومماليكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج في العشرين من المحرم من هذه السنة الى الميدان يلعب بالكرة مع اصحابه فكمن له جماعة منهم مملوك افرنجي كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الافرنجي عليه فطعنه فقتله وحزوا رأسه وخرج الحافظ من الخزانة التي كان فيها ونهب الناس دار ابي علي واخذوا منها ما لا يحصى وركب الناس والحافظ الى داره فاخذ ما بقي فيها وحمله الى القصر وبويع يومئذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع له بولاية العهد وان يكون كفيلا لحمل ان كان للآمر فلما بويع بالخلافة استوزر ابا الفتح يانس الحافظي في ذلك اليوم بعينه ولقب امير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير

جاووش وغيرهما وكان قزل قد واطأ سنجر على الانهزام ووقعت الحرب وقامت على ساق وكان يوما مشهودا فحمل قراجة الساقي على القلب وفيه السلطان سنجر في عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر وبين يديه الفيلة فلما حمل قراجة على القلب رجع الملك طغرل وخوارزمشاه الى ورائهم فصار قراجة في الوسط فقاتل الى ان جرح عدة جراحات وقتل كثير من اصحابه واخذ هو اسيرا وبه جراحات كثيرة فلما رأى السلطان مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة وقتل يوسف جاووش وحسين أزبك وهما من اكابر الامراء وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة فلما تمت الهزيمة على مسعود نزل سنجر واحضر قراجة فلما حضر قراجة سبه وقال له يا مفسد أي شيء كنت ترجو بقتالي قال كنت ارجو ان أقتلك واقيم سلطانا أحكم عليه فقتله صبرا وارسل الى السلطان مسعود يستدعيه فحضر عنده وكان قد بلغ خونج فلما رآه قبله واكرمه وعاتبه على العصيان عليه ومخالفته واعاده الى كنجة واجلس الملك طغرل ابن اخيه محمود في السلطنة وخطب له في جميع البلاد وجعل في وزارته ابا القاسم الانساباذي وزير السلطان محمود وعاد الى خراسان فوصل الى نيسابور في العشرين من رمضان سنة ست وعشرين واما المسترشد بالله فكان منه ما نذكره

(ذكر مسير عماد الدين زنكي الى بغداد وانهزامه)

لما سار المسترشد بالله من بغداد وبلغه انهزام السلطان مسعود عزم على العود الى بغداد فأتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكي الى بغداد ومعه دبيس بن صدقة وكان السلطان سنجر قد كاتبهما وامرهما بقصد العراق والاستيلاء عليه فلما علم الخليفة بذلك اسرع العود اليها وعبر الى الجانب الغربي وسار فنزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقيا بحصن البرامكة سابع عشري رجب فابتدأ زنكي فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزموا منه وحمل نظر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس واراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم ايضا وقتل من العسكر جماعة واسر جماعة وبات الخليفة هناك ليلته وعاد من الغد الى بغداد

(ذكر حال دبيس بعد الهزيمة)

وقصد دبيس بعد انهزامه المذكور بلد الحلة وتلك النواحي وجمع جمعا وكانت تلك الولاية بيد اقبال المسترشدي فامده بعسكر من بغداد فالتقى هو ودبيس فانهزم دبيس واختفى في أجمة هناك وبقي ثلاثة أيام لم يطعم شيئا ولم يقدر على التخلص منها حتى أخرجه حمال على ظهره ثم جمع جمعا وقصد واسط وانضم اليه عسكرها وبختيار وشاق وابن أبي الجبر ولم يزل الى ان دخلت سنة سبع وعشرين فنفذ اليهم يرنقش بازدار واقبال الخادم المسترشدي في عسكر فاقتتلوا في الماء والبر فانهزم الواسطيون ودبيس واسر بختيار وشاق وغيره من الامراء

(ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق)

واول كلام أيوب كذا وانه غرض الباشا وهو باقرار الدم ثم موافقة تحرير الدفاتر وتبديل الكيفيات وكان في العزم أولا أن يجعلها على ذمم الاطيان شارقها وغاربها فيها من الاوصية التي للملتزمين والارزاق وسموح مشايخ البلاد وذكر ذلك في المجلس فقيل له ان الاوصية معايش الملتزمين والرزق قسمان قسم داخل في زمام اطيان البلاد ومحسوب في مساحة فلاحتها وقسم خارج عن زمامها والقسمان من الارصادات على الخيرات وعلى جهات البر والصدقة والمساجد والاسبلة والمكاتب والاحواض لسقي الدواب وغير ذلك فيلزم منه ابطال هذه الخيرات وتعطيلها فقال الباشا ان المساجد غالبها مخرب ومتهدم فقالوا له عليك بالفحص والتفتيش والزام المتولي على المسجد بعمارته اذا كان ايراده رائجا الى آخر ما قيل (وفي يوم الاثنين حادي عشرينه) قتلوا اشخاصا من الاجناد الالفية وقطعوا رأسه بباب الخرق بسبب انه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها

(واستهل شهر ذي القعدة يوم الاربعاء سنة ١٢٢٠)

(في ثانيه) سافر الباشا الى ثغر سكندرية ليكشف على عمارة الابراج والاسوار وبيع الغلال التي جمعها من البلاد في القرض التي فرضت عليهم وكذلك ما حضر من البلاد القبلية فجمعوا المراكب وشحنوها بالغلال وأرسلها

ذلك باعها لهم حتى جلت وخربت القرى وتعطلت المزارع وبارت الاطيان ولا كثير وقع ذلك بالكلية

الافضل من نجم الدين ايوب كان سبب الاتصال به والمصير في جملته حتى آل بهم الامر الى
ملك مصر والشام وغيرهما على ما نذكره واما السلطان مسعود فانه سار من العباسية
الى المالكية ووقعت الطلائع بعضها على بعض ثم لم تزل المراسلة تجري بين مسعود وبين اخيه
سلجوقشاه ومن معه وارسل سلجوقشاه الى قراجة يحثه على المبادرة فعاد مسرعا يطوعهم
صحبه الى الجانب الشرقي فلما علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكي رجع الى
ورائه وارسل الى الخليفة يعرفه وصول السلطان سنجر الى الري وانه عازم على قصد
الخليفة وغيره وان رأيهم ان يتفق على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لوكيل
الخليفة فلما وافق على ذلك اعاد الخليفة الجواب بتوقفه وترددت الرسل في الصلح
فاصطلحوا على ان يكون العراق لوكيل الخليفة ويكون السلطنة لمسعود ويكون
سلجوقشاه ولي عهده وتحالفوا على ذلك وعاد السلطان مسعود الى بغداد فنزل بدار
السلطان ونزل سلجوقشاه في دار الشحنكية وكان اجتماعهم في جمادى الاولى

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر)

لما توفي السلطان محمود سار السلطان سنجر الى بلاد الجبل ومعه الملك طغرل ابن
السلطان محمد وكان عنده قد لازمه فوصل الى الري ثم سار منها الى همذان فوصل الخبر
الى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله الى همذان فاستقرت القاعدة
بينهما على قتاله وان يكون الخليفة معهم وتجهز الخليفة فتقدم قراجة الساقي والسلطان
مسعود وسلجوقشاه نحو السلطان سنجر وتأخر المسترشد بالله عن المسير معهم فارسل الى
قراجة والزمه وقال ان الذي يخاف من سنجر آجلا انا اخافه عاجلا فبرز حينئذ وسار على
تريث وتوقف الحال الى ان بلغ الى خانقين واقام بها وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه
ووصلت الاخبار بوصول عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة الى قريب بغداد فاما
دبيس فانه ذكر ان السلطان سنجر اقطعه الحلة وارسل الى المسترشد بالله يضرع ويسأل
الرضا عنه فامتنع من اجابته الى ذلك واما عماد الدين زنكي فانه ذكر ان السلطان سنجر
قد اعطاه شحنكية بغداد فعاد المسترشد بالله الى بغداد وامر اهلها بالاستعداد للمدافعة
عنها وجند اجنادا جعلهم معه ثم ان السلطان مسعودا وصل الى دادمرج فلقيهم
طلائع السلطان سنجر في خلق كثير فتأخر السلطان مسعود الى كرمانشاهان ونزل
السلطان سنجر في اسداباذ في مائة الف فارس فسار مسعود واخوه سلجوقشاه الى جبلين
يقال لهما كاو وماهي فنزل بينهما ونزل السلطان سنجر كنكور فلما سمع بانصرافهم
اسرع في طلبهم فرجعوا الى ورائهم مسيرة اربعة ايام في يوم وليلة فالتقى العسكران
بمولان عند الدينور وكان مسعود يدافع الحرب بانتظار قدوم المسترشد فلما نازله
السلطان سنجر لم يجد بدا من المصاف وجعل سنجر على ميمنته طغرل ابن اخيه محمد
وقماج وامير اميران وعلى ميسرته خوارزمشاه اتسز بن محمد مع جمع من الامراء وجعل
مسعود على ميمنته قراجة الساقي والامير قزل وعلى ميسرته يرنقش بازدار ويوسف

والتصدا الذين يدبروا لنا تدبيرا
وطريقا لتحصيل المال من
غير ضرر ولا اجحاف على اهل
القرى وتعود مصلحة التدبير
عليهم وطلبنا اتصال الجميع
الراى لذلك فتخلف في وضعت
الراى في تدبير الامور السابقة
لمساعدة الكتبة وهم
الاقدمون والاقباط فوجدت
الجميع خائنين واني دبرت
رايا لا تلحق لها التهمة وان
من المعلوم أن جميع الحصص
لها مستندات ومعين بها مقدار
الميرى والفائظ فنقرر على كل
حصة قدر ميرى حلوانها اما
سنة او سنتين فلا ضرر ذلك
بالملتزمين ولا بالفلاحين فانتدب
ايوب كتخدا الفلاح وهو كبير
الاختيارية وقال لكن
يا افندينا الى مساواة الناس
فان حصص كثير من المشايخ
مرفوع ما عليها من المغارم
و يرجع تقسيم الغرامة على
حصص الشركاء فتحقق من
كلامه الشيخ الشرقاوى وقال
له انت رجل سوء وثار عليه
باقى المشايخ الحاضرين وزادتهم
الصياح فقام الباشا من
المجلس وتركهم وذهب بعيدا
عنهم وهم يترادون
ويتشاجرون فوصل اليهم
الباشا قرجان وقال لكم
تشوشتم على الباشا وتكدر
خاطره من صياحكم فسكتوا وقاموا من المجلس وذهبوا الى دورهم وهم مشغولون المزاج

الخلاف في عسكر داود فلما رأى أتابك قراسنقر الاحمديلي ذلك ولى هاربا وتبعه الناس في الهزيمة وقبض طغرل على برتقش الزكوي وعلى جماعة من الامراء واما الملك داود فانه لما انهزم بقي متحيرا الى اوائل ذي القعدة فقدم بغداد ومعه اتابكه آقسنقر الاحمديلي فاكرمه الخليفة وانزله بدار السلطان وكان الملك مسعود بكنجة فلما سمع انهزام الملك داود توجه نحو بغداد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين علي بن طراد الزينبي واستوزر انوشروان بن خالد بعد ان امتنع وسأل الاقالة وفي هذه السنة قتل احمد بن حامد بن محمد ابو نصر مستوفي السلطان محمود الملقب بالعزيز بقلعة تكريت وقد تقدم سبب ذلك سنة خمس وعشرين وفي المحرم منها قتل محمد بن محمد بن الحسين ابو الحسين بن ابي يعلى ابن الفراء الحنبلي مولده في شعبان في سنة احدى وخمسين واربعمائة وسمع الحديث من الخطيب ابي بكر وابن المحسن بن المهتدي وغيرهما وتفقه قتله اصحابه غيلة واخذوا ماله وفي جمادى الاولى توفي احمد بن عبيد الله بن كادش ابو العز العكبري وكان محدثا مكثرا وتوفي فيها ابو الفضل عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وكان اديبا وله شعر حسن فمنه ما كتبه الى جلال الدين بن صدقة الوزير

امولانا جلال الدين يا من ... اذكر بمحضعي القديمه
الم تك قد عزمت على اضطهادي ... فماذا اصدع عن تلك العزيمه

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الملوك بانياس)

في هذه السنة في صفر ملك شمس الملوك صاحب دمشق حصن بانياس من الفرنج وسبب ذلك ان الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه وعزموا على نقض الهدنة التي بينهم فتعرضوا الى اموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت واخذوها فشكا التجار الى شمس الملوك فراسل في اعادة ما اخذوه وكرر القول فيه فلم يردوا شيئا فحملته الانفة من هذه الحال والغيظ على ان جمع عسكره وتأهب ولا يعلم احد اين يريد ثم سار وسبق خبره اواخر المحرم من هذه السنة ونزل على بانياس اول صفر وقاتله لساعته وزحف اليه زحفا متتابعا وكانوا غير متأهبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا الى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجأ من كان من جند الفرنج الى الحصن وتحصنوا به فقتل من البلد كثير من الفرنج واسر كثير ونهبت الاموال وقاتل القلعة قتالا شديدا ليلا ونهارا فملكها رابع صفر بالامان وعاد الى دمشق فوصلها سادسه واما الفرنج فانهم لما سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكرا يسيرون به اليه فأتاهم خبر فتحها فبطل ما كانوا فيه

(ذكر حرب بين المسلمين والفرنج)

في هذه السنة في صفر سار ملك الفرنج صاحب البيت المقدس في خيالته ورجالته الى

قد جاد شيئا حتى انتهوا وتحدث نظيرها وانساها فانا كتبها في سيارة حتى ... اتبعها في محلها ان شاء الله تعالى في هذا التهذيب هذه الكتابة وكل ذلك من تشويش البال وتكدر الحال وهم العيال وكثرة الاشتغال وضعف البدن وضيق العطن (ومن حوادثها انه حدثت عدة مكوس زيادة على ما احدث على الارز والكتان والحرير والحطب والفحم وغير ذلك مما لم يصل الينا خبره حتى غلت اسعارها الى الغاية وكان سعر الدرهم الحرير نصفين فصار بخمسة عشر نصفا وكنا نشتري القنطار من الحطب الرومي في اوانه بثلاثين نصفا وفي غير اوانه بسبعين نصفا فصار بثلثمائة نصف وكان الفحم يأتي من ارضه في القفاف التي يوضع فيها الخبز ويبيعه الذين ينقلونه الى ساحل بولاق الاردب بعشرين نصفا واردبه ثلاثة ارادب ويشتريه المحتسب بمصر بذلك السعر لان اردبه اردبان ويبيعه ايضا بذلك السعر ولكن اردبه واحد فالتفاوت في الكيل لا في السعر فلما احتكر صار الكيل لا يتفاوت وسعره الآن اربعمائة وخمسون نصفا والتزم به من التزم واوقف رجاله في موارده البحرية لمنع من يأخذ منه شيئا من المراكب المارة بالسعر الرخيص من اربابه ويذهب به الى قبلي او نحو ذلك (ومنها) وهي من الحوادث الغريبة انه ظهر بالتل الكائن خارج رأس الصوة المعروفة

في هذه السنة في رجب توفي تاج الملوك بوري بن طغدكين صاحب دمشق وسبب موته ان الجرح الذي كان به من الباطنية وقد ذكرناه اشتد عليه الآن واضعفه واسقط قوته فتوفي في الحادي والعشرين من رجب ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسمعيل ووصى ببعلبك واعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان بوري كثير الجهاد شجاعا مقداما سد مسد ابيه وفاق عليه وكان ممدحا كثر الشعراء مداحه لاسيما ابن الخياط وملك بعده ابنه شمس الملوك وقام بتدبير الامر بين يديه الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق وهو حاجب ابيه واعتمد عليه وابتدأ امره بالرفق بالرعية والاحسان اليهم فكثر الدعاء له والثناء عليه

* (ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن رأس وحصره بعلبك) *

في هذه السنة ملك شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق حصن اللبوة وحصن رأس وسبب ذلك انهما كانا لابيه تاج الملوك وفي كل واحد منهما مستحفظ يحفظه فلما ملك شمس الملوك بلغه ان اخاه شمس الدولة محمدا صاحب بعلبك قد راسلهما واستمالهما اليه فسلما الحصنين اليه وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما فلم يظهر بذلك اثرا بل راسل اخاه بلطف يقبح هذه الحال وطلب ان يعيدهما اليه فلم يفعل فاغضى على ذلك وتجهز من غير ان يعلم احدا وسار هو وعسكره آخر ذي القعدة فطلب جهة الشمال ثم عاد مغربا فلم يشعر من بحصن اللبوة الا وقد نزل عليهم وزحف لوقته فلم يتمكنوا من نصب منجنيق ولا غيره فطلبوا الامان فبذله لهم وتسلم الحصن من يومه وسار من آخر النهار الى حصن رأس فبغتهم وجرى الامر فيه على تلك القضية وتسلمه وجعل فيهما من يحفظهما ثم رحل الى بعلبك وحصرها وفيها اخوه شمس الدولة محمد وقد استعد وجمع في الحصن ما يحتاج اليه من رجال وذخائر فحصرهم شمس الملوك وزحف في الفارس والراجل وقاتله اهل البلد على السور ثم زحف عدة مرات فملك البلد بعد قتال شديد وقتلى كثيرة وبقي الحصن فقاتله وفيه اخوه ونصب المجانيق ولازم القتال فلما راى اخوه شمس الدولة شدة الامر ارسل يبذل الطاعة ويسأل ان يقر على ما بيده وجعله ابوه باسمه فاجابه الى مطلوبه واقر عليه بعلبك واعمالها وتحالفا وعاد شمس الملوك الى دمشق وقد استقامت له الامور

* (ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود) *

في هذه السنة في رمضان كانت الحرب بين الملك طغرل وبين ابن اخيه الملك داود بن محمود وكان سببها ان السلطان سنجر اجلس الملك طغرل في السلطنة كما ذكرناه وعاد الى خراسان لانه بلغه ان صاحب ما وراء النهر احمد خان قد عصى عليه فبادر الى العود لتلافي ذلك الخرق فلما عاد الى خراسان عصى الملك داود وخالف عمه طغرل وجمع العساكر باذربيجان وبلاد كنجة وسار الى همذان فنزل مستهل رمضان عند قرية يقال لها وهان بقرب همذان وخرج اليه طغرل وعبى كل واحد منهما اصحابه ميمنة وميسرة وكان على ميمنة السلطان طغرل ابن برسق وعلى ميسرته قزل وعلى مقدمته قراسنقر وكان على ميمنة داود يرنقش الزكوي ولم يقاتل فلما راى التركمان ذلك نهبوا خيمه وجميع ما فيه ووقع

الى الاسكندرية ليبيعها على الافرنج فباع عليهم ازيد من مائتي الف اردب كل اردب باربعمائة قرش وسعرها بمصر ثمانية عشر قرشا وهو لم يشترها ولم يكن عليه فيها مال بل اخذها من زراعات الفلاحين من اصل ما فرضه عليهم من المال مع تلقيف الكيل عليهم والزامهم بكلفة تشييله واجرة نقله الى المحل الذي يلزمونهم بوضعه فيه واخذ من الافرنج في ثمنه اصناف النقود من الذهب المشخص البندقي والمجر والفرانسة وعروض البضائع من الجوخ المتنوعة والدودة التي يقال لها القرمز والقزدير واصناف البضائع الافرنكية واحدث وهو بالاسكندرية احداثا ومكوسا

* (واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الاحد سنة ١٢٢٥) *

في ثاني عشرينه حضر الباشا من الاسكندرية الى مصر وذلك يوم الجمعة اواخر النهار وحضر في السفينة الى بيت الازبكية وبات هناك به وطلع في صبح يوم السبت الى القلعة وضربوا له مدافع كثيرة لحضوره وبذلك علم الناس حضوره وانقضت السنة بحوادثها التي قصصنا بعضها اذ لا يمكن استيفاؤها لتباعد عن مباشرة الامور وعدم تحققها على الصحة وتحريف النقلة في رواياتهم وتصحيفهم في الرواية فلا اكتب حادثة حتى اتضح صحتها بالتواتر والاشتهار وغالبها من الامور الكلية التي لا تقبل التكتم من الغير فضلا عن الخاص



اطراف اعمال حلب فتوجه اليه الامير اسوار النائب بحلب فيمن عنده من العسكر وانضاف اليه كثير من التركمان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانهزم المسلمون الى حلب وتردد ملك الفرنج في اعمال حلب فعاد اسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فاوقع بهم واكثر القتل فيهم والاسر فعاد من سلم منهزما الى بلادهم وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل اسوار حلب ومعه الاسرى ورؤس القتلى وكان يوما مشهودا ثم ان طائفة من الفرنج من الرها قصدوا اعمال حلب للغارة عليها فخرج اليهم اسوار ومن معه ومعه الامير حسان البعلبكي فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم في بلد الشمال واسروا من لم يقتل ورجعوا الى حلب سالمين

(ذكر عود السلطان مسعود الى السلطنة وانهزام الملك طغرل)

قد تقدم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمه السلطان سنجر وعوده الى كنجة وولاية الملك طغرل السلطنة وانه حارب هو والملك داود ابن اخيه محمود وانهزام داود ودخوله بغداد فلما بلغ السلطان مسعودا انهزام داود وقصده بغداد سار هو الى بغداد ايضا فلما قاربها لقيه داود وترجل له وخدمه ودخلا بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة في صفر من هذه السنة وخاطب في الخطبة له فاجيب الى ذلك وخطب له ولداود بعده وخلع عليهما ودخلا الى الخليفة فاكرمهما ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود الى اذربيجان وان يرسل الخليفة معهما عسكرا فساروا فلما وصلوا الى مراغة حمل آقسنقر الاحمديلي مالا كثيرا واقامة عظيمة وملك مسعود سائر بلاد اذربيجان وانهزم من بها من الامراء مثل قراسنقر وغيره من بين يديه وتحصن منهم كثير بمدينة اردبيل فقصدهم وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون ثم سار بعد ذلك الى همذان لحرب اخيه الملك طغرل فالتقى هو وطغرل بقرب همذان فاقتتلوا الى الظهر ثم انهزم طغرل وقصد الري واستولى السلطان مسعود على همذان في شعبان ولما استقر مسعود بهمذان قتل آقسنقر الاحمديلي قتله الباطنية فقيل ان السلطان مسعودا وضع عليه من قتله ثم ان طغرل لما بلغ قم عاد الى اصبهان ودخلها واراد التحصن بها فسار اليه اخوه مسعود ليحاصره بها فرأى طغرل ان اهل اصبهان لا يطاوعونه على الحصار فرحل عنهم الى بلاد فارس واستولى مسعود على اصبهان وفرح اهلها به وسار من اصبهان نحو فارس يقتص اثر اخيه طغرل فوصل الى موضع بقرب البيضاء فاستأمن اليه امير من امراء اخيه معه اربعمائة فارس فامنه فخاف طغرل من عسكره ان يصيروا الى اخيه فانهزم من بين يديه وقصد الري في رمضان وقتل وزيره ابا القاسم الانساباذي في الطريق وفي شوال قتله غلمان الامير شيركير الذي سعى في قتله كما تقدم ذكره وسار السلطان مسعود يتبعه فلحقه بموضع يقال له دكراور فوقع بينهما المصاف هناك فلما اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل فوقع عسكره في ارض قد نضب عنها الماء وهي وحل فاسر منهم جماعة من الامراء منهم الحاجب تتشكر وابن بغرا فاطلقهم السلطان مسعود ولم يقتل في هذا المصاف الا نفر يسير ورجع السلطان مسعود الى همذان

(تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادي عشر اوله ذكر حصر المسترشد بالله الموصل)

المعروف بباب الوزير في وهدة بين التلول نار كامنة بداخل الآن بالحطابة قبالة الباب الاخرية واشتهر امرها وشاع ذكرها وزادت شهرتها في اواخر هذه السنة فظهر من خلال التراب ثقب يخرج منها الدخان ورائحة مختلفة كرائحة الخرق البالية وغير ذلك وكثر تردد الناس للاطلاع عليها افواجا افواجا نساء ورجالا واطفالا يقفون عليها ويحفرون حواليها تحت ارجلهم فيحفرون قليلا فتظهر النار مثل نار الدمس فيقربون منها الخرق والحلفاء ونحو ذلك فتدخن بها النار وتورى ويصعد منها الدخان وان غرسوا فيها خشبة او قصبة احترقت ولما شاع ذلك واخبروا بها اكثروا فنزل اليها بجمع من الاكابر واتباعه وغيرهم وشاهدوها ثم امروا الى الترعة بصب الماء عليها واذا الاثر من اعالي التل فوقها ففعلوا ذلك واحضروا السقائين وصبوا عليها بالقرب ماء كثيرا واهالوا عليها الاتربة وبعد يومين صارت الناس المجتمعة والاطفال يحفرون تحت ذلك الماء المصبوب قليلا فتظهر النار ويظهر دخانها فيقربون منها الخرق والحلفاء والبذكات فتورى وتدخن واستمر الناس يفدون ويروحون للفرجة عليها نحو شهرين وشاهدت ذلك في جملتهم ثم بطل ذلك

